A.1196

الجزء الأول من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب سقى الله زمانه
ونادرة أوانه العلامة أحمد المقري المغربي
المالكي الأشعري تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

وبهامش أجزائه الأول والثاني والثالث [illegible] في [illegible]
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للإمام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي [illegible]
في دار المستقر وبهامش جزئه الرابع [illegible]
وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم وبقاع البركات وما يتبع ذلك للعلامة
السخاوي [illegible] تعالى [illegible]

(الطبعة الأولى)

(بالمطبعة الأزهرية بمصر)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)

SALAR JUNG ESTATE LIBRARY
(Oriental Section)
ARABIC PRINTED BOOKS
Acquisition No. .... Cat. No. ....
Subject .... No. ....

منقح

تنقيح
١٢٨٤
١٨٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير * الذليل المضطر الحقير * من هو من صالح الاعمال عرى * أحمد بن محمد الشهير بالمقرى * المغربي المالكي الاشعرى * أصلح الله تعالى حاله * وجعل في مرضاته حله وترحاله * وغاية بغيته الطاعة والرضوان أمحاله * وأنجح بلوغ آماله ابتداءه وانتهاءه * (أحمد) من عرف من حلى الامصار وحلى الاعيان * على تداول الاعصار وتناوب الاحيان * ما فيه تذكرى لاولى الابصار وارشاد الى معرفة البيان * واعتبار اخبار راق وصفها وراق * (وشرق) من صرف المطامح والمطامع * الى تحصيل ما أفاد لسان الدين من كلم جوامع * وتحصيل ما أجاد من حكم بوالغ سحب بلاغتها هوامع * واقتناء ذخائر المهتدي التي تستنشق بدورها اللوامع الآذان والمسامع * من كل مقتطف من دوحة البراعة أوراق * (حتى) توج الخطيب المجيد رؤس المنابر بفرائد الكلام * وحلى الكاتب الاديب المجيد صدور المهارق من فوائد الاعلام * وتكحل الحكيم الطبيب الاريب المفيد من اثمد افكار در اوده الاقلام * عيون أوراق * (وأشهد) أن لا إله إلا الله لا شريك له الذي ابتدأ الخلق من غير مثال وبرا * وقسم العباد الى عامر وباد وخامل وقاصر وكامل * تشير اليهم الانامل أيدى الكبراء * والذى فى اختلاف أعراضهم وتباين أدواتهم وأغراضهم * وتغاير ألسنتهم وأمكنتهم وأ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله أهل الحمد
ومستحق الثناء والمجد
وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله
الطاهرين وسلم تسليما الى
يوم الدين

* (باب ذكر جوامع اغراض هذا الكتاب) *

اما بعد فاني صنفت كتابا في احوال الزمان وذكرنا القول فيه في هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وانهارها وجبالها وبراريها وبدائع معادنها واصناف معادنها واخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار واخبار الابنية العظيمة والمباني المشرفة وذكرنا ابتداء واصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهرا فصار بحرا وما كان بحرا فصار برا وما كان برا فصار بحرا على مرور الايام ومرور الدهور وعلة ذلك بسببه الفلكي والطبيعي

وأكوانهم ومناصبهم ومناسبهم شبرا* وجعل الدنيا لمن أتيح صغرا أو كبرا* ولبس
منهم مسوحا أو حبرا * أو أخلد الى الارض أو صعد منبرا * جسرا الى الآخرة ومعبرا
وحكم وهو الفاعل المختار على الجميع بالموت فكان لمبتداهم خبرا* فياله من داء أعيا كل
معالج أو راق* (فسبحانه) من اله انفرد بوجوب القدم والبقا واختص بفضله من شاء فارتقى
وعم تعالى ذوى السعادة والشقا بالحدوث والفنا* وأذاق من فراق الدنيا كل من فيها
بلا ثنيا فمن وفق فنبي عن جفنه وسنا* او خذل فجرى في ميدان الاغترار رسنا وزين له
عياذا بالله سوء عمله فرآه حسنا* طعم شعوب المر الجنى * فلم يغن منه عن ذوى الغنى والغناء*
وأهل السناء والسنا* من استظهر وابه من أرباب الصوارم والقنا وأصحاب النظم والنثر
والجدال والفخر والمدح والثنا* فأولئك ألقوا السلاح مذعنين مستبصرين موقنين
اذجاء الحق وزهق الباطل وولى الامترا* وهؤلاء تركوا الاصطلاح معلنين عالمين
انهم لم يكونوا فى التمويه محسنين وكيف لا وقد اضمحل الغرور والاجترا* وذهب والله
الجور والافترا* وبدل مذق الاطراء بصدق الاطراق *(وأشكره) جل وعلا على أن علم
بالقلم مالم نعلم* ونبه بآثاره الدالة على اقتداره الى سلوك الطريق الاقوم الواضح
المعلم* وأرشد من أشرق فكره وأضا الى التفويض لاحكام القضا ومن ذا يرد ما أمضى
أو ينقض ما أبرم والتسليم على كل حال أسلم *وأمر جل اسمه بالتدبر فى أنباء من مضى
والنظر فى عواقب أحوال الذين زال أمرهم وانقضى من صنوف الامم *ووبخ من دحا قلبه
بالاعراض عن ذلك وأظلم* وشتان ما بين اللاهى والمتذكر والساهى والمتفكر والناجى
والهالك المتحير والداجى الحالك والمشرق النير* ومايستوى الظل والحرور والحزن
والسرور والظلمات والنور ذو البهجة والاشراق*(وأصلى) أزكى الصلاة والسلام هدية
لحضرة سيد الانام ولبنة التمام من زويت له من الارض المغارب والمشارق* وتم به نظام
أنبياء الله ورسله العظام وأزاح نوره الضلال والظلام حتى أضاءت بوسمه المساجد
وازدانت باسمه المهارق * وألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام وذلك شأن ذوى
العقول الراجحة والأحلام غير خائف من عتب ولا مترقب لملام فأمن من الطوارئ
والطوارق * وتمت كلمة الاسلام الذى اتضح برهانه لدى بصر وبصيرة لايحتاج الى زيادة
الاعلام وعلت سيوف توحيد الملك العلام* من المعاند المفارق المفارق * وخضبتها
بحناء النجيع الرقراق * (النبي) الامى الامين الداعى جميع العالمين الى سلوك منهاج
ماله من هاج ذى أضواء شوارق* سيد الرسل الغر الميامين ملجا الامة جعلنا الله ممن نجا
بالتجاليه آمين الذى أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وانشق
له الزبرقان ونبع الماء من بين أصابعه زيادة فى الايقان* وسلمت عليه الاحجار وانقادت
لامره الاشجار متفيئة ظلاله الشريفة وخطت فى الارض أسطرا مبدعة الاتقان الى غير
ذلك من معجزاته الخوارق * فهو صاحب الدعوة الجامعة والبراهين اللامعة والادلة
التى سقت الشجرة الطيبة غيوثها النافعة الصيبة الهامية الهامعة الصادقة البوارق*
فأثمرت النجاة والفوز والفلاح وأورقت بالهدى أحسن ايراق *(أسنى) رسول بعث الى

وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحي والآفاق وتباين الناس فى الآثار
القديم واختلافهم فى بدئه
وأوليته من الهند وأصناف
الملحدين وما ورد فى ذلك
عن الشرعيين وما نطقت
به الكتب وورد على
الديانيين (ثم اتبعنا ذلك
باخبار الملوك الغابرة
والامم الداثرة والقرون
الخاليه والطوائف البائدة
على مر سيرهم فى تغير أوقاتهم
وتنيف أعصارهم من
الملوك والفراعنة العادية
والاكاسرة واليونانية وما
ظهر من حكمهم ومقاتل
فلاسفتهم واخبار ملوكهم
وأخبار العناصر الى ما فى
تضاعيف ذلك من أخبار
الانبياء والرسل والاتقياء
الى ان أفضى الله بكرامته
وشرف برسالته محمدا نبيه
صلى الله عليه وسلم فذكرنا
مولده ومنشأه وبعثته
وهجرته ومغازيه وسراياه
الى أوان وفاته واتصال
الخلافة واتساق المملكة
بزمن زمن ومقاتل من ظهر
من الطالبيين الى الوقت
الذى شرعنا فيه تصنيف
كتابنا هذا من خلافة
المتقى لله أمير المؤمنين
وهى سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة (ثم اتبعناه) بكتابنا
الاوسط فى الاخبار على
التاريخ وما اندرج فى السنين
الماضية (ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وما تلاه من الكتاب الاوسط أردنا) ايجاز ما بسطناه

١

الارض وأعظمهم جلاله * وأكثرهم تابعا فى الطول منها والعرض ولم لاوقد ظهر به الحق لمن أمه مسترشدا وجلاله * وأسمى من جاء بتبيين السنة والفرض وأعمهم دلاله منقذ البرايا فى الدنيا ويوم العرض الآخذ بحجزهم عن النار والضلاله * الداعى الى تقديم الخير وحسن القرض الحريص على هداية الخلق المبلغ لهم أحكام الحق من غير ضجر ولا ملاله * ذو الفضل العظيم الذى لم يختلف فيه من أهل العقول اثنان والمجد الصميم الثابت الاصول الباسق الافنان المنتقى من محمد معد بن عدنان المنتخب من خير عنصر وأطهر سلاله * شفيعنا وملاذنا وعصمتنا ومعاذنا وثمالنا الذى نجحت به آمالنا وزكت أقوالنا وأعمالنا * ووسيلتنا الكبرى وعمدتنا العظمى فى الاولى والاخرى وكنزنا الذى أعددناه لازاحة الغموم ذخرا * وغيثنا وغوثنا وسيدنا ونبينا ومولانا محمد الطيب المنابت والاعراق (صلى) الله وسلم عليه ووجه وفود التعظيم اليه من مفرد فى جماله بما رجح الانبياء تماما * وفذ فى كماله تقدم فى حضرة التقديس التى أسست على التشريف أعظم تاسيس بالمرسلين اماما * وصدر تحلى بجميل الاوصاف كالوفاء والعفاف والصدق والانصاف فزكا فى أعماله وبلغ الراجى منتهى آماله ولم يخلف وعدا ولم يخفر ذماما * وسيد كسى حلل العصمه من كل مخالفة وذنب ووصمه فلم يصرف لغير طاعة مولاه الذى اولاه من التفضيل ما أولاه اهتماما واهتماما * وعلى آله وعترته الفائزين بأثرته أنصار الدين والمهاجرين المهتدين وأشياعه وذريته الطالعين نجوما فى سماء شهرته وأتباعهم القائمين بحقوق نصرته * أرباب العقل الرصين الفاتحين بسيوف دعوته أبواب المعقل الحصين حتى بلغت أحكام ملته وأعلام بعثته من بالاندلس والصين فضلا عن الشأم والعراق * (ورضى) الله تعالى عن علماء أمته المصنفين فى جميع العلوم والفنون وعظماء سنته الموفين للطلاب بالآراب المحققين لهم الظنون * وحكماء شرعته المتبصرين بحدوث من مرت عليه الايام والشهور وكرت عليه الآناء والدهور والاعوام والسنون * المتدبرين فى عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على قدر الامكان بمن طحنته رحا المنون * من أملاك العصور الخاليه وملاك القصور العاليه وذوى الاحوال التى هى بسلوك الاختلاف حاليه * من بصير وأعمى وفقير وذى نعمى ومختال تردى بكبريائه ومحتال على ما بايدى الناس بسمعته وريائه * وعاقل أحسن العمل وغافل افتتن بالامل * وكارع فى حياض الشريعه ورائع برياض الآداب المريعه وذى ورع سد عما رابه الذريعه وأخى طمع فى أن يدرك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال السريعه * ومقتبس من نبراس الروايه وملتبس بأدناس الغوايه * وشاعر هام فى كل واد وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرواد * وجاهل عمر الخراب وخدع بالسراب عن أعذب الشراب * ومحقق علم أنه اذا جاء القدر عمى البصر ممن كان أحذر من غراب وموفق تيقن أن غير الله فان وكل الذى فوق التراب تراب * ومن متخلق متجرد تصوف ومتعلق متفرد تشوق الى ما فيه رضا الرب وتشوف وناه ذكر بايام الله ووعظ وخوف * ولاه اغتر بالباطل فهو بالحق مماطل وطالما أخره وسوف * وأبعد الانتجاع ثم أوى

واختصارنا وبسطنا أرفى كتاب لطيف نودعه ٤ لمع ما فى ذينك الكتابين مما منحنا هما وغير ذلك من انواع العلوم واخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان ونتنصل من اغفال او عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والزابج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية واذربيجان والهوات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيرى فى الآفاق سرى الشمس فى الاشراق كما قال بعضهم

تيمم أقطار البلاد فتارة لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب

سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى الى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا فى أصناف الملوك على تغاير اخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا سلك مسالك من مواقفهم على ان العلم قد بادت آثاره وطمس مناره وكثر فيه العناء وقل الفهماء فلا تعاين الا مموها جاهلا ومتعاطيا

من

من باطنه الى بيت قعيدته لكاع نفس أمارة بعد ما طوف * ومن مادح نظم الآل لا عن نظم اللآل وكادح طمس لألاء العز بظلمة ذل السؤال * فجعل القصائد مصايد والرسائل وسائل والمقطعات مرقعات فآل أمره الى ما آل * ومن مخبر بما سمع ورأى حين اغترب عن مكانه ونأى اوأقام فى أوطانه فبلغ ما قدر ووأى * ومن مجازف لا يفرق بين الغث والسمين والامرار والاحلاء * وعارف ثقة أمين نظم در الصدف الثمين فى أسلاك الكتابة والاملاء * وعاشق خنساء فكره ذات الصدار من الشجون والشعار تبكى على صخر قلب المحبوب * وتذكره كلما طلعت شمس أو كان للصبا هبوب فتأتى بما يطفى وقود الجوى المشبوب من بحار الاشعار * وليلى شوته العفيفة عن العار ترفل فى ثوب من التصبر معار وقيس توقه من ثوب السلو عار * قد تولهوا واشتاق خصوصا عند انتشاق الشام والعرار * وقلق لما ارق فلم يقر به قرار * فاعتراه ما براه وألف البكاء بحكم الاضطرار * ولبس ثياب النحول والاصفرار وأسر لما هزمت جيوش صبره وأزمعت الفرار * فتحير مما شجاه وسأل النجاء من أسر الفراق

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه
ومسدد أو جائر * أو حائر يشكو ظلامه
لولا استقامة من هدا * ه لما تبينت العلامه
ومجاور الغرر المخيف له البشارة بالسلامه
وأخو الحجا فى سائر الانفاس مرتقب حمامه
وكما مضى من قبله * يمضى ولم يقض الترامه
والجاهل المغتر من * لم يجعل التقوى اغتنامه
فليرفض العصيان من * يخشى من الله انتقامه
وليعتبر بسواه من * لصلاحه صرف اهتمامه
فالعيش فى الدنيا الدنية غير مرجو الادامه
من أرضعته ثديها * فى سرعة تبدى فطامه
من عز جانبه بها * تنوى على الفور اهتضامه
واذا نظرت فأين من * منعته أو منحت رامه
ومن الذى وهبته وصـ * ـلا ثم لم يخش انصرامه
ومن الذى مدت له * حبلا فلم يخف انفصامه
كم واحد غرته اذ * سرته مخفية الدمامه
قعدت به من حيث لم * يعلم فلم يملك قيامه
أين الذين قلوبهم * كانت بهاذات استهامه
أين الذين تفيؤا * ظل السيادة والزعامه
أين الملوك ذووا ربا * سة والسياسة والصرامه

ناقصا قد قنع بالظنون وعمى عن اليقين لم ير الاشتغال بهذا الضرب من العلوم • والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن أصول الديانة وكتاب المقالات فى اصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظر الادلة فى اصول الملة وما اشتمل عليه من اصول الفتوى وقوانين الاحكام كتيقن القياس والاجتهاد فى الاحكام ووقع الرأى والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهى والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وافعال النبى صلى الله عليه وسلم وما الحق بذلك من اصول الفتوى ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم فى شئ منه وكتاب الاستبصار فى الامامة ووصف اقاويل الناس فى ذلك من اصحاب النص والاختيار وحجاج كل فريق منهم وكتاب الصفوة فى الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا فى ضروب علم الظواهر والبواطن والجلى والخفى الدائر والقائم على ما يرتقبه المرتقبون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع فى الارض وينبسط فى الجدب والخصب وما فى عقب الملاحم الكائنة الظاهر لنا اوقها المنجلى اوائلها الى سائر كتبنا فى السياسة كالسياسة المدنية واجزاء

وبنو أمية حين جمع عصرهم لهم فتامه
وتمكنوا ممن يحا * ول نقض ماشادوا ابرامه
وتعشقوا المابدا * لهم محيا الارض شامه
وتاملوا وجه البسيـ * ـطة فانثنوا يهوون شامه
حتى تقلص ظلهم * وأراهم الدهر اخترامه
أين الخلائف من بني الـ * ـعباس والبر القسامه
أين الرشيد وأهله * وبنوه أصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجعـ * ـفر ابنه الراوى احتشامه
والفضل مدنى من يقو * ل لمن يلوم على الندى مه
أم أين عنترة الشجا * ع وذو الجدا كعب بن مامه
والزاعمون بجهلهم * أن القبور صدى وهامه
والمكثرون من المجو * ن اذا شكا الفكر اغتمامه
أين الغريض ومعبد * أو أشعب وأبو دلامه
أين الألى هاموا بسـ * ـعدى أو بثينة أو أمامه
وبكوا لفرط جواهم * والليل قد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من * عشقوا بنجد أو تهامه
وتعللوا والشوق يغـ * ـلب بالاراكة والبشامه
أضنى النوى قيسا فقا * سى لاعجا أغرى غرامه
وغوى هوى غيلان مذ * أبدى بمية هيامه
أين الاكاسر والقيا * صرة المحلون القمامه
أين الذى الهرمان من * بنيانه الحاكى اعتزامه
أم أين غمدان وسيـ * ـف والوفود به أمامه
أين الخورنق والسديـ * ـر ومن شفى بهما أوامه
ومدائن الاسكندر اللاتى لها أعلى دعامه
أين الحصون ومن يصو * ن بها من الاعدا حطامه
أين المراكب والموا * كب والعصائب والعمامه
أين العساكر والدسا * كر والندامى فى المدامه
وسقاتها المتلاعبو * ن بلب من أعطوه جامه
من كل أهيف يزدرى * بالغصن ان يهتز قوامه
ذى غرة لألاؤها * تمحو عن النادى ظلامه
فالشمس فى أزراره * والبدر فى يده قلامه
يصمى القلوب اذا رمى * عن قوس حاجبه سهامه

يية تركيب العوالم
جسام السماوية وما
حسوس وغير محسوس
كثيف واللطيف
ل أهل النحلة فى ذلك
مادعانى الى تأليف
هذا فى التاريخ
ار العالم وما مضى فى
ف الزمان من أخبار
اء والملوك وسيرها
ومساكنها محجبة
ذاء الشاكلة التى
العلماء وقفاها
ء وان يبقى للعالم
ودا وعلما منظوما
فانا وجدنا مصنفى
تب فى ذلك مجيدا
را ومنتهيا ومختصرا
دنا الاخبار زائدة
دة الايام حادثة مع
الازمان وربما غاب
منها على الفطن
ولكل واحد قسط
قدار عنايته ولكل
ائب يقتصر على
هله وليس من لزم
طنه وقنع بما نمى اليه
بار عن اقليمه كمن
ره على قطع الاقطار
ع ايامه بين تقاذف
ار واستخراج كل
ن معدنه واثارة
من مكمنه وقد
س كتبا فى التاريخ
ومما يسلف وخلف فاصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه واظهر مكنون

ويروق

و يروق حسنا ان رنا * و يفوق آرام برامه
أنى لها ثغر حلا * ذوقا لمن رام التثامه
أنى لها وجه يشب بقلب مبصره ضرامه
استغفر الله للغ * ولا يرى الشرع اعتنامه
بل اين ارباب العلو * م اولو التصدر والامامه
وذو والو زارة والحجا * بة والكتابة والعلامه
كانت سكنوا بانـ * دلس فلم يشكوا سآمه
هى جنة الدنيا التى * قد اذكرت دار المقامه
لاسيما غرناطة الـ * غراء رائقة الوسامه
وهى التى دعيت دمشـ * ـق وحسبها هذا فخامه
لنزول اهليها بها * اذ أظهر الكفر انهزامه
وأتت جيوش الشأم من * باب نفى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق * اذ أشبهتها فى الفخامه
وبدا لهم وجه المنى * واراهم الثغر ابتسامه
وتبوؤها حضرة * تبرى من المضنى سقامه
برواتها وبمائها * وهوائها النافى الوخامه
ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
وبمرجها النضر الذى * قد زين الله ارتسامه
وقصورها الزهر التى * يأبى بها الحسن انقسامه
ياليت شعرى أين من * امضى بها الملك احتكامه
واتيح فى حمرائها * عزا به زان اتسامه
ابن الوزير ابن الخطيـ * ـب بها فما احلى كلامه
فلكم ابان العدل فـ * ـى ارجائها وبها اقامه
ولكم اجار عداوكم * اجرى ندى والى انسجامه
راعت صروف الدهر دو * لته وما راعت ذمامه
حتى ثوى اثر التوى * فى حفرة نثرت نظامه
من زارها فى ارض فا * س اذهبت شجوا منامه
اذنبهته لكل شمـ * ـل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين اسـ * ـكته واسكنه رجامه
ومحا عبارته فمن * حياه لم يردد سلامه
فكأنه ما امسك الـ * ـقلم المطاع ولا حسامه
وكأنه لم يعل متـ * ـن مطهم بارى النعامه
وكأنه لم يرق غا * رب الاعتزاز ولا سنامه

جوهر فطنته كوهب بن منبه وأبى مخنف لوط بن يحيى العامرى ومحمد بن اسحق والواقدى وابن الكلبى وأبى ع
معمر بن المثنى و
العباس الهمدانى واله
ابن عدى الطائى والمث
ابن القطامى وحماد الراو
والاصمعى وسهل بن هر
وعبدالله بن المقفع واليزي
ومحمد بن عبدالله العت
والآمدى وأبى ز
سعيد بن أوس الانصار
والنضر بن شميل وعبيد ا
ابن عائشة وابى عبيد ا
القاسم بن سلام وعلى
محمد المدائنى ودمار ب
ربيع بن سلمة ومحمد بن
سلام الجمحى وأبى عثمان
عمرو بن بحر الجاحظ واب
زيد عمر بن شبة النميرى
والزرقى الانصارى واب
السائب المخزومى وعلى
ابن محمد بن سليمان النوفلى
والزبير بن بكار والانجيلى
والرياشى وابن عائدة وعما
ابن وسيمة المصرى وعيسى بن
لهيعة المصرى وعبد الرحمن بن
عبدالله بن عبد الحكم
المصرى وابى حسان الزيادى
ومحمد بن عيسى الخوارزمى
وابى جعفر محمد بن أبى السرى
ومحمد بن الهيثم بن شبابه
الخراسانى صاحب كتاب
الدولة واسحق بن ابراهيم
الموصلى صاحب كتاب
الاغانى وغيره من الكتب
والخليل بن الهيثم الحرثمى
صاحب كتاب الحيل والمكايد فى الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدى ومحمد بن سليمان المنقرى الجوهرى ومحمد بن

وكأنه لم يحتفل وجـ * ـها حاز من بشر غمامه
وكأنه ما حال فى * امر ولا نهى وسامه
وكأنه ما نال من * ملك حباه ولا احترامه
وكأنه لم يلق فى * يده لتدبير زمامه
مذ فارق الدنيا وقوض عن منازلها خيامه
أمسى بقبر مفردا * والترب قد جمعت عظامه
من بعد تثنية الوزا * رة جاده صوب الغمامه
لم يبق الا ذكره * كالزهر مفترا لكمامه
والعمر مثل الضيف او * كالطيف ليس له اقامه
والموت حتم ثم بعـ * ـد الموت أهوال القيامه
والناس مجزيون عن * أعمال ميل واستقامه
فذوو السعادة يضحكو * ن وغيرهم يبكي ندامه
والله يفعل فيهم * ماشاء ذلا او كرامه
و يشفع المختار فيـ * ـهم حين يبعثه مقامه
وعليه خير صلاته * مع صحبه تتلو سلامه
والتابعين ومن بدا * برق الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبـ * ـد كانت الحسنى ختامه

والله سبحانه المسؤل فى الفوز والنجاة كرما منه وحلما * فبيده الخير لا اله الا هو العلى الكبير العليم الخبير الذى احاط بكل شئ علما * فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء من مخلوقاته على الشمول والاستغراق * (أما بعد) حمدالله مالك الملك * والصلاة على رسوله المنجى من المهالك * والرضا عن آله وصحبه الذين تجلت بأنوارهم الظلم الحوالك وعن العلماء الاعلام الخائضين بحار الكلام المستوين من البلاغة على الفلك * (فيقول) العبد الحقير * المذنب الذى هو الى رحمة ربه الغنى فقير * المقصر المنبرئ من الحول والقوه المتمسك بأذيال الخدمة للسنة والنبوه وذلك بفضل امام وبراءه * الضعيف الفانى الخطاء الجانى من هو من لباس التقوى عرى * احمد بن محمد بن احمد الشهير بالمقرى المغربى المالكى الاشعرى التلمسانى المولد والمنشا والقراءة * نزيل فاس الباهره ثم مصر القاهره أصلح الله احواله الباطنة والظاهره وجعله من ذوى الاوصاف الزكية والخلال الطاهره وسدد فى كل قصد انحاءه وآراءه * ووفقه عنه وكرمه للاعمال الصالحه والطاعات الناجحة الراجحه والمتاجر المغبوطة الرابحه والمساعى الغادية بالخير الرائحه ووقاه ما بين يديه ووراءه * وكفاه مكر الكائد وافتراءه * وجدال الحاسد المستأسد ومراءه * وجعل فيما يرضيه سوءه وشراءه * آمين انه لما قضى الملك الذى ليس لعبيده فى أحكامه تعقب اورد * ولا محيد عما شاءه سواء كره ذلك المرء او ورد * برحلتى من بلادى ونقلتى عن محل طارفى وتلادى بقطر المغرب الاقصى * الذى تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت

زكريا العلائى المصرى المصنف لكتاب المترجم بكتاب الاجراد وغيره وابن أبى الزينى مؤدب المكتفى بالله واحمد بن محمد الخزاعى المعروف بالخاقانى الانطاكى وعبدالله محمد بن محفوظ البلدى الانصارى صاحب أبى يزيد عمارة بن زيد اليمنى ومحمد البرقى بن خالد البرقى الكاتب صاحب التبيان وولده احمد بن محمد بن خالد البرقى واحمد ابن ابى طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وابى الوشاء وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب أخبار ابراهيم بن المهدى وغيرها ومحمد بن الحرث التغلبى صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبى سعيد السكرى صاحب كتاب أبيات العرب وعبدالله بن عبدالله بن حسن بن بندار فانه كان اماما فى التأليف متنوعا فى ملاحة التصنيف اتبعه من بعده واخذ منه ووطئ على عقبه وقفا أثره واذا اردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير فى التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة فى المسالك والممالك

بضائع أمنه نقصا * وطما به بحر الاهوال فاستعملت شعراء العيش فى كامل رونقه من الزحاف اضمارا وقطعا ووقصا

قطر كأن نسيمه * نفحات كافور ومسك
وكأن زهر رياضه * درهوى من نظم سلك

وذلك أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف تاركا المنصب والاهل والوطن والالف

بلد طاب لى به الانس حينا * وصفا العود فيه والابداء
فسقت عهده العهاد ورقت * منه تلك النوادى الأنداء

وما عسى أن اذكر فى اقليم تعين لحجة فضله التسليم

أضواؤه طبق المنى وهواؤه * يشتاقه الولهان فى الاسحار
والطبع معتدل فقل ماشئته * فى الظل والازهار والانهار

محل فتح الكمائم ومسقط الرأس وقطع التمائم

به كان الشباب اللدن غضا * ودهرى كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤن * له شغف بتفريق الجميع

لم أنس تلك النواسم التى أيامها للعمر مواسم وثغورها بالسرور بواسم فصرت اشير اليها وقد زمت للرحيل القلص الرواسم

ولنا بها تيك الديار مواسم * كانت تقام لطيبها الاسواق
فأبا ننا عنها الزمان بسرعة * وغدت تهل لنا بها الاشواق

وأنشد قول غيلان

أمنزلتى مى سلام عليكما * هل الازمن اللائى مضين رواجع

واتمثل فى تلك الحدائق التى حمائمها سواجع بقول من جفونه من الموت غير هواجع

تشدو بعيدان الرياض حمائم * شدو القيان عزفن بالاعواد
ماد النسيم بقضبها فتمايلت * مهتزة الاعطاف والاجياد
هذى تودع تلك توديع التى * قد آذنت منها بوشك بعاد
واستعبرت لفراقها عين الندى * فابتل مئزر عطفها المياد

وأحدق النظر الى روض لانسان العين من فراقه فى بحر الدموع سبح وخوض

روض به أشياء ليست فى سواه تؤلف
فن الهزار ترنم * ومن التصنيب تقطف
ومن النسيم تلطف * ومن الغدير تعطف

والتفت كالمستريب والحى اذذاك قريب وحديث العهد ليس بمنكر ولا غريب

أهذا ولما تمض للبين ساعة * فكيف اذا مرت عليه شهور

والآثار لائحة والشمال غادية ورائحة

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب من تذكرهم دموعى

وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته واذا تفقدته جدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن فى أيامهم وأخبارهم تاليف محمد بن على وكتاب النسب لاحمد بن على البلاذرى وكتابه أيضا فى البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من [illegible] هجرة [illegible] وما فتح فى أيامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الاخبار فى ذلك ووصف البلدان فى الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم فى فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود بن الجراح فى التاريخ الجامع لكثير من اخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن فى الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سواد المعروف بابن اخت عيسى ابن برخان شاه بلغ فى تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبى عيسى بن المنجم على ما انبات به التوراة وغير ذلك من اخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ وأخبار الاموية ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير فى أيامهم تأليف أبى عبد الرحمن خالد بن هشام الاموى

وأسأل من قضى بفراق حبي * يمن على منهم بالرجوع

والنفس متعللة ببعض الانس والمشاهد الحميدة لم تنس

تلك العهود بشدها مختومة * عندي كما هي عقدها لم يحلل

غير ان الرحيل عن الربع المحيل فصل به بين الشائق والمشوق وحيل

وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ونحاول

وألقت دموع العين فيه مسائلا * لها عن عبارات الغرام دلائل

وبالسفح منها كم سقيت لبانها * فميلته والسفح للبان مائل

اذا نسمة الاحباب منها تنسمت * تطيب بها اسحارنا والاصائل

تثير شجوني ساجعات غصونها * فمنها على الحالين هاجت بلابل

مرابع ليلى في مراتع لذتي * مطالع اقماري بها والمنازل

فحياها الله من منازل ذات اقمار سائرة فيها ومنازه لا يحصي الواصف محاسنها وامداح اهلها ولا يستوفيها

حلوا عقود اصطباري عندما رحلوا * وفي الخمائل حلوا مثل امطار

ان المنازل قد كانت منازه اذ * باتوا بها وهي اوطاني واوطاري

ورعى الله من بان وشاق حتى الرند والبان

بانوا لعيني اقمارا تقلهم * لدن الغصون فلما آنسوا بانوا

عهودهم لست انساها وكيف وقد * رقى لبيني عنها الرند والبان

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرقاق كما قال حائز قصب السبق بالاستحقاق الاديب الاندلسي الشهير بابن الزقاق

وقفت على الربوع ولي حنين * لساكنهن ليس الى الربوع

ولو أني حننت الى مغاني * احبائي حننت على ضلوعي

وكما قال بعض من له في هذه الفجاج مسير

دخولك من باب الهوى ان اردته * يسير ولكن الخروج عسير

واين من له صفاة لا يطمع الدهر القوي في نحتها وجنات دنيوية لا تجري انهار الفراق من تحتها

فسقى رضيع النبت من ذاك الحمى * بحيا تدور على الربا كاساته

سفح سفحت عليه دمعي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

ولم ازل بعد انفصالي عن الغرب بقصد الشرق واتصالي في اثر ذلك الجمع بالفرق

احن اذا خلوت الى زمان * تقضى لي بأفنية الربوع

واذكر طيب ايام تولت * لنا فتفيض من اسف دموعي

وأتوق وقد اتسع من البعد الخرق وخصوصا اذا شدا صادح أو أومض برق الى ديار لا يعدوها اختيار

وأربع احباب اذا ما ذكرتها * بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر

وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الاخبار * وكتاب السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب السير والاخبار لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره فأما عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته واما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار وكذلك تاريخ ابي عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه فمحشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن اهل عصره تأليفا وأملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد ابن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار الخلفاء من بني العباس و بني امية وشعرائهم ووزرائهم

بطاح

بطاح وادواح بروقك حسنها * بكل خليج نمنمته الازاهر
فما هو الا فضة في زبرجد * تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والترب والماء والهوى * عبير وكافور وراح وعاطر
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته * وما ضم منه الحسن نجد وحاجر
بلادي التي اهلى بها واحبتي * وروحي وقلبي والمنى والخواطر
تذكرني انجادها ووهادها * عهودا مضت لي وهي خضر نواضر
اذ العيش صاف والزمان مساعد * فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
بحيث لياليها كغض شبابنا * وايامنا سلك ونحن جواهر
ليالي كانت للشبيبة دولة * بها ملك اللذات ناه وآمر
سلام على تلك العهود فانها * موارد افراح تلتها مصادر

واتذكر تلك الايام التي مرت كالاحلام فأتمثل بقول بعض الاكابر الاعلام

ياديار السرور لا زال يبكي * فيك اذ تضحك الرياض غمام
رب عيش صحبته فيك غض * وعيون الفراق عنا نيام
في ليال كانهن أمان * في زمان كانه احلام
وكأن الاوقات فيك كؤوس * دائرات وانسهن مدام
زمن مسه دوالف وصول * ومنى تستلذها الاوهام

و بقول الحائك الامي عند ما يكثر شجوي وغمي

لم انس اياما مضت ولياليا * سلفت وعيشا بالصريم تصرما
اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف * صرف الزمان ولا نطيع اللوما
والعيش غض والحواسد نوم * عنا وعين البين قد كحلت عمى
في روضة ابدت ثغور زهورها * لما بكى فيها الغمام تبسما
مد الربيع على الخمائل نوره * فيها واصبح كالخيام مخيما
تبدو الاقاحي مثل ثغر أشنب * اضحى المحب به كئيبا مغرما
وعيون نرجسها كاعين غادة * ترنو فترمي باللواحظ اسهما
وكذلك المنثور منثور بها * لما رأى ورد الخدود منظما
والطير تصدح في فروع فنونها * سحرا فتوقظ بالهديل النوما

وأميل الى بلاد محياها جميل

كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها عق الشباب تمائمي
ذكرت بها عهد الصبا فكانما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالي لا الوي على رشد ناصح * عناني ولا انثيه عن غي لائم
انال سهادي من عيون نواعس * واجني مرادي من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
تمر الينا ثم عنا كانها * حواسد تمشي بيننا بالنمائم

فانه ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا من العلم ممدودا من المعرفة مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة فانه بلغ في تصنيفه الى آخر ايام الراضي بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التاليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ معربا للمعاني واذا أردت علم ذلك فانظر في كتابه في الاخبار المعروفة بأخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ما قد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه في كتابه في الاخبار الذي يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسي الذي عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطي الكاتب في أخبار الوزراء الذي عارض فيه كتاب ابي محمد بن داود الجراح في الوزراء وكتاب علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق في أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تاليف الحصري وكتاب التاريخ تاليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق

ابن أبي يعقوب المصري في اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ في اخبار الخلفاء من بني العباس وغيرهم لعبدالله بن الحسين ابن معد الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبي الازهر في التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الهرج والاحداث ورأيت سنان ابن ثابت بن قرة الحرجاني حين انتحل ماليس من صناعته واستنهج ماليس من طريقته قد الف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام في أخلاق النفس واقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لمعا من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون في كتابه في السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار بزعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة الى نيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهل التأليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فانما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ماليس من مهنته ولو أقبل على الذي انفرد لا تطل

و بتنا ولا واش نخاف كانما * حللنا مكان السر من صدر كاتم

واهفوا الى قصور ذات بهجه وصروح توضح معالمها للرائد نهجه

وریاض تختال منها غصون * في برود من زهرها وعقود
فكأن الادواح فيها غوان * تتبارى زهوا بحسن القدود
وكأن الاطيار فيها قيان * تتغنى في كل عود بعود
وكأن الازهار في حومة الرو * ض سيوف تسل تحت بنود

وأصبوا الى بطاح وادواح تروح النفوس والارواح

سقيا لها من بطاح خز * ودوح زهر بها مطل
اذ لا ترى غير وجه شمس * اطل فيه عذار ظل

وانهار جارية وازهار نواسمها سارية وأربع وملاعب تزيح عن مبصرها المتاعب

تلك المنازل والملا * عب لا أراها الله محلا
أوطنتها زمن الصبا * وجعلت فيها لي محلا
حيث التفت رأيت ما * ء سائحا ورأيت ظلا
والنهر يفصل بين زهـ * ـر الروض في الشطين فصلا
كبساط وشي جردت * ايدي القيون عليه نصلا

والى منازل يستفز حسنها الرائق الجاد والهازل ويشفي منظرها عليلا ويكفي مخبرها للمستفهم دليلا

وجنان ألفتها حين غنت * حولها الورق بكرة واصيلا
نهرها مسرع تجري وتمشت * في رباها الصبا قليلا قليلا

وأتمثل ان ذكرت حال وداعي بقول الشاعر الاديب الوداعي

الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدمه
فالشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه

و بقول غيره اشارة لفضل الغرب وخيره

أشتاق للغرب واصبو الى * معاهد فيه وعصر الصبا
يا صاحبي نجواي والليل قد * ارخى جلابيب الدجى واختبا
لا تعجبا من ناظر ساهر * بات براعي انجما غيبا
القلب في آثارها طائر * لما رآها تقصد المغربا

وأهيم كلما حللت من غيران أرضي بمكان وقد صير السائق جد السير معمولا لما انفك كما جعله خبرا المكان بقول قاضي القضاة العالم الكبير الشمس بن خلكان

أي ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زم جماله
يزجر العيس طاويا يقطع المهـ * ـمه عسفا سهوله ورماله
أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهة وارحها * اذ براها السرى وفرط الكلاله

لا تطل سيرها العنيف فقد برح بالصب فى سراها الاطاله
وارث للنازح الذى ان رأى ربعا * ثوى فيه نادبا اطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيه علاله
هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الاحباب لازالت الاعـ * ين فى ترب ساحتيك مذاله
وتمشى النسيم وهو عليل * فى مغانيك ساحبا اذياله
اين عيش مضى لنا فيك ما ا * سرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان طلق نضير * والتدانى غصونه ميالة
ولنا فيك طيب أوقات انس * ليتنا فى المنام نلقى مثاله

واورد قول الذى سحر الالباب منادیا من له من الاحباب

احبابنا لو لقيتم فى اقامتكم * من الصبابة مالاقيت فى الظعن
لأصبح البحر من انفاسكم يبسا * كالبر من ادمعى ينشق بالسفن

وقوله

وما تغيرت عن ذاك الوداد ولا * حالت بى الحال فى عهدى وميثاقى
درسى غرامى بكم دهرى اكرره * وقد تفقهت فى وجدى واشواقى

وقول المجد بن شمس الخلافه معلما أنه لا يريد بدل معهده وخلافه

يا زمان الهوى عليك السلام * وعلى السلو عنك حرام
أى عيش قطعته فيك لودا * م وهل يرتجى لظل دوام
كنت حلما والعيش فيك خيالا * وسريعا ما تنقضى الاحلام
لهف نفسى على ليال تقضت * سلبتنى برودها الايام
فطمتنى الاقدار عنها وليدا * وشديد على الوليد الفطام
لا تلمنى على البكاء عليها * من بكى شجوه فليس يلام

وقول أبى طاهر الخطيب الموصلى

حى نجدا عنى ومن حل نجدا * أربعا هجن لى غراما ووجدا
واقر عنى السلام آرام ذاك الـ * شعب والاجرع الخصيب المفدى
وابك عنى حتى ترنح بالوجـ * د أراكا به وبانا ورندا
فلكم وقفة اطلت على الضا * ل بدمع اذاع سرى وأبدى
وعلى البان كم من البين أذريـ * ت بلا لى للدمع مثنى ووحدا
آه وا لهفتى على طيب عيش * كنت قطعته وصالا وودا
حيث عود الشباب غض نضير * ويد المكرمات بالجود تندى
والخليل الودود ينعم اسعا * فا وصرف الزمان يزداد بعدا
والليالى مساعدات على الوصـ * ل وعين الرقيب اذ ذاك رمدا

به من علم اقليدس والمعظمات والمجسطى والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيآت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو اليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلة مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضع كتابا فقد استهدف فان اجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقذف (قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث فى معرفة أسماء الرجال واعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من أن نأتى على ذكره فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من جملة الآثار ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر على اختلاف انواعهم وتنازعهم فى آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من اهل الآراء والنحل

كم بها من لبانة لى وأوطا * رتقضت وجازت الحدحذا
فاستعاد الزمان ما كان أعطى * خلسة لى ببخله واستردا

وقول بعضهم

سلام على تلك المعاهد انها * شريعة وردى أومهب شمالى
ليالى لم نحذر حزون قطيعة * ولم نمش الافى سهول وصال
فقد صرت أرضى من نواحى جنابها * بخلب برق أو بطيف خيال

وقول الجرجانى

للمحبين من حذار الفراق * عبرات تجول بين المآقى
فاذا ما استقلت العيس للبين * وسارت حداتها بالرفاق
استهلت على الخدود انحدارا * كانحدار الجمان فى الاتساق
كم محب يرى التجلد دينا * فهو يخفى من الهوى ما يلاقى
ازدهاه النوى فأعرب بالوجد * لسان عن دمعه المهراق
وانحدار الدموع فى موقف البين * على الخد آية العشاق
هوّن الخطب لست أوّل صب * فضحته الدموع يوم الفراق

وقول الخطيب الحصكفى الشافعى

ساروا وأكبادنا جرحى وأعيننا * قرحى وأنفسنا سكرى من القلق
تشكو بواطننا من بعدهم حرقا * لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كأنهم فوق أكوار المطى وقد * سارت مقطرة فى حالك الغسق
دراري الزهر فى الابراج زاهرة * تسير فى الفلك الجارى على نسق
يا موحشى الدار مذ بانوا كما أنست * بقربهم لا خلت من صيب غدق
ان غبتم لم تغيبوا عن ضمائرنا * وان حضرتم جعلنا كم على الحدق

وما أحسن قول بعضهم فى هذا المعنى الذى ذكرناه وذكره وبه ألمعنا

سلام على أهل الوداد وعهدهم * اذ الانس روض والسرور فنون
رحلنا فشرّقنا وراحوا فغربوا * ففاضت لروعات الفراق عيون

وكم أنشدت وليالى النوى عاتمة قول الأندلسى بن خاتمة

أيامنا بالحمى ما كان أحلاك * كم بت أرعاه اجلالا وأرعاك
لا تنكرى وقفتى ذلا بمغناك * يا دار لولا أحبائى ولولاك
لما وقفت وقوف الهائم الباكى

فهل لهم عطفة من بعد دلهم * تالله ما تسمح الدنيا بمثلهم
آها لقلبى على تبديد شملهم * ما كان أحلاك يا أيام وصلهم
ويا ليالى الرضا ما كان أضواك

يا بدر تم تناءت عنه أربعنا * ولم تزل تحتويه الدهر أضلعنا
ما للنوى بضروب البين يوجعنا * اذا تذكرت دهرا كان يجمعنا

المذاهب والجدل الى سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان والكتاب الاوسط (وقد
سمت كتابى هذا بكتاب
روج الذهب ومعادن
جوهر) لنفاسة ما حواه
عظم خطر ما استولى عليه
ن طوالع بوارع ما تضمنته
تبنا السالفة فى معناه
غرر مؤلفاتنا فى مغزاه
جعلته تحفة للاشراف
ن الملوك واهل الدرايات
ا قد ضمنته من جمل
ما تدعو الحاجة اليه وتنازع
لنفوس الى علمه من دراية
ماسلف وغبر فى الزمان
و جعلته مسهما على
غراض ما سلف من كتبنا
ومشتملا على جوامع يحسن
لاديب العاقل معرفتها ولا
يعذر فى التغافل عنها ولم
نترك نوعا من العلوم ولا فنا
من الاخبار ولا طريقة
من الآثار الا اوردناه فى
هذا الكتاب مفصلا أو
ذكرناه مجملا أو اشرنا اليه
بضرب من الاشارات أو
لوحنا اليه بفحوى
العبارات فمن حرّف شيأ
من معناه او ازال ركنا من
مبناه او طمس واضحة من
معالمه او لبس شاهدة من
تراجمه اوغيره او بدله او
اشعنه او اختصره او نسبه
الى غيرنا او اضافه الى
سوانا فوافاه من غضب
الله ووقوع نقمه وفوادح
الابلاه ما يعجز عنه صبره و يحار له فكره و جعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله تفطرت

تفطرت كبدى شوقا لمرآكِ

أحباب أنفسنا كم ذا النوى وكم * ويا معاهد نجوانا بذى سلم
تالله ماشبت دمعا للاسى بدم * ولا لثمت تراب الارض من كرم
الا مراعاة خل ظل يرعاكِ

عل التعلل يدنى منهم وعسى * فيعمر القرب ما بالبين قد درسا
كم ذا انادى بربع بالنوى طمسا * ياقلب صبرا فان الصبر عاد أسى
ويا منازل سلمى أين سلماكِ

وقول بعض من اشتد به الهيام فخاطب جيرته ماحط الليالى القرب وذاما تقلب الايام

أيام أنسى قد كانت بقربكم * بيضا فحين نأيتم أصبحت سودا
ذممت عيشى مذ فارقت أرضكم * من بعد ما كان مغبوطا ومحسودا

وقول صاحب مصارع العشاق وقد شاقه من الهوى ماشاق

بانوا فادمع مقلتى * وجدا عليهم تستهل
وحدا بهم حادى الفرا * ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحلوا * عن ناظرى والقلب حلوا
ماضرهم لو أنهلوا * من ماء ود لهم وعلوا

وقوله حين زحزحته يد الفراق عن أوطان العراق

قد قلت والعبرات تس * فحها على الخد المآ قى
حين انحدرت الى الجز يـ * ـرة وانقطعت عن العراق
وتخبطت أيدى الرفا * ق مهامه البيد الرقاق
يابؤس من سل الزما * ن عليه سيفا للفراق

وقوله أيضا

يامنزل الحى بذات النقا * سقاك دمع مذ نأوا مارقا
هل سلوة هيهات لا سلوة * قد بلغ السيل الزبى وارتقى
وأنت يايوم النوى عاجلا * أدال منك الله يوم اللقا

وقولى موطنا الثالث وقد تغير لى فيمن تغير حادث

لم أنس معهدنا والشمل مجتمع * والعيش غض وروض الانس معطار
فهل أبا بعد بعد عنه فى قلق * وقد نبت بى أرجاء وأقطار
تمضى الليالى وأشواقى مجددة * وما انقضت لى من الاحباب أوطار

وكلما مررت بمرأى بروق لمعت لى من ناحية المغنى بالمنى بروق فتذكرت قول بعض من له على غير من يهوى طروق

مانظرت عينى سواك منظرا * مستحسنا الا عرضت دونه
وما تمنيت لقاء غائب * الا سألت الله أن تكونه

وربما رمت انتحالى مذهب السلو وانتحالى خلال أحوال اقامتى وارتحالى فلم ينتقل

ماأعطاه وحال بينه وبين ماأنعم عليه من قوة ونعمة مبتدع السموات والارض من اى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلت هذا التخويف فى أول كتابى هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى اوذلبه شقاء فليراقب امر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وماحوى كل باب منها من انواع الاخبار وبالله التوفيق

(ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب)

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لاغراضه فلنذكر الآن جملا من كمية ابوابه على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه لكى يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك

ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية من آدم الى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر ملك ارخبعم بن سليمان ابن داود ومن تلا عصره من ملوك بنى اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم

ذكر جمل من اخبار الهند وار بابها ومدد

...الكها وسيرها وآرائها فى عباداتها ١٦ ذكر الارض والبحار ومبادئ الانهار والجبال والاقاليم السبعة وماوالاها

عن تلك الصفات حالى وأنى وجيدى بقلائد البنات حالى

والشوق أعظم ان يحيط بوصفه * قلم وان يطوى عليه كتاب
والله ما انا منصف ان كان لى * عيش يطيب وجيرتى غياب

وكيف ولا ماقى صب ولا تواقى زيادة اذا سرى نسيم اوهب

شربت حميا البين صرفا وطالما * جلوت محيا الوصل وهو وسيم
فيعتاد دمعى ان تنوح حمامة * وميقات شوقى أن يهب نسيم

فان لا يحسنى بارق شاقنى اوترنم شاد حدا بى الى الهيام وساقنى أورناظبى فلاة راعنى وراقنى

وانى ليصبينى سنى كل بارق * وكل حمام فى الاراك ينوح
وأرتاع من ظبى الفلاة اذارنا * وارتاح للتذكار وهو سنوح
ولم يك ذاك لامرمن حيث ذاته * ولكن لمعنى فى الحبيب يلوح

ولا أستطيع الاعراب عن أمرى العجيب لما بى من النوى المذهل والجوى المدهش والوجيب

ولا تسألوا عما أجن فليس لى * لسان يؤدى ما الغرام يقول
يطارحنى البرق الاحاديث كلما * أضاء كان البرق منه رسول
ومابال خفاق النسيم يميلنى * هل الريح راح والشمال شمول

اذدموع شؤنى عند الذكرى لا ترقا وجفونى ليس لها عن الارق مرقى وشجونى تنموا اذا صدحت بغنها ورقا

رب ورقاء فى الدياجى تنادى * الفها فى غصونها المياده
فتثير الهوى بلحن عجيب * يشهد السمع أنها عواده
كلما رجعت توجعت حزنا * فكانا فى وجدنا نتباده

فيا لها من ذات طوق مثيرة لكامن شوق جالبة له من يمين وشمال وفوق

ذكرتنى الورقاء أيام أنس * سالفات فبت أذرى الدموعا
ووصلت السهاد شوقا للحبى * وغراما وقد هجرت الهجوعا
كيف يخلو قلبى من الذكر يوما * وعلى حبهم حنيت الضلوعا
كلما أولع العذول بعتبى * فى هواهم يزداد قلبى ولوعا

وربما أتخيل قول من قال انها بالحزن بائحة وعلى فقد الالف نائحة فأنشد قول خليل وهو بالحب مدنف وعليل

ورب حمامة فى الدوح باتت * تجيد النوح فنا بعد فن
أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا * فمنها النوح والعبرات منى

ولا غروان ظهر سر بائح فبالك مثلى من الشجو نائح

فرجعت بعد فراق أيام الهوى * أصف الصبابة للمحب المولع
دامى الجفون اذا الحمامة غردت * من فوق خوط البانة المترعرع
أسقى الديار وقد تباعد أهلها * عنها عز الى ٣ الدموع الهمع

ن الكواكب وغير ذلك
كر جمل من الاخبار عن
انتقال البحار وجمل من
اخبار الانهار الكبار
كر الاخبار عن البحر
لحبشى وماقيل فى مقداره
تشعبه وخلجانه
. كر تنازع الناس فى
لمد والجزر وجوامع ما قيل
فى ذلك
كر البحر الرومى ووصف
ماقيل فى طوله وعرضه
ابتدائه وانتهائه
كر بحر نيطس وبحر
مانطس وخليج القسطنطينية
ذكر بحر الباب والخزر
جرجان وجملة من الاخبار
عن ترتيب جميع البحار
ذكر ملوك الصين والترك
وتفرق ولد عابور واخبار
الصين وملوكهم وجوامع
من سيرهم وسياساتهم
وغير ذلك
: كر جمل من الاخبار عن
لبحار ومافيها وماحولها من
العجائب والامم ومراتب
لملوك وغير ذلك
. كر جبل الفتح وأخبار
الامم من اللان والسرير
أنواع من الترك والبلغر
اخبار الباب والابواب ومن
حولهم من الملوك والامم
. كر ملوك السريانيين

٣ قوله عزالى بقرا بتشديد الياء للضرورة اه

ذ كرملوك الموصل ونينوى وهم الصوزيون ذ كرملوك قبائل من النبط وغيرهم ١٧ وهم الكلدانيون ذ كرملوك

ونواعب الاطلال ليس يجيبني * مابينهن سوى الصدى بتوجع
وهواتف فوق الغصون يجيبني * منهن تغريد الحمام السجع
ناحت على عذب الفروع والفها * منها بمرأى فوقها وبمسمع
مافارقت الفاكما فارقته * كلاولا أجرت سواكب أدمعي

على أوان عيون سعوده رواني وزمان معمور بأماني وامان وآمال دوان وتهاني مابين بكروعوان وفي عذر من طال ليله فاضطرب فيه لولوعه وسكن جواه بجوانحه وضلوعه

ان طال ليلي بعدهم فلطوله * عذروذاك لما اقاسي منهم
لم تسرفيه نجومه لكنها * وقفت لتسمع ما أحدث عنهم

فأرقي الزائد في حرقي أظهر المكنون وأبان ووجدي بمن ناي وبان لم يجد فيه تعلل برند وبان

تنبهي ياعذبات الرند * كم ذا الكرى هب نسيم نجد
فلست مثلي في جوى أوأرق * وحرقة من فرقة أوصد
عوفيت مما حل بي من جيرة * في الغرب لم يرثوا الفرط وجدي
أعلل القلب ببان عنهم * وهل ينوب غصن عن قد
بانوا فلا مغنى السرور بعدهم * مغنى ولاعهد الرضا بعهد
آها من البعد ومن لم يدره * لم يشجه تأوهي للبعد

وفي شغل من ابكته الربوع والطلول وذهبت برهة من زمانه بين الترحل والحلول فركب من الاخطار الصعب والذلول وحافظ على العهود ولم يسلك سبيل الغادر الملول

سقاها الحيا من أربع وطلول * حكت دنفي من بعدهم ونحولي
ضمنت لها أجفان عين قريحة * من الدمع مدرار الشؤن همول

ومن الغريب الذي ينكره غير الاريب أن الحادي ان سر القلب بكشف وين ففد تسبب في اجتماع أمرين متنافيين متنافرين

ترنم حادبالصريم فشاقني * الى ذكر من باتت ضلوعي تضمه
فسروساء النفس شجوا فربما * كلفت به من حيث صرت أذمه

وارتحلت حين مللت من طول السرى مضمنا ذكر ما أروم له تيسرا وقد أكثر الرفاق عند رؤية مالم يألفوه من الآفاق تلهفا وتحسرا

قلت لما طال النوى عن بلادي * ولاهل النوى جوى وعويل
هل أرى للفراق آخر عهد * ان عمر الفراق عمر طويل

ثم قلت مضمنا

لائمي في ذكر أحباب نأوا * لاتلم من أضعف الشوق قواه
ان يوما جامعا شملي بهم * ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

ثم قلت مضمنا أيضا

للّٰه من صب اضربه النوى * وليس له غير اللقاء طبيب

الفرس الاولى وسيره وجوامع من اخبارها
ذكرملوك الطوائف الاشغانيين وهم بين الفرس الاولى والثانية
ذ كرأنساب فارس وماقال الناس في ذلك
ذ كرملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وسيرهم وجوامع من أخبارهم
ذكر ملوك اليونانيين واخبارهم وماقال الناس في بدء أنسابهم
ذ كرجوامع من اخبار الاسكندر بارض الهند
ذ كرملوك اليونانيين بعد الاسكندر
ذ كرالروم وماقال الناس في بدء انسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم وجوامع من سيرهم
ذ كرملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع مما كان في اعصارهم
ذكرملوك الروم عند ظهور الاسلام الى أرمينوس وهو الملك في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة
ذ كرمصر ونيلها واخبارها وبنائها وعجائبها واخبار ملوكها
ذ كرأخبار الاسكندرية وبنائها وملوكها
ذ كرالسودان وانسابهم واختلاف اجناسهم وانواعهم وتباينهم في ديارهم واخبار ملوكهم ذ كرالصقالبة ومساكنهم

وان صباحا نلتقي بمسائه * صباح الى قلبي المشوق حبيب

ثم عدت الى الصبر بعد امعان النظر والتدبر

واني لادري أن في الصبر راحة * ولكن انفاقي على الصبر من عمري

فلا تطف نار الشوق بالشوق طالبا * سلوّا فان الجمر يسعر بالجمر

ثم سلكت منهج التفويض والتسليم منشدا قول ابن قطرال المغربي في مقام النصح والتعليم ووجهت القصد الى سكان الضمير بذلك التكليم

ان ايام الرضا معدودة * والرضا اجمل شئ بالعبيد

لا تفنوا عنكم لي سلوة * ما على شوقي اليكم من مزيد

واجعوا انفسكم تسلية وا * أنكم في الوقت اقصى ما أريد

ان يوما يجمع الله بكم * فيه شملي ذاك عندي يوم عيد

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد وامّل العود والعود أحمد الى المشاهد وغفر للدهر ذنبه ان عاد وتلهف ان لم يعامله بغير الابعاد

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى * غفرت لدهري كل ذنب تقدما

وان لم يعد منيت نفسي بعودة * وماذا عسى تجدي الاماني وقلما

يحق لقلبي أن يذوب صبابة * وللعين أن تجري مدامعها دما

على زمن ماض بهم قد قطعته * لبست به ثوب المسرة معلما

وقول آخر يخاطب أحبابه ويذكر فواصل بحر النوى الطويل وأسبابه

أعيذكم من لوعتي وشجوني * ونار جوى تذكى بماء شئوني

وبرح أسى لم يبق في بقية * سوى حركات تارة وسكون

أرى القلب أضحى بعد طارقة الاسى * أسير صبابات رهين شجون

وكيف سبيل القرب منكم ودونكم * رمال زرود والاجارع دوني

سلوا مضجعي هل قرّ من بعد بعدكم * وهل عرفت طعم الرقاد جفوني

سهرنا بنعمان ونمتم ببابل * فيا لعيون ما وفت لعيون

وفي بعض الاحيان أتسلى بقول بعض الاندلسيين الاعيان

لا تكترث بفراق اوطان الصبا * فعسى تنال بغيرهن سعودا

فالدر ينظم عند فقد بحاره * بجميل أجياد الحسان عقودا

وقول غيره

فعسى الليالي أن تمنّ بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا

فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وأرغب لمن أطال ذيول الغربة أن يقلصها واطلب ممن اجال النفوس في سيول الكربة ان يخلصها

فليتني والعوادي الدهر غافلة * عما نروم وعقد البين محلول

والدار آنسة والشمل مجتمع * والطير صادحة والروض مطلول

والنبار وملوكهم وتفرق أجناسهم وحروبهم مع اهل الاندلس
ذكر الترك وكيرد وملوكها والاخبار عن مسالكها
ذكر عاد وملوكها وجوامع من اخبارها وما قيل في طول اعمارهم
ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها عليه السلام وجوامع من اخبارها
ذكر مكة واخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرهم وما لحق بهذا الباب
ذكر جوامع من الاخبار في وصف الارض والبلدان وحنين النفوس الى الاوطان
ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا والشام شأما والعراق والحجاز
ذكر اليمن وانسابها وما قاله الناس في ذلك
ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرها وسيرها ومقادير سنيها
ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم وأخبارهم
ذكر ملوك الشام من اليمن وغيرهم واخبارهم
ذكر البوادي من العرب وغيرها من الامم وعلة سكناها البدو واكراد الجبال وانسابهم وجمل من أخبارهم وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب
ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد وأخبار أصحاب الفيل وأمر الاحابيش وغيرهم

واضرع

وعبد المطلب وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب ذكر ماذهب اليه العرب فى ١٩ النفوس والهام والصفر واخبارها فى ذ
ذكر أقاويل العرب فى التغوّل والغيلان وما غيرهم من الناس فى ذلك وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب واتصل بهذه المعانى
ذكر أقاويل الناس فى الهواتف والجان من العرب وغيرهم ممن أثبت ذلك ونفاه
ذكر ماذهب اليه العرب من القيافة والعيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك
ذكر الكهانة وصفتها وما قاله الناس فى ذلك من أخبارها وحدّ الناطقة وغيره من النفوس وماقيل فيما يراه النائم وما اتصل بهذا الباب
ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم بأرض سبأ ومأرب وتفرّق الازد فى البلدان وسكناهم فى البلاد
ذكر سنى العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف
ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى اسمائها وجمل من التاريخ وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى
ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور

وأضرع اليه سبحانه فى تيسير العود الى أوطانى ومعهدى الذى مطايا العز أوطانى وأن يلحقنى بذلك الافق الذى خيره موفور وحق من فيه معروف لا منكر ولا مكفور

اذا ظفرت من الدنيا بقربهم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكأنى بعاتب يقول ماهذا التطويل فأقول له جوابى قول ابن أبى الاصبع الذى عليه التعويل

أكثرت عذلى كأنى كنت أول من * بكى على مسكن أوحنّ للسكن
لاتلح ان من الايمان عند ذوى الايمان مناحنين النفس للوطن

على أننى أقول اللهم يسر لى مافيه الخيرة لى بالمشارق أوالمغارب وجد لى من فضلك حيث حللت بجميع مافيه رضاك من المآرب بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وعلى آله وأصحابه الاعلام والتابعين لهم باحسان ماذر شارق وتعاقب طالع وغارب ثم جدّ بنا السير فى البر أياما ونأينا عن الاوطان التى أطنبنا فى الحديث حبا لها وهياما وكنا عن تفاعيل فضلها نياما الى ان ركبنا البحر وحللنا منه بين السحر والنحر وشاهدنا من أهواله وتنافى أحواله مالا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدّا * لاجعلت حاجتى اليه
أليس ماء ونحن طين * فما عسى صبرنا عليه

فكم استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد أزعجتها أكف الريح من وكرها كما نبهت اللجج من سكرها فلم تبق شيأ من قوتها ومكرها فسمعنا للجبال صفيرا وللرياح دويا عظيما وزفيرا وتيقنا أنا لانجد من ذلك الافضل الله مجيرا وخفيرا واذامسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الااياه وايسنا من الحياة لصوت تلك العواصف والمياه فلاحيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب فكأنه من كأس الجنون يشرب أوشرب فيبتعد ويقترب وفرقه تلتطم وتصطفق وتختلف ولاتكاد تتفق فتخال الجو يأخذ بنواصيها وتجذبها أيديه من قواصيها حتى كاد سطح الارض يكشف من خلالها وعنان السحب يخطف فى استقلالها وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها وآذنت الاحوال بعد انتظامها باختلالها وساءت الظنون وترامت فى صورها المنون والشراع فى قراع مع جيوش الامواج التى أمدّت منها الافواج بالافواج ونحن قعود كدود على عود مابين فرادى وأزواج وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا وخرست من الفرق ألسنتنا وتوهمنا أنه ليس فى الوجود أغوار ولانجود الا السماء والماء وذات السفين ومن فى قبر جوفه دفين مع ترقب هجوم العدو فى الرواح والغدو لاجتيازه على عدة من بلاد الحرب دمر الله سبحانه من فيها وأذهب بفتحها عن المسلمين الكرب لاسيما مالطة الملعونة التى يتحقق من خلص من معرتها أنه امدّ بتأييد المهيمن ومعونة فقد اعترضت فى لهوات البحر الشامى شجا وقل من ركبه فأفلت من كيدها ونجا فزادنا ذلك الحذر الذى لم يبق ولم يذر على ماوصفناه من

الروم وعدد ايام السنة ومعرفة الانواء ذكر شهور الفرس وما اتصل بذلك ذكر ايام الفرس وما اتصل بذلك ذكر سنى

العرب وشهورها وتسميتها أيامها ولياليها

ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية ونحو ذلك مما اتصل بهذا المعنى

هول البحر بينما وأمرنا إذ ذاك في ميدان الالتقاء باليد إلى التهلكة طلقا وتشتتت أفكارنا فرقا وذبنا خوفا وتساوينا فرقا إذ البحر وحده لا كفي يصارعه ولا قوي يصارعه ولا شكل يشاكله لا يؤمن على كل حال ولا يفرق بين عاطل وحال ولا بين أعزل وشاكي ومتباك وباكي

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

فكيف وقد انضم إليه خوف العدو الغادر الخائن والكافر الحائن إلى أن قضى الله بالنجاة وكل ما أراده فهو الكائن وإن نهى عنه وأخطأ المائن فرأينا البر وكأنا نبل لم نره وشفيت به أعيننا من المره وحصل بعد الشدة الفرج وشممنا من السلامة أطيب الأرج فيالها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب يقل شكرها ملء الأحقاب وعتق الرقاب جعلنا الله بآياته معتبرين وعلى طاعته مصطبرين ولم نخل في البر من معاناة خطوب ومداراة وجوه ذات عبوس وقطوب فكم جبنا من مهامه فيحا ومسحنا بالخفاف منها أثيرا وصفيحا وفلينا الفجاج وقرأنا من الطرق خطوطا ذات استقامة واعوجاج وقلوب الرفقة من الفرقة في اضطراب وارتجاج وربما غميت علينا شواهد الأدلة التي يستدل بها على المذهب الاحتجاج فترى الأنفاس تعثر في زمرة الأشواق والأجسام قد زرت عليها من التعب الأطواق هذا والليل بصفحة البدر مرتاب وقد شدت رحال وأقتاب وزمت ركاب ورفعت أحداج وقربت من الدعة بمدية النصب أوداج وتساوى في السير مغرب ومشرق وليل مقمر أو داج وأديم التأويب والإسآد وحمل المرء به تدأب قلب وآد ثم وصلنا بعد خوض بحار يدهش فيها الفكر وقفار وجوب فياف ومجاهل يحين فيها القطا عن المناهل إلى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الأوجاع وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها الأفواه والأسجاع وتمثلنا في بدائعها التي لا تسترفيها بقول ابن ناهض فيها

شاطئ مصر جنة * ما مثلها في بلد
لا سيما مذ زخرفت * بنيلها المطرد
وللرياح فوقه * سوابغ من زرد
مسرودة ما مسها * داود هما بعبرد
سائلة وهو بها * يرعد عاري الجسد
والفلك كالأفلاك بيـ * ـن حادر ومصعد

وبقول آخر

انظر إلى النيل الذي * ظهرت به آيات ربي
فكأنه في فيضه * دمعي وفي الخفقان قلبي

وبقول أبي المكارم الخطير المعروف بابن مماتي في جزيرتها

جزيرة مصر لا عدتك مسرة * ولا زالت اللذات فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن قامة * يميت ويحيي هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل أضحت هوادجا * ومختلفات الموج فيك حبالها

ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم وجمل مما قيل في ذلك مما اتصل بهذا الباب
ذكر أنواع العالم وما خص به كل جزء منه من الشرقي والغربي والتيمني والجنوبي وغير ذلك من سكان الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم
ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والأصنام وعبادات الهند وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم
ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين ووصفها
ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة ووصفها
ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم ووصفها
ذكر بيوت معظمة عنه وهياكل مشرفة للصابئة من الحرانيين وغيرها وما فيها من العجائب والأخبار وغيرها
ذكر الأخبار عن بيوت النيران وكيفية بنائها وأخبار المجوس فيها وما لحق ببنائها
ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وما اتصل بهذا الباب من العلوم
ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام وما ومن

ومن أعجب الاشياء أنك جنه * تمد على أهل الضلال ظلالها

لعله أراد بأهل الضلال اليهود والنصارى المستولين اذ ذاك على الدواوين وتذكرت فى مصر قول القاضى الفاضل

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأعيذ صبرك أن يكون جميلا

وقول احمد بن فضل الله العمرى

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
فى سفح روض يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقول آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقول آخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا * ارتنا به من مرها عسكرا جرا
بشط يهز السمهرية ذبلا * وموج يهز البيض هندية بترا
اذا مد حاكى الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقول آخر

واها لهذا النيل اى عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مسلم * حتى اذا ما مال عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقول ابن النقيب

الصب من بعدهم مفرد * ودمعه النيل وبعليته
وخده لما بكاهم دما * مقياسه والدمع تخليقه

وقول الصفدى

سقيا لمصر وما حوت * من أنسها وأناسها
ومحاسن فى مقسها * تبدو وفى مقياسها
ومسرة كاساتها * تجلى على أكياسها
وسطور قرط خطها الـبارى على قرطاسها
ودمى كنائسها ولا * تنسى ظباء كناسها
ولطافة بجلالة * تبدو على جلاسها
ونواسم كل المنى * للنفس فى أنفاسها
ومراكب لعبت بها الامواج فى وسواسها

وقول ابن جابر الاندلسى

نيل فى ذلك الى هجرته صلى الله عليه وسلم ذكر هجرته وجوامع ما كان فى ايامه الى وفاته صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار عن امور وأحوال كانت من مولده الى حين وفاته صلى الله عليه وسلم
ذكر ما بدئ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما يحفظ عنه عن احد من الانام
ذكر خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة على بن ابى طالب رضى الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره ونسب اخوته واخواته
ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحروب وغير ذلك
ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين
ذكر الحكمين وبدء التحكيم
ذكر حربه رضى الله عنه مع اهل النهروان وهم الشراة وما لحق بهذا الباب
ذكر مقتل على بن ابى طالب رضى الله عنه
ذكر لمع من كلامه وزهده وما لحق بهذا المعنى من اخباره ذكر خلافة الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه ولمع من اخباره وسيره ذكر ايام معاوية بن ابى سفيان

ولمع من اخباره وسيره ونوادر من بعض اخباره ٢٢ ذكر جمل من اخلاق معاوية وسياساته وطرف من عيون اخباره

مرلت مدمن محاسن ارضها * خبر اصحبها لبس بالمقطوع
متنزل من نيلها وسلسل * وسدبح من هضبها المرفوع

وقول ابراهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبين كأنما * صدئت بصفحته صفيحة صيقل
يأتيك من كدر الزواخر مده * بمسك من مائه ومصندل
وكأن ضوء البدر في تمويجه * برق تموج في سحاب مسبل
وكأن نور السرج من جنباته * زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض مفتقا أنواره * تبدو لعين مشبه وممثل

وقول ابن الصاحب

فرح الانام بنيلهم * اذ سار احمر كالشقيق
وتبركوا بشروقه * فكانه وادى العقيق

وقول آخر

احمر النيل حد * حتى غدا كالشقيق
وقد ترعت فيه * اذ صار وادى العقيق

ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدة قليلة الى المهم الاعظم والمقصد الاكبر الذى هو سر المطالب الجليلة وهو زيارة الحرمين الشريفين والعلمين المنيفين زادهما الله تنويها وبلغ النفوس بيركة من شرفاتهما ما لم تزل تنويها فسافرت فى البحر الى الحجر راجيا من الله سبحانه فى الاجر الانجاز الى ان بلغت جدة بعد مكابدة خطوب اخذت لهام الصبر عدة فحين حصل القرب واكتحلت العين باثمد تلك الترب ترنمت بقول من قال مجردا على الوخد والارقال

بدا لك الحق فاقطع ظهر بيداء * واهجر مقالة احباب واعداء
واقصد بلى عزمه ارض الحجاز فقد * بعدا عن السخط فى نزل الاوداء
وقل اذا نلت من ام القرى أربا * وهو الوصول باسرار وابداء
يا مكة الله قد مكنت لى حرما * مؤمنا لست اشكو فيه من داء
فذراى النازح المسكين مسكنه * فى قطرك الرحب لم ينكب بارداء
شوق الفؤاد الى مغناك متصل * شوق الرياض الى طل وأنداء

ثم انشدت عند ما بدت اعلام البيت الحرام قول بعض من غلب عليه الشوق والغرام وقد بلغ من امانيه الموجبة بشائره وتهانيه المرام

وافى الحجيج الى البيت العتيق وقد * سجا الدجى فرأوا انواره بزغا
حيوا عجيبا وقالوا الله أكبر ما * للجو مؤتلقا بالنور قد صبغا
قال الدليل الا هاتوا بشارتكم * فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا الى العيس بالاشواق واتجهوا * وحن كل فؤاد نحوها وصغا
وكل من ذم فعلا نال محمدة * فى مكة ومحا ما قد جنى وبغى

ذكر ايام مروان بن الحكم ولمع من اخباره وسيره
ذكر ايام يزيد بن معاوية
ابن أبى سفيان
ذكر مقتل الحسين بن على
ابن أبى طالب رضى الله
عنهما ومن قتل من أهل
بيته وشيعته
ذكر اسماء ولد على بن أبى
طالب رضى الله عنه
ذكر لمع من اخبار يزيد بن
معاوية وسيره ونوادر من
بعض افعاله وما كان منه
فى الحرة وغيرها
ذكر ايام معاوية بن يزيد
ومروان بن الحكم واخبار
ابن عبد الله وعبد الله بن
الزبير ولمع من اخبارهم
وسيرهم وبعض ما كان فى
ايامهم
ذكر ايام عبد الملك بن
مروان ولمع من اخباره وسيره
والحجاج بن يوسف وافعاله
ونوادر من بعض اخباره
ذكر لمع من اخبار الحجاج بن
يوسف وخطبه وما كان
منه فى بعض افعاله
ذكر ايام الوليد بن عبد
الملك ولمع من اخباره وسيره
وما كان من الحجاج فى ايامه
ذكر ايام سليمان بن عبد
الملك ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عمر بن عبد
العزيز بن مروان بن الحكم رضى الله عنه ولمع من اخباره وسيره وزهده ذكر ايام يزيد بن عبد الملك ولمع من

ولما

اخباره وسيره ذكر ايام هشام بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره ذكر ايام ٢٣ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولمع

ولما وقع بصري على البيت الشريف كدت أغيب عن الوجود واستشعرت قول العارف بالله الشبلي لما وفد الى حضرة الجود

قلت للقلب اذ تراءى لعيني * رسم دارهم فهاج اشتياقي
هذه دارهم وأنت محب * ما احتباس الدموع في الآماق
والمغاني للصب فيها معاني * فهي تدعى مدارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها * واجر الصبر وارع حق الفراق

ثم أكملت العمرة ودعوت الله أن أكون ممن عمر بطاعة ربه عمره وذلك أوائل القعدة من عام ثمانية وعشرين وألف من الهجرة السنية وأقمت هنالك منتظرا وقت الحج الشريف ومتفيئا ذلك الظل الوريف ومقتطفا ثمار القرب الجنية الى أن جاء الاوان فأحرمت بالحج من غير توان وحين حللت مما به أحرمت نويت الاقامة هنالك وأبرمت فحال من دون ذلك حائل وكنت حريا بأن أنشد قول القائل

هذي أباطح مكة حولي وما * جمعت مشاعرها من الحرمات
أدعو بها لبيك تلبية امرئ * يرجو الخلاص بها من الأزمات
نلت المنى بمنى لاني لم أخف * بالخيف من ذنب أحال سماتي
وعرفت في عرفات أني ناشق * للعفو عرفا عاطر النسمات

وأن أتمثل في المطاف اذ حفتني الالطاف بقول من ربعه بالتقوى مشيد البغدادي الشهير بابن رشيد

على ربعهم لله بيت مبارك * اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه * ويسقط عنه جرمه وخطاياه
وكم لذة او فرحة لطوافه * فلله ما أحلى الطواف وأهناه

ثم قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار طيبة الشريفة التي لها الفضل على الاقطار واستشعرت قول من أنشد وطير عزمه عن اوكاره قد طار

حمدت مرادي اذ بلغت مرادي * بأم القرى مستمسكا بعمادي
ومذ رويت من ماء زمزم غلتي * فلست بمحتاج لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نعمه التي جلت ومننه التي نزلت بها النفوس مواطن التشريف وحلت

من بهده الرحمن خير هداية * يحلل بمكة كي ينال المقصدا
واذا قضى من حجة الفرض انثنى * يشفي برؤية طيبة داء الصدى

وكان حظي في هذه الحال تذكر قول بعض الوشاحين من الاندلسيين الذين كان لهم ارتحال الى تلك المعاهد الطاهرة والمشاهد الزاهرة التي تشد اليها الرحال

يا من لعبد به افتقار الى أياد له جسام فضلك مدن لخير مدن حل بها سيد الانام

لم يهف قلبي لحب ليلى * ولا لسعاد ولا الرباب
لاقي شجونا وال ويلا * من هام في ذلك الجناب

اخباره وسيره
ذكر ايام يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وابراهيم ابن الوليد بن عبد الملك من اخبارهما
ذكر السبب في العصبية بين اليمانية والنزارية وتولد ذلك على بني امية والوصية
ذكر ايام مروان بن محمد مروان بن الحكم وحروبه ومقتله
ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو امية من الاعوام
ذكر الدولة العباسية من اخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره
ذكر خلافة السفاح وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المنصور وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المهدي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الهادي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الرشيد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر البرامكة واخبارهم وما كان منهم في ايامهم ذكر خلافة الامين وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة المامون وجمل

بل من دني الفؤاد ميلا * لمن له الحب لا يعاب
قلبي والله مستطار مذ حل في بيته الحرام ذي الحجر والركن خير ركن وزمزم الخير والمقام
دابت قلوب المطي عشقا * وركبها واستوى المراد
الى حبيب القلوب حقا * الحي والميت والجماد
الى الذي ليس فيه يشقى * من حبه داخل الفؤاد
شكرا وقد طالت الدهار هم ومضاياهم السقام فهي قسي من التثني والقوم من فوقها سهام
ولست من سكرتي مفيقا * حتى ارى حجرة الرسول
فان يسهل لي الطريقا * فذاك أقصى مني وسول
حتى ترى عيني العقيقا * ويفرح القلب بالوصول
كم قلت والصبر مستعار للركب اذ غادر والمنام ونسمة الشوق حركتني
وزادني الوجد والغرام
قوموا فقد طال ذا الجلوس * وبادروا زورة الحبيب
تاقت الى طيبة النفوس * لا عيش من دونها يطيب
لا حبذا دونها الفردوس * والماء والشادن الربيب
وحبذا الرمل والقفار والعرب في تلكم الخيام وام غيلان ظلتي والايك والاثل والثمام
ياطيبة حزت كل طيب * سيدفيك ذي حلول
نداء مستضعف غريب * في غمر امداحه يقول
وهو من السامع المجيب * لمدحه يسال القبول
أنت الغني لي فلا افتقار * وانت عزي فلا أضام
مستمسك منك حسن ظني * بعروة مالها انفصام
بسيد العالمين أجمع * بأحمد المجتبى الرسول
ومن هو الشافع المشفع * في موقف الحشر المهول
اذ لا كلام هناك يسمع * للغير والناس في ذهول
اذا السما مالها انفطار والشهب منثورة النظام كذا الجبال انثنت كعهن سريعة المر
كالغمام
ياأول الرسل في الفضيله * وان تأخرت في الزمن
شفاعة نلت مع وسيله * فمن يضاهي علاك من
علت بك الرتبة الجليله * وطبت في السر والعلن
فأنت من خيرهم خيار فمن يضاهيك في المقام والرسل نالت بك التمني وأنت بدر لهم تمام
الوجد قد قر في فؤادي * فما الصبر به قرار
ولا لجفني ساعد اتقاد * ودمع عيني له انهمار
وها أنا جئت من بلادي * لطيبة أبتغي الجوار
فحبذا تلكم الديار والمصطفى مسكة الختام عليه أزكى الصلاة مني وصحبه الغر والسلام

اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ٢٤ ذكر خلافة المعتصم وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة
الواثق وجمل من اخباره
وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المتوكل وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المنتصر وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المستعين وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المعتز وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المهتدي وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المعتمد وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المعتضد وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المكتفي وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة المقتدر وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة القاهر وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه
ذكر خلافة الراضي وجمل
من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه ذكر خلافة المتقي لله وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة المستكفي وجمل وقول

وقول أبي جعفر ابن عبي الغرناطي رحمه الله تعالى وهو من التشريع أحد أنواع البديع

يا راحلا يبغي زيارة طيبة * نلت المنى بزيارة الأخيار
حتى العقيق إذا وصلت وقف بنا * وادي منى بأطيب الأخبار
وإذا وقفت لدى المعرف داعيا * زال العنا وظفرت بالأوطار

ولما منّ الله تعالى علينا بالحلول في المشاهد التي قام الدين بها وظهر والمعاهد التي بان الحق فيها واشتهر والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها وقهر ونصرت النبوّة وعضدت وقطعت غصون الكفر وحصدت وردمت قواعد الالحاد ونضدت وقرت العيون ونفدت الديون أنشد لسان الحال قول بعض من جعل محاسن طيبة حال

يا من به طيبة طابت حلى وحلى * ومن تشرف منه أشرف العرب
يا أحمد المصطفى قد جئت من بلد * قاص ولي خلد باس ولي أرب
وقد دهتني ذنوب دأب إذ عظمت * لله منها رجاء المرتجي الهرب

ونسينا بمشاهدة ذلك الجناب ما كنا فيه وسبق الدمع الذي لا يعارض الفرح ولا ينافيه

أيها المغرم المشوق هنيئا * ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا * طالما أسعد اليوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا * وجميع الأشجان والأشواق
وأمر العين أن تفيض انهمالا * وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

ولما عاينا الآثار وشممنا من عرف تلك الأنجاد والأغوار وغمرتنا من هاتيك الأنوار وتخلينا عن الأغيار وتحلينا بحلى الأخيار وكيف لا وطيبة مركز الزوار

إذا لم تطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين تطيب
وإن لم يجب في أرضها ربنا الدعا * ففي أي أرض للدعاء يجيب
أيا ساكني أكناف طيبة كلكم * إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

وما أحسن قول عالم الأندلس المالكي الأديب عبد الملك السلمي المشهور بابن حبيب

لله در عصابة صاحبتها * نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهامها قد جبتها ومفاوز * ما زلت أذكرها بطول حياتي
حتى أتينا القبر قبر محمد * خص الإله محمدا بصلات
خير البرية والنبي المصطفى * هادي الورى لطرائق النجاة
لما وقفت بقبره لسلامه * جادت دموعي واكف العبرات
ورأيت حجرته وموضعه الذي * قد كان يدعو فيه في الخلوات
مع روضة قد قال فيها إنها * مشتقة من روضة الجنات
وبمنزل الأنصار وسط قبابهم * بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا ونالوا رحمة * مغنى الكتاب ومحكم الآيات
وبقبر حمزة والصحابة حوله * فاضت دموع العين منهمرات

من الهجرة الى هذا الو
وهو جمادى الاولى ...
ست وثلاثين وثلثمـ
وقد انتهينا فيه الى المـ
من هذا الكتاب

ذكر من حج بالناس مـ
أول الاسلام الى سنة
وثلاثين وثلثمائة و
آخر الكتاب

ذكر جمل التاريخ وما
عن ذوي الدراية
اعدادهم

قال المسعودي فهذه جو
ما حوى هذا الكتاب مـ
الابواب على الـ... في
ما ... مما ذكرنا من أنو
العلوم وفنون الاخبار والا
مالم نأت عليه ترا...
الابواب وقد رتب...
حسب ... من ابـ
على تفصيل مما ...
الخلفاء ومقادير اعمارهـ
بابواب نفردها عن سيرهـ
وأخبارهم ثم نعقب بعـ
ذلك الغرر من أخبارهـ
والعيون من سيرهـ
والجوامع مما كان
أعصارهم وأخبار وزرائـ
وما جرى من أنواع العلـ
في مجالسهم ملوحين بذلـ
الى ما سلف من تقدمـ
وتقدم من تأليفنا في هذ
المعاني والفنون و...
ما اجتمع من جميع ما اشتمـ

عليه هذا الكتاب من الابواب مائة واثنان وثلاثون بابا أولها ذكر جميع اغراض هذا الباب

يعز لنا ثم اذا شاهدتها ❊ وشهدتها بالخطو والخطوات

لازلت زوّارا لقبر نبينا ❊ ومدينة زهراء بالبركات

صلى الاله على النبي المصطفى ❊ هادي البرية كاشف الكربات

وعلى ضجيعيه السلام مرددا ❊ مالاح نور الحق في الظلمات

وقول كمال الدين ناظر قوص

أنخ هذه والحمد لله يثرب ❊ تبشر قد نلت الذي كنت تطلب

فعفر بهذا الترب وجهك انه ❊ أحق به من كل طيب وأطيب

وقبل ربوعا حولها قد تشرفت ❊ بمن جاورت والشئ بالشئ يحبب

وسكن فؤادا لم يزل باشتياقه ❊ اليها على جمر الغضى يتقلب

وكفكف دموعا طالما قد سفحتها ❊ وبرد جوى نيرانه تتلهب

وقول الرعيني الغرناطي

هذه روضة الرسول فدعني ❊ أبذل الدمع في الصعيد السعيد

لا تلمني على انسكاب دموعي ❊ انما صنتها لهذا الصعيد

ولما سلمت على سيد الانام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ذبت حياء وخجلا لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضي وجلا غير أني توسلت بجاهه صلى الله عليه وسلم في أن أكون ممن وضح له وجه الصفح وجلا

اليك أفررت زللي ❊ فرار الخائف الوجل

وكان مزار قبرك بالمدينة منتهى أملي

فوفى الله ما طمحت ❊ له نفسي بلا خلل

فخذ بيدي غريق في ❊ بحار القول والعمل

وهب لي منك عارفة ❊ تعرف ما تنكر لي

وتهديني الى رشدي ❊ وتمنعني من الزلل

وتحملني على سنن ❊ يؤمنني من الوجل

فأنت دليل من عميت ❊ عليه مسالك السبل

وانك شافع بر ❊ ومؤئلنا من الوهل

وانك خير مبتعث ❊ وانك خاتم الرسل

فيا أزكى الورى شرفا ❊ وشافيهم من العلل

ويا أندى الانام يدا ❊ وأكرم ناصر وولي

نداء مقصر وجل ❊ بثوب الفقر مشتمل

على جدواك معتمدي ❊ فأنقذني من الدخل

وألحقني بجنات ❊ لدى درجاتها الاول

بصديق وفاروق ❊ وعثمان الرضى وعلي

فأنت ملاذ معتصم ❊ وأنت عماد متكل

عليك

والثاني ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب وآخره ذكر من حج بالناس من أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل اخبارهم

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي الا بالله

❊(ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية)..

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها

عليك صلاة ربك جل ذ العدوات ولا ـ ل

ومذ شممنا من أرج تلك الارجاء الذاكية واستضأنا بسرج تلك الاضواء الزاكية ظهر من الشوق ما كان بطن ولم يخطر ببالنا مكن ولا وطن ويا سعادة من اقام بتلك البقاع الشريفة وقطن

مر النسيم بربعهم فتلذذا * حتى كأن النشر صار له غذا
فصحا وصح وراح لا اشكو أذى * بل للصبا ماذا حملت من الشذا
أمسست طيبا أم علاك عبير

يا أيها الحادى الذى من وسمه * قصد الحبيب وأن يلم برسمه
هذى منازله فزمزم باسمه * بأبى الذى لم تذو زهرة جسمه
لكنه غض الجمال نضير

لله شوق قد تجاوز حده * أوفى على الصبر المشيد فهده
يا ناشق الكافور لا تتعده * طوبى لمشتاق يعفر خده
فى روضة الهادى اليه يشير

فهناك يبذل فى التوسل وسعه * ويصيخ نحو خطيب طيبة سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمعه * ويرى معالم من تحب وربعه
ومحمد للعالمين بشير

صلى عليه الله خير صلاته * وحباه منه جليل صلاته
ما حن ذو الاشواق فى حالاته * وأتى منانيه على علاته
فأتيح حسن الختم وهو قرير

ووقفنا بباب طلب الآمال خاشعين وتوسلنا الى الله بذلك المقام العلى خاضعين وغبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا الخدودهم حتى شدوا على تلك الاعتاب واضعين

أكرم بعبد نحو طيبة مقتدى * متوسل مستشفع مسترشد
يطوى الفلاة لها بعزم أيد * وانثنى الى قبر النبى محمد
ولربعه الاسمى يروح ويغتدى

أزجاه صادق حبه المتمكن * وحداه سائق عزمه المتعين
فحكى لدى شجو حمام الاغصن * هزجا يردد فيه صوت ملحن
ويمد للاطراب صوت المنشد

ويقول جئت بعزمة نزاعة * ونهضت والدنيا تمر كساعة
لمحل أحمد قائلا باذاعة * هذا النبى المرتجى لشفاعة
يوم القيامة بين ذاك المشهد

هذا الرؤف بجاره ونزيله * هذا سراج الله فى تنزيله
هذا الذى لا ريب فى تفضيله * هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن بانى البيت أول مسجد

الجبال فقرت الارض و ذلك قوله تعالى وجعل فيها رواسى ان تميد بكم وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والاربعاء وذ قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وانما سمى الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال وأوحى فى كل سماء أمرها يقول خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور بد طبقتها الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة

هـذا الذي اصطفت النبوّة حجه * هذا الذى اتى ام الهدى تعديه
هـذا الذى سقى غدا اسنيه * هذا الذى جبريل كان خديه
فى حصرة التشريف أزكى مصعد

هـذا الذى شهد الوجود بحصه * بمزيه التفصيل من مختصه
و أبانه من وحيه فى نصه * هذا الذى ارتمع البراق بشخصه
فى ليلة الاسراء أشرف مشهد

هذا الذى غدت الطلول حديقه * بجواره وبدت تروف أنيقه
هـذا المكمل خلقه وخليقه * هـذا الذى سمع النداء حقيقه
ودنا ولم يك قبل ذاك بمبعد

فهناك كم رسل به متوسل * وعلى جاه لدى المعاد معوّل
يا ارحم الرحماء أنت المؤتل * يا خاتم الارسال أنت الاوّل
فترق فى اعلى المكارم واسعدى

الله روح فى سراه منار * وأبان فى السبع العلا أنواره
فرأت ملائكة السما آثاره * وأراه جنته هناك ونار
فتر بدو مخلد مخلد

لم داده روحل وبلى ظلمه * وأتت بالرجى ومنن حرمه
لما دجا ليل الضلالة دهمه * بعث الاله به لنرحم امه
لولاه كانت بالضلالة تردى

حار الشفوف فكل لمن دونه * والغيث يسأل اذ يسيل يمينه
والشمس تشهد الشروق جبينه * والله وحد له واظهر دينه
ووفى له فيه بصدق الموعد

نطق ينادى ذكره ويراوح * وبه يناقش مسكه وينافح
نعى اللسان محامد ومدائح * طوبى لمن قد عاش وهو يكافح
عنه يناضل باللسان وباليد

هو صفوة العرب الالى أحسابهم * اسلافهم قرنت بها اسبابهم
فهم لباب المجد وهو لبابهم * من آل بيت لم تزل انسابهم
تنبى لهم عن طيب عنصر مولد

شرف النبوّة قد رسا فى اهلها * وسما على ازهر العلا بمحلها
ساق السوابق للفخار برسلها * نطق الكتاب كما علمت بفضلها
وقضى به نص الحديث المسند

فوق السماء توطنت وتوطدت * وتفردت بالمصطفى وتوحدت
وهى الخلاصه صفيت فبردت * من معدن فيه الرسالة قد بدت
من عصر آدم للعصر محمد

عام تحت الارض ... ودو هم تحت العرش من غيران نبلغ العرش وهم يقولون لا اله الا الله ذو العرش
العظيم فهم مثلى ذلك عدد
خلقوا الى ان تقوم الساعه
وتحت العرش بحر منه
منه أرزاق الحيوان يوحى
الله تعالى اليه فيمطر ما شاء
الله من سماء الى سماء حتى
ينتهى الى موضع يقال له
الابرم فيوحى الله الى الريح
فتحمله الى السحاب فتغربله
وتحت سماء الدنيا بحر من
ماء يصفق فيه من الدواب
مثل ما فى بحور الارض
متمسك بالقدرة وان الله
تعالى اسكن ظهر الارض
لما فرغ من خلقها الجن
قبل آدم فكان منهم مسارج
من نورا بليس ونهم فنهاهم
الله ان يسفكوا دم البهائم
و يظهروا المعصيه بينهم
فسفكوا وعدا بعضهم على
بعض فلما رآهم ابليس
لا يقلعون عن ذلك سال
الله تعالى ان يرفعه الى
السماء فصار مع الملائكة يعبد
الله أشد عبادة وأرسل الله
الى الجن وهم حزب ابليس
قبيلا من الملائكة فطردوهم
الى جزائر البحار وقتلوا من
شاء الله منهم وجعل الله
ابليس على سماء الدنيا
خازنا فوقع فى صدره كبر
ثم شاء الله عز وجل ان يخلق
آدم فقال الله للملائكة انى
جاعل فى الارض خليفه
فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفه قال تكون له ذريه و يفسدون فى الارض ويتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا فقالوا

طالوا ولم يبقوا المجد مصعدا * دارا بنى أيمانهم حيف العدا
سئلوا فهم لعفاتهم غيث الجدا * أهل السقاية والرفادة والندى
والكعبة البيت الحرام المقصد

المطعمون وقد طوى ام الطوى * الناهضون اذا الصريخ لهم نوى
العاطفون اذا الطريق بهم نوى * أهل السدانة والحجابة واللوى
اهل المقام وزمزم والمسجد

المصلحون اذا الجموع تخاذلت * المنجحون اذا المساعى دافعت
الدافعون اذا الاعادى قارعت * المؤثرون اذا السنون تتابعت
وعدا الجميع بنيل كل نفتقد

لايقرب الخطب الملم منيعهم * لايطرق الكرب المخيف قريعهم
والله شرف بالنبى جميعهم * من نال رتبتهم وحاز صنيعهم
نال التفوق وحاز معنى السودد

حلوا من الطود الاشم بمنعة * فى خير معتصم واسمى رفعة
فهم بمنة أمنه فى هجعة * الله خصصهم بأشرف بقعة
محجوجة محفوفة بالاسعد

لما اتبت لرامة اصل السرى * من بعد قصدى مكة ام القرى
انشدت جهرا فيه انثر جوهرا * راليكها يا خير من وطئ الثرى
عذراء تزرى بالعذارى الخرد

كل الحسان لحسنها انداد هنا * مامثلها فى تربها نشأ ونشا
سفرت بعزم ماجد واطبشا * نشأت بطى القلب وارتوت الحشا
زهراء من يرها يهل ويسجد

امتك تشأى فى مداها الالسنا * وترى اجادتها المجيد المحسنا
تغدو ولا تثنى العنان عن المنا * واتتك تمرح كالقضيب اذا انثنى
مترنحا بين الغصون الميد

نداء ملت فى المدح ثاقب ذهنها * ترجو الحلول لدى فرارة امنها
وعسى اذا غديت بتربة عدنها * يحلولك الاحسان بارع حسنها
والحسن يحلوها وان لم تنشد

مدحى لخير العالمين عقيدتى * ومطيتى بل طيبتى ونشيدتى
ونتيجتى وهدى اليقين مفيدتى * ولئن مدحت محمدا بقصيدتى
فلقد مدحت قصيدتى بمحمد

ياخير خلق الله دعوة حائر * يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلم فى هواك سرائرى * وهو الذى أرجو لعفو جرائرى
متوسلا بجنابك المتأطد

قال انى أعلم مالا تعلمون ثم بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت له الارض انى أعوذ بالله منك ان تنقصنى فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك فرجع ولم يأخذ منها شيا فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه فقال وانا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ الامر فاخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فى الالوان وسمى آدم لانه أخذ من أديم الارض وقيل غير ذلك ووكل الله ملك الموت بالموت وجعله الله تعالى ونركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض أربعين سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حمإ مسنون أى متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا وكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه

بيده فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير

لولا خفوف عدات بمغارب * لمكثت عندك في تتاح ما ربي
ويكون في ازرقاء عذب مشاربي * حتى احلي من ثراك ترائبي
وانال دفنا في بقيع الغرقد

وعليك من رب حباك صلاته * وسلامه وهباته وصلاته
ما أم بابك من هدته فلاته * لعلاك حتى زحزحت علاته
فأتيح حسن الختم دون تردد

ثم ودعته صلى الله عليه وسلم والقلب من فراقه سقيم ووقعت من البعد عن تلك المعاهد في المقعد المقيم وأنا أرجو أن يكون شكل منطقي غير عقيم وان أحشر في زمرة من سلك الصراط المستقيم

يا شفيع العصاة أنت رجائي * كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضرا بفؤادي * غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع * أطيب العيش ما يكون بطيبه

ثم عدت الى مصر وقد زال عني ببركته صلى الله عليه وسلم الاصر وذلك في محرم سنة ١٠٢٩ ثم قصدت زيارة بيت المقدس في شهر ربيع من هذا العام وقد شملتني بفضل الله جوائز الانعام وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفاظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى وهو مما زادني هذه الزيارة رغبة

الى البيت المقدس جئت أرجو * جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلت المسجد الاقصى وابصرت بدائعه التي لا تستقصى بهرني جماله الذي تجلى الله به عليه وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت اليه وشاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة وكان حقي أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموفقين وهو مما ينبغي أن تزمزم به الحداة

ان كنت تسأل أين قد * ر محمد بين الانام
فأصخ الى آياته * تظفر بريك في الاوام
أكرم بعبد سمات * تقديمه لرسل الكرام
في حضرة القدس وا * فاها بعز واحترام
صفوا وصلوا خلفه * ان الجماعة بالامام
للشهب نور بين * والفضل للقمر التمام
سلك النبوة باهر * وبأحمد ختم النظام
هذا الكتاب دلالة * تبقى الى يوم القيام
شهدت له من بعد عجـ * ـز ألسن اللد الخصام
خير الورى واجل آ * يات الخبير الكلام
فعليه من رب الورى * أزكى صلاة مع سلام

ما ذكرناه وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يا رب أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذي كنت مستخلفا في الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وأنا الذي عبدتك في سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فأنظره الله الى الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذي من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى أن آدم كان محرابا للمأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والخدمة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى في آدم من روحه فكان كلما دخل في بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودي) وما ذكرناه من الاخبار في مبدإ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقي عن الماضي فعبرنا [illegible]

بما يقول من يقف على سرد هذه الامداح النبوية الى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان
البديهة والروية فأنشده فى الجواب قول بعض من أم نهج الصواب

لأديمن مديح المصطفى * فعل من فى الله قوى طمعه
فعسى أنعم فى الدنيا به * وعسى يحشرنى الله معه

واذا كان القريض فى بعض الاحيان كذبا صراحا والموفق من تركه والحالة هذه رغبة عنه
واطراحا فخيره ما كان حقا وهو مدح الله ورسوله وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله

ليس كل القريض يقبله السمـ * ـع وتصغى لذكره الافهام
ان بعض القريض ما كان هزأ * ليس شيأ وبعضه أحكام
واجل الكلام ما كان فى مد * ح شفيع الورى عليه السلام
طيب العرف دائم الذكر لاتأ * تى الليالى عليه والايام
مثل زهر قد شق عنه كمام * أو كمسك قد فض عنه ختام
ليس تحصى صفات أحمد بالعد * كما لم تحط به الاوهام
ولو ان البحار حبر وما فى الارض من كل نابت أقلام
فطويل المديح فيه قصير * وحسام ماض لديه كهام
ولسان البليغ الاعى يمسى * وكذا حيب الفصيح جهام
كيف يحصى مديح مولى عليه الله أثنى وذكره مستدام
وله المعجزات والآى تبدو * لا يغطى وجوههن لثام
من المعجزات أن سار ليلا * وجميع الانام فيه نيام
راكبا للبراق حتى أتى القد * س وفيه رسل الاله الكرام
فاستووا خلفه صفوفا وقالوا * صل يا أحمد فأنت الامام
فعليه من ربه صلوات * زاكيات مع صحبه وسلام

ثم رجعت الى القاهرة وكررت منها الذهاب الى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا التاريخ الذى
هو عام تسعة وثلاثين وألف مكة خمس مرات وحصلت لى بالمجاورة بها المسرات وأمليت
بها على قصد التبرك دروسا عديدة والله يجعل أيام العمر بالعود اليها مديدة ووفدت على
طيبة المعظمة ممهدا مناهجها السديدة سبع مرار واطفأت بالعود اليها ما بالاكباد الحرار
واستضأت بتلك الانوار وألفت بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض ما من الله به على فى ذلك
الجوار وأمليت الحديث النبوى بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع ونلت بذلك
وغيره ولله المنة ما لم يكن لى فيه مطمع ولا مطمع ثم أبت الى مصر مفوضا لله جميع الامور
ملازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور وكان عودى من الحجة الخامسة بصفر سنة سبع
وثلاثين وألف للهجرة فتحركت همتى أوائل رجب هذه السنة للعود لبيت المقدس وتجديد
العهد بالمحل الذى هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة
وعشرين يوما بدا لى فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب وألقيت عدة دروس بالاقصى

ب ما نقل الينا من ألفاظهم ووجدناه فى كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف
من وافق ذلك وانقاد اليه
من أهل الملل القائلين
بالحدوث ولا الرد على من
سواهم ممن خالف ذلك
وقال بالقدم لذكرنا ذلك
فيما سلف من كتبنا وتقدم
من تصنيفنا وقد ذكرنا فى
مواضع كثيرة من كتابنا
هذا جملا من علوم النظر
والبراهين والجدل تتعلق
بكثير من الآراء والنحل على
طريق الخبر وروى عن أمير
المؤمنين على بن ابى طالب
عليه السلام انه قال ان الله
حين شاء تقدير الخليقة
وذرء البرية وابداع المبدعات
نصب الخلق فى صور كالهباء
قبل دحو الارض ورفع
السماء وهو فى انفراد ملكوته
وتوحد جبروته فأتاح نورا
من نوره فلمع ونزع قبسا من
ضيائه فسطع ثم اجتمع
النور فى وسط تلك الصور
الخفية فوافق ذلك صورة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقال الله عز من قائل أنت
المختار المنتخب وعندك
مستودع نورى وكنوز
هدايتى من اجلك أسطح
البطحاء وأموج الماء
وارفع السماء واجعل الثواب
والعقاب والجنة والنار
وأنصب أهل بيتك للهداية
وأوتيهم من مكنون علمى
الا يشكل عليهم دقيق ولا يغيب عنهم خفى واجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على قدرتى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم

والنجعة المنيفة وزرت مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوى المقامات الشريفة وكنت حقيقا بأن أنشد قول ابن مطروح في ذلك المقام الذى فضله معروف وأمره مشروح

خليل الله قد جئناك نرجو * شفاعتك التى ليست ترد
ألمنا دعوة واشفع تشفع * الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يارب أضياف وفد * لهم بمحمد صلة وعهد
اتوا يستغفرونك من ذنوب * عظام لا تعد ولا تحد
اذا وزنت بيذبل او شمام * رجحن ودونها رضوى وأحد
ولكن لا يضيق العفو عنهم * وكيف يضيق وهو لهم معد
وقد سالوا رضاك على لسانى * الهى ما أجيب وما ارد
فيا مولاهم عطفا عليهم * فهم جمع اتوك وانت فرد

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم على نبينا وعليهم وعلى سائر المرسلين والانبياء أجمعين أفضل الصلاة والتسليم ثم حدث لى منتصف شعبان عزم على لرحلة الى المدينة التى ظهر فضلها وبان دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام والادواح المتنوعة والارواح المتضوعة حيث المشاهدة المكرمة والمعاهدة المحترمة والغوطة الغناء والحديقة والمكارم التى يبارى فيها المرء شانئه وصديقه والاظلال الوريفة والافنان الوريقة والزهر الذى تخاله مبسما والندى ريقه والقضبان الملد التى تشوق رائيها بجنة الخلد

بحيث الروض وضاح الثنايا * انيق الحسن مصقول الاديم

وهى المدينة المستولية على الطباع المعمورة البقاع بالفضل والرباع

تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التى راقت بحلو المشارب
لها فى اقاليم البلاد مشارق * منزهة اقمارها عن مغارب

ودخلتها أواخر شعبان المذكور وحمدت الرحلة اليها وجعلها الله من السعى المشكور

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة ومبانيها المستحسنة

نزلنا بها ننوى المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنق فى الخطاب وأطال فى الوصف وأطاب وان ملأ من البلاغة الوطاب كما قلت

محاسن الشام أجلى * من ان تحاط بحد
لولا حمى الشرع قلنا * ولم نقف عند حد
كانها معجزات * مقرونة بالتحدى

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الالباب لاسيما اذا حياها النسيم واشكر

أحب الحمى من اجل من سكن الحمى * حديث حديث فى الهوى وقديم

بهدايته معه والنوراة ...امة فى آله تقديسا ...ة العدل وليكونوا عذارمتقدما ثم أخذ الله الخليقة فى غيبه وغيبها فى ...ون علمه ثم نصب العوالم ...بسط الزمان وموج الماء ...ثار الزبد وأهاج الدخان ...أعرشه على الماء فسطح ...رض على ظهر الماء ثم ...نها ... الى الطاعة ...دعا بالا... به ثم انشا ...ه الملائكة من أنوار ...دعها وأرواح اخترعها ...رن توحيده بنبوة محمد ...لى الله عليه وسلم فشهرت ...ى السماء قبل بعثته فى الارض فلما خلق الله آدم ...ان فضله للملائكة وأراهم ما خصه به من سابق العلم حيث عرفه عند استنبائه اياه اسماء الاشياء فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد اليها الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد ما سماه اماما عند الملائكة فكان حظ آدم من الخير ما أوداه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان الى ان وصل محمدا صلى الله عليه

وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد فلله

مرآها الجميل الجليل وبيوتها التى لم تخرج عن عروض الخليل ومخبرها الذى هو على
ملها وفضل اهلها أدل دليل ومنظرها الذى يقلب البصر عن بهجته وهو كليل

والروض قدراق العيون بحلة * قدما كما بسحابه آذار
وعلى غصون الدوح خضر غلائل * والزهر فى أكمامه أزرار

سكم لها من حسن ظاهر وكامن كما قلت موطئا للبيت الثامن

أما دمشق فجنة * لعبت بالباب الخلائق
هى بهجة الدنيا التى * منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فاخرت بذوى الحقائق
والغوطة الغناء حيث بالروودو بالشقائق
والنهر صاف والنسيم اللدن للاشواق سائق
والطير بالعيدان أبدت فى الغنا احلى الطرائق
ولآلئ الازهار حلت جيد غصن فهو رائق
وموارد الامطار قد * كحلت بها حدق الحدائق
لازال مغناها مصو * نا آمنا كل البوائق

وكما قلت مرتجلا ايضا مضمنا الرابع والخامس

دمشق راقت رواء * وبهجة وغضاره
فيها نسيم عليل * صح فوافت بشاره
وغوطة كعروس * تزهى باعجب شاره
يا حسنها من رياض * مثل النضار نضاره
كالزهر زهرا وعنها * عرف العبير عباره
والجامع الفرد منها * أعلى الاله مناره
وحاصل القول فيها * لمن أراد اختصاره
تذكيرها من رآها * عدنا وحسبى اشاره
دامت تفوق سواها * انالة وانارة

وكما ارتجلت فيها ايضا

قال لى ما تقول فى الشام حبر * كلما لاح بارق الحسن شامه
قلت ماذا أقول فى وصف قطر * هو فى وجنة المحاسن شامه

وقلت ايضا

قال لى صف دمشق مولى رئيس * جل الله نعلته واحتشامه
قلت كل اللسان فى وصف قطر * هو فى وجنة البسيطة شامه

وقلت أيضا

واذا وجدت دمشق محاسن الدنيا فلا * تبدأ بغير دمشق فيها اولا
بلد اذا ذو الحظ رام نحوه * لم تلق الاجنة أوجدولا

ى تقدمه الى الذر وقبل النسل فهو وائمة واقتبس من مصباح الانوار المتقدم اهتدى الى سيره واستبان واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا ولاح فى أئمتنا فنحن انوار السماء وانوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تنقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الائمة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين واشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ماروى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن امير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من اسانيد هذه الاخبار وطرقها الا انا قد اتينا على جميع ذكرها واتصالها فى النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل فى هذا الكتاب واما ما وجدت فى التوراة فهو أن الله تعالى ابتدأ الخلق فى يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه السلام احيا يوم قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه

ذا وصف بعض صفاتها وهي التي * يعيا البليغ وان اجاد وطوّلا

والغاية في هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الالباب قول ابي الوحش سبعي ابن خلف الاسدي يصف ارضها المشرقة ورياضها المورقة ونسيمها العليل وزهرها البليل

سقى دمشق الشام غيث ممرع * من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهي حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تود زوّار العراق أنها * تعزى اليها لا الى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر في اشراقها
نسيم رياّ روضها متى سرى * فك اخا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيع في ربوعها * وسيقت الدنيا الى اسواقها
لا تسأم العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا انتشاقها

وقول شمس الدين الاسدي الطيبي

اذا ذكرت بقاع الارض يوما * فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل في وصفها لا في سواها * بها ما شئت من دين ودنيا

وكان لسان الدين ذا الوزارتين بن الخطيب عناها بقوله المصيب

بلد تحف به الرياض كأنه * وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وكنت قبل رحلتي اليها ووفادتي عليها كثيرا ما اسمع عن اهلها زاد الله في ارتقائهم ما يشوقني الى رؤيتها ولقائهم وينشقني على البعد اريج الادب الفائق من تلقائهم حتى لقيت بمكة المعظمة أوحد كبرائها الذين فرائدهم بلبة الدهر منظمة عين الاعيان وصدر أرباب التفسير بها والبيان صاحب القلم الذي طبق الكلي والمفاصل والفتاوى التي حكمها بين الحق والباطل فاصل والتآليف التي وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل وارث العلم عن غير كلالة ذو الحسب المشرق بدره في سماء الجلالة صاحب المعارف التي زانت خلاله وساحب اذيال العوارف التي أبانت عن فضله دلالة مفتي السلطان في تلك الاوطان على مذهب الامام النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام عماد الدين لا زال سالكا سبيل المهتدين فكان جمل الله به عصرا وأوانا لقضية هذا القياس عنوانا فلما حللت بدارهم ورأيت ما أذهلني من سبقهم للفضل وبدارهم صدق الخبر وتمثلت فيهم بقول بعض من غبر

ألمت بنا أوصافهم فامتلأ الفضا * عبيرا وأضحى نوره متألقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم * بلاغا فصح النقل اذ حصل اللقا

وقابلوني أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء وعرفني بديع برهم فن الاكتفاء

غمرتني المكارم الغر منهم * وتوالت على منها فنون
شرط احسانهم تحقق عندي * ليت شعري الجزا[illegible]يكون

وقابلوني بالقبول مغضين عن جهلي

والآثار فهو أن الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ في آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم واسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس بميسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتشر في بلاد الهند فيقال والله اعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والافاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفي جزائر بحره السنباذج وفي قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج معه صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة اصناف الثمار منها عشرة ماله قشر وهي الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهي الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور [illegible] وما

وما زال بي احسانهم وجميلهم * وبرّهم حتى حسبتهم اهلي

بل الاولى أن اتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول في آل المهلب وهو قول بعض من نزل بقوم برق قصدهم غير خلب في زمن به تقلب

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب في زمن المحل

ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلي حسبتهم أهلي

لاسيما المولى الذي امداحه تحلى اجياد الطروس العاطلة وسماحه يخجل انواء الغيوث الماطلة صدر الاكابر الاعاظم الحائز قصب السبق في ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم الصديق الذي بوده أغتبط والصدوق الذي بأسباب عهده ارتبط الاوحد الذي ضربت البراعة رواقها بناديه والماجد الذي لم يزل بديع البلاغة من كتب يناديه السري الحائز من الخلال ما أبان تفضيله اللوذعي الذي لم تزل أوصافه تحكم له بالسودد وتقضي له والحق أبلج لا يحتاج الى زيادة براهين الاجل المولى احمد افندي بن شاهين لا زالت العزة مقيمة بواديه ولا برحت حضرته جامعة لبواطن الفخر وبواديه والسعد يراوح مقامه ويغاديه والمجد يترنم بذكره حاديه فكم له أسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدي من أياد يعجز عن الابانة عنها لو أراد وصفها قس اياد ولو تعرضت لاسمائهم وحلاهم أدام الله تعالى سوددهم وعلاهم لضاق عن ذلك هذا النطاق وكان من شبه التكليف بما لا يطاق فليت شعري بأي أسلوب أؤدي بعض حقهم المطلوب أم بأي لسان أثني على مزاياهم الحسان وما عسى أن اقول في قوم نسقوا الفضائل ولاء وتعاطوا أكواب المحامد ملاء وسحبوا من المجد مطارف وملاء وحازوا المكارم وبذوا المواد والمصارم سوددا وعلاء

فما رياض زهر الربيع * اذا بدت في وشيها البديع
ضاحكة عن شنب الاقاح * عند سفور طلعة الصباح
غنى بها مطوق الحمام * وصافحتها راحة الغمام
وباكرتها نسمة من الصبا * فاصبحت كأنها عهد الصبا
نضارة ورونقا وبهجه * تفدى بكل ناظر ومهجه
أطيب من ثنائهم عبيرا * بين الورى فاسال به خبيرا
دامت معاليهم على طول الزمن * يروي حديث الفضل عنها عن حسن
وثابت وقرة وسعد * وأسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوهوا بقدري الخامل وظنوا مع نقصي أن بحر معرفتي وافر كامل حسبما اقتضاه طبعهم العالي فلو شريت بعمري ساعة ذهبت من عيشي معهم ما كان بالغالي فتعين حقهم لا يترك وحبهم لا يخالطه بغيره ولا يشرك وان اطلت الوصف فالغاية في ذلك لا تدرك

يزداد في مسمعي تردادذكرهم * طيبا ويحسن في عيني مكرره

واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر فهم كما قال الاعرابي الذي ... ناقته في مدح البدر والبليغ ... في ذلك سيان والحق ابلج والباطل لجلج وليس الخبر

والشاهلوج وهذا اسم فارسي وتفسيره ملك الاجاص ومنها ما لا قشر له ولا نوى ... التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذي يسمى عرفة وبتعارفهما فيه سمي بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمي الذكر قابين والانثى لوبذا ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وأنثى فسمي الذكر هابيل والانثى اقليمياء وقد تنوزع في اسم الولد الاول فذهب الاكثر من أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قابين على ما ذكرنا ومنهم من رأى ان اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ما قدمناه وتذكر علي بن الجهم في قصيدته في بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتنيا الابن فسمى قابنا * وعاينا من نشئه ما عاينا
فشب هابيل وشب قابن * ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوج أخت هابيل لقابن وأخت قابن لهابيل وفرق في النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام ... احتياطا لا ... صي ما يمكنه في ذوي المحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب

كالعيان

هب الروض لا يثني على الغيث نشره * أتحسبه تخفى ما ثره الحسنى

وقد تذكرت بلادى النائية بذلك المرأى الشامى الذى يبهر رائيه فشاهدت من أنهار ذات انسجام أترع فيها من جريال الانس جام وازهار متوجة للادواح مروحة للنفوس بعاطر الارواح وحدائق تغشى أنوارها الاحداق وعيانها للخبر عنها مصداق وأى مصداق

فهى التى ضحك النهار صباحها * وبكت عشيتها عيون النرجس
واخضر جانب نهرها فكأنه * سيف يسل وغمده من سندس

وجنان أفنانها فى الحسن ذوات أفنان

صافحتها الرياح فاعتنق السمر * وومالت طواله للقصار
لائذ بعضه ببعض كقوم * فى عتاب مكرر واعتذار

وبطاح راق سناها وكمل حسنها وتناهى كما قلت مضمنا فى ذلك المنحى لقول بعض من نال فى البلاغة مناومنحا

دمشق لا يقاس بها سواها * ويمتنع القياس مع النصوص
حلاها راقت الابصار حسنا * على حكم العموم أو الخصوص
بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص

ولله در القائل فى وصف تلك الفضائل

ان تكن جنة الخلود بارض * فدمشق ولا يكون سواها
او تكن فى السماء فهى عليها * قد امدت هواءها وهواها
بلد طيب ورب غفور * فاغتنمها عشية أو ضحاها

وعند رؤيتى لتلك الاقطار الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار تفاءلت بالعود الى اوطان لى بها اوطار اذ التشابه بينهما قريب فى الانهار والازهار ذات العرف المعطار وزادت هذه بالتقديس الذى همعت عليها منه الامطار وتمثلت بقول الاصفهانى وان غيرت يسيرا منه لما اسفرت وجوه التهانى

لما وردت الصالحية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الشا * م نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن احب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق
لم يبق لى الا تجشم ازمن السفر البواقى
حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقى

وكنت قبل حلولى بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه فصار القلب بعد ذلك مقسما بهواه

ولى بالحمى اهل وبالشعب جيرة * وفى حاجر خل يكون نحنى صحب
تقسم ذا القلب المتيم بينهم * سألتكم بالله ه... م القلب

فبالك

وقد زعمت المجوس ان ادم لم يخالف فى النكاح بين البطون ولم يتحر المخالفة ولهم فى هذا المعنى شعر يدعون فيه الفضل فى التلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به فى الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخاليه والممالك الداثرة وان هابيل وقابين قربا قربانا فتحير هابيل أجود غنمه وأفضل طعامه فقربه ونحر قابين شر ماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى فى كتابه العزيز من قتل قابين هابيل ويقال انه اغتاله فى بريه قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير فى تور يته وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قابين ثم قال ما حكاه القرآن عنه يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودى) وقد استفاض فى الناس شعر يعزونه الى ادم قاله حين حزن على ولده * وأسف على فقده وهو تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الا...

فيالك من صب مراع للذمام منقاد لشوقه بزمام يتخيل له انه سمع صوت قيان بقول الاول

الى الله أشكو بالمدينة حاجة * وبالشام أخرى كيف يلتقيان

وفرد تعددت جموعه وشت بما كنت ضلوعه دموعه فانشد وقد تحير مابدل فيه من عظم مابه وغير

كتمت شان الهوى يوم النوى فوشى * بسره من جفونى أى نمام
كانت ليالى بيضا فى دنوهم * فلا تسل بعدهم عن حال أيامى
ضنيت وجدا بهم والناس تحسب بى * سقما فابهم حالى عند لوامى
وليس أصل ضنى جسمى النحيل سوى * فرط اشتياقى لاهل الغرب والشام

وحصل التحير حيث لم يمكن الجمع ولا الحلو عند التخير كما قال ابن دقيق العيد فى مثل هذا الغرض البعيد

اذا كنت فى نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلى باللوى فمحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكنى نجد وعيل تصبرى
فقد طال مابين الفريقين موقفى * فمن لى بنجد بين اهلى ومعشرى

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة وهو مقر الاولياء والانبياء ولا يجهل فضله الا الاغمار الاغبياء الذين قلوبهم مريضة

أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها * والشمس تبهر أبصار الخفافيش

ولله در من قال فى مثل هذا من الارضياء

وهبنى قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر

اذا لم يكن للمرء عين بصيرة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وحسب الفاضل اللبيب أن يروى قول البدر بن حبيب

عرج اذا ماشمت برق الشآم * وحى اهل الحى وافر السلام
وانزل باقليم جزيل الحيا * بارك فيه الله رب الانام
العز والنصر لديه وما * لعروة الاسلام عنه انفصام
من اولياء الله كم قد حوى * ركنا بمرآه يطيب المقام
وهو مقر الانبياء الالى * والاصفياء الاتقياء الكرام
كم من شهيد فى حماه وكم * من عالم فــرد وكم من امام

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره فى الدواوين وابتنت الاساتذة بيوت افتخاره المنيفة الاواوين وتناقلت أنباءه البديعة ألسن الراوين وهامت باماكنه المربعة هداة الشريعة فضلا عن الشعراء الغاوين ومع ذلك فهم فى التعبير عن عجائبه غير متساوين أولا يرى انهم يأتون من مقولهم بقدر آرائهم وعقولهم ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا ناوين

تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه المليح
وبدل أهلها خمطا وأثلا * بجنات من الفردوس فسيح
وجاورنا عدو ليس ينسى * لعين لا يموت فنستريح
وقتل قابن هابيل ظلما * فوا أسفا على الوجه المليح
فمالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما * وما أنا من حياتى مستريح

ووجدت فى عدة من كتب التواريخ والسير والانساب أن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول

تنح عن البلاد وساكنيها * فقد فى الارض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحواء فيها * أآدم من اذى الدنيا مريح
فمازالت مكايدتى ومكرى * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن اضحت * بكفك من جنان الخلد ريح

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ماذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت

أباهابيل قد قتلا جميعا * وصار الحى بالموت الذبيح

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على ما مضى ومابقى وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه انى مخرج منك نورى الذى به السلوك فى القنوات

على قدرك الصهباء توليك نشوة * بها سيء اعداء وسر أصحاب

ولو أنها تعطيك منها بقدرها * لضاقت بك الاكوان وهي رحاب

وكنا في خلال الاقامة بدمشق المحوطة واثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة كثيرا ما ننظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الاعيان في مجالس مغبوطة تتجاذب فيها اهداب الآداب ونشرب من سلسال الاسترسال وتتهادى لباب الالباب ونمد بساط الانبساط ونسدل أطناب الاطناب ونتقضى اوطار الاقطار ونستدعي أعلام الاعلام فينجر بنا الكلام والحديث شجون وبالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون الى ذكر البلاد الاندلسيه ووصف رياضها السندسية التي هي بالحسن منوطة وقضاياها الموجهة التي لا يستوفيها المنطق مع انها ضروريه وممكنة ومشروطة والفطر السليمة والافهام المستقيمة بتسليم براهينها قاضية لاسيما ان كانت بالانصاف مربوطة فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجري على لساني من الفيض الرحماني وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني صب الله عليه شآبيب رحماه وبلغه من رضوانه الاماني ما تثيره المناسبة وتقتضيه وتميل اليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجد والهزل والانشاء الذي يدهش به ذا كره الالباب ان شاء وتصرفه في فنون البلاغة حالي الولاية والعزل اذ هو أعني لسان الدين فارس النظم والنثر في ذلك العصر والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر وكيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدي الهصر ونثره تزري صورته بالخريدة ودمية القصر فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة اجماعهم وعلق بقلوبهم وأضحى منتهى مطلوبهم ومنية آمالهم واطماعهم وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ويستنشقون من أزهاره كل ذلك فطلب مني المولى احمد الشاهيني اذ ذاك وهو الماجد المذكور ذو السعي المشكور أن اتصدى للتعريف بلسان لدين في مصنف يعرب عن بعض احواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ومفاخره التي قلد بها جيد الزمان ولبته ومآثره التي ارج بها مسرى الشمال وهبته وبعض ماله من النثار والنظام والمؤلفات الكبار العظام الرائقة للابصار الفائقة على كلام كثير من أهل الامصار السائرة مسير القمر والشمس المعقود عليها بالخناصر بل الخمس كي ما يكون ذلك لهذه الاغراض مشيعا ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من اغراضه البديعة ومنازعه وشيعا فاجبته اسمى الله قدره الكبير وأدام عرف فضائله المزري بالعنبر والعبير بان هذا الغرض غير سهل ولست علم الله له باهل من جهات عديدة اولها قصوري عن تحمل تلك الاعباء الشديدة اذ لا يوفي بهذا الغرض الا الماهر بطرق المعارف السديدة وثانيها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لاني خلفتها بالمغرب واكثرها في المشرق كعنقاء مغرب وثالثها شغل الخاطر باشجان الغربة الجالبة للفكر غاية الكربة وتوزع البال بين شغل عائق وبلبال وأنى يطيق سلوك هذا المضيق من اكتحلت ...نه بالسهاد ونبت

الطاهرة والارومات الشريفة وأباهي به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعله خيار الائمة الخلفاء واختم الزمان بمدتهم وأغص الارض بدعوتهم وانشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وقدس وسبح واغتسل زوجتك على طهارة منها فان وديعتي تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها وأشرق جبينها وتلألأ النور في مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسر ما يكون من الذكران واتمهم وقارا واحسنهم صورة واكملهم هيئة واعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع في اسارير جبهته وبسق في غرة طلعته فسماه آدم شيثا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع ويفع وكهل واستبصر أوعز اليه آدم وصيته وعرفه محل ما استودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض والمؤدي حق الله الى اوصيائه وانه ثاني انتقال الذرة الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين ادى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفي يوم الجمعة لست بخلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة

قد وصى ابنه شيثا عليه السلام على ولده ويقال ان آدم مات عن أربعين ألفا من ولده وولد ولده وتنازع الناس في

جنوبه عن المهاد وسد نحوه الاسف سهمه وشغل باله ووهمه وبث فلى تبريحا وعناء لم يجد منه الان يلطف الله تسريحا فما شام بارقة أمل الا في النادر ولا ورد منهل صفاء الا وكدره مكر غادر وقد كثر الجفاء وبرح بلاشك الخفاء واستوخمت الموارد والمصادر والقلب مكلوم وذو اللب غير ملوم اذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر ولا مؤنس الا شاكى دهر بلسان صريح اوباكى قاصمة ظهر بجفن قريح اومناضل في معترك العجز طريح اوفاضل دفن من الخمول في ضريح اذ رمته سهام الاوهام الصوائب وعضت منه ابهام الابهام بنابها النوى والنوائب فقلوبه من تقلبات أحواله ذوائب وكم شابت من أمثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب

على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وأدمع اجارها تسلط فجارها فكم من عدو منهم في ثياب صديق وحسود انظره الى نعم الله على عباده تحديق لا تخدعه المداراة ولا تردعه المماراة يتتبع العثرات ويقنع بالم البثرات ويتبسم وقلبه من الغل يتقسم ويتودد ومكايده تتجدد فتتعدد

لا ترم من مماذق الود خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب الحباب
عظمت في النفاق ألسنة القو * م وفي الالسن العذاب العذاب

والصديق الصدوق في هذا الزمن قليل وقد ألف بعض العلماء شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل وهو غير محمول على الاطلاق وان قال به بعض من رهنه من أبناء عصره ذو اغلاق

أبناء دهرك فالقهم * مثل العدا بسلاحكا
لا تغتر بتبسم * فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أعيا الاول والآخر وقد عظم الامر في هذا الاوان وكثر المزدرى والساخر مع ان أسواق الدفاتر كاسدة وأمزجة المحابر فاسدة

والدهر دهر الجاهلين وأمر أهل العلم فاتر
لا سوق أكسد فيه من * سوق المحابر والدفاتر

فالمنسوب للعلم في هذا الزمن زمن وهو بان ينشد قول الاول قمن

لاى وميض بارقة أشيم * ورعى الفضل عندهم هشيم

وليت شعرى علام يحسد من ابدل الاغتراب شارته واضعف الاضطراب اشارته وانهل بالدموع انواءه واقلل اضواءه وكثر علله وادواءه وغير عند التأمل رواءه وثنى عن المأمول عنانه وارهف بالخمول سنانه حتى قدح الذكر حنانه وملأ الفكر جاشه وجنانه فهو في ميدان الترح مستبق ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق

له أنة المشتاق في كل ساعة * تمر وما للشاكلات من الحزن
ومن مرسلات الدمع واقعة الاسى * ومن عاديات البين قارعة السن
تثير الذكرى منه كوامن الشجون وتدير عليه جام الهيام ولو كان بين الصفا والحجون

قبره فمنهم من زعم ان قبره في مسجد الخيف ومنهم من رأى انه في كهف جبل أبي قبيس وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال وان شيثا حكم في الناس واستشرع صحف أبيه وما انزل عليه في خاصته من الاسفار والاشراع وان شيثا واقع امرأته فحملت بانوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته لاح النور عليه فلما بلغ الوصاة اوعز اليه شيث في شان الوديعة وعرفه شانها وانها شرفهم وكرسهم واوعز اليه ان ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وان ينبهوا أولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة مادام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا موضع تنازع الناس فيه من أهل الملة ممن قال بالنص وغيرهم من اصحاب الاختيار والقائلون بالنص هم الاباضية أهل الامامة من شيعة على بن ابى طالب رضى الله عنه والطاهرين من ولده الذين زعموا ان الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما انبياء واما اوصياء منصوص عن اسمائهم واعيانهم من الله ورسوله واصحاب

الاختيار هم فقهاء الامصار والمعتزلة ٤٠ وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من اصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيديه فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ما وصفنا من اقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان أنوش قد لبث فى الارض يعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفى زمن أنوش قتل قاين بن آدم قاتل أخيه ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور فى جبينه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان فى تموز بعدما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد ماخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهى احدثت فى ايامه احدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وقصص

وتحت ضلوع المستهام كآبة * يخاف على الاحشاء منها التفطرا
ولو ان احشاء تبوح بما حوت * لتمتلئن الارض كتبا واسطرا

وشتان ما بين الاقتراب والاغتراب والسكون فى الركون والنبو عنها والاضطراب فذلك تسهل غالبا فيه الاغراض والمآرب وهذا تتعفر فيه المقاصد وتتكدر المشارب

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز * ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وان طاوعتني رقة الحال مرة * أبت فعلها أخلاق نفس أبية

وكما قلت عندما صرت الى الاغتراب وألت

تركت رسوم عزى فى بلادى * وصرت بمصر منسى الرسوم
ورضت النفس بالتجريد زهدا * وقلت لها عن العلياء صومى
مخافة أن أرى بالحرص ممن * يكون زمانه احد الخصوم

وكما قال بعض الاكابر من أهل الزمان الغابر

لا عار ان عطلت يداى من الغنى * كم سابق فى الخيل غير محجل
صان اللئيم وصنت وجهى ماله * دونى فلم يبذل ولم أتبذل
أبكى لهم ضافنى متأوبا * ان الدموع قرى الهموم النزل
لا تنكروا شيبا ألم بمفرقى * عجلا كأن سناه سلة منصل
فلقد دفعت الى الهموم تنوبنى * منها ثلاث شدائد جمعن لى
اسف على ماضى الزمان وحيرة * فى الحال منه ووحشة المستقبل
ما ان وصلت الى زمان آخر * الا بكيت على الزمان الاول
لله عهد بالحمى لم انسه * ايام اعصى فى الصبابة عذلى

ويرحم الله ابن قلاقس الاسكندرى اذ قال فى معنى التمنى المصدرى

لعل زمانى بالعذيب يعود * فيقرب قرب او يصد صدود
وابصر كثبانا وهز روادف * عليهن اغصان وهن قدود
واقطف ورد الخد وهو مضرج * واجنى اقاح الثغر وهو برود
وادنى ذراعى للعناق ذريعة * فتنهى عن الاواطفيه نهود
ويسرى الى البدر وهو ممنع * ويغدو الى الظبى وهو شرود
ونكرع فى شكوى الفراق كأننا * فوارط هيم والفهن ورود
واكبر مقدار الهوى عن كبيرة * واحمى عفافى دونه واذود

وفرق ما بين الجوهر والعرض والصحة البينة والمرض والدر والحصا والحسام والعصا والرجوع الى التفويض للاقدار فى امور هذه الدار الكثيرة الاكدار هو المطلوب والمرجو من الله سبحانه جبر القلوب

يارب نفس همومى * واكشف كروبى جميعا
فقد رجوت كريما * وقد دعوت سميعا

ولم يجعل لى الذكر حفظه الله فسحة ولا مندوحة بعد هذه الاعذار المحمودة فى الصدق الممدوحة

الممدوحة واسان حالى وقالى يشتبان عجزى عن اداء هذا الحق بشهادة من هو وادو ولى اذ من كان بصفة غير متمكنة مما تكون به متصفة واتسم بنعوت مختلفة وارتسم فى غير ذوى الاحوال المؤتلفة كيف يحير فى التصنيف جوابا أو ينتحى من التأليف صوابا ومن جفنه هام هامل وقصوره عام شامل كيف يقبض بالانامل على ماء البحر الوافر الكامل ومن لبس من الحلى ملاه لا يعبر عن طبق مفاصل الكلام وكلاه وقصرت ألسن البلغاء عن علاه وزانت صدور الدواوين حلاه وجمع خلالا حسانا وكان للدين لسانا وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب وازدانت بمرآه النوادى والمواكب ونفحات الازهار من آدابه ونسمات الاسحار عطر أذياله وأهدابه والسحر من كتابته والسحر من كنايته وروح النسيم من تعريضه والنثرة من نثره والشعرى من شعره وقريضه وحلل المجد لباسه وأنوار العلم اقتباسه

له ذهن يغوص بحر علم * فيأتى منه بالدر النظيم

معانيه الرياض لاجل هذا * سرت ألفاظه مثل النسيم

ومباهيه النجوم ومضاهيه الغيث السجوم الى آباء يحسدهم القمر والشمس وإباء لو كان للمشترى لما تحيفه لمس وشرف لا مدعى ولا منتحل وهمة لو نالها البدر لاستجدى له زحل وبراعة أرهفت سنان قلمه وبراعة سارت أمراؤها تحت علمه فكم فتح بفكره اقفالها ووسم بذهنه الثاقب أغفالها وسبك معانيها فى قالب ذهبه ابريزا ورقم بيان لسانه برود احسانه بلفظه البديع تطريزا فرفع فى ميدان الاجادة لواءه وأتيح من انهار البراعة العذبة ارواءه ونال سبقا وتبريزا

وما زمن الشباب وانت تجرى * مع الاحباب فى لهو وطيب

ووصل من حبيب بعد هجر * بأحلى من كلام ابن الخطيب

تقصائده ارخصت جواهر البحور المنظومة فى قلائد اللبات والنحور من حسان العقائل الحور

معان وألفاظ تنظم منهما * عقود لآل فى نحور الشمائل

وزهر كلام كالحدائق نسجه * غنينا به عن حسن زهر الخمائل

وكلماته غدت للابداع اقليدا وجمعت طريفا من البلاغة وتليدا

كسون عبيدا ثياب العبيد * واضحى لبيد لديها بليدا

ومقطعاته ألذ فى الاسماع من مطرب السماع وأبهى فى الاحداق والنواظر من الحدائق ذوات الاغصان الملد النواضر يعترف بفضلها من انتحل الانصاف دينا وانتحل الاوصاف فاختار العدل منها خدينا

رقيقات المقاطع محكمات * لو ان الشعر يلبس لارتدينا

ورسائله كنقط العروس اللائحة فى البياض او كوشى الربيع او قطع الرياض برزت اغصانها الحالية وتبرجت وتضوعت أفنانها العالية وتأرجت وقد البسها القطر زهرا وفجر خلالها انهرا فأخذت زخرفها وازينت ولاحت محاسنها غير محتجبة وتبدت فبهرت

قد أتينا على ذكرها فى كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قابن واكثر هذا النوع بارض قمار من ارض الهند والى بلدهم اضيف العود القمارى فكانت حياته سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته فى اذار وقام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبى صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذى اخبر الله عز وجل فى كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم احدى وعشرون صحيفة وانزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده (متوشلخ) بن خنوخ فعمر البلاد والنور فى جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس فى كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات فى ايلول وقام بعده (لمك) وكانت فى أيامه كوائن واختلاف وتوفى وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن لمك عليه السلام وقد كثر الفساد فى الارض فاشتدت دياجى الظلم فقام فى الارض داعيا

الى الله فابوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم فاوحى الله اليه أن اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة

من لها قابل أستغفر الله لا بل

هي الحديقة الأأن صيبها * صوب النهى وجناها زهرة الكلم

وقوافيه ريشت بها قوادم الاتقان وخوافيه بنان مجاريها يستدثر الحصر وباع مباريها يستشعر القصر

خطها روضة والفاظها الاز * هار يضحكن والمعاني ثمار

تبدي لمبصرها وترى ماقاله أبو عبادة البحتري

وكلام كأنه الزهر النا * ضر في رونق الربيع الجديد

مشرق في جوانب السمع مايخلقه عوده على المستعيد

ومعان لو فصلتها القوافي * هجنت ماالجرول من نشيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد

بل هي أجل مما وصف عند التحقيق وامعان النظر الصحيح والتدقيق

اين زهر الرياض وهو اذا ما * طال عهدا بالغيث عاد هشيما

من قواف كانها الانجم الزهـر سناها زان الظلام البهيما

وناهيك بمن اطلعته العلوم على جلائلها ودقائقها وأرته الفنون ماشاء من يانعات حدائقها وحبته الحكم الرياضية بأزاهرها وشقائقها وارضعته الوزارة من ثديها وحلت به الامارة صدر نديها وجعلته المرجوع اليه في تمييز جيد الامور ورديها فغرس في ارض الرياسة من نخل السياسة ووديها وأعلى علم العدل وأغمد سيف الانتقام ودفع تنين الفتنة الذي فغر فاه للالتقام والعهد اذ ذاك قريب في وطن الاندلس الغريب باختلال الحال وتوالي الامحال والتجري على قتل الملوك والتحري لقطع الطرق ومنع السلوك حيث أهواء المارقين ذات افتراق وضلوع الصادقين في قلق واحتراق وأيدي الاحن باطشة وسيوف المحن الى الدماء عاطشة وعرش الحماية مثلول وصارم الكفاية مفلول ونطاق الرعاية مطلول وجيب النصيحة مملول والنور السلطاني بنار اختلاف الكلمة ملتهب والعدو ينتهز الفرصة ويستلب الانفس والاموال وينتهب وليس له في غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء وان عقد المهادنة في بعض الاحيان فهو يسر حسوا في ارتغاء وكلاب الباطل في دماء أهل الحق والغة ولله سبحانه وتعالى في خلقه ارادة نافذة وحكمة بالغة فرقع لسان الدين ثوب الاندلس ورفاه وأرغم رحمه الله الكفر الذي فغر فاه وشمر عن ساعد اجتهاده وحض باللسان واليد على دفاعه وجهاده حتى لاحت للنصر بوارق وأمنت بالحزم البوادي والطوارق ثم ضرب الدهر ضربانه وأحرق الحاسد بنار أحقاده أنضر بانه وأظهر مافي قلبه على لسان الدين وأبانه وتقرب الوشاة وهم ممن كان يخدمه ويغشاه الى سلطانه الذي كان عزة أوطانه الذي كان يأمنه ولا يخشاه حتى فسد عليه ضميره وتكدر ومن يسمع يخل غيره فاحس بظاهر التغير وصار في الباطن من أهل التحير وأجال قداح آرائه والتفت الى جهة العدو من ورائه ففر مشمرا عن ذيله في لمة من خيله الى أسد العرين سلطان بني مرين وكان اذ ذاك بتلمسان وهو من أهل العلم والعدل والاحسان فاهتز لمقدمه ولقيه بخاصته

أتاه جبريل عليه السلام بتابوت آدم فيه رمته وكان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من اذار فاقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة اشهر ثم امر الله الارض ان تبتلع الماء والسماء ان تقلع واستوت السفينة على الجودي والجودي ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلي وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع خروج السفينة على رأس هذا الجبل الى هذه الغاية وذكر أن بعض الارض لم يسرع الى بلع الماء ومنها ماأسرع الى بلعه عندما أمرت فما أطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تاخر عن القبول أعقبها الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذي امتنعت الارض من بلعه انحدر الى قعور مواضع من الارض فمن ذلك البحار وهي بقية ماء غضب أهلك به أمم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها * ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا الى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ودبر دقب هؤلاء

وخدمه

وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التاويل والمتخلف عنه من ولده الذي قال له يا بني اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث في مسكن سام ووجدت في التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة ٣ فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا مساكنهم في البر والبحر على حسب ما نذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل في الارض وما سكنهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم ابن سام عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن عاثر ابن ارم بن سام وكانوا

وخدمه وأكرم مثواه وجعله صاحب نجواه ثم أدرك السلطان الحمام وكسف بدره وقت التمام فرجع لسان الدين الى فاس واستنشق بها أطيب الانفاس وكثرت بعد ذلك الاهوال وتغيرت بسببه بين رؤساء العدوة والاندلس الاحوال فما نجا من مكر العدا ولا سلم وآل أمره من الاغتيال وما نفع الاحتيال الى ما علم على يدي بعض أعدائه الذين كانوا يتربصون الدوائر لارادائه فاصبح كأمس الذاهب وصارت أمواله وضياعه عرضة للناهب وغص بذلك من كان من أودائه وأخذ الله ثاره من بعض من حرك عليه المكر وأثاره وتسبب في هلاكه حتى انتثرت جواهر أسلاكه ومات بدائه فالعيون الى هذا الوقت على لسان الدين باكية ونفوس الاكابر وغيرهم مما فعل به شاكية والالسنة والاقلام لمقاماته في الاسلام حاكية فمن كان بهذه السمات وأكثر منها موصوفا لا يقدر مثلي على تحبير التعبير عنه ويخشى أن تكون فكرته نكرها انقضت نصا أو وصفا ثم اني لما تكرر علي في هذا الغرض الالحاح ولم تقبل أعذاري التي زندها اشحاح عزمت على الاجابة لما المذكور علي من الحقوق وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق وهو الذي يروي من أحاديث الفضل الحسان والصحاح فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية وأزمعت السير عن دمشق المعروفة المزية والدني السفر منها من الخلع زيه ورحلنا عن تلك الارجاء المتالقة والقلوب بها وبمن فيها متعلقة

حللنا ديار اللغرام سرت بها * الينا صبا نجد بطيب نسيم
وبان ردا الاشجان لما تجاذبت * أكف المنى فيها رداء نعيم
فما انشتنا العيس أن قذفت بنا * الى فرقة والعهد غير قديم
فان نك ودعنا الديار وأهلها * فما عهد نجد عندنا بذميم

فخرج معنا أسماه الله مع جملة من الاعيان الى داريا المضاهية لدارين في رياها وحبذا ريا فالفيناها

ربا من الانداء طيبة لها القدر الجليل
تهدى لنا أرجاؤها * أرجا من الزهر البليل
وبها الغصون تمايلت * ميل الخليل على الخليل

ووصلنا عند الظهيرة وسرحنا العيون في محاسنها الشهيرة

منزل كالربيع حلت عليه * حاليات السحاب عقد النطاق
يمتع العين من طرائق حسن * تتجافى بها عن الاطراق

وقلنا بها لما نزلنا بجانبها

وبتنا والسرور لنا نديم * وماء عيونه الصافي مدام
يسايره النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

فيالك من ليلة أربت في طيب النفح على ليلة الشريف الرضي بالسفح

ونحن في روضة مفوفة * قد وشيت بالغمائم الوكف
نغفي على زهرها فيوقظنا * وهنا هدير الحمائم الهتف

٣ قول المسعودي فجميع عمر نوح الخ يتأمل فيه وتراجع كتب التفسير اه

ودوحها من نداء في وشح * ومن لآلي الازهار في شنف

والغصن من فوقه حمامته * كأنها همزة على ألف

وما أقرب قول الوزير ابن عمار من وصف ذلك المضمار الجامع للاقمار

يا ليلة بتنا بها * في ظل أكناف النعيم

من فوق أكمام الريا * ض وتحت أذيال النسيم

وناهيك بمحل قرب من دمشق الغراء خلعت عليه حلل الحبور والسراء وأمدته بضيائها وأودعته برق حياها وماء حيائها فصار ناضر الدوحات عاطر الغدوات والروحات موتق الانفاس والنفحات مشرق الاسرة والصفحات هذا والقلوب من الفراق في قلق ولسان الحال ينشد

وبي علاقة وجد ليس يعلمها * الا الذي خلق الانسان من علق

ويحث على انتهاز فرصة اللقاء اذ هي غنيمة ويذكر بقول من قال وأكف الدهر موقظة ومنيمة

تمتع بالرقاد على شمال * فسوف يطول نومك باليمين

ومتع من يحبك باجتماع * فانت من الفراق على يقين

ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع والكل ما بين واجم وباك وداع فتمثلت بقول من قلبه لفراق الاحباب في انصداع

ودعتهم ودمعي * على الخدود غزار

فاستكثروا دمع عيني * لما استقلوا وساروا

وقول آخر

يا وحشة من جيرة قد نأوا * علو تدري في الهوى انحطا

حكت دموعي البحر من بعدهم * لما رأت منزلهم شطا

وحق لي أن أتمثل في ذلك بقول الفزاري

لا تسلني عما جناه الفراق * حملتني بداه ما لا يطاق

أين صبري أم كيف أملك دمعي * والمطايا بالظاعنين تساق

تقف معي نندب الطلول فهذي * سنة قبل سنها العشاق

وأعد لي ذكر الغوير فكم ما * ل بعطفي نسيمه الخفاق

في سبيل الغرام ما فعلت بالعاشقين القدود والاحداق

يوم ولت طلائع الصبر منا * ثم شنت غاراتها الاشواق

وبقول غيره

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجميع ملتصقه

واليوم صار الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وقول آخر

حين هم الحبيب بالتوديع * عيروني أني سمحت دموعي

ينزلون الحجر بين الشام والحجاز فارسل الله اليهم أخاهم صالحا وكان من أمرهم مع صالح ما قد اتضح أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من أخباره وأخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ومنهم العماليق تفرقوا في البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر في باب تنازع الناس في انساب الفرس من هذا الكتاب من ألحق كيومرث باميم وقيل ان أميما نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عبيل ابن عوص أخي عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماش بن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماش وهو الذي بنى الصرح ببابل وجسر جسر ابابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفي زمانه فرق الله الالسن فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا في موضعه الذي يوجد في كتابنا لم

هذا وتفرق الناس في البلاد وما قالوا في ذلك من الاشعار عند تفرقهم في البلاد

لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعه الأسى من ضلوعي
كيف لا أسفح الدموع على ربـ * ـع حوى خير ساكن وجموع
هبك أني كتمت حالي أتخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام بمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

وقول من قال

أقول له عند توديعه * وكل بعبرته مبلس
لئن قعدت عنك أجسادنا * لقد سافرت معك الانفس

وقول الصابي

ولما حضرت لتوديعه * وطرف النوى نحونا اشوس
عكست له بيت شعر مضى * يليق به الحال اذ يعكس
لئن سافرت عنك أجسادنا * فقد قعدت معك الانفس

وقول المهذب بن أسعد الموصلي

دعني وماشاء التفرق والاسى * واقصد بلومك من يطيعك أو يعي
لا قلب لي فاعي الملام فانني * أودعته بالامس عند مودعي
هل يعلم المتحملون لنجعة * أن المنازل أخصبت من أدمعي
كم غادروا حرضا وكم لوداعهم * بين الجوانح من غرام مودع
والسقم آية ما أجن من الجوى * والدمع بينة على ما أدعي

وقول الكمال التنوخي

كم ليلة قد بتها ارعى السها * جزعا لفرقتهم بمقلة أرمد
قضيتها ما بين نوم نافر * وزفير مهجور وقلب مكمد
لم أنس أيام السرور وطيبها * بين السدير وبين برقة ثهمد
والروض قد ابدى بدائع نوره * من أزرق ومفضض ومورد
والماء بيد وكالصوارم ساريا * فيعيده مر الصبا كالمبرد
والطير بين مسجع ومرجع * ومغرد ومعدد ومردد

وقول القاضي بهاء الدين السنجاري

أحبابنا مالي على بعد المدى * جلد ومن بعد النوى يتجلد
لله أوقات الوصال ومنظر * نضر وغصن الوصل غض أملد
أني يطيق أخو الهوى كتمانه * والخد بالدمع المصون مخدد
ما بعد مفترق الركاب تصبر * عمن أحب فهل خليل يسعد
يا سعد بل اسعد بالبكاء أخا هوى * يوم الوداع بكى عليه الحسد

وقول ابن الأثير

لم أنس ليلة ودعوا * صبا وساروا بالحمول
والدمع من فرط الاسى * يجري فيعثر بالذيول

بارض العراق ويقال ان فالغ هو الذي قسم الارض بين الامم ولذلك سمي فالغ وهو فالغ أي قاسم ابن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ الذي قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر ابن شالخ وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو اول من حياه ولده تحية الملك أنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حيا بهذه التحية الملك من ملوك الحيرة وقحطان ابو اليمن كلها على حسب ما نذكر ان شاء الله تعالى في باب تنازع الناس في انساب اليمن من هذا الكتاب وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعاني وابانته عنها ويقطن ابن عابر بن شالخ وهو جرهم وجرهم ابن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب ما نورده من اخبارهم وقطور بنو عمهم ثم أسكنها الله اسمعيل عليه السلام ونكح في جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حي لان الله عز وجل أوحى الى سام ان الذي وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم في وسط الارض فوكل مالكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك في ايلول

الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالخ) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت فى ايامه كوائن وتنازع فى مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة واربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتى سنة وسبعا وثلاثين سنه وقد قدمنا ذكره فى هذا الكتاب فيما سلف وما كان بارض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان فى زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتى سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه فى ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور وضروب من العلل احدثت فى الارض

وقول الارجانى

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى هامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كانى سحاب والوشاة بروق

وقول ابن نباتة السعدى

ولما وقفنا للوداع عشية * ولم يبق الاشامت وغيور
وقفنا فمن باك يكفكف دمعه * وملتزم قلبا يكاد يطير

وقول بعضهم

لما حدا الحادى بترحالهم * هيج أشواقى وأشجانى
وراح يثنى القلب عن غيرهم * فهو لهم حاد ولى ثانى

وقول الصفدى

لما اعتنقنا لوداع النوى * وكدت من حر الجوى أحرق
رأيت قلبى سار قدامهم * وأدمعى تجرى ولا تلحق

وقوله أيضا

تذكرت عيشا مر حلوا بقربكم * فهل لليالينا الذواهب واهب
وما انصرفت آمال نفسى لغيركم * ولا أنا عن هذى الرغائب غائب
سأصبر كرها فى الهوى غير طائع * لعل زمانى بالحبائب آئب

وقول ابن نباته المصرى

فى كنف الله وفى حفظه * مسراك والعود بعزم صريح
لو جاز أن تسلك اجفاننا * كنا فرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعد معتلة * وأنت لا تسلك الا الصحيح

وقول الحافظ ابى الحسن على بن الفضل

عجبت لنفسى بعدهم مابقاؤها * ولم أحظ من لقياهم بمرادى
لعمرك مافارقتهم مذ ودعوا * ولكنما فارقت طيب رقادى
وقد منعوا منى زيارة طيفهم * وكيف يزور الطيف حلف سهاد
وأعجب مافى الامر شوقى اليهم * وهم فى سوادى ناظرى وفؤادى

وقوله رحمه الله تعالى

رعى الله أيام المقام بروضة * تروح علينا بالسرور وتغتدى
كأن الشقيق الغض بين بطاحها * نجوم عقيق فى سماء زبرجد

وقول القاضى الرشيد الاسوانى

رحلوا فلا خلت المنازل منهم * ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم * وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا ارض العقيق عن الحمى * روت جفونى أى أرض يمموا
نزلوا العذيب وانما هو مهجتى * رحلوا وفى قلب المتيم خيموا

بمن سلف من ابائه وحدث فى أيامه رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام ٤٧ قبله وأحدثت فى أيامه ضروب من المحن

والآلات وكانت فى ايامه
حروب وتحزيب الاحزاب
من الهند وغيرها وكان عمره
الى ان قبضه الله اليه مائة
سنة وستا وأربعين سنة ولما
قبض الله ناحور قام بعده
ولده (تارح) وهو آزر ابو
ابراهيم الخليل وفى عصره
كان نمروذ بن كنعان وفى
ايام نمروذ حدثت فى الارض
عبادة النيران والانوار
وجعل لها مراتب فى العبادات
وكان فى الارض رهج عظيم
من حروب واحداث حروب
وممالك بالشرق والغرب
وغير ذلك وظهر القول
باحكام النجوم وصور
الافلاك وعملت لها الآلات
وسرب فهم ذلك الى قلوب
الناس فنظر اصحاب النجوم
الى طالع السنة التى ولد فيها
ابراهيم عليه السلام وماذا
يوجب فاخبر النمروذ ان
مولودا يولد يسفه احلامهم
ويزيل عبادتهم فامر النمروذ
بقتل الولدان واخفى ابراهيم
عليه السلام ومات آزر
وهو تارح وكان عمره الى
ان قبضه الله عز وجل مائتين
وستين سنة والله الموفق
للصواب

(ذكر قصة ابراهيم عليه
السلام ومن كان فى عصره من
الانبياء والملوك من بنى
اسرائيل وغيرهم) ولما نشا ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التى كان بها وتامل آفاق الارض والعالم وما فيه من دلائل

ماضرهم لو ودعوا من أودعوا * نار الغرام وسلموا من أسلموا
هم فى الحشا ان أعرقوا أو أيمنوا * او أشاموا أو أنجدوا أو أتهموا

وقول الشاعر أبى طاهر الاصفهانى المعروف بالوثانى

أشاعوا فقالوا وقفة ووداع * وزمّت مطايا للرحيل سراع
فقلت وداع لا أطيق عيانه * كفانى من البين المشت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته * وعند النوى سر المكتوم مذاع

وقول أبى المجد قاضى ماردين

رعى الله ربعا أنتم فيه أهله * وجاد عليه هاطل وهتون
ولا زال مخضر الجوانب مترع الـ * ـحياض وفيه للنعيم فنون
لئن قدّر الله اللقاء وأينعت * غصون التدانى فالبعاد يهون
وان حكمت أيدى الفراق بعسرة * فكم قضيت للمعسرين ديون

وقول آخر

غبتم فمالى فى التصبر مطمع * عظم الجوى واشتدّت الاشواق
لا الدار بعدكم كما كانت ولا * ذاك البهاء بها ولا الاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى * عنه أحبته قلبه يشتاق

وقول أبى الحسن الهمذانى

ويوم ولت الاظعان عنا * وقوّض حاضر وأرنّ بادى
مددت الى الوداع يدا وأخرى * حبست بها الحياة على فؤادى

وقول ابن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

قال في ... بدر بن الادمى مكتفيا

يوم توديعى لاحبابى غدا * ذكر مى شاغلى عن كل شى
قرنت نحوى وقالت يا ترى * أنت حى فى هوانا قلت مى

و... غيره

ولى فؤاد مذ نأى شخصهم * ظل كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مهما تذكرتهم * تذرف دمعا أربعا أربعا
وليس لى من حيلة كلما * لجت بى الاشواق الا الدعا
أسأل من ألف ما بيننا * وقدر الفرقة أن يجمعا

وقول الرعينى الغرناطى

محاسن ربع قد محاهن ماجرى * من الدمع لما قيل قد رحل الركب
تناقض حالى مذ شجانى فراقهم * فمن أضلعى نار ومن أدمعى سكب

وفى معناه قوله ايضا

وقائلة ماهذه الدرر التي * تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت لها هذا الذي قد حشا به * أبو مضر اذني تساقط من عيني انتهى

وقول الزمخشري

لم يبكني الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي اجريته من مدمعي

وقول الزعاري

قد بعتهم قلبي يوم بينهم * بنظرة التوديع وهو محترق
ولم اجد من بعدها الرده * وجها وكان الردلو لم نفترق

وقول بعض الاندلسيين

ساروا فودعهم طرفي وأودعهم * قلبي فما بعدوا عني ولا قربوا
هم الشموس ففي عيني اذا طلعوا * في القادمين وفي قلبي اذا غربوا

وقلت انا مضمنا بديهة

لا كان يوم فراق * ساق الشجون الينا
فكم اذل نفوسا * يامن يعز علينا

وقلت ايضا مضمنا

سلا أحبته من لم يذب كمدا * يوم الوداع وان اجرى الدموع دما
يامن يعز علينا أن نفارقهم * من بعدكم هد ركن الصبر وانهدما
وان نأى الجسم كرها عن منازلكم * فالقلب ثاو بها لم يصحب القدما
وما نسينا عهودا للهوى كرمت * نعم قرعنا عليها سنفا ندما
واطلمت بالنوى ارجاء مقصدنا * وصار وجدان ألف غيركم عدما

وقلت ايضا مضمنا

لم أنس بالشام أنسا شمت بارقه * جادت معاهده أنواء نيسان
لهفي لعيش قضينا في مشاهدها * ما بين حسن من الدنيا واحسان

وقلت كذلك

ياحيرة بانوا وابقوا حسرة * تجرى دموعي بعدهم وفق القد..
كم قلت اذ ودعتهم والانس لا * ينسى وعهد ودادهم لن ير..
ياموقف التوديع ان مدامعي * فضت وفاضت في ثرى ... قضا

وكم تفاءلت بقول الاول مع علمي بان على الله المعول

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البـ..
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع ..

وضاقت بي الرحاب عند مفارقة اعيان الاحباب والصحاب ..ت دموعي من بينهم السحاب وزند التذكر يقدح الاسف فيهيج الانتحاب وقد .. اذ ذاك والجوانح من الجوى في التهاب وذخائر الصبردات انتهاب بقول بعض من حرق .. منه الاهاب

الشمس أبهر منه رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فمنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فاتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتي رشده من قبل ومن أوتي رشده فقد عدم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه مارأى من عبادتهم واتخاذهم المجوفات آلهة لهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لآلهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمروذ النار والقاه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخمدت النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسمعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة اول من آمن بابراهيم عليه السلام وهي ابنة بتوايل ابن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن اخي ابراهيم عليه السلام رسل الله ولما

ولما نزلنا منزلا طله الندى * انيقا وبستانا من النور حاليا
اجدّ لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا
وقد طفت فى شرق البلاد وغربها * وسيرت خيلى بينها وركابيا
فلم أر منها مثل بغداد منزلا * ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا * واعذب الفاظا واحلى معانيا

ويقول من تاسف على مغانى التدانى وهو ابو الحجاج الاندلسى الدانى

الى الله الا ان افارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام حين غشيته * يمينا فلم احلله الا مسافرا

وتخيلنا ان اقامتنا بدمشق وقاها الله كل صرف ما كانت الا خطرة طيف ملم او لمحة طرف

وقفنا ساعة ثم ارتحلنا * وما يغنى المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يك فى اجتماع * اذا ما شتت البين اجتماعه

وطالما علات النفس بالعود الى هائم الى بقاعى منشدا قول الاديب الشهير بابن الفقاعى

متى عاينت عيناى أعلام حاجر * جعلت مواطى العيس فوق محاجرى
وان لاح من ارض العواصم بارق * رجعت باحشاء صوادى سوادر
سقى الله هاتيك المواطن والربا * مواطر أجفان هوام هوامر
وحيا الحيا من ساكنى الحى اوجها * سفرن بانوار زواه زواهر
بحيث زمان الوصل غض ورونه * اريض بازهار بواه بواهر
وحيث جفون الحاسدين غضيضة * رمقن بآماق سواء سواهر

ثم حاولت خاطرى الكليل فيما يشفى بعض الغليل فقال على طريق التضمين وقد غاب ... الشوق والتضمين

بأبى من أودعوا مذ ودعوا * قلبى الشوق وللعيس ذميل
جيرة غر كرام خيرة * كل شئ منهم يبدو جميل
وعلى الجملة مالى غيرهم * لو ارادوا ان يميلوا او يميل

وقد سدد التنائى الى نباله موطئا للبيت الثالث كما فى الابيات قبله

يا دمشقا حياك غيث غزير * ودفاك الاله مما يضير
حسنك الفرد البدائع بيع * منتهاه فيه فعز النظير
أين ايامنا بظلك والشمل جميع والعيش غض نضير

ثم اكثرت الالتفات عن اليمين وعن الشمال وقد شبهت البيداء والشوق ببدل الكل والاشتمال وتنسمت من نواحى تلك الارجاء اريج الشمال وضمنت فى المعنى قول بعض من ثنى الحب عطفه وأمال

تنسمت ارواحا سرت من ديار من * بهم كان جمع الشمل لمحة حالم
وجاوبت من يلحى على ذاك جاهلا * بقول لبيب بالعواقب عالم
وما انشق الارواح الا لانها * تمر على تلك الربا والمعالم

(لوطا) الى سدوم وقراها الخمس وهى صبغة وعمرة وادما وصبوغ وبالعوان قوم لوط ٤٩ ه اصحاب المؤتفكة وهذا الاسم مشتق من الافك وهو الكذب على رأى من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله فى كتابه بقوله والمؤتفكة اهوى وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلى الاردن وبلاد فلسطين الا ان ذلك فى حيز الشام وهى مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس السفر سوداء فاقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فاخذهم العذاب على حسب ما اخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسمعيل) هاجر الى مكة فاسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل افئدة من الناس تهوى اليهم واهلك الله قوم لوط فى عهد ابراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم ولد لابراهيم من سارة (اسحق) عليه السلام وذلك بعد مضى عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس

فى الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحق ومنهم من رأى انه اسمعيل فان كان الامر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح اسمعيل لان

وما احسن قول الآخر

سرت من نواحى الشام لى نسمة الصبا * وقد اصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متتابعه

وقلت انا

حدت وحق الله للشام رحلة * اتاحت لعينى اجتلاء محياه
وبعد التنائى صرت ارتاح للصبا * لان الصبا تسرى بعاطر رياه
فلله عهد قد اتاح بجلق * سرورا فحياه الاله وحياه

واستحضرت عند جد السير قول صفوان بن ادريس المرسى ذكره الله تعالى بالخير

أين ايامنا اللواتى تقضت * اذ زجرنا للوصل ايمن طير

ثم قول غيره ممن حن وأن وقلق قلبه وما اطمان

احن الى مشاهد انس الفى * وعهدى من زيارته قريب
وكنت اظن قرب العهد يطفى * لهيب الشوق فازداد اللهيب

وربما تجالدت مغالطا متعللا بقول من كان لالفه مخالطا

حضرت فكنت فى بصرى مقيما * وغبت فكنت فى وسط الفؤاد
وما شطت بنا دار ولكن * نقلت من السواد الى السواد

وقول غيره

وكن كما شئت من قرب ومن بعد * فالقلب يرعاك ان لم يرعك البصر

وبقول الوداعى

يا عاذلى فى وحدتى بعدهم * وأن ربعى ما به من جليس
وكيف يشكو وحدة من له * دمع جميم وأنين انيس

ثم رددت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلغه السلو ريقه

لا رعى الله عزمة ضمنت لى * سلوة القلب والتصبر عنهم
ماوفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبى تقول لا بد منهم

وبقول ابن آجروم فى مثل هذا الغرض المروم

يا غائبا كان أنسى رهن طلعته * كيف اصطبارى وقد كابدت بينهما
دعواى أنك فى قلبى يعارضها * شوقى اليك فكيف الجمع بينهما

ثم جد بى السير الى مصر واستمر فتذكرت قول الصفدى وقد اشتد بالرمل الحر

اقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالى الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى * فعهدى به فى الشام وهو عليل

وقول ابن الخياط

قصدت مصرا من ربا جلق * بهمة تجرى بتيسير
فلم أر الطرة حتى جرت * دموع عينى بالمرزيب

وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعى وانشدت قول الشهاب الحنبلى الزرعى

اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولدت له منها ستة ذكور وهم مرق ونفس ومدن ومدين وسناز وسرح وتوفى ابراهيم بالشام وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وانزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحق بعد ابراهيم بوحناء ابنة بتوايل فولدت له (العيص ويعقوب) فى بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحق فى وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة فى ولده ودعا للعيص بالملك فى ولده وكان عمر اسحق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس فى مسجد هناك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثنى عشر وهم (لاوى ويهوذا ويساخر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان

احبتنا

احبتنا والله مذ غبت عنكم * سهادى سميرى والمدامع مدرار
ووالله ما اخترت الفراق وانه * برغمى ولى فى ذلك الامر أعذار
اذا شام برق الشام طرفى تتابعت * سحائب جفنى والفؤاد به نار
الا ليت شعرى هل يعودن شملنا * جميعا ونحوى نار ربع واقفار

وقول ابن عنين

دمشق بنا شوق اليك مبرح * وان لج واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول آخر

نفسى الفداء لانس كنت اعهده * وطيب عيش تقضى كله كرم
وجيرة كان لى انس بوصلهم * والانس افضل ما بالوصل يغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى * سواهم فاعترانى بعدهم ألم
كانوا نعيم فؤادى واشتياقه له * والآن كل وجود بعدهم عدم

فان أنشد لسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال

يا غائبا قد كنت أحسب قلبه * بسوى دمشق وأهلها لا يعلق
ان كان صدك نيل مصر عنهم * لا غرو فهو لنا العدو الازرق

اتيت فى جوابه بقول بعض من برح الجوى به

لله دهر جمعنا شمل لذته * بالشام أعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام فى خلس * كأنما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلها * من النعيم الى ذاك من الحرق
رق النذول لحالى بعدها ورثى * لى فى الجوى والهوى والشجو والارق

له فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة والسعود الى طوالعها منسوبة

وكانت فى دمشق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والامانى

وقولى معانى التهانى التى ما نسيناها وأمانى زمانى التى نعمت بطوالع سيناها عليها وعلى وطنى مقصورة والقلب فى المغنى متيم بهما وان كان فى غيرهما باالصورة والاشواق اليهما قضاياها موجهة وان كانت غير محصورة

ولله عهد قد تقضى وان بعد * فانى عن الايام أعفو وأصفح
بقلبى من ذكراه ما ليس ينقضى * ومن برحاء الشوق ما ليس يبرح
اذا صحت كفى الدموع تسترا * بدت زفرة بين الجوانح تقدح
فان جمعت شملى الليالى بقربهم * تجمع غيلان ومى وصيدح
على انها الايام جد مزاحها * ورب مجد فى الاذى وهو يمزح

وكثيرا ما يلهج لسان بقول من قال

و يهوذا و يوسف و بنيامين وكثر جزع يعقوب من اخيه العيص فآمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فاعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفافا لشر وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاقبهما الله فى ولده خاصة لوعده فاوحى الله تعالى اليه ألم اطمئن الى قولى ولأجعلن ولد العيص ملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخريت لروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى ان فتح عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك وكان من امره مع اخوته ما قص الله عز وجل فى كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك فى امته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة وار بعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلى

بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مسجده وقيل ان يوسف اوصى ان يحمل فيدفن

وما بعض الاوقات احرى لذاتها * ولكن اوقات الحسان حسان

ويردد قول من شوقه متجدد

سقى معهد الاحباب ناقع صيب * من المزن عن مغناه ليس يريم
وان لم اكن من ساكنيه فانه * يحل به خل على كريم

وينشد من يلوم قول من في حشاه وله وفي قلبه كلوم

قد أصبح آخر الهوى اوّله * فالعاذل في هواك مالي وله
بالله عليك خل ما اوله * وارحم دنفا الذي حشاه وله

ولقد امتدّ بنا الكلام وربما يجعله اللاحي ذريعة لزيادة الملام فلنرجع الى ما كنا بصدده من اجابة المولى الشاهيني أمده الله سبحانه بمدده فاقول مستمدّا من واهب العقول اني شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الاسماع والقلوب وسلكت في ترتيبه احسن أسلوب وعرضت في سوقه كل نفيس غريب من العرب الى الشرق مجلوب تستحسن الابصار ما عليه احتوى وتعرف الافكار أنه غير مجزوى ثم وقف بي مركب العزم عن التمام واستوى فاخرته تاخير الغريم لدين الكريم وصدّتني أعراض عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض وأضربت برهة عما له من منحى لاختلاف احوال الدهر نفعا ودفعا ومنعا ومنحا ومرقت عن هدف الاصابة نبال وطرقت في سدف ليلي الكتابة أمور لم تكن تخطر ببال فجاءتني من المولى المذكور آنفا رسالة دالة على انه لم يكن عن انجاز الوعد متجانفا فعدت لقضاء الوطر مستقبلا وللجملة مستانفا وحدا بي خطابه الجسيم للاتمام وساقني وراقني كتابه الكريم لتلك الايام وشاقني وذكرني تلك الليالي التي لم انسها وحركني لتلك المعاهد التي لم ازل اذكر انسها الالف لا يصبر عن الفه الا كما يطرف بالعين وقد صبرنا عنهم مدة ما هكذا شأن المحبين فيا كتاب كريم اعرب عن ود صميم وذكر بعهد غير ذميم وود طيب العرف وسيم يخجل ابن المعتز ببلاغته وابن المعز تميم

ولم تر عيناي من قبله * كتابا حوى بعض ما قد حوى
كأن المباسم سيماته * ولاماته الصدغ لما التوى
واعينه كعيون الحسان * تغازلنا عند ذكر الهوى
كتاب ذكرنا بالفاظه * عهودا زكت بالحمى واللوى

فكأنه الروض المطرد الانهار والدوح المدبج الازهار

رأينا به روضا تدبج وشيه * اذا جاد من تلك الايادي غمائم
به ألفات كالغصون وقد علا * عليها من الهمز المطل حمائم

وقد سقيت بانهار البراعة السلسالة حدائق حلت بها غانية تلك الرسالة تشفي صبها بالزيارة وتشرف بدنوها دياره

زارت الصب في ليال من البعد فلما دنت رأى الصبح يلمح
فلدت بالعقيان جيد بيان * ليس فيه للفتح من بعده لمح

الز

عند قبر أبيه يعقوب في مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان في عصره (أيوب) النبي صلى الله عليه وسلم وهو ايوب بن موص ابن رزاح بن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك في بلاد الشام من اردن حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله في نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من اخباره في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التي اغتسل منها في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذي كان ياوي اليه في حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة في ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشا بن يوسف ابن يعقوب نبي قبل موسى ابن عمران وانه هو الذي طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابور بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض اهل الكتب ان الخضر هو خضرون بن عمياثيل بن النصر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه ارسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران

فشفت

فشفت النفس من آلامها وأحييت ميت الهوى بذحييت بعذب كلامها

كلام كالجواهر حين يبدو * وكالند العنبر اذ يفوح
له فى ظاهر الالفاظ جسم * ولكن المعانى فيه روح

فصيرت لى ذلك الكتاب سميرا ووردت من السرور مشرعا نميرا وتمثلت بقول بعض من اخلص فى الود ضميرا

يا مفردا أهدى الى كتابه * جلا بخار الذهن فى اثنائها
كالدر اشرق فى سموط عقوده * وازهر والانوار غب سمائها
فافادنى جذلا وبالى كاسد * واجار نفسى من جوى برحائها
وحسبت ايام الشباب رجعن لى * ولبست حلى جمالها وبهائها
لا يعدم الاخوان منك محاسنا * كل المفاخر فذرة من سائها

فاكرم به من كتاب جاء من السرى العلى والماجد الاخ الولى

فضضت ختامه فتبدت لى * معانيه عن الخبر الجلى
وكان ألذ فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وأعرب عن اعتماد متماد ووداد مرداد وأطاب حين أطال وادى دين الفصاحة دون مطال واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحدق المراض * وأتى من اصول البراعة ببراهين ابن شاهين التى لاخلف فيها ولا اعتراض وروينا من نبث امامه المتون وروينا عنه مسند احمد حسن الاسانيد والمتون وحننا الى العود والرجوع وكان اجدى من الماء الزلال لذى ظما والمشتهى من الطعام لذى سغب وجوع

واشهى فى القلوب من الامانى * واحلى فى العيون من الهجوع

بنوره ظلام استيحاشى وحشر الى اشتات المسرات دون ان يحاشى ووجدنى بهشغوب واشغال اشربت القلب الكسل واللغوب وحيرت الخواطر وصيرت الاقلام غير مواطر فزحزح عنى الغموم وسلانى واولانى شكر الله صنيعه رات ما اولانى

حديث او حديث عنه يطربنى * هذا اذا غاب او هذا اذا حضرا
كلاهما حسن عندى أسر به * لكن احلاهما ما وافق النظرا

وقال آخر

لست مستأنسا بشئ اذا غبت سوى ذكرك الذى لا يغيب
أنت دون الجلاس عندى وان كنت بعيدا فالانس منك قريب

وضمنت فيه لما ورد مع جملة كتب من تلك الناحية وأنوار أهلها ذوى الفضائل الشهيرة أطهر من شمس الظهيرة فى السماء الصاحية

قلت لما أتت من الشام كتب * من أجلاء نورهم يتألق
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن جلق

ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر فى زمن فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبى نمير بن الهلواس بن ليث بن هران ابن عمرو بن عملاق وهو الرابع من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد استرقوا بعد مضى يوسف واشتد عليهم البلاء واخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان مولودا سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر امورا عظيمة فجزع لذلك فرعون وامر بذبح الاطفال وكان من امر موسى ما اوحى الله عز وجل الى امه فى امره أن اقذفيه فى التابوت فى اليم الى آخر ما اقتص من خبره واوحيه على انه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويت بن رعويل بن مر ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من اهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبى صلى الله عليه وسلم وكان من امره معه وتزويجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده باخيه (هرون) وبعثهما الى فرعون فخالفهما فاغرق الله عز وجل فرعون وامره الله عز وجل بالخروج ببنى اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة الف

وقت أيضا

ذلت لما وافت من الشام كتب * والليالي تتيح قربا وبعدا
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن سعدى

وكان من فصول هذا الكتاب الوارد من المولى الشاهيني الذي اقتنص بفضله كل شارد مانصه ومما استخلص قلبي من يدي ترحي وجدد سروري ونبه فرحي حديث الكتاب وما حديث الكتاب حديث نسخ بحلاوته مرارة العتاب وأنساني حرارة المصاب في الاسال والاحتساب ونضى به من حق لسان الدين دينه الذي تبرع به غريم ملىء من البلاغة وهو غير مدين حتى كأني ياسيدي بهذه البشرى أحرزت سواري كسرى وكان في سمعي كل حرف البها منسوب قميص يوسف في أجفان يعقوب وحتى كدت أهجر اهلي وبيتي وأسرج لاستقبال هذه البشرى أشهبي وكميتي وحتى انني حاربت نومي وقومي وعزمت على ان أرحل ناقتي في وقتي ويومي وان ذلك التغليس والتهجير في جنب ما بشرت به لحقير وان موقعها لدى هذا العبد الحقير لخطير وقد كنت سألت شيخي حين ورد دمشق الشام وانتشر به الخير والشام وشرفني فعرفني وشاهدني فعاهدني على ان يجري مادار بيننا لدى المحاورة من المسامرة والمحاورة في ديباجة ذلك الكتاب الذي فتن العقول خبره وسحر الالباب وماقصدت الا أن يجري اسمي على قلمه ويرقم رسمي في مطاوي تحريره ورقمه ويكون ذكري مختلطا بذكره كما أن سري مرتبط في المحبة بسره فرأيت شيخي لم يتعد في أثناء هذه البشرى لما فهمني بالذكرى لانتظر النجاح في الاخرى ولم يساعدني على ذلك الملتمس وحبس عنان القلم فاحتبس فانكسرت سورة سروري بفتوري وتبين لنفسي عن بلوغ ذلك الامل تخلفي وقصوري انتهى

قال) بعد كلام طويل لم نذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض ما صورته

وحسبت أن سيدي وحاشاه نسي من ابس نساه وتنفث به النفوس لامورتكون وقد يسعى وشيخي أن يهدي لديباجة طبق الاخرى على ذلك الا ان ذلك أن خطه هو الروضة الغنا لا بل جنة المأوى فطوبى لنفسي ان جنت ثمر ولعمر شيخي اني بذلك لجدير واني كنت أملك به الخورنق والسدير انتهى بالغرض من ذلك الرقيم الذي شكل منطقه غير عقيم سلك الله تعالى بي وبمن وجهها المستقيم وأتى في المكتوب بانواع من البلاغه مما تركت ذكره هنا لعدم تعلقه بهذا الامر الخاص الذي يسر الكارع الادب مساغه وختمه بقصيدة نفيسة من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد وأشهد انه قد حاز فيها قصب السبق والمجد وما دلت الا بالذي علمت سعد* وهذه صورتها

ياسيدا أفديه بالاكثر * من أصغر العالم والاكبر
وياوحيدا قل ولي له * عطارد أنت مع المشترى
ويامجيدا ليس عندي له * الامقال المادح المكثر
أقسمت بالبيت العتيق الذي * حجت اليه الناس والمشعر

بالغ دون من لبس بمالغ وكانت الالواح التي انزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرذ اخضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل رأى قوما من بني اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فازعج فسقطت الالواح من يده فتكسر جمعها واودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله في الهيكل وكان هرون كاهنا وهو قيم الهيكل وانه الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو في التيه وبعض اليهود ... قحطان ... الشراء ... وخبره مشهور في معارة عادية يسمع منها في بعض الليالي دوي عظيم يخرج منه كل ذي روح وقيل انه قبره مدفون بل هو موضع في تلك المغارة وهذا الموضع ... كتبنا اخبار الزمان من الامم الماضيه واتمام الدائرة ومن وصل الى هذا الموضع علم ما وصفنا وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة اشهر وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائه وعشرين وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشام وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعربانيين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرهم

ماللعلا

مالعلا والعلم الا ابو العباس شيخي أحمد المقري
ذاك الذي أثرني منه بالعلم الذي للغير لم يؤثر
وخصني منه بأشياء لم * يفز بها غيري ولم يعثر
فرحت بعد اذا وفاءله * معترفا بالرق لا امترى
فيا أبا العباس يا من غدا * أعظم في نفسي من معشري
ومن اذا ما غاب عن ناظري * كان بسر القلب كالمحضر
هات أفدني سيدي عن علا المولى لسان الدين ذاك السري
ذاك الوحيد الفذ في عصره * بل أوحد الادهر والاعصر
ذاك الذي أخبرني سيدي * عنه مرارا بعد لم تحصر
ذاك الذي أعرف لا يعتلي * الى معاليه ولا يجتري
ماقد وعدت العبد في جمعه * من خبر عن فضله مسفر
بخطك الوضاح وهو الذي * مخبره يربي على المنظر
والشئ لا يرجى اذا ما غدا * منظره يربي على المخبر
نقش على طرس بياض كما * لاحت عيون أرشا الاحور
وأسطر قد سلسلت مثل ما * لاح عذار الشادن الاحور
ونزهة الانفس معنى غدا * ما بينها ينساب كالكوثر
عذب رقيق مثل ظبي غدا * يلوح طاوي الكشح أو جؤذر
آثار أقلامك وهي التي * أغنت عن الابيض والاسمر
براعك الجامع راو غدا * يروي اللآلي عن لفظك الجوهري
بنثر مسك تارة ناظما * وينظم الجوهر بالعنبر
هذا ابن شاهين الفتى أحمد * عن ذكرك المأنوس لم يفتر
فاجعل له ذكرا كريما به * يردان مغبوطا الى المحشر
واذكر بيوتاتي وكل الذي * كتبته حولك في دفتري
أنت جدير بمديحي فكن * ذاكر عبد بالوفا أجدر
وها كها سيارة أنفقت * على جواد كان للبحتري
طرف كريم سابق صافن * مذهب ذي أدب اوفر
ورثته منه ولكنما * من شاعر راو الى أشعر
ما للفتى الطائي شوط امرئ * يعطاد نسر الجو بالمنسر
واسلم لعبد لا يرى سيدا * سوى الذي في ثوبك الاطهر
في كرم العنصر فرد اغدا * طبعك فاشكر كرم العنصر
ماحن مشتاق أخو صبوة * الى خليل في الهوى ممكر
انتهت

فلما وصلني هذا الخطاب الذي ملأ من الفصاحة الوطاب وحلي في عيني وقلبي وطاب تحركت دواعي الوجد لذلك المجد الذي ولعت به ولوع ابن الدمينة بصبا نجد وأثار من

من الطوائف على حسب ما في التوراة وانزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم انزل الله عليه التوراة بالعبرانية وفيها الامر والنهي والترهيب والترغيب والسنن والاحكام وذلك في خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من سبعمائة الف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا واوصى الى الكاهن بعد هرون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم تحدث لموسى ولا لهرون شئ من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببني اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت له معهم وقائع وافتتح بلاد اريحاء من أرض الغور وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الاردن وبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كقولي وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب

المبام والاوار مابزيد على ماحصل للمرزدق لما فارق النوار وتضاعف الشوق الى تلك الانجاد والاغوار منشدا قول الاول لعل أبى المغوار وتذكرت والذكرى شجون واطوار تلك الاضواء والانوار المشرفة بقطر أزهر بالمحاسن وجرى نهره غير آسن فلم يذمم فيه الجوار

وان اصطبارى عن معاهد جلق * غريب فما أجفى الفراق واجفانى
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت بها من شدة الشوق أجفانى

وحصل التصميم على التكميل للتاليف والتتميم رعيا لهذا الولى الحميم أفاض الله تعالى عليه غيث البر العميم وأبقى ظل عزه ممدودا وحلى سودده مودودا وأناله من الخيرات ما ليس محصورا ولا معدودا وجمعنى واياه واطلع لى بشر محياه وانشقنى عرف اجتماعه ورياه وكيف لا أستديم أمد بقياه وأعتقد البشائر فى لقياه واسقى غروس الود بسقياه وهو الصدر الذى أصفى لى الوداد والركن الذى لى بثبوته اعتماد واعتداد

فعليه من مصفى هواه تحية * كالمسك لما فض عنه ختام
تترى بساحته السنية ما دعت * فوق الغصون هديلهن حمام

ودامت فضائله طاهرة كالشمس محروسة بالسبع المثانى معوذة بالخمس

ولا انفك ما يرجوه أقرب من غد * ولا زال ما يخشاه أبعد من أمس

وبقى من العناية فى حرم أمين آمين * (ولما) حصل لى كمال الاغتباط بما دل على صحة حال الارتباط نشر بساط الانبساط وحدثت لى قوة النشاط وانقشعت عنى سحائب الكسل وانجابت وناديت فكرى فلبت مع ضعفها وأجابت فاقتدحت من القريحة زندا كان شحاحا وجمعت من مقيدانى حسانا وصحاحا وكنت كتبت شطره وتيسر هامشه وسطره ورقت من انباء لسان الدين بن الخطيب حللا لا تخلق جدتها وسلكت من التعريف به رحمه الله مهامه تكل فيها واسعات الخطا وتقصر بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الاندلس جملة ومن كان يعتضد به الاسلام وينصر ومفاخرها الباسقة ومآثر أهلها المتناسقة لان كل ذلك لا يستوفيه القلم ولا يحصر من النظم والنثر بنبذة توضح للطالب سبله وتنهر له ونبله وتترع كاس محاسنه المذاكرة واناؤه حتى يرى حسن هذا التاليف ابناء هذا التصنيف وادباؤه فى المغرب وظلال الشباب ضافية وسماء الافكار من نزع الاكدار صافية معنيا بالفحص عن أنباء أبناء الاندلس واخبار اهلها التى تنشرح لها الصدور والانفس وما لهم من السبق فى ميدان العلوم والتقدم فى جهاد العدو الظلوم ومحاسن بلادهم ومواطن جدالهم وجلادهم حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الافاضل الاخاير وانتقيت جواهر فرائدها للعقول بواهر واقتطفت ازاهر انجمها فى افق المحاضرة زواهر وحصلت فوائد بواطن وظواهر طالما كانت اعين الالباء لنيلها سواهر وجمعت من ذلك كتبا عالية لو خاطب بها الداعى صم الجلامد لانبجس حجرها وحكما غالية لو عامل بها الايام ربح متجرها واسجاعا تستنزل الاعصاف ومواعظ يعمل بمقتضاها من حفت به الالطاف وقوافى موقورة

نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها متميزا عن مائها فيغوص فى وسطها وهو نهر عظيم فلا يدرى اين غاص من غيران يزيد من البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة اعنى المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد اتينا على ذلك فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا اخبار الاحجار التى تخرج منها على صورة الصنج على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودى وذكرنا العلاسفة واستعمله فى الناس لما به وجع الحصاة فى المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة تخرج الغبار المعروف بالحمرة وليس فى الدنيا والله اعلم بحيرة لا يتكون فيها دوروح من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة وكبتها ببلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة وهى المعروفة بكبودان وقد ذكر الناس ممن تقدم تعذر عدم تكون الحيوان فى البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كبودان ويأتى على قياس قولهم ان تكون علتهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشام

القوادم والخوافي يثني عليها من سلم من الغباوة والصمم ويعترف ببراعتها من لا يعتريه الالم وطالما اعرض الجاهل الغمر بوجهه عن مثله واشاح واتصلت لها الحرا صات السوار بجرس الحلي ونغم الوشاح وترجا ان ظفر بشئ منها فرح الصائد بالقنيص والسارى العارى ذي البطن الخميص بالزاد والقميص وتركت الجمع بالمعرب ولم استصحب معى منه ما يبين عن المقصود ويعرب الانزر اليسير اعلى بحفظي وحليت بجواهره جيد الفكر وبعض اوراق سعد في جواب السؤال بها حظي ولو حضرني الآن بحلقته ما جمعت في ذلك الغرض والفته لقرت به عيون وسرت الباب اذ هو والله الغاية في هذا الباب ولكن المرء ابن وقته وساعته وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته وعذري مثلي باد للمنصفين من العباد ان قصرت فيما تبصرت أو تخلفت في الذي تكلفت أو اتعبت تحريره أو نعت والتقمت ثدي التقصير ورضعت أو اطعت داعي التواني فتأخرت عمن سبق وانقطعت ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ومن كانت بضاعته مزجاة فهو من الانصاف بنجاة اذا اتى بالمقدور وتبرأ من الدعوى في الورود والصدور وعين الرضا عن كل عيب كليلة والسلامة من الملامة متعذرة او قليلة وقد قال امامنا مالك صاحب المذهب الجليل كل كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ازكى صلاة واتم سلام وشفيع عباده من الآلام تلونا بها البلية وجعلنا ممن كان اتباع سنته رائده ودليله آمين والحمد لله الذي يسر لي هذا القدر مع ضيق الصدر وتلاطم التي وكثرة اشغالي فان حمده جل جلاله تتضوع به المطالب طيبا ويغدي ببركته المآرب فيرتقي صاحبها على منبر القبول خطيبا وتعذب به المشارب فتنبت في ارض القرطاس من زاكي الغراس ما يروق يراه ويورق غصنا رطيبا وقد اتيت من المقال بما يقر ان شاء الله العين ومن قال وان كنت ممن هو في ثوب الحي رافل وعن نسبته للقصور غير غافل ومن نفس هدفا وصيرمكان الدر صدفا اذ لسان الدين بن الخطيب امام هذه الفنون وحاوي الآمال الفنون المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون وله اليد الطولى في اختلاف اجناسها والالفاظ الرائقة التي تزيح وحشة الانفس بايناسها

ناهيك من فرد انيم مدح ... رحب الذراع الكلام محمد
بهر الانام رياسة وسياسة ... وجلالة في المنتمى والمحتد
واتى بكل بديعة في نوعها ... لم تخترع وغريبة لم تعهد
ما شئت من شعر ارق من الصبا ... وكتابة ارهى من الزهر الندي
وبديع قرطاس توشح متنه ... بمنمنم من رقمه ومنجد
بهج كأن الحسن حل اديمه ... فكساه ريعان الشباب الاغيد
كالبرد في توشيعه والسلك في ... ترصيعه والوشي نمق باليد
وكانما سال العذار بليته او ... خطته ايدي الغانيات باثمد
يختال بين موصل ومفصل ... ومطرز ومنظم ومنضد
قد قيد الابصار والافكار من ... الفاظه بمثقف ومقيد

ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدء محاربه الملك العماليق وهو السميدع بيلاد ايله نحو مدين فني ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمي
الم تران العلقمي بن هوبر ... بايلة امسى لحمه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل ... ثلاثون الفا حاسرين ودرعا
فامست عداة العماليق بعده ... على الارض مشياما صعدين وفزعا
كأن لم يكونوا بين اجبال مكة ... ولم يرداء قبل ذاك السميدعا
وكان يفسر به من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ماب بن لوط ابن هاران وكان مستجاب الدعوة فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتات له ذلك وعجز عنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون الفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام في بني اسرائيل بعد يوشع بن نون (كالب

) ابن يوفنا بن بارص بن يهوذا ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودي) ووجدت

مافيه معرز أصبح الاوفيه نتيجة لمفرع ومولد
ولكل جزء حكمة أوملحة * أو بدعة لمرسل ومقصد
أوليس مثلي قاصرا عن وصفه * والحق نور واضح للمهتدى

وكما قلت وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت المسنون وفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون

ليت شعرى أى العبارات توفى * واجب ابن الخطيب مما أروم
وأنا عاجز عن البعض منها * لقصورى وما العيي ملوم
وهو يدعى لسان دين وما يسلك افتناراته تتم الرسوم
بأى الحلى أحلى على من * نال فضلا روته عرب وروم
وعلى الغرض ما الذى أنتقى منه لدى الوصف ان يخص العموم
أالحفظ قدار توى من معين * لصواب عليه كل يحوم
أم انهم يستخرج الدر غوصا * من بحار يخشى بها من يعوم
أم انكر مؤلف فى فنون * عن دهاء به تداوى الكلوم
أم لنظم كأنه جوهر السلك غلا قدره على من يسوم
تتباهى به الصدور حليا * وتروق العيون منه نجوم
أم انثر وافى بسحر بيان * فهو كالروح والمعانى جسوم
وأظلته للبديع سماء * تتلالا فى جانبيها العلوم
فاستزادت منه النفوس رشادا * واستزانت منه النهى والحلوم
أم لخط منمنم فاق حسنا * مثل وشى تلوح منه الرقوم
أو كزهر فى بهجة ورواء * وأريج به تزاح الغموم
والغصون الاقلام والطرس روض * ناضر والمداد غيث سجوم
تلك ست أعجزن وصفى فانى * بسواها مما يجل أقوم

ولم يكن جمع علم الله هذا التأليف لرفد أستهديه أو عرض نائل أستجديه بل لحقوق ودين وعد أقدمه وأبديه ووقوف عند حد لا يجوز تعديه وتلبية داع أحييه وأعذر

ان من يرجو نوال الورى * من بنى الدنيا لذو حظ غبين
فلقد كان على غير الهدى * من يسويهم برب العالمين
ويرجى منهم الرزق فهل * خالق الكل فقير أو ضنين
أتخلى قصد رب مالك * ونرى للخلق جهلا قاصدين
مالنا من خلاص نأتى به * غير جاه المصطفى الهادى الامين
سيد الخلق العماد المرتجى * للملمات شفيع المذنبين
فعليه صلوات تنتهى * حضرة حل بها فى كل حين
والرضا من بعد عن أربعة * هم بحق أمراء المؤمنين
فهنيئا ان من يهواهم * ليكونن من أصحاب اليمين

في سنة ان السلام في بني اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون (وشان) السعرى وانه اقام فيهم ثمانين سنه وهلك وملك (عمايل) بن قاشم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان بنى اسرائيل كفرت بعد ذلك فملك الله عليهم (كنعان) عشر سنين وهلك فكان على بنى اسرائيل (علان) الاخارى أربعين سنة (ثم قام سموية) الى أن وليهم طالوت وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين (قال المسعودى) فاما على الرواية الاولى التى قدمنا ذكرها فالقائم بعده فى بنى اسرائيل والمدبر لهم فنحاص ابن العازر بن هرون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها فى خابية نحاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل بنائه وانفرجت فاذا مغارة تحتها صخرة ثابتة فوضع الخابية فيها وانضمت الصخرة على ذلك ككونها اولا ولما هلك فنحاس بن العازر دبر امرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فعبد بنى اسرائيل واخذهم البلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال بن قناز اخو كالاب من سبط يهوذا اربعين سنة ثم دبرهم عقلور ملك هاب بجهد شديد ثمانى عشرة سنة ثم دبرهم اهود من ولد افرايم

وسط

وسط جنات تحييه بها * آنسات قاصرات الطرف عين

بقوارير لجين شربه * وأباريق وكاس من معين

والذي شرفهم يمنحنا * حبهم والكون معهم اجمعين

فدونك ايها الناظر في هذا الكتاب المتجافي عن مذهب النقد والعتاب كلمات سوانح اختلستها مع اشتغال الجوانح وتمادي الامور الموانع واللوائح والمطالب البوارح اقتنصت بين اشتغال الجوارح وطرقا أعملت الطرف في مرعاها وكانت هملا غير سوارح ونحوها يحصل بها للناظر الامتاع ولا يعدها من سقط المتاع المداع ويلمع منها المرتاح ويستأنس المستوحش المرتاع

وبعد ان تم تمام هذا التصنيف وامعنت النظر فيما يحصل به التقريظ لسامعه والتشنيف قسمته قسمين وكل منهما مستقل بالمطلوب فجعلت لهما اسمين

(القسم الاول) * فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المرصعة الاكواب والانباء المنتحية صوب الصواب الرافلة من الادلة في سوابغ الاثواب وهو بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في بعض المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول) في وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها واشتمالها على كثير من المنافع والمحاسن واحتوائها وكرم نباتها الذي سقته سماء البركات من جذاتها بنافع انوائها وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من اضوائها

(الباب الثاني) في القاء بلاد الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحال الارتياد والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازدياده ازدياد ونبأ وصل اليه اعتنام وتفرد عنه اعتماد

(الباب الثالث) في سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامي العماد والقهر للعدو والحرب والتحرك للهدنة البالغ غايته الآماد واعمال اهلها للجهاد بالجد والاجتهاد في الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المنتضاة من الاغماد

(الباب الرابع) في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموي ذي البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرتي الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من امور تقضي بحسن ايرادها القرائح الوقادة والافكار الماهرة

(الباب الخامس) في التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العرار والبشام ومدح جماعة من اولئك الاعلام ذوي الالباب الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وارباب بيانها ذوي السودد والاحتشام ومخاطباتهم للمؤلف المقتبسين حلها عام سبعة وثلاثين والف وشاهد برق فضلها المبين وشام

(الباب السادس) في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق المهتدين في

خمسا وعشرين سنة وخمس وثلاثين سنة خلت من ايامه ثم للعالم اربعة آلاف سنة ٩٥ وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن اهو خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم يابين الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا وقيل انها ابنته وضمت اليها رجلا من سبط نفتالي يقال له بازاق اربعين سنة يدبرانهم ثم رؤساء بني اسرائيل وهم غريب وزيب وبرسونا ودارع وصلماع تسع سنين وثلاثة اشهر ثم دبرهم كدعون من آل منشا اربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه ابيماخ ثلاث سنين وثلاثة اشهر ثم تولع من آل فرايم ثلاثا وعشرين سنة ثم سابه من من آل منشا اثنين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثماني عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم يفتحون من سبط لحم ست سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين اربعين سنة ثم عالي الكاهن بعد ذلك اربعين سنة وفي زمانه ظفر البابليون ببني اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون فنجى منهم ثلاثة أسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة

قصدها اليها بنور الهداية المهتدي المشرق والاكابر الذين حلوا منها بحلولهم فيها الجيد والمفرق وافتخروا برؤية قطرها المونق لدى المشئم والمعرق

(الباب السابع) في نبذة مما من الله تعالى به على اهل الاندلس من توقد الاذهان و بذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ماعز وهان وحوزهم في ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم واوصافهم المؤذنة بالمعيتهم وغير ذلك من احوالهم التي لها على فضلهم اوضح برهان

(الباب الثامن) في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه المكايد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بكيده واستعماله في امرها حيل فكره حتى استولى دمره الله عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستغاثة من بها بالنظم والنثر اهل ذلك العصر من سائر الاقطار حين تعذرت بحصارها مع ذلك حمايتها وانتصارها المآرب والاوطار وجلاها لاسداء من حلها ومن بين يديها اعادها الله تعالى اليها كلمة الاسلام واقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حواليها آمين ولم اخل بابا في هذا القسم من كلام للسان الدين بن الخطيب وان قل مع ان القسم الثاني بذلك كما ستقف عليه قد استقل وهذا آخر ما تعلق بالقسم الاول وعلى الله سبحانه المتكل والمعول

(القسم الثاني) في التعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر انبائه التي يروق سماعها ويترجح نفحها ويطيب وما يناسب ذلك من احوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد وفيه ايضا من الابواب ثمانية موصلة الى جنات ادب قطوفها دانية وكل غصن منها رطيب

(الباب الاول) في ذكر أولية لسان الدين وذكر اسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع اخلافه ومايناسب ذلك مما لا يذهب المنصف الى خلافه

(الباب الثاني) في نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه المجن على عادته في مصافاته ومنافاته وارتباكه في شباكه ومالقي من احن الحـدى المذهب الفاسد ومحن الكائد المستاسد وآفاته وذكر نصوص من احواله وغير من احواله في تقلباته عندما قابله الزمان باهواله في بدئه واعادته الى وفاته

(الباب الثالث) في ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم الملة ومايتصل بذلك من الاخبار الشافية للعلة والمواعظ المنجية من الاهواء المضلة والمناسبات الواضحة البراهين والادلة

(الباب الرابع) في مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العلية وثناء غير واحد من اهل عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم انوار رياسته الجلية

(الباب الخامس) في ايراد جملة من نثره الذي عبق اريج البلاغة من نفحاته ونظمه الذي بالى نور البراعة من لحنه وصفحاته ومايتصل بذلك من بعض أزجاله وموشحاته

من جزائر البحر وكان ثم خبر طويل حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا الحزقيل هل رايت قوما اصابهم ما اصابنا قال لاولا سمعنا بقوم فروا من الله فرار كم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة ايام فتواعوا آخرهم ودبر بني اسرائيل بعد غلام الكاهن شمويل بن بروحا ابن ماحور اوني فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح امرهم ثم خلطوا بعد ذلك فيعث اليهم شمويل ابعث لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو ساود بن شر بن ابنال بن طرود بن بحرون بن أذحي بن سمبداح بن فالح بن بنيامين ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر الى ان ملك على بني اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم واخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية

ومناسبات

ومه‍سبات وائنه من فنون الادب ومصطلحاته

(الباب السادس) فى مصنفاته فى الفنون ومؤلفاته المحققة للوقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

(الباب السابع) فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج المتلقين انواع العلوم منه والمقتبسين انوار الفهوم من سراجه الوهاج

(الباب الثامن) فى ذكر اولاده الراقين فى حلل الجلالة المقتفين اوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العلم والحلم والرياسة والمجد عن غير كلالة ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا ثنيا المنقذة من أنواع الضلالة وما يتبع ذلك من المناسبات القوية والامداح النبوية التى لها على حسن الختام اظهر دلالة (وقد كنت) ولا سميته بعرف الطيب فى التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وسمته حين ألحقت اخبار الاندلس به (بنفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وله بالشام تعلق من وجوه عديدة هادية لمتأمله الى الطرق السديدة أولها أن الداعى لتأليفه أهل الشام أبقى الله مآثرهم وجعلها على مر الزمان مديدة ثانيها أن الفاتحين للاندلس هم أهل الشام ذو النجدة والشوكة الحديدة ثالثها أن غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطنا مستأنفا وحضرة جديدة ورابعها أن غرناطة نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها لشبهها بها فى القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء وهذه مناسبة قوية العرا شديدة * هذا وانى أسأل ممن وقف عليه أن ينظر بعين الاغضاء اليه كما أطلب ممن كان السبب فى تصنيفه والداعى الى تأليفه وترصيفه استنادا لركن الثقة واعتمادا على الود والمقة ان يصغى لما رواه بأصوره ويسمع ويلاحظه بعين الرضا الكليلة ويلمع اذ ركبت شكل منطقه مغالبة وقضية الغربة موجبة للكربة وبعض الآمال سالبة وهو على كل الغرض فلا يخلو من فائدة وقد يستدل على الجوهر بالعرض فان أديت بذلك المرام الذى أرتضيه ويوجب الود ويقتضيه والا فحسبى أن بذلت فيه جهدى من وجدى على قدر ما عندى وقد توهمت أنى لم أسبق الى مثله فى بابه اذ لم أقف على نظير أتعلق باسبابه ورجوت أن يكون هدية مستملحة مستعذبة وطرفة مقبولة مستغربة

هديتى تقصر عن همتى * وهمتى أكثر من مالى
وخالص الود ومحض الاخا * اكثر ما يهدى امثالى

وأوردت فيه من نظم وانشاء ما يكفى المقتصر عليه ان شاء ومن اخبار ملوك ورؤساء وطبقات ممن احسن او اساء ما فيه اعتبار للمتأمل وادكار للراحل المتحمل وزينة للذاكر المتجمل وتنكيت على أهل البطر وتبكيت لمن خرج من دنياه ولم يقض من الطاعة اوطر

ارى اولاد آدم ابطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم منى * اذا نسبوا وآخرهم منيه

ثما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين فتجمعوا عند النهر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بنى اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس من البربر وجالوت بن بابول بن ريال بن حطال بن فارس فنزل بساحة بنى اسرائيل فامر شمويل طالوت بالمسير ببنى اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك فى كتابه وأمروا ان لا يشربوا من النهر فولغ فيه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان فى مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عز وجل بذلك فى كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذى كان فى مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهى التى قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا فى الماء

وفيه ايقاظ لمتلى من سنة الغفلة وحث على عدم الاغترار بالمهلة وتنبيه للابس برد الشباب المشيب انه لابد من حادث الموت قبل أو بعد المشيب

لله در الشيب من واعظ * وناصح منهاجه واضح

كل امرئ يحجبه شانه * وحادث الدهر له فاضح

وكم باك على عصر الشباب وشاك اعراق عهد الاتراب والاحباب أنساه طارق الزمان ميّ والرباب

مضى عصر الشباب كلمح برق * وعصر الشيب ما الا كدار شيبا

وما اعددت قبل الموت زادا * ليوم يجعل الولدان شيبا

وما احسن دون بعض الاعلام

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كاضغاث احلام

ويقول من ارشد سفيها

انما هذه الحياة متاع * فالجهول الجهول من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى انت فيها

وفي معناه لغيره

دنياك شيآن فانظر * ماذانك الشيآن

ما فات منها فحلم * وما بقى فامانى

وما احكم قول ابن حطان مع وقوعه من البدعة فى أشطان

يا بعض المرء على ما فاته * من لبانات اذا لم يقضها

وتراه ضاحكا مستبشرا * بالذى امضى كأن لم يمضها

انها عندى كاحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها

ولغيره

والله لو كانت الدنيا باجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا

ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

وللآخر

لاحظ فى الدنيا لمستبصر * يلمحها بالفكرة الباصره

ان كدرت مشربه ملها * وان صفت كدرت الآخره

ويعجبنى قول الوزير ابن المغربى

انى ابثك من حديثى والحديث له شجون

فارقت موضع مرقدى * ليلا ففارقنى السكون

قل لى فاول ليلة * للقبر كيف ترى اكون

وقول مامية

تامل فى الوجود بعين فكر * ترى الدنيا الدنية كالخيال

ومن فيها جميعا سوف يفنى * ويبقى وجه ربك ذو الجلال

وخافوا ان يأمروا به كان القاتل لهم طالوت وقد انبأهم على خبر الدرع التى كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من حروب وخبر [illegible] الحروب [illegible] وخبر [illegible] قد أتينا على ذكره في أخبار الرسل [illegible] بعد [illegible] من [illegible] في الاسلام في موضع اللائق به من هذا الكتاب (ورفع الله ذكر داود) واخمل ذكر طالوت ورأى طالوت ان بنى [illegible] داود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه بنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك [illegible] الله [illegible] من ذلك [illegible] في [illegible] وامر داود فبات طالوت على سرير ملكه مات من [illegible] كمدا وانقادت بنو اسرائيل الى داود عليه السلام وكان ملك طالوت عشرين سنة وذكر ان الموضع الذى قتل فيه جالوت بيسان من أرض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل موآب من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة

وقول بعض العارفين

استعدي يا نفس للموت واسعي * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت انه ليس للحي خلود ومامن الموت بد
انما أنت مستعيرة ماسو * ف تردين والعواري ترد
أنت تسهين والحوادث لاتسـ * ـهو وتلهين والمنايا تجد
أي ملك في الارض أو أي حظ * لامرئ حظه من الارض لحد
لاترجي البقاء في معدن المو * ت ودار حتوفها لك ورد
كيف يرجو امرؤ لذاذة أيا * م عليه الانفاس فيها تعد

وأسال من مبلغ السائلين مايرجون أن يصفح عن زلاتي ويسامحني فيما أوردت في هذا الكتاب من الهزل والمجون الذي جرت المناسبة اليه والحديث شجون وما القصد منه الا ترويح قلوب الذين يسوقون عيس الاسمار ويزجون وفيما أوردت من المواعظ والمصالح وحكايات الاولياء الذين طيب زهر مناقبهم فائح والتوسل بمحاسن الامداح النبوية أن يستر بفضله سبحانه القبائح ويرينا وجه القبول بلا كتام ويمنحنا الزلفى وحسن الختام ومن يتوسل بالنبي محمد شفيع البرايا السيد السند الاسنى فذلك جدير أن يكفر ذنبه ويمنح نيل القصد والختم بالحسنى وهذا أوان الشروع في الاصول من هذا الكتاب والفروع وعلى الله سبحانه أعتمد ومن معونته استمد

(القسم الاول)

فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المترعة الاكواب والانباء المنتجعة صوب الصواب النازلة من الافادة في سوابغ الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في ذلك من المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول)

في وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بنافع أنوائها وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من أضوائها فأقول محاسن الاندلس لاتستوفى بعبارة ومجاري فضلها لايشق غباره وأني تجاري وهي الحائزة قصب السبق في أقطار الغرب والشرق (قال ابن سعيد) انما سميت بالاندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما ان اخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها واليه تنسب سبتة (قال) وأهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لانهم اما عرب اومتعربون انتهى (وقال ابن غالب) انه اندلس بن يافث والله تعالى أعلم (وقال الوزير) لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له اجرى فيه ذكر البلاد الاندلسية أعادها الله تعالى للاسلام ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ماخص الله تعالى بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة

سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث مايكون مع بختنصر ومايكون من أمره في المستقبل وثلث مايلقون من أهل أثور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة داود وبنى داود بيتا للعبادة باورشليم وهي بيت المقدس وهو البيت الباقي لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ويدعى بمحراب داود عليه السلام وليس في بيت المقدس اعلى منه في هذا الوقت وقد يرى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المتقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ماقص الله عز وجل في كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس في خطيئة داود فمنهم من رأى ماوصفنا ونفى عن الانبياء المعاصي وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ماذكرنا وذلك قوله عز وجل ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية أوريا بن حنان ومقتله على ماذكرنا في كتاب المبتدا والخبر وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها صائما باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة وتسعا

الناس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الانسان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن والاعتمار بما حرمه الكثير من الاقاليم سواها انتهى (قال أبو عامر السالمي) في كتابه المسمى بدرر القلائد وغرر الفوائد الاندلس من الاقليم الشامي وهو خير الاقاليم وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماء وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا وهو أوسط الاقاليم وخير الامور أوساطها انتهى (قال ابو عبيد البكري) الاندلس شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذكائها اهوازية في عظم جباياتها صينية في جواهر معادنها عدنية في منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالاندلس هرقلس وله الاثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والاثر في مدينة طركونة الذي لا نظير له (قال المسعودي) بلاد الاندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى باختصار ونحوه لابن اليسع اذ قال طولها من اربونة الى اشبونة وهو قطع ستين يوما للفارس المجد وانتقد بأمرين أحدهما أنه يقتضي أن اربونة داخلة في جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثاني ان قوله ستين يوما للفارس المجد اعياء وافراط وقد قال جماعة انها شهر ونصف (قال ابن سعيد) وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجد والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال الحجاري وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة أفضى الى نحو شهر بنيف قليل (قال الحجاري) في موضع من كتابه ان طول الاندلس من الحاجز الى اشبونة الف ميل ونيف اه وبالجملة فقد زاد الغريب من غير مناقشة كما قاله ابن سعيد واطال في ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة الحاجز الذي بين بحر الزقاق والبحر المحيط اربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند راسها من جهة الشرق ولقلته سميت جزيرة والا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس في موسطها عند طليطلة ستة عشر يوما واتفقوا على ان جزيرة الاندلس مثلثة الشكل واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في اربونة فممن قال انه في اربونة وان هذه المدينة تقابلها مدينة برديل التي في الركن الشمالي احمد بن محمد الرازي وابن حيان وفي كلام غيرهما انه في جهة اربونة وحقق ذلك الشريف وهو اعرف بتلك الجهة لتردده في الاسفار برا وبحرا اليها وتفرغه لهذا الفن (قال ابن سعيد) وسالت جماعة من علماء هذا الشان فاخبروني أن الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبرشلونة غير داخلتين في ارض الاندلس وان الركن الموفي على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطركونة في موضع يعرف بوادي زنلقطو وهنالك الحاجز الذي يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة وفي هذا المكان جبل البرت الفاصل في الحاجز المذكور وفيه الابواب التي فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخل ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق في البر وذكر الشريف أن هذه الابواب يقع في مقابلتها بحر الزقاق البحر الذي بين جزيرتي ميورقة ومنورقة وقد اخبر بذلك

سليمان بن داود عليه السلام وبرع وداخل أباه في قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عزوجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ابنه سليمان وقبض وكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين الفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب باس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة في عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء بن مربد بن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن جسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا من الله عزوجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا في الارض مظهرا الحكمة والزهد في هذا العالم الى ايام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكمة وعم عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله عزوجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القمامة وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس

جمهور المسافرين لتلك الناحية ومسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي والركن الشمالي أربعون ميلا قال وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل وهي من مدن الافرنجة مطلة على البحر المحيط في شمال الاندلس ولو يقع ذلك البر بعد هذا الركن الى الشمال في بلاد الافرنجة ولهم به جزائر كثيرة وذكر أن الركن الشمالي عند شنت ياقوه من ساحل الجلالقة في شمال الاندلس حيث تبتدئ جزيرة برطانية الكبيرة وهنالك بحر داخل بين أرضين من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط آويا الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل (وذكر الشريف) أن عند شنت ياقوه في هذا الركن المذكور على جبل بمجمع البحرين صنما مشبها بصنم قادس والركن الثالث شرقيه من جبل الاغر حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل من غربيه مع جنوبيه بحر الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الاندلس الجنوبي الى جبل الفتح المذكور انتهى والكلام في مثل هذا طويل الذيل *(قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي) بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجناب منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام ذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وسطة من الحال لا يتولد في أحدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص تتصل فواكهه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكوره وأما الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمره فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كل الاحيان وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل أوان وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره منها أن المحلب وهو المقدم في الأفاويه والمفضل في أنواع الاشنان لا ينبت بشيء من الارض الا بالهند والاندلس وللاندلس المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة ولها البر والبحر والسهل والوعر وشكلها مثلث وهي معتمدة على ثلاثة أركان الاول الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسط الشامي الذي يقبلي الاندلس والركن الثاني هو بشرقي الاندلس بين مدينة أربونة ومدينة برديل بأيدي الفرنجة اليوم بإزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة التي ببلاد افرنجة ومسافة ما بين البحرين مسيرة يومين ومدينة أربونة تقابل البحر المحيط والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفي على البحر وفيها الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية قال والاندلس اندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان انهارها أندلس غربي وأندلس شرقي فالغربي منهما ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربي ويمطر بالرياح الغربية ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف الى بلد شنتمرية طالعا الى حوز اغريطة المجاورة لطليطلة مائلا الى الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة

منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويروون أن فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

(ذكر مالك بن رحبعم ابن سليمان بن داود عليهما السلام ومن ملك من بني اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء)

وملك على بني اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحبعم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الا سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان ملكه الى أن هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة اسباط (نورهم) وكانت له كرائس وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عز وجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (نودم) فاظهر عبادة الاصنام والتماثيل وكان ملكه سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان) فبذلت السيف في ولد داود عليه السلام فلم ينج منهم الا غلام

فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعله فقتلوه ٦٦ وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذي بقي من
نسل داود فلك وله سبع
سنين فاقام ملكا اربعين
سنة وقيل دون ذلك وملك
بعده (امليصا) وكان ملكه
اثنين وخمسين سنة وكان
في عصره (شعياء) النبي
ولشعياء عهدا حبار وكانت
الحروب قد اتينا على
ذكرها في كتاب اخبار
الزمان وملك بعده (نوف)
ابن عدل عشر سنين وقيل
ست عشرة سنة وملك بعده
(احام) فاظهر عبادة
الاصنام فطغى واظهر البغي
فصار اليه بعض ملوك بابل
وكان يقال له فلعبعس
وكان من عظماء ملوك
بابل وكانت للا مرتبى عنه
حروب الى ان اسره البابلي
وخرب مدن الاسباط
ومساكنهم وكان في ايامه
تنازع بين اليهود في الديانة
ذ بيذهم الاسامرة وانكروا
نبوة داود عليه السلام ومن
تلاه من الانبياء وابوا ان
يكون بعد موسى نبي
رجعوا الرؤساء منهم من
ولد هرون بن عمران
والاسامرة الى وقتنا هذا
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة ببلاد فلسطين
والاردن وفي قرى متفرقة
مثل القرية المعروفة بعرا
وهي بين ارمله وقيسارية
وغيرها من القرى الى مدينة نابلس واكثرهم بهذه المدينة اعني نابلس ولهم جبل يقال له طور يك وللاسامرة منهم

الحاجز الذي من البحرين ... وهو الشرقي المعروف بالاندلس الاقصى وتجرى أوديته الى الشرق وأمطاره بالريح الشرقية وهو من حد جبل البشكنس هابطاً مع وادي ابرة الى بلاد شنتمرية وما يليها من جوف هذا البحر وغربيه المحيط وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج الى بلاد الشام وهو البحر المسمى ببحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام بلاد الاندلس عند علماء أهلها اندلسان فالاندلس الشرقي منه ما صبت أوديته الى البحر الرومي المتوسط المنصب عند اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة والاندلس الغربي ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرقي منهما يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والغربي يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه وجبالها هابطة الى الغرب جبلاً بعد جبل وانما قسمته الاوائل جزءين لاختلافهما في حال أمطارهما وذلك أنه متى استحكمت الريح الغربية كثر مطر الاندلس الغربي وقحط الاندلس الشرقي ومتى استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الاندلس الشرقي وقحط الغربي وأودية هذا القسم تجري من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الغربي تمتد الى الشرق جبلاً بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة والاودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبلة وبعضها الى الشرق وتنصب كلها الى البحر المحيط بالاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومي وما كان من بلاد جوفي الاندلس من بلاد جليقية وما يليها فان اوديته تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف (وصفة الاندلس) شكل مركن على مثال الشكل المثلث ركنها الواحد فيما بين الجنوب والغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وركنها الثاني في بلاد جليقية حيث الصنم المشبه بصنم قادس مقابل جزيرة برطانية وركنها الثالث بين مدينة اربونة ومدينة برديل من بلاد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلاد الاندلس جزيرة بينهما في الحقيقة لولا أنه بقي بينهما برزخ الى بحراتو عمارة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل الى الارض الكبيرة التي وبعض الابواب ومن قبله يتصل بلاد الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة دار وجئت اختلافه قال واول من سكن بالاندلس على قديم الايام فيما نقله الاخباريون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالاندلش معجمة الشين بهم سمي المكان فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهراً على دين التمجس والاهمال والافساد في الارض ثم أخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالى القحط عليهم وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها وغارت عيونها ويبست أنهارها وبادت أشجارها فهلك أكثرهم وفر من قدر على الفرار منهم فاقفرت الاندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة وذلك من حد بلاد افرنجة الى حد بحر الغرب الاخضر وكان مدة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدة الطويلة قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففاً منهم

قوم

منهم لا محالة توالى على أهل مملكته وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم فحمل منهم خلقا في السفن
مع قائد من قبله يدعى ابطريقس فارسوا بريف الاندلس الغربي واحتلوا جزيرة قادس
فصادفوا الاندلس قد امطرت واخصبت فجرت انهارها وانفجرت عيونها وحييت اشجارها
فنزلوا الاندلس مغتبطين بها فسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسقوا واتسقت عمارة
الارض ما بين الساحل الذي أرسوا فيه بغربيها الى بلد الافرنجة من شرقها واقاموا
أنفسهم ملوكا ضبطوا أمرهم وتوالوا على اقامة دولتهم وهم مع ذلك على ديانة من قبلهم
من الجاهلية وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب اليوم من ارض اشبيلية ابتنوها لملوكهم
وسكنوها فاتسق ملكهم بالاندلس مائة وسبعة وخمسين عاما الى أن أهلكهم الله تعالى
وبعثهم بعجم رومة بعد ذلك من هؤلاء الافارقة في مدتهم ثلاث احد عشر ملكا ثم دار ملك
الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية
وذكر بعضهم ان اسمه اشبان فاحيل بلسان العجم وقيل بل كان مولده باصبهان فغلب
اسمها عليه وهو الذي بنى اشبيلية وكان اشبانية اسما خاصا بالبلد الذي كان ينزله اشبان
هذا ثم غلب الاسم بعده على الاندلس كله فالعجم الآن يسمونه اشبانية لآثار اشبان هذا
فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا الافارقة بمن معه ثم سلطه الله
عليهم في جموعه ففض عساكره وأثخن فيهم ونزل لهم بقاعدتهم طالقة وقد تحصنوا بها
منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل حصره وقتاله لهم حتى فتح الله له وملكهم
واستوثق له ملك الاندلس باسره ودان له من ثم فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها
وآلاتها الى مدينة اشبيلية فاستتم بناءها واتخذها دار مملكته واستعلت سلطته في الارض
وكثرت جموعه فعلا وعظم عتوه ثم غزا ايلياء وهي القدس الشريف من اشبيلية بعد سنتين
من ملكه خرج اليها في السفن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق
مائة ألف ونقل رخام ايلياء وآلاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتد سلطانه انتهى
(وذكر بعض المؤرخين) أن الغرائب التي اصيبت في مغانم الاندلس أيام فتحها كمائدة
سليمان عليه الصلاة والسلام التي ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة وقليلة الدر التي
ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من طرائف الذخائر انما كانت مما صار
لصاحب الاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حضر فتحها مع بختنصر وكان اسم ذلك الملك
بريان وفي سهمه وقع ذلك ومثله مما كانت الجن تأتي به نبي الله سليمان على نبينا وعليه
وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى (وقال غير واحد من المؤرخين) كان أهل
المغرب الاقصى يضرون باهل الاندلس لاتصال الارض ويلقون منهم الجهد الجهيد
في كل وقت الى أن اجتاز بهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فاحضر المهندسين وحضر
الى الزقاق فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي فوجدوا المحيط يعلو
البحر الشامي بشيء يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض
الى الاعلى ثم أمر أن يحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض فحفرت حتى ظهرت الجبال
السفلية وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيار بناء محكما وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة

الصلوات في اوقاتها ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند اوقات الصلاة وهم الذين يقرءون لامساس ويزعمون ان
نابلس هي بيت المقدس وهي
مدينة يعقوب النبي عليه
السلام وهناك مراعيه وهم
صنفان متباينان كتابيهم
الا اثرا أ يهود واحد الصنفين
يقال له الكوشان والآخر
الدستان احد الصنفين
يقول بقدم العالم وسعان
غير ذلك أعرضنا عن
ذكرها مخافة التطويل
ولان كتابنا هذا كتاب خبر
لا كتاب آراء ونحل وكان
ملك اخاب الى ان اسره الملك
الثاني سبع عشرة سنة ولما
أسر الملك اخاب وليه ولد
يقال له (حزقيل اخاب)
فاظهر عبادة الرحمن وأمر
بكسر التماثيل والاصنام
وفي مملكته سار (سنحاريب)
ملك بابل الى بيت المقدس
وكانت له حروب كثيرة مع
بني اسرائيل وقتل من
اصحابه خلق كثير ونجا
من الاسباط عددا كثيرا
وكان ملك حزقيل الى ان
هلك سبعا وعشرين سنة ثم
ملك بعد حزقيل ولد له يقال
له (ميشا) فعمر سائر
مملكته وهو الذي قتل
شعياء النبي فبعث الله
قسطنطين ملك الروم فسار
اليه في الجيوش فهزم جيشه
وأسره فاقام في ارض الروم
عشرين سنة واطلق عما كان
عليه وعاد الى ملكه فكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولد له يقال له (أمون) بن ميشا

التي كانت بين البحرين وبني رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل في البحر الشامي ثم فاض ماؤه فاغرق مدنا كثيرة وأهلك اممأ عظيمة كانت على الشطين وطفا الماء على الرصيفين احدى عشرة قامة فاما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذي من جهة العدوة فان الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الارض اثني عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز وسبتة وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف وغيرهما والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصا وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه في العدد بين لارتباط الكلام بعضه ببعض (وقال ابن سعيد) ذكر الشريف أن لاحظ لارض الاندلس في الاقليم الثالث قال ويمر بجزيرة الاندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسيه وبلنسية ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى ما في سمتها من الجزائر والشمس مدبرته * والاقليم الخامس يمر على طليطلة وسرقسطة وما في سمتهما الى بلاد أرغون التي في جنوبها برشلونة ثم يمر على رومية وبلادها ويشق بحر البنادقة ثم يمر على القسطنطينية ومدبرته الزهرة * والسادس يمر على ساحل الاندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وما قاربه وبعض البلاد الداخلة في قشتالة وبرتقال وما في سمتها وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ومدبره عطارد ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط الذي في شمال الاندلس الى جزيرة انقلطرة وغيرها من الجزائر وما في سمتها من بلاد الصقالبة وبرجان قال البيهقي وفيه تقع جزيرة تولى وجزيرتا الجبال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر انتهى (وقال بعض العلماء) ان النصارى حرموا جنة الآخرة فاعطاهم الله جنة الدنيا فانها متصلة من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عموم شجر البندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن في الاقاليم الباردة ورب عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكر بما يكون شيء من ذلك في الساحل لان البحر يدفئ انتهى (قال ابن حيان في المقتبس) ذكر رواة العجم ان الخضر عليه السلام وقف على اشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدن له ايام حراثته فقال له يا اشبان لذو شان وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان فاذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الانبياء فقال له اشبان أساخر بي رحمك الله أني يكون هذا مني وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلي ينال السلطان فقال له قد قدر ذلك فيك من قدر في عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه فاذا بها قد أورقت فريع لما رأى من الآية وذهب الخضر عنه وقد وقع الكلام بخلده ووقرت في نفسه الثقة بكونه فترك الامتهان من وقته وداخل الناس وصحب اهل الباس منهم وسما به جده فارتقى في طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما أتى على القرون قبله وكان ملكه كله عشرين سنة وتمادى ملك الاشبانيين بعده الى ان

فانهزم الضيبان وكفر دارس وعبد التماثيل والاصنام ولما اشتد بغيه سار اليه فرعون الاعرج من بلاد مصر في الجيوش فامعن في القتل واسره ومضى به الى مصر فمات هنالك وكان ملكه خمس سنين وقيل ثنتين ثلاث وملك بعده اخ له يقال له (نوفين) وهو ابو دانيال عليه السلام وفي عصره ذا الملك سار البختنصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبائل فارس وكان ببلخ وكانت نصبة الملك فامعن البختنصر في القتل لبني اسرائيل والاسر وجاههم الى ارض العراق واخذ التوراة وما كان في بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه في بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبي من بني اسرائيل ثمانية عشر ألفا وفي هذا العصر كان (أقدسنا) النبي عليه السلام وسار بختنصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وفتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني اسرائيل فولدها ولدا فرد بني اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سبعين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زربابل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور

ن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين من عجم رومة امة يدعون البشتولقات وملكهم طلويش بن بيطه وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام اتوا الاندلس من قبل رومة وكانوا يملكون افريقية معها ويبعثون عمالهم اليها فاتخذوا دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتصل ملكهم بها مدة الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولقات أمة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من يومئذ من صاحب رومة وتفردوا بسلطانهم واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم فبقي باشبيلية علم الاشبانيين وربانة اوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين في الارض يدعون الناس الى ديانته فاختلف الناس عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان من اسرعهم اجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشندش ملك القوط تنصر ودعا قومه الى النصرانية وكان من صميم اعاظمهم وخير من تنصر من ملوكهم واجمعوا على انه لم يكن فيهم اعدل منه حكما ولا أرشد رأيا ولا احسن سيرة ولا اجود تدبيرا فكان الذي اصل النصرانية في مملكته ومضى اهلها على سنته الى اليوم وحكموا بها والانجيلات في المصاحف الاربعة التي يتنازعون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فتناسقت ملوك القوط بالاندلس بعده الى ان غلبتهم العرب عليها واظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الاديان (فوقع في تواريخ العجم القديمة) ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اتاناويوس الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصري لمضي اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم الى عهد لذريق آخرهم الذي ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ الصفر وهو الذي دخلت عليه العرب فازالت دولة القوط ستة وثلاثون ملكا وان مدة ايام ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنتان وأربعون سنة انتهى (وقال جماعة) ان التوطغير [أرى انها] البشتولقات وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دار ملكهم ماردة واتصل ملكهم [في رواية] منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل عليهم القوط واتخذوا طليطلة دار مملكة [واشتهر] تنصر ملكهم خشندش مثل ما تقدم ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون [انوائها] ذكر الرازي) أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى [المسيح] الرازي) في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه ان الاندلس في آخر الاقليم الرابع الاقاليم السبعة التي تقدم ذكرها التي هي ربع معمور الدنيا فهي موسطة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة خصبة الزراعة منبجسة العيون الثرار منفجرة الانهار الغزار قليلة الهوام ذوات السموم معتدلة الهواء أكثر الازمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالابدان وكذا سائر فصولها في اعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر بباكوره كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يخصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفاها يلتقيان فادة الخيرات فيهما متصلة كل اوان ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد المقدم على أجناسه في الطيب والصبر على النار وبه شجر الخلاف

نا قام هذا الملك على عمارة أرضهم ستا وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها مما الشرائع مما كان ناقصا منهم في حال الناس والاسامرة تزعم ان التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أوردها موسى ابن عمران عليه السلام وان تلك حرفت وبدلت وغيرت وان المخذولها هذا الملك لانه جمعها ممن كان يحفظها من بني اسرائيل وان التوراة الصحيحة هي في ايدي الاسامرة دون غيرهم وكان ملك هذا الملك ستا وأربعين سنة ووجدت في نسخة أخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو بختنصر وهو الذي ردهم وهو على ما هو فيه نظر (ودبر اسمعيل بن ابراهيم أمر البيت بعد ابراهيم عليه السلام) ونبأه الله عز وجل وأرسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الاوثان فآمن طائفة منهم وكفر اكثرهم وولد اسمعيل اثنى عشر ذكرا وهم قائث وقيدار وأربل وميسم ومسمع ودوما ودوام ومسا وحداد وحيم وقطورا وماش وكنت ووصية ابراهيم الى ابنه اسمعيل عليه السلام ووصى اسمعيل الى أخيه اسحق عليهما السلام وقد قيل الى ولده قيدار بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده

المعهود في الافاويه المقدم في انواع الاشنان كثير واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند وبها فقط ومنها خراسانية نباتية يكثر تعدادها انتهى (وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال) يوجد في ناحية دلاية من اقليم البشرة عود لا يحوج لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطر رائحة وقد سيق منه الى خيران الصقلبي صاحب المرية وان اصل منبته كان بين احجار هنالك وباكشونبة جبل كثير اما تتنوع رشته ريح العود الذكي اذا ارسلت فيه النار ويجد شذوه ويوجد العنبر الشرقي الطيب الغربي وفي جبل منت ليون الخلب ويوجد بالاندلس القسط الطيب والسنبل الطيب والجنطيانا تحمل من الاندلس الى جميع الآفاق وهو عقار رفيع والمر الطيب بناحية اربونة وطيب كثير ماء الارض اشدونة درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة واطيب الثمر قرمز الاندلس واكثر ما يكون بنواحي اشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية ومن الاندلس يحمل الى الآفاق وبناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد وقد يوجد في غيرها او في مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور وقد يوجد بجبل شحيران وهو شرقي بيرة وحجر النجادي يوجد بناحية مدينة الاشبونة في جبل هنالك يتلألأ فيه ليلا كالسراج والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة الا انه دقيق جدا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يشبه الياقوت الاحمر بناحية بجانة في خندق يعرف بقرية باشرة أشكالا مخلقة كانه مصبوغ حسن اللون صبور على النار وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير وحجر الشادنة بجبال قرطبة كثير ويستعمل ذلك في التذهيب وحجر اليهودي في ناحية حصن البونت وهو انفع شيء للحصاة وحجر المرقشيتا الذهبية في جبال ابدة لا نظير لها في الدنيا ومن الاندلس تحمل الى جميع الآفاق لاصلها والمغنيسيا بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة الا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المرية يلتقط منه في اقل من شهر نحو ثمانين ربعا ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه كثير ويجمع ايضا في ساحل الاشبونة ومعادن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال حمة بجانة وباقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وباشكونية معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة واد معادن بناحية افرنجة وليون ومعدن الزئبق في جبل البرانس ومن هنالك يتجهز الى الآفاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتياء بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة وهي ازكى توتيا واقواها في صبغ النحاس وبجبال تلك توتيا وليست كالبطرنية ومعدن الكحل المشبه بالاصفهاني بناحية مدينة طرطوشة يحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من ان تحصى وما ذكرت هنا وان تكرر بعضه مع ما سبق او ياتي فهو لجمع النظائر وما لم نذكره اكثر والله تعالى اعلم (ومن خواص طليطلة) ان حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين يتوارثها الخلف عن السلف وزعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز به الرفاق الى الآفاق وكذلك الصبغ السماوي انتهى (وقال المسعودي) في مروج الذهب بعد كلام ما نصه والعنبر كثير بجر الاندلس يجهز الى مصر وغيرها ويحمل الى

فاتش بن اسمعيل عليه السلام الى منهج اسمعيل ووالته وقيل ايضا انه كان وصى ابيه اسمعيل عليه السلام وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهم السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارميا ودانيال وعزير [illegible] الناس [illegible] ايوب واشعياء وحزقيل والياس واليسع ويونس وذي الكفل والخضر وروي عن ابن اسحق انه ارميا وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود من سبط يهوذا وكانت ايساع بنت عمران اخت مريم بنت عمران ام المسيح عليهم السلام وهو عمران بن ماثان بن يعاميم من ولد داود ايضا واسم ام ايساع ومريم حنة وولد لزكريا يحيى ابن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فطلبوه وكان لما احس بهم لجأ الى شجرة فدخل في جوفها فدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت ايساع ابنة عمران اخت مريم ام المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل الى بني اسرائيل فقام فيهم بامر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الأحداث في بني اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا

من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفا من الناس ٧١ وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب
طويل ولما بلغت مريم
بنت عمران سبع عشرة سنة
بعث الله عز وجل اليها
جبريل فنفخ فيها الروح
فحملت بالسيد المسيح
عيسى بن مريم عليه السلام
وولدت بقرية يقال لها بيت
لحم على أميال من بيت
المقدس وولدته في يوم
الاربعاء لاربع وعشرين
ليلة خلت من كانون الاول
وكان من أمره ما ذكره الله
عز وجل في كتابه واتضح
على لسان نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وقد زعمت
النصارى ان ايشوع
الناصري أقام على دين من
سلف من قومه يقرأ
التوراة والكتب السالفة
في مدينة طبرية من بلاد
الاردن في كنيسة يقال لها
المدراس ثلاثين سنة
وقيل تسعا وعشرين سنة
وانه في بعض الايام كان
يقرأ في سفر اشعياء اذ نظر
في السفر الى كتاب من نور
فيه أنت نبيي وخالصتي
اصطفيتك لنفسي فاطبق
السفر ودفعه الى خادم
الكنيسة وخرج وهو يقول
الآن تمت المشيئة لله في ابن
البشر وقد قيل ان المسيح
عليه السلام كان بقرية
يقال لها ناصرة من بلاد
اللجون من أعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت في هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة

قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين وشدونة تبلغ الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا
والاوقية بالبغدادي وتباع بمصر اوقيته بعشرين دينارا وهو عنبر جيد ويمكن ان يكون هذا
العنبر الواقع الى بحر الروم ضربته الامواج من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتصال الماء
وبالاندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز الى سائر بلاد الاسلام
والكفر وكذلك يحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب
خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض
الهند وما اتصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرر مع ما ذكرته عن غيره
فلا يخلو من فائدة والله تعالى اعلم (وذكر البعض) ان في بلاد الاندلس جميع المعادن
الكائنات عن النيرات السبعة وهي الرصاص من زحل والقصدير الابيض من المشتري
والحديد من قسم المريخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزئبق من عطارد
والفضة من القمر (وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروي المعروف بالرقيق بلد
الاندلس) فقال اهله اصحاب جهاد متصل يحاربون من اهل الشرك المحيطين بهم امة
يدعون الجلالقة يأخذون حوزتهم ما بين غرب الى الشرق قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن
وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم درب فالحرب
متصلة بينهم ما لم تقع هدنة ويحاربون بالافق الشرقي امة يقال لهم الفرنجة هم اشد عليهم
من جميع من يحاربونه من عدوهم اذ كانوا اخلقا اعظم في بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة
العمارة آهلة تدعى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجليقيين واشد باسا واحد شوكة
واعظم امدادا وهذه الامة يحاربون امة الصقالبة المتصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم
في الديانة فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بارض الاندلس فلهم هنالك كثرة وتخصيهم للفرنجة
يهود ذمتهم الذين بارضهم وفي ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصيانهم من هنالك الى سائر
البلاد وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة (قال
ابن سعيد) ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربي بمكان
ثم يقال له الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون مقدار عرضه هنالك
ما كان (ثمانية عشر ميلا وهذا عرض جزيرة طريف الى قصر مصمودة بالقرب من سبتة
(وذكر) كانت القنطرة التي يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الاندلس الى
ميناسبتة ويعرف هذا الموضع بالزقاق وهو عند المجاز لانه مجمع البحرين لا تزال الامواج
تتطاول فيه والماء يدور وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلا مضاعف ذلك الى
ميناسبتة ومن هنالك يأخذ البحر في الاتساع الى ثمانمائة ميل وأزيد ومنتهاه مدينة صور ومن
الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر (قال بعضهم) انها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية
ومالطة وغيرهما انتهى ببعضه بالمعنى (وقال بعضهم) عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب
سبتة ما صورته ثم يتسع كلما امتد حتى يصير الى ما لا ادرع له ولا نهاية (وقال بعضهم) وكان
مبلغ خراج الاندلس الذي كان يؤدي الى ملوك بني امية قديما ثلثمائة ألف دينار دراهم
اندلسية كل سنة قوانين وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم

وفي جباية الثلث من ذلك مائة ألف دينار ويتصدقون في أمورهم ونوائبهم ويؤدون أهليهم مائة ألف دينار ويدخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار انتهى (وذكر غيره) أن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ألف ألف دينار في السنة وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف حكاه ابن سعيد وقال إن الأندلس مسيرة شهر مدن وعمائر (وقال قاضي القضاة) ابن خلدون الحضرمي في تاريخه الكبير ما صورته كان هذا القطر الأندلسي من العدوة الشمالية من عدوتي البحر الرومي وبالجانب الغربي منها يسمى عند العجم الأندلوش وتسكنه أمم من إفرنجة المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالقة وكان القوط قد ملكوه وغلبوا على أهله لمئين من السنين قبل الإسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط إلى الأندلس فصاروا إليها وملكوها ولما أخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الإفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة وإشبيلية وماردة وأقاموا كذلك نحوا من أربعمائة سنة إلى أن جاء الله بالإسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة لملوكهم كما أن جرجير سمة لملوك صقلية انتهى (ومن أشهر بلاد الأندلس) غرناطة وقيل إن الصواب إغرناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمانة وكفاها شرفا ولادة لسان الدين بها (وقال الشقندي) أما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن لها إلا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل العريض ونهر شنيل لكفاها (وفي بعض كلام لسان الدين) ما صورته وما لمصر تفخر بنيلها وألف منه في شنيلها يعني أن النون عند أهل المغرب عددها ألف فقولنا شنيل إذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل وفيها قيل

غرناطة ما لها نظير ✻ ما مصر ما الشام ما العراق

ما هي إلا العروس تجلى ✻ وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة دمشق لأن جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل إنما سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار وكثرة الأشجار حكاه صاحب مناهج الفكر قال ولما استولى الإفرنج على معظم بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها وصارت المصر المقصود والمعقل الذي تنضوي إليه العساكر والجنود ويشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها وفي قبليها جبل شلير وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء وفيه سائر النبات الهندي لكن ليس فيه حدائقه انتهى (ومن أعمال غرناطة) نظر لوشة وبها معدن للفضة جيد ومنها أعني لوشة أهل لسان الدين بن الخطيب وهذا النظر ضخم ينضاف إليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة وبينها وبين غرناطة مرحلة وهي ذات أنهار وأشجار وهي على نهر غرناطة المشهور بشنيل ✻ (ومن أعمال غرناطة الكبار) ✻ عمل باغة والعامة يقولون بيغة وإذا نسبوا إليه قالوا بيغي وقاعدته باغة طيبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه ويجود فيها الزعفران ✻ (ومن أعمال غرناطة) وادي آش ويقال وادي الأشات وهي مدينة جليلة

فيها عظام الموتى يسيل منها ريت تحرس كالرب تتبرك به النصارى وإن المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين

وإنه الأردن وقد ذكر أن ميروحنا وشمعون وبولس وتوفاهم الحواريون الأربع الذين من أهل الانجيل فأنزلوا عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبره وولده وكيف عمد يحيى بن زكريا وهو يحيى المعمداني في بحيرة طبرية وقيل في نهر الأردن الذي يخرج من بحيرة طبرية ويجري إلى البحيرة المنتنة وما فعل من الأعاجيب وأتى من المعجزات وما قالت اليهود إلى أن رفعه الله عز وجل إليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفي الإنجيل خطب طويل في أمر المسيح ومريم عليهما السلام ويوسف النجار أعرضنا عن ذلك لأن الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك في كتابه ولا أخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم)

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم من الناس من رأى أنهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فممن ذكر أنه نبي حنظلة بن صفوان وكان من ولد إسمعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلم وأرسل إلى أصحاب الرس وكانوا

فد

قد أحدقت بها البساتين والأنهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر وفيها يقول ابو الحسن بن نزار

وادى الاشات يهيج وجدى كلما * اذكرت ما افنيت بك النعماء
لله ظلك والهجير مسلط * قد بردت لفحاته الانداء
والشمس ترغب أن تفوز بلحظة * منه فتطرف طرفها الافياء
والنهر يبسم بالحباب كأنه * سلخ نضته حية رقشاء
فلذاك تحذره الغصون فميلها * ابدا على جنباته ايماء

(ومن اعمال وادى آش) حصن جليانة وهو كبير يضاهى المدن وبه التفاح الجلياني الذى خص الله به ذلك الموضع يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادى آش اثنا عشر ميلا (ومن غرائب الاندلس) ان به شجرتين من شجر القسطل وهما عظيمتان جدا احداهما بسند وادى آش والاخرى بشرة غرناطة فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا أمر مشهور قاله ابو عبد الله بن جزى وغيره * وكانت البيرة هى المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجى مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الناس اليها ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده (وذكر غير واحد) أن فى كورة سرقسطة الملح الاندرانى الابيض الصافى الاملس الخالص وليس فى الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح (قال) وسرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذى تؤرخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيد لانه اختار ذلك المكان بالاندلس (وقيل ان موسى بن نصير) شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وحكم أنه لم يشرب بالاندلس أعذب منه وسأل عن اسمه فقيل جلق ونظر الى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام وقيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم * وبمدينة برجة وهى من اعمال المرية معدن الرصاص وهى على واد مبهج يعرف بوادى عذراء وهو محدق بالازهار والاشجار وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى رحمه الله تعالى

رياض تعشقها سندس * توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدى ربا * لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة * وكل طريق اليها سقر

وفيها ايضا قوله

حط الرحال ببرجه * وارتد لنفسك بهجه
فى قلعة كالاح * ودوحة مثل لجه
فحصنها لك امن * وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها * كعمرة وهى حجه

وبمالقة التين الذى يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس فى الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوى المالقى حسبما انشده غير واحد منهم

من ولد اسمعيل بن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن ٧٣ وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة بامر الله عز وجل فقتلوه فاوحى الله الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل من سبط يهوذا ان يأمر بختنصر بسير اليهم فسار اليهم فاتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما احسوا باسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم فى مرثية له فقال

بكت عينى لاهل الرس
رعويل وقدمان
واسلم من ابى زرع
بكال الحى قحطان

وقد حكى عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام فى الفترة وانه كان حلم حلما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقيها وغربيها فقص رؤياه على قومه فسموه بذى القرنين وللناس فى ذى القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك فى كتاب أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا الملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس فى أصحاب الكهف فى أى الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا فى زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتى بلمع من خبرهم فى ذكر ملوك الروم فى هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك

ابن سعيد

مالقة حييت يا تينها ❊ الفلك من أجلك ياتينها

نهى طبيبي عنه في علتي ❊ ما لطبيبي عن حياتي نهى

وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله

وحمص لا تنس لها تينها ❊ واذكر مع التين زياتينها

وفي بعض النسخ

لا تنس لاشبيلية تينها ❊ واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الاول لان حمص هي اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره (ونسب) ابن جزي في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الاولين للخطيب ابي محمد عبد الوهاب المالقي والتذييل لقاضي الجماعة ابي عبد الله بن عبد الملك فالله أعلم ❊ وقال ابن بطوطة وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة كثير البركة شهيرها وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه أشجار النارنج البديعة انتهى وقال قبله ان مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى (وبكورة اشبونة) المتصلة بشنترين معدن التبر وفيها عسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبهه الا الشحري (ومن اشهر مدن الاندلس) مدينة قرطبة اعادها الله تعالى للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر (وقد ذكر ابن حيان) أنه بني على امر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ونصه وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الاكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله انتهى وفيها يقول بعض علماء الاندلس

بأربع فاقت الامصار قرطبة ❊ منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ❊ والعلم اعظم شئ وهو رابعها

(وقال الحجاري في المسهب) كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في الرواية اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ونهرها من أحسن الانهار مكتنف بديباج المروج مطرز بالازهار تصدح في جنباته الاطيار وتنعر النواعير ويبسم النوار وقرطاها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك وأفقاه النعماء والسراء وان كان قد أخنى عليها الزمان وغير بهجة أوجهها الحسان فتلك عادته وسل الخورنق والسدير وغمدان وقد أعذر بانذاره اذ لم يزل ينادي بصره وفيه لا أمان لا أمان وقد قال الشاعر

ومازلت أسمع ان الملو ❊ ك تبني على قدر اخطارها

في الكتاب الاوسط وفيما اسلف قبله ٧٤ من كتاب اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد ادرك بعض الحواريين فارسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فاحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فاحياه الله فامر بنشره ثالثة واحراقه واذرائه في دجلة فاهلك الله عز وجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما وردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود في كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعواه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعبرانية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بمداخلته انتهى

انتهى وقال السلطان يعقوب المنصور ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن علي لاحد رؤساء اجناده ما تقول في قرطبة فخاطبه على ما يقتضيه كلام عامة الاندلس بقوله جوفها شمام وغربيها قمام وقبلتها مدام والجنة هي والسلام يعني بالشمام جبال الوردو يعني بالقمام مايؤكل اشارة الى محرث الكنبانية ويعني بالمدام النهر ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لابي عمران موسى بن سعيد العنسي ما عندك في قرطبة قال له ما كان لي أن أتكلم حتى اسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المفسحة الكبيرة والشوارع المتسعة والمباني الفخمة المشيدة والنهر الجاري والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لي امير المؤمنين ما أقول (قال ابن سعيد) ولاهلها رياسة ووقار لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم الا ان عامتها اكثر الناس فضولا واشدهم تشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا باموره حتى ان السيد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدت اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان اثقلته صاح ما ندري أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيته من اهلها عندي ولاية واني ان كلفت العود اليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انتهى (وقال ابو الفضل التيفاشي) جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا انتهى (وحكى) الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابي بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابي بكر المخزومي قال فسألنا من اين فقلنا من قرطبة فقال متى عهدكما بها فقلنا الآن وصلنا منها فقال اقربا الي اشم نسيم قرطبة فقربنا منه فشم راسي وقبله وقال لي اكتب

اقرطبة الغراء هل لي اوبة * اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة * وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد
ليالي اسحار وارضك روضة * وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعالم ابي الحسين بن سراج بقوله

يا سيدي وابي هوى وجلالة * ورسول ودي ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة اذا بلغتها * بابي الحسين وناده تمويلا
واذا سعدت بنظرة من وجهه * اهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقي وشكري مجملا * ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كانما * جرت على زهر الرياض ذيولا

اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله عزوجل وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية ودفنا بامنكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سلمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك في خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وحرمهما في كنيسة هنالك قد ذكرناها في الكتاب الاوسط عند ذكرنا عجائب رومية واخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لمعا من أخبارهم ان شاء الله تعالى فاما أصحاب الاخدود فانهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن في ملك ذي نواس وهو القاتل لذي سار وكان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد في الارض وملأها حجرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه في النار فاتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فابت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فانطق الله عز وجل الطفل فقال يا أمه امضي على دينك فلا نار بعد هذه فالقاها في النار وكانوا

وفى باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شهيد

لقد أطلعوا عند باب اليهو * د بدرا أبى الحسن ان يكسفا
تراه اليهود على بابها * اميرا فتحسبه يوسفا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومسجدها فى الباب المنفرد بها ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة (ومن اعظم مدن الاندلس اشبيلية) قال الشقندى من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت احسن اهذان ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شرفها غابة بلا اسد ونهرها نيل بلا تمساح انتهى (ويقال) ان الذى بنى اشبيلية اسمه توليس وانه اول من سمى قيصر وانه لما دخل الاندلس اعجب بساحاتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينة واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى فى وسط المدينة قصبتين بديعتى الشان تعرفان باخوين وجعلها أم قواعد الاندلس واشتق لها اسما من رومية ومن اسمه فسماها رومية توليس انتهى (وقد تقدم) شئ من هذا وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناهم اربعة بلاد من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها واما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ فى فرسخ طولا وعرضا لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه (واعلم) ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهى من الكور المجندة نزلها جند حمص ولواؤهم فى الميمنة بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية ايام الحكم بن هشام الى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار *وفى اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبى وكأنها تريده لم يسمع فى الاخبار ولا روى فى الآثار صورة أبدع منها جعلت فى بعض الحمامات تعشقها جماعة من العوام وفى كورة ماردة حصن شنت أفرج فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره (ومن عجائب الاندلس) البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهى مربعة منحوتة مستوية الاطراف (وقال بعض من وصف اشبيلية) انها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها ذوو اموال عظيمة واكثر متاجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف واقليم الشرف على تل عال من تراب احمر مسافته اربعون ميلا فى مثلها يمشى به السائر فى ظل الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق (وقال صاحب مناهج الفكر) عند ذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يضرب المثل فى الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على ذلك

مؤمنين موحدين لا على رأى النصرانية فى هذا الوقت فمضى رجل منهم يقال له دمعليان الى قيصر ملك الروم يستنجده فكتب الى النجاشى لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من أمر سيف بن ذى يزن واستنجاده الملوك الى أن أنجده انوشروان ما قد أتينا على ذكره فى كتابنا فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه قصة أصحاب الاخدود بقوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى وهو خالد بن سنان بن غيث بن عبس وقد ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبى أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت فى العرب فافتتنوا بها وكانت تنتقل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فاخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدا بدا كل ذى دين برد الى الله الاعلى لادخلنها وهى تتلظى ولاخرجن منها وماى سدى فاطفأها ولما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا أنا دفنت فانه سيجئ عانة من حمير وحش يقدمها عير أبتر فتضرب قبرى

ذلك واديها الفرج وناديها البهج وهذا الوادي يأتيها من قرطبة ويحرز في كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب أحمر طوله من الشمال الى الجنوب أربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلا يشتمل على مائتين وعشرين قرية قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت انتهى * ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام بني عباد خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان وفيها معدن فضة وبها ولد المعتمد بن عباد وهي متصلة بكورة ماردة وجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى ابن نصير اذ كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا شهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تجوّن البحر هنالك مستديرا حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة

وأقود قد ألقى على البحر متنه * فأصبح عن قود الجبال بمعزل
يعرض نحو الافق وجها كأنما * تراقب عيناه كواكب منزل

واذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج قال أبو الحسن علي ابن موسى بن سعيد أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدي أجز

انظر الى جبل الفتح يرى كأنما تبرج
فقلت
وقد تفتح مثل الافنان في شكل سرج

(وأما جزيرة طريف) فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء وطريف المنسوبة اليه بربري من موالي موسى بن نصير ويقال ان موسى بعثه قبل طارق في أربعمائة رجل فنزل بهذه الجزيرة في رمضان سنة احدى وتسعين وبعده دخل طارق والله أعلم (ومن أعظم كور الاندلس) كورة طليطلة وهي من متوسط الاندلس وكانت دار مملكة بني ذي النون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدر المائة الخامسة وسماها قيصر بلسانه ترليطلة وتأويل ذلك أنت فارح فعربتها العرب وقالت طليطلة وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني أمية بالثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لانها فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمان وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذي بني اشبيلية أخذها من بيت المقدس كما مر وقومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار وقيل انها كانت من زمرد أخضر ويقال انها الآن برومة والله أعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة وايوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه وقد قيل ان أواني المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه * وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولنلمّ ببعض منتزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب ان

بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفن ورأوا ما قال فارادوا ان ينبشوه فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تنسبنا العرب الى نبشنا عن ميت منا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله احد فقالت كان أبي يقول هذا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من اخباره مما دعوا الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودي) وممن كان في الفترة وثاب السني وكان من عبد القيس ثم من ... وكان على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت احد من ولد وثاب فيدفن الا رأوا واسطا على قبره ومنهم اسعد ابو كرب الحميري وكان مؤمنا وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على احمد انه
رسول من الله باري النسم
فلومد عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وألزم طاعته كل من
على الارض من عرب او عجم

وهو اول من كسا الكعبة الانطاع والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذي عظم
الله ملاء معصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ومن مات

شاء الله تعالى * وطليطلة قاعدة ملك القوطيين وهى مطلة على نهر باجة وعليه كانت القنطرة التى يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكتنفه فرجتان من كل جانب وطول القنطرة ثلثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وخربت أيام الامير محمد لما عصى عليه اهلها فغزاهم واحتال فى هدمها وفى ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس

اضحت طليطلة معطلة * من أهلها فى قبضة الصقر
تركت بلا أهل تؤهلها * مهجورة الاكناف كالقبر
ما كان يبقى الله قنطرة * نصبت لحمل كتائب الكفر

وسيأتى بعض اخبار طليطلة (ومن مشهور مدن الاندلس المرية) وهى على ساحل البحر ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت فى دولة المنصور ابن أبى عامر وولى عليها مولاه خيران فنسبت القلعة اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر (وقال بعضهم) كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانية مثل ذلك وللعتابى والمعاجر المذهبة والستور المكللة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا وساحلها أفضل السواحل وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد ألف فيها ابو جعفر بن خاتمة تاريخا حافلا سماه مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية فى مجلد ضخم تركته من جملة كتبى بالمغرب والله سبحانه المسؤل فى جمع الشمل فله الامر من بعد ومن قبل * ووادى المرية طوله اربعون ميلا فى مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مغردة (قال بعضهم) ولم يكن فى بلاد الاندلس اكثر مالا من أهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهى بين الجبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار أولية وكأنما غربلت ارضها من التراب * ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار انتهى (وقال ابن اليسع) عند ذكره مدينة شنترة ان من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال لى ابو عبد الله الباكورى وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وذكر الرجل بحضرة ابن عباد ان المعتاد عندهم أقل من هذا فاذا ارادوا أن يجىء بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وابقوا منه عشرا أو اقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى * وبحصن شنش على مرحلة من المرية التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز ويعرف واديها بوادى طبرنش * وبغربى مالقة جبل سهيل وهو جبل عظيم

كثير

فات وكل ما هو آت آت وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى وأحكم من قس وأجرى من الذى

بذى الغيل من خفان أصبح خادرا

وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كأنى انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت اما بعد فان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تفور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله لدينا هو ارضى من دين أنتم عليه ما لى اراهم يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فأقاموا ام تركوا فناموا سبيل مؤتلف وعمل مختلف وقال ابياتا لا احفظها فقام ابو بكر رضى الله عنه فقال انا أحفظها يا رسول الله فقال هاتها فقال

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الاواخر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت انى لا محا لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لأرجو ان يبعثه الله امة

كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالاندلس الا منه (ومن كور الاندلس الشرقية تدمير) وتسمى مصر ايضا لكثرة شبهها بها لان لها ارضا يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر وصارت النصبة بعد تدمير مرسية وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ولها نهر يصب في قبليها * واعلم أن جزيرة الاندلس اعادها الله للاسلام مشتملة على موسطة وشرق وغرب * فالموسطة فيها من القواعد الممصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام واقطار متسعة قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة فمن أعمال قرطبة استجة وبلكونة وبرة وورندة وغافق والمدور واسطبة وبيانة والبسانة والقصير وغيرها ومن أعمال طليطلة وادي الحجارة وقلعة رباح وطلمنكة وغيرها ومن أعمال جيان ابذة وبياسة وقسطلة وغيرها ومن أعمال غرناطة وادي آش والمنكب ولوشة وغيرها ومن أعمال المرية اندرش وغيرها ومن أعمال مالقة بلش والحامة وغيرهما وببلش من الفواكه مثل مالقة وبالحامة العين الحارة على ضفة واديها * واما شرق الاندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الاعلى فمن أعمال مرسية اوريولة واقنت ولورقة وغير ذلك ومن أعمال بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له وجزيرة شقر وغير ذلك واما دانية فهي شهيرة ولها أعمال واما السهلة فانها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الاعلى ولها مدن وحصون ومن أعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهي أم ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح وتسمى بالبيضاء وكورة تطيلة ومدينتها طرسونة وكورة وشقة ومدينتها تمريط وكورة مدينة سالم وكورة قلعة ايوب ومدينتها بليانة وكورة برطانية وكورة باروشة * واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة واشبونة وشلب فمن أعمال اشبيلية شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن أعمال ماردة بطليوس وباجة وغيرها ومن أعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن أعمال شلب شنتمرية وغيرها (وأما الجزر البحرية بالاندلس) فمنها جزيرة قادس وهي من أعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ولا منافاة لان شريشا من اعمال اشبيلية كما مر قال وبها صنم قادس مفتاح والما نار بقادس ابن اخت القائد أبي عبد الله بن ميمون وهو علي بن عيسى قائد البحر بها ظنا ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيأ انتهى وهي اعني جزيرة قادس في البحر المحيط وفي المحيط الجزائر الخالدات السبع وهي غربي مدينة سلا لو ح للناظر في اليوم الصاحي الخالي الجو من الابخرة الغليظة وفيها سبعة اصنام على أمثال الآدميين تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى اولها جزيرة برطانية وهي بوسط البحر المحيط باقصى شمال الاندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر ويزرعون عليه (وقال ابن سعيد) وفيه جزيرة شلطيش وهي آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير السمك ومنها يحمل ملحا الى اشبيلية وهي من كورة لبلة مضافة الى عمل أونبه انتهى (وقال بعضهم) لما اجرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس ان الزرع في بعض أقطارها يكتفي بمطرة واحدة وبها أقواس

(قال المسعودي) ولقس اشعار كثيرة وحكم وأخبار مع قيصر في الطب والزجر والفال وانواع الحكم وقد ذكرنا ذلك في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط * ومن كان في الفترة زيد بن عمرو ابن نفيل ابو سعيد بن زيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وسار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا * ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تاثيم فيها
وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما هو ذات يوم في فتية بشرب اذ وقع

من الحجارة المقربصة وفيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن أعجب بنائها الدواميس وهى اربعة وعشرون على صف واحد من حجارة مسنية طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة فى عرض ستين خطوة وارتفاع كل واحد اكثر من مائتى ذراع بين كل داموسين أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها الى بعض فى العلو الشاهق بهندسة عجيبة واحكام بديع انتهى (قلت) أظن هذا غلطا فان قرطاجنة التى بهذه الصفة قرطاجنة افريقية لا قرطاجنة الاندلس والله أعلم (وقال صاحب مناهج الفكر) عند ما ذكر قرطاجنة وهى على البحر الرومى مدينة قديمة بقى منها آثارها فحص طوله ستة أيام وعرضه يومان معمور بالقرى انتهى وذكر قبل ذلك فى لورقة ان بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفى البحر الشامى الخارج من المحيط جزيرتى ميورقة ومنورقة وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللبانة

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه حلة ريشه الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤس

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت

وغمرت بالاحسان ارض ميورقه * وبنيت ما لم يبنه الاسكندر

وجزيرة يابسة * واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ولو تتبع لكان تأليفا مستقلا وما أحسن قول ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعس
واذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقال بعضهم فى طليطلة

زادت طليطلة على ما حدّثوا * بلد عليه نضرة ونعيم
الله زينه فوشح خصره * نهر المجرة والغصون نجوم

ولا حرج ان أوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس ابو بحر صفوان بن ادريس الامير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن على فانه مناسب (ونصه) مولاى امتع الله ببقائك الزمان وابناءه كما ضم على حبك احناءهم واحناءه وأوصلك ما شئت من المنّ والامن كما نظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان فانك الملك الهمام والقمر التمام ايامك غرر وحجول وفرند بهائها فى صفحات الدهر يجول الدست الرعية برود التأمين وتنافست فيك من نفيس ثمين وتلقت دعوات خلدك لها باليمين فكم للناس من امن بك وايناس وللايام من لوعة فيك وهيام وللاقطار من ايانات لديك واوطار وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ويغتبقون فى رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصطبحون كل حزب بما لديهم فرحون محبة من الله ألقاها لك حتى على الجماد ونصرا مؤزرا تنطق به ألسنة السيوف على أفواه الاغماد ومن

غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار فقال أمية اتدرون ما قال قالوا لا قال فانه يقول لكم ان أمية لا يشرب الكاس الثالثة حتى يموت فقال القوم لنكذبن قوله ثم قال احسوا كاسكم فحسوها فلما انتهت النوبة اليه أغمى عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

ليكما لبيكما * ها أناذا لديكما
أنا من حفت به النعمه * واحمدوا الشكر

ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبد لك لا ألما

أو قال انا من حفت به النعمة ولم يجهد فى الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى * فى رؤس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا * فقصارى أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة وكانت فيها نفسه (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة من أهل العلم بأيام الناس وأخبار من سلف كأبى دأب والهيثم بن عدى وأبى مخنف لوط بن يحيى ومحمد ابن السائب الكلبى ان السبب فى كتابة قريش واستفتاحها فى أوائل كتبها باسمك اللهم هو ان امية بن أبى الصلت الثقفى خرج الى الشام فى نفر من ثقيف وقريش فى عير لهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى

أسر

اسرسر برة ألبسه الله رداءها ومن طوى حسن نية ختم الله له بأجمل اعادتها وابداءها ومن
قدّم صالحا فلا بدّ ان يوازيه ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ولما تخاصمت فيك من
الاندلس الامصار وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار كلها يفصح قولا ويقول انا
احق وأولى ويصيخ الى اجابة دعوته ويصغى ويتلو اذا بشر بك ذلك ما كنا نبغى تمرت
حمص غيظا وكادت تغيظ فيظا وقالت مالهم يزيدون وينقصون ويطمعون ويخرصون
ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ألهم السهم الاسدّ والساعد الاشدّ والنهر
الذى يتعاقب عليه الجزر والمدّ أنا مصر الاندلس والنيل نهرى وستأتى التانس والنجوم
زهرى ان تجار يتم فى ذلك الشرف فحسبى ان افيض فى ذلك الشرف وان تججتم باشرف
اللبوس فاى ازار اشتملتموه كشنتبوس الى ماشئت من ابنية رحاب وروض يستغنى
بنضرته عن السحاب قد ملأت زهراتى وهادا ونجادا وتوشح سيف نهرى بحدائقى نجادا
فانا اولاكم بسيدنا الهمام واحق الآن حصحص الحق (فنظرتها قرطبة شزرا) وقالت لقد
كثرت نزرا وبذرت فى الصخر الاصم بزرا كلام العدا ضرب من الهذيان وأنى للايضاح
والبيان متى استحال المستقبح مستحسنا ومن أودع اجفان المهجور وسنا افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا يا عجبا للمراكز تقدّم على الاسنة وللاثفار تفضل على الاعنة ان ادعيتم
سبقا فما عند الله خير وأبقى لى البيت المطهر الشريف والاسم الذى ضرب عليه رواقه
التعريف فى بقيعى محل الرجال الافاضل فليرغم انف المناضل وفى جامعى مشاهد ليلة
القدر فحسبى من نباهة القدر فالاحدان يستأثر على بهذا السيد الاعلى ولا ارضى له
ان يوطئ غير ترابى نعلا فاقروا لى بالابوّة وانقادوا الى على حكم البنوّة ولا تكونوا كالتى
نقضت غزلها من بعد قوّة وكفوا عن تباريكم ذلكم خير لكم عند باريكم (فقالت غرناطة)
لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ولا تجرى الا تحته جياد الغيث السجوم فلا
يلحقنى من معاند ضرر ولا حيف ولا يهتدى الى خيال طارق ولا طيف فاستسلموا قولا
وفعلا فقد افلح اليوم من استعلى لى بطاح تقلدت من جداولها اسلاكا وأطلعت كواكب
زهرها فعادت أفلاكا ومياه تسيل على اعطافى كادمع العشاق وبرد نسيم يردد ماء
المستجير بالانتشاق فحسبى لا يطمع فيه ولا يحتال فدعونى فكل ذات ذيل تختال فانا اولى
بهذا السيد الاعدل ومالى به من عوض ولا بدل ولم لا يعطف على عنان مجده ويثنى وان
أنشد يوما فاياى يعنى

بلاد بها عق الشباب تمائمى ❊ واول ارض مس جلدى ترابها

فمالكم تعتزون لفخرى وتنتمون وتتأخرون فى ميدانى وتتقدمون تبرؤا الى مما تزعمون
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ❊ (فقالت مالقة) اتتركونى بينكم هملا ولم تعطونى
فى سيدنا املا ولم ولى البحر العجاج والسبل الفجاج والجنات الاثيرة والفواكه
الكثيرة لدى من البهجة ما تستغنى به الحمام عن الهديل ولا تجنح الانفس الرقاق الحواشى
الى تعويض عنه ولا تبديل فمالى لا أعطى فى ناديكم كلاما ولا أنشر فى جيش فخاركم أعلاما
فكأن الامصار رفعتها ازدراء فلم تر لحديثها فى ميدان الذكر اجراء لانها موطن لا يحلى منه

دنت منهم فخصبها بعضهم بشئ فى وجهها فرجعت فشدّوا على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن
المنزل أشرفت عليهم عجوز
من كثيب رمل متوكئة على
عصاها فقالت ما منعكم
ان تطعموا رحيمة الجارية
اليتيمة التى جاءتكم عشية
قالوا ومن أنت قالت أم
العوّام أومت منذ أعوام
أماورب العباد لتفترقن فى
البلاد ثم ضربت بعصاها
الارض أثارت بها الرمل
وقالت أطيلى ايابهم
وأنفرى ركابهم فوثبت
الابل وكان كل بعير منها
على ذروة ما نملك منها شيأ
حتى افترقت فى البوادى
فجمعناها من آخر النهار
الى غد ولم نكد فلما
أنخناها عادت الى مقالتها
ما منعكم أن تطعموا رحيمة
الجارية اليتيمة ألا أطيلى
ايابهم وأنفرى ركابهم
فخرجت الابل ما نملك منها
شيأ فجمعناها من آخر النهار
الى غد ولم نكد فلما أنخناها
فعلت مثل فعلتها الاولى
والثانية فتفرقت الابل
وأمسينا فى ليلة مقمرة وقد
يئسنا من ظهورنا فقلنا
لامية بن أبى الصلت أين
ما كنت تخبرنا به عن نفسك
فتوجه الى ذلك الكثيب
الذى أتى منه العجوز حتى
هبط منه من ناحية أخرى
ثم صعد كثيبا آخر حتى
هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض

بطائل ونتن البلاد تأوات فيها قول القائل

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

(فقالت مرسية) أمامي تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تنفقون الصخر ان عدّت المفاخر فلي منها الاول والآخر اين أوشالكم من بحري وخرزكم من لؤلؤ نحري وجعجعتكم من نفثات سحري فلي الروض النضير والمرأى الذي ماله من نظير ورتقاتي التي سا ومثلها في الآفاق وتبرقع وجه جمالها بغرة الاصفاق فمن دوحات كم لها من بكور وروحات ومن ارجاء اليها تمدّ أيدي الرجاء فابنائي فيه في الجنة الدنيوية مودعون يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم فيها ما يدعون فانقادوا الامري وحاذروا اصطلاء جمري وخلوا بيني وبين سيدنا الى زيد والاضربتكم ضرب زيد فانا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم وما يلقاها الاذو حظ عظيم *(فقالت بلنسية)* فيم الجدال والقراع وعلام الاستهام والاقتراع والام التعريض والتصريح وتحت الرغوة اللبن الصريح أنا أحوزه من دونكم فأخمدوا ناري تحركم وهدونكم فلي المحاسن الشامخة الاعلام والجنات التي تلقي اليها الآفاق يد الاستسلام وبرصافتي وجسري أعارض مدينة السلام فأجمعوا على الانقياد لي والسلام والافعنوا بنانا واقرعوا أسنانا فانا حيث لا تدركون وأني ومولانا لا يهملكنا بما فعل السفهاء منا (فعند ذلك ارتمت جمرة تدمير بالشرار) واستدت أسهمها النحور الشرار وقالت عش رجبا ترعجبا أبعد العصيان والعقوق تتهيأن لرتب ذوي الحقوق هذه سماء الفخر فمن ضمك أن تعرجي ليس بعشك فادرجي لك الوصب والخبل آلآن وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الفاعلة من ادراك أن نضر بي وما أنت فاعلة ما الذي يجديك الروض والزهر أم ما يفيدك الجدول والنهر وهل يتحلى العطار ما أفسد الدهر هل أنت الامحط رحل النفاق ومنزل ما السوق الخصب فيه من نفاق ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع وقراك لا يسمن ولا يغني من جوع فالام تبرز الاماء في منصة العقائل ولكن اذكري قول القائل

بلنسية بيني عن القلب سلوة * فانك روض لا أحن لزهرك

وكيف يحب المرء داراتقسمت * على صارمي جوع وفتنة مشرك

بيد أني اسأل الله تعالى ان يوتدمن توفيقك ما خمد ويسيل من تسديدك ما جمد ولا يطيل عليك في الجهالة الامد واياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا ومولانا الى أفضل عوائده ويجعل مصائب اعدائه من فوائده ويمكن حسامه من رقاب المشغبين ويبقيه وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصل له تأييدا وتأبيدا ويمهد له الايام حتى تكون الاحرار لعبيد عبيده عبيدا ويمد على الدنيا بساط سعده ويهبه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده

آمين آمين لا أرضي بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

ثم السلام الذي يتأنق عبقا ونشرا ويتألق رونقا وبشرا على حضرتهم العلية ومطالع انوارهم السنية الجلية ورحمة الله تعالى وبركاته (انتهى) ولما ألم الرحالة ابن بطوطة في رحلته بدخوله بلاد الاندلس أعادها الله تعالى للاسلام قال فوصلت الى بلاد الاندلس

الرأس واللحية قال أمية فلما وقفت عليه ٨٣ رفع رأسه الي وقال انك لمتبوع قلت أجل قال فمن أين يأتيك صاحبك قلت من أذني اليسرى قال فبأي الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل وليكن يكلمك في أذنك اليمنى وأحب الثياب اليه البياض فاجاءبك وماحاجتك فحدثته حديث العجوز قال صدقت وليست بصادقة هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام وانها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال أمية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيضن أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى أمية قد برص في عذاريه ورقبته وصدره واسود في أسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم الى أن جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها في أخبار

حرسها

حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن الى ان قال عند ذكره غرناطة ما نصه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها نظير له في الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين الجليلة والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها بسواها انتهى (وقال الشقندى) غرناطة دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن بها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كنزهون القلعية والركونية وغيرهما وناهيك بهما في الظرف والادب انتهى (ولبعضهم) يتشوق الى غرناطة فيما ذكره بعض المؤرخين والصواب أن الابيات قيلت في قرطبة كما مر والله أعلم

أغرناطة الغراء هل لي أوبة ✻ اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد

سقى الجانب الغربي منك غمامة ✻ وقعقع في ساحات روضتك الرعد

ليالي أسحار وأرضك جنة ✻ وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وقال ابن مالك الرعيني

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته ✻ ذهبت به للانس والليل قد ذهب

ترى الارض منها فضة فاذا اكتست ✻ بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب

وهو القائل

لا تظنوا أن شوقي خمدا ✻ بعدكم أو أن دمعي جمدا

كيف أسلو عن أناس مثلهم ✻ قل أن تبصر عيني أحدا

(وغرناطة) من أحسن بلاد الاندلس وتسمى بدمشق الاندلس لانها أشبه شئ بها ويشقها نهر حدرة ويطل عليها الجبل المسمى بشلير الذي لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفا ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفي أعلاه الازاهر الكثيرة وأجناس الافاويه الرفيعة ونزل بها أهل دمشق لما جاؤا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور ✻ وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المؤرخين مائتان وسبعون قرية (وقال ابن جزى) مرتب رحلة ابن بطوطة بعد ذكر كلامه مانصه قال ابن جزى لولا خشية أن انسب الى العصبية لاطلت القول في وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا أبي بكر ابن محمد بن شبرين السبتي نزيل غرناطة حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوّأ ✻ يسر حزينا أو يجير طريدا

تبرم منها صاحبي عندما رأى ✻ مسارحها بالثلج عدن جليدا

هي الثغر صان الله من أهلت به ✻ وما خير ثغر لا يكون برودا انتهى

وقال ابن سعيد عندما جرى ذكر قرية نارجة وهي قرية كبيرة تضاهي المدن قد أحدقت بها البساتين ولها نهر يفتن الناظرين وهي من أعمال مالقة أنها اجتاز عليها مع والده أبي عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم وقد ضربوا في بطن الوادي بين

الزمان وغيره فيما سلف من كتبنا ✻ ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم لحا وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اثبت على ما أنت عليه فوالذي نفس ورقة بيده انك لنبي هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أدركت ذلك لانصرن الله نصرا يعلمه وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى أنه مات مسلما وانه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لا يجزى بسيئة
ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة ابن أبي ربيعة وكان من أهل نينوى ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الحديبية وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ✻ ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنس

متقطعاته خيما وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب وسالوا من يعرف ذلك الموضع فقالوا الطراز فقال والدي اسم طابق مسماه ولفظ وافق معناه

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ثم قال أجز

بشارجة حيث الطراز المنمنم فقلت أقم فوق نهر ثغره يتبسم

فقال وسمعك نحو الهاتفات فانها فقلت لما أبصرت من بهجة تترنم

فقال أيا جنة الفردوس لست بآدم فقلت فلا يك حظي من جنانك التندم

فقال يعز علينا أن نزورك مثلما فقلت يزور خيال من سليمى مسلم

فقال فلو أنني أعطى الخيار لما عدت فقلت محلك لي عين بمرآك تنعم

فقال بحيث الصبا والطل من نفثاتها فقلت وقت لسع روض فيه للنهر أرقم

فقال فوا أسفي ان لم تكن لي عودة فقلت فكن مالكا اني عليك متمم

فقال فأحسب هذا آخر العهد بيننا فقلت وقد يلحظ الرحمن شوقي فيرحم

فقال سلام سلام لا يزال مرددا فقلت عليك ولا زالت بك السحب تسجم انتهى

(وقال ابن سعيد) ان كورة بلنسية من شرق الاندلس ينبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب وبها كمثرى تسمى الارزة في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة اذا دخل دارا عرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منارة ومسارح ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ومنية ابن أبي عامر * وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها

هي الفردوس في الدنيا جمالا * لساكنها وكارهها البعوض

وقال بعضهم فيها

ضاقت بلنسية بي * وذادعني غموضي

رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

وفيها لابن الزقاق البلنسي

بلنسية اذا فكرت فيها * وفي آياتها اسنى البلاد

وأعظم شاهدي منها عليها * وأن جمالها للعين بادي

كساها ربها ديباج حسن * لها علمان من بحر ووادي

(وقال ابن سعيد أيضا) أنشدني والدي قال أنشدني مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمراكش قوله

كأن بلنسية كاعب * وملبسها سندس أخضر

اذا جئتها سترت نفسها * باكمامها فهي لا تظهر

وأما قول أبي عبد الله بن عياش بلنسية بيني البيتين وقد سبقا فقال ابن سعيد لمية صارت ثغرا يصابحها العدو ويماسيها انتهى (وقال ابو الحسن) بن حريق يجاوب ابن عياش ان ذلك حيث

بلنسية قرارة كل حسن * حديث صح في شرق وغرب

من الانصار من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وهجر الاوثان ودخل بيتا واتخذه مسجدا لا تدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لا يلقى صديقا مؤاتيا

ومنهم أبو عامر الاوسي وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج في خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشأم * ومنهم عبد الله بن جحش الاسدي من بني أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بارض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فتحنا وصأصأتم يرحسه

فان

فان قالوا محل غلاء سعر * ومسقط ديمتي طعن وضرب
فقل هي جنة حفت رباها * بمكروهين من جوع وحرب

وقال الرصافي في رصافتها

ولا كالرصافة من منزل * سقته السحائب صوب الولي
احن اليها ومن لي بها * وأين السرى من الموصلي

(وقال ابن سعيد) وبرصافة بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم في الاندلس ما يسمى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى * ومن أعمال بلنسية قرية المنصف التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسبتة يزار رحمه الله تعالى ومن نظمه

قالت لي النفس أتاك الردى * وأنت في بحر الخطايا مقيم
فما ادخرت الزاد قلت اقصري * هل يحمل الزاد لدار الكريم

ومن عمل بلنسية قرية بطرنة وهي التي كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحق بن يعلى الطرسوني

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن ببطرنة ما كانا

ومن عمل بلنسية متبتة التي نسب اليها جماعة من العلماء والادباء * ومن عمل بلنسية مدينة اندة التي في جبلها معدن الحديد واما رندة بالراء فهي في متوسط الاندلس ولها حصن يعرف باندة أيضا * وفي اشبيلية أعادها الله من المتفرجات والمتنزهات كثير ومن ذلك مدينة طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنزهاتها وكذلك تيطل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل في المتفرجات (وقال ابو عمران) موسى بن سعيد في جوابه لابي يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصر بني عبد المؤمن وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الاندلس الى مراكش ما نص محل الحاجة منه وأما ما ذكر سيدي من التخيير بين ترك الاندلس وبين الوصول الى حضرة مراكش فيكفي الفهم العالي من الاشارة قول القائل

والعز محمود وملتمس * وألذه ما كان في الوطن

فاذا ألمت بك السماء في تلك الحضرة فعلى من أسود فيها ومن ذا اضاهي بها

لا رقت لي همة ان لم أكن * فيك قد أملت كل الامل

وبعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الافياء وان الانسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرار نفس

هي الارض لا ورد لديها مكدر * ولا ظل مقصور ولا روض مجدب

افق صقيل وبساط مدبج وماء سائح وطائر مترنم بليل وكيف يعدل الاديب عن أرض على هذه الصفة فيا سموأل الوفاء ويا حاتم السماح ويا جذيمة الصفاء كمل لمن أملك النعمة بتركه في موطنه غير مكدر لخاطره بالتحرك من معدنه ملتفتا الى قول القائل

وسولت لي نفسي أن افارقها * والماء في المزن اصفى منه في الغدر

واذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما قيل صأصأ ولما مات عبيد الله بن جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجها اياه النجاشي ومهرها عنه أربعمائة دينار * ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى في النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام في تجارة أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعهما أبو بكر وبلال مروا ببحيرى وهو في صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده في كتابه وان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره وسأله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة

اليه والوصول والفوز بالدية والحصول وعند ما رد الله تعالى علينا ملكنا الرد الجميل ونالنا فضله الجزيل وكان لعثارنا المقيل خاطبنا كم بذلك لمكانكم من ودادنا ومحلكم من حسن اعتقادنا ووجهنا الى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا والله ينفعنا بجميل الظن فى دينكم المتين وفضلكم المبين ويجمع الشمل بكم فى الجهاد عن الدين وتعرّفنا الآن بمن له بأنبائكم اعتناء وعلى جلالكم حمد وثناء ولجناب ودكم اعتزاء وانتماء يتجاول عزمكم بين جمبر وور وترغبون من أجره فى ازدياد وتجددون العهد منه باليف اعتياد وبين رباط فى سبيل الله وجهاد وتوثيره بهاد بين ربا اثيرة عند الله ووهاد يحشر يوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فرحين بما آتاهم الله من فضله والله اصدق القائلين الصادقين حيث لاغارة لغير عدوّ الاسلام تتقى الا ابتغاء ما لدى الله ترتقى حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها وحور الجنان قد زينت أترابها دار الغرب الذين قرعوا باب الفتح وفازوا بجزيل المنح وخلدوا الآثار وأرغموا الكفار وأقالوا العثار وأخذوا الثار وأمنوا من لفح جهنم بماعلا على وجوههم من ذلك الغبار فكتبنا اليكم هذا نقوّى بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين ونهب بكم الى احدى الحسنيين والصبح غير خاف على ذى عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين فانكم ان جئتم أعدتم فرضا اديتموه وفضلا ارتديتموه فائدته عليكم مقصورة وغنيمته فيكم محصورة واذا اقمتم الجهاد جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا واستأنفتم سعيا من الله قريبا وتعدت المنفعة الى الوف من النفوس المستشعرة لباس البوس ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لاطنبنا واعنة الاستدلال أرسلنا هذا وقد تم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الاوطار فان قوى عزمكم والله يقويه وبعثنا من بركم على ما ننويه فالبلاد بلادكم وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها اخوانكم وأحداثها أولادكم ونرجو أن تجدوا لذكركم الله فى رباها حلاوة زائدة ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة وتكيف نفسكم فيها تكيفات تقصر عنها خلوات الملوك الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذى يوليكم وتروا أثر رحمته فيكم وتحالفوا بحرهذا الانقطاع الى الله فى سبيلكم وبنيكم وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذى يعليكم ومن الله تعالى يدنيكم فنبيكم العربى صلوات الله عليه وسلامه نبى الرحمة والملاحم ومعمل الصوارم وبجهادا لفرنج ختم عمل جهاده والاعمال بالخواتم هذا على بعد بلادهم من بلاده وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده والاستباق الى آماده هذا ما عندنا حثثناكم عليه وندبناكم اليه وأنتم فى ايثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدومكم من الاستئثار بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار وتصريف ... وتقليب القلوب واجالة الافكار واذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للا... الآخرة دار القرار وخير الاعمال عمل أوصل الى الجنة وباعد من النار و... أهل الكشف والاطلاع بهذه الارجاء والاصقاع قد اتفقت أخبارها وا... على البشارة بفتح قرب أوانه واظل زمانه فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضره

وثلثمائة فى برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا والخارب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب فى بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الاقدم الذى عليه عملت الهند فى تواريخ البردة وظهورها فى أرض الهند دون سائر الممالك ولهم فى البردة خطب طويل أعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك فى الكتاب الاوسط ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم فى كل سبعين ألف سنة هازروان وان العالم اذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل الماء وذب الحيوان وبقل العشب وخرق النسيم الهواء وأما أكثر الهند فانهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تبتدئ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدّوا لذلك أجلا ضربوه ووقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى وسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ستة وثلاثين ألف سنة مكررة فى اثنى عشر ألف عام وهذا عندهم الهازروان وان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان الدوائر تقبض وتبسط

وربك

فيه مـعاه ويسلف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * ولما دخل الاندلس أمير المسلمين على ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني ملك المغرب والاندلس وأمعن النظر فيها وتأمل وصفها وحالها قال انها تشبه عقابا مخالبه طليطلة وصدره قلعة رباح ورأسه جيان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى المشرق في خبر طويل لم يحضرني الآن اذ تركته مع كتبي بالمغرب جمعني الله بها على أحسن الاحوال * ومع كون أهل الاندلس سباق حلبة الجهاد مهطعين الى داعيه من الجبال والوهاد فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوف الهجاء محل وثير المهاد وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفي ويكفي ولكن سنح لي ان اذكر هنا حكاية أبي بكر المخزومي الهجاء المشهور الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة انه كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا على الاعراض سريع الجواب ذكي الذهن فطنا للمعاريض سابقا في ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعره (والحكاية) هي ما حكاه أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد اذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن قدم المذكور يعني المخزومي على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد ونزل في جواري وكنت اسمع به بنار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رأيت ان ابدأه بالتانيس والاحسان فاستدعيته بهذه الابيات

يا ثانيا للمعري * في حسن نظم ونثر
وفرط ظرف ونبل * وغوص فهم وفكر
صل ثم واصل حفيا * بكل بر وشكر
وليس الا حديث * كأنها عقد در
وشادن يتغنى * على رباب وزمر
وما يسامح فيه الـ * ـغفور من كاس خمر
وبيننا عهد حلف * ليا سر حلف كفر
نعم نجدده عهدا * يطيب شكرو يسر
والكاس مثل رضاع * ومن كمثلك يدري

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا اقاده فلما استقر به المجلس وأفعمته روائح الند والعود والازهار وهزت عطفه الاوتار قال

دار السعيدي ذي ام دار رضوان * ما تشتهي النفس فيها حاضر داني
سقت اباريقها للند سحب ندى * تحدى برعد لاوتار وعيدان
والبرق من كل دن ساكب مطرا * يحيي به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نحدثه * ولا سبيل له الا باآذان

فقال أبو بكر بن سعيد والى الآن لا سبيل له الا باآذان فقال حتى يبعث الله ولد زنى كلما انشدت هذه الابيات قال انها الاعمى فقال اما انا فلا انطق بحرف فقال من صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعي حاضرة فقالت وتراك يا استاذ قديم النعمة بمجمر ند وغناء

جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في اول الكر لانفساح الدوائر وتمكن ٨٩ القوى من المحال وتقصر الاعمار في آخر الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار الباترة للاعمار وذلك ان أقوى الاجسام وصفوها في أول الكر يظهر ويسرح وان الصفو سابق الكدر والصافي يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور منسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقص القوى وتبيد المواصل وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة فلا تخطئ ذوي الاعصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرنا علل وبراهين في المبادي الاول وفيما استنداه من تفريقهم في الدوائر الهازروانات ورموز واسرار في النفوس واتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى اجناسهم واشرفهم ولا يغتذون بشئ من الحيوان وفي رقاب الرجال

وشراب فتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه بالعيان ولكن من يجيء من حصن المدور وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النعيم فلما استوفت كلامها تنحنح الاعمى فقالت له ذبحة فقال من هذه الفاضلة فقالت عجوز مقام أمك فقال كذبت ما هذا صوت عجوز انما هذه نغمة قحبة محترقة تشم روائحها هنا على فراسخ فقال له أبو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الاديبة فقال سمعت بها لا أسمعها الله خيرا ولا أراها الا أيرا فقالت له يا شيخ سوء تناقضت وأي خير للمرأة مثل ما ذكرت ففكر ساعة ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وان كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فاعملت فكرها ثم قالت

قل للوضيع مقالا * يتلى الى حين يحشر
من المدور أنشئت والخرا منه اعطر
حيث البداوة أمست * في مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبا * بكل شيء مدور
خلقت أعمى ولكن * تهيم في كل اعور
جازيت شعرا بشعر * فقل لعمري من اشعر
ان كنت في الخلق انثى * فان شعري مذكر

فقال لها الاعمى

الا قل لنزهونة ما لها * تجر من التيه أذيالها
ولو أبصرت فيشة شمرت * كما عودتني سربالها

فحلف أبو بكر بن سعيد ان لا يزيد أحدهما على الآخر في هجو كلمة (فقال المخزومي) أكون هجاء الاندلس واكف عنها دون شيء فقال انا اشتري منك عرضها فاطلب فقال بالعبد الذي ارسلته فقادني الى منزلك فانه لين اليد رقيق المشي فقال أبو بكر لولا كونه صغيرا كنت أبلغك به مرادك واهبه لك ففهم قصده وقال أصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتني به على نفسك فضحك أبو بكر وقال ان لم تهج نظما هجوت نثرا فقال أيها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومي بالعبد بعد ما اصلح الوزير بينه وبين نزهون انتهى * وفي كتاب الدر المنضد في وفيات اعيان أئمة محمد تاليف الامام صارم الدين ابراهيم بن دقماق قال أبو القاسم بن خلف كان يعني المخزومي المذكور حيا بعد الاربعين وخمسمائة انتهى * ونقلت من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربي ما ملخصه وممن ادركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين ابن جعفر الحاجب وذكر نبه منالانه ملحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم بل كان واحد عصره في الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يلحق فيها مع شرف النفس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره وافنى دهره في اللهو واللعب والنكاهة والطرب

والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن أين أقبلنا والى أين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غني من كل وجه عن ابقائنا ايانا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى احدا من الناس ادرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة فقال الحكيم الثاني لو تناهت حكمة البارئ عز وجل في احد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة انفسنا التي هي أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعد منا فقال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعا احتاج وكان

وكان أعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون وكثيرا ما يقول المعاني اللطيفة في الأبيات الحسنة ويصوغ عليها الألحان المطربة البديعة المعجبة اختراعا منه وحذقا وكانت له في ذلك قريحة وطبع وكان إذا لم يزره أحد من إخوانه أحضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض غلمانه وكلهم يغني فيجيد فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم وكان نشارة الزامر الذي يزمر عليه من حذاق زمرة المشرق وكان بعيد الهمة سمحا إنما يدتغل عليه ضياعه كل عام أموالا جليلة فلا تحول السنة حتى ينفد جميع ذلك ويستلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق من الآمال من يقصد بهذا الشأن فيدل عليه ومن وصله منهم استقبله بصنوف البر والإكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه إلى أحد من الناس فلا يزال معه في صبوح وغبوق وهو مجدد له كل يوم كرامة حتى يأخذ جميع ما معه من صوت مطرب أو حكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من إخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء فارتج المجلس إذ دخل عليه بعض غلمانه فقال بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر أنه ضيف فأمر بإدخاله فإذا رجل أسمر سناط رث الهيئة فسلم عليه قال أين بلد الرجل قال البصرة فرحب به وأمره بالجلوس فجلس مع الغلمان في صفة وأتى بطعام فأكل وسقي أقداحا ودار الغناء في المجلس حتى انتهى إلى آخرهم فلما سكتوا اندفع يغني بصوت ندي وطبع حسن

ألا يا دار ما الهجر * لسكانك من شاني
سقيت الغيث من دار * وإن هيجت أشجاني
ولو شئت لما استسقيت غيثا غير أجفاني
بنفسي حل أهلوك * وإن بانوا بسلواني
وما الدهر بمأمون * على تشتيت خلان

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الحذق في إشارته والطيب في طبعه وقال يا غلام خذ بيده إلى الحمام وعجل علي به فأدخل الحمام ونظف ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فألقيت عليه ورفعه فأجلسه عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له

قومي امزجي التبر باللجين * واحتملي الرطل باليدين
واغتنمي غفلة الليالي * فربما أيقظت لحين
فقد لعمري أقر منا * هلال شوال كل عين
ذات الخلاخيل أبصرنه * كنصف خلخالها اللجين

فطرب وشرب واستزاده فغناه

من لي على رغم الحسود بقهوة * بكر ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المذاب تضمه * كأس كقشر الدرة البيضاء
والنجم في أفق السماء كأنه * عين تخالس غفلة الرقباء

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدني فغناه

وأنت الذي أشرقت عيني بمائها * وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة وقال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه أن لا يغفل عن ذلك لا سيما إذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أنا لا أدري ما تقولون غير أني أخرجت إلى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم ويمم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودي) وقد رأيت أبا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن ابن موسى النوبختي في كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي من أجلها أحرقوا أنفسهم في النيران وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب فما تعرضنا لشيء مما ذكرنا ولا يممنا نحو ما وصفنا وقد تنوزع في البرهمن فمنهم من زعم أنه آدم عليه السلام وأنه رسول الله عز وجل إلى الهند ومنهم من يقول إنه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا أشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت إلى نصب ملك عليها

وأغرقتها بالدمع حتى جفونها * لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا

فى يوم من أحسن الايام وأطيبها ووصله وأحسن اليه ولم يزل عنده مقربا مكرما وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ فخلاه وما أحب ثم وصف له الاندلس وطيبها وكثرة خمورها فمضى اليها ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب انتهى وغرضى من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقى الاندلس وطيبها وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب والله المسؤل فى حسن المتاب * ورأيت فى بعض كتب تاريخ الاندلس فى ترجمة السلطان باديس الصنهاجى صاحب غرناطة مانصه وهو الذى أكمل ترتيب نصبة مالقة وكان افرس الناس وانبلهم ذا مروءة ونجدة وقصره بغرناطة ليس ببلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى وهذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن الخطيب فى قصيدته السينية المذكورة فى الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب فلتراجع ثمة * وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه واذا ادخله احد لم يتحرك ونظير هذا المعنى فى بعض الحيوانات بالنسبة الى بعض البلاد كثير وذلك برصد أو طلسم وقد استطرد بعض علماء اصول الدين ذلك عند ما تكلموا على السحر حسبما قرر فى محله والله أعلم هكذا رأيت فى كلام بعض علماء المشارقة والذى رأيته لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية الا ماتت من ساعتها ويؤتى بالحيات والعقارب الهاجية فبنفس ماتدخل الى جوف البلد تموت قال ولا يتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والعنب المعلق من ستة أعوام والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والاجاص اليابسة من أربعة أعوام والفول والحمص من عشرين سنة ولا يسوّس فيها خشب ولا ثوب كان صوفا او حريرا او كتانا وليس فى بلاد الاندلس أكثر فاكهة منها ولا اطيب طعما ولا أكبر جرما والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية اميال ولها اعمال كثيرة مدن وحصون وقرى مسافة اربعين ميلا وهى تضاهى مدن العراق فى كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فامرها عظيم وقد اسلفنا ذكرها

* واعلم ان بارض الاندلس من الخصب والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالبا فى غيرها فمن ذلك ما ذكره الحجارى فى المسهب ان السمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيعة يوجد فى البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويجلب الى سرقسطة ويصنع بها ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يصنع بقرطبة قال هذا السمور المذكور هنا لم اتحقق ماهو ولا ما عنى به ان كان هو نباتا عندهم او وبر الدابة المعروفة فان كانت الدابة المعروفة فهى دابة تكون فى البحر وتخرج الى البر وعندها قوة ميز وقال حامد بن سمجون الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون فى بحر الروم ولا يحتاج منه الا خصاه فيخرج الحيوان من البحر فى البر فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق فربما عرض للقناصين مرة أخرى فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين فخذيه ليرى موضع خصيه خاليا فاذا رآه القناصون كذلك تركوه قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضا الجند بادستر والدواء الذى يصنع من خصيه من الادوية الرفيعة ومنافعه

كثيرة

من أكبر ولده فكان ولى عهده الموصى له من ولده ابنه (الناهود) فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر اليهم وزاد فى بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد فى مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفى أيامه عمل النرد واحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وانها لا تنال بالكسب ولا بالحيل فى هذه الدنيا وان الرزق لا يتأتى فيها بالحذق وقد ذكر ان اردشير ابن بابك اول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثنى عشر بيتا بعدد الشهور وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل التصيير مثلا للقدر وتقلبه باهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاد القدر اياه بما فى مراده واللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره الا اذا أسعده القدر وان الارزاق والحظوظ فى هذه الدنيا لا تنال الا بالجدود ثم ملك (دامان) بعد الناهود فكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة وله أمان سير واخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك اربعين ومائة سنة ثم

كثيرة وخاصيته في العلل الباردة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة والقنلية حيوان أدق من الارنب وأطيب في الطعم وأحسن وبرا وكثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا توجد في بر البربر الا ما جلب منها الى سبتة فنشأ في جوانبها قال ابن سعيد وقد جلبت في هذه المدة الى تونس حضرة أفريقية ويكون بالاندلس من الغزال والايل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مما لا يوجد في غيرها كثيرا وأما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون في أقاليم الحرارة ولها سبع يعرف باللب أكبر بقليل من الذئب في نهاية من القحة وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا وبغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو في خيل البر الجنوبي ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد عاينت من ذلك العجب والمسافرون في البحر يخافون منها لئلا تقلب المراكب فيقطعون الكلام ولها نفخ بالماء من فيها يقوم في الجو ذا ارتفاع مفرط وقال ابن سعيد قال المسعودي في مروج الذهب في الاندلس من أنواع الافاويه خمسة وعشرون صنفا منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غالب أن المسعودي قال أصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما موجودان في ارض الاندلس ويوجد العنبر في ارض الشحر قال ابن سعيد وقد تشكك وافي اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع في قعر البحر يصير منها ما تبلعه الدواب وتقذفه قال الحجاري ومنهم من قال انه نبات في قعر البحر وقد تقدم قول الرازي ان المحلب وهو المقدم في الافاويه والمفضل في انواع الاشنان لا يوجد في شيء من الارض الا بالهند والاندلس قال ابن سعيد وفي الاندلس مواضع ذكروا أن النار اذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود وما أشبهه وفي جبل شلير افاويه هندية قال واما الثمار واصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان في الاقاليم الباردة ولا يعدم منها الا التمر ولها من انواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفري باشبيلية قال ابن سعيد وهذان صنفان لم تر عيني ولم اذق لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي والرمان السفري والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره وقد ذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة وانها في الاندلس التي هي بعض تلك الارض واعظم معدن للذهب بالاندلس في جهة شنت ياقور قاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفي جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس في شمال الاندلس كثير والصفر الذي يكاد يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة في اماكنها والعين التي يخرج منها الزاج في ليلة مشهورة وهو كثير مفضل في البلاد منسوب لجبال طليطلة جبل الطفل الذي يجهز الى البلاد ويفضل على كل طفل بالمشرق والمغرب وبالاندلس عدة مقاطع للرخام وذكر الرازي أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الابيض الناصع اللون والخمري وفي

ملك بعده (دستلم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذي ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بثعلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة في ابوابه وامثاله يزيد عليه في حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت في ايامه الشطرنج فقضى بها على النرد وبين الظفر الذي يناله الحازم والبلية التي تلحق الجاهل وحسب حسابها ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرق حكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات في مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القطائع واقام ذلك مثالا للاجساد العلوية التي هي الاجسام السماوية من السبعة والاثني عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة في الحروب نظروا من اين يؤتون في عاجل وآجل وللهند في لعب الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلل الاولى واعدادا ضعاف

بنشرة بقطع عجيب للعمد وبباغه من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في
حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع وحصى المرية
ثمن الى البلاد فانه كالدر في رونقه وله ألوان عجيبة ومن عادتهم ان يضعوه في كيزان الماء
رز في الاندلس من الامنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه
الناس من اشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الذي لاتفوقه حمرة قال ابن سعيد
بر الى مصنوعات الاندلس ينتهي التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير فقد اختصت
المرية ومالقة ومرسية بالوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا رأوا
منه شيأ وفي تنتالة من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالي في ثمنها بالمشرق ويصنع في غرناطة
وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالملبد المختم ذو الالوان العجيبة
ويصنع في مرسية من الاسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة وآلات الصفر والحديد من
السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يبهر العقل ومنها
تجهز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب
العجيب وفخار مزجج مذهب ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف في المشرق
بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي يشبه المفضض وهو ذو ألوان عجيبة
يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما
يجري مجراه واما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والالجم والدروع والمغافر
في كثرهم أهل الاندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفة الى هذا الشان ويصنع فيها في
بلاد الكفر ما يبهر العقول قال والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد
الاندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذي باشبيلية اليه النهاية وفي اشبيلية من
دقائق الصنائع ما يطول ذكره وقد افرد ابن غالب في فرحة الانفس للآثار الاولية التي
بالاندلس من كتابه مكانا فقال منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الارحى التي
بطركونة على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت به وذلك من أعجب ما صنع ومن ذلك
ما صنعه الاول أيضا من جلب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس من العين التي في أقليم
الاصنام جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوف ذكرانا وأنثى وشقوا به الجبال فاذا وصلوا به
الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا
الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخة بني له رصيف وأجرى عليه هكذا الى ان انتهى به
الى البحر ثم دخل به في البحر واخرج في جزيرة قادس والبنيان الذي دخل عليه الماء في البحر
ظاهر بين قال ابن سعيد الى وقتنا هذا ومنها الرصيف المشهور بالاندلس قال في بعض اخبار
رومية انه لما ولي يوليش المعروف بجاشر وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها كان ابتداؤه
بذلك من مدينة رومية الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ثم بدأ بفرش
المبطلة وأقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها أرض الاندلس وركزها شرقي
قرطبة ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة
الى شقندة الى استجة الى قرمونة الى البحر واقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من

مدينة

المدرج سابعه عشر الف الف الف الف
ألف ألف وتسعة آلاف ألف ألف الف الف واربعون وسبعمائة الف الف ٩٤ الف الف
ألف ألف وخمسمائة
ألف ألف ألف وأحد
وخمسون ألف ألف وستمائة
وخمسة عشر ألف ومراتب
هذه الالوف الستة الاولى
ثم الخمسة التي هي ألف
ألف خمس مرات ثم الاربع
ثم الثلاث ثم الاثنين ثم
الواحد ولهات تذهم معان
يذكرونها في الدهور
والاعصار وما تقتضيه
سائر المؤثرات العلوية في
هذا العالم لارتباط نفوس
الناطقين بها ولليونانيين
والروم وغيرهم من الامم في
الشطرنج كلام ونوع من
اللعب بها وقد ذكر ذلك
الشطرنجيون في كتبهم ممن
تقدم منهم الى الصولي
والعدلي واليهما كان
انتهاء اللعب بالشطرنج في
هذا العصر وكان ملك
بلهيت ملك الهند الى أن
هلك ثمانين سنة وفي بعض
النسخ انه ملك ثلاثين
ومائة سنة ثم ملك بعده
(كورس) فأحدث للهند
آراء في الديانات على حسب
ما رأى من صلاح الوقت
وما يحتمله من التكليف
أهل العصر وخرج عن
مذاهب من سلف وكان في
مملكته وعصره سندباد ودون
له كتاب الوزراء السبعة
والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم في معرفة العلل

مدينة رومية وذكر أنه أراد تسقيفها فى بعض الاماكن راحة للخاطرين من وهج الصيف وهول الشتاء ثم توقع ان يكون ذلك فساداً فى الارض وتغيير الطرق عند انتشار اللصوص وأهل الشر فيها فى المواضع المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هى عليه وذكر فى هذه الآثار صنم قادس الذى ليس له نظير الا الصنم الذى بطرف جليقية وذكر قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مربيطر (قال ابن سعيد) وفى الاندلس عجائب * منها الشجرة التى لولا كثرة ذكر العامة لها بالاندلس ما ذكرتها فان خبرها عندهم شائع متواتر وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها وهم جم غفير وهى شجرة زيتون تصنع الورق والنور والثمر من يوم واحد معلوم عندهم من ايام السنة الشمسية * ومن العجائب السارية التى بغرب الاندلس يزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان اذا أجدبوا المطر أقاموها فيمطر الله جهتهم * ومنها صنم قادس طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهب فى البحر المحيط فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه فلما هدم فى أول دولة بنى عبد المؤمن صارت السفن تجرى فيه * وبكورة قبرة مغارة ذكرها الرازى وحكى انه يقال انها باب من أبواب الريح لا يدرك لها قعر * وذكر الرازى ان فى جهة ذلعة وردجيلا فيه شق فى صخرة داخل كهف فيه فاس حديد متعلق من الشق الذى فى الصخرة تراه العيون وتلمسه اليد ومن رام اخراجه لم يطق ذلك واذا رفعته اليد ارتفع وغاب فى شق الصخرة ثم يعود الى حالته * وأما ما أورده ابن بشكوال من الاحاديث والآثار فى شأن فضل الاندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد فى كتابه المغرب ولم اذكرها وأنا والله أعلم بحقيقة أمرها وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من ان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس قال وذكر سيف عن عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه والله أعلم بصحة ذلك ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم قال سيف وذلك ان عثمان ندب جيشا من القيروان الى الاندلس وكتب لهم أما بعد فان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس فانكم ان فتحتموها كنتم الشركاء فى الاجر والسلام انتهى قلت عهدة هذه الامور على ناقلها وأنا برىء من عهدتها وان ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فانها عندى لا أصل لها وأى وقت بعث عثمان الى الاندلس مع أن فتحها بالاتفاق انما كان زمان الوليد وانما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير والله أعلم (قال ابن سعيد) وميزان وصف الاندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة فتى سافرت من مدينة الى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحارى فيها معدومة ومما اختصت به أن قراها فى نهاية من الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها فهى كما قال الوزير ابن الحمارة فيها

لاحت قراها بين خضرة أيكها * كالدر بين زبرجد مكنون

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها ويضيق الصدر بضيق أوضاعها وفى الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المسورة من مثلها والمثال فى ذلك انك اذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش وهى

والادواء والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى أن مات عشرين ومائة سنة ولما ملك هذا الملك اختلفت الهند فى آرائها فتحزبت الاحزاب وتحيلت الحيل وانفرد كل رئيس بناحية فملك على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وتملك على أرض قشمير ملك وتملك على مدينة المانكير وهى الحوزة الكبرى ملك يسمى بالبلهرا وهذا أول ملك سمى من ملوكهم بالبلهرا فصارت سمة لمن ادحر من الملوك لهذه الحوزة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وأرض الهند أرض واسعة فى البر والبحر والجبال وملكهم متصل بملك الزابج وهى دار مملكة المهراج ملك الجزائر وهذه المملكة فى قدر بين مملكة الهند والصين وتضاف الى الهند والهند متصلة مما يلى الجبال بأرض خراسان والسند الى أرض التبت وبين هذه الممالك تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه آنفا والهند فى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت

في نهايته من الحضارة والنضارة ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير في الاندلس ولهذا كثرت مدنها وأكثرها أسوار من أجل الاستعداد للعدو فحصل لها بذلك التشييد والتزيين وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة لامتناع معاقلها ودربة أهلها على الحرب واعتيادهم مجاورة العدو بالطعن والضرب وكثرة ما تختزن الغلة في مطاميرها فمنها ما يطول صبره عليها نحو مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن وان كان العدو قد نقصها من أطرافها وشارك في أوساطها ففي البقية منعة عظيمة فأرض بني فيها مثل أشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة المتمصرة الرجاء فيها قوي بحول الله وقوته انتهى قلت قد خاب ذلك الرجاء وصارت تلك الارجاء للكفر معرجا ونسأل الله تعالى الذي جعل لهم فرجا وللضيق مخرجا أن يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا آمين (ومن غرائب الاندلس) البيلتان اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة أرين من أرض الهند وقد ذكره المسعودي وانه يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوف في جوف النهر الاعظم في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما أنهما تمتلئان وتحسران مع زيادة القمر ونقصانه وذلك أن أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء فاذا أصبح كان فيهما سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ولا يزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء واذا تكلف أحد حين ينقصان أن يملأهما وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلائهما افراغهما ولم يبق فيهما شيئا ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما ملأهما في الحين وهما أعجب من طلسم الهند لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار وأيضا فان هاتين ليستا في مكان الاعتدال ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصارى دمرهم الله طليطلة فأراد أذفنش أن يعلم حركاتهما فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليها الماء وكيف الحركة فيهما فقلعت فبطلت حركتهما وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودي الذي جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذي أعلم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فأراد أن يكشف حركة البيلتين فقال له أيها الملك أنا أقلعهما وأردهما أحسن مما كانتا وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتحسران في الليل فلما قلعت لم يقدر على ردها وقيل انه قلع واحدة ليبصر صنعتها فبطلت ولم تزل الاخرى تعطي حركتها والله أعلم بحقيقة الحال (وقال بعضهم) في اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير عظيمة الشأن طيبة المكان لها البر المديد والبحر

فيه ولم توجد في غيره تفلفل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر جالينوس في طرب السودان وغلبة الفرح عليهم وما خص به الزنج دون سائر السودان في الاكثر من الطرب امورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا أن أبا العباس الراضي بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من يد اسود ويقول انه عبد مشوه خلقه فلست أدري أقلد طاوسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا في كل برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها في أمور الرعية لان في نظر العوام عندها الى ملوكها خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عند هؤلاء لا تجوز الا بالتدبير ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودي) ورأيت في بلاد سرنديب الساكن

السا كن والوادى العظيم وهى قريبة من البحر المحيط الى أن قال ولو لم يكن لها من الشرف
الا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ فى فراسخ
لكفى وبها منارة فى جامعها بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام أعظم بناء منها وعسل
الشرف يبقى حينا لا يترمل ولا يتبدل وكذلك الزيت والتين وقال ابن مغلح ان اشبيلية عروس
بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الاعظم وليس فى الارض أتم حسنا من
هذا النهر يضاهى دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت
ظلال الثمار وتغريد الاطيار أربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبيه
عشرة فراسخ فى عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة وفيه من أنواع السمك مالا
يحصى وبالجملة فهى قد حازت البر والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس
وقصب السكر ويجمع منها القرمز الذى هو أجل من اللك الهندى وزيتونها يختزن تحت الارض
أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى انتهى ملخصا
* ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال لا يتزود فيها أحد ما حيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها
وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعاقل والقرى مالا يحصى وهى
بطاح خضر وقصور بيض قال ابن سعيد وأنا أقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة
الاندلس وطفت فى بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة ثم طفت فى
أفريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرأيت بجاية وتونس ثم دخلت الديار المصرية
فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما
لم أر ما يشبه رونق الاندلس فى مياهها وأشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة
دمشق بالشام وفى حماة مسحة أندلسية ولم أر ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتنجيد
الا ما شيد بمراكش فى دولة بنى عبد المؤمن وبعض اماكن فى تونس وان كان الغالب على
تونس البناء بالحجارة كالاسكندرية ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وابسط وابدع
ومبانى حلب داخلة فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها اتقان انتهى ومن
احسن ما جاء من النظم فى الاندلس قول ابن سفر المرينى والاحسان له عادة

فى أرض أندلس تلتذ نعماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس فى غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
وأين يعدل عن أرض تحض بها * على المدامة أمواه وأفياء
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها * وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به * من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذى يهفو بها سحرا * ولا انتثار لآلى الطل أنداء
وانما أرج الند استثار بها * فى ماء ورد فطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصنفه * وكيف يحوى الذى حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت * فريدة وتولى ميزها الماء

وهى جزيرة من جزائر البحر ان الملك من ملوكهم اذا مات صير على عجلة قريبة من الارض صغيرة البكرة معدة
لهذا المعنى وشعره يجر
على الارض وامرأة بيدها
مكنسة تحثو التراب على
رأسه وتنادى أيها الناس
هذا ملككم بالامس قد صار
فيكم حكمة وقد صار الى
ما ترون من ترك الدنيا
وقبض روحه ملك الموت
والحى القديم الذى لا يموت
فلا تغتروا بالحياة بعده
وتقول كلاما هذا معناه من
الترهيب والتزهيد فى هذا
العالم ويطاف به شوارع
المدينة ثم يفصل أربع قطع
وقد هيئ له الصندل
والكافور وسائر أنواع
الطيب فيحرق بالنار ويذر
رماده فى الرياح وكذلك فعل
أكثر أهل الهند بملوكهم
وخواصهم لغرض يذكرونه
ونهج يتيممونه فى المستقبل من
الزمان والملك مقصور فى اهل
بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم
وكذلك بيت الوزارة والقضاة
وسائر أهل المراتب لا تغير
ولا تبدل والهند تمتنع من
شرب الشراب ويعنفون
شاربه لا على طريق التدين
ولكن تنزها أن يوردوا
على عقولهم ما يغشيها ويزيلها
عما وضعت له فيهم واذا
صح عندهم عن ملك من
ملوكهم شربه استحق
الخلع عن ملكه اذ كان
لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يسقون الجوارى فيطربن بحضرتهم فتطرب الرجال لطرب الجوارى

دارت عليها نطاقا أبحر خفقت * وجدا بها اذ تبدّت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء
فيها خلعت عذاري ما بها عوض * فهي الرياض وكل الارض صحراء

ولله در ابن خفاجة حيث يقول

ان للجنة بالاندلس * مجتلى مرأى وريا نفس
فسنى صبحتها من شنب * ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقد تقدّمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذه الابيات وهو بالمغرب الاقصى في برّ العدوة ومنزله في شرق الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد في المغرب ما نصه قواعد من كتاب الشهب الثاقبة في الانصاف بين المشارقة والمغاربة اول ما نقدّم الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول انها مع ما بأيدي عباد الصليب منها أعظم سلطنة كثرت ممالكها وتشعبت في وجوه الاستظهار للسلطان اعانتها وندع كلامنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها في المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى أسباب التملك الفاشية فيها ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم أخذ في عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرافقه وقال في أثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره ان سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في كل سنة مائتا ألف دينار وصرف الدينار سبعة عشر درهما هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفا ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ثم قال ابن حوقل ومن أعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال مع علم أمير المؤمنين بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب لم أر بدّا من اثبات هذا الفصل وان كان على أهل بلدي فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعري اذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين حموها بيد التهم من الامم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب واني لاعجب منه اذ كان في زمان قد دلفت فيه عباد الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام حيث

والهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم وسيرهم في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسله اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهرا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القشمير وملك الطافي وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من بملكه برّ وبحر فأما البلهرا فان بين دار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدرى كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار ملكه بين الجبال ويساويه من ملوك الهند ممن لا بحر له بؤورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذي على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه في كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد أسلفنا ذلك فيما تقدّم من كتبنا والله تعالى أعلم

الجمهور

الجمهور والقبة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما أدرك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور فى كتب التواريخ ومن أعظم ذلك وأشده انهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التى يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون و يأسرون فلا تجتمع همم الملوك لمحاورة على حسم الداء فى ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذى لا يطب وقد كانت جزيرة الاندلس فى ذلك الزمان بالضد من البلاد التى ترك وراء ظهره وذلك موجود فى تاريخ ابن حيان وغيره وانما كانت الفتنة بعد ذلك الأعلام بينة والطريق واضح فلنرجع الى ما نحن بسبيله كانت سلطنة الاندلس فى صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين أفريقية واختلاف الولاة داع الى الاضطراب وعدم تأثل الاحوال وتربية الفخامة فى الدولة ولما صارت الاندلس لبنى أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كل أبى فيها وأطاعهم كل عصى عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون لانفسهم بأبناء الخلائف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر العدوة ما ضخمت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهار الهيبة وتمكن الناموس من قلوب العالم ومراعاة أحوال الشرع فى كل الامور وتعظيم العلماء والعمل بأقوالهم واحضارهم فى مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات فى تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وانهم كانوا فى نهاية من الانقياد الى الحق لهم أو عليهم وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل وكانت ألقاب الاول منهم الامراء أبناء الخلائف ثم الخلفاء أمراء المؤمنين الى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذى رتبت عليه فاستبدت ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسموا بملوك الطوائف وكان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على امامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهون فى أحوال الملك حتى فى الالقاب فآل أمرهم الى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء وترفعوا الى طبقات السلطنة العظمى وذلك بما فى جزيرتهم من أسباب الترفه والفخامة التى تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهاة ولاجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيروانى

مما يزهدنى فى أرض اندلس * تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسى أمير المؤمنين وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد وكانت لبنى عباد مملكة اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بنى أمية يظهرون للناس فى الاحيان على أبهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف الى أن كانت الفتنة فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوى الذين توثبوا على الخلافة فى أثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون و يأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بنى العباس وكانوا اذا حضرهم منشد لمدح أو من

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا ان الارض مستديرة ومركزها فى وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند فلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات فى بحر أوقيانوس الغربى وهى ستة اجزاء عامرة الى اقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثنى عشر فعلموا ان الشمس اذا غابت فى اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر أوقيانوس الغربى واذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى اقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذى ذكروا انهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التى عملوا عليها فى مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهى الى جزيرة تولى التى فى برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين

يحتاج الى الكلام بين ايديهم يتكلم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبونى أمام حاجب ادريس بن يحيى الحمودى الذى خطب له بالخلافة فى مالقة وأنشده قصيدته المشهورة النونية التى منها قوله

وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن علـى بن حمود أمير المؤمنين

وبلغ فيها الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شئت وانبسط مع الشاعر وأحسن اليه ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والادباء ويحب أن يشهر عنه ذلك عند مباديه فى الرياسة ومذ وقعت الفتنة بالاندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن امام الجماعة وصار فى كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومن نزاع الى ذلك فصعب ضمهم الى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بتهيج المنافسة والطمع الى أن انقادوا الى عبد المؤمن وبنيه وتلك القواعد فى رؤسهم كامنة والثوار فى المعاقل تثور وتروم الكرة الى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد القلوب منحرفة عن دولة بر العدوة مهيأة للاستبداد فملكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الرأى وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة يمشى فى الاسواق ويضحك فى وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه مالم يعتادوه من سلطان فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء وكان كما قيل

أمور يضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها الحليم

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وملك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابط فيما يقال فى شأن أهل الاندلس فى السلطان أنهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسان او جوادا يبرع الاجواد تهافتوا فى نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير فى عاقبة الامر الام يؤول وبعد أن يكون الملك فى مملكة قد تورث وتدوولت ويكون فى تلك المملكة قائد من قوادها قد شهرت عنه وقائع فى العدو وظهر منه كرم نفس للاجناد ومراعاة قدموه ملكا فى حصن من الحصون ورفضوا عيالهم وأولادهم ان كان لهم ذلك بكرسى الملك ولم يزالوا فى جهاد وتلاف أنفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته وأهل المشرق أصوب رأيا منهم فى مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلا يدخل الخلل الذى يقضى باختلال القواعد وفساد الترتيبة وحل الاوضاع ونحن نمثل فى ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الفتنة الاخيرة بالاندلس تمخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يكثر مغاورة العدو من حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى أن طار اسمه فى الاندلس وآل ذلك الى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجى وملك جيان أحصن بلد بالاندلس وأجله قدرا

المشرق والمغرب فى جزيرة الهند والحبش من ناحية الجنوب فعرض ما بين الشمال والجنوب فى النصف مما بين الجزائر العامرة واقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولى تقريبا من ستين جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذى هو مقدار العرض فى النصف الذى هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر وأما الاقاليم السبعة فاولها أرض بابل تنه خراسان وفارس والاهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينهما له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وأفريقية والبربر والاندلس وما بينهما له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقاليم الخامس الشام والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة

فى

في الامتناع وملك غرناطة ومالقة وسموه بامير المسلمين وهو الآن المشار اليه بالاندلس والمعتمد عليه * وأما قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة في البيوت المعلومة لذلك الى أن كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية وأنه كان نائبا عن خليفتهم يسمى بالحاجب ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهي موجودة في أمداح شعرائهم وتوارثتهم وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلا في علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بأمور الملك خاصة * وأما الكتابة فهي على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الاندلس وأشرف أسمائه الكاتب وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة وأهل الاندلس كثيروا الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الالسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس وبر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل نبيه يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجية في الاندلس أعظم من الوزير وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة فاليه تميل الاعناق ونحوه تمد الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأثلت حاله واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر وهذا راجع الى تقلب الاحوال وكيفية السلطان * وأما خطة القضاء بالاندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأمور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي هذا وصفها في زمان بني أمية ومن سلك مسلكهم ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة الا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة جليلة وان كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها الا مسدد خاصة وقاضي القضاة يقال له قاضي القضاة وقاضي الجماعة * وأما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان وذلك قليل ولا يكون الا في حضرة السلطان الاعظم وهو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي وكانت خطة القاضي أوقر وأتقى عندهم من ذلك * وأما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن وكأن صاحبها قاض والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكبا على الاسواق وأعوانه معه وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبي الصغير والجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيان به من السوق مع الحاذق في معرفة الاوزان

له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الدبيل والصين له من البروج الميزان ومن الانجم السبعة الشمس ذكر بطليموس المنجم صاحب كتاب الزيج في النجوم وخالد بن عبد الله المروزي وغيره وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون في برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين فوجدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلا ثم ضربوا دور الارض في سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذي هو مقدار قطر الارض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربعة آلاف ذراع بالاسود وهي الذراع التي وضعها أمير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون أصبعا (قال المسعودي) وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا

وكذلك اللحم يكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار ان يبيع باكثر او دون ما حد له
المحتسب في الورقة ولا يكاد يخفى خيانته فان المحتسب يدس عليه صبيا او جارية يبتاع
احدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل
عما يلقى وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الاسواق نفي من البلد ولهم في
اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لانها عندهم
تدخل في جميع المبايعات وتتفرع الى ما يطول ذكره ✻ واما خطة الطواف بالليل وما يقابل
من المغرب أصحاب الارباع في المشرق فانهم يعرفون في الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس
لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح
معد وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم واعيائهم في أمور التلصص الى ان يظهروا على
المباني المشيدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف ان يقر عليهم
أو يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد في الاندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان
ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثير منه والتقليل الى شدة الوالي ولينه ومع افراطه
في الشدة وكون سيفه يقطر دما فان ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم الى ان قتلوا على عنقود
سرقه شخص من كرم وما اشبه ذلك ولم ينته اللصوص ✻ واما قواعد أهل الاندلس في دياناتهم
فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود
وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة في ذلك وانكاره ان تهاون فيه أصحاب السلطان
وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبؤن بخيله
ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير في اخبارهم وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة
للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم ✻ وأما طريقة الفقراء على مذهب اهل الشرق في الدورة التي
تكسل عن الكد وتحرج الوجوه للطلب في الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية واذا
رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن ان يتصدقوا عليه فلا تجد
بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر ✻ واما حال اهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق
الانصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم احرص الناس على التميز فالجاهل الذي لم يوفقه الله
للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس لان هذا عندهم في نهاية
القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره
عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك ومع هذا فليس لاهل الاندلس
مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد بأجرة فهم يقرؤن لان
يعلموا لا لان يأخذوا جاريا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله
على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ
واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة
فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت
عليه انفاسه فان زل في شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله
السلطان تقربا لقلوب العامة وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت

العمرة وان عددها أربعة
آلاف وخمسمائة وثلاثون
مدينة في عصره وسماها
مدينة مدينة في اسم اقليم
وذكر في هذا الكتاب
الوان جبال الدنيا من الحمرة
والصفرة والخضرة وغير
ذلك من الالوان وان عددها
مائتا جبل ونيف وذكر
مقدارها وما فيها من
المعادن والجواهر وذكر
الفيلسوف هذا ان عدد
البحار المحيطة بالارض
خمسة ابحر وذكر ما فيها من
الجزائر والعامر منها وغير
العامر وما شهر من الجزائر
دون ما لم يشتهر وذكر ان
في البحر الحبشي جزائر متصلة
نحو من ألف جزيرة يقال
لها الدبيجات عامرة كلها
وذكر بطليموس في
جغرافيا ان ابتداء بحر
مصر من الروم الى بحر
الاصنام النحاس وان
جميع العيون الكبار التي
تنبع من الارض مائتا
عين وثلاثون عينا دون
ما عداها من الصغار وان
عدد الانهار الكبار الجارية
في الاقاليم سبعة على حسب
ما قدمناه في عدة الاقاليم
وكل اقليم سعته تسعمائة
فرسخ في مثلها وفي البحار
ما هو معمور بالحيوان
ومنها ما ليس بمعمور وهو أوقيانوس البحر المحيط وسنأتي فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل وبذلك

وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه وان كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ماذكره الحجاري والله اعلم وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولامذهب لهم الامذهب مالك وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى ان المسلمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لانها عندهم ارفع السمات ❊ وعلم الاصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى انهم في هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل وسيبويه لايزداد مع هرم الزمان الاجدة وهم كثيروالبحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم في أي علم لايكون متمكنا من علم النحو بحيث لاتخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء مع ان كلام اهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام الشلوبين ابي علي المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بل ملئ فيه من شدة التحريف الذي في لسانه والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب واخذ يجري على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمخاطبات في الرسائل وعلم الادب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لايكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل ❊ والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم حظ ووظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويوقع لهم بالصلات على اقدارهم الا ان يختل الوقت ويغلب الجهل في حين ما ولكن هذا الغالب واذا كان الشخص بالاندلس نحويا اوشاعرا فانه يعظم في نفسه لامحالة ويسخف ويظهر العجب عادة قد جبلوا عليها ❊ واما زي اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لاسيما في شرق الاندلس فان اهل غربها لاتكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها في ذلك ولقد رأيت عزيز بن خطاب اكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الاوان واليه الاشارة وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره واما الاجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة في شرق منها أو في غرب وابن هود الذي ملك الاندلس في عصرنا رأيته في جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذي معظم الاندلس الآن في يده وكثيرا ماينزيا سلاطينهم واجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم واقبيتهم من الاشكرلاط وغيره كاقبيتهم وكذلك اعلامهم وسروجهم ❊ ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولاقسي العرب بل يعدون قسي الافرنج للمحاصرات في البلاد او تكون للرجالة عند المصافة للحرب وكثيرا ما تصبر الخيل عليهم أو تهملهم لان يؤثروها ولاتجد في خواص الاندلس واكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان الا انه لايضعه على رأسه منهم الا الاشياخ

البحار ووصفها وهذه البحار كلها في كتاب جغرافيا بانواع من الاصباغ مع تتمة المنادير في الصورة منها ماهو على صورة الطيلسان ومنها ماهو على صورة الشابورة ومنها مصراني الشكل ومنها مدور ومنها مثلث الا أن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض الفان ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع والذي يحيط به باسم دائرة النجوم هو فلك القمر فانه ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفا و ثمانية وستون فرسخا وان قطر الارض من حد راس الحمل الى الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الافلاك تسعة فاولها وهو اصغرها واقربها الى الارض للقمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها في جوف بعض ففلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين أحدهما مما يلي الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلي الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج

المغضون وتعذأثر الصوف كثيرا مايلبسونها حمرا اوخضرا والصفر مخصوصة باليهود ولاسبيل ليهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف انما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الاندلس وان رأوا في رأس مشرقي داخل الى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب والاستظراف ولا يأخذون أنفسهم بتعلمها لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب ❊ وأهل الاندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة مايلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده الا مايقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها ❊ وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروآت على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل فأوينا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا ان كان عندكم ما أشتري لكم فحما تسخنون به فاني أمضي في حوائجكم وأجعل على يقومون بشأنكم فأعطيناه ما اشتري به فحما فأضرم نارا فجاء ابن له صغير ليصطلي فضربه فقال له والدي لم ضربته فقال تعلم استغنام أموال الناس والضجر للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه أعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الي ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبها ويده في الكساء فقلت ذلك لوالدي فقال هذه مروآت أهل الاندلس وهذا احتياطهم أعطاك الكساء وقف لك على نفسه ثم أفكر في انك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفا من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشئ الحقير فقس الشئ الجليل انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير ولله دره فانه أبدع في هذا الكتاب ماشاء وقسمه الى أقسام منها كتاب وشي الطرس في حلى جزيرة الاندلس وهو ينقسم الى أربعة كتب الكتاب الاول كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس الكتاب الثاني كتاب الشفاة اللعس في حلى موسطة الاندلس الكتاب الثالث كتاب الانس في حلى شرق الاندلس الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب في ذكر ماحماه من الاندلس عباد الصليب والقسم الثاني كتاب الالحان المسلية في حلى جزيرة صقلية وهو أيضا ذو أنواع والقسم الثالث كتاب العاية الاخيرة في حلى الارض الكبيرة وهو أيضا ذو أقسام وصور رحمه الله تعالى أجزاء الاندلس في كتاب وشي الطرس وقال أيضا ان كلا من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة وهذا دون ما بقي بأيدي النصارى وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية واشبيلية التي ما في الاندلس أجمل منها فيه وقسمه الى سبعة كتب كل كتاب منها يحتوي على مملكة منحازة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة الكتاب الثاني كتاب

غير هذا الفلك وانما هي مواضع لقبت بهذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلي فيجب أن تكون الفروج تضيق من ناحية القطبين وتتسع وسط الكرة وأخط اتقاصع للكرة نصفين واحدوانه يسمى دائرة معدل النهار لان الشمس اذا دارت عليها استوى الليل والنهار في جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهي تدور على مركز الارض والارض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي تسعة أفلاك فاقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشتري وفوق ذلك فلك زحل وفي كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التي دونه مما سمينا وبالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدورانه ما تحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التي

الدهبية

الذهبية الاصلية في حلى المملكة الاشبيلية الكتاب الثالث كتاب خدع الممالقة في حلى مملكة مالقة الكتاب الرابع كتاب الفردوس في حلى مملكة بطليوس الكتاب الخامس كتاب الخلب في حلى مملكة شلب الكتاب السادس كتاب الديباجة في حلى مملكة باجة الكتاب السابع كتاب الرياض المصونة في حلى مملكة أشبونة وتذكر رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به وصور أجزاءه على ما ينبغي فالله يجازيه خيرا والكلام في الاندلس طويل عريض * وقال بعض المؤرخين طول الاندلس ثلاثون يوما وعرضها تسعة أيام ويشقها أربعون نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلثمائة من المتوسطة وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية وليس في معمور الارض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعا في يومه الا بالاندلس ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلا وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت في الفلوات والصحاري والاودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الاطعمة * وذكر صاحب الجغرافيا ان جزيرة الاندلس مسيرة أربعين يوما طولا في ثمانية عشر يوما عرضا وهو مخالف لما سبق * وقال ابن سيده أخذت الاندلس في عرض الاقليمين الخامس والسادس من الجزء الشامي في الجنوب الى البحر المحيط في الشمال وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلا انتهى ولبعضهم

لله اندلس وما جمعت بها * من كل ما ضمت لها الاهواء
فكأنما تلك الديار كواكب * وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطر جدول في جنة * راعت به الافياء والانداء

وقال غيره

في أرض اندلس تلتذ نعماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
واين يعدل عن ارض يحض بها * على الشهادة ازواج وابناء
واين يعدل عن أرض تحث بها * على المدامة امواه وأفياء
وكيف لا تبهج الابصار رؤيتها * وكل ارض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به * من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا * ولا انتثار لآلي الطل أنداء
وانما ارج الند استثار بها * في ماء ورد فطابت منه ارجاء
واين يبلغ منها ما اصنفه * وكيف يحوي الذي حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض ثم بدت * فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا ابحر خفقت * وجدا بها اذ بدت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء

قدمنا ذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق وللاوائل فيما ذكرناه جميع يطول الخطب . . فيها والكواكب المرئية التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثنى عشر يتلو بعضها بعضا في مسيرها ولا تنتقل عن اماكنها ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها تفاوت في حركتها فربما اسرع الكوكب في حركته ومسيره وربما أخذ في الجنوب وربما أخذ في الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو اوسع الاشكال بالاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب في افلاكها فمقام القمر في كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك في شهر ومقام الشمس في كل برج شهر ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ في كل برج خمسة وأربعون يوما ومقام المشتري في كل برج سنة ومقام زحل في كل برج ثلاثون شهرا * زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها أربعة

فيها خلعت ... ى ماءها عوض * فهى الرياض وكل الارض صحراء

وقد تقدمت هذه القصيدة

وقال آخر

حبذا اند ... من بلد * لم تزل تنتج لى كل سرور

طائر شادوظل وارف * ومياه سائحات وقصور

وقال آخر

ياحسن اندلس وماجمعت لنا * فيها من الاوطار والاوطان

تلك الجزيرة لست أنسى حسنها * بتعاقب الاحيان والازمان

نسج الربيع نباتها من سندس * موشية ببدائع الالوان

وغدا النسيم بها عليلا هائما * بربوعها وتلاطم البحران

ياحسنها والظل ينشر فوقها * دررا خلال الورد والريحان

وسواعد الانهار قد مدت الى * ندمائها بشقائق النعمان

وتجاوبت فيها شوادى طيرها * والتفت الاغصان بالاغصان

ما زرتها الاوحيانى بها * حدق البهار وأنمل السوسان

من بعدها ما أعجبتنى بلدة * مع ما حللت به من البلدان

وحكى بعضهم أن بالجامع من مدينة اقليش بلاط فيه جوائز مشدودة من بعضها متوية الاطراف طول الجائزة منها مائة شبر وواحد عشر شبرا * وفى الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولاتذكر وفيها غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم ولنمسك العنان فى هذا الباب فان بحر الاندلس طويل مديد وربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض أو لنقل صاحبه ما روى عنه او لاختلاف ما أو غير ذلك من غرض سديد

(الباب الثانى)

فى القاء الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحل الارتياد والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد ونبأ وصل اليه اغتيام وتم بمثله اعتياد

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلى الله عليه وسلم زويت لى مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقع الخلاف بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبتة لذى على مجاز الزقاق فكان ما يذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحمهم الله اجمعين * وذكر الحجارى وابن حيان وغيرهما ان اول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربرى مولى موسى بن نصير الذى نسبت اليه جزيرة طريف التى على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان النصرانى الحاقد على لذريق صاحب الاندلس وكان فى مائة فارس وأربعمائة راجل جاز البحر فى اربعة مراكب فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجهه مع يليان صاحب سبتة انتهازة عن أمر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وهى اقوال * وقال ابن حيان ان

لك بأنهم اخذوا ارتفاع القطب الشمالى فى مدينتى ... على خط واحد من خط ... الاستواء مثل مدينة تدمر التى فى البرية بين العراق والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب فى مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزأ وثلثا ووجدوا ارتفاع القطب فى مدينة تدمر اربعة وثمانين جزأ وثلث جزء ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلا من الارض والفلك ثلثمائة وستون جزأ لعلل ذكروها يبعد علينا ايرادها فى هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا الفلك قد انقسمت البروج لانها عشرون الشمس تقطع كل برج فى شهر وتقطع البروج كلها فى ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محورى النجار والخراط الذى يخرط الاكرة والقداع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين المحورين اعنى القطب الشمالى والقطب الجنوبى فاما اهل البلدان التى تلت الى ناحية

الاندلس كان أن ولي الوليد بن عبد الملك وموسى بن نصير ولي عمه عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين خرج في نفر قليل من المتطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك في افريقية وجعل على مقدمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة وهي قصبة بلادهم وام مدائنهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلها ولم تكن فتحت قبله وقيل بل فتحت ثم استغلقت * وذكر ابن حيان ان الاستصعاب سببته على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصراني وانه في اثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الاندلس ما سردنا بأثره ذكره * وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وحديث الفتح وما من الله به على الاسلام من المنح واخبار ما افاء الله من الخير على موسى ابن نصير وما كتب من جهاد لطارق بن زياد من نصل رصاص واوراق وحديث افول واشراق وارعاد وابراق وعض امتشاش وآلة معلقة في دكان فراش انتهى * وقال في المغرب طارق بن زياد من افريقية * وقال ابن بشكوال انه طارق بن عمرو وفتح جزيرة الاندلس ودوخها واليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح في قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى * وقال ايضا ان طارقا كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه واما طارق السلطان فيكفيه ولاية سلطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير * ومن تاريخ ابن بشكوال احتل طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين في اثني عشر الفا غير اثني عشر رجلا من البربر ولم يكن فيهم من العرب الا الشيء اليسير وانه لما ركب البحر رأى وهو نائم النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر اصحابه وثابت نفسه ببشراه ولم يشك في الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شانا للغارة واصاب عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن امير يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها ان في كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكر فاستبشر بذلك ومن معه * ومن تاريخ ابن حيان ان المحرض يليان النصراني صاحب سبتة للامر الذي وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس فجهز لها مولاه طارقا المذكور في سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر في اربع سفن وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت في شعبان سنة ٩٢ ولم تزل المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبر وان يليان السبب فيه وكان يومئذ غازيا في جهة البشكنش فبادر في جموعه وهم نحو مائة الف ذوي عدة وعدد وكتب طارق الى موسى بانه قد زحف عليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدة فجهز له فيها خمسة آلاف من المسلمين فكملوا بمن تقدم اثني عشر الفا ومعهم يليان صاحب

الشمال فانهم يرون القطب الشمالي وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي ولا الكواكب التي هي قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى في العراق السنة اياما ولا تقع عين جمل من الجمال عليه الا هلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان وأما البلدان الجنوبية فانه يرى في السنة كلها وقد تنازع طوائف الملكيين وأصحاب النجوم في هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك اساكنان هما أم متحركان وذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين المحورين أمن جنس الافلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع في شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شيء حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ من شوامخ الجبال واذا اقبلت الى نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شيء وظهرت الاشجار والارض وهذا

سدمة في حشمه ويدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار فاقبل نحوهم لذريق ومعه خيار العجم وابناء الملوك وفرسانها وقلوبهم عليه فلا فوا فيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من اتباعنا ولسنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا وهؤلاء القوم الذين طرقوا لا حاجة لهم في ايطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنم ثم يخرجوا عنا فهلم فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلهم يكفوننا امره فاذا هم انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه فاجمعوا على ذلك اهـ * وقال ابن خلدون بعد ذكره ان القوطيين كان لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمى لذريق ما نصه وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم وبملتهم وموسى بن نصير أمير العرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ أقطاره وأثخن في جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف مولاه طارق بن زياد الليثي واليا بطنجة وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده بالاندلس فعلة فعلها زعموا بابنته الناشئة في داره على عادتهم في بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق وأخذ بنته منه ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على عورة فيهم أمكنت طارقا فيها الفرصة فانتهزها لوقته وأجاز البحر سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلثمائة من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهما عسكرين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمي جبل طارق به والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسمي به وأداروا الاسوار على انفسهم للتحصن وبلغ الخبر الى لذريق فنهض اليهم يجر أمم الاعاجم واهل ملة النصرانية في زهاء اربعين ألفا وزحفوا اليه فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونفلهم اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير اذنه ويأمره ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب بن منده الفهري ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب الموالي وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق مابين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانقاد واتبع وأتم موسى الفتح وتوغل في الاندلس الى برشلونة في جهة الشرق وأربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوخ اقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه مابينهما من أمم الاعاجم النصرانية مجاهدا فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة ونمى الخبر الى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ماهم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل

الرابطة

جبل دباوند بين بلاد الري وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ويرتفع في أعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه خالية اعاليه منها ويخرج من اسفله نهر كثير الماء نهر اصفر كبريتي ذهبي اللون مسافة الصعود عليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها وان من علاه وصار في قلته وجد مساحة رأس القلة نحو ألف ذراع في مثل ذلك وهي ترى في رأى العين من أسفل نحو القبة المخروطة وان في هذه المساحة في أعاليه رملا تغوص فيه الاقدام أحمر وان هذه القبة لا يلحقها شئ من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وسموها في الهواء وشدة البرد وان في أعاليه نحوا من ثلاثين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ويخرج مع ذلك دوي عظيم كأشد مايكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد الى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتا أصفر كأنه الذهب ينتفع في أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه وان من علاه يرى ماحوله من الجبال الشامخة كأنها روابي وتلال لعلوه عليها وبين هذا الجبل وبحر طبرستان في المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب اذا لججت في هذا البحر غاب عنها جبل دباوند فلم يره أحد فاذا صاروا في هذا البحر على

الرابطة والحامية بها وردها وتركها ابنه عبد العزيز بن موسى فاوجه دعوه واو ابراه بقرطبة فاتخذها دار امارة واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر فيقال ان من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبى وولى على أفريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثار عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته وكان خيرا فاضلا وافتتح في ولايته مدائن كثيرة وولى من بعده أيوب ابن حبيب اللخمي وهو ابن اخت موسى بن نصير وولى عليها ستة اشهر ثم تتابعت ولاة العرب على الاندلس تارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله بالقيروان وأثخنوا في امم الكفر وافتتحوا اربونة من جهة الشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف وانقرضت امم القوط واوى الجلالقة ومن بقى من أمم العجم الى جبال قشتالة واربونة وأبواه الدروب فتحصنوا بها وأجاز عساكر المسلمين ما وراء اربونة من دروب الجزيرة حتى حلوا البسائط وراءها وتوغلوا في بلاد الفرنجة وعصفت ريح الاسلام بأمم الكفر من كل جهة وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازع أوجد للعدو بعض الكرة فرجع الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد اربونة لعهد ثمانين سنة من لدن فتحها واستمر الامر على ذلك وكان محمد ابن يزيد عامل افريقية لسليمان بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل أيوب بن حبيب وولى سنتين وثمانية اشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السمح بن مالك الخولانى على راس المائة من الهجرة وأمره أن يخمس أرض الاندلس فخمسها وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة اثنتين ومائة فقدم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبى من قبل يزيد بن أبى مسلم عامل افريقية فقدمها فى صفر سنة ثلاث ومائة فاستقام أمر الاندلس وغزا الفرنجة وتوغل فى بلادهم واستشهد سنة سبع ومائة لاربع سنين واربعة أشهر ثم تتابعت ولاة الاندلس من قبل أمراء افريقية فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبى أنفذه بشر بن صفوان الكلبى والى افريقية لما استدعى منه أهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة سبع وأقام فى ولايتها سنتين ونصفا ولم يغزو وقدم اليها عثمان بن أبى نسعة اللخمى واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب افريقية وعزله لخمسة أشهر بحذيفة بن الاحوص القيسى فوافاها سنة عشر وعزل قريبا يقال لسنة من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان ثم ولى بعده الهيثم بن عبيد الكلابى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا قدم فى المحرم سنة احدى عشرة وغزا أرض مقوشة فافتتحها وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائة لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله الاشجعى فولى شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره فى رمضان سنة أربع عشرة فى موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت ولايته سنة وثمانية أشهر ثم ولى عبد الملك بن قطن الفهرى وقدم فى

نحو من مائة فرسخ ويدنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالي هذا الجبل وكلما ازدادوا منه دنوا ازداد ظهوره وهذا دليل على كرية الماء والارض وأنه مستدير الشكل وكذلك من يكون فى بحر الروم الذى هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلاد انطاكية وبلاد قيسارية وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن ابصارهم فى المراكب ولا يحتجب عنهم فى المسير فى البحر فى الموضع الذى يرى منه وقد ذكر قوم بردمن هذا الكتاب جبل دباوند وما قال الفرس فى ذلك قال الضحاك ذو الافواه وهو من اعاليه بالحديد وهذه النار التى فى أعالى هذا الجبل اطم عظيمة من آطام الارض ومخازنها وقد تكلم الناس فى بعد الارض فذكر الاكثرون ان من مركز الارض الى ما ينتهى اليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربع وأربعين مرة والارض كلها نصف عشر عشر من الشمس وقد

ما تقدار سنة أربع عشرة فولى ستين وقال الواقدى أربع سنين وكان ظلوما جائرا في حكومته وغزا أرض البشكنس سنة خمس عشرة ومائة فأوقع بهم وغنم ثم عزل في رمضان سنة ست عشرة وولى عقبة بن الحجاج السلولى من قبل عبيد الله بن الحبحاب فأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدا مظفرا حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهرى سنة احدى وعشرين فخلعه وقتله ويقال اخرجه من الاندلس وولى مكانه الى أن دخل بلج بن بشر باهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه وولى الاندلس سنة أو نحوها وقال الرازى ثار أهل الاندلس بأميرهم عقبة فى صفر سنة ثلاث وعشرين فى خلافة هشام بن عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة ستة أعوام وأربعة اشهر وتوفى بقرقشونة فى صفر سنة ثلاث وعشرين واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر القشيرى بجند الشام ناجيا من وقعة كلثوم بن عياض مع البربر بطلوية فثار على عبد الملك وقتله وهو ابن سبعين سنة واستوسق له الامر بعد مقتل عبد الملك وانحاز الفهريون الى جانب فانتقموا عليه وكاشفوه واجتمع اليهم من انكر فعلته بابن قطن وقام بامرهم قطن وأمية ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدائرة على الفهريين وهلك بلج من الجراح التى نالته فى حربهم وذلك سنة اربع وعشرين لسنة أو نحوها من امارته ثم ولى ثعلبة بن سلامة الجذامى غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج واختاره الشاميون فلم يطيعوه وولى سنتين اظهر فيهما العدل ودانت له الاندلس عشرة اشهر الى ان ثارت به العصبية فى يمانيته ففسد أمره وهاجت الفتنة وقدم أبو الخطار حسام ابن ضرار الكلبى من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدان له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبى نسعة وابنا عبد الملك فلقيهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا كريما ذا رأى وحزم وكثر أهل الشام عنده ولم تحملهم قرطبة ففرقهم فى البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص واهل قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الاردن رية ومالقة وسماهما الاردن واهل فلسطين شذونة وهى شريش وسماها فلسطين واهل مصر تدمير وسماها مصر ونقل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط عند ولايته فى التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية وأسخط قيسا وأمر فى بعض الايام بالصميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن ورأس على المضرية فأقيم من مجلسه وتقنع فقال له بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا ابا الجوشن فقال ان كان لى قوم فسيقيمونها فسار الصميل بن حاتم اميرهم يومئذ وزعيمهم وألب عليه قومه واستعان بالمنحرفين عنه من اليمانية فخلعوا ابا الخطار سنة ثمان وعشرين لاربع سنين وتسعة اشهر من ولايته وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامى وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس منسلخ رجب سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس وقام بامره الصميل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنة من

الارض اثنان وأربعون ألف ميل والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة ميل ونصف ميل والمشترى مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستة عشر ميلا وزحل أعظم من الارض تسعا وتسعين مرة ونصفا وقطره اثنان وثلاثون ألف ميل وسبعمائة وستة وثلاثون ميلا وأما اجرام الكواكب الثابتة التى فى القدر الاول وهى خمسة عشر كوكبا فكل كوكب منها أعظم من الارض بأربع وتسعين مرة ونصف مرة وأما بعدها من الارض فان قرب بعد القمر منها ستة ألف وثمانية وعشرون ألف ميل وأبعد بعده من الارض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ميل وأبعد بعد عطارد من الارض سبعمائة ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف ميل وأبعد بعد الزهرة من الارض أربعة آلاف ومائة وسبعة عشر ألف ميل وستمائة ميل وأبعد بعد الشمس من الارض أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرون ألفا ونصف ميل وأبعد بعد المريخ من الارض ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستمائة ميل وثلث وأبعد بعد المشترى من الارض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستون ألف ميل الا شيأ وأبعد بعد زحل

ولايته

من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشبار وبعد الكواكب الثابتة الارض نحو ذلك فيما ذكرنا من

ولايته ووقع الخلاف بافريقية وانتقاض أمر بني أمية بالمشرق وشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج وعظم أمر المسودة فبقي اهل الاندلس فوضى ونصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن ابن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمانية وادالتها بين الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين واستتم سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وقفت اليمانية لميعاد دالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واعتادهم فبيتهم يوسف بمكان نزولهم من شقندة في قرى قرطبة بممالأة من الصميل بن حاتم والقيسية وسائر المضرية فاستلحموهم وثار أبو الخطار فقاتله الصميل وهزمه وقتله سنة تسع وعشرين واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمنية على أمرهم فاستكانوا لغلبه وتربصوا الدوائر الى أن جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولى الصميل سرقسطة فلما ظهر أمر المسودة بالمشرق ثار الحباب الزهري بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمده رجاء هلاكه لما كان يغص به وأمدته القيسية وأفرج عنه الحباب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الصميل على طليطلة الى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولي الدين بن خلدون ببعض اختصار (وقال بعض المؤرخين) ان عبد الله بن مروان أخا عبد الملك كان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد الخليفة يأمره بارسال موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة ٨٧ للهجرة فامتثل أمره ثم وقال الحميدي في جذوة المقتبس ان موسى بن نصير ولى افريقية والمغرب سنة ٧٧ فقصدها ومعه جماعة من الجند فبلغه أن بأطراف البلاد من يخرج عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة ألف رأس من السبايا ثم ولده مروان الى جهة أخرى فأتاه بمائة ألف رأس . وقال الليث بن سعد بلغ الخمس ستين ألف رأس وقال الصدفي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن افريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألفا من البربر بالاسلحة والعدة الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عنده خلقا يسيرا من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقرت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس فغزاها في اثني عشر ألفا من البربر خلا اثني عشر رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢

القديمة ولاجل هذا قاموس استمدوا منه الاسم الدالة على رتبها وبها استخرجوا الآلات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا الباب ان شرعنا في ايراد المعتبر منه كثر واتسع الكلام وانما ذكرنا لمعا من هذه الصور لتدل على ما لم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كهانهم يسمى رأس كمر وزعم بعضهم ان النصارى ترتبت كهنتهم كما انها على ما تقدمت به الصابئة في مذهبها وسمت النصارى هذه المراتب العرضات فأولها ابسالط والثاني اغنسط والثالث بودنا والرابع شماس والخامس قسيس والسادس بودوط والسابع حور العيفطس وهو الذي يخلف الاسقف والثامن اسقف والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطريرك وتفسيره أبو الآباء ومن تقدم ذكرهم من اصحاب المراتب وغيرهم من الاداني وعوامهم هذا عند خواص النصارى فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرنا وهو ان ملكا ظهر واظهر امورا يذكرونها الاحاجة

وذكر ابن حبيب أنه كان بأشمال المركب وقت التعدية فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخره وعلم ان طارقا ان فتح شيأ نسب الفتح اليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القيروان ابنه عبد الله وتبع طارقا فلم يدركه الا بعد الفتح وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلا شجاعا كريما تقيا لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير على جيوش معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني أن أشكرك بكفري من هو أولى بشكري منك فقال من هو فقال الله عز وجل فأطرق مليا ثم قال أستغفر الله ورضي عنه ※(رجع الى حديث طارق): قال بعض المؤرخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصا يقال له تدمير واليه تنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء هم أم من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له في بعض أعدائه رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ومعه العجل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت واني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسي واعلموا أنكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا اني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون

بنا الى وصفها واذ اتينا الملكية وهم عمدة النصرانية وقطبها الان المشارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية واليعاقبة من هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما أحدثت النسطورية جملا من هذه المراتب على ما ذكرنا من الفاشية وأما الفرس والناس وغير ذلك من الماسية الا النصارى والاسماع وكذلك ما حدث بعد مضي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى من ي أضيفت المانية والى مرقيون أضيفت المرقيونية والى ابن ديصان أضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك الاريوسية وغيرها من سائر طرقهم حسب الايمن وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط جملا من نوادرهم ومذاهبهم وما أوردوه من الخبر والشبه المزخرفة وما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وما ذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا المترجم بكتاب الابانة في أصول الديانات وانما ذكرنا في هذه الابواب ما تقدم الكلام اليه وتعلق هذا الوصف نحوه ورد منعا على طريق الخبر والحكاية ... المذهب لا الى طريق النظر والجدل اذ لا يخلو كتابنا هذا مما تدعو الحاجة فلما

فلما فرغ من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لذريق وأصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فاننا معك وبين يديك فركب وأصحابه فباتوا ليلتهم فى حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تكتبوا وعبوا جيوشهم وحمل لذريق وهو على سريره وقد حمل على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل فى غاية من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق فى أصحابه عليهم الزرد من فوق رؤسهم العمائم البيض وبأيديهم القسى العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق خاف وقال ان هذه الصور هى التى رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم الرعب ولما رأى طارق لذريق قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدى لذريق فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الاندلس فاستبحه هنيئا مريئا فقال له طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم انته الى البحر المحيط أخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ الى جليقية وهى ساحل البحر المحيط انتهى *(وقال الحافظ الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس) ان موسى بن نصير نقم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه الى الشام انتهى :: وقول لذريق ان هذه الصور هى التى رأيناها فى بيت الحكمة اشارة به الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذ ذاك ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولم تك عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخس أجزاء الطير وكانت اليونان لا ترى فناء الامم الا بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التى كان الاشتغال بها عندهم من اهم الامور فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فشقوا الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجنان والكروم وشيدوا الامصار وملؤها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها ان الطائر الذى صورت هذه العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله فى ذنبه (وحكى) ان الرشيد هرون رحمه الله لما حضر بين يديه بعض اهل

اليه والى ذكره والله أعلم *(ذكر الاخبار عن انتقال البحار وجمل من أخبار الانهار الكبار) :: ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وأن جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كأنها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل بسبب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد فاما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها أعنى البحار واحد وذلك من البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر أوقيانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق

المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا مثالة طائر ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المؤمنين
وانه طاوس فضحك امير المؤمنين الرشيد وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره
(رجع) قال فاغتبط اليونان بالاندلس اتم اغتباط واتخذوا دار الحكمة والملك بها طليطلة
لانها اوسط البلاد وكان اهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا
فاذا اهوانه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ
طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم العامرة فعزموا على ان يتخذوا الذين الجنسين
من الناس طلسما فرصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس سوى تعدية
البحر ويرد عليهم منهم طوائف محرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا
واكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة حتى ثبت ذلك في طباعهم وصار بعضه مركبا في
غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم فلم تجد
أندلسيا الا مبغضا بربريا وبالعكس الا أن البربر أحوج الى أهل الاندلس لوجود بعض
الاشياء عندهم وفقدها ببلاد البربر وكان بنواحي غرب الاندلس ملك يوناني بجزيرة يقال
لها قادس وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت الاندلس كثيرة
الملوك لكل بلدة او بلدتين ملك فخطبوها وخشي أبوها ان زوجها من واحد أسخط الباقين
فتحير وأحضر ابنته وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل
ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة اعضاء من أهل الارض أدمغة اليونان وايدي اهل
الصين وألسنة العرب فقال لها يا بنية اني أصبحت على حيرة في أمرك ممن يخطبك من الملوك
وما أرضيت واحدا الا أسخطت الباقين فقالت له اجعل الامر الي تخلص فقال وما تقترحين
وقالت أن يكون ملكا حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب في اجوبة الملوك الخطاب
انها اختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان
في الملوك الخاطبين حكيمان فكتب كل واحد منهما أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما
قال لها يا بنية بقي الامر على اشكال وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيت اسخطت
الآخر فقالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتي به فأيهما سبق الى الفراغ مما التمست
كنت زوجته قال وما الذي تقترحين عليهما قالت انا ساكنون بهذه الجزيرة ومحتاجون
الى أرحي تدور بها واني مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجاري اليها من ذلك
البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ لي طلسما تحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف
أبوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالت ابنته فأجاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا
وشرع كل واحد منهما في عمل ما أسند اليه من ذلك فأما صاحب الرحي فانه عمد الى أشكال
اتخذها من الحجارة نضد بعضها الى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الاندلس والبر
الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفرج التي بين الحجارة بما اقتضت حكمته
واوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم في الزقاق الذي بين سبتة
والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها
ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أي القولين أصح غير أن الشائع الى الآن

في البدن وقال آخرون حتى الماء أن يكون ١١٤ على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالي والهابط انحاز الماء الى أعماق الارض فاذا انحصرت المياه في اعماق الارض وقعورها طلبت النفس حينئذ لعلة الارض وضغطها اياها من أسفل فينشق من ذلك العيون والانهار وربما تتولد في باطن الارض من الهواء الكائن هناك وان الماء ليس بانقص وانما هو متولد من عفونات الارض وبخارها وقالوا في ذلك كلاما كثيرا أعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار وبسطنا ذلك في غير كتاب من كتبنا وأما مبادئ الانهار الكبار ومطارحها ومقادير جريانها فنهر مهران السند وجيحس وهو نهر عظيم بأرض الهند ونهر سامط وهو نهر عظيم ونهر اطفاس الذي يصب الى نهر نيطش وغيرها مما كبر من الانهار قد تكلم الناس في مقدار جريانها على وجه الارض فرأيت في جغرافيا (النيل) مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينا فتنصب تلك المياه الى بحرين هنالك كالبطائح ثم تجتمع المياه جاريا فتمر برمال هنالك وجبال وتخرق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهي جزيرة عامرة فيها قوم

عند

عند الناس هو الثانى فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال فى البر الكبير وسلطه من ساقية محكمة وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية ❊ وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير أنه عمل أمره واحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر فى رمل عالج حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربرى وله لحية وفى رأسه ذؤابة من شعر جعد قائمة فى رأسه لجعودتها وهو متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه فى رجله نعل وهو قائم من رأس البناء على مستهدف بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ستين أو سبعين ذراعا وهو محدودب الاعلى الى ان يدنى ما سعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابض عليه مشيرا الى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه انه لم ير قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربر الى ان سقط المفتاح من يده وكان الملكان اللذان عملا الرحى والطلسم يتسابقان الى فراغ العمل اذ بالسبق يتحقق زواج المرأة وكان صاحب الرحى فرغ أولا لكنه أخفى امره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم لتحظى المرأة بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره اجرى الماء فى الجزيرة من اوله وادار الرحى واشتهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى أعلى القبة يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من اعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على الاندلس من البربر للسبب الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وجعلوا الطلسمات فى اوقات اختاروا ارصادها واودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم على ذلك ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان لذريق المذكور آنفا هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما اقتعد اريكة الملك قال لوزرائه وخواص دولته واهل الراى منهم قد وقع فى نفسى من امر هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا شئ واريد ان افتحه لانظر ما فيه لانه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت انه لم يصنع عبثا ولم يقفل سدى والراى والمصلحة أن تلقى انت ايضا عليه قفلا اسوة بمن تقدمك من الملوك وكان آباؤك واجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال لهم ان نفسى نازعنى الى فتحه ولا بد لى منه فقالوا له ان كنت تظن ان فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ورأى فى البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه

من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى مبدا الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر فى اثارة الزيادة فيه السمو سار وهو التمساح الكائن فى نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو ابن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذى هو نهر السند من النيل ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب فى نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد

وا يجد فيه سوى رق وفى جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وهم متقلدون السيوف المحلاة معتقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك من فيها من أيديهم وبطلت حكمتهم فلما سمع لذريق ما فى الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتتح بلاد الاندلس انتهى * فهذا هو بيت الحكمة الذى أشار اليه لذريق والله أعلم بحقيقة الامر فى ذلك كله على أن فى هذا السياق مخالفة لما سنذكره عن بعض ثقات مؤرخى الاندلس وغيرهم فى شأن المائدة وغيرها وما ذكر فى هذه القصة من جلب الماء من بر العدوة اخ فيه بعد عندى لان بلاد الاندلس أكثر بلاد الله مياها وأنهارا فأنى تحتاج الى جلب الماء اليها من العدوة الاخرى الا أن يقال ان المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك أو اختبار حكمته حتى فعل هذا الامر الغريب وعلم الله من وراء ذلك كله وفوق كل ذى علم عليم ومنتهى العلم الى الله الحكيم (وقال ابن حيان فى المقتبس) ذكروا أن لذريق لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب فى القوط وأنه انما نال الملك من طريق الغصب والتسور عند ممات غيطشة الملك الذى كان قبله وكان أثير الديه مكينا فاستصغر أولاده لمكانه واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من أولاد غيطشة واستبقاهم فكانوا هم الذين دبروا عليه فيما ذكر عند مالقى رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعة منهم فى أن يودى ويخلص اليهم ملك أبيهم فالتقوا بموضع يدعى وادى لكة من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس القبلى مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين من الهجرة فانهزم القوط أعظم هزيمة وقتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الاندلس فصارت أقصى فتوحهم من أرض المغرب ومصداق موعد نبيهم صلى الله عليه وسلم الكفيل بفتح ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحى الله تعالى اليه أنجزه لهم بفتح الاندلس ولله القوة قال وقام بأمر العرب بالاندلس منذ فتحت الامراء المرسلون منهم عليها من قبل أئمة المسلمين بالمشرق طوال دولة بنى أمية رضى الله تعالى عنهم الى أن طرأ اليها فلهم عند غلبة بنى العباس عليهم ودخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها وأعاد اليها الدولة الاموية التى أورثها عقبه حقبة فكانت عدة هؤلاء الامراء من لدن أولهم طارق بن زياد الى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى عشرين عاملا وعدة سنيهم بالشمسى خمس وأربعون سنة وبالقمرى سبع وأربعون سنة غير أشهر انتهى (وقال فى موضع آخر) نقلا عن الرازى وافتتحت الاندلس فى أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملة الحنيفية وكان عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه متهمما بها معتنيا بشأنها وقد حولها عن نظر والى افريقية وجرد اليها عاملا من قبله اختاره لها دلالة على معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن أمره بفضل رأيه انتهى (وفى

السند من أرض القنوج الى مملكة بووره وأرض قشمير والقندهار والطافر حتى ينتهى الى بلاد المولتان ومن هناك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والقوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الأسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثون قديما من صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى أجواف هذا البحر وفى خليج ميدايون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الزابج من بحر مملكة المهراج وكذلك فى خلجان الاغباب وفى غب التى تلى جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها فى الماء العذب وما ذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامطار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر فنقول ان الذى ذكره الحكماء انه يجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغير عامر حتى يأتى اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها

الكتاب

الكتاب الحزائني وغيره) سياقة فتح الاندلس على أتم الوجوه فلنذكر ملخصه قالوا استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك رحمه الله تعالى موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز ابن مروان ويقال بل هو بكرى وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى عين التمر فادعوا انهم رهن وأنهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان فأعتقه فمن هنا يختلف فيه وقيل انه لخمى وعقد له على افريقية وما خلفها فى سنة ثمان وثمانين فخرج الى ذلك الوجه فى نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وأتى افريقية عمله فأخرج من أهلها معه ذوى القوة والجلد وصير على مقدمته طارق بن زياد ولم يزل يقاتل البربر ويفض جموعهم ويفتح بلادهم ومدائنهم حتى بلغ طنجة وهى قصبة ملك البربر وأم مدائنهم فحصرها حتى افتتحها وقيل انها لم تكن افتتحت قبله وقيل افتتحت ثم ارتجعت فأسلم أهلها وخطها قيروانا للمسلمين ثم ساروا الى مدائن على شط البحر بها عمال لصاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ورأس تلك المدائن سبتة وعليها علج يسمى يليان قاتله موسى فألفاه فى نجدة وقوة وعدة فلم يطقه فرجع الى مدينة طنجة فأقام بمن معه وأخذ فى الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم والسفن تختلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قبل ملكها غيطشة فهم يذبون عن حريمهم ذبا شديدا ويحمون بلادهم حماية تامة الى أن هلك غيطشة ملك الاندلس وترك أولادا لم يرضهم أهلها للملك فاضطرب حبل أهل الاندلس ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرب شجاع بطل ليس من بيت أهل الملك الا أنه من قوادهم وفرسانهم فولوه أمرهم وكانت طليطلة دار الملك بالاندلس حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامى الفتح على الايام عليه عدة من الاقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وكلوا به لئلا يفتح وقد عهد الاول فى ذلك الى الآخر فكلما قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكلون بالبيت فأخذوا منه قفلا وصيروه على ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفل من تقدمه فلما قعد لذريق هذا وكان متهمما يقتنا ذاهنا أتاه الحراس يسألونه أن يقفل على الباب فقال لهم لا أفعل أو أعلم ما فيه ولا بد لى من فتحه فقالوا له أيها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك وتناهوا عن فتحه فلم يلتفت اليهم ومشى الى البيت فأعظمت ذلك العجم وضرع اليه أكابرهم فى الكف فلم يفعل وظن انه بيت مال ففض الاقفال عنه ودخل فأصابه فارغا لا شئ فيه الا تابوتا عليه قفل فأمر بفتحه يحسب أن يضمونه يقنعه نفاسة فألفاه أيضا فارغا ليس فيه الا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلدى السيوف متنكبى القسى رافعى الرايات على الرماح وفى أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية فقرئت فاذا فيها اذا كسرت الاقفال عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فان هذه الامة المصورة فى هذه الشقة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم غمه وغم العجم بذلك وأمر برد الاقفال واقرار الحراس على حالهم وأخذ فى تدبير الملك وذهل عما أنذر به وقد كان من سير أكابر العجم بالاندلس وقوادهم أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا فى خدمته ويتأدبوا

ولا سبيل الى جريان السفن فيه هنالك وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع ١١٧ سفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتى النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون ونهر الاهواز من بلاد الفيوم وهو الموضع المعروف بالجزيرة التى اتخذها يوسف النبى صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام فى مائها ثم يمضى جاريا فتنقسم خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فكل يصب الى البحر الرومى وقد أحدث فيه بحيرات فى هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التى زادها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونمى الى وأنا بمدينة انطاكية والثغر الشامى ان النيل زاد فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدرى أفى هذه الزيادة تدخل خليج الاسكندرية أم لا وقد كان الاسكندر بن الفيلفوس المقدونى بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان يتفجر اليه عظيم ماء النيل ويسقى الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا فى نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض برقة من بلاد المغرب

بلاده ويتأدبوا بأدبه ويتعلموا من كرامته حتى اذا بلغوا أنكح بعضهم بعضا استئلافا لآبائهم وحمل صدقاتهم وتولى تجهيز إناثهم الى أزواجهن فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة وكانت توشك في يد صاحب الاندلس وأهلها على النصرانية ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فأعجبته وأحبها حبا شديدا ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضها فاحتالت حتى أعلمت أباها بذلك سرا بمكاتبة خفية فأحفظه شأنها جدا واشتدت حميته وقال ودين المسيح لأزيلن ملكه وسلطانه ولأحفرن تحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الاندلس بالذي سبق من قدر الله تعالى ثم ان يليان ركب بحر الزقاق من سبتة في أصعب الاوقات في صنبر قلب الشتاء فصار بالاندلس وأقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت وسأله عما لديه وما جاء فيه ولم جاء في مثل وقته فذكر خيرا واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى رؤية بنتها التي عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والحاحها عليه في احضارها وأنه أحب اسعافها ورجا بلوغها أمنيتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل وأجار الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وأفضل على أبيها فانقلب عنه وذكروا أنه لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات التي لم تزل تطرفنا بها فانها أثر جوارحنا لديه فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها قط عرض له بالذي أضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن فلم يتهنه يليان عندما استقر بسبتة عمله أن تهيأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير فمضى نحوه بافريقية وكلمه في غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت من أشتات المنافع وأنواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثراوة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء فشوق موسى الى ما هنالك وأخذ بالحزم فيما دعاه اليه يليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من الاندلس المشركين والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يليان ذلك وجمع جمعا من أهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياما ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا اليليان واطمأنوا اليه وكان ذلك عقب سنة تسعين وكتب موسى بن نصير الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دعاه اليه يليان من أمر الاندلس ويستأذنه في اقتحامها فكتب اليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه وان كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه طريف يكنى أبا زرعة في أربعمائة رجل معهم مائة فرس سار بهم في أربع مراكب فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم معبر سفائنهم ودار صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التأم اليه أصحابه ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيا لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا ومالا جسيما وأمتعة

وكانت السفن تجرى فى النيل فتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط أرض نيلها فى المدينة بالرخام والمرمر فانقطع
الماء لعوارض سدت خلجانها
وسدت الماء من دخوله
وقيل لعلل غير ذلك منعت
من منعه ورود الماء الى
كونه لا يحتملها كما
هذا الاستعمال فيه
الاختصار وصار حمهم من
الآثار وصار النيل على نحو
يوم منها وسنذكر فيما يرد
من هذا الكتاب فى باب
ذكر الاخبار الاسكندرية
جملا من أخبارها وأخبار
بانيها وما ذكرنا من الماء
الجارى الى بحر الزنج فانما
هو آخذ من أعالى مصب
الزنج وفرق بين بلاد الزنج
وبين أقاصى بلاد الحبش
الاحابيش ولولا ذلك الخليج
وما فيه من رمل ودهاس
لم يكن للحبشة مقام فى ديارهم
من أنواع الزنج لكثرتهم
وبسطها (وأما نهر بلخ)
الذى يسمى جيحون فانه
يخرج من أعين تجرى حتى
تأتى بلاد خوارزم وقد
اختار قبل ذلك ببلاد الترمذ
وامرآمل وغيرها من بلاد
خراسان فاذا ورد الى بلاد
خوارزم تفرق فى مواضع
هنالك ويمضى باقيه
فيصب فى البحيرة التى
عليها القرية المعروفة
بالجرجانية أسفل خوارزم
وليس فى ذلك الصقع أكبر
من هذه البحيرة ويقال انه ليس فى العمران بحيرة اكبر منها الان طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من العرض تجرى

وذلك

وذلك فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الدخول ودخل
دخل طريف فى ألف رجل فأصاب غنائم وسبيا ودخل بعده أبو زرعة شيخ من البرابرة وليس
بطريف فى ألف رجل منهم أيضا فأصابوا أهل الجزيرة فتفرقوا عنها فضرموا عامتها
بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبيا يسيرا وقتلوا وانصرفوا سالمين
وقال الرازى هو أبو زرعة طريف بن مالك المغافرى الاسم طبق الكنية قالوا ثم عاود يليان
القدوم على موسى بن نصير محركا فى الاقدام على أهل الاندلس ووصف ما كان منه ومن
طريف وأبى زرعة وما نالوه من أهلها وباشروه من طيبها فحمد الله على ذلك واستعد للاقتحام فى
اقتحام المسلمين فيها فدعا مولى له كان على مقدمته يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيا
همدانيا وقيل انه ليس بمولى لموسى وانما هو رجل من صدف وقيل مولى لهم وقد كان بعض
عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا وقيل انه بربرى من نفزة فعقد له موسى
وبعثه فى سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر والموالى وليس فيهم عرب الا قليل ووجه معه
يليان فهيأ له يليان المراكب فركب فى أربع سفن لا صناعة له غيرها وحط بجبل طارق
المنسوب اليه يوم سبت فى شعبان سنة اثنتين وتسعين فى شهر أغسطس ثم صرف المراكب
الى من خلفه من أصحابه فركب من بقى من الناس ولم تزل السفن تختلف اليهم حتى توافى
جميعهم عنده بالجبل وقيل حل طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة فى
اثنى عشر ألفا غير ستة عشر رجلا من البرابرة ولم يكن فيهم من العرب الا يسير أجازهم يليان
الى ساحل الاندلس فى مراكب التجار من حيث لم يعلم بهم أولا أولا وركب أميرهم طارق
آخرهم قيل وأصاب طارق عجوزا من أهل الجزيرة فقالت له فى بعض قولها انه كان لها زوج
عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل الى بلدهم هذا ويغلب عليه ويصف من نعته انه
ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها أن فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت بك هذه العلامة
فأنت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو
ومن معه * وذكر عن طارق أنه كان نائما فى المركب فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الاربعة أصحابه عليه الصلاة والسلام يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبى صلى
الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبته عينه
فكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا
القسى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى أصحابه
قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر أصحابه وثابت اليه نفسه ثقة
ببشراه فقويت نفسه ولم يشك فى الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلاد شانا للغارة قالوا
ووقع على لذريق الملك خبر اقتحام العرب ساحل الاندلس وتوالى غاراتهم على بلد الجزيرة
وان يليان السبب فيها وكان يومئذ غائبا بأرض بنبلونة فى غزاة له الى البشكنس لامر كان
استصعب عليه بناحيتهم فعظم عليه وفهم الامر الذى منه أتى وأقبل مبادرا القتال فى جموعه
حتى احتل بمدينة قرطبة من المتوسطة ونزل القصر المدعو بها ببلاط لذريق المنسوب اليه
وليس لانه بناه أو اخترعه وهو بناء من تقدمه من الملوك اتخذوه لمنزلهم فى قرطبة اذا أتوها

فيها السفن واليها يصب نهر فرغانة والشاش يمر ببلاد الغادات وبمدينة جنبه وتجرى فيه السفن
الى هذه البحيرة وعليها
مدينة للترك يقال لها المدينة
الحديثة وفيها المسلمون
والاغلب من الاتراك على
هذا الموضع الغزية وهم بوادى
الترك وحضرهم ايضا
وهذا الجنس من الاتراك
هم اصناف ثلاثة الاسافل
والاعالى والاواسط وهم
اشد الترك بأسا واصغرهم
واصغر هم عينا وفى الترك
اصغر من هؤلاء على ما ذكر
صاحب المنطق فى كتاب
الحيوان فى المقالة الرابعة
عشرة والثامنة عشرة حين
ذكر الطير المعروف
بالغرانيق وسنذكر جملا
من أخبار اجناس الترك
فيما يرد من هذا الكتاب
مجتمعا ومفترقا وبمدينة بلخ
رباط يقال له الاحسان على
نحو من عشرين يوما منها وهو
فى آخر أعمالها وبازائهم انواع
من الكفار من الترك يقال
لهم اوحاروبست وعلى اليمين
من هؤلاء جنس آخر يقال لهم
الغار لم ويخرج من هنالك
نهر عظيم يعرف بنهر انبار
زعم قوم من أهل الخبرة انه
مبتدأ نهر جيحون وهو نهر
بلخ ومقدار جريانه على وجه
الارض نحو من خمسين
ومائة فرسخ من مبدا نهر
الترك وهو الغار وقيل
اربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا ان جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكروا نهر

الا أن العرب لما نزلوا بلذريق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذ لم يعرفوا من بناه ويزعم
العجم أن الذى بناه ملك منهم كان ساكنا بحصن المدور أسفل قرطبة وخرج يوما يتصيد حتى
انتهى الى مكان قرطبة وهى يومئذ خراب وكان فى موضع قصرها غيضة عليق ملتفة أشبة
فأرسل الملك بازياله يكرم عليه على حجلة عنت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد الى أبى عبيدة
فنشبت فى ذلك العليق ولج البازى فى الانقضاض عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على
مكانه ليخرجه وأمر بقطعها لاستنقاذ بازيه ضنا منه به فقطعت وبدا له تحتها أساس قصر عظيم
رائه رصفه وقد كان داخله فأمر بالكشف عنه وتقصى حدوده طولا وعرضا وتتبع أسه
واصله فوجده مبنيا من وجه الماء بضم الحجارة فوق زرجون وضع بينها وبين الماء باحكم
صناعة فقال هذا أثر ملك كريم وأنا أولى من جدده فأمر باعادته الى هيأته واتخاذه منزلا من
منازل راحاته فكان اذا طاف بعمله أو مضى فى متصيده نزل فيه وصار السبب فى بناء قرطبة
الى جنبه ونزل الناس فيها وتوارث الملوك قصرها من بعده ونزله لذريق فى زحفه الى العرب
أياما والحشود من أعماله تتوافى اليه ثم مضى نحو كورة شذونة يبغى لقاءهم فى حشوده
الكثيرة . وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلتهم العرب غيطشة وانه هلك عن أولاد
ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك فضمنت أمهم عليهم ملك والدهم بطليطلة وانحرف لذريق قائد
الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذريق
واستنفر اليه اجناد أهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل
واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذرهم من القعود عنه
ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة فلم يجدوا بدا وحشدوا وقدموا عليه
بقرطبة فنزلوا اكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم يطمئنوا الى الدخول على
لذريق أخذا بالحزم الى أن استتب جهاز لذريق وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم
مرصدون لمكره والاصح والله أعلم ما سبق ان ملك القوط اجتمع للذريق واختلف فى
اسمه فقيل رذريق بالراء أوله وقيل باللام لذريق وهو الاشهر وقيل ان أصله من اصبهان
ويسمى الاشبان والله اعلم قالوا وعسكر لذريق فى نحو مائة ألف ذوى عدد وعدة فكتب
طارق الى موسى يستمده ويعرفه ان فتح الجزيرة الخضراء فرضة الاندلس وملك المجاز اليها
واستولى على اعمالها الى البحيرة وان لذريق زحف اليه بما لا قبل له به الا أن يشاء الله وكان
موسى منذ وجه طارقا لوجهه قد أخذ فى عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل
الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مددا كملت بهم عدة من معه اثنى عشر ألفا أقوياء
على المغانم حراصا على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم فى رجاله واهل عمله يدلهم على
العورات ويتجسس الاخبار وأقبل نحوهم لذريق فى جموع العجم وملوكها وفرسانها
فتلاقوا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من
أهله وانما كان من أتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالا فى أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون
لا حاجة لهم فى استيطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم
فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا اقعدنا فى ملكنا

رت الاسود ولانهر رت الابيض الذى يكون عليه مملكة كيمان وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ وهو
جيحون وعلى هذين النهرين
العذرية من الترك وهذين
احدار لم نحط بهما لمدانهما
على وجه الارض فقد ذكر
ذلك (وكذلك يجرى نهر
الهند يبدؤه من جبل من
أعالى أرض الهند مما يلى
الصين ويمر ببلاد
الصغر غربى الترك ويتدار
جريانه الى ان يصب فى
البحر الحبشى مما يلى جبل
الهند أربعمائة فرسخ
(واما الفرات) فيبدؤه من
بلاد قاليقلا من ثغور
أرمينية من جبل هناك
يدعى افردخس على نحو
يوم من قاليقلا ومقدار
جريانه من بلاد الروم الى
أن أتى بلاد ملطية وأخبرنى
بعض اخواننا من المسلمين
ممن كان أسيرا فى أرض
بلاد النصرانية ان الفرات
اذا توسط أرض الروم
ذهبت اليه مياه كثيرة
من نهر يخرج مما يلى بحيرة
نادرموس وليس فى أرض
الروم بحيرة أكبر منها وهى
نحو من شهر وقيل أكثر
من ذلك طولا وعرضا تجرى
فيها السفن وتنتهى الى
الفرات الى جسر منبج وقد
اجتاز تحت قلعة سميساط
وهى قلعة الطين ثم ينتهى
الى مالس وهى نصفان
موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ثم ينتهى الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار

من

ن يستحقه فأجمعوا على ذلك والقضاء يبرم ما ارتأوه وكان لذريق ولى ميمنته احد ابنى
غيطشة وميسرته الآخر فكانا رأسى الذين أداروا عليه الهزيمة وأداهما الى ذلك طمع
رجوع ملك والدهما اليهما * وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشة على الغدر بلذريق
وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه
وأنهم غير تاركى حقهم لديه و يسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن
يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة وهى
التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد
فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك أقوى أسباب الفتح وكان الالتقاء على وادى لكة من
كورة شذونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ونصر المسلمين نصر الاكفاء ورمى لذريق
نفسه فى وادى لكة وقد أثقلته الجراح فلم يعلم له خبر ولم يوجد * وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا
من عسكر لذريق منسلخ شهر رمضان سنة ٩٢ فوجه لذريق علجا من أصحابه قد عرف نجدته
ووثق بباسه ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم و يعاين هيآتهم ومراكبهم فاقبل ذلك
العلج حتى طلع على العسكر ثم شد فى وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منصرفا
راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق أتتك الصور التى كشف لك عنها التابوت
فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك قد حرقوا مراكبهم
ايا سا لانفسهم من التعلق بها وصفوا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات اذ ليس لهم
فى أرضنا مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا قتالا شديدا
الى أن انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما أبناء غيطشة وثبت القلب بعدهما قليلا
وفيه لذريق فغدر أهله بشئ من قتال ثم انهزموا ولذريق أمامهم فاستمرت هزيمتهم وأذرع
المسلمون القتل فيهم وخفى أثر لذريق فلا يدرى أمره الا أن المسلمين وجدوا فرسه الاشهب
الذى فقدوه وراكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا أحد
خفيه وكان من ذهب مكلل بالدر والياقوت والزبرجد وقد ساخ الفرس فى طين وحمأة وغرق
العلج فثبت أحد خفيه فى الطين فاخذ وخفى الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حيا ولا ميتا
والله أعلم بشأنه (وقال الرازى) كانت الملاقاة يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان
فاتصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوال بعده تتمة ثمانية أيام ثم هزم الله
المشركين فقتل منهم خلق عظيم أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الارض
قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجل قدره فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم
الذهب يجدونها فى أصابعهم و يعرفون من دونهم بخواتم الفضة و يميزون عبيدهم بخواتم
النحاس فجمع طارق الفىء وخمسه ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد
والاتباع وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها
فأقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا
بطارق وارتفع اهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا
بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزل باهل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشد الحصر عليهم حتى نهكهم

مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة و ينتهى الفرات الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين واحمداباذ والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحوا من خمسمائة فرسخ وقد قيل أكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة ونهرها بين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالنجف فى هذا الوقت وكانت تتقدم هنالك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى حين خاطب خالد ابن الوليد فى أيام أبى بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه حين قال له ما تذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر برا فصار من البحر فى هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا وكثر مل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة فى هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى ببطن جوخى وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى دقوقاء الى نحو بلاد السوس و كذلك ما حدث فى الجانب الشرقى ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسية

وأضرمهم فتهيأ له فتحها عنوة فحاز منها غنائم ثم مضى منها الى مدوور ثم عطف على قرمونة فر بعينه المنسوبة اليه ثم مال على اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية ثم نازل أهل استجة وهم في قوة ومعهم فل عسكر لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان الله تعالى أظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها وأقاموا على الامتناع الى أن ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مغترا سيء التدبير فخرج الى النهر لبعض حاجاته وحده فصادف طارقا هنالك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه فوثب عليه طارق في الماء فأخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله فوفى بما عاهد عليه وقذف الله الرعب في قلوب الكفرة لما رأوا طارقا يوغل في البلاد وكانوا يحسبونه راغبا في المغنم عاملا على القفول فسقط في أيديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم الى دار مملكتهم طليطلة قيل وكان من ارهاب طارق لنصارى الاندلس وحيله أن تقدم الى أصحابه في تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسراهم وطبخها في القدور يرونهم أنهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدثون من وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعبا ويجفلون فرارا قالوا وقال يليان لطارق قد فضضت جيوش القوم ورعبوا فاصمد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد أنت الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع الى أولي رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجة فبعث مغيثا الرومي مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم في سبعمائة فارس لان المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وفضلت عنهم الخيل وبعث جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو في معظم الناس الى كورة جيان يريد طليطلة وقد قيل ان الذي سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث قالوا فاكمنوا بعدوتها في شقندة في غيضة أرز شامخة وارسلت الادلاء فأمسكوا راعي غنم فسئل عن قرطبة فقال رحل عنها عظماء اهلها الى طليطلة وبقي فيها أميرها في أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء اهلها وسئل عن سورها فأخبر انه حصين عال فوق أرضها الا أنه فيه ثغرة ووصفها لهم فلما اجنهم الليل اقبلوا نحو المدينة ووطأ الله لهم أسباب الفتح بان أرسل السماء برذاذ أخفى دقدقة حوافر الخيل وأقبل المسلمون رويدا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد أغفل حرس المدينة احتراس السور فلم يظهروا عليه ضيقا بالذي نالهم من المطر والبرد فترجل القوم حتى عبروا النهر وليس بين النهر والسور الا مقدار ثلاثين ذراعا أو أقل وراموا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقا ورجعوا الى الراعي فدلاهم على الثغرة التي ذكرها فأراهم اياها فاذا بها غير متسهلة التسنم الا انه كانت في اسفلها شجرة تين مكنت افنانها من التعلق بها فصعد رجل من اشداء المسلمين في أعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على السور وركب مغيث ووقف من خارج وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عنوة فصمد الى البلاط منزل الملك ومعه ادلاؤه وقد بلغ الملك دخولهم المدينة فبادر بالفرار

وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة بالاسري والموضع المعروف بالعمر وغير ذلك من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقي ممن ملك وقف الشماسية في أيام المقتدر بحضرة الوزير أبي الحسن علي بن عيسى وما أجاب به أهل العلم في ذلك وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام فاذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل فانه يسير ميلا في قدره في سنة فاذا سار اليهم أربعة آلاف ذراع من عرضه الاول خربت بذلك السير مواضع وعمرت مواضع واذا وجد الماء سبيلا منخفضا وانصبابا واسعا بالحركة وشدة الجرية انفسه فاقتلع المواضع من الارض من أبعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا من الوهاد ملأه في طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد ولا يغيب فهم ما وصفنا عن مرام ذي فكر ولنبدأ بذكر (دجلة ومبدا جريانها ومصبها) فنقول دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من أعين بلاد خلاط من أرمينية وينصب اليها نهر سريط وسائر ما يخرج من بلاد أردن ومياه فارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دوشنا والخابور الخارج من بلاد ارمينية

عن

عن البلاد فى أصحابه وهم زهاء أربعمائة وخرج الى كنيسة بغربى المدينة وتحصن بها وكان الماء يأتيها تحت الارض من عين فى سفح جبل ودافعوا عن أنفسهم وملك مغيث المدينة وما حولها وقال من ذهب الى أن طارقا لم يحضر فتح قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح وأقام على محاصرة العلج بالكنيسة ثلاثة أشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدم الى أسود من عبيده اسمه رباح وكان ذا بأس ونجدة بالكمون فى جنان الى جانب الكنيسة ملتفة الاشجار لعله أن يظفر له بعلج يقف به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعف عقله الى أن صعد فى بعض تلك الاشجار وذلك أيام الثمر ليجنى ما يأكله فبصر به أهل الكنيسة وشدوا عليه فأخذوه فلكوه وهم فى ذلك هائبون له منكرون لخلقه اذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجبهم من خلقه وحسبوا أنه مصبوغ أو مطلى ببعض الاشياء التى تسود فجردوه وبطحوه جماعتهم وأدنوه الى القناة التى منها كان يأتيهم الماء وأخذوا فى غسله وتدليكه بالحبال الحرش حتى أدموه وأعنتوه فاستغاثهم وأشار الى أن الذى به خلقة من بارئهم عز وجل ففهموا اشارته وكفوا عنه وعن غسله واشتد فزعهم منه ومكث فى اسارهم سبعة أيام لا يتركون التجمع عليه والنظر اليه الى أن يسر الله له الخلاص ليلا فقر وأتى الامير مغيثا فخبره بشأنه وعرفه بالذى اطلع عليه من شأنهم وموضع الماء الذى ينتابونه ومن أى ناحية يأتيهم فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة فى الجهة التى أشار اليها الاسود حتى أصابوها فقطعوها عن جريتها الى الكنيسة وسدوا منافذها فأيقنوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام أو الجزية فأبوا عليه فأوقد النار عليهم حتى أحرقهم فسميت كنيسة الحرقى والنصارى تعظمها لصبر من كان فيها على دينهم مع شدة البلاء غير أن العلج أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عندما يقن الهلاك ففر عنهم وحده وقد استغفلهم ورام اللحاق بطليطلة فبلغ خبره الى مغيث فبادر الركض خلفه وحده فلحقه بقرب قرية تطليرة هاربا وحده وتحته فرس أصفر ذريع الخطو وحرك مغيث خلفه فالتفت العلج ودهش لما رأى مغيثا قد رهقه وزاد فى حث فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندق عنقه فقعد على ترسه مستأسرا قد هاضته السقطة فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحه وحبسه عنده ليقدم به على أمير المؤمنين الوليد ولم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استأمن وبعضهم هرب الى جليقية وفى رواية ان مغيثا استنزل أهل الكنيسة بعد أسره لملكهم فضرب أعناقهم جميعا فمن أجل ذلك عرفت بكنيسة الاسرى وان مغيثا جمع يهود قرطبة فضمهم الى مدينتها استنامة اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه ❊ وأما من وجه الى مالقة ففتحوها ولجأ علوجها الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصر وامدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة فى كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويمضى معظم الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا وفروا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ثم صنعوا عند فتح كورة رية التى منها مالقة مثل ذلك ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلج صاحبها سميت به واسم قصبتها

ومصبه فى دجلة من بلاد ماسورين وسيلون من بلاد قردى وبازندى وباهمداء من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بنى حمدان وفى قردى وبازندى يقول الشاعر

بقردى وبازندى مصيف ومربع ... وعذب يحاكى السلسبيل برود

وبغداد ما بغداد أما ترابها ... فحمى وأما حرها فشديد

وليس هذا الخابور خابور النهر الذى يخرج من مدينة راس العين من اعينها ويصب فى الفرات اسفل مدينة قرقيسيا ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية (وهو الزاب الاكبر) بعد الموصل وفوق حديثته ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتى من بلاد ارمينية واذربيجان ثم ينتهى الى مدينة تكريت وسر من رأى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهى الانهار التى ذكرنا أنها تأخذ من الفرات وتصب فى دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالى ونهر بين والنهروان مما يلى بلاد جرجرايا والسيب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت فى أنهار هنالك أخر الى بطيحة البصرة مثل بردودا اليهودى ومامى والمصب الذى ينتهى الى

اريولة ولهاث أر فى المنعة وكان ملكها عالما داهية وقاتلهم محتجبا ثم استمرت عليه الهزيمة فى نحو بها فبلغ السيف فى أهلها مبلغا عظيما أفنى أكثرهم ولجأ العلج الى اريولة فى يسير من أصحابه لا يغنون شيئا فأمر النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور فى زى القتال متشبهات بالرجال وتصدر قدامهن فى بقية أصحابه يغالط المسلمين فى قوته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون مراسه لكثرة من عاينوه على السور وعرضوا عليه الصلح فأظهر الميل اليه وتنكر زيه فنزل اليهم بأمان على انه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه وتوثق منهم فلما تم له من ذلك ما أراد عرفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والذرية فندموا على الذى اعطوه من الامان واستر جحوه فيما احتال به ومضوا الى الوفاء له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة تدمير من معرة المسلمين بتدبير تدمير وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى أميرهم طارق بالفتح وخلفوا بقصبة البلد رجالا منهم ومضى معظمهم الى أميرهم افتتح طليطلة قال ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فألفاها خالية قد فرعنها أهلها ولجؤا الى مدينة بها خلف الجبل فضم اليهود الى طليطلة وخلف بها رجالا من أصحابه ومضى خلف من فرمن أهل طليطلة فسلك وادى الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمى به بعد فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل وهى المنسوبة لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهى خضراء من زبرجد حافاتها منها وارجلها وكان لها ثلثمائة وخمسة وستون رجلا فاحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التى تحصنوا بها خلف الجبل فأصاب بها حليا ومالا ورجع ولم يتجاوزها الى طليطلة سنة ثلاث وتسعين وقيل انه لم يرجع بل اقتحم أرض جليقية واخترقها حتى انتهى الى مدينة استرقة فدوّخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله أعلم وقيل ان طارقا دخل الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير فالله أعلم قال بعضهم وكانت اقامته فى الفتوح وتدويخ البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير سنة وكان ماسيذكر وأنشد فى المسهب وابن اليسع فى المغرب لطارق من قصيدة قالها فى الفتح

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا ❊ عسى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالا واهلا بجنة ❊ اذا ما اشتهينا الشئ فيها تيسرا
ولسنا نبالى كيف سالت نفوسنا ❊ اذا نحن ادركنا الذى كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته لا لعلو طبقتها انتهى ❊ واما اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكانوا سبب الفتح حسبما تقدم قالوا لطارق أنت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على رأسى امير وفوق ذلك الامير أمير عظيم فاستأذنوه فى اللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكدوا سببهم به وسألوه الكتاب اليه بشأنهم معه وما اعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه فى انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ووقف على ما خاطبه به طارق فى ذمتهم وسابقتهم فأنفذهم الى امير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق فى ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل

فرسخ وقيل اربعمائة وقد اعرضنا عن كثير من ذكر الانهار الامالكبر واشتهر اذ كنا قد اتينا على ذكر ذلك على الاتساع فى الكتاب المترجم باخبار الزمان وكذلك فى الكتاب الاوسط ونذكر فى هذا الكتاب لمعا مما سمينا من الانهار ومما لم نسمه وبالبصرة انهار كبار مثل نهر سيرين ونهر الرس ونهر ابن عمرو كذلك ببلاد الاهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة اعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والابلة وخبر الموضع المعروف بالحدارة وهى دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الابلة ومن اجلها ملح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الحدارة انحدرت الاخشاب فى فم البحر مما يلى الابلة وعبادان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسى فى جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع فى تلك الحدارة فلا يكون لها خلاص وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وهذه الديار عجيبة فى مصبات مياهها واتصال البحر بها والله أعلم

لهم أن لا يقوموا الداخل عليهم فقدموا الاندلس وحازوا ضياع والدهم اجمع واقتسموها
على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم المند ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلها
اشبيلية فقبر باسمه وصار لارطباش ألف ضيعة وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة
الاندلس فسكن من أجلها قرطبة وصار لثالثهم وقلة ألف ضيعة في شرقي الاندلس وجهة
الثغر فسكن من أجلها مدينة طليطلة فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية الى أن
هلك المند كبيرهم وخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين فبسط يده ارطباش
على ضياعهم وضمها الى ضياعه وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فأنشأت
سارة بنت المند مركبا باشبيلية حصينا كامل العدة وركبت فيه مع اخويها الصغيرين تريد
الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق فأنهت
خبرها وشكت ظلامتها من عمها وتعديه عليها واحتجت بالعهد المنعقد لابيها واخوته على
الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها وكتب الى حنظلة
ابن صفوان عامله بافريقية بانتصافها من عمها ارطباش وامضائها واخويها على سنة الميراث
فيما كان في يد والدها مما قاسم فيه اخوته فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالاندلس
أبي الخطار ابن عمه فتم لها ذلك وانكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام
ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها في دفاع عمها ارطباش عن ضياعها فمال بها نعمة عظيمة وولد له
منها ولداه ابراهيم واسحق فادركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة
الى أمهما سارة القوطية وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن
ابن معاوية الداخل بعد الى الاندلس وعرفها فتوسلت اليه لما ملك الاندلس ووفدت اليه
فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها
ولا يحجب عياله منها وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الاندلس
فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد وكان لها ولابيها المند وعمها ارطباش في صدر الدولة
العربية بالاندلس أخبار ملوكية فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد
ارطباش يوما الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل وابن الطفيل وابو عبدة
وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على اثرهم ميمون العابد جد بني حزم
وكان في عداد الشاميين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما بصر به ارطباش
قام اليه دونهم اعظاما ورقاه الى كرسيه الذي كان يجلس عليه وكان ملبسا صفائح الذهب
وجذبه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون وقعد على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل
عليه قبلهم فقال له ياسيدي ما الذي جاء بك الى مثلي فقال له ما تسمعه انا قدمنا الى هذا البلد
غزاة نحسب ان مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثرنا من العدة ثم حدثت بعدنا على
موالينا وفي اجنادنا ما قد آيسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسع الله عليك فأحب أن
تدفع الي ضياعا من ضياعك اعتمره بيدي وأودي اليك الحق منها وآخذ الفضل لي طيبا
اتعيش منه فقال لا ارضى لك بالمساهمة بل اهب لك هبة مسوغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلم
اليه المجشر الذي لنا على وادي شوش بما فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك وادفع اليه

قد زاد بحر الهند وهو
الحبشي حتى امتد طوله من
المغرب الى المشرق من أقصى
الحبش الى اقصى الهند
والصين وصار ثمانية
آلاف ميل وعرضه الفان
وتسعمائة ميل وعرضه في
مواضع اخر الف وتسعمائة
ميل وقد يتقارب في ذلك
العرض في موضع دون
موضع ويكثر كذلك وقد
قيل في طوله وعرضه غير
ما وصفنا من الكثرة
واعرضنا عن ذكره لعدم
قيام الدلالة على صحته عند
اهل هذه الصناعة وليس
في المعمور اعظم من هذا
البحر وله خليج متصل
بارض الحبشة يمتد الى ناحية
بربرى من بلاد الزنج والحبشة
ويسمى الخليج البربري
طوله خمسمائة ميل وعرض
طرفيه مائة ميل وليست
هذه بربرى التي ينسب اليها
البرابرة الذين ببلاد المغرب
من ارض افريقية لان هذا
موضع آخر يدعى بهذا
الاسم واهل المراكب
من العمانيين يقطعون هذا
الخليج الى جزيرة قنبلو من
بحر الزنج وفي هذه البحيرة
مسلمون من الاكابر من
الزنج والعمانيون الذين
ذكرنا من أرباب المراكب
يزعمون ان هذا الخليج المعروف
بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه

الضيعة التي بجيان فتسلم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم نسبت قلعة حزم فشكره ميمون وأثنى عليه وقام عنه وقد أنف الصميل من قيامه اليه فأقبل على ارطباش وقال له كنت أستنك أرجح وزنا أدخل عليك وأنا سيد العرب بالاندلس في أصحابي هؤلاء وهم سادة الموالي فلا تزيدنا من الكرامة على الاقعاد على أعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرت فقال له يا أبا جوشن ان أهل دينك يخبروننا أن أدبهم لم يرهفك ولو كان لم تنكر علي ما فعلته انكم أكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما أكرمته لله تعالى فقد روينا عن المسيح عليه السلام أنه قال من أكرمه الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه فكأنما ألقمه حجرا وكان الصميل أميا فلذلك عرض به فقال له القوم دعنا من هذا وانظر فيما قصدناك له فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فأكرمته فانظر في شأننا فقال له أنتم ملوك الناس وليس يرضيكم الا الكثير وها أنا أهب لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم انتهى ❊ قال ابن حيان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد وما أتيح له من الفتوح حسده وتهيأ للمسير الى الاندلس فعسكر وأقبل نحوها ومعه جماعة الناس وأعلامهم وقيل انهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر فكان دخوله الى الأندلس في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وتنكب الجبل الذي حله طارق ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما احتل الجزيرة الخضراء قال ما كنت لأسلك طريق طارق ولا أقفو أثره فقال له العلوج الادلاء أصحاب يليان نحن نسلك بك طريقا هو أشرف من طريقه وندلك على مدائن هي أعظم خطرا وأعظم خطبا وأوسع غنما من مدائنه لم تفتح بعد يفتحها الله عليك ان شاء الله تعالى فملئ سرورا وكان شغوف طارق قد غمه فساروا به في جانب ساحل شذونة فافتتحها عنوة وألقوا بأيديهم اليه ثم سار الى مدينة قرمونة وليس بالاندلس أحصن منها ولا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال فدخلها بحيلة توجهت بأصحاب يليان دخلوا اليهم كأنهم فلال وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم الباب وأوقعوا بالاحراس فملكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهي أعظم مدائن الاندلس شأنا وأعجبها بنيانا وأكثرها آثارا وكانت دار الملك قبل القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حولوا السلطان الى طليطلة وبقي رؤساء الدين فيها أعني اشبيلية فامتنعت أشهرا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة فضم موسى يهودها الى القصبة وخلف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى القنت الى مدينة ماردة وكانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس في سالف الدهر وهي ذات عز ومنعة وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها أيضا وكان في أهلها منعة شديدة وبأس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبابة دب المسلمون تحتها الى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه فلما فلعوا الصخر أفضوا بعده الى العمل المدعو بلسان العجم الاشه ماسه فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك الموضع برج الشهداء

ثم.

موج أعمى يريدون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كأخفض ما يكون من الاودية لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد كتكسر أمواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرنا من الامواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون

بربري وجفوني
وموجك المجنون
جفوني وبربري
وموجها كما ترى

وينتهي هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا والى بلاد سفالة الواق واق من أقاصي أرض الزنج والاسافل من نحوهم ويقطع هذا البحر السيرافيون وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار ومن بلاد عمان (وسنجار قصبة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم أرباب المراكب مثل محمد بن الزيدوم السيرافي وجوهر ابن أحمد وهو المعروف بابن نسوة وفي هذا البحر تلف ومن كان معه في مركبه وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي بمكان وفيه غرقا في مركبهما وجميع من كان معهما

ثم دعا القوم الى السلم فترسل اليه فى تقريره قوم من أماثلهم أعطاهم الامان واحتال فى توهيمهم فى نفسه فدخلوا عليه أول يوم فاذا هو أبيض الرأس واللحية كما نصل خضابه فلم يتفق لهم معه أمر وعاودوه قبل الفطر بيوم فاذا هو قد قنى لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرفج فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سود لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم انا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاؤا ويتصورون فى كل صورة احبوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والرأى أن نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة فأذعنوا عند ذلك وأكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهارب الى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على المسلمين واجتمعوا من مدينتى باجة ولبلة اليهم فأوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلا وأتى فلهم الامير موسى وهو بماردة فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى فى جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل أهلها ونهض الى لبلة ففتحها واستقامت الامور فيما هنالك وعلا الاسلام وأقام عبد العزيز باشبيلية وتوجه الامير موسى من ماردة فى عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة وبلغ طارقا فأخبره فاستقبله فى وجوه الناس فلقيه فى موضع من كورة طلبيرة وقيل ان موسى تقدم من ماردة فدخل جليقية من فج نسب اليه فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة استرقة فغض منه علانية وأظهر ما بنفسه عليه من حقد والله أعلم وقيل لما وقعت عينه عليه نزل اليه اعظاما له فقنعه موسى بالسوط ووبخه على استبداده عليه ومخالفته لرأيه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى بأداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك واستعجله بالمائدة فأتاه بها وقد خلع من أرجلها رجلا وخبأه عنده فسأله موسى عنه فقال لا علم لى به وهكذا أصبتها فأمر موسى بعمل رجل من ذهب جاء بعيد الشبه من أرجلها يظهر عليه العمل ولم يقدر على أحسن منه فأخل بها # وقال ابن الفرضى موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس لخمى يكنى أبا عبد الرحمن روى عن تميم الدارى وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبى وقيل غزا موسى بن نصير فى المحرم سنة ثلاث وتسعين فأتى طنجة ثم عبر على الاندلس فأداخها لا يأتى على مدينة الا فتحها ونزل أهلها على حكمه وسار الى قرطبة ثم قفل على الاندلس سنة أربع وتسعين فأتى افريقية وسار عنها سنة خمس وتسعين الى الشام يؤم الوليد بن عبد الملك بجر الدنيا بما احتمله من غنائم الاندلس من الاموال والامتعة يحملها على العجل والظهر ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى فلم يلبث أن هلك الوليد بن عبد الملك وولى سليمان فنكب موسى نكبا اداه الى المتربة وهلك فى نكبته تلك بوادى القرى سنة سبع وتسعين (قال ابن حيان) وهذه المائدة المنوه باسمها المنسوبة الى سليمان النبى عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما أصلها ان العجم فى أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسى وأشباهها من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا أبرزت فى أيام المناسك ويضعونها على

وكان ركوبى فيه أخيرا والامير على عمان أحمد بن هلال ابن أخت القتال وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابنى فيها من الاهوال ما لا أحصيه كثرة فلم أشاهد أهول من بحر السند الذى قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بالافال طول السمكة نحو من اربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهى ذراع ذلك البحر والاغلب من هذا السمك طوله مائة باع وربما يهز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء فى الجو أكثر من ممر السهم والمراكب تفزع منه فى الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر بأجنحته وذنبه السمك الى فيه وقد تقدّفاه وذلك السمك يهوى الى جوفه جومه فاذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى الشل فتلتصق بأصل أذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت وتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة بالشل بالمراكب فلا يدنو الافال مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفة له وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون

امذابح فى الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ فى هذه السبيل
وتأنقت الاملاك فى تفخيمها يزيد الآخر منهم على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك
الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر
والياقوت والزبرجد لم ترالاعين مثلها وبولغ فى تفخيمها من أجل دار المملكة وانه لا ينبغى أن
تكون بموضع آلة جمال ومتاع مباهاة الادون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة
طليطلة فأصابها المسلمون هنالك وطار النبأ الفخم عنها وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل
الذى فعله من غيرته على ما تهيأ له ومطالبته له بتسليم ما فى يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من
أرجل هذه المائدة خبأه عنده فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا
عنده بعد الاثر فى جهادهما ما هو مشهور انتهى * وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت
مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانها
مكللة بالجواهر انتهى * وما ذكره ابن حيان من ان الذى نكب موسى بن نصير هو سليمان
ابن عبد الملك صواب وأما ما حكاه ابن خلكان من ان المنكب له الوليد فليس بصحيح والله
أعلم * (رجع الى كلام ابن حيان) قالوا ان موسى اصطلح مع طارق وأظهر الرضا عنه وأقره
على مقدمته على رسمه وأمره بالتقدم امامه فى اصحابه وسار موسى خلفه فى جيوشه فارتقى الى
الثغر الاعلى وافتتح سرقسطة واعمالها واوغل فى البلاد وطارق امامه لا يمران بموضع الا فتح
عليهما اوغنمهما الله تعالى ما فيه ونداقى الله الرعب فى قلوب الكفرة فلم يعارضهما احد الا
بطلب صلح وموسى يجيء على اثر طارق فى ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس
ما عاهدوه عليه فاطمأن القطر كله وطأمن نفوس من اقام على سلمه ووطأ الاقدام المسلمين
فى الحلول به اوام لتميز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى افرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا
واوغلوا حتى انتهوا الى وادى ردونة فكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض
العجم وتدوخت بعوث طارق وسراياه بلد افرنجة فملكت مدينتى برشلونة واربونة وصخرة
ابنيون وحصن لودون على وادى ردونة فبعدوا عن الساحل الذى منه دخلوا جدا وذكر ان
مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ثلثمائة فرسخ وخمسة وثلاثون فرسخا وقيل
ثلثمائة فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة ارتاع لهم قارله ملك الافرنجة
بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم فى جمع عظيم فلما انتهى الى
حصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه وأقبل حتى انتهى الى صخرة
ابنيون فلم يجد بها أحدا وقد عسكر المسلمون قدامه فيما بين الاجبل المجاور لمدينة أربونة
وهم بحال غرة لا عيون لهم ولا طلائع فما شعروا حتى أحاط بهم عدو الله قارله فاقتطعهم عن
اللحاق الى مدينة اربونة وواضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم وحمل
جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فنازلهم بها أياما أصيب
له فيها رجال وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد المسلمين فزال عنهم راحلا الى بلده وقد
نصب فى وجوه المسلمين حصونا على وادى ردونة شكها بالرجال فصيرها ثغرا بين بلده
والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس (وقال الحجارى فى المسهب) ان موسى

فى ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لادبر له ومايا كله يكون فى بطنه دود او اذا آذاه ذلك الدود خرج الى
البر فاستلقى على قفاه فاغرا
فاه فينقض اليه طير الماء
كالقيطوى والحصانى وغير
ذلك من أنواع الطيور وقد
اعتاد ذلك منه فيأكل ما
ظهر فى جوفه من ذلك
الدود وتكون تلك الدويبة
قد كمنت فى الرمل تراعيه
فتدب الى حلقه وتصير فى
جوفه فيخبط بنفسه فى
الارض فيطلب قعر النيل
حتى تأتى الدويبة على
حشوة جوفه ثم تخرق
جوفه وتخرج وربما
يقتل نفسه قبل ان تخرج
فتخرج بعد موته وهذه
الدويبة تكون نحوا من
ذراع على صورة ابن عرس
ولها قوائم ومخالب وفى بحر
الزنج أنواع من السمك
بصور شتى ولولا ان النفوس
تنكر ما لم تعرفه وتدفع
ما لم تألفه لاخبرنا عن عجائب
هذه البحار وما فيها من
الحيات والدواب وغير
ذلك من عجائب المياه
والجماد فلنرجع الآن الى
ذكر تشعب مياه هذا
البحر وخلجانه ودخوله فى
البر ودخول البر فيه فنقول
ان خليجا آخر يمتد من هذا
البحر الحبشى فينتهى الى
مدينة القلزم من أعمال مصر
وبينها وبين فسطاط مصر
ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجار وجدة واليمن طوله ألف وأربعمائة ميل وعرض طرفيه مائتا ميل

ابن

ابن نصير نصره الله نصراً ما عليه مزيد وأجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب
الاندلس الذي في الجبل الحاجز بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الافرنج الى ملكها
الاذفنش فارله وهذه سمة ملكهم فقالت له ما هذا الخزي الباقي في الاعقاب كنا نسمع بالعرب
ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها
من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه الرأي
عندي ان لا تعترضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في اقبال
أمرهم ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن امهلوهم حتى
تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض
فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر فكان والله كذلك بالفتنة التي طرأت بين الشاميين
والبلديين والبربر والعرب والمضرية واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض
بمن جاورهم من الاعداء انتهى. وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير
ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل وقيل انما خاصم ... له وكان ملكها
ضعيف الرأي قليل الحنكة كان يخرج الى جنان له بجانب المدينة طلباً للراحة من غمه
الى دار من غير تحصين وعدم طليعة وعرف عبد الاعلى بأمره فاكمن له في جنبات الجنة
التي كان ينتابها دوماً وجوه فرسانه ذوي رأي وحزم وارصدوا له ليلا فظفروا به وملكوه
وأخذ المسلمون البلد عنوة وملؤوا ايديهم غنيمة. وقيل كانت نفس موسى بن نصير في ذلك
كله تنزع الى دخول دار الكفر جليقية فبينما هو يعمل في ذلك ويعد له اذ اتاه مغيث
الرومي رسول الوليد بن عبد الملك مولاه يأمره بالخروج عن الاندلس والاضراب عن
الوغول فيها ويأخذه بالقفول اليه فساءه ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم يكن في الاندلس بلد لم
يدخله العرب الا وفيه ذلك غير جليقية وكان شديد الحرص على اقتحامها فلاطف موسى
مغيثاً رسول الخليفة وسأله انظاره الى ان ينفذ عزمه في الدخول اليها والمسير معه في البلاد اياما
ويكون شريكه في الاجر والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو وحصن
لك فأقام هنالك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الاخضر فلم يبق كنيسة
الا هدمت ولا ناقوس الا كسر ودانت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية وسكنت العرب
المفاوز وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه حصنوه ونزلوه فاتسع
نطاق الاسلام بأرض الاندلس وخذل الشرك وبينما موسى كذلك اشتد الظهور وقوة
الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردفه به الوليد مغيثاً لما استبطأ
موسى في القفول وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج والزم رسوله ازعاجه فانقلع حينئذ
من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفاً
من الثغر الاعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعاً ومضى بهما من الناس من اختار القفول وأقام من
آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهما الرسولان مغيث
وأبو نصر حتى احتلوا باشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس وانزله
بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر ... وركب موسى البحر الى المشرق

وهو أقرب المواضع من عرضه وعرضه في الأصل سبعمائة ميل وهو أكثر ١٢٩ العرض فيه وبلاد ما ذكرناه من الخلجان
وبلاد الهند من غربية الساحل
الآخر من هذا الخليج بلاد
العلاقي وبلاد عيذاب
من أرض مصر وأرض البجه
ثم أرض الحبشة والاحابش
والسودان الى أن يتصل
ذلك بأقاصي أرض الزنج
وأسافلها تتصل الى بلاد
سفالة من أرض الزنج
ويتشعب من هذا البحر
خليج آخر وهو بحر فارس
وينتهي الى بلاد الابلة
والخشبات وعبادان من
أرض البصرة وعرضه في
الاصل خمسمائة ميل وطول
هذا الخليج ألف وأربعمائة
ميل وربما يصير عرض
طرفيه مائة وخمسين ميلا
وهذا الخليج مثلث الشكل
ينتهي أحد زواياه الى
بلاد الابلة وعليه مما يلي
المشرق ساحل فارس من
بلاد دورق الفرس ومهربان
ومدينة حسان والتي بها
تنسج الثياب الحسانية
ومدينة أحمرة ببلاد سيراف
ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل
كرمان ويتصل بعد على
ساحله هذا بلاد مكران وهي
أرض الخوارج الشراة
وهذه كلها أرض نخل ثم
ساحل السند وفيه مصب
نهر مهران وهنالك مدينة
الديبل ثم يكون مارا متصلا
بساحل الهند الى بلاد بروص والتي بها يضاف الساج البروصي برا متصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا

بذى الحجة سنة خمس وتسعين وطارق معه وكان مقدم طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنة
وبعد دخوله سنتين واربعة اشهر وحمل موسى الغنائم والسبي وهو ثلاثون الف رأس
والمائدة متروك بها ومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة ما لا يقدر قدره وهو مع ذلك
متلهف على الجهاد الذى فاته أسف على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمل ان يخترق ما بقى
عليه من بلاد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتصل بالناس الى الشام مؤملا ان يتخذ
محترته بتلك الارض طريقا مهيعا يسلكه اهل الاندلس فى مسيرهم ومجيئهم من المشرق
واليه على البر لا يركبون بحرا وقيل انه أوغل فى ارض الفرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة
وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة
عربية قرئت فاذا هى يا بنى اسمعيل انتهيتم فارجعوا فهاله ذلك وقال ما كتب هذا الا لمعنى
كبير ثم ورأصحابه فى الاعراض عنه وجوازه الى ماوراءه فاختلفوا عليه فاخذ برأى
جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصى الغاية (وحكى الرازى) ان
موسى خرج من افريقية الى الاندلس فى رجب سنة ثلاث وتسعين واستخلف على افريقية
ابن ولده عبد الله بن موسى وكان موسى فى عشرة آلاف قال وكان عبد الملك بن مروان هو
الذى أغزى موسى المغرب فى خلافته ففتح له فى اهله البرابرة فتوح كبار حتى لقد بعث الى
عبد الملك فى الخمس بعشرين الف سبية ثم أردفها بعشرين الفا أخرى كل ذلك من البربر فعجب
عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك * وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس رجل واحد من اصاغر
الصحابة وهو المنيذر قال ودخلها من التابعين ثلاثة موسى الامير وعلى بن رباح اللخمى
وحيوة بن رجاء التميمى وقيل ان ثالثهم انما هو حنش بن عبد الله الصنعانى صنعاء الشام
وانهم قفلوا عنها بقفول موسى واهل سرقسطة يزعمون أن حنشا مات عندهم ولم يقفل للمشرق
وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه فالله اعلم * وقيل ان التابعين اربعة
بأبى عبد الرحمن الحبلى الانصارى واسمه عبد الله بن يزيد والله اعلم وخمسهم بعضهم بحيان بن
ابى جبلة مولى بنى عبد الدار وكان فى ديوان مصر فبعثه عمر بن عبد العزيز الى
افريقية فى جماعة من الفقهاء ليفقهوا اهلها وكان روى عن عمرو بن العاص وابن عباس
وابن عمر وحدث عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم وغيره وغزا مع موسى حين افتتح الاندلس
وانتهى معه الى حصن من حصون العدو يقال له قرقشونة وقيل بل قفل الى افريقية فتوفى
بها بعد العشرين ومائة * وقال بعضهم ان بين قرقشونة هذه وبين برشلونة مسافة خمسة
وعشرين يوما وفيها الكنيسة المعظمة عند الفرنج المسماة شنت مريه وقد حكى ابن حيان ان
فيها سبع سوار من فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحيط الانسان بذراعيه على واحدة منها
مع طول مفرط * وحنش الصنعانى المذكور تابعى جليل كان مع على رضى الله عنه بالكوفة
وقدم مصر بعد قتله فصار عداده فى المصريين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن
مروان وعفا عنه وكفى الاندلس شرفا دخوله لها * وعلى بن رباح بصرى تابعى يكنى ابا عبد الله
وهو لخمى ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة قال ابن معين اهل مصر يقولونه بفتح العين
وأهل العراق يقولونه بضمها وروى الليث عن ابنه موسى بن على وكانت لعلى بن رباح عند

و يقابل ماذكرنا من مبدأ ساحل كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطر وسط بنى خزيمة وبلاد عمان وأرض
مهرة الى رأس الجمجمة
الى أرض الشحر والاحقاف
وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة
خارك وهى بلاد جنابة
لان خارك مسافة الى جنابة
و بينها وبين البر فراسخ فيها
مغاص اللؤلؤ المعروف
بالخاركى وجزيرة اولى فيها
بنو معن وابن صهار وحلق
كثيرة من العرب بينها وبين
مدن ساحل البحر نحو يوم
بل اقل من ذلك وفى ذلك
الساحل مدينة البرارة
والعقل والقطيف من
ساحل هجر ثم بعد جزيرة
اولى جزائر كثيرة منها جزيرة
لافت وتدعى جزيرة بنى
كلوان وقد كان افتتحها
عمرو بن العاص وفيها
مسجده الى هذه الغاية وفيها
خلق من الناس وقرى
وعمارة متصلة وتقرب هذه
الجزيرة الى جزيرة هبان
ومنها يستقى ارباب المراكب
الماء ثم الجبال المعروفة
بكسير وعوير وثالث
ليس فيه طير ثم الدردور
المعروف بدردور مسندم
وتكنيه البحريون بابى
جهرة وهذه مواضع من
البحر وجبال سود ذاهبة فى
الهواء لانبات عليها ولا
حيوان تحيط بها مياه من
البحر عظيمة نعرة وامواج
متلاطمة تجزع منها النفوس اذا اشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا بد للمراكب من الجواز

عبد العزيز بن مروان مكانه وهو الذي زف ابنته أم البنين لزوجها الوليد ثم عقب بدايته عبد
العزيز فأغزاه أفريقية * وأما المنيذر الصحابي فلم ينسبه ابن حبيب وذكره ابن عبد البر في
الصحابة وقال انه المنيذر الافريقي وروى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي قال حدثنا المنيذر
الافريقي وكان سكن أفريقية وكان صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمعه صلى الله
عليه وسلم يقول من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا
الزعيم له فلآخذن بيده فلأدخلنه الجنة ورواه عنه ابن عبد البر بسنده اليه وسيأتي ان شاء
الله تعالى في حق المنيذر مزيد بيان * ولما قفل موسى بن نصير الى المشرق وأصحابه سأل مغيثا أن
يسلم اليه العلج صاحب قرطبة الذي كان في اساره فامتنع عليه وقال لا يؤديه للخليفة سواي
وكان يدل بولائه من الوليد فهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له ان سرت به حيا ادعاه
مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضرب عنقه ففعل فاضطغنها عليه مغيث وصار الى السامع
طارق الساعي عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد
كان كما مر استخلف بافريقية أكبر أولاده عبد الله فصار جميع الاندلس والمغرب بيد أولاده
وابنه عبد الله الذي خلفه بافريقية هو الذي افتتح جزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام
واختلف الناس هل كان وروده قبل موت الوليد أو بعده فمن يقول بالثاني قال قدم على
سليمان حين استخلف وكان منحرفا عليه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكية منه ورمياه بالخيانه
وأخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحب قرطبة وقالا له انه قد غل جوهرا أعظم
القدر أصابه ولم تحوه الملوك من بعد فرس مثله فلما وافى سليمان وجده قد غضب عليه فأغلظ
له واستقبله بالتأنيب والتوبيخ فاعتذر له ببعض العذر وسأله عن المائدة فأحضرها فقال له
زعم طارق انه الذي أصابها دونك قال لا وما رآها قط الا عندي فقال طارق فليسأله أمير
المؤمنين عن الرجل التي تنقصها فسأله فقال هكذا أصبتها وعوضتها رجلا صنعتها لها فحول
طارق يده الى قبائه فأخرج الرجل فعلم سليمان صدقه وكذب موسى فحقق جميع ما رمي به
عنده وعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأمر بتقصي حسابه فأغرمه غرما عظيما كشفه
فيه حتى اضطر الى ان سأل العرب معونته فيقال ان لخما حملت عنه في أعطيتها تسعين ألفا
ذهبا وقيل حمله سليمان غرم مائتي ألف فأدى مائة ألف وعجز فاستجار بيزيد بن المهلب أسير
سليمان فاستوهبه من سليمان فوهبه اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية (وقال الرازي)
ان الذي أزعج موسى عن الاندلس أبو نصر رسول الوليد فقبض على عنانه وثناه قافلا وقفل
معه من أحب المشرق وكان أكثر الناس تطوعوا ببلاد الاندلس لذتها فأقاموا فيها * وذهب
جماعة من أهل التاريخ الى أن موسى انما قدم على الوليد وأن سليمان ولي العهد لما سمع
بقرب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب أي سليمان الى موسى يأمره
بالتربص رجاء ان يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان في أول خلافته
بتلك الغنائم الكثيرة التي ما رئي ولا سمع مثلها فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس فأبى
موسى من ذلك ومنعه دينه منه وجد في السير حتى قدم والوليد حي فسلم له الاخماس والمغانم
والتحف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفي واستخلف سليمان فحقد

عليها والدخول في وسطها مخطئ وتصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسي عليه ما وصفنا من البحرين
وفارس والبصرة وعمان
الى رأس الجمجمة ومابين
هذا الخليج وخليج القلزم
ايلة والحجاز واليمن ويكون
بين الخليجين من المسافة
ألف وخمسمائة ميل وهي
داخلة من البر في البحر والبحر
يطيف بها من أكثر جهاتها
على ما وصفنا بهذا البحر الصين
والهند وفارس وعمان
والبصرة والبحرين واليمن
والحجاز والقلزم والزنج والسند
ومن في جزائره ومن قد أحاط
به من الامم الكثيرة التي
لا يعلمون فهم ولا عددهم
الا من خلقهم سبحانه وتعالى
ولكل قطعة منه اسم يفردها
من غيرها والماء واحد
متصل غير منفصل وفي هذا
البحر مغاصات الدر والياقوت
وفيه العقيق والبادبيج
وهو نوع من البجادي وأنواع
الياقوت والماس والسنباذج
وفيه معادن ذهب وفضة
نحو بلاد كلة وسربرة وحوله
معادن حديد مما يلي بلاد
كرمان ونحاس بأرض عمان
وفيه أنواع الطيب والافاويه
والعنبر والساج والخشب
المعروف بالرداشيني والقنا
والخيزران وسنذكر بعد
هذا الموضع تفصيل مواضع
فيه ادركناها وكل ما ذكرنا
من الجواهر والطيب والنبات
ففيه وحوله وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ورياح ما وصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بحرا

عليه وابنه وأمر باقامته فى الشمس حتى كاد يهلك وأغرمه أموالا عظيمة ودس الى أهل الاندلس بقتل ابنه الذى استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولى الاندلس بعد خروج أبيه عنها باستخلافه اياه كما سبق فضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقى على أبيه موسى منها وكان من خير الولاة الا ان مدته لم تطل لوثوب الجند به وقتلهم اياه عقب سنة خمس وتسعين فى خلافة سليمان الموقع بابيه موسى لاشياء نقموها عليه منها زعموا تزوجه لزوجة لذريق المكناة أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها واموالها وقت الفتح وباءت بالجزية وأقامت على دينها فى ظل نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها كنيسة باشبيلية وانها قالت له لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق زوجها الاول أهل مملكته فقال لها ان هذا حرام فى ديننا فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزرى بقدره عندها فتخذ بابا صغيرا بباب مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون وأفهمها ان ذلك الفعل منهم تحية له فرضيت بذلك فنمى الخبر الى الجند مع ما انضم الى ذلك من دسيسة سليمان لهم فى قتله فقتلوه سامحه الله تعالى ✻ وذكر بعض المؤرخين أنهم وجدوا فى الحجر بعد ما تقدم من الكتابة التى هى ارجعوا يا بنى اسمعيل الخ ما معناه وان لم ترجعوا فاعلموا أنكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض انتهى (قال ابن حيان) وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال فى فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب فى غزوها افتتاحها وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها وعدد الامراء عليها وأسماءهم فأجاد وتقصى وهى بايدى الناس موجودة انتهى وقد عرفت بما سبق تفصيل ما أجمله ابن خلدون والروايات فى فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية وأشرنا الى بعض الاختلاف فى ذلك ولو بسطنا العبارة فى الفتح لكان وحده فى مجلد أو أكثر ولنلم بما ألمعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للاندلس من لدن الفتح وهم من قبل بنى مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين أجمعين قبل تفرقهم الى ان انقرضت دولتهم العظيمة التى هى ألف شهر فاقتطع الاندلس عن بنى العباس الدائلين على بنى مروان الناسخين لهم فل المروانيين عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان واقتعدها دار مملكة مستقلة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بنى أمية ومواليهم وأورثها بنيه حقبة من الدهر بعد ان قاسى فى ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على ذريته من بعده اهل الاندلس اجمعون رضا بهم دون بنى العباس بعد ان حاول بنو العباس ملكها بان ولوا بعض رؤساء العرب وامروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين جرثومة دولة بنى مروان فلم يتيسر ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب فى ذلك وقتل منهم آلافا وذلك فى مدة المنصور كما سيأتى ان شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل فى موضع آخر ولنذكر هنا ولاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق فى كلام ابن خلدون ✻ وقال بعضهم كانت ولادة موسى بن نصير فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٩ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وأجل السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى ✻ وقال الحجارى فى المسهب يحكى ان موسى بن نصير اتى بنفسه على يزيد بن المهلب

كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر الروم ١٣٢ وبحر الحبش وبحر الزنج وبحر النيل وبحر الهند وبحر كلة وبحر الرانج وبحر الصين فمختلفة فمنها ما يرتفع من قعر البحر يتشعر فيه منه وبعظم موجه كالقدر تفور مما يلحقها من مادة حرارة النار ومنها ما يرتفع والبحر فيه من قعره ولا يتسم ومنها ما يكون هبوبه من النسيم دون ما يظهر من قعره وما يصدم منه غير من قعره من الرياح تنبعث من الارض تنتهر الى قعره تنتهر فى سحمه والله عز وجل اعلم بكيفية ذلك ولكل من يركب هذه البحار من الناس ارياح يعرفونها فى اوقات يكون فيها هبوبها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هيجانه واحوال ركوده وثورانه والروم والمسافرون فى البحر الرومى سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتى بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب احداثها واخبارها ان شاء الله تعالى (ذكر تنازع الناس فى المد والجزر وجوامع مما قيل فى ذلك) والمد مضى الماء فى فيئته وسجيته وسنن جريته والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف ما مضى عليه فى هيئته وذلك لبحر

المهلب لما كان من امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وطلب منه ان يكلمه وان يشفع عنده فقال له يزيد ازيد ان اسألك فاسمع الى قال سل عما بدا لك فقال له لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقل لى كيف حصلت فى يد هذا الرجل بعد ما ملكت الاندلس والقيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت بلادا انت اخترعتها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل فى يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك فى يد من لا يرحمك ثم انك علمت ان سليمان ولى عهد وانه المولى بعد أخيه وقد أشرف على الهلاك لا محالة وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى الهلكة وأحقدت مالكك ومملوكك قال يعنى سليمان وضارفا وما رسنا هذا الرجل عليك الا بعد ولكن لا آلو جهدا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد اما سمعت اذا جاء الحين غطى على العين فقال ما قصدت بما قلت لك تعديدا ولا تبكيتا انما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأى وان أرى ما عندك فقال موسى اما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الارض من بعد ويقع فى الفخ وهو بمرأى عينيه ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه انه قد اشتمل رأسه على ما يمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم فى الاموال والابشار على سلامة وما السيف والكلس فدونه بعد ذلك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غل من مال الله قال وآل حاله الى ان كان يطاف به ليسأل من احياء العرب ما يفك به نفسه وفى تلك الحال مات وهو من أفقر الناس وأذلهم بوادى القرى سائلا من كان نازلا به وقال احد غلمانه ممن وجد له فى حال الفقر والخمول لقد رأيتنا نطوف مع الامير موسى بن نصير على احياء العرب فواحد يعطينا وآخر يحتجب عنا ولربما دفع البنا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعه الى الموكلين به فيخففون عنه من العذاب ولقد رأيتنا أيام الفتوح والغنائم بالاندلس ناخذ السلوب من قصور النصارى فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وغير ذلك ونرمى به ولا نأخذ الا الدر الفاخر فسبحان الذى بيده العز والذل والغنى والفقر قال وكان له مولى قد وفى له وصبر عليه الى ان ضاق ذرعه بامتداد الحال فعزم على ان يسلمه وهو بوادى القرى فى اسوإ حال وشعر بذلك موسى فخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان اتسلمنى فى هذه الحالة فقال له المولى من شدة ما كان فيه من الضجر بد اسلمك فانقلت بما لك الذى هو ارحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل يرفعهما الى السماء فانت عاه بهمة ابنه فتبعه ما اسفرت تلك الليلة الا عن قبض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب ان يترحم عليه وان يفعل سليمان به وبولده وكونه طرح راس ابنه عبد العزيز الذى تركه نائبا عنه بالاندلس وقد جىء به من اقصى المغرب بين يديه من وصماته التى تعد عليه طول الدهر لاجرم أن الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه وشبابه ＊ وذكر ابن حيان ان موسى كان عربيا فصيحا وقد سبق من مراجعة يزيد بن المهلب ما يدل على بلاغته ويكفى منها ما ذكره ابن حيان انه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنها الحشر وقال الحجارى ان منازعة جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن اسيد بمحضر عند عبد الملك بن

الحبشى الذى هو الصينى والهندى وبحر البصرة وفارس المتقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك ان البحار على ثلاثة انواع منها ما يتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستترا ومنها ما لا جزر ولا مد كالبحار التى لا يكون بها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهى على ثلاثة اصناف فاولها ما يعرف الماء فيه زمانا فيغلظ ويقوى ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض قعير كالبحيرة وينقص فى الصيف ويزيد فى الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثانى الذى يبعد عن مدار القمر وسمته فانه بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التى يكون الغالب على ارضها التخلخل لانه اذا كانت ارضها متخلخلة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتخلخل وانشب الرياح الكائنة فى ارضها اولا وغلبت الرياح عليها واكثر ما يكون هذا فى ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس فى علة المد والجزر فمنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه مجانس للماء وهو يسخنه فيبسطه وشبهوا ذلك بالنار اذا اسخنت ما فى القدر وغلته وان الماء يكون فيها على قدر النصف او الثلثين وكلما انبسط فى القدر ارتفع

مروان لجلالته الى ان قال شعرا منه

حاربت غير مسوم في مطاولة ؛ لو نازع الحقل لم ينزع الى حضر

وتقدم ما ذكره غير واحد كابن حيان ان موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا ذكره
الحجاري شهر مع ام البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد بن عبد الملك فكانت تنمى
مكانته عند الوليد الى ان بلغ ما بلغ واشهر من كان في صحبة موسى بن نصير مولاه طارق
المشهور بالفتوح العظيمة وطريف وقد جرى ذكرهما في كتابنا هذا بما اقتضاه
الاختصار وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف في ان موسى هل هو لخمي صريح او بالولاء
وبربري او مولى لعبد العزيز بن مروان ما صورته وكان في عقبه نباهة في السلطنة ولى ابنه
عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبد الله سلطنة افريقية
وذكر الحجاري ان اصله من وادي القرى بالحجاز وانه خدم بني مروان بدمشق وتنبه شأنه
بمصر فوقع في ممالكهم الى ان ولي افريقية وما وراءها من المغرب في زمن الوليد بن عبد الملك
ودوخ اقاصي المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة ودوخ بلاد
الاندلس ثم وفد الى الوليد الى الشام فوافق مرضه ثم موته وخلافة اخيه سليمان فعذبه
واستند في امواله وآل امره الى ان وجهه الى قومه بوادي القرى لعلهم يعطفون عليه
ويؤدون عنه فمات بها وقد نص ابن بشكوال على انه مات بوادي القرى * اما معارفه
السلطانية فيكفيه ولاية ما خلف مصر الى البحر المحيط بين بري البر والاندلس * واما الادبية
فدجاجات عنه بلاغة في النثر والنظم تدخله مع نظرائها في اصحاب درر الكلام وذكر ابن
بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الداري وذكره في
كتب الائمة من المصنفين ابين واوجب من ان يخص بذكره واحد منهم وهو غرة
التواريخ الاندلسية وذكره الى الآن جديد في ألسن الخاصة والعامة من أهلها * ومن
مستغرب الحجاري كان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما أعانه الله سبحانه به على ما بنى له من
المجد المشيد والذكر الشهير المخلد الذي لا يبليه الليل والنهار ولا يعفي جديده بلى الاعصار
الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا تخلو من
ذلك وأنشد بعض الرؤساء :: وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا * فتابه الرئيس وقال من
يترك الحقدا ثم قال ان السيد اذا ترك اضمار الخير والشر والمجازاة عليهما اجترئ عليه ونسب
للضعف والغفلة وهل رأيت صفقة أخسر من غفلة رئيس احقده غيره فنسي ذلك او تناساء
وعدوه لا يغفل عنه وحاسده لا ينفعه عنده الا الراحة منه وهو في واد آخر عنه ولله در القائل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

ولكن الاصوب أن يكون الرأي ميزانا لا يزن الوافي لناقص ولا يزن الناقص لواف ويدبر
أمره على ما يقتضيه الزمان ويقدر فيه حسن العاقبة * ونص ابن بشكوال على ان موسى بن
نصير مات بوادي القرى سنة سبع وتسعين وغزا الاندلس سنة احدى وتسعين ودخلها سنة
ثلاث وتسعين وقفل عنها الى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة أربع وتسعين وذكر ان ولايته
على الاندلس بالمباشرة منذ دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاه طارق سنة

وتدافع حتى يغور فيتضاعف عن كميته ٣٤ في الحس وينقص في الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط
البرودة ان تجمعها وذلك ان
قعر البحار تسمى فيتولد في
ارضه عفونة وتستحيل
وتمتص كما في البلاليع
والآبار فتحمى ذلك الماء
الذي ورد وازداد وازدادت مع
تدفع قعر البحر فطفا على
سطحه ولان حر قعره
واحتاج الى اكثر من مدته
وان استمر ازداد امتلاء حمى
الجو حميا شديدا فظهرت
زيادة الماء فسمي ذلك المد
الشهري وان هذا البحر
تحت معدل النهار آخذا من
جهة المشرق الى المغرب بدور
الكواكب المنيرة عليه
مع الشامية من الكواكب
الشامية اذا كانت المنيرة
في القدر ومثل الميل على
محاذاة واذا زالت عنه
كانت منه قريبة فاعلة فيه من
اوله الى آخره في كل يوم
وليلة وهي مع ذلك
في الموضع المقابل الحمي
فقليل ما يعرض فيه من
الزيادة ويكون في النهر الذي
يعرف فيه المد من اطرافه
وما يتصل اليه من سائر
المياه وقالت طائفة اخرى
لو كان الجزر والمد بمنزلة
النار اذا أسخنت الماء الذي
في القدر وبسطته فطلب
اوسع منها فيفيض حتى
اذا خلا تعرده الماء طلب
الماء بعد خروجه منها في الارض لضعفه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل والقمقم   انتهى

انتهى وقد تقدم شيء من ذلك * وذكر ابن بشكوال أيضاً ان ابن حبيب قال عن رجل عن الناس كلهم يوم فتح الاندلس الأربعة نفر فقط كانوا من التابعين حنش الصنعاني وأبو عبد الرحمن الحبلي وابن شماسه وعياض بن عقبة انتهى * قال ابن سعيد وممن دخل الاندلس من غير هؤلاء الاربعة من التابعين علي بن رباح اللخمي وموسى بن نصير فاتح الاندلس وحبان ابن أبي جبلة القرشي مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب الاندلس المذكور في سلاطينها ومحمد بن أوس بن ثابت الانصاري وزيد بن قاصد السكسكي والمغيرة بن أبي بردة الكناني وعبد الله بن المغيرة الـ.. لي وحيوة بن رجاء التميمي وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومنذر بن حرامه وعلي بن عثمان بن خطاب * وذكر ابن حبيب ان عدة من دخل الاندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلا وفي كتاب ابن بشكوال انه دخل الاندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلا وهم اسسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة ومنهم الحارثي في المسهب هؤلاء المتقدمين * وذكر ابن سعيد انه لم ير في المواضع التي تختص بهؤلاء التابعين من بلاد الاندلس مع جزمه بأنهم دخلوا الاندلس وسكنوا بها وسيأتي ذكر التابعين الداخلين الاندلس بما هو أتم من هذا وقد تقدم غلول من عد التابعين من الغنائم * وقال الليث بن سعد بلغني ان طارقا لما فتح بالاندلس معانم كثيرة من الذهب والفضة ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفاس فيضربون به وسطها فيأخذ أحدهم نصفها والآخر النصف الآخر لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشغولون بغير ذلك * وعن يحيى بن سعيد لما فتحت الاندلس أصاب الناس فيها غنائم فغلوا منها غلولا كثيرا فحملوه في المراكب وركبوا البحر فسمعوا مناديا يقول اللهم غرق بهم وتقلدوا المصاحف واشتدوا أسباب مراكبهم فعصفت وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت وغرق بهم وأهل مصر ينكرون ذلك ويقولون أهل الاندلس ليس هم الذين غرقوا وانما هم أهل سردانية والله أعلم بحقيقة الحال * ورأيت في بعض كتب التاريخ انه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر والأموال ما لا يحصى فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ووجد فيها ألف سيف ملوكي ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال ومن أواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ومائدة سليمان وكانت فيما يذكر من زمردة خضراء وزعم بعض العجم انها لم تكن لسليمان وانما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسبة في دينهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم مال له قدر اصطنعوا منه الآلات من الموائد العجيبة والكراسي من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها الاناجيل في أيام المناسك ويضعونها في الاعياد للمباهاة فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع في هذا السبيل وتأنق الملوك في تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد وقيل انها من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها

اذا فاض وسابت اجزاء الماء عليه بالحمى لكان في الشمس اشد ... ولو كانت الشمس علة مده لكان يمد مع بدء طلوع الشمس ويجزر مع غيبتها فزعم هؤلاء ان علة الجزر والمد في الابخرة تتولد من الابخرة التي تتولد من بطن الارض فانها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثر فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها فلا تزال كذلك حتى ينقص موادها من أصل فاذا انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ الى قعر البحر وكان الجزر من أجل ذلك ولم يكن ليلا ونهارا وشتاء وصيفا وفي غيبة القمر وفي طلوعه وكذلك في غيبة الشمس وطلوعها قالوا وهذا يدرك بالحس لانه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المد ولا ينقضي آخر المد حتى يبتدي أول الجزر لانه لا يفتر تولد تلك البخارات حتى اذا خرجت نزل عنصرها مكانها وذلك ان البحر اذا غارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الابخرة لمكان ما تحصل منها من الارض بمائه وكلما غارت تولدت وكلما فاض نقصت وذهب آخرون من أهل الديانات ان كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيه قياس فهو فعل الاله يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته فليس للمد والجزر علة في الطبيعة البتة ولا في القياس وقال آخرون ما هيجان البحر

الاكثر ان بعض الفضلاء ولا يرى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرهما يحتاج الى طبيعته ثم يسكن قليلا

وكان فيها ثلثمائة وخمس وستون رجلا وكانت توضع في كنيسة طليطلة فأصابها طارق ابن زياد وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حيان ما فيه نظيره داود كرنا فيه مضى من أمر المائدة وما أشبه بعضه بعضا الف وما ذاك الا انا ننقل كلام المؤرخين وان خالف بعضهم بعضا ومن ذلك كثيرا فائدة وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلاف في صفتها وجنسها وعدد أرجلها وهي من أجل ما غنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوعة الاجناس التي ذكرها الى الآن شائع بين الناس فاعلم أنه لما استقر قدم أهل الاسلام بالاندلس وتم فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ما كان فأما العدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة الانفس بالاندلس منهم جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الاندلس بعد انتثار سلك بني أمية وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك الى الآن بالقرشيين وانما عمّوا انسابهم الى أمية في الآخر لما انحرف الناس عنهم وذكروا افعالهم في الحسين رضي الله عنه وأما بنو زهرة فمنهم باشبيلية أعيان متميزون وأما المخزوميون فمنهم ابو بكر المخزومي الاعمى الشاعر المشهور من اهل حصن المدور ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر ابو بكر بن زيدون ووالده الذي هو اعظم منه ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بني عباد قال ابن غالب وفي الاندلس من ينسب الى جمح والى بني عبد الدار وكثير من قريش المعروفون بالفهريين من بني محارب بن فهر وهم من قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنو الجد الاعيان العلماء ومن بني محارب ابن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الاندلس الذي غلبه عليها عبد الرحمن الاموي الداخل وجده عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بافريقية قال ابن حزم ولهم بالاندلس عدد وثروة وأما المنتسبون الى عامر كنانة فكثير وجلهم في طليطلة واعمالها ولهم بيت بالوشقيون الكنانيون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضي ابو الوليد والوزير ابو جعفر ومنهم ابو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه في محله وأما هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة اريولة من كورة تدمير وأما تميم ابن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ايضا انهم خلق كثير بالاندلس ومنهم ابو الطاهر صاحب المقامات اللزومية وأما ضبة بن اد بن طابخة فذكرناهم قليلا الا انهم بالاندلس فهؤلاء خندف من العدنانية وأما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية فمن بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه وكان صاحب الامام مالك رضي الله عنه وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة ومن بني سعد بن بكر من بني منصور بن عكرمة قال ابن غالب وهم باشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى هوازن بن منصور ومنهم من ينتسب الى بكر بن هوازن قال ابن غالب ولهم منزل نحو بلنسية على ثلاثة اميال منها وباشبيلية وغيرها منهم خلق

حتى يعرد وقد ثبت طائفة اخرى الى ابنائه ... وصف من اقوال ... الهواء ... يستحيل ... عندهم انه مجرور ... ذلك واداء ... المدة ... ثابت ... الى ... وهو ... مرادف ... لان الماء ... الهواء ... مجموراتكون ذلك ... اكثر لان القمر ... ان الهواء ... يتحمل وامتلاء القمر ... كثرة المد لان المد ... لا يكون في ... والمد والجزر في بحر فارس يكونان الى مقدار معتبر والاغلب من الاوقات وقد ذهب كثير من نواحي هذا البحر وهم ارباب المراكب من السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ... الى عمارة من الامم التي في جزائره وحوله الى ان المد والجزر يكون في معظم هذا البحر الا مرتين في السنة مرة يمد في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة اشهر فاذا كان ذلك طغى الماء في مشارق البحر والجنوب بالصين وما دار هنالك الصقع ومرة يمد في شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة اشهر فاذا

١٥

خلق

حاق كثير ومنهم بنو حزم وهم بيت غير البيت الذي منه ابو محمد بن حزم الحافظ الظاهري وهو فارسي الاصل ومنهم من ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب ان منهم بغرناطة كثيرا كبني جودي وقد رأس بعض بني جودي ومنهم من ينتسب الى سلول امرأة نسب اليها بنوها وابوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى نمير بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب وهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بلج بن بشر صاحب الاندلس وآله وبنو رشيق ومنهم من ينتسب الى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى اشجع بن ريث بن غطفان ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الاشجعي سلطان الاندلس وفي ثقيف اختلاف فمنهم من قال انها قيسية وان ثقيفا هو قيس ابن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة والبهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الاندلس وقيل انها من بقايا ثمود انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر * وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب الى أسد بن ربيعة بن نزار قال في فرحة الانفس ان اقليم هؤلاء مشهور باسمهم بجوفي مدينة وادي آش انتهى ولا شهر بالنسبة الى أسد أبدا بنو أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى محارب بن عمرو بن وديعة ابن بكير بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة قال ابن غالب في فرحة الانفس ومنهم بنو عطية اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد كبني عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر ومنهم من ينتسب الى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبني حديس أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريين أصحاب أونبة وشلطيش الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف انتهت ربيعة * وأما اياد بن نزار وقد يقال انه ابن معد والصحيح الاول فينتسب اليهم بنو زهرة المشهورون باشبيلية وغيرهم انتهت العدنانية وهم الصريح من ولد اسمعيل عليه السلام واختلف في القحطانية هل هم من ولد اسمعيل أو من ولد هود على ما هو معروف وظاهر صنيع البخاري الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون باليمانية وكثيرا ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الاكثر بالاندلس والملك فيهم ارسخ الا ما كان من خلفاء بني أمية فان القرشية قدمتهم على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والافخاد الى ان قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الاندلس وقصد بذلك تشتيتهم وقطع تمداههم وتعصبهم في الاعتزاء وقدم القواد على الاجناد فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالاندلس الا ما جاءت على غير هذه الجهة قال ابن حزم جماع أنساب اليمن من جرم بن كهلان وحمير بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان ابن الهميسع بن تيمان بن نابت بن اسمعيل وقيل قحطان ابن هود بن عبد الله بن رباح بن جارف.

كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر والجسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وان الشمس اذا كانت في الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف فهبوب الشمال طامية عالية وتقل المياه في جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب في جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية فقلت المياه في الجهات الجنوبية منه ويتنقل ماء البحر في هذين الميلين أعني في جهتي الشمال والجنوب فسمي جزرا ومدا شتويا وذلك ان مد الجنوب جزر الشمال ومد الشمال جزر الجنوب فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين زائدا وفي الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس (قال المسعودي) فهذا رأي يعقوب بن اسحق الكندي واحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورأيت مثل ذلك ببلاد كنباية من أرض الهند وهي المدينة التي تضاف اليها النعال الكنباتية الصرارة وفيها وفيما يليها مثل مدينة

سندابورة وسرنديو وكان دخولي اليها في سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل البلهزا

ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام والخلف في ذلك مشهور فنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان واليهم ينتسب محمد ابن هانئ الشاعر المشهور الالبيرى وهو من بنى المهلب ومن الازد من ينتسب الى غسان وهم بنو مازن بن الازد وغسان ماء شربوا منه وذكر ابن غالب ان منهم بنى القسيمى من أعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجم الغفير بالاندلس * قال ابن سعيد والعجب انك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجده بالاندلس في اكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه الا شيخان من الخزرج وعجوز من الاوس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس في شرقها ومغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس ابو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المشهور بالموشحات والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من المسلمين واستولى العدو على الجزيرة جميعا كما يذكر ومن أهل الاندلس من ينتسب الى الاوس أخي الخزرج ومنهم من ينتسب الى غافق بن عك بن عدنان بن ازان بن الازد وقد يقال عك بن عدنان بالنون فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من غافق أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب واكثر جهات شقورة ينتسبون الى غافق ومن كهلان من ينتسب الى همدان وهو اوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان ومنزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى ومن كهلان من ينتسب الى مذحج ومذحج اسم اكمة حمراء باليمن وقيل اسم أم مالك وطيء ابني ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب بنو سراج الاعيان من أهل قرطبة ينتسبون الى مذحج ومنزل طيء بقبلي مرسية ومنهم من ينتسب الى مراد بن مالك بن ادد وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور قال ابن غالب وأعرف بمراد منهم خلقا كثيرا ومنهم من ينتسب الى عنس بن مالك بن ادد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب وقلعة بني سعيد مشهورة في مملكة غرناطة ومن مذحج من ينتسب الى زبيد قال ابن غالب وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن ادد ومن كهلان من ينتسب الى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهي امرأة من قضاعة ولدت للحرث بن عدى بن الحرث مرة بن أدد فغلب ولدها منه اليها قال ابن غالب منهم بنو سماك القضاة من أهل غرناطة وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من قضاعة ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مرة وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة بن منهم المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس ومنهم من ينتسب الى لخم بن عدى بن الحرث بن مرة منهم بنو عباد أصحاب أشبيلية وغيرها وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجي اعيان اشبيلية وبنو وافد

الاعيان

صاحب البابكين وكان للبابكين هذا غاية المناظرة مع من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل وهذه المدينة على خور من أخوار البحر وهو الخليج أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل والثمار جيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع طيور الهند بين تلك الجبال والمياه وبين مدينة كنباية وبين البحر الذي يأخذ منه هذا الخليج يومان وأقل من ذلك فينزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذي ينضب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء وقد أقبل المد من نهاية الجزر كالخيل في الحلبة فربما أحس الكلب بذلك فأقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذي لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعته فيغرقه وكذلك المد يرد بين البصرة والاهواز في الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند ويسمع هنالك أزيز له ضجيج ودوي وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السفن وهذا الموضع يعرفه من يسلك هنالك الى بلاد مرق من أرض فارس والله أعلم

*(ذكر بحر الروم ووصف ماقيل في طوله وابتدائه وانتهائه) * أما بحر الروم وطرسوس وادرنة والمصيصة واطاكية واللاذقية

الاعيان ومنهم من ينتسب الى جذام مثل ثوابة بن سلامة صاحب الاندلس وبنى هود ملوك
شرق الاندلس ومنهم المتوكل بن هود الذى صحت له سلطنة الاندلس بعد الموحدين ومنهم
بنو مردنيش أصحاب شرق الاندلس قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح واسم جذام
عامر واسم لخم مالك وهما ابنا عدى ومن كهلان من ينتسب الى كندة وهو ثور بن عفير بن
عدى بن مرة بن ادد ومنهم يوسف بن هرون الرمادى الشاعر ومنهم من ينتسب الى تجيب
وهى امرأة اشرس بن السكون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب الى خثعم بن أنمار
ابن اراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبى نسعة
سلطان الاندلس وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد بن عدنان انتهت كهلان ❊ وأما حمير بن سبا بن
يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب الى ذى رعين قال ابن غالب وذو رعين هم ولد
عمرو بن حمير فى بعض الاقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم
ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير قال
ومنهم أبو عبد الله الحناط الاعمى الشاعر قال الحازمى فى كتاب النسب واسم ذى رعين عريم
ابن زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم من ينتسب الى ذى أصبح قال ابن حزم هو ذو أصبح بن
مالك بن زيد من ولد سبا الاصغر ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر
الحازمى أن ذا أصبح من كهلان وأخبر أن منهم مالك بن أنس الامام والمشهور أنهم من حمير
والاصبحيون من أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يحصب قال ابن حزم انه أخو ذى أصبح
وهم كثير بقلعة بنى سعيد وقد تعرف من أجلهم فى التواريخ الاندلسية بقلعة يحصب ومنهم
من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم
بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان اشبيلية ❊ ومنهم من ينتسب الى قضاعة بن مالك بن
حمير وقد قيل انه قضاعة بن معد بن عدنان وليس بمرضى ومن قضاعة من ينتسب الى مهرة
كالوزير أبى بكر بن عمار الذى وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف
ابن قضاعة ومنهم من ينتسب الى خشين بن تنوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن تيم
ابن وبرة بن تغلب قال الحازمى تنوخ هو مالك بن فهر بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة
ومنهم من ينتسب الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم البلويون الاشبيلية ❊ ومنهم
من ينتسب الى جهينة بن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة
منهم جماعة ❊ ومنهم من ينتسب الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبنى أبى عبدة الذين
منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها ❊ ومنهم من ينتسب الى عذرة بن سعد هذيم بن زيد
ابن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ❊ ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة
ومن أهل الاندلس من ينتسب الى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية
وبطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضرموت
هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن
الغوث بن حيدان بالجيم ابن قطن بن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهميسع بن حمير
كذا نسق النسب الحازمى ❊ ومن أهل الاندلس من ينتسب الى سلامان ومنهم الوزير لسان

وطرابلس وصيدا وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والاسكندرية وساحل المغرب فذكر جماعة من اصحاب
الزيجات فى كتبهم منهم
محمد بن جابر البتانى وغيره ان
طوله خمسة آلاف ميل وعرضه
مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه
سبعمائة ميل ومنه ستمائة
ميل واقل من ذلك على حسب
مضايقة البر للبحر والبحر للبر
ومبدا هذا البحر من خليج
يخرج جاريا من بحر اوقيانوس
واضيق موضع من هذا
الخليج بين ساحل طنجة من
بلاد المغرب وبين ساحل
الاندلس وهذا الموضع
المعروف بنيطاء وعرضه فيما
بين الساحلين نحو من عشرة
اميال وهذا الموضع هو
المعبر لمن اراد العبور من
الغرب الى الاندلس ومن
الاندلس الى الغرب وعلى
الحد بين البحرين اعنى بحر
الروم وبحر اوقيانوس المنارة
النحاس والحجارة التى بناها
هرقل الجبار على اعلاها
الكتابة والتماثيل مشيرة بأيديها
ان لا طريق ورائى لجميع
الداخلين الى ذلك البحر
بحر الروم اذ كان بحرا
لا تجرى فيه جارية ولا
عمارة فيه ولا حيوان
ناطق يسكنه ولا يحاط
بمقداره ولا تدرى غايته ولا
يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات
والاخضر المحيط وقد ذهب
قوم ان هذا البحر أصل ماء
البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار من غرر وخاطر بنفسه فى ركوبه ومن نجا منهم

الدين بن الخطيب حسبما ذكر فى محله * وقد رأيت أن أسرد هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى آخر ملوك بنى أمية وان تقدم و يأتى ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول طارق ابن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتخذ سريرا للسلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم أيوب بن حبيب اللخمى وسريره قرطبة وكل من يأتى بعده فسريره قرطبة والزهراء والزاهرة بجانبيها الى ان انقضت دولة بنى مروان على ما ينبه عليه ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفى ثم السمح بن مالك الخولانى ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ثم عنبسة بن سحيم الكلبى ثم عذرة بن عبد الله الفهرى ثم يحيى ابن سلمة الكلبى ثم عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ثم حذيفة بن الاحوص القيسى ثم الهيثم بن عبيد الكلابى ثم محمد بن عبد الله الاشجعى ثم عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بلج ثم بشر بن عياض القشيرى ثم ثعلبة بن سلامة العاملى ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبى ثم ثوابة بن سلامة الجذامى ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وههنا انتهى الولاة الذين ملكوا الاندلس من غير موارثة أفرادا عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ولم يتعدوا فى السمة لفظ الامير * قال ابن حيان مدتهم منذ تاريخ الفتح من لذريق سلطان الاندلس النصرانى وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المروانى على سرير الملك قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ست وأربعون سنة وخمسة أيام انتهى * ثم كانت دولة بنى امية أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيهما الزهراء ثم هشام بن الحكم وفى أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبى عامر الزاهرة ثم المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن الناصر وهو أول خلفاء الفتنة وهدمت فى أيامه الزهراء والزاهرة وعاد السرير الى قرطبة ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ثم تخللت دولة بنى حمود العلويين وأولهم الناصر على بن حمود العلوى الادريسى ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود ثم كانت دولة بنى أمية الثانية وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ثم المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خلع اسقط ملوك الاندلس الدعوة للخلافة المروانية واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور فى قرطبة وابن عباد باشبيلية وغيرهما ولم يعد نظام الاندلس الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثم من بر العدوة وفتك فى ملوك الطوائف وبعد ذلك ماخلصت له ولا لولده على بن يوسف لان بنى هود نازعوه فى شرقها بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه فخلصت لعبد المؤمن بعد محمد بن مردنيش الذى كان ينازعه فى شرق الاندلس ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرتهم مراكش وكانت ولاتهم تتردد على الاندلس ومما لكها ولم

ومن تلف وما شاهدوه وما رأوا بين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة فى طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك انما يجرى فى بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة نحو من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا الخليج من جانب الغرب قرية يقال لها سبتة وهى وطيئة من ساحل واحد وسابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من غدوة الى الظهر وفى هذا الخليج موج عظيم والماء من هنالك يخرج من بحر اوقيانوس ويصب الى البحر الرومى وفى هذا الخليج مواضع تعلو أمواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه أهل المغرب وأهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفى بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس فى مقابلة الاسكندرية وجزيرة اقريطش وجزيرة صقليه وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا لجبل البركان الذى تظهر منه النار فيها اجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحق الكندى وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسى فى طول هذا البحر وعرضه

يولوا

يولوا على جميعها شخصا واحدا لعظم ممالكها الى ان انقرضت منهاد واتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهاتها فملك معظم الاندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان ولم ينازعه فيها الا زيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الاندلس وابن هلالة في طبيرة من غرب الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته ولما قتله وزيره ابن الرميمي بالمرية زاد الامر الى أن ملك بنو الاحمر وكان غرب أهل الاندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ثم تناقصت تلك الظلال ودخل الجزيرة الاختلال الى أن استولى عليها حزب الضلال والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين *(وقد ذكرت) في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الاندلس مما يصلح للمذاكرة وربما سرحت طرف القلم في بعضهم وبنو جهور المشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويين ثم انه لما انقرضت الخلافة بقرطبة تدبرها الوزير أبو الحزم بن جهور من غير أن يتعدى اسم الوزارة * قال في المطمح الوزير الاجل جهور بن محمد ابن جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزارة وأبو الحزم أمجدهم في المكرمات وأنجدهم في الملمات ركب متون الفتن فراضها ووقع في بحور المحن فخاضها منبسط غير منكمش لا طائش اللسان ولا رعش وقد كان وزر في الدولة العامرية فشرفت بجلاله واعترفت باستقلاله فلما انقرضت وعاقت الفتن واعترضت تحيز عن التدبير مدتها وخلى للخلافة أعباء الخلافة وشدتها وهو يقبل مع اولئك الوزراء ويدبر ويدبر الامر معهم ويدبر غير مظهر للانفراد ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد الى أن بلغت الفتنة مداها وسوّغت ما شاءت رداها وذهب من كان يجد في الرياسة ويخب ويسعى في الفتنة ويدب ولما ارتفع الوبال وأدبر ذلك الاقبال رأى أهل النوى مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تخيلا منه وتمويها وتداهيا على أهل الخلافة وذويها وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض منه لاهل قرطبة برق خلب الشام بعد سرعة انبتاتها وتعجيل انتكاثها فأنابوا الى الاجابة وأجابوا الى استرعائه الوزارة والحجابة وتوجهوا مع ذلك الامام والموا بقرطبة أحسن المام فدخلوها بعد فتن كثيرة واضطرابات مستثيرة والبلد متقفر والجلد مسفر فلم يبق غير يسير حتى حيدوا واضطرب أمره فخلع واختطف من الملك وانتزع وانقرضت الدولة الاموية وارتفعت الدولة العلوية واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ودبر أمرها بالجد والعزم وضبطها ضبطا أمن خائفها ورفع طارق الملك الفتنة وطائفها وخلا له الجو فطار وقضى اللبانات والاوطار فعادت له قرطبة الى أكمل حالتها وانجلى بنور جلالتها ولم تزل به مشرقة وغصون الآمال فيها مورقة الى أن توفي (سنة ٤٣٥) فانتقل الامر الى ابنه أبي الوليد واشتمل منه على طارف وتليد وكان لابي الحزم أدب ووقار وحلم سارت به الامثال وعدم فيها المثال وقد أثبت من شعره ما هو لائق وفي سماء الحسن رائق وذلك قوله في تفضيل الورد

الورد أحسن ما رأت عيني وأز ... كى ما سقى ماء السحاب الجائد

خضعت نواوير الرياض لحسنه ... فتذللت تنقاد وهي شوارد

غيرما ذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على نظم من التأليف وترتيب من التصنيف ان شاء الله تعالى

*(ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية)

فاما بحر نيطش فانه يمتد من بلاد ملنزقة الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف ببطنانس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من اهل العناية بهذا الشأن حتى يصب في بحر نيطش وهذا البحر عظيم فيه انواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناس من يسمي بحر مانطش بحيرة ويجعل طوله ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل وعرضه نحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله الى آخره والقسطنطينية من الجانب الغربي من هذا الخليج وهي متصلة ببر رومية والاندلس وغيرهما مما يصب والله أعلم على قول المتقدمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم في بحر البابغر

واذا تعدّى الغصن فى أغصانه * بزهو فذا ميت وهذا حاسد
واذا أتى وفد الربيع مبشرا * بطلوع صفحته فنعم الوافد
ليس المبشر كالمبشر باسمه * خبر عليه من النبوّة شاهد
واذا تعدّى الورد من أوراقه * بقيت عوارفه فهن خوالد

انتهى المقصود منه وكأنه عارض بهذه الابيات فى تفضيل الورد قول ابن الرومى فى تفضيل النرجس عليه من قصيدة

للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الحقيقة حائد

وهى مشهورة ورد على ابن الرومى بعضهم بقوله

يامن يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك فاسد الخ

وهى أيضا مشهورة * (رجع الى ما كنا فيه) وكانت لاهل الاندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائع فى الكفار شفت الصدور من أمراضها ووفت النفوس باغراضها واستولت على ما كان لملة الكفر من جواهرها وأعراضها ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعيا العلاج حكماء الرجال فصار أهل الاندلس يتذكرون موسى بن نصير وطارق ومن بعدهما من ملوك الاندلس الذين راعت العدو الكافر منهم طوارق * وما أحسن ما أعرب الامام الكاتب القاضى أبو المطرف بن عميرة عما يشمل هذا المعنى وغيره فى كتاب بعث به الى الشيخ أبى جعفر بن أمية حين حل الرزء ببلنسية وهو

ألا أيها القلب المصرح بالوجد * أمالك من بادى الصبابة من بدّ
وهل من سلوّ يرتجى لمتيم * لذلوعة الصادى وروعة ذى الصدّ
يحن الى نجد وهيهات حرّمت * صروف الليالى ان يعود الى نجد
فيا جبل الريان لا ريّ بعدما * عدت غير الايام عن ذلك الورد
ويا أهل ودى والحوادث تقتضى * خلوّى عن أهل يضاف الى الود
ألا متعة يوما بعاريه المنى * فانا نراها كل حين الى الرد
أمن بعد رزء فى بلنسية ثوى * باحنائنا كالنار مضمرة الوقد
يرجى أناس جنة من مصائب * تطاعن فيهم بالمثقفة الملد
ألا ليت شعرى هل لها من مطالع * معادا الى ما كان فيها من السعد
وهل أذنب الابناء ذنب أبيهم * فصاروا الى الاخراج من جنة الخلد

مرحبا بالسجاعة وما أعارت افقى من الاضاءة وردت تسحر النهى وتسحب ذيلا على السها وتهز من المسرة أعطافا وتردمن نجوم المجردة نطافا عامت من الظلمة فى موجها ثم غلبت الشهب على أوجها فقلب العقرب يجب وسهيل بداره يحتجب والطرف غضيض وجناح الطائر بهيض وصاحب الاخبية يقرض والذابح عن ذبيحته يعرض ورامح السماكين تخونه السلاح وواقع النسرين يود لو أنه يخفيه الصباح بلاغة تفتن كل لبيب وترعى روض كل أديب وتغض على رغم العدو من حبيب ان من

والروس وهو بحر نيطش وسيأتى ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم فى ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لا يركبه والله أعلم

(ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجمل من الاخبار على ترتيب البحار)

وأما بحر الاعاجم الذى عليه دورها ومساكنها وهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجبل وجرجان وطبرستان وعليه أنواع من الترك ويمر فى احدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر وعليه الى ساحل انطاكية ورشيد والاسكندرية وحصن المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب نهر [illegible]ان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالى

البيان لسحرا ويا أيها الجواد وجدناك بحرا أدريت أى برى بريت وبأى قمر اهتديت ليلة سريت افتتحت بأبياتك الحسان ونظمتها نظم الجمان فعوذت سنتها بالسبع وعرفت منها براعة ذلك الطبع ثم نثرت على القرطاس شذور المنثور بل من جواهر البحور ما استوقف النظار وبهرج اللجين والنضار ورايتك استمددت ولك الباع الامدّ وأعرت محاسنك والعارية ترد وجئت باللألاءة تروق أربعتها وتحرس بها قعقعة الاشعار وجمعتها فأدت من حسنها ما يسر واجتمع لمن روى النطعتين ما نظم فيهما وهو الدر واجريت خبر الحادثة التى محقت بدر التمام وذهبت بنضارة الايام فيا من حضر يوم البطشة وعزى فى أنسه بعد تلك الوحشة احقا انه دكت الارض ونزف المعين والبرض وصوّح روض المنى وصرح الخطب وما كنى أبن لى كيف فقدت رجاحة الاحلام وعقدت مناحة الاسلام وجاء اليوم العسر وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر حلم ما نرى بل ما رأى ذا عالم طوفان يقال عنده لا عاصم من ينصفنا من الزمان الظالم الله عما يلقى الفوائد عالم بالله اى نحو تنحو ومسطور تثبت وتمحو وقد حذف الاصلى والزائد وذهب الصلة والعائد وباب التعجب طال وحال البائس لا تخشى الانتقال وذهبت علامة الرفع وفقدت سلامة الجمع والمعتل اعدى الصحيح والمثلث اردى الفصيح وامتنعت العجمة من الصرف وامنت زيادتها من الحذف ومالت قواعد الملة وصرنا الى جمع القلة وللشرك صيال وتخمط ولقرنه فى شركه تخبط وقد عاد الدين الى غربته وشرق الاسلام بكربته كأن لم يسمع بنصر بن نصير وطرق طارق بكل خير ونهشات حنش وكيف اعيت الرقى واذالت بليل السليم يوم الملتقى ولم تخبر عن المروانية وصوائفها وفتى معافر وتعفيره للاوثان وطوائفها لله ذلك السلف لقد طال الاسى عليهم والاسف وبقى الحكم العدل والرب الذى قوله الفصل وبيده الفضل ربنا امرت فعصينا ونهيت فما انتهينا وما كان ذلك جزاء احسانك الينا انت العليم بما اعلنا وما اخفينا والمحيط بما لم نأت وما اتينا لو أننا فيك احببنا وقلينا لم ترنا من الفرقة ما رأينا ولم تسلط عدوك وعدونا علينا لكن انت أرحم من ان تؤخذنا بما جنينا واكرم من ان لا تهب حقوقك الينا واشرت ايها الاخ الكريم الى استراحة الىّ وتنسم بالدىّ لتبرد كما زعمت حر نفس وتقدح زناد نبس وهيهات جمد الزند وذوى العرار والرند واقشع الشؤبوب وركد ما كان يظن به الهبوب فالقلم دفين لا يحشر وميت لا ينشر والطبع قد نكص القهقرى وقل منزادان يدعى له النقرى فهاه ولا يملك مبيتا ولا يجد لقلمه تثبيتا وانت ابقاك الله عز وجل بمقتبل الآداب طائر هيعة الشباب واين سن السمو من سن الانحطاط ووقت الكسل من وقت النشاط وقد راجعتك لا داخلا فى حلبتك بل قاضيا حق رغبتك والله تعالى يجعلك بوسيلة العلم مترقيا وبجنة الطاعة متوقيا ولهماء الانفس مستقبلا ومتلقيا بمنه والسلام انتهى * (وكتب) رحمه الله الى سلطان افريقية الوارث ملك بنى عبد المؤمن بتلك النواحى المستولى على البلدان والضواحى وقد كان لاهل الاندلس امل فى أخذه بثارهم وضم انتشارهم ما صورته

من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلى مدينة مكمنة الى تريش وقراشيا ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذى يصب فى هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد أعرضنا عن ذكر انهار كثيرة بارض الروم وما يصب الى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر من المضيق الذى قدمنا ذكره وهو الخليج الذى عليه طنجة متصلة بساحل المغرب وبلاد أفريقية والسوس ورشيد والسويس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية الى ان يتصل بساحل الاندلس الى ان ينتهى الى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ما ذكرنا لا تنقطع من هذا البر كله العمائر التى وصفناها من الاسلام والروم الى الانهار الجارية الى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه نحو ستين ميل وخلجانات أخر داخلة فى البر لا منفذ لها فجميع ما ذكرنا على شاطئ هذا البحر رومى متصلو الديار غير منفصلين لا يقطعهم أو يمنعهم الا ما ذكرنا من الانهار وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومى ومثال ما ذكرنا من العمائر عليه الى ان ينتهى الى مدى الخليج الضيق الآخذ من اوقيانوس الذى عليه اعلام النحاس ويلى الاعلام طنجة

فساحل الاندلس شمال الدرب فصيحة الحاج والدرب على صفة البحر الا انه ليس بدور الشكل لما ذكرناه طوله

ولسنا نعرف التنين في البحر الحبشي ولا في شيء من جهاته من حيث وصفنا في نهايته وأكثر ما يظهر فيما يلي بحر اقيانوس وقد اختلف الناس في التنين فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجو فتلحق السحاب كالزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس أنها حيات سود ومنهم من رأى أنها دواب تتكون في قعر البحر فتعظم وتؤذي دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمر بمدينة الا أتت على ما تقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل وربما تنفس فيحرق الشجر الكبير فيلقونها في سد ياجوج وماجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين فيه فيتغذى ياجوج وماجوج وهذا القول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا وكذلك حكى قوم من أهل

المدن وأصحاب القصص أمورا فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها منها خبر عمران الذي صعد الى النيل فأدرك غايته   الاوطان

بناقه نعب الحيان الوارد * بارق هاج غرام الماجد
صدق وعد التلاقي ثم ما * طرفا الا بخلف الواعد
وكلا الزورين من طيف ومن * وافد تحت الدياجي وارد
لم يكن بعد السرى مستمتع * فيه للرائي ولا للرائد
وشديد بث قلب هائم * يشتكيه عند ربع هامد
بالامير المرتضى عز الهدى * وثنى عطف المنى الواجد
وبه أصحب ما كان برى * حامل الأنف الابي الشارد
انما الفخر لمولانا أبي * زكرياء بن عبد الواحد
ملك لولا حلاه العلى لم * يجر بالحمد لسان الحامد
ولو ان العذب أبدى رغبة * عنه لم يثنه غليل الوارد
فضله مثل سنى الشمس وهل * لسنى الشمس يرى من جاحد
دهر البغي بجد صادع * ما تعداه وجد صاعد
انما آل أبي حفص هدى * للورى من غائب أو شاهد
نعدوا فوق النجوم الزهر عن * همم تنهض عزم القاعد
وعن الاسلام ذادوا عندما * فل طول العهد غرب الذائد
أي فخر عمري المنتمى * ورثوه ماجدا عن ماجد
ما الفتوح الغر الا هم * بين ماض بادئ أو عائد
زنجيا لاحق من سابق * وعلى المولود سيما الوالد
ولنبي راجح الحلم الذي * ترك الطود بعطف مائد
عقد أحسابهم تم به * مثل ما تم حساب العاقد
أيها الحامد ما قد أحرزوا * جمع من همته في الرائد
هذه الامة قد أوسعتها * نظرا يكلأ ليل الراقد
لم تزل منك بخير طارف * ربشه نال تدامي تالد
ولهم منك ليوم حاضر * وغد رأي البصير الناقد
أرشد الله لا ولي نظر * بالورى رأي الامام الراشد
وتولاه بتوفيق الالى * سعدوا من عاقد أو عاهد
واه في الله أوفى كافل * بالذي يغني رأيك في عاضد

نصر الله تعالى مولانا وأيده وشد ملكه وشيده وأبقى للفضل أيامه وللفصل أحكامه وأظفر بأعناق الاشقياء حسامه ووفر من اسناء النعم والاء الاعطاء حظوظه وأقسامه والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الامة آمنا ووهج الفتنة ساكنا وأبواب الصلة والمعروف لا تعرف الاوصاد لا أو آذنا وتلاقي فل الاسلام منه بقية آية التي منها يتدارون الذكر وبها يوعدون الفتح الاعز والنصر الاغر فهم بين جد تقتبضونها وعدة رضوها وارتقاب للفتح أكبر همهم منه درك الثار وانتصاف لاهل الجنة من أهل النار فأما

الاوطان فقد اسلتهم عنها جهة تنبت العز فيما تنبته وتنفى من الضيم ما تلك تشتته وما ذكر الساخط على المحل الساقط منازل عادت على مبانيها اطلالا ومعانيها أمحالا وللعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم أدامه الله تعالى ما أعين الآمال اليه صور ورجاء الجميع عليه مقصور انتهى * والغاية فى هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة كتاب بعض ذوى الالباب ونص محل الحاجة منه تخص الجهة البعيدة الصيت والاسم الشهيرة العمل والعلم درة تاجنا وضوء سراجنا ونكتة حديثنا أبقاها الله تعالى فى أعيننا منارا ولاندلسنا فخارا على انه وان بقيت المفاخر فقد أودى الفاخر وان أضاء الطالع فقد درجت المطالع وغلب عليها عداة زووا عنها وجوهنا وأروا فيها مكروهنا حتى انى أتبدت بشعر فيه استسقاء للديار على عادة الاشعار فقلت

زدنا على النائين عن اوطانهم * وان اشتركنا فى الصبابة والجوى
انا وجدناهم قد استسقوا لها * من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك فى أوطاننا * مع حبها الشرك الذى فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا * لعدونا أفيستقيم لها الهوى

انتهى (قلت) وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الابيات فى معناها العالية فى مبناها فان فيها الاشارة الى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيه اختيار مع ادماج حبه لها الذى لا يشك فيه ولا يرتاب واشتمالها على المحاسن التى هى بغية الرائد ونجعة المنتاب ولكل أجل كتاب واذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب (ومما يستولى على الخواطر ويروى رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر قوله رحمه الله تعالى يخاطب أبا الحسن الرعينى سنة ٦٣٤)

ياصاحبى والدهر لولا كرة * منه على حفظ الذمام ذميم
أمنازعى أنت الحديث فانه * ما فيه لا لغو ولا تأثيم
ومروض مرعى مناى فندته * من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتبارى بالزمان وانما * داء الزمان كما علمت قديم
مجفو حظ لا ينادى ثم لا * ينفك عنه الحذف والترخيم
وأرى امالته تدوم وقصره * فعلام يلغى المد والتفخيم
وعلام أدعو والجواب كأنما * فيه بنص قد أتى التحريم
لم ألق الا مقعدا غير الاسى * والذى منه مقعد ومقيم
وشرابى الهم المعتق خالصا * فتى يساعدنى عليه نديم
غارات أيام على جوارح * فعديها فى طبعه التحكيم
ولواعج يحتاج صالى حرها * امرا به قد خص ابراهيم
ولقد أقول لصاحب هو بالذى * أدركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الاله وان قست * يوما قلوب الخلق فهو رحيم

ويهزنى ويستفزنى ما كتبه رحمه الله تعالى من رسالة * كتبته الى سيدى وهو السيد

وعبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها وهى دابة يجر منها على الارض شبر من قوائمها تعادى قرن الشمس من مبدا طلوعها الى حال غروبها فعبر على ما وصفنا من تعلقه بشعرها البحر ودار بدورانها طالبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذى رآه فى ذهابه ووصف له كيف يفعل فى وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبر ابليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ومنها ما روى أن قبة من الذهب وأنواع الجوهر فى وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من الياقوت الاحمر ينحدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشده فيقسم الى جهات أربع فى ذلك البحر الاخضر غير مخالط له ولا مماس به ثم ينتهى الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر أحدها النيل والثانى سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه فى أقصى بحر الصين فيغور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه ويطلب قعره فيكون الجزر ومثلوا ذلك باناء فيه ماء فى مقدار

حقيقة وأحي وقد كتب الدهر بذلك وثيقة أبقى الله تعالى جلاله محروسا وربع وفائه لا يخشى دروسا من رباط الفتح وأنا بحقه عليم وعلى عهده مقيم وشأني توقيره وتعظيم وحب فيه خالص كريم ووصلني خطابه الخطير المبرور فكنت به كالصائم رأى الهلال والهائم عاين ماء الزلال علق ليس يوازيه علق وسحر لكنه حلال طلق ونظم لذكر الثاني طاو وصنعة لم يرها ولم يروها راء ولا راو رمت ابن الرومي بالخمول وبشرت اسم بشار من الفعول وحكمت باب النمري في غرة الهوان مدرج والسري عن سراوة الاحسان مخرج فاما النثر فهيل لا يجاوبه الرغاء وطراز لا يحسنه البلغاء ونقد تزيف معه النقود ومدى تنقطع دونه الضمر القود غادر الصابي وصباه غير ذات هبوب والصاحب وهو من الحزم عشره محجوب والميكالي وميكاله مرفوض والحريري وحريره في سوق الكساد معروض فأما بحر رئيس أرجان فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأبقاه في ضحضاح بل تركه يمشي باذرح ضاح فمن ذا يجاري فارس الصفين وامام الصنفين أبلغ من خط بقلم وأشهر من نار على علم وماذا يقال في أنامل تطرز بها الصحف وشمائل تفخر بها الروضة الانف واسم في شرق البلاد وغربها ظاهر ووسم بالكتابة والنجابة لم يكن لبني وهب وآل طاهر فالزمان يأثر ما ينثر ويعظم ما ينظم ولو أن الازمنة قبله غمرت المحاضر بكل ناجم ونشرت المقابر عن الصنوبري وكشاجم وجاءت بالكتاب من كل جيل والشعراء رعيلا بعد رعيل لطال هذا العصر بواحده آلافها وأنسى بخلفه أسلافها انتهى * وكتب رحمه الله تعالى الى صاحبين له في معنى ما ألمعنا به آنفا ما صورته

تحية منكما أتتني * طابت كما طاب مرسلاها
وبالها اذكرت عهودا * قلبي والله ما سلاها
حللتما في البلاد أرضا * ريح صباها عني سلاها
لم يصب قلبي الى سواها * يوما ولم يسل في سلاها

كتابي أيها الاخوان اللذان بودهما أقول وعن عهدهما لا أحول أنزلكما الله تعالى خير منزل وجعلكما من النوائب والشوائب بمعزل من رباط الفتح ولي قديما ملكتما رقه وقلبي تعلما وتعليما عرفتما صدقه كيف حالكما من سفر طويتماه بره حين تخشيتما غرره وكيف سمحت نفوسكما بأم الحصون وذات الظلال والعيون تربة الآباء ومنزلة الحبيبين النجباء حتى صرمتما حبلها وهجرتما حزنها وسهلها وخضتما غبرا الفجاج وخضر الامواج وماذاك الا لتغلب الحادث النكر وتألب المعشر الغدر ومن أجل الداهية النكاد والحادثة الشنيعة على البلاد أزعجتكم حين أزعجتنا وأخرجتكم كما أخرجتنا وطوحت بنا طوائحها واجتاحت ثمرنا وشجرنا جوائحها فشكر الله تعالى على قضائه ونصر عافما نرفعه من دعائه وهنيئا لنا ولكم معشر الشرداء المنطوين من الشجن على شرداء ذلك الطود الذي اليه أوينا وفي ظله ثوينا وعن رأيه تروينا وبسعيه تسعينا فوجهه المبارك لا يعدم رأيه نجحا ولا بعد ولصبحه اذا داجى ليل الهم صبحا انتهى
وكان أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء وعمدة العلماء

النصف منه فيضع الانسان يده أو رجله فيملأ الماء الاناء فاذا رفعها رجع الماء الى حقه وانتهى الى غايته ومنهم من رأى أن الملك يضع ابهامه من كفه اليمنى في البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وماذكرناه غير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل في حيز الممكن والجائز لان طريقه في النقل طريق الافراد والآحاد ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالاخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر في النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها والانقياد الى ما أوجب الله عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان لم يصح ماذكرنا فقد وصفنا آنفا ما قال الناس في ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب انا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ولم يعزب عنا فهم ما قاله الناس في سائر ما ذكرناه وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعند أكثر الناس انها أربعة في المعمور من الارض ومنهم من يعدها خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشي ثم الرومي ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزري ثم أوقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل وصدر

وصدر الجلة الفضلاء وهو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى ونكتة البلاغة التى قد أحرزها وأودعها وشمسها التى أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها مبدع البدائع التى لم يحظ بها قبله انسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة وروية بدر العلم فصيحة ذللت له صعب الكلام وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو الذى أوتى جوامع الكلم فى يديه الاقلام وأصل سلفه من جزيرة شقر وولد بمدينة بلنسية وروى عن أبى الخطاب بن واجب وأبى الربيع بن سالم وابن نوح والشلوبين النحوى وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحفاظ وأجازه من أهل المشرق جماعة وكان شديد العناية بشان الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله ثم تفنن فى العلوم ونظر فى المعقولات وأصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعة عد فيها من مجيدى النظم فأما الكتابة فهو فارسها الذى لا يجارى وصاحب عنانها الذى لا يبارى وله وعظ على طريقة ابن الجوزى ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين والحفصيين وله تآليف فى كائنة ميورقة وتغلب الروم عليها نحا فى الخبر عنها منحى الامام الاصبهانى فى الفتح القدسى وله كتاب تعقب فيه على الفخر الرازى فى كتاب المعالم وله كتاب رد به على كمال الدين الانصارى فى كتابه المسمى بالتبيان فى علم البيان المطلع على اعجاز القرآن وسماه بالتنبيهات على ما فى البيان من التمويهات وله اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك * وورد رحمه الله حضرة الامامة مراكش صحبة أمير المؤمنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وقلده قضاء هيلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد سبتة وأخذ ماله فى قافلة بنى مرين ثم توجه الى بلاد افريقية ووصف حاله فى رسالة خاطب بها ابن السلطان أبا زكريا الحفصى وهو أبو زكريا ابن السلطان أبى زكريا وكان صاحب بجاية لابيه ولم يزل رحمه الله تعالى مذ فارق الاندلس متطلعا لسكنى افريقية معمور القلب بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير برهة من الزمان ثم استقضى بالاريس من افريقية ثم بقابس مدة طويلة ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصى وأحضره مجالس أنسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على أكثر أمره ومولده بجزائر شقر فى شهر رمضان المعظم سنة ٥٨٠ وتوفى ليلة الجمعة الموفية عشرين من ذى الحجة سنة ٦٥٨ ألحفه الله رضوانه وجدد عليه غفرانه * قال ابن الابار فى تحفة القادم فى حق أبى المطرف المذكور فائدة هذه المائة والواحد يفى بالفئة الذى اعترف باتحاده الجميع واتصف بالابداع فما ذا يتصف به البديع ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم لماله من حق التعليم كيف وسبقه الاشهر ونطقه الياقوت والجوهر تحلت به الصحائف والمهارق وما تخلت عنه المغارب والمشارق فحسبى أن أجهد فى أوصافه ثم أشهد بعدم انصافه هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره وتناوب المنثور والمنظوم على شكره ثم أورد له جملة منها قوله

وأجلت فكرى فى وشاحك فانثنى * شوقا اليك يجول فى جوال

بحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذى يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ماذكرنا والرومى بدؤه من بحر اوقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس أن يكون ما وصفنا بحرا واحد الاتصال مياهها وليست هذه المياه ولا شئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر فى بعض المواضع بينهما أو صار بين الماءين كالخليج وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ينبغى أن تجمعهما فى اسم مانطش أو نيطش فاذا عبرنا بعد هذا الموضع فى مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش أو نيطاش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودى) وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزرى يتصل ببحر مانطش ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر ومن اتصل اليها ببحر من هذه البحار أو بشئ من مائها ومن خلجانها الا من نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا الجبل القبق ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس فى المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون فى كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدرى

وسمت اليه نواظرهم واشترك فيه باديهم وحاضرهم بجناب أملهم فسيح ومتجر خدمتهم ربيح وحديث طاعتهم حسن صحيح وبسنى الثغر العلى اهتداؤهم وفى الباب الكريم رجاؤهم وبصدق العبودية اعتزازهم واليها اعتزاؤهم والله تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية ويحملهم على المناهج السويه ووصل الكتاب الكريم متدليا برواء الحق ناطقا بلسان الصدق واصفا من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق فلا بيان أعجب من ذلك البيان ولا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان أو تادى خبره فى أخبار الزمان نشرت فيه الخلع العباسية فى اعلى الصور وبرز منها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه فى ذيل الحصر ويهدى سواده سواد القلب والبصر فيالمشهده اما أعجب ما كان ومرآها الذى راع الكفر وراق الايمان وأشبه يومه بالاندلس يوم خرجت الرايات السود من خراسان وكفى بهذا الفخار الايحتاج ثابته مثبتا أن باشرت بردا باشر البدن الذى طاب حيا وميتا فهو علو فى الاسناد ولا نظير له فى العوالى وفخار ضلت عن مثله العصور الخوالى وجلت بهجته أن تخلق جدتها الايام والليالى ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل فى جنس ذوات الاغماد وخير الاوصاف ما صدقه الموصوف والكريم النسب نسبته يباهى بها الدين وتزهى السيوف

فان نحن سميناك خلنا سيوفنا * من التيه فى أغمادها تتبسم

ومما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه نص علامة سيدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه فانها تضمنت صفة لله عز وجل من صفات الكمال ودلت على مذهب أهل السنة فى خلق الله عز وجل الاعمال وأشعرتنا معشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدى المتوكلى أحسن الله تعالى اليه حين تولى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه فانه لما شايعه بعزيمة ساعدة ونية فى مشارع الصفاء والاخلاص واردة ألهم زيادة فى العلامة شاركت الامامة فى صفة واحدة فهذه كرامة فى العلامة هى علامة الكرامة وهبة من مواهب الكشف يجدها من امتثل قوله فاستقم كما أمرت فكان من أهل الاستقامة وتضمن الكتاب الكريم بيعة اهل جيان ومامعها وان هذه البشائر وما تبعها لفروع عن هذا الاصل الصحيح وأقيسة من هذا النص الصريح بادلة الخلاف قد استقلت وشبهة الخلاف قد بطلت واضمحلت والحمد لله على أن منح جزيل النعماء وشرح باليقين صدور الاولياء وشرف هذه الامة بامامة نجل الائمة الخلفاء وابن عم سيد الرسل وخاتم الانبياء والعبيد يهنؤن بهذه النعم التى لا يستقل بذكرها قلم ولا يقطع علم من وصفها الابداع علم وبهم من الاشواق الى مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمين الطاهرة العلية ما اكده نوى الدار وجدده ما تجدد للمقام العالى المتوكلى من نعم الله تعالى الجليلة المقدار والشاهدة له باسعاد الايام واسعاف الاقدار فلو أمكنهم الاقدام لا قدموا ولو وجدوا رخصة فى المسير لعزموا وهم يستلمون البساط الاشرف توهما ومن أملهم انهم فى الحقيقة قد استلموا انتهى وبه تعلم ان الدولة العباسية خطب لها ببلاد الاندلس أعادها الله للاسلام ولا يخفاك أن ما جلبناه من ذلك وغيره مناسب للمقام فلا انتقاد ولا ملام (وقد رأيت) أن اذكر هنا مخاطبة صدرت من الغنى بالله

صاحب

ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتغتذى به وقال بعضهم بل يعود بالاستحالة ماء اذا صار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه ويكثفه ومنهم من ذكر ان الماء الذى هو اسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما يناله من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن اهل البحث من قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض وبطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مضاض من مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة والاذان فى الماء من اجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن اجزاء النيران المختلطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخرهما فاذا رفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دابها وعادتها ثم يعود ذلك الماء ما كان الان الارض اذن كانت تعطيه الملوحة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع اللطيف فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الاندية سيولا وتطلب الحدور والفرار وتجرى فى اعماق الارض حتى تصير الى ذلك الهور فليس يضيع من ذلك الماء شىء ولا يبطل منه شىء والاعيان قائمة كمجنون غرف من نهر وصب الى

صاحب الاندلس الى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من أحوال الاندلس ونصها الابواب التى تفتح لنصرها أبواب السماء وتستدر من آفاقها سحاب النعماء وتجلى بانوار سعدها دياجى الظلماء وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتماء على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الاسماء ويجتزأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالايماء وتحمل لها التحية ذوات الدسر والالواح طاعنة نحر الصباح على كتد الماء أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الطاهر الظاهر الاوحد الاسعد الاصعد الامجد الاعلى العادل العالم الفاضل الكامل سلطان الاسلام والمسلمين عماد الدنيا والدين رافع ظلال العدل على العالمين جمال الاسلام علم الاعلام فخر الليالى والايام ملك البرين والبحرين امام الحرمين مؤمن الامصار والاقطار عاصب تاج الفخار هازم الفرنج والترك والتتار الملك المنصور ابن الامير الرفيع الجادة الكريم الولادة الطاهر الظاهر الكبير الشهير المعظم الممجد الاسمى الموقر الاعلى فخر الجلة سيف الملة تاج الامارة عز الاسلام مستظل الانام قمر الميدان أسد الحرب العوان المقدس المطهر الامير احمد ابن والد السلاطين ومالك المسلمين وسيف خلافة الله على العالمين وولى المؤمنين سلطان الجهاد والحج ومقيم رسم العج والثج محيى معالم الدين قامع المعتدين قاهر الخوارج والمتمردين ناصر السنة محيى الملة ملك البرين والبحرين سلطان الحرمين الملك العادل العالم العامل المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم المجل المؤمل المجاهد المرابط المغازى الممجد المكمل المطهر الكبير الشهير المقدس الملك الناصر أبى عبد الله محمد بن قلاوون الصالحى جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح وحركات عزمه مبنية على الفتح ومجمل سعادته غنيا عن الشرح وجياد أوصافه متبارية فى ميدان المدح وزناد رأيه وارية على القدح من موجب حقه وجوب الشعائر الخمس المرحب لاجل أفقه الشرقية بوفادة الشمس المجدد فى اليوم حكم ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالامس أمير المسلمين بالاندلس عبد الله الغنى بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم كما رفعت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح يفاوح أرجه زهر الادواح ويحاسن طرر الوجوه الملاح يخص أبوتكم التى رتب العز فصولها وعضدت نصوص النصر نصولها ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى جعله فاتحة القرآن وخاتمة دعاء أهل الجنان وشكره على ما أولى من مواهب الاحسان حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان ملكتى القلب واللسان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الاكوان وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان الذى أذل بعزة الله نفوس أهل الطغيان وغطى بدينه الحق على الاديان وزويت له الارض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوى له فكان الخبر وفق العيان والرضا عمن له من الاصحاب والاحباب والاعمام والاخوال والاخوان صلاة يجددها الجديدان ويمليها الملوان وتتزاحم على تربته المقدسة مع الاحيان ما سجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الافنان والتفتت

حفرة تفيض الى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة فى غذائها فاجتذبت منه ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ما ثقل منه وهو المالح والمر فمن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة الى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصارت الفضول مرا زائدا على ما يوجد من العرق والبول لوجود ما كل محترق مر هذا قول جماعة ممن تقدم وأما ما يوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا صعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولا سيما ان صعدت مرتين واسخنت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق فى هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك أن الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وانه اذا أخذ شئ من الشمع فعمل منه اناء ثم سد رأسه وصير فى ماء مالح وجد ذلك الماء الذى وصل الى الاناء عذبا فى الطعم خفيفا فى الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكل ما يجرى فهو نهر

عيون المعاني ما بين أجفان البيان والدعاء لابوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستئذان وضرب بدعوتها التي هي لذة الاقامة والاذان على الآذان واستخدم بروج الفلك الدوّار في أمرها العزيز استخدام الانصار والاعوان حتى يعلم ما في المدافعة عن حماها مخالب السرحان وفي الاشادة بعدلها كفتي الميزان ويهدي لها من الزهرة كرة الميدان ومن الهلال عوض الصولجان وأبقى في عوامله ضمير الامر والشان الى يوم تعنو وجوه الملوك الى الملك الديان فانا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله لعتبتها النصرة الداخلة كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة وجعل مفارق مناصلها المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة وقرن بكل سبب من اضدادها فاصلة من دار ملك الاسلام بالاندلس حمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها وشد بأيدي اليقين عرا أملها في الله ورجائها حيث المصاف المعقود وغبن النفوس المنقود ونار الحرب ذات الوقود حيث الافق تتردى بالقتام وتعمم والسيف قد تجرد وتيمم وغبار الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنم حيث الاسلام من عدوّه كالشامة من جلد البعير والتمرة من أوسق العير حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها والابطال يملون بالتكبير مسمع ندائها حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدمائها وان هذا القطر الذي مهدت لسياسته أكوار مطاياه وجعلت بيد ناوالمنة لله عياب عطاياه قطر مستقل بنفسه مرب يومه في البر على امسه زكي المنابت عذب المشارب متمم المآرب مكمل المآرب فاره الحيوان معتدل السحن والالوان وسيطة في الاقاليم السبعة شاهدة لله باحكام الصنعة أما خيله ففارهة والى الركض شارهة وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة وأما أسله فمتداركة الخطف وأما عوامله فبينة الحذف وأما نباله فمحذورة القذف الا أن الاسلام به في سفط مع الحيات وذريعة للمنيات الوحيات وهدف للنبال واكلة للشبال تنوءهم الغارات المتعاقبة وتخيفهم الحدود المصاقبة وتجوس خلالهم العيون المراقبة وتريب من أشكال مختطهم الا أن يتفضل الله بحسن العاقبة فليس الا الصبر والضرب الهبر والهمز والنبر والمقابلة والجبر وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملتهم وأساة علتهم يقومون بهذا الفرض عن أهل الارض ويقرضون ملك يوم العرض أحسن القرض فلولا بعد المدى وغول الردى ولغط العدا وماعدا مما بدا لسمعتم تكبير الحملات وزئير تلك الفلات ودوي الحوافر وصليل السيوف من فوق المغافر وصراخ الثكالى وارتفاع الادعية الى الله تعالى ولو ارتفع هذا المكان وهو للاولياء مثلكم من حيز الامكان لقلتم مقل الاسنة الزرق حالة من أطراف قصب الرماح محال الورق وأبصرتم القنا الخطار قد عاد أخلة والسيوف قد صارت فوق بدور الخود أهلة وعقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة وكان كما تحصره علومكم الشريفة حدق سور الفتح وآخر ولاء ذلك المنح عرض على الفاروق فاحتاط وأغرى به من بعده فاشتاط وسرحت خيل ابن أبي سرح في خبر يدعو الى شرح حتى اذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت وقضوا ما انبحت ورثة الحق وشوت ويدهم على الامر احتوت وفازت منه بما نوت

نفل

وحيث ينبع فهو عين وحيث يكون معظم الماء فهو بحر (قال المسعودي) وقد تكلم الناس في المياه واشباههما واكثروا وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان في الفن الثاني من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة في لوحة ماتها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولاية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الامور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة وان ذلك لا غاية له وفي مواضع منه شاهدت ارباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة وهم النواتي وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوي المكنى بأبي الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

نقل ولأنده الوليد وجلب له الطريف والتليد وطرقت خيل طارق وضاقت عن اخباره المهارق وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التي منها المائدة ثم استرسل المهب ونصر الرب ويكثر الطيرحين بنثر الحب وصرفت أشراف الشام أعنتها الى التماس خيره وطارت بأجنحة العزائم تيمنا بطيره وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره ففتحت الاقفال ونفلت الانفال ونجح الفال ووسمت الاغفال وافتتحت البلاد الشهيرة وانتقيت العذارى الخيرة واقتنيت الذخيرة وتجاوز الاسلام الدروب وتخطى وخضد الارطى وأركب وأمطى واستوثق واستوطا وتثاءب وتمطى حتى تعددت مراحل البريد وسخنت عين الشيطان المريد واستوسق للاسلام ملك ضخم السرادق مرهوب البوارق رفيع العمد بعيد الامد تشهد بذلك الآثار والاخبار والوقائع الكبار والاوداق والامطار وهل يخفى النهار ولكل هبوب ركود والدهر حسود لمن يسود فراجعت الفرنج كرتها واستدركت معرتها فدوخت جوارحها وحلقت وأومضت بوارقها وتألقت وتشبثت وتعلقت وأرسلت الاعنة وأطلقت وراجعت العقائل التي طلقت حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية ولا من الليل الا الناشية وسقطت الغاشية وأخذت الفئة المتلاشية وتقلصت الظلال الفاشية الا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا ابتغوا في مستنقع الحرب أقدامهم وأخلصوا لله بأسهم واقدامهم ووصلوا سيوفهم البارقة بخطاهم وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تعين الدين وتحيز واشتد بالمدافعة وتميز وعادت الحروب سجالا وعلم الروم أن لله رجالا وقد أوفد جدنا رضي الله عنه على ابواب سلفكم من وقائعه في العدو كل مبشرة ووجوديه منتشرة ضحكت لها ثغور الثغور وسرت بها في الاعطاف حميا السرور وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور وتمائم في دور النحور وخفرا في وجوه البدور فان ذمام الاسلام موصول وفروعه تجمعها في الله أصول وما أقرب الحزن ممن داره صول والملة والمنة لله واحدة والنفوس لامنكرة للحق ولا جاحدة والاقدار معروفة والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة فاذا لم يكن الاستدعاء أمكن الدعاء والخواطر فعالة والكل على الله عالة والدين غريب والغريب يحن الى أهله والمرء كثير بأخيه على بعد محله انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الثالث)

في سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامي العماد والقهر للعدو في الرواح والغدو والتحرك والهدو والارتياح البالغ غاية الآماد واعمال أهلها للجهاد بالجد والاجتهاد في الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المسلة من الاغماد

(اقول) قد قدمنا في الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجيء الداخل فتقررت القواعد السلطانية وعلت الكلمة الايمانية كما نسرده هنا ان شاء الله تعالى (وذكر غير واحد) منهم ابن حزم ان دولة بني أمية بالاندلس كانت أنبل دول الاسلام وانكاها في العدو وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه كما

انظر منه في البحر الرومي ولا آنس منه وليس في بركته من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو منقاد الى قوله ويقرأه بالنصر والحذق مع ماهو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من أخبارها وآفاتها وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم في علامات المياه ومستقرها من الارض الى انه يرى في المواضع التي فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن اراد الحفر وان ماعدا ذلك فعلى البعد ووجدت في كتاب الفلاحة ان من اراد أن يعلم قرب الماء وبعده فليحفر في الارض ثلاثة أذرع او أربعة ثم يأخذ قدرا من نحاس أو سحابية خذف فيدهنها بشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف بذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها في أسفل ذلك القدر الذي قد دهنته بدهن او بشحم ثم القها في أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقا والموم يمسكه ويصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب

ستري به ضه (واصل هذه الدولة) كما قال ابن خلدون وغير واحد أن بني أمية لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنوا العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن علي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة وتتبع بني مروان بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحينون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يأثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه بذلك فخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بمغيلة وقيل بمكناسة وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له في الاندلس دعوة ونشروا له ذكرا ووافق قدومه ما كان من الاحن بين اليمنية والمضرية فاصفقت اليمنية على أمره لكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصميل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر فاجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة ابي جعفر المنصور ونزل بساحل المنكب وأتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم الى شذونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى مورور فبايعه ابن الصباح ونهض الى قرطبة فاجتمعت اليه اليمنية ونمي خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازيا بجليقية فانفض عسكره ورجع الى قرطبة وأشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطف له والمكر به لكونه صغير السن حديث عهد بنعمة فلم يتم ما أراده وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جندها ثم برندة ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافت اليه جنود الامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف حينئذ عبد الرحمن الداخل وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ولجأ الى غرناطة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة ثم أقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة احدى واربعين ومائة ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين ألفا من البربر وقدم الامير عبد الرحمن للقائه عبد الملك بن عمر المرواني وكان وفد عليه من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يؤم الاندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة اربعين فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجز الفريقان فكانت الدائرة على يوسف وأبعد المفر واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة وثبت قدمه في الملك وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثلها

الملك

قدر ذراعين او ذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع الاناء فان رأيت الماء ملتزقا بالاناء من داخل قطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر متفرقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء في الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة ماء فانه ليس في ذلك الموضع ماء فلا تتعن في حفره ووجدت في بعض النسخ من كتب الفلاحة هذا المعنى ان من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشي فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشي لا يكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثاني ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان واغا نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من أخبار البحار وغيرها فلنقل في أخبار

الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز وجدد ماطمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها واستلحم الثوار عليه على كثرتهم في النواحي وقطع دعوة آل العباس من منابر الاندلس وسد المذاهب منهم دونها وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما رأى انه فعل بالاندلس ما فعل وما ركب اليها من الاخطار وانه نهد اليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب أهلها على أمرهم وتناول الملك من ايديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم حتى انقاد له الامر وجرى على اختياره وأورثه عقبه * وكان يسمى بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بامير المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن بني أمية بالاندلس فتسمى بأمير المؤمنين على ما سنذكره لما رأى من ضعف خلفاء بني العباس بعد الثلثمائة وغلبة الاعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقيب بأمير المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحدا بعد واحد (قال ابن حيان) وكان لبني عبد الرحمن الداخل بالعدوة الاندلسية ملك ضخم ودولة متسعة اتصلت الى ما بعد المائة الرابعة وعندما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوي أمر الجلالقة واستفحل سلطانهم وعمد فرويلة بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فاخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم فملك مدينة لك وبرتقال وسمورة وقشتالة وشقوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن ابي عامر آخر الدولة ثم استعادوها بعده فيما استعادوا من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها حسبما يذكر والله سبحانه الامر اهـ وخاطب عبد الرحمن فارله ملك الافرنج وكان من طغاة الافرنج بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكسر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة قال ابن حيان ولما ألفى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك عاطلا أرهف أهلها بالطاعة السلطانية وحنكهم بالسيرة الملوكية وآخذهم بالآداب فاكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة وبدا فدوّن الدواوين ورفع الأواوين وفرض الاعطية وعقد الالوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فاقام للملك آلته وأخذ للسلطان عدّته فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث أن دانت له بلاد الاندلس واستقل له الامر فيها فلذلك ماظل عدوه ابو جعفر المنصور بصدق حده وبعد غوره وسعة اطاقته يسترجح عبد الرحمن كثيرا ويعدله بنفسه ويكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة اسبابه فالشان في أمر فتى قريش الاحوذي الفذ في جميع شؤنه وعدمه لاهله ونشبه وتسليه عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتناء مجده فاقتحم جزيرة شاسعة المحل نائية المطمع عصبية الجند ضرب بين جندها بخصوصيته وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته قاهرا لاعدائه حاميا لذماره مانعا لحوزته خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه ان ذلك لهو الفتى كل الفتى

ملوك الصين وغيرها وأهلها وغير ذلك مما لحق به ان شاء الله تعالى

* (ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عابور وأخبار الصين وغير ذلك مما لحق بهذا الباب) *

قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابور بن ارفخشذ بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح ساروا سيرة في الشرق فسار قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجبل والطيلسان والتتر وفرغان فأهل جبل الفتح أنواع اللكزيم واللان والخزر والابخاز والسرير وكشك وسائر تلك الامم المنتشرة في ذلك الصقع والارمن الى بلاد طرابزندة الى بحر مانطس ونيطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد عابور نهر بلخ ويمم بلاد الصين الاكثر منهم وتفرقوا عدة ممالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار فمنهم الجيل وهم سكان جيلان والاشروسية والصغد وهم بين بخارى وسمرقند ثم الفراغنة والشاش واسبيجار وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي فمنهم الترك الخرلخ والطغزغز ومنهم أصحاب مدينة كوسان وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين

لا يكذب مادحه وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة عبد الرحمن هذا لابي جعفر المنصور في الرجولية والاستيلاء والصرامة والاجتراء على الكبائر والقساوة فان أم كل واحد منهما بربرية وكان الداخل يقعد للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل اليه من أراده من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون مشقة وكان من عادته ان يأكل معه من اصحابه من أدرك وقت طعامه ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه * (وفي كتاب ابن زيدون) انه كان أصهب خفيف العارضين بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان أعور أخشم والاخشم الذي لا يشم وكان يلقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر والبحر وأقام ملكا قد أدبر وحده ولما ذكر الحجاري انه أعور قال ما أنشد فيه الا قول امرئ القيس

لكن عوير وفي بذمته * لا عور شانه ولا قصر

(وقال ابن خلدون) وفي سنة ست وأربعين سار العلاء بن مغيث اليحصبي من افريقية الى الاندلس ونزل بباجة الاندلس داعيا لابي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد الرحمن اليه ولقيه بنواحي اشبيلية فقاتله أياما ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برؤس كثير منهم الى القيروان ومكة فألقيت في أسواقها سرا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ماهذا الا شيطان والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر أو كلاما هذا معناه وقد مرّ ذكر ذلك وكثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ولقي منهم خطوبا عظيمة وكانت العاقبة له واستراب في آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنس ومن وراءهم ورجع بالظفر وكان في نيته ان يجدد دولة بني مروان بالمشرق فحال دون ذلك الامل وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر اذ دخل الاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ومات سنة اثنتين وسبعين وقيل احدى وسبعين ومائة في خلافة الرشيد وأمه أم ولد بربرية اسمها راح ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعليا من تدمير ومات ابوه في ايام ابيه هشام سنة ثمان عشرة عن احدى وعشرين سنة وكفله واخوته جدهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميع الاخماس التي اجتمعت للخلفاء بالاندلس وأقطعه اياها ووجه لحيازتها من الشام سعيد بن أبي ليلى وقيل انه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه أربعة بدر مولى أبيه وأبو شجاع وزياد وعمرو وقيل ان بدرا الحقه ولم يخرج معه فالله أعلم وخلف من الولد عشرين منهم احد عشر رجلا وتسع اناث * (وحكى غير واحد) انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدا الاندلس نزل بمغيلة فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى أبا قرة فاستتر عنده وقتا ولحق به بدر مولى أبيه بجوهر وذهب أنفذته أخته اليه فلما دخل الاندلس واستتب أمره به سار اليه أبو قرة وانسوس البربري فأحسن اليه وحظي عنده وأكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلت بظله في الاندلس لقد عذبتني بريح ابطيك

وليس في أجناس الترك وأنواعهم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أشد منهم بأسا ولا أكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ازجان ومذهبهم مذهب المانية وليس في الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيمالية والبرسخانية واليدية والحقوبية واشدهم بأسا الحقوبية وأحسنهم صورة وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الخولجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش وما يلي ذلك الصقع وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسياب) التركي الغالب على بلاد فارس ومنهم (سانة) والخاقان الترك في وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمات وهي في مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بالوان الهند ولهم حضر وبواد وسكن فريق منهم ببلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ما قدمنا بينا وسمي اهل التبت ملكهم بخاقان

يا تكفات على ما كان بى من الخوف وسطعتني بأنتن من ريح الجيف فكان جوابها له مسرعة
بل ذلك كان والله يا سيدى منك خرج ولم تشعر به من فرط فزعك فاستظرف جوابها
وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذا من آفات المزاح * ومن محاسنه انه أدار السور
بقرطبة رحمه الله (وتولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه اليه) وأمه أم ولد اسمها حلل وأفضى
اليه الملك وهو بماردة وال عليها وكان أبوه يوليه فى صباه ويرشحه للامر وكان الداخل كثيرا
ما يسأل عن ابنيه سليمان وهشام فيذكر له ان هشاما اذا حضر مجلسا امتلأ أدبا وتاريخا
وذكر الامور الحرب ومواقف الابطال وما أشبه ذلك واذا حضر سليمان مجلسا امتلأ سخفا
وهذيانا فيكبر هشام فى عينه بمقدار ما يصغر سليمان وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا مع بر ذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال له يا سيدى لامرئ القيس ملك كندة وكأنه قاله فى الامير أعزه الله فضمه اليه استحسانا
بما سمع منه وأمر له باحسان كثير وزاد فى عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر
وأنشده البيتين فقال لعلهما لاحد أجلاف العرب أما لى شغل غير حفظ أقوال بعض الاعراب
فاطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية * ولما ولى هشام أشخص المنجم
المعروف بالضبي من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان فى علم النجوم والمعرفة بالحركات
العلوية بطليموس زمانه حذقا واصابة فلما أتاه خلا به وقال له يا ضبي لست أشك انه قد نالك
من أمرنا اذ بلغك ما لم ندع تحديد النظر فيه فانشدك الله الا ما أنبأتنا بما ظهر لك فيه فلجلج
وقال اعفنى أيها الامير فانى ألممت به ولم أحقق النظر فيه لجلالته فى نفسى فقال له قد أجلتك
لذلك فتفرغ للنظر فيما بقى عليك منه ثم أحضره بعد أيام فقال ان الذى سألتك عنه جدتنى
مع أنى والله ما أثق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذى استأثر به ولكنى أحب أن أسمع
ما عندك فيه فالنفس طلعة وألزمه الصلة أو العقوبة فقال اعلم أيها الامير انه سوف يستقر
ملكك سعيدا جدك قاهرا لمن عاداك الا ان مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية
أعوام أو نحوها فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ضبي ما أخوفني ان يكون النذير كلمني
بلسانك والله لو أن هذه المدة كانت فى سجدة لله تعالى لقلت طاعة له ووصله وخلع عليه وزهد
فى الدنيا ولزم افعال الخير والبر (ومن حكاياته فى الجود) انه كان قاعدا لراحته فى علية على
النهر فى حياة والده فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من اهل جيان قد اقبل يوضع السير
فى الهاجرة فانكر ذلك وقدر شرا وقع به من قبل اخيه سليمان وكان واليا على جيان فامر بادخاله
عليه فقال له مهيم يا كنانى فلأمر ما وما احسبك الامر عجا الشئ دهمك فقال نعم يا سيدى قتل
رجل من قومى رجلا خطأ فحملت الدية على العاقلة فاخذ بها من كنانة عامة وحملنا على من
بينهم خاصة وقصدنى أخوك بالاعتداء اذ عرف مكانى منك فمد هشام يده الى جارية كانت
وراء الستر وقطع قلادة عقد نفيس كان فى نحرها وقال له دونك هذا العقد يا كنانى وشراؤه
على ثلاثة آلاف دينار فلا تخدعن عنه وبعه وأد عن نفسك وعن قومك ولا تمكن الرجل
من اهتضامك فقال يا سيدى لم آتك مستجديا ولا لضيق المال عما حملته ولكنى لما اعتمدت

تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا الى قاه يه من بلاد الصين فتفرقوا فى
تلك البقاع والبلاد وقطنوا الديار وكوروا الكور ومصروا المدن واتخذوا لملكتهم مدينة عظيمة وسموها انموا وبينها وبين ساحل البحر الحبشى وهو بحر الصين مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة وكان أول ملك تملك عليهم فى هذه الديار وهى انموا (اسطرماس) ابن فاعور بن بريح بن عابور بن يافث بن نوح فكان ملكه ثلثمائة سنة ونيفا وفرق أهله فى تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار وأطعم الثمار وهلك فملك ولد له يقال له (عرون) فجعل جسد أبيه فى تمثال من الذهب الاحمر جزعا عليه وتعظيما له وأجلسه على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه وأقبل يسجد لابيه وهو فى جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته فى طرفى النهار اجلالا له وعاش مائتى سنة وخمسين سنة وهلك فملك ولد له يقال له (عبرور) فجعل جسد أبيه عرون فى تمثال من الذهب الاحمر وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بانواع
الجواهر وكان يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وسواهم فى جميع امورهم

ظلم صراح أحببت ان يظهر على عز نصرك وأثر ذبك وامتعاضك فاتمهد بذلك عند من يحسدنى على الانتماء اليك فقال هشام فـاوجه ذلك فقال أن تـكتب الى أخيك فى الامساك عنى والقيام بذمتك لى فقال امسك العقد وركب من حينه الى والده الداخل واستأذن عليه فى وقت أنـكره فانزعج وقال ما اتى بأبى الوليد فى هذا الوقت الا امر مقلق ائذنوا له فلما دخل سلم عليـه ومثل قائمـا بين يديه فقال له اجلس ياهشام فقال اصلح الله الامير سيدى وكيف جلوسى بهـم وذل مزعج وحق لمن قام مقامى أن لا يجلس الا مطمئنا ولن يقعدنى الا طيب نفسى باسعاف الامير لحاجتى والا رجعت على عقبى فقال له حاش لك من انقلابك خائبا فاقعد مجابا مشـفعا فجلس فقال له أبوه فـا الحدث المقلق فأعلمه فأمر بحمل الدية عنه وعن عشـيرته من بيت المـال فسر هشام واطنب فى الشكر وكتب الامير الى ولده سليمان فى ترك التعرض لهذا الكنانى بما لم يدر فى خلده * ولمـا دخل الكنانى لوداع هشام قال له ياسيدى قد تجاوزت بك حـد الامنية وبلغت غاية الذمر وقـد اغنى الله عن العقد المبذول بين يدى العناية الكريمة فتعيده الى صاحبتـه فأبى من ذلك وقال لا سبيل الى رجوعه الينا * وكان هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبـد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور فيسألون الناس عن سير عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف من احدهم اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعد ولمـا وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال نسأل الله تعالى ان يزين موسمنا بمثل هـذا وفى أيامه فتحت أربونة الشـهيرة واشترط على المعاهدين من أهـل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منـه المسجد الذى قدام باب الجنان وفضلت منه فضلة بقيت مكومة وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصـد ألبة والقلاع فلقى العدو وظفر بهـم وفتح الله عليه سنة خمس وسبعين وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن بخية فلقى ملكها ابن منده وهزمه وأثخن فى العدو وفى سنة ست وسـبعين بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العـدو فبلغ ألبـة والقلاع فأثخن فى نواحيها ثم بعثـه فى العساكر سنة سبع وسبعين الى أربونة وجريدة فأثخن فيها ووطئ أرض برطانية وتوغل عبد الملك فى بلاد الكفار وهزمهم ثم بعث العساكر مع عبـد الكريم بن عبـد الواحـد الى ألبة والقلاع سنة ثمان وسبعين ومع أخيـه عبد الملك بن عبـد الواحد الى بلاد جليقية فانتهـى الى استرقه فجمع له ملك الجلالقة واستمد بملك البشـكنس ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجـه واتبعه عبد الملك وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحيـة اخرى فالتقوا بعبد الملك وأثخنوا فى البلاد واعترضتهم جيوش الفرنج فنالوا منهم بعض الشئ ثم خرجوا سالمين ظافرين * ومن محاسنه انه جدد القنطرة التى يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السمح الخولانى عامل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فاحكم هشام بناءها الى الغاية وقال يوما لاحد وزرائه ما يقول أهل قرطبة فقال يقولون ما بناها الامير الا ليمضى عليها الى صيده وقنصه فآلى هشام على نفسه أن لا يسلك عليها فلم يمر عليها بعد ووفى بما حلف عليـه ثم توفى سـنة ثمانين ومائة لسبع سنين

وبده (عيليان) فجعل اباه فى تمثال من الذهب الاحمر وجرى عـلى ماسلف من اوعالهم فى السجود والتعظيم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بنى عمه فعاش اربعمائة سـنة واتخـذ فى ايامـه كثيرا من المهن مما لطف فى الدور من الصنائع وملك بعده ولده (حرامان) فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال وحمل لطائف بلاد الصين وصيرها نحو بلاد السند والهند الى اقليم بابل والى سائر الممالك مما قرب منها أو بعد فى البحر وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة الى الملوك وأمرهم ان يجلبوا اليـه ما فى كل بلد من الظرائف والتحف من المآكل والمشارب والملابس وسائر الفرش وان يعرفوا سـياسة كل ملك وكل أمة وشريعتها ونحلتها التى هى عليه وان يرغبوا النـاس فيما فى بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات فتفرقت المراكب فى البلاد ووردوا الممالك لما أمروا به فلم يردوا على اهل مملكة الا وأعجبوا بهـم واستظرفوا ما أوردوه من ارضهـم فبنت الملوك المطيفة بالبحار المراكب وجهزت نحوهم السـفن وحملوا اليهم ماليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافؤه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت وتسعة

وتسعة أشهر من امارته وقيل لثمان وكان من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد
ومن محاسنه أيضا اكمال بناء الجامع بقرطبة وكان أبوه شرع فيه * ومن محاسنه انه
أخرج المصدق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنة رحمه الله وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر
وولد في شوال سنة ١٣٧ (وولي بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه) فاستكثر من المماليك
وارتبط الخيل واستفحل ملكه وباشر الامور بنفسه وفي خلال فتنة كانت بينه وبين
عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة في بلاد المسلمين وقصد برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين
وتأخرت عساكر المسلمين الى مادونها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن
مغيث الى بلاد الجلالقة فأثخنوا فيها وخالفهم العدو الى المضايق فرجع على التعبية
وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا وكانت له الوقعة الشهيرة مع أهل الربض من
قرطبة لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل
يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك وأحد رواة الموطا عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به
وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا بقصره
فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة
وبالاسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن
طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم الى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها الى
أن ملكها الافرنج من أيديهم بعد مدة * وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار
المخالفين له من أهل طليطلة وغيرهم (وفي سنة ثنتين وتسعين) جمع لذريق بن قارله ملك
الفرنج جموعه وسار الى حصار طرسونة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه
وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا ولما كثر عيث الفرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم
بالخارجين عليه سار بنفسه الى الفرنج سنة ست وتسعين فافتتح الثغور والحصون وخرب
النواحي وأثخن في القتل والسبي والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا * (وفي سنة مائتين) بعث
العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الفرنج فخرب وهدم عدة حصون وأقبل عليه أليط ملك
الجلالقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم أعظم النيل
وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كثرت الامطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين
ظاهرين وهو أول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان أفحل بني أمية بالاندلس وأشدهم
اقداما ونجدة وكان يشبه بأبي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد
الدولة وقمع الاعداء وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوما عنده وقد غضب فيه
على خادم له لايصاله اليه كتابا كره وصوله فأمر بقطع يده فقال له زياد أصلح الله الامير فان
مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى أمنا
وايمانا يوم القيامة فأمر أن يمسك عن الخادم ويعفى عنه فسكن غضبه وقال آلله ان مالكا
حدثك بهذا فقال زياد آلله ان مالكا حدثني بهذا وكانت المجاعة الشديدة سنة سبع وتسعين
ومائة فأكثر فيها مواساة أهل الحاجات وفي ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيري فيه

نسكد الزمان فآمنت أيامه * من أن يكون بعصره عسر

له الامور فكان عمره نحوا من مائتي سنة فهلك فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى
الاكبر من أولاده فصيروه
عليهم ملكا فجعل جسد أبيه
في تمثال من الذهب وسلك
طريقته ومن كان قبله في
فعلهم مقتديا بمن مضى من
آبائه وكان اسم هذا الملك
(تومامان) واستقامت له الامور
وأحدث من السنن المحمودة
مالم يحدثه أحد من ملوكهم
وزعم ان الملك لايثبت الا
بالعدل فان العدل ميزان
الرب وان من العدل
الزيادة في الاحسان مع
الزيادة في العمل وحصن
وشرف وتوج ورتب
الناس في رتبهم على طرائقهم
وخرج يرتاد موضعا يبني
فيه هيكلا فوافى موضعا
عامرا بالنبات حسن الاعتمام
بالنهر تخترقه المياه فخط
الهيكل هناك وجلبت له
أنواع الاحجار المختلفة الالوان
لتشييد الهيكل وجعل على
علوه قبة وجعل لها خارج
للهواء متساوية ونصب
فيها بيوتا لمن أراد التفرد
بالعبادة فلما فرغ منها
نصب في أعلاها تلك
التماثيل التي فيها أجسام
من سلف من آبائه وأمر
بتعظيمها وجمع الخواص
من أهل مملكته وأخبرهم
ان من رأيه ضم الناس الى
ديانة يرجعون اليها لجمع
الشمل وتساوي النظام فانه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية

خلع الزمان بأزمة جللت له * تلك السكريهة جوده الغمر

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم و يعتصم * وذكور ولده عشرون واناثهم عشرون وامه جارية اسمها زخرف وكان أسمر طوالا أشم نحيفا ومدة ملكه ست وعشرون سنة سامحه الله * وقال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الاندلس أبهة واستعد بالمماليك حتى بلغوا خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل ثم توفى الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤ * وقال ابن خلدون وغير واحد انه أول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة و جمع الاسلحة والعدد واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وحكى فى عدتهم ما تقدم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه و يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذى وطأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى وكان له فيما حكى غير واحد ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلى قصره يجمعها داران وهو القائل لما قتل أهل الربض وهدم ديارهم وحرثها

رأبت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقدما لأمت الشعب مذ كنت يافعا

فسائل ثغورى هل بها اليوم ثغرة * أبادرها مستنضى السيف دارعا

تنبيك أنى لم أكن فى قراعهم * بوان وقدما كنت بالسيف قارعا

وهل زدت اذ وفيتهم صاع قرضهم * فوافوا منايا قدرت ومصارعا

فهذى بلادى اننى قد تركتها * مهادا ولم أترك عليها منازعا

وقال ابن حزم فى حقه انه كان من المجاهرين بالمعاصى السافكين للدماء ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء وقال غير واحد انه تنصل أخيرا وتاب سامحه الله ومن نظمه قوله متغزلا

قضب من البان ماست فوق كثبان * ولين عنى وقد أزمعن هجرانى

ومنها

من لى بمغتصبات الروح من بدنى * يغصبننى فى الهوى عزى وسلطانى

وقيل انه كان يمسك أولاد الناس و يخصيهم ونقلت عنه أمور ولعله تاب منها كما قدمنا والله أعلم بحقيقة أمره * (ومن بديع أخبار الحكم) أن العباس الشاعر توجه الى الثغر فلما نزل بوادى الحجارة سمع امرأة تقول واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا فسألها عن شأنها فقالت كنت مقبلة من البادية فى رفقة فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التى أولها

تململت فى وادى الحجارة مسئدا * اراعى نجوما ما يرون تغيرا

اليك أبا العاصى نضيت مطيتى * تسير بهم سار يا ومهجرا

تدارك نساء العالمين بنصرة * فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المراة باسمه فأنف ونادى فى الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى وادى الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التى أغارت من اى ارض العدو كانت فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية وأثخن فيها وفتح

وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا فى الانفس والاعضاء ومستحلات مناكح يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقربا بالمعبود منها ايماء لاركوع فيها ولا سجود فى اوقات من الليل والنهار معلومة ومنها بركوع وسجود فى أوقات من السنين فى شهور محدودة ورسم لهم أعيادا وجعل على الزناة منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستبحن النكاح فى وقت من الاوقات وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن اناثا فلأمهاتهن و يلحقن بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهياكل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير وأحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا يجعلوه فى تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا سقفه سبعة الوان

الحصون وخرب الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادى الحجارة فأمر باحضار المرأة وجميع من أسر له احد فى تلك البلاد فاحضر فأمر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها وقال للعباس سلها هل أغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدو واغاث الملهوف فاغاثه الله واعز نصره فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال

الم تر يا عباس انى اجبتها * على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فادركت اوطارا وبردت غلة * ونفست مكروبا واغنيت معسرا

فقال عباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده *(ومما عيب به) انه قتل الفقيه ابا زكريا يحيى بن مطر الغسانى وكان قدوة فى الدين والورع سمع من سفيان ومالك بن انس وروى عنه مالك وقال حدثنا يحيى بن مطر عن سفيان الثورى ان الطلح المنضود هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم *(وقام بالامر من بعده ابنه عبد الرحمن بعهده اليه ثم لاخيه المغيرة بعده) فغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى جليقية وأبعد وأطال المغيب وأثخن فى أمم النصرانية هنالك ورجع وقدم عليه سنة ست ومائتين زرياب المغنى من العراق وهو مولى المهدى ومتعلم ابراهيم الموصلى واسمه على بن نافع فركب بنفسه لتلقيه على ماحكاه ابن خلدون وبالغ فى اكرامه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف أولادا لخلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته * وفى سنة ثمان أغزى حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع فخرب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أسرى المسلمين وانصرف ظافرا * وفى سنة أربع وعشرين بعث قريبه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو ألبة والقلاع فساروا ولقى العدو فهزمهم وأكثر القتل والسبى ثم خرج لذريق ملك الجلالقة وأغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه وأكثر القتل والسبى فى العدو والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه أهل ألبة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوخها وافتتح عدة حصون منها وجال فى أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم * وفى سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة وانتهوا الى أرض برطانية وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو فصبر حتى هزم الله عدوهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود * وفى سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمدا بالعساكر وتقدم الى بنبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها وهو من أكبر ملوك النصارى وفى أيامه ظهر المجوس ودخلوا اشبيلية فأرسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر مددا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم وأحرقوها ورحل المجوس الى شذونة فأقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشئ ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فأقلع المجوس الى لبلة وأغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم اشبونة ثم انقطع خبرهم حين أقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين وتقدم عبد الرحمن باصلاح

من الجوهر على انواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب واكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انموا وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر واكثر من ذلك على حسب ماقدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من ارضهم مغرب الشمس يقال لها مدو تلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت واهل المد سجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة واحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجىء الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل

ما خربوه من البلاد وأكتنف حاميتها * (وفي سنة احدى وثلاثين بعث العساكر الى جليقية فدوّخوها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق وهرب أهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوه وأرادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه كان سبعة عشر ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم في العساكر الى بلاد برشلونة فعاث في نواحيها وأجاز الدروب التي تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلا وأسرا وسبيا وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث في نواحيها وقفل وقد كان ملك القسطنطينية من ورائهم توفلس بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهديه يطلب مواصلته ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق به المأمون والمعتصم حتى انه ذكرهما في كتابه له وعبر عنهما بابني مراجل وماردة فكافأه الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة وكان مشهورا في الشعر والحكمة فأحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند مناغيه من بني العباس ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاول عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر ثم توفي عبد الرحمن الاوسط سنة ثمان وثلاثين ومائتين بربيع الآخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة في شعبان سنة ست وسبعين ومائة وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت أيامه أيام هدء وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمتنزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعل لفضله مصنعا اتخذه الناس شريعة وأقام الجسور وبنيت في أيامه الجوامع بكور الاندلس وزاد في جامع قرطبة رواقين ومات قبل أن يستتمه فأتمه ابنه محمد بعده وبني بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة * وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور وخمسون من الاناث ونقش خاتمه عابد الرحمن بقضاء الله راض * وفي ذلك قيل

خاتم للملك أضحى * حكمه في الناس ماضي
عابد الرحمن فيه * بقضاء الله راضي

وهو أول من أحدث هذا النقش وبقي وراثة لمن بعده من ولده (قال ابن سعيد) وفي أيامه انتهى مال الجباية الى ألف ألف دينار في السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة ألف وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يخالف هذا فليراجع والله أعلم ومن توقيعاته من لم يعرف وجه طلبه فالحرمان أولى به ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض أوجه لأوامر * فيقود التوفيق نحو صوابها
والشيخ ان يحو النهى بتجارب * فشباب رأى القوم عند شبابها

وفي زيادته في جامع قرطبة يقول ابن المثنى رحمه الله تعالى

بيت لله خير بيت * يخرس عن وصفه الانام
حج اليه بكل أوب * كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه اذا ما * حفّ به الركن والمقام

وقال آخر

منهم ومن لا علم له يشرك الاصنام بالاهية الخالق ويعتقدهما جميعا وان عبادتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم في العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين كان بدء ظهوره في خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند في العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا في أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون في جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الطغرغر على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم في الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما في هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال

بنى مسجد الله لم يك مثله * ولا مثله لله فى الارض مسجد
سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى * بناه نبى المسلمين محمد
له عمد حمر وخضر كأنما * تلوح يواقيت بها وزبرجد
ألا يا أمين الله لا زلت سالما * ولا زلت فى كل الامور تسدد
فيا ليتنا نفديك من كل حادث * وأنك للدنيا وللدين تخلد

وكان كثير الميل للنساء وولع بجاريته طروب وكلف بها كلفا شديدا وهى التى بنى عليها الباب ببدر المال حين تجنت عليه وأعطاها حليا قيمته مائة ألف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من خزانة الملك فقال ان لابسه أنفس منه خطرا وأرفع قدرا واكرم جوهرا وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا ما بدت لى شمس النهار * طالعة ذكرتنى طروبا
انا ابن الميامين من غالب * أشب حروبا واطفى حروبا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبته فكتب اليها

عدانى عنك مزار العدا * وقودى اليهم سهاما مصيبا
فكم قد تخطيت من سبسب * ولاقيت بعد دروب دروبا
ألاقى بوجهى سموم الهجير * اذ كاد منه الحصى أن يذوبا
تدارك بى الله دين الهدى * فأحييته وأمت الصليبا
وسرت الى الشرك فى جحفل * ملأت الحزون به والسهوبا

(وساق) بعض المؤرخين قضية طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور أغضبها فهجرته وصدت عنه وأبت أن تأتيه ولزمت مقصورتها فاشتد قلقه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد أن يترضاها بكل وجه فأعياه ذلك فأرسل من خاصة خصيانه من يكرهها على الوصول اليه فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم وآلت أن لا تخرج اليهم طائعة ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه وأعلموه بقولها واستأذنوه فى كسر الباب عليها فنهاهم وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر وأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ما سد به الباب فأجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فأكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الخصى فلا يرد شيأ أتماه تبرمه * واحب اخرى اسمها مدثرة فاعتقها وتزوجها واخرى كذلك اسمها الشفاء وأما جاريته قلم فكانت أديبة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مولعا بالسماع مؤثرا له على جميع لذاته وله اخبار كثيرة رحمه الله (ولما مات ولى مكانه ابنه محمد) فبعث لاول ولايته عساكر مع موسى بن موسى صاحب طليطلة فعاث فى نواحى ألبة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عساكر أخرى الى نواحى برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا * ولما استمد أهل طليطلة المخالفون من أهل بلاد الامير محمد عليه بملكى جليقية والبشكنس لقيهم الامير محمد على وادى سليطة وقد أكمن لهم فأوقع بهم وبلغت عدة القتلى من أهل طليطلة والمشركين

والبله والمجانين وان البارى جل وعز عى عن ايلامهم واراهم ان ...
الناضل فى فعله وهو الله عز وجل فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ابرخان سجالا واذا كان ملك الصين متنافى المذهب كان الامر بينهم بتنافى الملل مشاعا وملوك الصين ذوو آراء ونحل الا انهم مع اختلاف اديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق فى نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها فى انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج فى ربيعة اومن ربيعة فلا يتزوج فى مضر أو من كهلان فلا يتزوج فى حمير اومن حمير فلا يتزوج فى كهلان ويزعمون ان فى ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه اصح للبقاء واتم للعمر
واسبابا يذكرونها نحو ما ذكرنا فلم تزل امور الصين مستقيمة فى العدل على حسب ما جرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة اربع

عشرين ألفا * (وفي سنة خمس وأربعين) ظهرت مراكب المجوس وعاثوا في الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين واستشهد جماعة من المسلمين * (وفي سنة سبع وأربعين) أغزى محمد الى نواحي بنبلونة وصاحبها حينئذ غرسية بن ونقة وكان يظاهر اردن بن أدفونش فعاث في نواحي بنبلونة ورجع وقد دوخها وفتح كثيرا من حصونها وأسر فرتون ابن صاحبها فبقي أسيرا بقرطبة عشرين سنة ثم بعث سنة احدى وخمسين أخاه المنذر في العساكر الى نواحي ألبة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لذريق للقائهم فلقيهم وانهزم وأثخن المسلمون في المشركين بالقتل والاسر فكان فتحا لا كفاء له * ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثخن وخرب * وفي سنة ثلاث وستين اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وفي السنة التي بعدها الى بلاد بنبلونة فدوخها ورجع * وفي سنة ثمان وستين أغزاه أيضا الى دار الحرب فعاث في نواحيها وفتح حصونا * وفي أيام الامير محمد خربت ماردة وهدمت ولم يبق لها أثر * وذكر بعضهم انه رأى بالمشرق هذه الابيات قبل أن تخرب ماردة بأعوام ولم يعلم قائلها وذلك سنة ٢٥٤

و يل لماردة التي مردت * وتكبرت عن عدوة النهر

كانت ترى لهم بها زهر * خلت من الزهرات كالقفر

فالويل ثم الويح حين غزا * بجميعهم من صاحب الامر

ثم توفي الامير محمد في شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين لخمس وثلاثين سنة من امارته ومولده سنة سبع ومائتين * وولي بعده ابنه المنذر ولم تطل مدته وأقام في الملك سنتين الا نصف شهر وتوفي منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومائتين وفيه قيل

بالمنذر بن محمد * صلحت بلاد الاندلس

ثم ولي أخوه عبد الله قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار مائة ألف للجيوش ومائة ألف للنفقة في النوائب وما يعرض ومائة ألف ذخيرة ووفر فأنفق الوفر حين اضطربت عليه نواحي الاندلس بالثوار المتغلبين في تلك السنين وقل الخراج انتهى ومن نظم الامير عبد الله قوله

يا مهجة المشتاق ما أوجعك * و يا أسير الحب ما أخشعك

و يا رسول العين من لحظها * بالرد والتبليغ ما أسرعك

تذهب بالسر فتأتي به * في مجلس يخفي على من معك

كم حاجة أنجزت ابرازها * تبارك الرحمن ما أطوعك

وهذه الابيات عنوان فضله وبراعة استهلال نبله * وكان الوزراء يطالعون بآرائهم الخليفة في بطاقة فطالعه وزيره النضر بن سلمة برأيه في امر في ورقة فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأي فكتب

انت يا نضر آبده * ليس ترجى لفائده

انما انت عدة * لكنيف ومائده

وتوفي الامير عبد الله سنة ثلثمائة ومدة ملكه نحو من خمس وعشرين سنة * (وولي حافده

عبد

وستين ومائتين فانه حدث في الملك امر زال ١٦٤ به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وهو ان بابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه اهل الدعارة والشر فلحق الملك وارباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع اهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة عاصور وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم اكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة ايام او سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزانج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينه فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها واستباح ما فيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من اهلها ما لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق

عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف) وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها واحتازها دونهم و وجد الاندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل اهل العصيان واستقامت له الاندلس في سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك الناحية وهو اول من تسمى منهم بالاندلس بأمير المؤمنين عندما التاث امر الخلافة بالمشرق واستبد موالي الترك على بني العباس و بلغه ان المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلافة وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين وتمحص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الطوائف في كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج مالم يطؤه قبل في أيام سلفه ومدت اليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن في مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وماينسب اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول سبتة ونقل الفرضة من أيدي اهلها سنة سبع عشرة وثلثمائة وأطاعه بنو ادريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر وأجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من اخباره وبدأ امره اول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلام ابن خلدون وفيه يقول ابن عبد ربه صاحب العقد يوم تولى الملك

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي * ان كان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر * فانت للدهر عيد

واراد بأول الابيات انه ولي مستهل ربيع الاول كما علم * وما أشار اليه ابن خلدون في غزوة الخندق فصله المسعودي فقال بعد ان اجرى ذكر مخالفة أمية بن اسحق على الناصر ودخوله أرض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ماملخصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سمورة دار الجلالقة وكان عبد الرحمن في مائة الف ويزيدون وكانت الوقعة بينه و بين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة ايام فكانت للمسلمين عليهم ثم ثابوا بعد ان حوصروا والجؤا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين الفا وقيل ان الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين امية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان في عسكر المسلمين من الاموال والعدة والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان امية استأمن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير وقبله عبد الرحمن أحسن قبول * وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكره مع عدة من قواده الى الجلالقة فكانت لهم بهم عدة حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ماقتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى

خوف السيف فكان مائتي ألف وانما أحصى ماذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصي من في مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لها في دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه ومايطعم منه لدود القز الذي يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصيني وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة حرران وهي دار الملك فتحصن بها في مائتي ألف ممن بقي معه من خواصه والتقى هو وياسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وامعن الخارجي في طلبه فانحاز الملك الى مدينة في اطراف ارضه واستولى الخارجي على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات في سائر العمارات وافتتح المدن وعلم أن لا قوام له بالملك اذ كان ليس من اهله فامعن في خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب

ملك الصين من المدينة التي اتخذها اليها المتاخمة لبلاد التبت وهي مدينة مدا المتقدم ذكرها ملك الترك ابن خاقان فاستنجده

هذه الغاية وورد مير ملك الجلالقة الى هذا الوقت) ٣ وهو سنة ٣٢٦ انتهى * وقال في موضع آخر ما ملخصه ان عبد الرحمن غزا في أزيد من مائة ألف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة سمورة وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة وبين الاسوار فصلات وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثابوا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه ٣ وممن غرق أربعون ألفا وقيل خمسون ألفا وكانت للجلالقة والبشكنس على المسلمين انتهى كلام المسعودي *(رجع الى أخبار الناصر) فنقول ان الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب اليه بعضهم قوله

لا يضر الصغير حدثان سنّ * انما الشان في سعود الصغير
كم مقيم فازت يداه بغنم * لم تنله بالركض كف مغير

هكذا ألفيت البيتين منسوبين اليه بخط بعض الاكابر ثم كتب باثره ما نصه الصحيح أنهما لغيره والله أعلم انتهى وكان الناصر رحمه الله قد استحجب موسى بن محمد بن حدير واستوزر عبد الملك بن جهور وأحمد بن عبد الملك بن شهيد وأهدى له ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الاصناف وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين قال ابن خلدون وهي مما يدل على فخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها وكان ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة لثمان خلون من شهر جمادى الاولى وهي هدية عظيمة الشان اشتهر ذكرها الى الآن واتفق على انه لم يهاد احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا وأقروا ان نفسا لم تسمح باخراج مثلها ضاربة عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها فاستحسنها الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار اندلسية وبلغ معروفه الى ألف دينار وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه ذا الوزارتين لذلك وكان اول من تسمى بذلك بالاندلس امتثالا لاسم صاعد بن مخلد وزير بني العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه في البيت وتقديم اسمه في دفتر الارتزاق اول التسمية فعظم مقداره في الدولة جدا وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت في كتاب ابن خلدون على ما يفسر خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين واربعمائة رطل من التبر ومصارفة خمسة واربعون ألف دينار من سبائك الفضة في مائتي بدرة واقتصر ابن الفرضي على خمسمائة ألف دينار فقط واثنا عشر رطلا من العود الهندي الذي يختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود المتخير ومائة رطل من العود الشبه المنتقى هكذا ذكره ابن خلدون وقال ابن الفرضي مستندا الى الكتاب الذي وجهه ابن شهيد مع الهدية ان العود العالي من ذلك أربعمائة رطل منها قطعة واحدة مائة وثمانون رطلا * وقال ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه انتهى * وقال ابن الفرضي نقلا عن الكتاب المصحوب مع الهدية ان المسك مائتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ومن العنبر الاشهب الباقي على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية منها قطعة عجيبة مللمة الشكل وزن

واعلمه ما نزل به واعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن

٣ بياض بالاصل

خاقان بولد له بنحو من أربعمائة ألف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ففقد ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من اصحابه وسار ملك الصين الى دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الأخص لملوك الصين والذي يخاطبون به جميعا (طمغاج خان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلقوس المقدوني لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضي ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك

٣ قوله وهو سنة ٣٢٦ لعله سنة ٣٢٩ اذ تاريخ الوقعة الاولى كان سنة ٣٢٧ وليحرر اهـ مصححه

مائة

مائة أوقية هكذا فى تاريخ ابن خلدون وفى ابن الفرضى ان الكل مائة اوقية وان هذه القطعة أربعون أوقية ومن الكافور المرتفع النقى الذكى ثلثمائة أوقية * قال ابن خلدون ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المخنم المرقوم بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الالوان والصنائع وعشرة افرية من عالى جلود الفنك الخراسانية * وخالفه ابن الفرضى اذ قال ومن انواع الثياب ثلاثون شقة وخمس خاصية للباسه بيضاء وملونة وخمس ظهائر شعيبية خاصية له وعشر فراء من عالى الفنك منها سبعة بيض خراسانية وثلاث ملونة وستة مطارف عراقية خاصية له وثمان وأربعون ملحفة زهرية لكسوته ومائة ملحفة زهرية لرقاده ولم يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضى أعرف لاسيما وقد استند الى كتاب المهدى وصاحب البيت أدرى * قال ابن خلدن وعشرة قناطير شدّ فيها مائة جلد سمور وقاله ابن الفرضى ايضا وزاد ابن خلدون وستة من السرادقات العراقية وثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ثم قالا معا واربعة آلاف رطل من الحرير المغزول وألف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلاثون شقة من الفربون لسروج الهبات وزاد ابن الفرضى فى الحرير المذكور قيل انه قبضه منه صاحب الطراز ولم يأت به مع الهدية وانما دفعه لصاحب الطراز وأثبته فى الدفتر قالا وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا وقال ابن خلدون منتقاة مختلفة الالوان قالا ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة زاد ابن الفرضى الصناعات من جنس البسط قالا وخمسة عشر نوحا من عمل الخز المقطوع شطرها قال ابن الفرضى وسائرها من جنس البسط قال ابن خلدون ومن السلاح والعدة ثمانمائة من التجافيف المزينة أيام البروز والمواكب وقال ابن الفرضى مائة تجفاف بأبدع الصناعات وأغربها وأكملها قالا وألف ترس سلطانية ومائة ألف سهم زاد ابن خلدون من النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضى ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا وخمس من عرض هذه الخيل مسرجة ملجمة لمراكب الخلافة مجالس سروجها خز عراقى وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات وقال ابن الفرضى وخمسة أبغل عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية مجالس سروجها خز جعفرى عراقى قال ومن الرقيق اربعون وصيفا وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم وقال ابن خلدون فى الجوارى متخيرات بكسوتهن وزينتهن وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف ية تغل آلافا من امداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار وعشرون ألف عود من الخشب من أجل الخشب واصيله واقومه قيمتها خمسون الف دينار انتهى وقال ابن الفرضى نقلا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهدية عندما ذكر الرقيق ما صورته وكان قد اوبى ايده الله باتباعهم من مال الاخماس فابتعتهم من نعمته عندى

ولم يتوجه منه المسير الى سائر عماله ولا لمحاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال اليه فتاركهم مسالمهم وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات للملك وانقياد للعدل على حسب ما توجبه قضية العقل (وحكى) ان رجلا من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى الى العراق فحمل من جهازه وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى أتى الى بلاد عمان وركب الى بلاد كلة وهى النصف من طريق الصين أو نحو ذلك واليها تنتهى مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين فى هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين فى مراكبهم وقد كانوا فى بدء الزمان بخلاف ذلك وذلك ان مراكب الصين كانت تأتى بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة فلذلك كانت المراكب تختلف فى المواضع التى ذكرنا الى ما هنالك ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان من امر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعا فى هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة فى مراكب

الصينيين الى مدينة خانقو وهى مر ى ١٦٨ المراكب على حسب ما ذكرنا آنفا وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز
والامتعة فسرح خصيا من
خواص خدمه ممن يثق به
فى أسبابه وذلك ان أهل
الصين يستعملون الخصيان
من الخدم فى الخراج وغيره
من العمالات والمهمات
وفيهم من يخصى ولده طالبا
للرياسة واعتقاد النعمة
فسار الخصى حتى أتى مدينة
خانقو فاحضر التجار ومعهم
التاجر الخراسانى فعرضوا
عليه ما احتاج اليه من
المتاع وما يصلح له فسأل
الخراسانى ان يحضره تاعه
فاحضره وجرت بينهم محادثة
ودار الامر بينهم فى التثمين
للتاع فام الخصى بسجن
الخراسانى واكراهه وذلك
انه راده ثقة منه بعدل
الملك فمضى الخراسانى من
فوره حتى أتى الى مدينة
انموا وهى دار الملك فوقف
موقف المتظلم اذا أتى من
البلد الشاسع قد تقمص
نوعا من الحرير الاحمر
ووقف موضعا قد رسم
للظلامة وقد رتب بعض
الملوك ملوك النواحى للقبض
على من يرد من المتظلمين
ويقف ذلك الموقف فيحمل
مسيرة شهر من أرضهم على
البريد ففعل ذلك بالتاجر
الخراسانى ووقف بين
يدى صاحب تلك الناحية
المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم وخاطرت بنفسك فانظر ان كنت

وصيرتهم من بعثى ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزد لاسحاق فيه وفى آخر الكتاب ولما
علمت تطلع مولاى ايده الله تعالى الى قرية كذا بالقينانية المنقطعة العرس شرفها وترداده
أيده الله تعالى لذكرها لم اهنأ بعيش حتى اعملت الحيلة فى ابتياعها باحوازها واكتتبت
وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه وضمها الى ضياعه وكذلك صنعت فى قرية شيرة من نظر
جيان عندما اتصل بى من وصفه لها وتطلعه اليها فما زلت اتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها
الآن باحوازها وجميع منازلها وربوعها واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية وصار فى يده
له ابقاه الله سبحانه وارجو انه سيرفع فيها فى هذه السنة آلاف امداد من الاطعمة ان شاء الله
تعالى ولما علمت نافذ عزمه ابقاه الله تعالى فى البنيان وكلفه به وفكرت فى عدد الاماكن التى
تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره فى بنيانها مد الله تعالى فى عمره واوفى بها على اقصى أمله
علمت ان اسه وقوامه الصخر والاستكثار منه فاثارت لى همتى ونصيحتى حكمة حيلة احكمها
سعدك وجدك اللذان يعثان ما لا يتوهم عليه حيلة اقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان
يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عاما وينتهى تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين
الفا اعجل شانه فى عام سوى التوفير العظيم الذى يسديه العيان قبلا ان شاء الله تعالى
وكذلك ما ثاب الى فى أمر الخشب لهذه المنية المكرمة فان ابن خليل عبدك المجتهد الدؤب
انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج اليه ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود على انه
لا يدخل منه فى السنة الا نحو الالفى عود ففتح لى سعدك رأيا اقيم له بتمامه جميع هذا الخشب
العام على كماله بورود الجلبة لوقتها وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفا والستين ألفا
انتهى * ومن غريب ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر المذكور انه أراد الفصد فقعد بالبهو
فى المجلس الكبير المشرف باعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك واخذ الطبيب
الآلة وجس يد الناصر فبينما هو اذا طل زرزور فصعد على اناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصد رفقا * بامير المؤمنينا
انما تفصد عرقا * فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف
وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكر له أن السيدة الكبرى
مرجانة ام ولده ولى عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها
ما ينيف على ثلاثين ألف دينار * وذكر ابن بسام أن أبا عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك
الوزير أهدى له غلام من النصارى لم تقع العيون على شبهه فلمحه الناصر فقال لابن شهيد أنى
لك هذا قال هو من عند الله فقال له الناصر تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر
واحتفل فى هدية بعثها مع الغلام وقال يا بنى كن مع جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت
بك نفسى وكتب معه بهذه الابيات

أمولاى هذا البدر سار لأفقكم * وللأفق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهى نفيسة * ولم أر قبلى من بمهجته يرضى

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكنت عنده منزلته ثم انه بعد ذلك اهديت
اليه

اليه جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينتهي ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة العلام فاحتفل في هدية اعظم من الاولى وبعثها معها وكتب له

أمولاى هذى الشمس والبدر اولا * تقدم كيما يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة قد أتى * فدم منهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث * وما لك فى ملك البرية ثانى

فتضاعفت مكانته عنده ثم ان احد الوشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشى لا تحرك به لسانك والا طار راسك واعمل الناصر حيلة فى أن كتب على لسان العلام رقعة منها يا مولاى تعلم انك كنت لى على انفرادى ولم أزل معك فى نعيم وانى وان كنت عند الخليفة مشاركا فى المنزلة محاذر ما يبدو من سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه وبعثها مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان فى نفسه من العلام وما تكلم به فى مجالس المدام فكتب على ظهر الرقعة ولم يرد جوابا

أمن بعد احكام التجارب ينبغى * لدى سقوط الطير فى غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب قلبه * ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * وكيف يرد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك فقال لان عقلى بالهوى غير مشترك وأنعم عليه وزادت محبته عنده وممن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور فى منازل السرور * واخبار الناصر طويلة جدا وقد منح الظفر على الثوار واستنزلهم من معاقلهم حتى صفا له الوقت وكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء فمن غزواته انه غزا سنة ثمان وثلثمائه الى جليقية وملكها اردون بن ادفونش فاستنجد بالبشكنس والافرنجة وظاهر شانجة بن فرويله صاحب بنبلونة أمير البشكنس فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بنبلونة سنة ثنتى عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وأفسد العمائر وجال فيها وتوغل فى فاحيتها والعدو يحاذيه فى الجبال والاوعار ولم يظفر منه بشئ ثم بعد مدة ظفر ببعض الثوار عليه وكان استمد بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى أهل ألبة وفتح ثلاثين من حصونهم وبلغه انتقاض طوطة ملكة البشكنس فغزاها فى بنبلونة ودوخ أرضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع وعشرين الى جليقية فانهزم وأصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردد البعوث والطوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره كما سبق ولما هلك شانجة بن فرويلة ملك البشكنس قام بامرهم بعده أمه طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرب نواحى بنبلونة وردد عليها الغزوات وكان قبل ذلك

صادقا فيما تخبر والا فانا نقتلك ونردك قتيلا من حيث جئت وكان هذا حضانه لمن تظلم فان رآه قد جزع وشرع فى القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ما هو عليه حمل الى حضرة الملك واوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراسانى فى المطالبة والظلامة ورآه صدقا غير ضرع ولا متلجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان ادى الترجمان اليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به الى بعض المواضع واحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب الميسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه فامرهم الملك أن يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالناحية ولكل واحد منهم خليفة فى كل ناحية فكتبوا الى اصحابهم بخانفو أن يكتبوا اليهم بما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها فى سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مسرجة محذوة الالات للاخبار والخرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه

سنة ثنتين وعشرين غزا الى خشتمة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها غرسية على بنبلونة ثم عدل الى ألبة وبسائطها فدوخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقية وملكها يومئذ ردمير بن أردون فخام عن لقائه ودخل خشتمة فنازله الناصر فيها وهدم برغش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة وهابته أمم النصرانية ثم وفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسطنطين واحتفل الناصر لقدومهم في يوم مشهود قال ابن خلدون وركبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكة وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور وجمل السرير الخلافي بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى أدوا رسالتهم وأمر يومئذ الاعلام ان يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا من أمر الاسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلة عدوه فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا وشرعوا في القول فارتج عليهم وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق كان في جملة الحكم ولي العهد وندبه لذلك استئثارا فعجز فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي من غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد بشيء من ذلك فخطب واستضر وجلى في ذلك القصد وأنشد شعرا طويلا ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع وأعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها وأصبح من رجالات العالم وأخباره مشهورة وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيان وغيره ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالبة وهو يومئذ دوقوة ورسول آخر من ملك الالمان ورسول آخر من ملك الافرنجة وراء البرت وهو يومئذ اوقة ورسول آخر من ملك الافرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة واحتفل الناصر لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعا الاسقف الى ملكهم دوقوة ورجع بعد سنتين * (وفي سنة أربع وأربعين) جاء رسول أردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث في سنة خمس وأربعين يطلب ادخال فردلند قومس قشتيلة في عهده فأذن له في ذلك وأدخل في عهده وكان غرسية بن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه شانجة بن فرويلة ثم انتقض عليه أهل جليقية وتولى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومالوا الى اردون بن ردمير وكان غرسية بن شانجة حافد الطوطة ملكة البشكنس فامتعضت لحافدها غرسية ووفدت على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن ردمير الملك واعانة حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء الملكان معها فاحتفل الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجة وامه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية فرد عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة أردون اليه وبعث الى الناصر يشكره على فعلته وكتب الى الامم في النواحي بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة في نكثه ووثوبه ويعيره بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى أن هلك ولما وصل رسول كلدة ملك

الافرنجة

سلبه ما كان انعم به عليه ثم قال له تحدث الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك واجتاز ملوكا في بر وبحر فلم يتعرض لها يؤمل الوصول الى مملكتي ثقة منه بعدلي ففعلت به ما فعلت وكان ينصرف عن ملكي ويقبح الاحدوثة عن سيرتي أما لولا تقديم حرمتك بنا لالحقتك بمن تقدمك لكن أعاقبك بعقوبة ان عقلت فانها أكبر من القتل وهو ان اوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة ان عجزت عن تدبير الاحياء والقيام بما اليه ندبت واحسن الى التاجر وحمله الى خانقو وقال له ان سمحت نفسك ان تبيع منا ما اختير من متاعك بالثمن الجزيل والا فانت المحكم في مالك اقم اذا شئت وبع كيف شئت وانصرف راشدا حيث شئت وصرف الخادم الى مقابر الملوك (قال المسعودي) ومن غرائب اخبار ملوك الصين ان رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من امر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة وارباب النعم بها وذوي الاحوال الحسنة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد يخترق ممالك الهند الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته

الافرنجة باشرف كما تقدم ووصل معه رسول ملك برشلونة وطركونة راغبا فى الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولنفصل بعض ما أجمله فنقول ذكر ابن حيان وغير واحد أن ملك الناصر بالاندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشان وهادته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الاوفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب فى موادعته وكان وصول ارساله فى صفر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وتقدم فى كلام ابن خلدون انها ست وثلاثون فالله أعلم أيهما أصح وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه وأحسن قبول وأكرمه وأخرج الى لقائهم بجاية يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج الى لقائهم القوّاد فى العدد والعدّة والتعبية فتلقوهم قائدا بعد قائد وكمل اختصاصهم بعد ذلك بأن اخرج اليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا وتماما بلاغا فى الاحتفال بهم فلقياهم بعد القواد فاستبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسط الناصر واكرامه لان الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة لانهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطانى وأنزلوا بمنية ولى العهد الحكم المنسوبة الى نصير بعدوة قرطبة فى الربض ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طرا ورتب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالى ووجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلا لاربع دول لكل دولة أربعة منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة المذكورة فى بهو المجلس الزاهر قعودا حسنا نبيلا وقعد عن يمينه ولى العهد من بنيه الحكم ثم عبد الله ثم عبد العزيز ثم الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان وتخلف عبد الملك لانه كان عليلا لم يطق الحضور وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم وقد بسط صحن الدار اجمع بعتاق البسط وكرائم الدرانك وظللت أبواب الدار وحناياها بظلل الديباج ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ودفعوا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو فى رق مصبوغ لونا سماويا مكتوب بالذهب بالخط الاغريقى وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضا مكتوبة بفضة بخط اغريقى أيضا فيها وصف هديته التى ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملوّن البديع وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج وكان فى ترجمة عنوان الكتاب فى سطر منه قسطنطين ورومانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفى سطر آخر العظيم الاستحقاق الفخر الشريف

الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهى من كبار مدنهم ومن عظيم أمصارهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انه من أهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليه من جميع أموره وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمره بالبحث عنه ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبى العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه واذن له فى الوصول اليه ووصله بمال واسع واعاده الى العراق وكان شيخا فهما فاخبر أنه لما وصل اليه ورأى ما هو عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل فقال له لقد غلبت العرب على اجل الممالك وأنفسها واوسعها ريعا وأكثرها أموالا واعقلها رجالا واهداها صوتا ثم قال له فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالى بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا الذى يملك العراق لانه فى وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملك الملوك وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك أسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا أطوع لملوكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك

المستنصر عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته وتقدم الى الامير الحكم ابنه ولي عهده باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه أمام نشيد الشعراء فأمر الحكم صنيعه الفقيه محمد بن عبد البر الكسنباني بالتأهب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره وحضر المجلس السلطاني فلما قام يحاول التكلم بهره هول المقام وأبهة الخلافة فلم يهتد الى لفظة بل غشي عليه وسقط الى الارض فقيل لابي علي البغدادي اسمعيل بن القاسم القالي صاحب الامالي والنوادر وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة قم فارقع هذا الوهي فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضي أن القالي هو المأمور بالكلام أولا والمعد لذلك ونحوه في المطمح والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالي فوقف ساكتا مفكرا في كلام يدخل به الى ذكر ما أريد منه وقال في المطمح ان أبا علي القالي انقطع وبهت وما وصل الا قطع ووقف ساكتا متفكرا لا ناسيا ولا متذكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء قام من ذاته بدرجة من مرقاته فوصل افتتاح أبي علي لاول خطبته بكلام عجيب ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب يسحه سحاكأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة وبدأ من المكان الذي انتهى اليه أبو علي البغدادي فقال أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال وليس بعد الحق الا الضلال واني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم فاصغوا الي معشر الملا بأسماعكم وأتقنوا عني بأفئدتكم ان من الحق أن يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت وان الجليل تعالى في سمائه وتقدس بصفاته واسمائه أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة واني أذكركم بأيام الله عندكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم وأمنت سربكم ورفعت قوتكم بعد أن كنتم قليلا فكثركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ولاه الله رعايتكم وأسند اليه امامتكم ايام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق وأحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء وانتقلتم بيمن سياسته الى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء أنشدكم بالله معاشر الملا ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها والسبل مخوفة فأمنها والاموال منتهبة فاحرزها وحصنها ألم تكن البلاد خرابا فعمرها وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته حتى اذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصرتم يدا على عدوكم بعد أن كان بأسكم بينكم فانشدكم الله ألم تكن خلافته

السباع وهو ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الانس ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لان اصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض أتم خلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما اردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان اره صاحبه فرأيت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عنده انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسألني فقلت أصلي على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الماء الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا ان كان خبركم صحيحا وعن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم

فقل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها الم يتلاف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب احوالها ولم يكل ذلك الى القواد والاجناد حتى باشره بالقوة والمهجة والاولاد واعتزل النسوان وهجر الاوطان ورفض الدعة وهى محبوبة وترك الركون الى الراحة وهى مطلوبة بطوية صحيحة وعزيمة صريحة وبصيرة ثابتة نافذة ثاقبة وريح هابة غالبة ونصرة من الله واقعة واجبة وسلطان قاهر وجند ظاهر وسيف منصور تحت عدل مشهور متحملا للنصب مستقلا لما ناله فى جانب الله من التعب حتى لانت الاحوال بعد شدتها وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ولم يبق لها غارب الاجبه ولا نجم لاهلها قرن الاجذه فاصبحتم بنعمة الله اخوانا وبلم أمير المؤمنين لشعثكم على اعدائه أعوانا حتى تواترت لديكم الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليه واليكم يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق لاخذ حبل بينه وبينكم جملة وتفصيلا ليقضى الله أمرا كان مفعولا ولن يخلف الله وعده ولهذا الامر ما بعده وتلك أسباب ظاهرة بادية تدل على امور باطنة خافية دليلها قائم وجفنها غير نائم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وليس فى تصديق ما وعد الله ارتياب ولكل نبإ مستقر ولكل أجل كتاب فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه واسألوه المزيد من نعمائه فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والسداد وألهمه خالص التوفيق الى سبيل الرشاد أحسن الناس حالا وأنعمهم بالا وأعزهم قرارا وأمنعهم دارا وأكثفهم جمعا وأجملهم صنعا لا تهاجون ولا تذادون وأنتم بحمد الله على اعدائكم ظاهرون فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فان من نزع يدا من الطاعة وسعى فى تفريق الجماعة ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم أن فى التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها حفظ الاموال وحقن الدماء وصلاح الخاصة والدهماء وأن بقوام الطاعة تقام الحدود وتوفى العهود وبها وصلت الارحام ووضحت الاحكام وبها سد الله الخلل وأمن السبل ووطأ الاكناف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار واطمأنت بكم الدار فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية وقد علمتم ما أحاط بكم فى جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين الساعين فى شق عصاكم وتفريق ملاكم الآخذين فى مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين أقول قولى هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين مستغفرا الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين * وساق ابن سعيد فى المغرب هذه الحكاية فقال ما صورته منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة خطيب مبدع وله كتب مؤلفة فى القرآن والسنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع شاعر بليغ ولد سنة خمس وستين ومائتين واول سببه فى التعلق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول

لا يعرف ما ذكرتم ولا نقل الينا انه لا قدام او صفتم وما ذكرت من ركوب الماء الارض فهذا من الكواكب العظام التى تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم بافواهها قال القرشى فهبت الرد عليه واقامة الحجة عليه بعد ذلك ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذى كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى بن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان امده يزيد على ثلاثين شهرا شيأ يسيرا وعدد من ذكرنا من الانبياء مما قد صرت على ذكر بعضه ويزعم هذا القرشى وهو المعروف بابن وهبان انه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد زيد فيها ذكر اسمائهم ومواضع بلدانهم ومقادير اعمارهم واسباب نبواتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقون به فى ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفى اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك هو وقومه اجل الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه ورأيت صور الانبياء كثيرة منهم من قد اشار بيده جامعا بين

رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذى اشتهر ذكره أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده ووصف ماتهيأ له من توطيد الخلافة ورمى ملوك الامم بسهام بأسه ونجدته وتقدمه الى الامير الحكم ابنه وولى عهده باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه أمام انشاد الشعراء فتقدم الحكم الى ابى على البغدادى ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة أن يقوم فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت فما وصل ولا قطع ووقف ساكتا مفكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائما بدرجة من مرقاة أبى على ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة ثم ذكر الخطبة كما سبق وقال بعد ايرادها ماصورته فصلب العلج وغلب على قلبه وقال هذا كبير القوم أو كبش القوم وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه وكان الناصر اشدهم تعجبا منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطى فقال والله لقد احسن ماشاء ولئن اخرنى الله بعد لارفعن من ذكره فضع يدك ياحكم عليه واستخلصه وذكرنى بشأنه فما للصنيعة مذهب عنه ثم ولاه الصلاة والخطابة فى المسجد الجامع بالزهراء ثم توفى محمد بن عيسى القاضى فولاه قضاء الجماعة بقرطبة واقره على الصلاة بالزهراء ❊ ومن شعره فى هذه الواقعة قوله

مقالى كحد السيف وسط المحافل ❊ فرقت به مابين حق وباطل
بقلب ذكى ترتمى جمراته ❊ كبارق رعد عند رعش الانامل
فمادحضت رجلى ولازل مقولى ❊ ولاطاش عقلى يوم تلك الزلازل
وقد حدقت حولى عيون اخالها ❊ كمثل سهام اثبتت فى المقاتل
لخير امام كان اوهو كائن ❊ لمقتبل اوفى العصور الاوائل
ترى الناس افواجا يؤمون بابه ❊ وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه ❊ مخافة باس اورجاء لنائل
فعش سالما اقصى حياة مؤملا ❊ فأنت رجاء الكل حاف وناعل
ستملكها مابين شرق ومغرب ❊ الى درب قسطنطين اوارض بابل

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيد كلام ابن خلدون ان المأمور بالخطبة هو القالى وذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ماشاء فلئن كان حبر خطبته هذه واعدها مخافة ان يدور ماداركيلا فى الوهى فانه لبديع من قدرته واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لاعجب واغرب قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته انشد

هذا المقام الذى ما عابه فند ❊ لكن قائله ازرى به البلد
لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا ❊ لكننى منهم فاغتالنى النكد

و يروى بدل هذا الشطر ❊ ولادهانى لهم بغى ولاحسد ❊

لولا الخلافة أبقى الله حرمتها ❊ ما كنت أرضى بارض مابها أحد

انتهى قلت كأنه عرض بابى على القالى وتقديمهم اياه فى هذا المقام والله أعلم ومن

سبابته وابهامه كالحلقة كأنه يصف ان الحليقة فى مقدار الحلقة ومنهم من قد اشار بسبابته نحو السماء كالمرهب للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألنى عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلمها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع فى ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكا كثيرا ووزيره ايضا وهو واقف على انكاره ذلك وقال ما احسب نبيكم قال هذا فزللت فقلت بلى هو قال ذلك فرأيت الانكار فى وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الاعن تحصيل أما زعمت انكم تختلفون فى ذلك فانكم انما اختلفتم فى قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب ان يختلف فيه بل هو مسلم فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عنى لطول المدة ثم قال لى لم عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ونسبا قلت بما حدث على البصرة ووقوعى الى سيراف ونزعت بى همتى الى ملكك أيها الملك لما بلغنى من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة جنودك فأحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وأنا راجع عنها الى بلادى وملك ابن عمى ومخبر بما شاهدت من جلالة هذا نظم

نظم منذر بن سعيد قوله

الموت حوض وكلنا نرد * لم ينج مما يخافه أحد
فلا تكن مغرما برزق غد * فلست تدرى بما يجيء غد
وخذ من الدهر ما أتاك به * ويسلم الروح منك والجسد
والخير والشر لا تذعه فما * فى الناس الا التشنيع والحسد

وله وقد آذاه شخص فخاطبه بالكنية فقيل له ايؤذيك وانت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبوا من أننى كنيته * من بعد ما قد سبنا وأذانا
فالله قد كنى أبا لهب وما * كناه الا خزية وهوانا

وقال فى المطمح منذر بن سعيد البلوطى آية حركة وسكون وبركة لم تكن معدة ولا تكون وآية سفاهة فى تحلم وجهامة ورع فى طى تبسم اذا جد وجد واذا هزل نزل وفى كلتا الحالتين لم ينزل للورع من مرقب ولا اكتسب اثما ولا احتقب ولى قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن ناهيك من عدل أظهر ومن فضل أشهر ومن جور قبض ومن حق رفع ومن باطل خفض وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله فى استخراج حق ورفع ظلم واستمر فى القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فأقره وفى خلافته استعفى مرارا فما أعفى وتوفى بعد ذلك لم يحفظ عنه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه فى حكومته زلة وكان غزير العلم كثير الادب متكلما بالحق متدينا بالصدق له كتب مؤلفة فى السنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا ولد عند ولاية المنذر بن محمد وتوفى سنة ٣٥٥ ومن شعره فى الزهد قوله

كم تصابى وقد علاك المشيب * وتعامى عمدا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير * أن سيأتى الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيل * بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها * لا يداوى اذا أتتك طبيب
كم توانى حتى تصير رهنا * ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم * فاعملن جاهدا لها يا لبيب
وتذكر يوما تحاسب فيه * ان من يذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا * للمنايا بها عليك رقيب

ولعلنا نذكر شيأ من أحوال منذر فى غير هذا الموضع (رجع لاخبار الناصر لدين الله) حكى أنه لما اعتذر لولادة ابنه أبى مروان عبيد الله اتخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته وأمر أن يبدر لشهوده الفقهاء المشاورون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتقدم من بينهم المشاور أبو ابراهيم وافتقد مكانه لارتفاع منزلته فسأل فى ذلك الخليفة الناصر اذ أبو ابراهيم من أكابر علماء المالكية الذين عليهم المدار ووجد الناصر بسبب ذلك على أبى ابراهيم وأمر ابنه ولى العهد الحكم بالكتاب اليه

الملك وسعة هذه البلاد وشيمك أيها الملك المحمود وسأقول بكل قول حسن واثنى بكل جميل فسره ذلك وامر لى بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملى على البريد الى مدينة خانفو وكتب الى ملكها باكرامى وتقديمى على من فى ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجى عنه فكنت فى اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين (قال المسعودى) واخبرنى ابو زيد الحسن ابن يزيد السيرافى بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك فى سنة ثلاث وثلثمائة وابو زيد هذا هو ابن عم بن زيد بن محمد بن مرد بن ساسياد السيرافى وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز انه سأل ابن وهبان القرشى عن مدينة حمدان التى بها الملك ووصفها وذكر سعتها وكثرة اهلها وانها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه فى الشق الايمن منه مما يلى المشرق لا يخالطهم أحد من العامه وليس فيه شئ من الاسواق بل انهار فى سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفى الشق الايسر مما يلى المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رايت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان

وا ... اليه الحكم رقعة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولاك وسددك
ورعاك ... أمير المؤمنين مولاى وسيدى أبقاه الله الاولياء الذين يستعدّ بهم و جدك
... من أجرائه الصلة على انه قد أدرك أبقاه الله خصوص المشاركة فى السرور
الذى كان ... لا أعدمه الله توالى المسرة ثم اندرت من قبل ابلاغى التكرمة وكان منك
على ذلك ... من التخلف ما نافت عليك فيه المعذرة واستبلغ أمير المؤمنين فى انكاره
وما تدلك عليه ... عليك الحجة وعرفنى أكرمك الله ما العذر الذى أوجب توقفك
عن اجابة دعوته ومشاهدة السرور الذى سرّ به ورغب المشاركة فيه لنعرفه أبقاه الله بذلك
... العزيز ... ان شاء الله تعالى فأجابه أبو ابراهيم سلام على الامير سيدى ورحمة
الله ... أبقى الله الامير سيدى هذا الكتاب وفهمته ولم يكن توقفى لنفسى انما كان لامير
المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه لعلمى بمذهبه وسكونى الى تقواه واقتفائه لآثر سلفه الطيب
... رضوان الله عليهم فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض
منها او يطرق الى تنقيصها يستعدون بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم
من ... ولهذا تخلفت ولعلمى بمذهبه توقفت ان شاء الله تعالى فلما أقرأ الحكم اباه
الناصر لدين الله جواب أبى ابراهيم استحق أعجبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه
وكان الفقيه أبو ابراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم وحق لهما أن يعظماه وقد
حكى الفقيه ابو القاسم بن مفرج قال كنت اختلف الى الفقيه أبى ابراهيم رحمه الله تعالى
فيمن يختلف اليه للفقه والرواية فانى لعنده فى بعض الايام فى مجلسه بالمسجد المنسوب لابى
عثمان الذى كان يصلى به قرب داره بحوفى قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطلبة وذلك
بين ... اذ دخل عليه خصى من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف
و... وقال له يا فقيه أجب أمير المؤمنين أبقاه الله فان الامر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك
وقد أمرت بأعجالك فالله الله فقال له سمعا وطاعة لامير المؤمنين ولا عجلة فارجع اليه وعرفه
... الله عنى أنك وجدتنى فى بيت من بيوت الله تعالى معى طلاب العلم أسمعهم حديث ابن
عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يقيدونه عنى وليس يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتم
المجلس المعهود لهم فى رضا الله وطاعته فذلك أوكد من مسيرى اليه الساعة فاذا انقضى
أمر من اجتمع الى من هؤلاء المحتسبين فى ذات الله الساعين لمرضاته مشيت اليه ان شاء الله
تعالى ثم أقبل على شأنه ومضى الخصى ... اجرامن توقعه فلم يك الا ريثما أدى جوابه
وانصرف ... كن الطيش فقال له يا فقيه أنهيت قولك على نصه الى أمير المؤمنين
أبقاه الله فأصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن امير المؤمنين وجماعة
المسلمين و أمتعهم بك واذا أنت أوعيت فامض اليه راشدا ان شاء الله تعالى وقد أمرت أن أبقى
معك حتى ينقضى شغلك وتمضى معى فقال له حسن جميل ولكنى أضعف عن المشى الى باب
السدة ويصعب على ركوب دابة لشيخوختى وضعف أعضائى وباب الصناعة الذى يقرب الى
من أبواب القصر المكرم أحوط لى وأقرب وأرفق بى فان رأى أمير المؤمنين أيده الله تعالى
أن يأمر بفتحه لادخل اليه منه ... على المشى وودع جسمى وأحب أن تعود وتنهى اليه
ذلك

ورواه ... الى السوق الذى فيه العامة والتجار فأخذوا بضائعهم
وحوائجهم ثم انصرفوا الى
... واحد منهم الى هذا
السوق الأنى اليوم الثانى
وان هذه ...
...
مطرده لا ...
معدوم ... واهل
الصين ... الله
له ... وكل
... احد
من سائر الامم ...
...
...
باب الملك ... الجراه
على ... أم
الملك ... ووقع
ذلك الى ... لم يخرج
أحد فيه ...
وادخله فى ... وان
اخرج احد ... الطريق
ولم يجره وان رجلا منهم
... سقط على
عصفور فى ثوب حرير لم
يشك الناظر الا انها ...
... عليها عصفور ... فى
الثوب مدة وانه اجتاز به
احد ...
فادخل الى الملك واحضر
صاحب العمل وسأل
... فقال
المعارف ...
... انه لا يقع عصفور
على ... الأمة ...
هذا ...
قائمة لا تميل ... العصفور ... منتصبا فاخطأ وصدق الاخير ولم يثب صاحبها بشئ

ذلك عني حتى تعرف رأيه فيه وكذلك تعود الي فاني أراك في شديدا فكن على الخير معينا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه قد أجابك أمير المؤمنين الى ما سألت وأمر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قبله ومنه خرجت اليك وأمرني بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك وقال افعل راشدا وجلس الخصي جانبا حتى أكمل أبو ابراهيم مجلسه بأكمل وأوسع ما جرت به عادته غير منزعج ولا قلق فلما انقضى ضناعته قام الى داره فأصلح من شأنه ثم مضى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأعيد اغلاقه على اثر خروجه قال مفرج ولقد تعمدنا في تلك العشية اثر قيامنا عن الشيخ ابي ابراهيم المرور بهذا الباب المعهود اغلاقه بدبر القصر الذي تجشم الخليفة له فوجدناه مفتوحا كما وصف الخصي وقد حفه الخدم والاعوان منزعجين ما بين كناس وفراش متأهبين لانتظار أبي ابراهيم فاشتد عجبنا لذلك وطال تحدثنا عنه انتهى فهكذا تكون العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء قدس الله تلك الارواح * ثم توفي الناصر لدين الله ثاني أو ثالث شهر رمضان من عام خمسين وثلثمائة اعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الاسلام بملكه (قال ابن خلدون) خلف الناصر في بيوت الاموال خمسة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات انتهى وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان وحكي انه وجد بخط الناصر رحمه الله أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعدت تلك الايام فكانت أربعة عشر يوما فاعجب ايها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بكمال الاحوال لاوليائها هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والسعود ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة اشهر وثلاثة ايام ولم تصف له الا أربعة عشر يوما فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة لا اله الا هو ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحكم قوله

ما كل شيء فقدت الا * عوضني الله منه شيا
اني اذا ما منعت خيري * تباعد الخير من يديا
من كان لي نعمة عليه * فانها نعمة عليا

ومما زين الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد قال في المطمح أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد مفخر الامامة وزهرة تلك الكمامة وصاحب الناصر عبد الرحمن وحامل الوزارتين على سموهما في ذلك الزمان استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها والتفات مقلها فظهر على أولئك الوزراء واشتهر مع كثرة النظراء وكانت امارة عبد الرحمن اسعد امارة بعدت عنها كل نفس بالسوء أمارة فلم يطرقها صرف ولم يرمقها محذور بطرف وقرع الناس فيها هضاب الاماني وربأها ورعت ظباؤها في ظلال ظباها وهو اسد على براثنه رابض وبطل ابدا على قائم سيفه قابض يروع الروم طيفه ويجوس

وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الاشياء ليضطرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم اخبار ظريفة سنوردها فيما يرد من هذا الكتاب جملا وان كنا قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك في كتابنا اخبار الزمان في الامم الماضية والممالك الدائرة وذكرنا في الكتاب الاوسط جملا لم نتعرض لذكرها في كتاب أخبار الزمان وذكرنا في هذا الكتاب ما لم يتقدم ذكره في ذينك الكتابين والله اعلم

*(ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد انواعه) : قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة ولنذكر الآن في هذا الباب جملا من اخبار ما اتصل بما من البحر الحبشي والممالك والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من انواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الا أن هيجانها وركودها يختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب

خلال تلك الديار رحيمه ويروى بل يحسم كل آونة سيفه وابن شهيد يتبع الآراء ويلقحها ويعدد تلك الانحاء ويقعدها والدولة مشتملة بغنائه متجملة بثنائه وكرمه منتشر على الآمال ويكسو الاولياء بذلك الاجمال وكان له ادب تزهر بجه وتبهر حججه وشعره رقيق لا ينتقد ويكاد من اللطافة يعقد فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعا فكأنما * يجول وشاحاها على لؤلؤ رطب
بعيدة مهوى القرط مخطفة الحشى * ومفعمة الخلخال مفعمة القلب
من اللاء لم يرحلن فوق رواحل * ولا سرن يوما في ركاب ولا ركب
ولا أبرزتهن المدام لنشوة * وشدو كما تشدو القيان على الشرب

وكان بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولي الامر معه ومشاركه في التدبير اذا احضر مجتمعه منافسة لم تنفصل لهما بها مداخلة ولا ملابسة وكلاهما يتربص بصاحبه دائرة السوء ويغص فيه غصص الافق بالنوء فاجتاز يوما الى ربضه ومال الى زيارته ولم يكن من غرضه فلما استأمر عليه تأخر خروج الاذن اليه فثنى عنانه حنقا من حجابه وتجرا من اجتنابه وكتب اليه معرضا وكان يلقب بالحمار

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * فكيف تلاني برنا بعقوق

فراجعه ابن جهور بعض مده بما كان يشيع عنه بان جده أباهشام كان بيطارا بالشام بقوله

حجبناك لما زرتنا غير تائق * بقلب عدو في ثياب صديق
وما كان بيطار الشام بموضع * يباشر فيه برنا بحقيق

ومن شعره قوله يتغزل

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودي
فقيد وهو موجود بقلبي * فواعجبا لموجود فقيد

انتهى

وقد تقدم الكلام على هدية ابن شهيد وبعض أخباره رحمة الله عليه ولما توفي الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولي عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يفقد من ترتيبه الا شخصه وولي حجابته جعفر الصقلي وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الاصناف ما ذكره ابن حيان في المقتبس وهي مائة مملوك من الافرنج ناشبة على خيول صافنة كاملو الشكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندية وثلثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلثمائة خودة كذلك ومائة بيضة هندية وخمسون هندية حشيشة من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطشطانة وثلثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة مذهبة وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس انتهى * قال ابن خلدون ولاول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه وافتتح بلد فرذلند بن عند شاب فنازل شنت اشتبين وفتحها عنوة واستباحها ونفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالبا مولاه بلاد جليقية

ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة ركوبه ونزول امواجه ويلين بحر فارس وتقل امواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه وأول ما تبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفي ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فاشد ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس ثم يلين الى أن تعود الشمس الى السنبلة وآخر ما يكون ذلك في آخر الربيع عند كون الشمس في الجوزاء وبحر الهند لا يزال كذلك الى أن تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ ما يكون عند كون الشمس في القوس وبحر فارس يركب في سائر السنة من عمان الى سيراف وهو مائة وستون فرسخا ومن سيراف الى البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ولا يتجاوز في ركوبه غير ما ذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم في كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم النجوم ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يصح من عمان نحو الهند في انتهائه الا مركب معزز وحمولته يسيرة سيما وسار

وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباح جمعهم وأوطأ
العساكر بلد فردلند ودوخها وكان شانجة بن ردمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم
التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقورية
وعاثوا في نواحيها وقفل ثم أغزى الحكم أحمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة
وعاثت العساكر في نواحيها وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القومس فعاثا
فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية وكان من أعظمها فتح قلهرية
من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبية على يد قائد وشقة
وغنم فيه من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث وفي بسيطه من الغنم والبقر والرمك
والاطعمة والسبي ما لا يحصى (وفي سنة أربع وخمسين) سار غالب الى بلد البة ومعه يحيى بن
محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فافتتح حصن غرماج ودوخ بلادهم وانصرف
وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير وأفسدوا ببسائط اشبونة وناشبهم الناس
القتال فرجعوا الى مراكبهم وأخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل وأمر قائد البحر
عبد الرحمن رماحس بتعجيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل
جهة من السواحل ثم كانت وفادة اردون بن أذفونش ملك الجلالقة وذلك أن الناصر لما
أعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو المملك من قبل اردون وحمل النصرانية على
طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتيلة توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره
أبوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبى العساكر ليوم وفادته
وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف ايام الوفادات قبله ووصل الى الحكم واجلسه
ووعده بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله ملتجئا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام
ومقاطعة فردلند القومس واعطى على ذلك صفقة يمينه ورهن ولده غرسية ودفعت الصلات
والحملان له ولاصحابه وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته
ويقبضوا رهنه وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن ردمير يبذل طاعته مع وفود من أهل
جليقية وسمورة واساقفتهم يرغب في قبول بيعته كما فعل أبوه الناصر معه فقبل بيعتهم على
شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين ثم بعث ملكا
برشلونة وطركونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية
وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير
من القصدير وعشرة أدرع صقلبية ومائتا سيف فرنجية فتقبل الهدية وعقد على أن يهدموا
الحصون التي تضر بالثغور وأن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن ينذروا بما يكون من النصارى
في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من
الاساقفة والقوامس يسألون الصلح بعد أن كان توقف واظهر المكر فعقد لهم الحكم فاغتبطوا
ورجعوا ثم وفدت على الحكم أم لذريق بن بلاشك القومس بالقرب من جليقية وهو القومس
الاكبر فاخرج الحكم لتلقيها أهل دولته واحتفل لقدومها في يوم مشهود مشهور فوصلت
وأسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودفع لها ما لا تقدمه بين وفدها دون ما وصلت به هي

المراكب التي بعمان فانها اذا قطعت الى ارض الهند تحتاج الى النباهة بذلك بلاد ١٧٩ الهند في هذا الوقت الذي تكون فيه
السيارة وهو الشتاء ودوام
الامطار وكانون وكانون
وشباط عندهم صيف
وعندهم الشتاء كما يكون
عندنا الحر في حزيران وتموز
وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم
شتاؤنا وكذلك سائر مدن
السند والهند وما اتصل
بذلك الى اقاصي هذا البحر
ومن شتى في صيفنا بارض
الهند قيل فلان شتى في
أرض الهند أي شتى هنالك
وذلك لغروب الشمس وبعدها
والغوص على اللؤلؤ في بحر
فارس وانما يكون في أول
نيسان الى آخر أيلول وما عدا
ذلك من شهور السنة فلا
غوص فيه وقد أتينا فيما
سلف من كتبنا على سائر
مواضع الغوص في هذا
البحر اذ كان ما عداه من
البحار لا لؤلؤ فيه وهو
خاص بالبحر الحبشي من
بلاد خارك وقطر وعمان
وسرنديب وغير ذلك من
هذا البحر وقد ذكرنا كيفية
تكون اللؤلؤ وتنازع
الناس في تكونه ومن ذهب
منهم الى ان ذلك من المطر
ومن ذهب منهم الى أن ذلك
من غير المطر وصفة صدف
اللؤلؤ العتيق منه والحديث
الذي يسمى بالمحار
والمعروف بالبلبل واللحم
في الصدف والشحم وهو حيوان يفرغ ما فيه من اللؤلؤ والدر خوف الغاصة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر

وحملت على بغله فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم الوداع تعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت ثم أوطأ عسا كره أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها فى اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه من بنى الخرز وبنى أبى العافية وأجزل صلاتهم واكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بنى ادريس من ملكهم بالعدوة فى ناحية الريف واجازهم البحر الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية ❊ وكان محبا للعلوم مكرما لاهلها جماعا للكتب فى انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال أبو محمد بن حزم اخبرنى تليد الخصى وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بنى مروان ان عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربع وار بعون فهرسة وفى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الاذكر اسماء الدواوين لا غير واقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليه بضائعه من كل قطر ❊ قال ابو محمد بن خلدون ولما وفد على ابيه أبو على القالى صاحب كتاب الامالى من بغداد أكرم مثواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث فى شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنفه أبى الفرج الاصفهانى وكان نسبه فى بنى أمية وارسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق وكذلك فعل مع القاضى أبى بكر الابهرى المالكى فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك وجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والاجادة فى التجليد واوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا مايذكر عن الناصر العباسى بن المستضىء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى أن بيع اكثرها فى حصار البربر وأمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالى المنصور بن أبى عامر ونهب مابقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار ❊ (ولنبسط الكلام على الحكم فنقول) ان الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثانى يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعباء الملك اتم قيام وانفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما اخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الاكابر لجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه فى المجلس دون هؤلاء الاكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعة اهل القصر تقدم الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض فى أخيه شقيقه أبى مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض ايضا عن أبى الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى فمضى اليهما كل واحد منهما فى قطيع من الجند وأتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء وعند

كيفية الغوص وأن الغاصة لا يكادون يتناولون شيأ الا السمك من الحيتان والتمر لا غيرهما من الاقوات وما يلحقهم وذكر شق أصول آذانهم لخروج النفس من هنالك بدلا من المنخرين لجعل على انوفهم شئ من الذبل أو من شمع يضعونه كالمقاص لا من الخشب ومما يجعل فى آذانهم من القطن فيه شئ من الدهن فيعصر من ذلك الدهن اليسير فى الماء فى قعره فيضىء لهم بذلك فى البحر ضياء بينا وما يطلون به أقدامهم وسوقهم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ولنفورها من السواد وصياح الغاصة فى البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض وللغواص واللؤلؤ وحيوانه اخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته واثمانه ومقادير أوقاته فيما سلف من كتبنا فأول هذا البحر مما يلى البصرة والابلة والبحرين من خشاب البصرة ثم بحر لاورى وعليه بلاد صيمور وسوبارة وتانة وسندان وكنبايه وغيرها من السند والهند ثم بحر هركند ثم بحر كلاه بار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كردنج ثم بحر الصنف واليه يضاف العود الصنفى الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صنجى وليس بعده بحر فأول بحار فارس على ما ذكرنا خشاب

غيرهما

غيرهما من وجوه الرجال فى الخيل لاتيان غيرهم من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء فى الليل فنزلوا فى مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا فى المجلسين الشرقى والغربى وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى البهو الاوسط من الابهاء المذهبة القبلية التى فى السطح الممرد فاوّل من وصل اليه الاخوة فبايعوه وأنصتوا الصحيفة البيعة والتزموا الايمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء واولادهم واخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الا عيسى بن فطيس فانه كان قائما بأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف فى المجلس الذى قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدره فى المنزلة عليهم الظهائر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين فى السطح وفى الفصلان المتصلة به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين فى الاسلحة الرائقة والعدّة الكاملة وقامت التعبية فى دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن والاقبية البيض وعلى رؤسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونة والاسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدّة الاعظم البوّابون وأعوانهم ومن خارج باب السدّة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكبا اثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء فلما تمت البيعة أذن للناس بالانفضاض الا الاخوة والوزراء واهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الله الى قصر قرطبة للدفن هنالك فى تربة الخلفاء (وفى ذى الحجة من سنة خمسين) تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس واصقاعها فتوصلوا الى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر بن سعيد والملا فأخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات فى نسخها (وفى آخر صفر من سنة احدى وخمسين) اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليه محمد أوزيادا ابنى أفلح الناصرى بكتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى الذى خرجوا اليه صاحب مدينة سالم المورد للطاغية أردون بن أدفونش الخبيث فى الدولة المتملك على طوائف من الامم الجلالقة والمنازع لابن عمه المملك قبله شانجة بن ردمير وتبرع هذا اللعين اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غير طالب اذن ولا مستظهر بعهد وذلك عندما بلغه اعتزام الحكم المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو اليه وأخذه فى التأهب له فاحتال فى تأميل المستنصر بالله والارتماء عليه وخرج قبل أمان يعقد له أو ذمة تعصمه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه تكنفهم غالب الناصرى الذى خرجوا اليه فجاء به نحو مولاه الحكم وتلقاهما ابنا أفلح بالجيش المذكور فانزلاهم ثم تحركا بهم ثانى يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر بالله اليهم هشاما المصحفى فى جيش عظيم كامل

البصرة والموضع المعروف بالكلاء وهى علامات منصوبة من خشب فى البحر مغروسة علامات للراكب الى عمان مسافة ثلثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها مزون الى المسقط وهى قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هنالك عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة فرسخ هذا تحديد النواتى وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل منه تحت البحر لا يدرى أين تنتهى غايته فى الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثانى وهو المعروف بلاورى لا يدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين وربما يقطع فى الشهرين والثلاثة وفى الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس فى هذه البحار أعتى مما احتوى عليه البحر الحبشى أكبر من هذا البحر بحر لاورى ولا أشد وفى عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة

التعبيه وتعدوا الى باب قرطبة فروا بباب قدمها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدة وباب الجنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فاشير الى ما يوازى موضعه من داخل القصر فى الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم رد قلنسوته الى رأسه وأمر المستنصر بانزال أردون فى دار الناعورة وقد كان تقدم فى فرشها بضروب الغطاء والوطاء وانتهى من ذلك الى الغايه وتوسع له فى الكرامة ولاصحابه واقام بها الخميس والجمعة فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبية الجيوش والاحتفال فى ذلك من العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى المجلس الشرقى من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفا فى المجلس وفيهم القاضى منذر بن سعيد والحكام والفقهاء فاتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك اردون واصحابه وعالى لبوسه ثوب ديباجى رومى أبيض وبليوان من جنسه وفى لونه وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالاندلس يؤنسونه ويبصرونه فيهم وليد بن خيزرون قاضى النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما فدخل بين صفى الترتيب يقلب الطرف فى نظم الصفوف ويجيل الفكر فى كثرتها وتظاهر أسلحتها وراقه ما رآه حتى فرغهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم وتاملوا نا كسى رؤسهم غاضين من اجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الاقباء أول باب قصر الزهراء فترجل جميع من كان خرج الى لقائه وتقدم الملك اردون وخاصة قوامه على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل هنالك والمشى على الاقدام فترجلوا ودخل الملك اردون وحده راكبا مع محمد بن طملس فانزل فى بطن البهو الاوسط من الابهاء القبلية التى بدار الجند على كرسى مرتفع مكسو الاوصال بالفضة وفى هذا المكان بعينه نزل قبله عدوه ومناوئه شانجة بن رذمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه الله تعالى فقعد اردون على الكرسى وقعد أصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول عليه فتقدم يمشى وأصحابه يتبعونه الى أن وصل الى السطح فلما قابل المجلس الشرقى الذى فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقى حاسرا اعظاما لما بان له من الدنو الى السرير واستنهض فمضى بين الصفين المرتبين فى ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو فلما قابل السرير خر ساجدا سويعة ثم استوى قائما ثم نهض خطوات وعاد الى السجود ووالى ذلك مرارا الى أن قدم بين يدى الخليفة وأهوى الى يده فناوله اياها وكر راجعا منهقرا على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير فجلس عليه والبهر قد علاه وانهض خلفه من استدنى من قوامه واتباعه فدنوا ممتثلين فى تكرير الخضوع وناولهم الخليفة يده فقبلوها وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على رأس ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن خيزرون قاضى النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك اردون ذلك اليوم فأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك اردون اثر قعوده أمامه وقتا كيما يفرخ روعه فلما رأى أن قد خفض عليه افتتح تكليمه فقال ليسرك اقبالك ويغبطك تاميلك فلدينا لك من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته فلما

والمهم ... لغة العرب ... وذلك انهم يجعلون الشين بدلا من الكاف مثال ذلك ان يقولوا اهل لش فيما قيل لى وقال لش ان يجعل لى لك ... فى الذى معش ... ذلك فيه ... لى ... ان تجعلى الذى ... لى لدنك معك ... من خصائصهم ونوادر كلامهم وهم ... ومرود ... ويجب ... ما يجب ... فى البحر ... بل عند جماعة انها ... مما ... على ... احمد ... بالعنبر قد ... عليه قدر ... لذلك واعتدته فيئة وله ... اكثب وأجود العنبر ... فى هذه الناحية والى جزائر الزانج وساحله وهو المدور والازرق البارز كبيض النعام أو دون ذلك ومنه ما يلعه الحوت المعروف بالاول المتقدم ذكره وذلك أن البحر اذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال وأصغر على ما وصفنا فاذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله وطفا فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه فى القوارب من الزنج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال ويشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه فما كان من بطنه يكون سمكا ويعرفه العطارون بالعراق

ترجم

ترجمانه كلامه اياه تطاول وجه اردون وانحط عن رتبته فقبل البساط وقال أنا عبد أمير المؤمنين مولاي المتورك على فضله القاصد الى مجده المحكم في نفسه ورجاله حيث وضعني من فضله وعوضني من خدمته رجوت ان اتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة فقال له الخليفة أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا اياك على أهل ملتك مايغبطك وتتعرف به فضل جنوحك الينا واستظلالك بظل سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقالة الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شانجة ابن عمي تقدم الى الخليفة الماضي مستجيرا به مني فكان من اعزازه اياه مايكون من مثله من اعاظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم واملهم وكان قصده قصد مضطر قد شنأته رعيته وأنكرت سيرته واختارني لمكانه من غير سعي مني علم الله ذلك ولا دعاء اليه فخلعته واخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا وتطول عليه رحمه الله بأن صرفه الى ملكه وقوى سلطانه وأعز نصره ومع ذلك فلم يقم بفرض النعمة التي اسديت اليه وقصر في أداء المفروض عليه وحقه وحق مولاي أمير المؤمنين من بعده وانا قد قصدت باب امير المؤمنين لغير ضرورة من قرارة سلطاني وموضع احكامي محكما له في نفسي ورجالي ومعاقلي ومن تحويه من رعيتي فشتان ما بيننا في قوة الثقة ومطرح الهمة فقال الخليفة قد سمعنا قولك وفهمنا مغزاك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شأنه ويترادف من احساننا اليك اضعاف ما كان من أبينا رضي الله تعالى عنه الى نذلك وان كان له فضل التقدم بالجنوح الينا والقصد الى سلطاننا فليس ذلك مما يؤخرك عنه ولا ينقصك مما أملناك وستنصرف مغبوطا الى بلدك ونشد اواخي ملكك ونملكك جميع ما انحاش اليك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك ونقرر به حد ما بينك وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما يتصرف فيه من البلاد التي بيدك وسيترادف عليك من افضالنا فوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرر اردون الخضوع وأسهب في الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولي الخليفة ظهره وقد تكنفه الفتيان من جلة الفتيان وأخرجوه الى المجلس الغربي في السطح وقد علاه البهر وأذهله الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخلافة وبهاء العزة فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه انحط ساجدا اعظاما له ثم تقدم الفتيان به الى النهر الذي يحوي هذا المجلس فاجلس هنالك على وساد مثقل بالذهب وأقبل نحوه الحاجب جعفر فلما بصر به قام اليه وخضع له وأومأ الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه وجلس معه فغبطه ووعده من انجاز عدات الخليفة له بما ضاعف سروره ثم أمر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التي أمر له بها الخليفة وكانت دراعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين العلج فخلله فخر ساجدا وأعلن بالدعاء ثم دعا الحاجب اصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر اسنانهم وكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم وخرج جميعهم خاضعين شاكرين ثم انطلق الملك اردون وأصحابه وقدم لركابه في اقبل النهر الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج حلى ولجام حلى مفرغ وانصرف مع ابن طملس الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد أعد له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفرش والماعون واستمر

وفارس والهند ومابقي على ظهر الحوت منه كان نقيا جيدا على حسب لبثه في بطن الحوت وبين البحر الثالث ... مركند والبحر الثاني وهو لاروى على ماذكرنا جزائر كثيرة وهي فرق بين هذين البحرين ويقال انها تحوي من النسق جزيرة في قول المحصي ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس ومالكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم في قديم الزمان لايملكهم رجل والعنبر يوجد في هذه الجزائر أيضا يقذفه البحر ويوجد في بحرها كأكبر ما يكون من قطع الصخر وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرهما من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت في قعر هذا البحر ويتكون كما تكون أنواع الفطر من الابيض والاسود والكمأة والمغاريد وبنات أوبر ونحوها فاذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وقطع العنبر وأهل هذه الجزائر منفقون وكلمتهم واحدة لايحصر عددهم لكثرتهم ولا يحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم نخل النارجيل لا يتعدم من النخلة الا التمر وقد زعم اناس ممن عني بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل

حتى غرس فيها قصارا رجالا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا في كتابنا

أنحاء البلاد كمال من سعة التصنيف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الاسلام فيه ما أفاضوا من التبجح به والتحدث عنه أياما وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخلافة في هذا اليوم مقامات حسان وانشادات لاشعار محكمة متان يطول القول في اختيارها فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة حيث يقول

ملك الخليفة آية الاقبال * وسعوده موصولة بنوال
والمسلمون بعزة وبرفعة * والمشركون بذلة وسفال
ألفت بأيديها الاعاجم نحوه * متوقعين لصولة الريبال
هذا أميرهم أتاه آخذا * منه أواصر ذمة وحبال
متواضعا لجلاله متخشعا * متبرعا لما يرع بقتال
سينال بالتأميل للملك الرضا * عزا يعم عداه بالاذلال
لا يوم أعظم للولاة مسرة * وأشد غيظا على الاقيال
من يوم اردون الذي اقباله * أمل المدى ونهاية الاقبال
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها * والي الرعاة الى الاعاجم والي
ان كان جاء ضرورة فلقد أتى * عن عز مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المنيل امامنا * حط الملوك بقدره المتعالي
هو يوم حشر الناس الا انهم * لم يسئلوا فيه عن الاعمال
أضحى الفضاء مخيما بجيوشه * والافق أقتم أغبر السربال
لا يهتدي الساري لليل قتامه * الا بضوء صوارم وعوالي
وكأن اجسام الكماة تسربلت * مذعريت عنه جسوم ضلال
وكأنما العقبان عقبان الفلا * منقضة لتخطف الضلال
وكأن مقتضب القنا بهنزة * اشطان نازحة بعيدة جال
وكأنما قبل التجافيف اكتست * نارا أججها بلا اشعال

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم المستنصر عن فتاه تليد صاحب خزانته العلمية فيما حدث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم ان عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابار في التكملة * وقال بعض المؤرخين في حق الحكم انه كان حسن السيرة مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت أربعمائة ألف مجلد وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها وكان عالما نبيها صافي السريرة وسمع من قاسم بن أصبغ وأحمد بن دحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطاب وأكثر عنه وأجازله ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنه وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوذيا نسيج وحده وكان ثقة فيما

وانما أثرت ذلك فيهم بما قدمنا من المتوجه بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهو نهاية حد ... من الماء بعيز وغيرهم مما تؤثر البقاع في النامي من النبات وفيما ليس بنام كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم حتى أثر ذلك في جمالهم فقصرت قوائمها وغلظت رقابها وابيض وبرها وأرض يأجوج ومأجوج في صورهم وغير ذلك مما اذا تدبره ذوو المعرفة في كل الارض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرنا وليس يوجد في جزائر البحر الطف صنعة من هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع في الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال هذه المملكة الودع وذلك ان هذا الودع هو نوع من الحيوان واذا قل ما فيها أمر أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النارجيل ثم وصفه ويطرحوه على وجه الماء فيتسلق عليه ذلك الحيوان فيجمع ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع خاليا مما كان فيه فتملأ من ذلك بيوت الاموال وهذه الجزائر تعرف بجميعها بالديبجات ومنها يحمل أكثر الرانج وهو النارجيل

ينقله

ينقله بهذا وصفه ابن الابار وباضعافه وقال عجبا لابن الفرضي وابن بشكوال كيف لم يذكراه وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في أي فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن ومما ينسب اليه من النظم قوله

الى الله أشكو من شمائل مسرف * عن ظلوم لا يدين بما دنت
نأت عنه داري فاستزادت دوده * واني على وجدي القديم كما كنت
ولو كنت أدري أن شوقي بالغ * من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

وقوله

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت * وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي
فيا مقلتي العبرا عليها اسكبي دما * ويا كبدي الحرا عليها تقطعي

وتوفي رحمه الله تعالى بقصر قرطبة ثاني صفر سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته وكان أصابه الفالج فلزم الفراش الى ان هلك رحمه الله تعالى وكان قد شدد في ابطال الخمر في مملكته تشديدا عظيما (وولي بعده ابنه) هشام صغيرا سنه تسع سنين ولا ينافيه قول ابن خلدون قد ناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ونقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه اموره فاستقل قال ابن خلدون وترقت حال ابن أبي عامر عند الحكم فلما توفي الحكم وبويع هشام ولقب المؤيد بعد أن قتل ليلتئذ المغيرة أخو الحكم المرشح للأمر تناول الفتك به محمد بن أبي عامر هذا بمالأة من جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ ورؤساؤهم فائق وجودر فقتل ابن أبي عامر المغيرة بمالأة من ذكرو تمت البيعة لهشام ثم سما لابن أبي عامر أمل في التغلب على هشام لمكانه في السن وثاب له رأي في الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض وكان من رجال اليمنية من معافر دخل جده عبد الملك مع طارق وكان عظيما في قومه وكان له في الفتح أثر وعظم ابن أبي عامر هذا وغلب على المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام يسلمون وينصرفون وأرضخ للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصلهم وفرق جموعهم وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا ثمانمائة او يزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ في خدمته والنصح له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن احمد بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوح ابن هانئ بالقائية المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم أول الدولة وبمن كان معه من زناته والبربر ثم قتل جعفرا بمالأة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذي النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من

وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ويلي جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف درجة تعرف بالرامين معمورة وبها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ويليها بلاد قيقو واليها يضاف الكافور القيصوري والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور واذا نقص ذلك كان نقصا في وجوده وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب ويليها كثيرة ومنها ما يأكل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالحابوس وهي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في الزوارب عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والنارجيل يتعاوضون بالحديد وشيء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبراسان فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لا مراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما قد انكسر في البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لي جماعة من الناس واخذة انهم رأوا في هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا تخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علاه البحر وارتفعت منه زوابع عظيمة

رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو في جوف بيته من تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدم رجال البرابرة وزناتة وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والمخاطبات والاوامر باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز وأغفل ديوانه عما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من تطاول اليها من العلية فظفر من ذلك بما أراد وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا ستا وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها راية ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبتت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه وأجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر ولما سخط زيري بن عطية ملكهم لما بلغه ما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض من منصبه والتأفف لحجر الخليفة هشام أوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ونزل بفاس وملكها وعقد لملوك زناتة على ممالك المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها وشرد زيري بن عطية الى تاهرت فأبعد المفر وهلك في مفره ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا وأشد استيلاء سنة أربع وتسعين وثلثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا باس ان نزيد عليه فنقول مما حكي انه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله * أبدا ولا يحمي الثغور سواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجهت الى اذفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن ابي عامر سريره وامرأته متكئة الى جانبه فقال لي يا شجاع اما تراني قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم قال فحملتني الغيرة أن قلت له لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقر بك قرار فهم بي فحالت امرأته بيني وبينه وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا * وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيد قال رحمه الله ترجمة الملك الاعظم المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر ابن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية تركش وعبد الملك جده هو الوافد على الاندلس مع طارق في اول الداخلين من العرب وأما المنصور فقد ذكره ابن حيان في كتابه المخصوص بالدولة العامرية والفتح في المطمح والحجاري في المسهب والشقندي في الطرف

وذكر

لا تزرو بقعة منها شئ الا تلفه ويمطرون عقيب ذلك مطرا سهكا فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كالاول على حسب ما ذكرنا وتفسير ذلك بحر كله وهو قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأخبثنا وهو كثير الجزائر والصراوي واحدها صرو وذلك ان أهل المراكب يسمون بحر الخليجين اذا كان بين جزيرتين فيه الصرو وهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة واعرضنا التلويح بلمع من الاخبار عنها الا ليسه وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكردنج فيه كثير الجبال والجزائر وفيه الكدور وهو قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من الامم منهم جنس يقال له الفنجب شعورهم مفلفلة وصورهم ومناظرهم عجيبة يتعرضون في زوارب لهم الى ان يلحقوا المراكب اذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت السم وبين هذه الامة وبين بلاد كله جبال معادن الرصاص الابيض وجبال من الفضة وفيها أيضا معادن من الذهب ورصاص لا يكاد يتميز منه ثم يليه (بحر الصنف) على ما رتبناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر وملكه لا ينضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد

وذكر الحميدي أن أصله من قرية تركش وأنه رحل الى قرطبة وتأدب بها ثم اقعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان الى أن طلبت السيدة صبح ام المؤيد من يكتب عنها فعرفها به من كان يأنس اليه بالجلوس من فتيان القصر فترقى الى أن كتب عنها فاستحسنته ونبهت عليه الحكم ورغبت في تشريفه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقى الى الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكن في قلب السيدة بما استمالها به من التحف والخدمة بما لم يتمكن لغيره ولم يقصر مع ذلك في خدمة المصحفي الحاجب الى أن توفي الحكم وولي ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثنتي عشرة سنة فخاشت الروم فجهز المصحفي ابن أبي عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكن حبه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيا استعان بالمصحفي على الصقالبة ثم بغالب على المصحفي وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوج ابن أبي عامر ابنته اسماء وكان أعظم عرس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسي ممدوح ابن هانئ على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبي على جعفر وله في الحزم والكيد والجلد ما افرد له ابن حيان تأليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم يهزم له راية وقبره بمدينة سالم في أقصى شرق الاندلس ومن شعره

رميت بنفسي هول كل عظيمة * وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي الا جنان مشيع * وأسمر خطي وأبيض باتر
فسدت بنفسي أهل كل سيادة * وفاخرت حتى لم أجد من افاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة * على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا العوالي بالعوالي مثلها * وأورثناها في القديم معافر

وجوده مع صاعد البغدادي اللغوي مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك ابن شهيد وكان قد تخلف عنه

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا * يا بنفسي اقيك كل الرزايا
ورسول الاله أسهم في الفي * لمن لم يجب فيه المطايا

فبعث اليه بثلاث جوار من أجمل السبي وكتب معهن وكانت واحدة أجملهن قوله

قد بعثنا بها كشمس النهار * في ثلاث من المها أبكار
وامتحنا بعذرة البكر ان كنـ * ـت ترجى بوادر الاعذار
فاجتهد وابتدر فانك شيخ * قد جلا ليله بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها * فمن العار كلة المسمار

فافتضهن من ليلته وكتب له بكرة

قد فضضنا ختام ذاك السوار * واصطبغنا من النجيع الجاري
وصبرنا على دفاع وحرب * فلعبنا بالدر أو بالدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام * ذي مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذه خلا على الكفار

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح في النهر وترك الكيس وكان

من الناس في أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين وقد حاز هذا الملك أنواع الافاويه والطيب وليس لاحد من الملوك ما له وما يحمل من بلاده وما يظهر من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين وفي أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع الترس مطرقة يجزون شعورهم كما يجز الشعر من الرق مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل تسود وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو تقذف باشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف وهذه أحد آطام الارض الكبار وتليها الجزيرة التي يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهي المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع

أحمر على يد فرشه وحده أتى بخاتمها تجري تابعا لها وقد دهل فتغلغلت في البساتين واستعجل عن عينه ورجع متحيرا فشكا ذلك الى بعض من يأنس به فقال له صف حالتك لابن أبي عامر متلطفا في وصف ذلك بين يديه فقال ننظر ان شاء الله تعالى في شأنك وجعل يستدعي أصحاب تلك البساتين ويسأل حدامها عمن ظهر عليه تبديل حال فاخبروه ان شخصا ممن يقلل الزبل اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فامر بمجيئه فلما وقعت عينه عليه قال له أحضر الكيس الاحمر فتملك الرعب قلبه وارتعش وقال دعني آتي به من منزلي فوكل به من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدح في مسرة صاحبه فجبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لاحدثن في مشارق الارض ومغاربها أن ابن أبي عامر يحكم على الطيور وينصف منها والتفت ابن أبي عامر الى الزبال فقال له لو اتيت به أغنيناك لكن تخرج كفافا لا عقابا ولا ثوابا وتوفي رحمه الله في غزاته للافرنج بصفر سنة اثنتين وتسعين وثلثمائه وحمل في سريره على اعناق الرجال وعسكره يحف به وبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة في الشتاء واخرى في الصيف انتهى كلام ابن سعيد وفي بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون * وقال الفتح في المطمح في حق المصحفي الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ما صورته تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى ووصل الى المنتهى وحصل على ما اشتهى دون مجد تفرع من دوحته ولا فخر شأ بين مغداه وروحته فسما دون سابقة ورمى الى رتبة لم تكن لهممه مطابقة فبلغ بنفسه ونزع عن جنسه ولم يزل ينتقل ويطلع وينتقل من مطلع الى مطلع حتى التاح في افق الخلافة وارتاح اليه معظمها كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه قد كان يسمع وبه يبصر وحجب الامام وأسكب برأيه ذلك الغمام فادرك بذلك ما أدرك ونصب لامانيه الحبائل والشرك فاقتنى اقتناء مدخر وأزرى بمن سواه وسخر واستعظمه ابن أبي عامر ونجمه غائر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فاعطف ولاجنى من روضة دنياه ولاقطف وأقام في تدبير الاندلس ما أقام وبرهانه مستقيم ومن الفتن عقيم وهو يجري من السعد في ميدان رحب ويبلغ من العز في مشرب عذب ويفض ختام السرور وينهض من الملك على لبنة مرور وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع فمن محاسنه التي بنها ابناس دهره واسعاده وقاله حين ألهته سلماه وسعاده قوله

لعينيك في قلبي عليك شجون * وبين ضلوعي للشجون فنون

نصيبي من الدنيا هواك وانه * غذائي ولكني عليه ضنين

وستأتي هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تعالى وفيه بعض زيادة ونقصان في الباب الرابع * وقال في المطمح في حق ابن أبي عامر انه غرس ببلاد الشرك أعظم غرس وثامن طواغيتها كل تجرف وتغطرس وغادرهم صرعى البقاع وتركهم أذل من وتد بقاع ووالى على بلادهم الوقائع وسدد الى أكبادهم سهام الفجائع وأغص بالحمام أرواحهم ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ومن أوضح الامور هنالك وأفصح الاخبار في ذلك أن أحد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجناب فسار في بعض مسيراته الى غرسية

صاحب

من أصوات الملاهي ونحوه والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفي مملكة المهراج جزيرة سريرة ومسافتها في البحر نحو من أربعمائة فرسخ عامرة متصلة ولو به جزيرة الرامي وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه وهو صاحب (البحر السادس) وهو بحر الصنف ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما قدمناه آنفا ويعرف ببحر صنجي وهو بحر خبيث كثير الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر وانما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم وفيه جبال كثيرة لا بد للمراكب من النفوذ بينها ثم ان ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه اشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا ويصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للخب فيستعدون لذلك فمن نجا ومن هلك ومبتلى ومن كان كذلك وربما شاهدوا المعانى منهم في أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره في البحر الحبشي الدولي وتسميه الرجال في البحر الرومي الصاري) شيأ

صاحب الشكنس ووالى فى اكرامه وتناهى فى بره واحترامه فطالت مدته ولا تنزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الاسارعليه معرجا فحل فى ذلك أكثر الكنائس هنالك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل العين فى مساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر نوعيه على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها واعلمته وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بوسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسة وناشدته الله فى انهاء قصتها واستنفدته فى ابراء غصتها واستحلفته باغلظ الايمان وأخذت عليه فى ذلك أوكد مواثيق الرحمن فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به واعلامه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور وهل وقفت هنالك على أمر أنكرته أم لم تقف على غير ما ذكرته فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه وبالمواثيق الذى أخذت عليه فعتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ثم أخذ للجهاد من فوره وعرض من اجناد فى نجده وغوره وأصبح غازيا على سرجه مباهيا مروان يوم مرجه حتى وافى ابن شنجة فى جمعه فأخذت مهابته ببصره وسمعه فبادر بالكتاب اليه يتعرف ما الجلية ويحلف له باعظم أليه انه ما جنى ذنبا ولا جفا عن مضجع الطاعة جنبا فعنف ارساله وقال لهم كان قد عاقدنى أن لا يبقى ببلاده ماسورة ولا ماسور ولو حملته فى حواصلها النسور وقد بلغنى بعد بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة ووالله لا انتهى عن أرضه حتى اكتسحها فأرسل اليه المرأة فى اثنتين معها وأقسم انه ما أبصرهن ولا سمع بهن وأعلمه ان الكنيسة التى أشار بعلمها قد بالغ فى هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه فى الاخذ فيه بطوله فاستحيا منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة الى نفسه وألحق توحشها بأنسه وغير من حالها وعاد بسوء أكب نعماه على جدبها وامحالها وحملها الى قومها وكحلها بما كان شرد من نومها انتهى ؛؛ وقال فى المطمح أيضا فى حقه ما نصه فزدنا به على من تقدمه وصونه واستخدمه فانه كان أمضاهم سنانا واذكاهم جنانا وأعمهم جلالا وأعظمهم استقلالا فآل أمره الى ما آل وأوهم العقول بذلك المآل فانه كان آية الله فى اتفاق سعده وقربه من الملك بعد بعده بهر برفعة القدر واستظهر بالاناة وسعة الصدر وتحرك فلاح نجم الهدى وتملك فاخفق بارضه لواء عدو بعد تجول كابد منه غصصا وشرقا وتعذر مأمول طارد فيه سهرا وأرقا حتى أنجز له الموعود وفرخت أمام تلك السعود فقام بتدبير الخلافة وأقعد من كان له فيها انافة وساس الامور أحسن سياسة وداس الخطوب باخشن دياسة فانتظمت له الممالك وانفتحت به المسالك وانتشر الامن فى كل طريق واستشعر اليمن بكل فريق وملك الاندلس بضعا وعشرين حجة لم تدحض لسعادتها حجة ولم تزحلها كروه بهاحجة لبست فيه البلاد الاشراق وتنفست عن مثل أنفاس العراق وكانت أيامه أحمد أيام وسهام بأسه أشد سهام غزا الروم شاتيا وصائفا ومضى فيما يروم زاجرا وعائفا فما رام غير سنيح ولا فاز الا بالمعلى لا بالمنيح فوغل فى تلك الشعاب وتغلغل حتى راع ليث الغاب ومشى تحت ألويته صيد القبائل واستجرى فى ظلها بيض الظبا وسمر الذوابل وهو يقتضى الارواح بغير سوم ويقتضى الصفاح على

على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على ملء بصره منه ولا ادراكه كيف هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ والامواج تصغر والخب يسكن ثم لا يرى ذلك النور فيفقدونه فلا يرى كيف أقبل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل النجاة وما ذكرنا لا تنا كر فيه عند أهل البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم ممكن غير ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا فى مقدور البارى جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفى هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار على البر ارحجارة وزالت عنه الحيوانية ويدخل تلك الحجارة فى أكحال العين وأدويتها وأمره مستفيض أيضا والبحر الصين أيضا وهو السابع المعروف بصنجى أخبار عجيبة وقد أتينا على جمل من اخباره وأخبار ما اتصل به من البحار فيما سلف من كتبنا وأسلفنا من تصنيفنا فى هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجمل من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلى البحر ممالك تعرف ولا توصف الا بلاد السيلى وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء

كرووم رينلف من ينساق للخلافة وينقاد ويخف منهم كل كوكب وقاد حتى استبد واعرب وأنس اسمه من الطاعة مانفروشرد وانتظمت له الاندلس بالعدوة واجتمعت فى مالقه اجتماع قريش بدار الندوة ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة ولم يدع السمع لخليفته والاجابة ظاهر يخالفه الباطن واسم تنافره مواقع الحكم والمواطن وأذل قبائل الاندلس باجازة البرابر وأخمل بهم أولئك الاعلام الاكابر فانه قاومهم بأضدادهم واستكثر من اعدادهم حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا عنهم الظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذى اعاد أكثر الاندلس قفرا يبابا وملاها وحشا وذئابا واعراها من الامان برهة من الزمان وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الاندلس وحد السرور بهما والتأنس وغزواته فيها شائعة الاثر رائعة كالسيف ذى الاثر وحسبه وافر ونسبه معافر ولذا قال يعفر رميت بنفسى الابيات وزاد هنا بعد قوله وابيض باتر بيتا وهو

والى لزجاء الجيوش الى الوغى * اسود تلاقيها اسود خوادر

وكانت امه تميمية فحاز الشرف بطرفيه والتحف بطرفيه ولذا قال القسطلى فيه

تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلالا فى العلا وبدور
من الحميريين الذين اكفهم * سحائب تهمى بالندى وبحور

وتصرف قبل ولايته فى شتى الولايات وجاء من التحدث بمنتهى أمره بآيات حتى صح زجره وجاء بجيده نحره تؤثر عنه فى ذلك أخبار فيها عجب واعتبار وكان أديبا محسنا وعالما متفننا فمن ذلك قوله يمنى نفسه بملك مصر والحجاز ويستدعى صدور تلك الاعجاز

منع العين ان تذوق المناما * حبها أن ترى الصفا والمقاما
لى ديون بالشرق عند اناس * قد احلوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الامانى والا * جعلوا دونها رقابا وهاما
عن قريب ترى خيول هشام * يبلغ النيل خطوها والشآما

انتهى ما نقله من المطمح * وفى المنصور المذكور ايضا قال بعض مؤرخى المغرب مازجا كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكر استعانته ببعض الناس على بعض وذكر قتله لجعفر بن عثمان فقال بعده ما صورته ثم انفرد بنفسه وصار ينادى هل من مبارز فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف له فيها ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط فى حرب شهدها وما توجهت عليه هزيمة وما انصرف عن موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الاعداء وواجه من الامم وانها لخاصة ما احسب احدا من الملوك الاسلامية شاركه فيها ومن أعظم ما اعين به مع قوة سعده وتمكن جده سعة جوده وكثرة بذله فقد كان فى ذلك أعجوبة الزمان وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق وانتشر عليه لواء السعد وخفق حط صاحبه المصحفى وأثار له كامن حقده الخفى حتى اصاره للهموم لبيسا وفى غيابات السجن حبيسا فكتب اليه يستعطفه بقوله

هبنى أسأت فاين العفو والكرم * اذ قادنى نحوك الاذعان والندم

أحد من العراق ولا غيره خرج منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس وأعلها ما هنالك من أهل الصين وملوكها والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع وقد قيل انهم من عمران ولد عابر و ... واغفالك على ... من ... كرنا من سكنى أهل الصين فى بلادهم ولاهل الصين انهار كبار مثل دجلة والفرات تجرى من بلاد الترك والتبت والصغد وهى بين بخارى وسمرقند وهنالك جبال النوشادر فاذا كان فى الصيف رؤيت فى الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة ... ويرى بالنهار ... منها الدخان لغلبة شعاع الشمس وضوء النهار ومن هنالك يحمل النوشادر فاذا كان فى أول الشتاء من أراد من بلاد خراسان ان يسلك الى بلاد الصين صار الى ما هنالك وهنالك واد بين تلك الجبال طوله أربعون ميلا أو خمسون فيأتى الى أناس هناك على فم الوادى فيرغبهم فى الاجرة النفيسة فيحملون ما معه على اكتافهم وبأيديهم لعصى يضربون جنبيه خوفا أن يقف فيموت من كرب الوادى وهوله حتى يخرجون الى ذلك الرأس من الوادى وهنالك غياض ومستنقعات ليلا فيطرحون أنفسهم فى ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ولا يسلك ذلك

با

يا خير من مدت الايدى اليه أما * ترثى لشيخ رماه عندك القلم
بالغت فى الحط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فما زاده ذلك الا حنقا وحقدا وما أفادته الابيات الا تصرما ووقدا فراجعه بما أيأسه وأرام مسه وأطبق عليه محبسه وضيق تروحه من المحنة وتنفسه

الآن يا جاهلا زلت بك القدم * تبغى التكرم لما فاتك الكرم
أغريت بى ملكا لولا تثبته * ما جاز لى عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش اذ قد صرت فى طبق * ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا
نفسى اذا سخطت ليست براضية * ولو تشفع فيك العرب والعجم

وكان من أخباره الداخلة فى أبواب البر والقربة بنيان المسجد الجامع الى أن قال ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وفرغ منها فى النصف من سنة تسع وسبعين وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا فى مناقبه الجليلة وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فأمر المنصور أمناءه بارضائه فيها فحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وأن المنصور لا يريد الا انصافه فيها فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنه أنها لا تخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهبا كانت عنده أقصى الامنية وشرطها صحاحا فاغتنم الامناء غفلته ونقدوه الثمن وأشهدوا عليه ثم أخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وأنف من غبنه وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا فكاد أن يخرج من عقله وان يجن عند قبضها من الفرح وجاء محتفلا فى شكر المنصور وصارت قصته خبرا سائرا (ومن ذلك أيضا) بناء قنطرة على نهر أستجة وهو نهر شنيل وتجشم لها أعظم مؤنة وسهل الطريق الوعرة والشعاب الصعبة (ومن ذلك أيضا) انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه فى أسفاره وغزواته يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما على بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره فى حنوطه وكان يحملها حيث سار مع اكفانه توقعا لحلول منيته وقد كان اتخذ الاكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه فى طريق الجهاد فكان كذلك وكان متسما بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة جهاده واذا ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر ولم يزل متنزها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر لكنه أقلع عنها قبل موته بسنتين وكان عدله فى الخاصة والعامة وبسط الحق على الاقرب فالاقرب من خاصته وحاشيته أمرا مضروبا به المثل * (ومن عدله) انه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه فنادى يا ناصر الحق ان لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل محل عنده ثم قال وقد دعوته الى الحاكم فلم يأت فقال له المنصور أو عبد الرحمن بن الفطيس بهذا العجز والمهانة وكنا نظنه أمضى من ذلك اذكر مظلمتك يا هذا فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما

الطريق شئ من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا فى الصيف فلا يسلك ذلك الوادى داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء وقع فى ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادى والبهائم لا صبر لها على ما ذكرناه من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب بالعصى والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذى ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفى غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا أن ذلك فى خفارات أنواع من الترك وقد رأيت عدينه رجلا شيخا جميلا ذا رأى وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين وبلاد خراسان والسند يلى بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان وهى بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس فى أنسابهم فمنهم من ألحقهم بولد يافث بن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى فى نسل طويل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب

منه بهامن غير نصف فقال المنصور ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلبي وقد ذهل عقله فقال له ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا واسا وخصمك في مقامه حتى يرفع الحق أو يصطلحا ففعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته الخاص به خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انتصفت أنت اذهب لسبيلك وبقي انتصافي أنا ممن تهاون بعز أي فتناول الصقلبي بانواع من المذلة وأبعده عن الخدمة * (ومن ذلك) قصة فتاه الكبير المعروف بالبورقي مع التاجر المغربي فانهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور وهو يومئذ أكبر خدم المنصور واليه أمر داره وحرمه فدافع الحاكم وظن أن جاهه يمنع من احلافه فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه الى الجامع متظلما من الفتى فوكل به في الوقت من حمله الى الحاكم فأنصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه ونفاه *(ومن ذلك) قصة محمد فصاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه فان المنصور احتاجه يوما الى الفصد وكان كثير التعهد له فأنفذ رسوله الى محمد فألفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته قدر أن سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته أمر باخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه الى أن يفرغ من عمله عنده ثم يرده الى محبسه ففعل ذلك على مارسمه وذهب الفصاد الى شكوى ماناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضي وهو في عدله ولو أخذني بالحق ما أطقت الامتناع منه عد الى محبسك واعترف بالحق فهو الذي يطلقك فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبعث قصته للقاضي فصالحه مع زوجته وزاد القاضي شدة في أحكامه * وقال ابن حيان انه كان جالسا في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر فدعا بأحد الفرسان وقال له انهض الآن الى فج طالس وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه الي قال فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب فقال له الفارس الى أين تريد ياشيخ فقال وراء حطب فقال الفارس في نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فماذا عسى أن يريد المنصور منه قال فتركته فسار عني قليلا ثم فكرت في قول المنصور وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال له وماذا عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي سألتك بالله أن تتركني أذهب لطلب معيشتي فقال له الفارس لا أفعل ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك فقال المنصور للصقالبة فتشوه ففتشوه فلم يجدوا معه شيأ فقال فتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى ليقدموا ويحملوا الى احدى النواحي الموطوءة فلما انبلج الصبح أمر باخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة فضربت أعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم ثم ذكر هذا المؤرخ قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ولكنا رأينا اعادتها بلفظ هذا المؤرخ لانه أتم سياقا اذ قال عطفا على دهاته ومن ذلك قصة الجوهري التاجر وذلك ان رجلا

عليهم حمير وفيهم بعض موجود في أحبار التبابعة ولهم حصون وقصور وبلدانهم ترك لا تدرك كثرة ولا يعلم أحد من ... الا ... وهم ... في سائر أجناس ... لان ... كان منهم في ... ووجد ... أن ... ويرجع ... خواص ... في هوائها ... ولا ... أبدا ... ولا ... له الاخر ولا ... ولا تحصى عجائب ... وزهرها ومروجها وهوائها وانهارها في بلاد تقرى ... على ... وغيره ولا ... في هذا البلد ... ولا ... في ... والشباب ولا حداث عام وفي أنهار قطع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع ... الرقص حتى ان البيت ... لا ... داخل أهله ... كثير من الحزن مما ... من سائر الناس ... مطلوب ... من كثير من بعضهم على بعض والتهتك ... في سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى ... ثبت فيها ورتب

جوهريا من تجار المشرق فقصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهرى صرته وكانت قطعة يمانية فأخذ التاجر فى انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما توسطها واليوم قائظ وعرق فمنصب دعته نفسه الى التبرد فى النهر فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط فمرت حدأة فاختطفت الصرة تحسبها لحما وصاعدت فى الافق بها ذاهبة فقطعت الافق الذى منظر اليه عين التاجر فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة فأسر الحزن فى نفسه ووجمه لاجل ذلك عقله واضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه واستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة فسأله المنصور عن شانه فاعلمه بقصته فقال له هلا أتيت الينا بحدثان وقوع الامر فكنا استظهرنا على الحيلة فهل هديت الى الناحية التى أخذ الطائر اليها قال مر مشرقا على سمت هذا الجبل الذى يلى قصرك يعنى الرملة فدعا المنصور شرطيه الخاص به فقال له جئنى بمشيخة أهل الرملة الساعة ففعل وجاءبهم سريعا فأمرهم بالبحث عمن غير حال الاقلال منهم سريعا وانتقل عن الاضاقة دون تدريج فتناظروا فى ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بايديهم ويتناولون السبق باقدامهم عجز عن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده كسوة متوسطة فأمر باحضاره من الغد وأمر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدى المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به قال هو ذا يا مولاى وضرب بيده الى حجزة سراويله فاخرج الصرة بعينها فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صف لى حديثها فقال بينما أنا أعمل فى جنانى تحت نخلة اذ سقطت أمامى فاخذتها وراقنى منظرها فقلت ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاجترت بها ودعتنى فاقتى الى أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلت أقل ما يكون فى كرم مولاى أن يسمح لى بها فأعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرتك وانظرها واصدقنى عن عددها ففعل وقال وحق رأسك يا مولاى ما ضاع منها شئ سوى الدنانير التى ذكرها وقد وهبتها له فقال له المنصور نحن أولى بذلك منك ولا ننغص عليك فرحك ولولا جمعه بين الاضرار والاقرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجنانى بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدأتنا بالاعتراف قبل البحث لاوسعناه جزاء قال فأخذ التاجر فى الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال والله لابثن فى الاقطار عظيم ملكك ولابينن أنك ملك طير أعمالك كما ملك أنفسها فلا تعتصم منك ولا تمتنع ولا تؤذى جارك فضحك المنصور وقال اقصد فى قولك يغفر الله لك فعجب الناس من تلطف المنصور فى أمره وحيلته فى تعرف كربه ⁂ (ومن ذلك) غزوة المنصور لمدينة شنت ياقب [٣] قاصية غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتصل بها من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليها يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحوارى أحد الاثنى عشر وكان أخصهم بعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم يسمونه

وقد افتخر دعبل بن على الخزاعى بذلك فى قصيدته التى ناقض فيها الكميت ويفتخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند
وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر فى باب اخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا فى قديم الزمن يسمون ملوكهم تبعا لاتباع اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر ضرب ضرباته وتغيرت لغاتهم عن الحميرية وحالت الى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الامم وسموا ملوكهم بخاقان وفى بلادهم الارض التى بها ظباء المسك التبتى الذى يفضل على الصينى بجهتين احداهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وانواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من انواع حشائش الطيب التى ترعاه التبتية والجهة الاخرى ان اهل التبت لا يتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ماهو به واهل الصين يخرجونه عن النوافج

٣ قوله ياقب الذى فى تقويم البلدان لابى الفداء بادو اه مصححه

اخاه للزومه اياه و يافب يسالهم يعقوب وكان أسقفا ببيت المقدس فجعل يستقرى الارضين داعيا لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى أرض الشام فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية فاحتمل أصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التى كانت أقصى أثره ولم يطمع أحد من ملوك الاسلام فى قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها

خرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وهى غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة فى رجالهم وعلى أتم احتفالهم فصاروا فى عسكر المسلمين وركبوا فى المغاوزة سبيلهم وكان المنصور تقدم فى انشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر أبى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجالة البحريين وصنوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج بموضع برتقال على نهر دويرة فدخل فى النهر الى المكان الذى عمل المنصور على العبور منه فعقد هنالك من هذا الاسطول جسرا بقرب الحصن الذى هنالك ووجه المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى أرض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع أرضين متباعدة الاقطار وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم أفضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبروا بعده وادى منية وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وأرضين واسعة وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلايه وغنموه وعبروا سباحة الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرين أرشدالادلاء اليهما ثم نهر أيلة ثم أفضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصده نساكهم من أقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من أهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تغن بالامس وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير أهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقب وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله فجعل فى طريقه القصد على عمل برمند بن اردون يستقربه عائثا ومفسدا حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى

ويجد العنبر بالشم ونبره من انواع الغش وان الصينى ايضا يقطع به ماوصفنا من مسافة البحار وكثرة الانداء واختلاف الاهويه وان عدم من اهل الصين الغش فى مسكهم وأودع برانى الرجاج واحكم وأورد الى بلاد الاسلام من عمان وفارس والعراق وغيرها من الامصار كان كالتبتى واجود المسك وصيده ماخرج من الظباء بعد بلوغه النهاية فى النضج وذلك انه لافرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك فى الصورة والشكل واللون والقرن وانما تتبين تلك بانياب لها كانياب الفيلة لكل ظبى نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان نحو الشبر واقل واكثر فتنصب لها فى بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك والشباك فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم فى سررها خام لم ينضج وطرى لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أبينت عن الاشجار وقطعت قبل استحكام نضجها فى شجرها واستكمال موادها فيه وخير المسك ما تم فى وعائه وأدرك فى سرره واستحكم فى حيوانه وتمت مواده فى ذلك أن

خرج على حصن بليقية من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بجملتهم على أقدارهم وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكساءين عبريين واحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريشا وسبعة انماط ديباج وثوبي ديباج رومي وفروي فنك ووافى جميع العسكر قرطبة غانما وعظمت النعمة والمنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب وأمر بالكف عنه قال وحدث شعلة قال قلت للمنصور ليلة اطال سهره فيها قد أفرط مولانا في السهر وبدنه يحتاج الى أكثر من هذا النوم وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب فقال يا شعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعية ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور * وقد رأيت أن أذكر هنا أخبارا نقلتها من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة (قال في الزهرة التاسعة والعشرين) تقدم الى المنصور واترمار بن أبي بكر البربري والى أحد جنود المغاربة وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاص بالناس فقال له بكلام يضحك الثكلى يا مولاي مالي ولك أسكني فاني في العرص فقال وما دارك يا واترمار وأين دارك الواسعة الاقطار فقال أخرجتني عنها والله نعمتك اعطيتني من الضياع ما انصب على منها من الاطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها وأنا بربري مجوع حديث عهد بالبؤس اتراني أبعد القمح عني ليس ذلك من رأيي فتطلق المنصور وقال لله در من فذعي لعيك في شكر النعمة ابلغ عندنا وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد وبليغ متفنن واقبل على من حوله من أهل الاندلس فقال يا أصحابنا هكذا فلتشكر الايادي وتستدام النعم لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم والتشكي المبرح وأمر له بأفضل المنازل الخالية * (وفي الموفية ثلاثين) ما نصه أصبح المنصور صبيحة أحد وكان يوم راحة للخدمة الذي أعفوا فيه من قصد الخدمة في مطر وابل غب أيام مثله فقال هذا يوم لا عهد بمثله ولا حيلة للواظبين لقصدنا في مكابدته فليت شعري هل شذ أحدهم عن التقرير فاغرب في البكور اخرج وتأمل يقوله لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال يا مولاي على الباب ثلاثة من البرابرة ابو الناس بن صالح واثنان معه وهم بحال من البلل انما توصف بالمشاهدة فقال أوصلهم الي وعجل فدخلوا عليه في حال الملاح بللا ونداوة فضحك اليهم وادنى مجلسهم وقال خبروني كيف جئتم وعلى أي حال وصلتم وقد استكان كل ذي روح في كنه ولاذ كل طائر بوكره فقال له أبو الناس بكلامه يا مولانا ليس كل التجار قعد عن سوقه واذا اعذر التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن أعذر بادرا كما بالبدر ومن غير رؤس الاموال وهم يتناوبون الاسواق على أقدامهم ويذيلون في قصدها ثيابهم ونحن نأتيك على خيلك ونذيل على صهواتها ملابسك ونجعل الفضل في قصدك مضمونا اذ جعله أولئك طمعا ورجاء فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعا بالكسا والصلات فدفعت لهم وانصرفوا مسرورين بغدوتهم * (وفي الزهرة الرابعة والاربعين) ما نصه كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فتى من أهل الادب قد رقت

الطبيعة تدفع مواد الدم الى السر فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج آذاه ذلك وحكه فيفزع حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيتحكك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الخراج والدمل ونضج ما فيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ ما في نافجته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم وتجتمع ثانية ككونه بدأ فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وانضجته الطبيعة في حيوانه وجففته الشمس وأثر فيه الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها معدة معهم فذلك الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويحمله التجار في النادر من بلادهم وللتبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر في الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانها أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وأثبتهم قدما وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا

حدث بشيء من الطلب وتعلق بكتاب العمل واختلف الى الخزانة مدة حتى تقلد بعض الاعمال فاستهلك كثيرا من المال فلما ضم الى الحساب ابرز عليه ثلاثة آلاف دينار فرفع خبره الى المنصور فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه ولزم الاقرار بما ابرز عليه قال له يا فاسق ما الذي جرأك على مال السلطان تنتهبه فقال قضاء غلب الرأي وفقر أفسد الامانة فقال المنصور والله لاجعلنك نكالا لغيرك ليحضر كبل وحداد فاحضر فكبل الفتى وقال احملوه الى السجن وأمر الضابط باعناته والشدة عليه فلما قام أنشأ يقول

اواه أواه وكم ذا ارى * أكثر من تكرار اواه
ما لامرئ حول ولا قوة * الحول والقوة لله

فقال المنصور ردوه فلما رد قال أتمثلت أم قلت قال بل قلت فقال حلوا عنه كبله فلما حل عنه أنشأ يقول

أما ترى عفو أبي عامر * لابد ان يتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

وأمر باطلاقه وسوغه ذلك المال وأبرأه من التبعة فيه * (وفي الخامسة والاربعين) عرض على المنصور بن أبي عامر اسم أحد خدمه في جملة من طال سجنه وكان شديد الحقد عليه فوقع على اسمه بان لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بامه الهاويه وعرف الرجل بتوقيعه فاهتم واغتم وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة فأرق المنصور اثر ذلك واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان يأتيه عند تنويمه آت كريه الشخص عنيف الاخذ يأمره باطلاق الرجل ويتوعده على حبسه فاستدفع شأنه مرارا الى أن علم انه نذير من ربه فانقاد لامره ودعا بالدواة في مرقده فكتب باطلاقه وقال في كتابه هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر وتحدث الناس زمانا بما كان منه * (وفي السادسة والاربعين) مما انتهت هيبة المنصور بن ابي عامر وضبطه للجند واستخدامه ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصل لها ملك قبله فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل اطراق فرسانها فلا تكثر التصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال علي بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال اني أشرت به الى صاحبي مغمدا فدلق من غمده فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه * (وفي السابعة والاربعين) ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج الى الكي فأمر الذي يكويه بذلك وهو قاعد في موضع مشرف على أهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويفري الفري في أموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم فتعجبوا من ذلك وهو غير مكترث * (وأخباره رحمه الله تعالى) تحتمل مجلدات فلنمسك العنان على أنا ذكرنا في الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من أخباره رحمه الله تعالى فلتراجع الى آخره * (وفي الثامنة والاربعين) وكان مما أعين به المنصور على الصحفي ميل الوزراء اليه وايثارهم اياه عليه وسعيهم في

انوشروان وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته في العالم منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم يتلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عند ملوك الاكاسرة ان الحكمة من الهند بدؤها ثم يتلوه في المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس في ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلوه ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغر من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس في ملوك العالم أشد باسا من رجاله ولا أشد استشفاء منهم على سفك الدماء ولا أكثر خيلا منه ومملكته ورز بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم أيرجان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى مملكته الا انه ليس فيها من يداني مملكته ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس في ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى وقد قال ذو عناية بأخبار

ترقيه وأخذهم بالعصبية فيه فانها وان لم تكن حمية أعرابية فقد كانت سلفية طائية يقتفى القوم فيها سبيل سلفهم ويحفلون بها ابتذال شرفهم غادروها سيرة وتخذوها عادة أثيرة تشاح الخلف فيها تشاح سلفهم أهل الديانة وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة ورأوا ان أحدا لا يلحق فيها غاية ولا يتعاقد لها راية فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من أثرته حيث وضعه وهو نزيع بينهم ونابع فيهم حسدوه وذموه وخصوه بالمطالبة وعموه وكان أسرع صنف الناس نفقة من أعالى الوزراء وأعاظم الدولة على معاودة المنصور عليه والانحراف عنه آل أبى عبيدة وآل شهيد وآل وصس من الخلفاء وأصحاب السدانة من أولى الشرف والامانة وكانوا فى الوقت ازمة الملك وقوام الخدمة ومصابيح الامة وأغير الخلق على جاه وحرمة فأحظوا محمد بن أبى عامر متابعة وبعض أسبابه الجامعة متابعة وشادوا بناءه وقادوا الى عنصره سناءه حتى بلغ الامل والخف بناءوا كتحل وعند انتظام هذه الامور لابن أبى عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثه وأيقن بالنكبه وزوال الحال وانتقال الرتبة وكف عن اعتراض محمد وشركته فى التدبير وانقبض الناس من الرواح اليه والتبكير وانثالوا على ابن أبى عامر فخف موكبه وغار من سماء العز كوكبه وتوالى عليه سعى ابن أبى عامر وطلبه الى أن صار يغدو الى قرطبة ويروح ولبس بيده من الحجابة الا مجرد اسمها وابن ابى عامر مشتمل على رسمها حتى محاه وهتك ظله وأضحاه قال ابن اسمعيل رأيته يساق الى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلا فأقبل يدرم وجوارحه باللواعج تضطرم ووابق الدائن ينهره والزمع يقهره والبهر والنفس قد هاضاه وقصر اخطاه فسمعته يقول رفقا بى فستدرك ما تحبه وتشتهيه وترى ما كنت ترتجيه ويا ليت أن الموت يباع فأغلى سومه حتى يرده من اطال عليه حومه

لا تأمنن من الزمان تقلبا * ان الزمان بأهله يتقلب

ولقد أرانى والليوث تخافنى * فأخافنى من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلة ومهانة * أن لا يزال الى لئيم يطلب

فلما بلغ المجلس جلس فى آخره دون أن يسلم على أحد أو يومئ اليه بعين أو يد فلما أخذ مجلسه تسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنفه واستجهله وأنكر عليه ترك السلام وجعفر معرض عنه الى أن كثر القول منه فقال له يا هذا جهلت المبرة فاستجهلت معلمها وكفرت النعم فقصدت بالاذى ولم ترهب معدمها ولو أتيت نكرا لكان غيرك أدرى وقد وقعت فى أمر ما أظنك تخلص منه ولا يسعك السكوت عنه ونسيت الايادى الجميلة والمبرات الجليلة فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البهت بعينه وأى أياديك الغر التى منت بها وعيت اداء واجبها أيد كذا أم يد كذا وعين أشياء أنكرها منه أيام امارته وتصرف الدهر طوع اشارته فقال جعفر هذا ما لا يعرف والحق الذى لا يرد ولا يصرف رفعى القطع عن يمناك وتبليغى لك الى مناك فأصر محمد بن حفص على الجحد فقال جعفر أنشد الله من له علم بما أذكره الا اعترف به فلا ينكره وأنا أحوج الى السكوت ولا تحجب دعوتى فيه عن الملكوت فقال الوزير أحمد بن عباس قد كان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن

اندار دار ان ابوان وعمدان والاثلث ملك كان ساسان وقهستان والارض فارس والاقليم بابل والـ اسلام مكة والدنيا خراسان والجانبان العليان لالد حسنا منها بخارى وبلخ الشاه اران والبيلقان وطبرستان مادرها والسين سروانها والجيل جيلان قد رتب الناس فيها فى مراتبهم دربان وبطريق وطرخان للفرس كسرى والروم القيصر والـ حبش النجاشى والاتراك خاقان وصاحب صقليه وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لزريق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاسبان وهم أمة من ولد يافث بن نوح واتصلت هنا لك والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين أن لزريق كان من ملوك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لزريق الذى كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت

وغير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك فقال أحرجني الرجل فتكلمت وأحوجني الى ما به أعلمت فأقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال أسأت الى الحاجب وتوجهت عليه بغير الواجب أوما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه لانه ان وعى ألزمهم الرد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وان فعلوا طاف بهم من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لانه تأنيس لمن أوحش وتأمين لمن أخاف وان تركوا الرد أسخطوا الله فصار الامساك أحسن ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن فانكسر ابن حفص وخجل مما أتى به من النقص وبلغه أن قوما توجعوا له وتفجعوا لما وصله فكتب اليهم

أحن الى أنفاسكم فأظنها * بواعث أنفاس الحياة الى نفسي
وان زمانا صرت فيه مقيدا * لأثقل من رضوى وأضيق من أمس

انتهى ما ترجم به المنصور بن أبي عامر ولنرجع فنقول ولما توفى المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان فجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه أعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفرا الى أن مات سنة تسع وتسعين وثلثمائة في المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين وكاتبه المعز بن زيري ملك مغراوة بعد أن استرجع فاس والمغرب اثر موت أبيه فكتب اليه العهد على المغرب وثارت الطوائف في ممالكهم وتحركت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم (قال ابن خلدون) ثم قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقيل بالمأمون وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فاجابه وأحضر لذلك الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا وكتب عهده من انشاء أبي حفص بن برد بما نصه هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الامة علما تأوي اليه وملجأ تنعطف عليه أن يكون يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن أداء الحق اليها ونقص عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يسند هذا الامر اليه ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحري للحق والزلفى الى الله جل جلاله بما يرضيه وبعد أن قطع الأواصر وأسخط الأقارب فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهده ويفوض اليه الخلافة بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب الناصح الجيب أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه الله اذ كان أمير المؤمنين أيده الله تعالى قد ابتلاه واختبره ونظر في شأنه واعتبره فرآه مسارعا الى الخيرات سابقا في الحلبات مستوليا على الغايات جامعا للمأثرات ومن كان المنصور

قصبة الاندلس ودار مملكتهم ويشقها نهر عظيم يدعى ناجة يخرج من بلاد الجلالقة والوسقيد وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة وبين هذا النهر في البحر [illegible] وهو موصوف بأنه من أعمار العالم وعليه على بعد منها قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة وهي من البنيان المذكور والموصوف أعجب من قنطرة [illegible] من الثغر الجزري مما يلي سرقسطة من بلاد سرحة ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها أسوار منيعة وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للأمويين اليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان غير كثير من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو

أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه ويحوى من خلال الخير ما حواه مع أن امير المؤمنين أيده الله بما اطلع من مكنون العلم ووعاه من مخزون الاثر يرى أن يكون ولى عهده القحطانى الذى حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصى وأبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختبار وتقابلت عنده فيه الآثار ولم يجد عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور فى حياته وفوض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازه وأنجزه وأنفذه ولم يشرط فيه مثنويه ولا خيارا واعطى على الوفاء به فى سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذمم الخلفاء الراشدين من آبائه وذمة نفسه أن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول وأشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا واشهد وهو جائز الامر ماضى القول والفعل بمحضر من ولى عهده المأمون أبى المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى وقبوله ما قلده والزامه نفسه ما ألزمه وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم وتسمى بعدها بولى العهد * ونقم عليه أهل الدولة ذلك فكان فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهة لذلك الامويين والقرشيين فغصوا بامره واسفوا من تحويل الامر جملة من المضرية الى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم وغشت من بعض الى بعض رجالاتهم واجمعوا أمرهم فى غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة فى غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وخلعوا هشاما المؤيد * وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن امير المؤمنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفاء ولقبوه المهدى بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه من الثغر فانفض جمعه وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسلل عنه الناس من الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدى القائم بالامر وأغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ماجنا مستهترا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبض عليه واحتز رأسه وحمله الى المهدى والى الجماعة وذهبت دولة العامريين كأن لم تكن ولله عاقبة الامور وفى المهدى يقول بعضهم

قد قام مهديا ولكن * عدله الفسق والمجون
وشارك الناس فى حريم * لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجام * فاليوم قد صار ذا قرون

وكان رؤساء البربر وزناتة لحقوا بالمهدى لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض أمره وكانت الاموية تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلب المنصور وغيره على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا ما لهم من العصبية لاستأصلهم الناس ولفظت ألسنة الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وأمر المهدى أن لا يركبوا ولا يتسلحوا ورد بعض رؤسائهم فى بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامة دورهم وشكا

من ثلاثة أيام ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بامير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن ابن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس فى سنة سبع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام ابن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحوا من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت فسماه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة فى أزيد من مائة ألف فارس من الناس حتى نزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سموره عليها سبعة اسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة بين الاسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء

بعض هم الى المهدى ما أصابهم فاعتذر وقتل من اتهم من العامة فى أمرهم وهو مع ذلك مظهر لبعضهم بحاثر سوء الثناء عليهم وبلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشت رجالاتهم وأسروا نجواهم وتشوروا فى تقديم هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين الناصر وفشا فى الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وأزعجوهم عن المدينة وتقبض على هشام واخيه أبى بكر واحضرا بين يدى المهدى فضرب أعناقهما ولحق سليمان ابن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوامروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض فى جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدى فى كافة أهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفا وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم ودخل المستعين قرطبة ختام المائة الرابعة ولحق المهدى بطليطلة واستجاش بابن أدفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة أعنى المهدى وملكها وخرج المستعين مع البربر فرقوا فى البسائط ينهبون ولا يبقون على احد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدى ومعه ابن أدفونش لاتباعهم فكروا عليهم فانهزم المهدى وابن ادفونش ومن معه من المسلمين والنصارى واتبعهم المستعين الى قرطبة فأخرج المهدى هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بأمر حجابته ظنا منه ان ذلك ينفعه وهيهات وحاصرهم المستعين والبربر فخشى أهل قرطبة من افتحامهم عليهم فاغروا أهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدى وان الفتنة انما جاءت من قبله وتولى كبر ذلك واضح العامرى فقتلوا المهدى واجتمع الكافة على المؤيد وقام واضح بحجابته واستمر الحصار ولم يغن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيأ الى أن هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعدمت المرافق وجهدهم الحصار وبعث المستعين الى أهل ادفونش يستمدهم لمظاهرته فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك بأن ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التى كان المنصور افتتحها فسكن عن مظاهرتهم عزم ادفونش ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة وقتل هشام سرا ولحق بيوتات قرطبة معرة فى نسائهم وابنائهم وظن المستعين أن قد استحكم امره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد الواسعة مثل باديس بن حبوس فى غرناطة والبرزالى فى قرمونة واليفرنى فى رندة وخزرون فى شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف فى آخرين من اهل الدولة مثل ابن عباد باشبيلية وابن الافطس ببطليوس وابن ذى النون بطليطلة وابن أبى عامر ببلنسية وابن هود بسرقسطة ومجاهد العامرى بدانية والجزائر قال ابن خلدون وكان ماثلا لبنى حمود هجو سليمان المستعين

لارحم الله سليمانكم * فانه ضد سليمان
ذاك به غلت شياطينها * وحل هذا كل شيطان
فباسمه ساحت على أرضنا * لهلك سكان واوطان

ومن عرف أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وكانت للجلالقة والوسكند على المسلمين وآخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى لاد بجيه مدينة أربونة خرجت من أيدى المسلمين من مدن ثغور الاندلس وثغورها سنة ... ين وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل البحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا الى الشمال افراغة على نهر عظيم ثم لاردة ثم بلاد من هذه الثغور انها الذى الى سرقسطة وهى أيضا من مواضع الاندلس وقد كان قبل الثلثمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم فى هذا البحر فى كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر مايطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد أصيب فى البحر الرومى فيما *(وكان

*(وكان من أعظم الاسباب) في فساد دولة المستعين أنه قال هذه الابيات مسترنحا بها الى خواصه وهي قوله

حلفت بمن صلى وصام وكبرا * لاغمدها في من طغى وتجبرا
وأبصر دين الله تحيا رسومه * فيبدل ما قد كان منه وغيرا
فوا عجبا من عبشمي مملك * برغم العوالي والمعالي تبربرا
فلو أن أمري بالخيار نبذتهم * وحاربتهم بالسيف حكما محررا
فاما حياة تستلذ بفقدهم * واما حمام لا ترى فيه مأزرا

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المرواني فقال

قد بلغ البربر فينا بنا * ما أفسد الاحوال والنعما
كالسهم للطائر لولا الذي * فيه من الريش لما اصمى
قوموا بنا في شأنهم قومة * تزيل عنا العار والرغما
اما بها نملك أو لا نرى * ما رجع الطرف به أعمى

وكان علي بن حمود الحسني واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وبانيها قد أجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصوصب عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين ومحوا ملك بني أمية واتصل ذلك في خلفهم سبع سنين ثم رجع الملك الى بني أمية وكان المستعين المذكور أديبا بليغا ومن شعره يعارض هرون الرشيد في قوله *ملك الثلاث الآنسات عناني* الابيات قوله

عجبا يهاب الليث حد سناني * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري * من فوق أغصان على كثبان
حاكمت فيهن السلو الى الهوى * فقضى بسلطان على سلطاني
هذي الهلال وتلك بنت المشتري * حسنا وهذي أخت غصن البان
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني * في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل في الهوى * ذل الهوى عز وملك ثاني
ما ضر أني عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبداني
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى * كلفا بهن فلست من مروان

(وولي) الامر بعده ابن حمود الحسني تلقب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضى أخا المهدي ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلي بن حمود نحو عامين الى أن قتلته صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة فولي مكانه أخوه القاسم وتلقب بالمأمون ونازعه الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ثنتي عشرة وأربعمائة وتلقب المعتلي وفر عمه المأمون الى اشبيلية وبايع له

بين جزيرة اقريطش الواح المراكب الساج المثقبة المخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الامواج في مياه البحار وهذا لا يكون الا في البحر الحبشي لان مراكب بحر الرومي والمغرب تسمر بالمسامير ومراكب الحبش لا يثبت فيها الحديد لان ماء البحر يذيب الحديد فتدق المسامير في الالواح وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة وهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وأن البحر مما يلي الصين وبلاد السلي يدور على بلاد الترك ويفضي الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر يقذف به البحر وهذا من المستنكر في البحر الرومي الذي لم يعهد فيه في قديم الزمان مثل ذلك ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من الواح مراكب البحر الصيني والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصي أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذوو العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض

لقى بنى ابن عباد واستجاش بعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة وملكها ثم لحق المعتلى بمكانه من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة من وراء البحر وكان المأمون يعتدها حصنا لنفسه وفيها ذخائره فلما بلغه الخبر اضطرب وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج فحاصرهم فدافعوه ولحق باشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فأخرجوه اليه وضبطوا البلد واستبد ابن عباد بملكها ولحق المأمون بشريش ورجع عنه البربر الى يحيي المعتلى ابن اخيه فبايعوه سنة خمس عشرة وزحف الى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند أخيه ادريس بمالقة الى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين وقيل انه خنق كما يأتى واستقل المعتلى بالامر واعتقل بنى عمه القاسم وكان المستكفى من الامويين استولى على قرطبة فى هذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية ثم خلع أهل قرطبة المستكفى الاموى سنة ست عشرة وصاروا الى طاعة المعتلى واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله ثم نقضوا سنة سبع عشرة وصرفوا عاملهم وبايعوا المعتلى الاموى أخا المرتضى وبقى المعتلى يردد لحصارهم العساكر الى ان اتفقت الكلمة على اسلام الحصون والمدائن له فعلا سلطانه واشتد أمره الى أن هلك سنة تسع وعشرين اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الثائر باشبيلية فاستدعى أصحابه أخاه ادريس بن على من سبتة وملكوه ولقبوه المتأيد وبايعته رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء وبعث عساكره لحرب ابى القاسم اسمعيل بن عباد والد المعتضد بن عباد فجاؤه برأسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة احدى وثلاثين وبويع ابنه يحيي ولم يتم له أمر وبويع حسن المستنصر بن المعتلى وفر يحيي الى قمارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين ويقال انه قتله نجا وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه ادريس ثأرت منه بأخيها وكان ادريس بن يحيي المعتلى معتقلا بمالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها فأطاعته غرناطة وقرمونة ولقب العالى وهو الممدوح بالقصيدة المشهورة بالمغرب التى فالها فيه ابوزيد عبد الرحمن بن مقانا القبذاقى الاشبونى من شعراء الذخيرة وهى

البرق لائح من أندرين * ذرفت عيناك بالماء المعين
لعبت أسيافه عارية * كمخاريق بأيدى اللاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين * ولقلبى زفرات وانين
وأناجى فى الدجى عاذلتى * ويك لا أسمع قول العاذلين
عيرتنى بسقام وضنى * ان هذين لدين العاشقين
قد بدا لى وضح الصبح المبين * فاسقنيها قبل تكبير الاذين
اسقنيها مزة مشمولة * لبثت فى دنها بضع سنين
ذر المزج على مفرقها * دررا عامت فعادت كالبرين
مع فتيان كرام نجب * يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا * نور الورد به والياسمين
وجلت آياته عامرة * سبج الشعر على عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه * ضمة اللام على عطفة نون

كلها مسيرة خمسمائة سنة ثلث عمران ٢٠٠ مسكون مأهول وثلث برارى غير مسكون وثلث بحار وتتصل أقاصى السودان

العراق بآخر بلاد ولد ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ابن أبى طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهى بلاد تمس وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو الفى ميل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عمائر متصلة الى أن تتصل بوادى الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التى فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التى سار اليها موسى بن نصير فى أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك فى كتاب يتداوله الناس وقد قيل ان ذلك فى مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهى الارض الكبيرة وقد كان ميمون ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسى وهو أباضى المذهب وهو الذى انشأ فى ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا الاسنان عمر تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس فى الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفى هذا الصقع

فترى

من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة بدعية

فترى غصناً على دعص نقا * وترى ليلاً على صبح مبين
وسيسقون اذا ما شربوا * بأباريق وكأس من معين
ومصابيح الدجى قد طفئت * في بقايا من سواد الليل جون
وكأن الطل مسك في الثرى * وكأن الطل در في الغصون
والندى يقطر من نرجسه * كدموع أسكبتهن الجفون
والثريا قد هوت من أفقها * كقضيب زاهر من ياسمين
وانبرى جنح الدجى عن صبحه * كغراب طار عن بيض كنين
وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن علي * بن حمود أمير المؤمنين
ملك ذو هيبة لكنه * خاشع لله رب العالمين
خط بالمسك على أبوابه * ادخلوها بسلام آمنين
فاذا ما رفعت راياته * خفقت بين جناحي جبرئين
واذا أشكل خطب معضل * صدع الشك بمصباح اليقين
فبيسراه يسار المعسرين * وبيمناه لواء السابقين
يا بني أحمد يا خير الورى * لأبيكم كان وفد المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبى * في الدجا فوقهم الروح الامين
خلقوا من ماء عدل وتقى * وجميع الناس من ماء وطين
انظروا ونقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

قيل انه أنشدها اياها من وراء حجاب اقتفاء لطريقة خلفاء بني العباس فلما بلغ الى قوله

انظروا ونقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

أمر حاجبه أن يرفع الحجاب وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له باحسان جزيل فكان هذا من أنبل ما يحكى عنه وخلع العالي سنة ثمان وثلاثين وولي ابن عمه محمد بن ادريس بن علي وتلقب بالمهدي وتوفي سنة أربع وأربعين وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس ولقب الموفق ولم يخطب له بالخلافة وزحف العالي ادريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش فدخل عليه مالقة وأطلق ايدي عبيده عليها بحقده عليهم وفر كثير منهم وتوفي العالي سنة ست أو سبع وأربعين وبويع محمد بن ادريس ولقب المستعلي ثم سار اليه باديس بن حبوس سنة تسع وأربعين وأربعمائة فتغلب على مالقة وسار محمد الى المرية مخلوعاً ثم استدعاه أهل المغرب الى مليلة وبايعوه سنة ست وخمسين وتوفي سنة ستين وكان محمد بن القاسم بن حمود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة أربع عشرة فرّ من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقب بالمعتصم الى أن هلك سنة أربعين ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق الى أن هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن حبوس مزاحماً لابن عباد وانقرضت دولة الأشراف الحموديين من الاندلس بعد أن كانوا ادعوا الخلافة وأما قرطبة فان أهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد سبع سنين من ملكهم وزحف

وفيها معدن كبير من فضة وهو مما يلي الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الاغلب التميمي وتوليه المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد افريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره في أيام الرشيد وتداول ولده ببلاد افريقية وغيرها الى أن انتهى الامر الى أبي منصور زيادة الله بن عبد الله ابن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم ابن محمد بن الاغلب بن سالم بن سوادة فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجيال البربر وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر ومسيره الى الرافقة والرقة وكان هذا المحتسب من مدينة رام هرمز من كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي

الذي شرعنا في وصفه من عليه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركنداج ملك الحيرة من بني نصير النعمانية

اليه القسم بن حمود فى البر برفهزمهم أهل قرطبة ثم اجتمعوا واتفقوا على رد الامر لبنى أمية واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدى وبايعوه فى رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ولقبوه المستظهر وقاموا بأمره ومن شعره قوله

طال عمر الليل عندى * قد تولعت بصدّى
يا غزالا نقض العهد ولم يوف بوعد
انسيت العهد اذ بتنا على مفرش ورد
واجتمعنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تحكى * ذهبا فى لازورد

قال الحجارى لو قال لؤلؤا فى لازورد لكان أحسن تشبيها وأنشد متمثلا

اما عصابتك الالى * كانت مكايد ما تكابد
هذا أوان غنائك السعمى وانجاز المواعد

وكان حسن بن أبى عبيدة من وزراء المستظهر ولما أكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب اليه بقوله

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

يشير الى قول الاول

ويقضى الامر حين يغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

وعاتبه أيضا بقوله

اذا كان مثلى لا يجار بصبره * فمن ذا الذى بعدى يجار على الصبر
وكم مشهد جاريت فيه عدوّكم * وأملت فى حربى له راحة الدهر
أخوض الى أعدائكم لجج الوغى * واسرى اليهم حيث لا احد يسرى
وقدامهم عنهم كل مستبطن الحشى * أكول الى الممسى نؤم الى الظهر
فما بال هذا الامر أصبح ضائعا * وأنت أمين الله تحكم فى الامر

وسيأتى ان شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره وهنالك نذكر تحلية الفتح له ثم ثار عليه بعد شهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله فأتبعه الغوغاء وقتل بالمستظهر وتلقب بالمستكفى واستقل بأمر قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة ولادة ولعلنا نلم ببعض أخبارها ان شاء الله تعالى فيما بعد وكان أبو عبد الرحمن قتله المنصور بن أبى عامر لسعيه فى الخلافة ثم بعد ستة عشر شهرا من بيعة المستكفى رجع الامر الى المعتلى يحيى بن على بن حمود سنة ست عشرة وخلع أهل قرطبة المستكفى وولى عليهم المعتلى من قبله وفر المستكفى الى ناحية الثغر ومات فى فرة ثم بدا لاهل قرطبة فخلعوا المعتلى بن حمود سنة سبع عشرة وبايع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخى المرتضى وكان بالثغر فى لاردة عند ابن هود وذلك سنة ثمان عشرة وتلقب المعتمد بالله وأقام مترددا فى الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف

والمنادرة ملك جبال طبرستان كان يدعى ٢٠٤ بفارز والجبل معروف به وبولده فى هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج من ملوك السند فوروة وهو اسم بلد باسم ملوكهم وقد صارت اليوم فى حيز الاسلام وهى من أعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التى اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) لدى زعم الجاحظ أنه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وفوروة هذا الذى هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك القندهار من ملوك السند وجبالها ويدعى جج وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (بزايد) وهو أحد الانهار الخمسة التى منها مهران السند والقندهار بلاد الدهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل) ويجتاز ببلاد الدهبوط وهى بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهى تخوم الهند مما يلى بلاد بست وغرس ونفس والرخج وبلاد الداوار مما يلى بلاد سجستان ونهر من الخمسة يخرج من بلاد تشمير وملك تشمير يعرف بالراى هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وقشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوى ملكها على مدن وضياع على نحو من ستين ألفا

الطوائف واتفقوا على أن تنزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ونزل آخر سنة عشرين وأقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة ثنتين وعشرين وفر الى لاردة فهلك بها سنة ثمان وعشرين وانقطعت الدولة الاموية من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالى بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ملكهم وأقاموا على ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين اللمتونى فخلعهم وأخلى منهم الارض ومن أشهرهم بنو عباد ملوك اشبيلية بغرب الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق وفى الذخيرة والقلائد من أخباره ماهو كاف شاف ومنهم بنو جهور كانوا بقرطبة فى صورة الوزارة حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد وأخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب وخطوب وفرق أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها واستفحل أمره بغرب الاندلس وعلت يده على من هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن باديس بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صمادح بالمرية وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون فى مرضاته وكلهم يدارون الطاغية ويتقونه بالجزى الى أن ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه فتعلقت آمال الاندلس باعانته وضايقهم الطاغية فى طلب الجزية فقتل المعتمد اليهودى الذى جاء فى طلب الجزية للطاغية بسبب كلمة قالها آسفه بها ثم أجاز البحر صريخا الى يوسف بن تاشفين فاجاز معه البحر والتقوا مع الطاغية فى الزلاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله تعالى الاسلام نصرا لاكفاء له حتى قال بعض المؤرخين انه كان عدد النصارى ثلثمائة ألف ولم ينج منهم الا القليل وصبر فيها المعتمد صبر الكرام وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجابوه بالامتثال حتى اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلال ذلك يردد عساكره للجهاد ثم أجاز اليهم وخلع جميعهم ونازلت عساكره جميع بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الاندلس فى قبضته أسيرا بعد حروب ونقله الى أغمات قرب مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعتقله هنالك الى ان مات سنة ثمان وثمانين وسنلم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه لما زار قبره وللمعتمد هذا أخبار مأثورة خصوصا مع زوجته أم أولاده الرميكية الملقبة باعتماد وقد روى أنها رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن فى القرب وهن رافعات عن سوقهن فى الطين فقالت له ياسيدى اشتهى ان أفعل أنا وجوارى مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا فى القصر وجعل لها قربا وحبالا من ابريسم وخرجت هى وجواريها تخوض فى ذلك الطين فيقال انه لما خلع وكانت تتكلم معه مرة تجرى بينهما ما يجرى بين الزوجين فقالت له والله مارأيت منك خيرا فقال لها ولا يوم الطين تذكيرا لها

الى سبعين ألفا لاسبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ماذكرناه من ملكه باب واحد لان ذلك فى جبال شوامخ منيعة لاسبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلحق بعلوها ولا يلحقها الا الطير وما الاجبل فيه فاودية وعرة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان وماذكرناه من منعة ذلك البلد مشهور فى أرض خراسان وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا فاما ملك قنوج وهو ملك القنوج فان مساحة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ فى مثلها فراسخ سندية الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل وهو الملك الذى قدمنا فى ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الاربع كل جيش منها سبعمائة ألف وقيل تسعمائة ألف وقيل تسعة آلاف ألف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه فى تلك الثغور من المسلمين ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكير وبالجيوش الباقية من يلقاه فى كل وجه من الملوك ويقال ان مدنه تحيط فى مقدار ماذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر

بهذا اليوم الذي أباد فيه من الاموال مالا يعلمه الا الله تعالى فاستحيت وسكتت وولي بعده غير من تقدم بنو رزين أصحاب السهلة و بنوا الفهري أصحاب البونت وتغلب عليهما أخيرا يوسف بن تاشفين * ومن أعظم ملوك الطوائف بنو ذي النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذي يقال له الاعذار الدنوني وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق والمأمون من بني ذي النون هو صاحب ذلك وهو الذي عظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكان بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه أبا عمرو وغلب أيضا على بلنسية وأخذها من يد بني ابن أبي عامر * وفي أيام حافد المامون وهو القادر بن ذي النون كان الطاغية بن أدفونش قد استفحل أمره لما خلا الجو من مكانة الدولة الخلافية وخف ما كان على كاهله من أصر العرب فاكتسح البسائط وضيق ابن ذي النون حتى أخذ من يده طليطلة فخرج له عنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما سبق وشرط عليه أن يظاهره على أهل بلنسية فقبل شرطه وتسلمها الفونش ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم زحف على الموالي العامريين مثل خيران وزهير وأشباههما وأخبار الجميع تطول * ومن ملوك الطوائف بالاندلس بنو هود ملوك سرقسطة وما اليها ومن أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وكان المؤتمن قائما على الامور الرياضية وله فيها تآليف ومنها كتاب الاستكمال والمناظر وولي بعده ابنه المستعين أحمد سنة أخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وشقة وكان زحف سنة تسع وثمانين في آلاف لا تحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصرا لها فلقيه الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين نحو عشرة آلاف وهلك هو شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية اليها وولي ابنه عبد الملك عماد الدولة وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ثنتي عشرة وتولى ابنه سيف الدولة وبالغ في النكاية بالطاغية ثم اتفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها حمامه * ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله في مبانيه

قصر السرور ومجلس الذهب * بكما بلغت نهاية الارب
لو لم يحز ملكي خلافكما * كانت لدي كفاية الطلب

ومن مشاهير ملوك بني الافطس أصحاب بطليوس وما اليها والمظفر منهم هو صاحب التأليف المسمى بالمظفري في نحو الخمسين مجلدا والمتوكل منهم قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهي من غرر القصائد الاندلسية وأزال ملوك الطوائف منها وبقيت عمالهم تتردد اليها وبنوهم حتى فشلت ريحهم وهبت ريح الموحدين أعني عبد المؤمن بن علي وبنيه فحاربوا لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم جازوا البحر الى الاندلس وملكوا أكثر بلاد الاندلس وملك بنو مردنيش شرق الاندلس * وملخص ذلك أن الاندلس كان ملكها بحجة وعالمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة في العدوة بحرب الموحدين

وجبال ومروج وهو قليل الفيلة من بين الملوك ورسمه الفاقيل حربية تقاتل وذلك أن الفيل اذا كان فارها ممارسا شجاعا وكان راكبه فارسا وفي خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد وعليه تجافيف قد أحاطت بسائر جسده من القرن والحديد وكان حوله خمسمائة رجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه حارب ستة آلاف فارس وقام بها وأفناها اذا كان معه خمسمائة رجل كر في خمسة آلاف فارس ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم فيلتها في سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة بن لؤي ابن غالب وذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعدو فيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصي بلاده بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع وغير ذلك

اضطربت

اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشئ ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب ومنها ما حصل بين عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك بفحص غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين فهزمهم عبد الرحمن وقتلهم أبرح قتلة واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش * وولى الامر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف وأجاز الى الاندلس وكانت له مواقف في جهاد العدو * وولى بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى بالاندلس نكاية كبيرة ومن أعظمها غزوة الارك التي تضاهي وقعة الزلاقة أو تزيد والارك موضع بنواحي بطليوس وكانت سنة احدى وتسعين وخمسمائة وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره وكان عدة من قتل من الفرنج فيما قيل مائة ألف وستة وأربعين ألفا وعدة الاسارى ثلاثين ألفا وعدة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة والخيل ثمانين ألفا والبغال مائة ألف والحمير أربعمائة ألف جاء بها الكفار تحمل أثقالهم لانهم لا ابل لهم وأما الجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجى الفنش ملك النصارى الى طليطلة في أسوأ حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة وعاد الى قرطبة فأقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رسل الفنش بطلب الصلح فصالحه وأمن الناس مدته وفيه يقول بعض شعراء عصره

أهل بأن يسعى اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلدا * وموشحا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا

ولما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ولم يخاطبه بأمير المؤمنين فلم يجبه الى ما طلبه وكل ذلك في سنة ٥٨٧ ومدحه ابن منقذ بقوله من قصيدة

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * الى بحر جود ما لأخراه ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الندى * الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا * بان نداك العمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلا فبلغتها * وأدنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعليا والجود بانيا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعدتها أربعون بيتا فاعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما أعطيناك لفضلك ولبيتك وكان

من العجائب التي تحمل اليه واذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره فيرحل الجيوش عنهم عند ذلك وكان دخولي الى بلاد المولتان بعد الثلثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه ابن أسد القرشي وكذلك كان دخولي الى بلاد المنصورة في هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم من ولد عمر ابن علي وولد محمد بن علي وبين ملوك المنصورة وبين أبي الشوارب القاضي قرابة ووصلة نسب وذلك أن ملوك المنصورة الذين الملك فيهم في وقتنا هذا من ولد هبار ابن الاسود ويعرفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي واذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الرود من غربيها وهي من أعمال المنصورة يسمى ما هنالك مهران ثم ينقسم قسمين

عنوان الكتاب الذي أرسله صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله
تعالى يوسف بن أيوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية
من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجرى من أجرى على يده النافلة
والفرض وزين سماء الملة بدراري الدراري التي بعضها من بعض وهو كتاب طويل
أمله فيه أن يقطع عنه مادة البحر واستنجده على الافرنج اذ كانت له اليد عليهم وعاد ابن
منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هدية حقيرة وأما ابن منقذ فانه
أحسن اليه وأغناه لاجل صلاح الدين بل لمنته وفضله كما هو وما وقع من يعقوب في صلاح
الدين انما هو لاجل انه لم يوفه حقه في الخطاب * (رجع) ولما استفحل أمر الموحدين
بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمونهم السادة واقتسموا ولايتها
بينهم ولهم مواقف في جهاد العدو منذ كورة وكان صاحب الامر بمراكش يأتي الاندلس
للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالارك ابن ادفونش ملك الجلالقة الهزيمة
الشنعاء وأجاز ابنه الناصر الوالي بعده البحر الى الاندلس من المغرب سنة تسع وستمائة
ومعه من الجنود ما لا يحصى حتى حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب انه اجتمع معه
من أهل الاندلس والمغرب ستمائة ألف مقاتل فمحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب
واستشهد منهم عدة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه
وأقطاره وأما الاندلس فبطلب العدو عليها لانه لما التاث أمر الموحدين بعد الناصر
ابن المنصور انتزى السادة بنواحي الاندلس كل في عمله وضعف ملكهم بمراكش فصاروا
الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه في ذلك فمشت رجالات
الاندلس وأعقاب العرب منذ الدولة الاموية وأجمعوا على اخراجهم فثاروا به لحين واحد
وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثائر بالاندلس وابن مردنيش
وثوار آخرون * وقال ابن خلدون ثم خرج على ابن هود في دولته من أعقاب دولة العرب أيضا
وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقب محمد هذا بالشيخ فجاذبه الحبل
وكانت لكل واحد منهما دولة أورثها بنيه انتهى * وكان ابن هود يخطب للعباسي صاحب
بغداد ثم حصلت لابن هود وأعقابه حروب وخطوب الى أن كان آخرهم الواثق بن المتوكل
فضايقه الفنش والرشلوني فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعث اليه ابن اشقيلولة وتسلم مرسية
منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فأوقع به النصارى في طريقه ثم
رجع الواثق الى مرسية ثالثة فلم يزل بها الى أن ملكها العدو من يده سنة ثمان وستين وستمائة
وعوضه عنها حصنا يسمى يسر وهو من عملها فبقي فيه الى أن هلك وانقرضت دولة ابن هود
والله وارث الارض ومن عليها (رجع) الى ذكر دولة أولاد الاحمر لان لسان الدين وزير
أحدهم ولانهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره
وقيل أول لهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف من أبناء الجند ويعرفون ببني
نصر وينتسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين نصر بن
يوسف بن نصر وهو يعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل وكانت له وجاهة في ناحيتهم * ولما فشلت ريح

الموحدين

وينصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند في مدينة شاكرة من أعمال المنصورة في البحر
الهندي وذلك على مقدار
يومين من مدينة الديبل
والمسافة من الملتان الى
المنصورة خمسة وسبعون
فرسخا سندية على ما ذكرنا
والفرسخ ثمانية أميال
وجميع ما للمنصورة من
الضياع والقرى مما يضاف
اليها ثلثمائة ألف قرية
ذات زروع وأشجار وعمائر
متصلة وفيها حروب كثيرة
من جنس يقال لهم
الميد وهم نوع من السند
وغيرهم من الاحابش ثم
ثغر السند وكذلك المولتان
من ثغور السند وما أضيف
اليها من العمائر والمدن
وسميت المنصورة باسم
منصور بن جمهور عامل
بني أمية ولملك المنصورة
فيلة حربية وهي ثمانون
فيلا رسم كل فيل أن يكون
حوله على ما ذكرنا خمسمائة
راجل وانه يحارب الوفا من
الخيل على ما ذكرنا ورأيت
له فيلين عظيمين كانا
موصوفين عند ملوك
السند والهند لما كانا عليه
من البأس والنجدة والاقدام
على فل الجيوش كان
اسم أحدهما (منفرقلس)
والآخر (حيدرة) ولمنفرقلس
هذا أخبار عجيبة وأفعال
حسنة وهي مشهورة في
تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب يبدي الحنين ويظهر

الموحدين وانتزى الثوار بالاندلس وأعطى السادة حصونهم للطاغية واستقل بامر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسية وتغلب على شرق الاندلس أجمع فقصدى الشيخ هذا الثورة عليه وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ودعا لابي زكريا صاحب افريقية وأطاعته جيان وشريش سنة ثلاثين بعدها واستظهر على أمره بقرابته من بني نصر وأصهاره بني اشقيلولة ثم بايع لبني هود سنة احدى وثلاثين عندما بلغه اختصاص الخليفة من بغداد ثم ثار باشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر في الصلح على أن يزوجه ابنته فأطاعه ودخل اشبيلية سنة اثنتين وثلاثين ثم فتك بابن الباجي فقتله وتناول البطش به علي بن اشقيلولة ثم راجع أهل اشبيلية بعدها بشهر دعوة ابن هود واخرجوا ابن الاحمر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين عندما جاءه أهلها حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها ووصلته بيعتها وبجيان وقدم اليها علي بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزوله ثم تغلب على مالقة ثم تناول المرية من يد ابن الرميمي وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث واربعين ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين وكان ابن الاحمر أول أمره وصل يده بالطاغية استظهارا على أمره فعضده وأعطاه ابن هود ثلاثين حصنا في كف غربه بسبب ابن الاحمر وليعينه على ملك قرطبة فتسلمها ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أعادها الله ثم نازل اشبيلية سنة ست واربعين وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحا وملك أعمالها ثم ملك مرسية سنة خمس وستين ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين كورة كورة وثغرا ثغرا الى أن ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من المغرب الى شرق الاندلس نحو عشر مراحل ثم سخط ابن الاحمر وطمع في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة آلاف منهم فأجازوا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوهم ورجعوا ثم تناسلوا اليه بعد ذلك ولم يزل الامر على ذلك الى أن هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وستمائة وولي بعده ابنه محمد الفقيه وأوصاه باستصراخ بني مرين ملوك المغرب بعد الموحدين ان طرقه أمر أن يعتضد بهم فأجاز الفقيه الى يعقوب بن عبد الحق سلطان فاس والمغرب سنة ثنتين وسبعين فاجاب صريخه وأرسل ابنه وعساكره معه ثم أجاز على اثره وتسلم الجزيرة الخضراء من ثائر كان بها وخطها ركابا للجهاده ونزل اليه ابن الاحمر عن طريف وما اليها من الحصون وهزم هو وابن الاحمر زعيم النصرانية دننة وفرق جمعه وأوقع بجموع الطاغية من كل جهة وبث سراياه وبعوثه في أرض النصرانية ثم خاف ابن الاحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخصا وثبتت عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بايدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورندة التي كانت بيد بني مرين وبعد مدة ألب ملوك النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة وجاءها الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا وكان من خبر هذه الوقعة أن الافرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له الباباو وسجد له وتضرع وطلب منه

الاثنين كالرجل الحزين ودموعه تجري من عينيه لا تنقطع (ومنها) انه خرج ذات يوم من حائرة وهي دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقي الثمانين تبع لهما فأتى منعر فلس في سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة فما جاء في مسيره امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشف عنها أطمارها في وسط الطريق فلما رأى ذلك منعر فلس وقف بعرض الشارع مستقبلا بجسمه الايمن من وراءه من الفيلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها ما بدا الى ان انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عاد اليها روحها فاستقام الفيل في طريقه واتبعه الفيلة وللفيلة أخبار عجيبة الجزئية منها والعمالة لان منها ما لا يحارب في غير العمل وتحمل عليه الاثقال ويستعمل في دياس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر في البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها في بلادها وليس في سائر الممالك أكثر منها في بلاد الزنج وهي وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار ملوك

٢٧ ط ل السند والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهي دار مملكة البلهرا أكثرها

استئصال ما بقي من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فعلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالمريني أبي سعيد صاحب فاس وأنفذوا اليه رسلا فلم يجح ذلك الدواء فرجعوا الى أعظم الادوية وهو اللجأ الى الله تعالى وأخلصوا النيات وأقبل الافرنج في جموع لا تحصى وعدى ناصر من لا ناصر له سواه بهزم أمم النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطره ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مشهودا وكان السلطان اذ ذاك بالاندلس الغالب بالله أبو الوليد اسمعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الأحمر وغب أن يحصن البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك طلبوا الى طليطلة وعزموا على استئصال المسلمين وبلادهم وتأهبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات في المراكب ووصل العدو الى غرناطة وامتلات الارض بهم فتقدم السلطان الى شيخ الغزاة الشيخ العلم أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء المريني بالخروج الى لقائهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم يوم الخميس الموفي عشرين لربيع الاول ولما كان ليلة الاحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية أمامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم وكان هذا أول النصر ولما كان يوم الاحد ركب الشيخ أبو سعيد لقتال العدو في خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم الافرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم في تلك الجيوش العظيمة فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم فانهزم الافرنج أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبي سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق وأما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم واستمر البيع في الاسرى والاسباب والدواب ستة أشهر ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة أنفس وقيل كان عسكر الاسلام نحو ألف وخمسمائة فارس والرجالة نحوا من أربعة آلاف راجل وقيل دون ذلك وكانت الغنيمة تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطره وحشي جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم وبعد أن ملكوا جبل الفتح الذي كان من أعمال فاس والمغرب وهو جبل طارق لم يزل بأيديهم الى أن ارتجعه أمير المسلمين أبو الحسن المريني صاحب فاس والمغرب بعد ان انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين واهتم

مضافة الى الصقع وهي كبيرة ولعلة اهله مثل صيمور وسوماره ومايه وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروي وبلادهم مضافة الى البحر الذي ذكرناه عليه وهو لاروي وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب وبهذا الساحل أنهر عظيمة تجري من الجنوب والنهر من أنهار العالم وليس في أنهار العالم مجرى من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم يجري من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في ملكه الا البلهرا فالاسلام في ملكه عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة الصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون أنه انما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم وله دراهم طاطرية وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف ملكته بدء تاريخ ملكهم وفيلته الحربية لاتحصى كثرة وتدعى بلاده أيضا بلاد الكنكر ويحاربه ملك الخزر

بيناته

بنائه وتحصينه وأنفق عليه اجمال مال فى بنائه وحصنه وسوره وابراجه وجامعه ودوره ومحاربه وما كاد يتم ذلك نازله العدو براً وبحراً فصبر المسلمون وخيب الله سعى الكافر ثم فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بجموعه احاطة الهالة بالهلال وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد فى تحصينه ابنه السلطان أبو عنان ولما اجاز السلطان أبو الحسن المذكور الى الاندلس واجتمع عليه ابن الاحمر وقاتلهم الطاغية هزمهم فى وقعة طريف واستولى على الجزيرة الخضراء حتى قيض الله من بنى الاحمر الغنى بالله محمدا الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعها وجملة بلاد بجيان وغيرها وكانت له فى الجهاد مواقف مشهورة وامتد ملكه حتى خادوه سلاطين فاس مما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده كما ستقف عليه فى بعض مكاتبات لسان الدين رحمه الله فى مواضع من هذا الكتاب وسعد هذا الغنى بالله من العجائب وبقى ملك الاندلس فى عقبه الى أن اخذ ما بقى من الاندلس العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للاسلام كما نبين ذلك ان شاء الله وخلت جزيرة الاندلس من اهل الاسلام فابدلت من النور بالظلام حسبما اقتضته الاقدار النافذة والاحكام والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال ابن خلدون واتفق بنو الاحمر سلاطين غرناطة ان يجعلوا مشيخة الغزاة لواحد يكون من أقارب بنى مرين سلاطين المغرب لانهم أول من ولى الاندلس عند استيلاء بنى عمهم على ملك المغرب بما بينهم من المنافسة وكان لهؤلاء فى الجهاد مواقف مشهورة منها ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء لتستدل عند ذلك على ما ذكرناه بحمد الله تعالى هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال والكماة واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار الاسلام صاحب الكتائب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة وامام الصفوف القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعاد واسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة حتى استوفى فى المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب محتسبا فى ادارة الحرب ماضى العزائم فى جهاد الكفار مصادما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره فى الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طى أثوابه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على ما عاش عليه وفى ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى اليه واستأثر به سعيدا مرتضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس لبعده اتحفه الله تعالى رحمة من عنده

من احدى جهات مملكته وهو ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعم انه ليس فى ملوك العالم أجل منه الاصاحب قايم بابل وهو الاقليم الرابع وذلك ان هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك وهو مع ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير العيبة وملكه على لسان من الارض وفى أرضه معادن الذهب والفضة ومباينة لهم بهما ثم يلى هذا الملك ملك الطافن موادع لمن حوله من الملوك وهو مكرم للمسلمين وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك وليس فى نساء الهند أحسن من نسائهم ولا أكثر منهن جمالا وبياضا وهن موصوفات الخلوات مذكورات فى كتب الباه وأهل البحر يتنافسون فى شرائهن يعرفن بالطافيات ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى وهذه سمة لملوكهم وهو الاعم من أسمائهم ويقاتلهم ملك الخزر وملكه متاخم لملكهم ورهمى يحارب البلهرا أيضا من احدى جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وفيلة وخيولا من البلهرا ومن ملك الخزر ومن ملك الطافن واذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حربه الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يغلو بالقول فى كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره

تاريخ الاحداث التى الذى بحجة من عام اثنين وسبعمائة انتهى * ومنها ما كتب به لسان الدين بن الخطيب رحمه الله فى تولية على بن بدر الدين مشيخة الغزاة ما نصه هذا شيخ الغزاة الذى فتح على الاسلام أبواب السراء وراق طرازا مذهبا على عاتق الدولة الغراء واعمل تواصل الجهاد فى طاعة رب العباد شارعة لاهل الكفر والعناد من باب الاعمال والاعراء أمر به لان صدور ودوراوداته وحسامه المشهور على اعدائه ووليه الذى جبر صرف وفائه وجلى فى مضمار الخلوص له مغبرا فى وجوه اكفائه شيخ شيوخ المجاهدين وقائد كتائبه المنصورة الى غزو الكافرين والمعتدين وعترته التى يدافع بها عن الدين وسابق وده المبرور فى الميادين الشيخ الاجل الى آخر ما وصفه به مما ضاق الوقت عن مثله والله ولى التوفيق

(الباب الرابع)

فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموى ذى البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرة الملك الناصرية الناصرة والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من أمور تقضى بحسن ادائها القرائح الوقادة والافكار الماهرة * قال ابن سعيد رحمه الله مملكة قرطبة فى الاقليم الرابع وبالته الشمس وفى هذه المملكة معدن الفضة الخالصة فى قرية كرتش ومعدن الزئبق والزنجفر فى بلد بسطائسة ولاجزائها خواص مذكورة فى متفرقاتها وأرضها أرض كريمة النبات انتهى وقدم رحمه الله فى المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الاندلس وقال انما قدمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الاندلسية لكون سلاطين الاندلس الاول اتخذوها سرير السلطنة الاندلسية ولم يعدلوا عن حضرتها ثم سلاطين بنى أمية وخلفاؤهم ولم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلبوا منها فى ثلاثة أقطار أداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتخذوها لهذا الشان لما رأوها لذلك أهلا وقرطبة أعظم علماء وأكثر فضلا بالنظر الى غيرها من الممالك لاتصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها ثم قسم ابن سعيد كتاب الحلة المذهبة فى حلى ممالك قرطبة بالنظر الى الكور الى أحد عشر كتابا الكتاب الاول كتاب الحلى الذهبية فى حلى الكورة القرطبية الكتاب الثانى كتاب الدرر المصونة فى حلى كورة بلكونة الكتاب الثالث كتاب محادثة السير فى حلى كورة القصير الكتاب الرابع كتاب الوشى المصوّر فى حلى كورة المدوّر الكتاب الخامس كتاب نيل المراد فى حلى كورة مراد الكتاب السادس كتاب المزنة فى حلى كورة كزنة الكتاب السابع كتاب الدر النافق فى حلى كورة غافق الكتاب الثامن كتاب النفحة الارجة فى حلى كورة استجة الكتاب التاسع كتاب الكواكب الدرية فى حلى الكورة القبرية الكتاب العاشر كتاب رقة المحبة فى حلى كورة اسنبة الكتاب الحادى عشر كتاب السوسانة فى حلى كورة البسانة انتهى قال رحمه الله تعالى ان العمارة اتصلت فى مبانى قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يمشى فيها لضوء السرج الممتدة عشرة أميال حسبما ذكره الشقندى فى رسالته ثم قال ولكل

من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهمى تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفى بلده العود والذهب والفضة والثياب التى ليست لغيره رقة ودقة ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالسمر الذى تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة يقوم بها الخدم على رؤس الملوك فى مجالسها وفى بلده الحيوان المعروف بالنسيان المنعلم وهو الذى تسميه العوام الكركدن وله فى مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل فى الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد هو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيلة تهرب منه وليس فى أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك أن أكثر عظامه أصم ولا مفصل فى قوائمه ولا يبرك فى نوم انما يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من فى بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بأرض الهند كثيرة وهذا النوع من النسيان يكون فى أكثر غابات الهند الا أنه فى مملكة رهمى أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفى وسطه صورة سوداء فى ذلك البياض اما صورة

مدينة من مدن قرطبة وأعمالها ذكر مختص به ثم ذكر المسافات التى بين عمالات قرطبة المذكورة فقال بين المدور وقرطبة ستة عشر ميلا وبين قرطبة وبراجة وعشرون ميلا وبين قرطبة والقصير ثمانية عشر ميلا وبين قرطبة وغافق مرحلتان وبين قرطبة واستجة ستة وثلاثون ميلا وبين قرطبة وملكونة مرحلتان وبين قرطبة وبسانة أربعون ميلا وبين قرطبة وقبرة ثلاثون ميلا وبين قرطبة وبيانة مرحلة وبين قرطبة وابجة ثلاثون ميلا وكورة رندة كانت فى القديم من عمل قرطبة ثم صارت من مملكة اشبيلية وهى أقرب وأدخل فى المملكة الاشبيلية انتهى (ثم قسم رحمه الله كتاب الحلة الذهبية فى حلى الكورة القرطبية الى خمسة كتب) * الكتاب الاول كتاب النعم المطربة فى حلى حضرة قرطبة الكتاب الثانى كتاب الصبحة الغراء فى حلى حضرة الزهراء الكتاب الثالث كتاب البدائع الباهرة فى حلى حضرة الزاهرة الكتاب الرابع كتاب الوردة فى حلى مدينة شقندة الكتاب الخامس كتاب الجرعة السبعة فى حلى كورة رية قال رحمه الله تعالى فى كتاب النعم المطربة فى حلى حضرة قرطبة الحضرة قرطبة احدى عرائس مملكتها وفى اصطلاح الكتاب ان العروس الكاملة الزينة منصة وهى مختصة بما يعلى بذكر المدينة فى نفسها وتاج وهو مختص بالايالة السلطانية وسلك وهو مختص باصحاب درر الكلام من النثار والنظام وحلة وهى مختصة باعلام العلماء المصنفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم وأهداب وهى مختصة بأصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه انتهى ثم فصل رحمه الله ذلك كله بما تعددت منه الاجزاء وقد لخصت منه هنا بعض ما ذكر ثم أردفته بكلام غيره فأقول قال فى كتاب اخبار قرطبة بالثاء المعجمة ومعناه أجرساكنها يعنى عربت بالطاء ثم قال ودور مدينة قرطبة ثلاثون ألف ذراع انتهى وقال غيره ان تكسيرها ومساحتها التى دار السور عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف ألف وستمائة ذراع واتصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال أربعة وعشرون فى الطول والعرض ستة وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادى الكبير وليس فى الاندلس واد يسمى باسم عربى غيره ولم تزل قرطبة فى الزيادة منذ الفتح الاسلامى الى سنة أربعمائة فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها فى ثانى وعشرى شوال سنة ستمائة وثلاث وعشرين * ثم قال هذا القائل ودور قرطبة المسورة دون الارباض ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ودور قصر امارتها ألف ذراع ومائة ذراع انتهى وعدد أرباضها احد وعشرون فى كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية فى كل واحدة منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا فى الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القلنس منهم على رأسه الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه بأحوال بلدهم انتهى قال وانتهت جباية قرطبة أيام ابن أبى عامر الى ثلاثة آلاف ألف دينار بالانصاف

انسان أو صورة طاوس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته فى نفسه أو صورة غير ذلك من الحيوان مما يوجد فى تلك البلاد ويتخذ من هذا القرن ومن منه المناطق والسيور وحلى السروج الحلية من الذهب والفضة يتلبسها ملوك الصين وخواصها يتنافسون فى لبسها ويبلغون فى أثمانها فتبلغ المنطقة الى ألفى دينار والى أربعة آلاف فيما يعالى فى الذهب وهى فى نهاية الحسن والاتقان وربما تقع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب ووجوه تلك الصور منتشبة سواد فى بياض وربما يوجد فى قرونه بياض فى سواد وليس فى كل بلد يوجد فى قرون الحيوان ما ذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل فى بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه فى بطنها وهذا القول أورده فى كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثنى هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار وكل تعجب من قولى اذا أخبرته بما عندى من هذا وسألته عنه ويخبرونى أن حمله وفصاله كالبقر والجواميس ولست أدرى كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقله أو مخبر خبره

وبحر ويلي مملكته ملك آخر يقال له ملك الكاسين وأهل مملكته بيض مخرومو

وقد ذكر في موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا فالله أعلم وما أحسن قول بعضهم

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها * ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قطر مثل قرطبة * وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

(وقال بعضهم) قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك التي يجبى لها ثمرات كل جهة وخيرات كل جهة واسطة بين الكور موفية على النهر زاهرة مشرقة أحدقت بها المنى تحسن مرآها وطاب مجتناها وفي كتاب فرحة الانفس لابن غالب أما قرطبة فانها لفظ ينحو الى لفظ اليونانيين وتأويله القلوب المشككة وقال أبو عبيد البكري انها في لغة القوط بالطاء المعجمة وقال الحجاري الضبط فيها باهمال الطاء وضمها وقد يكسرها المشرقيون في الضبط كما يعجمها آخرون انتهى (وقال بعض العلماء) أما قرطبة فهي قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وأم مدائنها ومساكنها ومستقر الخلفاء ودار المملكة في النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومستقر السنة والجماعة نزلها جلة من التابعين وتابع التابعين ويقال نزلها بعض الصحابة وفيه كلام * وهي مدينة عظيمة ازلية من بنيان الاوائل طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب وبها المحرث العظيم الذي ليس في بلاد الاندلس نظير ولا أعظم منه بركة * وقال الرازي قرطبة أم المدائن وسرة الاندلس وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها أعظم أنهار الاندلس وبها القنطرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنعة والاحكام والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام أكبر منه * وقال بعضهم هي أعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندي شبيه في كثرة أهل وسعة محل وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ويزعم قوم من أهلها انها كأحد جانبي بغداد وان لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها وأكثر أبواب القصر السلطاني من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه بائنة عن مساكن أرباضها ظاهرة ودرت بها في غير يوم في قدر ساعة وقد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشيا * وقال وكانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع علماء الانام الاعلام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ويباري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ولم تبرح ساحاتها مجر عوالي ومجرى سوابق ومحط معالي وحمى حقائق وهي من بلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الاسد ولها الداخل الفسيح والخارج الذي يمتع البصر بامتداده فلا يزال مسرحا وهو من تردد النظر طليح * وقال الحجاري حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة وهي كانت منتهى الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة أولي الفضل والتقى ووطن أولي العلم والنهى وقلب الاقاليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح ومن أفقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر

يجاورهم في مملكته [illegible] الانذ [illegible] فيل وابل و[illegible] [illegible] الرمان والنساء ثم بعد هؤلاء ملك [illegible] وهو [illegible] البحر [illegible] كثير وفي بلده [illegible] وهو [illegible] كثيرة [illegible] دون [illegible] وخرو [illegible] ثم يلي [illegible] المرجة [illegible] وحسن وجاريه [illegible] الاذان [illegible] كثيرة وعدد [illegible] والمسك في بلادهم كثير على ما [illegible] غزلانهم [illegible] فيما سلف من هذا الكتاب وهذه الامة تشبه بأهل الصين في [illegible] وبلادهم [illegible] لا يعلم بأرض الهند والهند ولا [illegible] من هذه الممالك [illegible] أطول [illegible] ولا امنع ومسكهم موصوف مضاف في بلدهم يتعارفه البحريون ممن عنى بحمل ذلك وتجهيزه وهو المسك المعروف [illegible] ثم يلي ملك الموجه مملكة [illegible] وهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان في عمالات بلدانهم من المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم وفرسان

فرسان النظم والنثر وبها أنشئت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة
والسبب فى تبريز القوم حديثا وقديما على من سواهم أن أفقهم القرطبى لم يشتمل قط الا على
البحث والطلب لانواع العلم والادب انتهى * (وقال على بن سعيد) أخبرنى والدى أن
السلطان الاعظم أبا يعقوب بن عبد المؤمن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد ما عندك فى
قرطبة قال فقلت له ما كان لى أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان
ان ملوك بنى أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة
والشوارع المتسعة والمبانى الفخمة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج النضر والمحرث
العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها * قال فقلت ما أبقى لى
أمير المؤمنين ما أقول * ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدى فى شأنها هى من أحسن بلاد
الاندلس مبانى وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهرا وباطنا وفضل اشبيلية سلامتها فى
فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار ولا تزال سمة العلم وارثة فيهم الا أن
عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشنيعا وتشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الاندلس
فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد أبا يحيى بن
يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف وجدت أهل قرطبة فقال مثل الجمل
ان خففت عنه الحمل صاح وان أثقلته به صاح ما ندرى أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم
فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها
لما قاسيت من أهلها عندى ولاية وانى ان كلفت العود اليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين * (قال والدى) ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة
وتعظيم أهلها لجامعها الاعظم وكسر أوانى الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها والتستر
بأنواع المنكرات والتفاخر باصالة البيت وبالجندية وبالعلم وهى أكثر بلاد الاندلس كتبا
وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان
الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب وينتخب
فيها ليس الا لأن يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره والكتاب
الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به * (قال الحضرمى) أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق
كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء الى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير
مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد فى ثمنه فيرجع الى المنادى بالزيادة على الى أن بلغ
فوق حده فقلت له يا هذا أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوى قال فأرانى
شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له أعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض فى هذا
الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده فقال لى لست بفقيه ولا أدرى ما فيه
ولكنى أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين أعيان البلد وبقى فيها موضع يسع
هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على
ما أنعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمى فأحرجنى وحملنى على أن قلت له نعم لا يكون الرزق
كثيرا الا عند مثلك يعطى الجوز من لا له أسنان وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب وأطلب

والمسابد مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والمسابد [illegible] عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المسابد لمملكة الصين [illegible] ملك الصين بهم [illegible] ينتشرون فى بلادهم [illegible] أن يقفوا على [illegible] وعورات بلادهم [illegible] المسابد فى [illegible] ذكرنا من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكى بالنار وغيره وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون فى اظهارها فى سائر أحوالهم وكذلك فعل حكمائهم ورأيهم ان حبسها داء يؤذى وأن ارسالها شفاء يشفى وان فى ذلك العلاج الاكبر وأن فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وأن فيه دواء للسقم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم فى صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا الخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء فى وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها واستشهد هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة

الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلته ما بين يدي بيني وبينه * (قال ابن سعيد) وجرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت الى اشبيلية * (وسئل ابن بشكوال) عن قصر قرطبة فقال هو قصر أولي تداولته ملوك الامم من لدن عهد موسى النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفيه من المباني الاولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس بما فيها في قصرها البدائع الحسان وأثروا فيه الآثار العجيبة والرياض الانيقة وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة وتمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها الى القصر الكريم وأجروها في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص تؤديها منها الى المصانع صور مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضة الخالصة والنحاس المموه الى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفي هذا القصر القصاب العالية السمو المنيفة العلو التي لم ير الراؤن مثلها في مشارق الارض ومغاربها * (قال) ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك والرستق وقصر السرور والتاج والبديع (قال) ومن أبوابه التي فتحها الله لعدم المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذي عليه السطح المشرف الذي لا نظير له في الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حلق لاطون قد أثبتت في قواعدها وقد صورت صورة انسان فتح فاه وهي حلق باب مدينة أربونة من بلد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبلي أيضا وهو المعروف بباب الجنان وقدام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضي يستعمل الحكم في المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادي وله باب بشماليه يعرف بباب قورية وله باب رابع يدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط وعدد أبوابا بعد هذا طمست أيام فتنة المهدي بن عبد الجبار * (وذكر ابن بشكوال رحمه الله) أن ابواب قرطبة سبعة أبواب باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب الوادي وبباب جزيرة الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة أرصفة التي تشق دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أربونة سائرة في الارض الكبيرة ثم باب طليرة وهو أيضا باب ليون ثم باب عامر القرشي وقدامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الحوور ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطارين وهو باب اشبيلية انتهى وذكر أيضا ان عدد أرباض قرطبة عند انتهائها في التوسع والعمارة احد وعشرون ربضا منها القبلية بعدوة النهر ربض شقندة وربض منية عجب وأما الغربية فتسعة ربض حوانيت

فون في ذلك في كثير من الناس عنهم حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ماذكر في الارجوزة المعروفة بذات الحلل وهي تسند الى ذوالعلم الفصيح الهندي

مقالة فيه بيت عندي
لا تحبس الضرطة ان حضرت
وخلها وافتح لها ما نفذت
فان أدوا الراحة في امساكها
والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والاخلاط
والشؤم في امساكها لا الضراط
اما الحشاء فساء صاعد
وانما على الفساء زائد

وأن الريح والمتولد في الجوف انما تختلف أسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الى صعداء يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما بين الصفعة واللطمة لا أن اللطمة في الوجه والصفعة في مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق اذا كثرت علله وترادفت أدواؤه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض بحبس الداء في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وأن سائر

الريحاني وربض الرقاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مغيث وربض مسجد الشفاء وربض حمام الابيري وربض مسجد السرور وربض مسجد الروضة وربض السجن القديم وأما الشمالية فثلاثة ربض باب اليهود وربض مسجد أم سلمة وربض الرصافة وأما الشرقية فسبعة ربض سبلار وربض فرن بريل وربض البرج وربض منية عبد الله وربض منية المغيرة وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة قال ووسط هذه الارباض قصبة قرطبة التي تختص بالسور دونها وكانت هذه الارباض بدون سور فلما كانت أيام الفتنة صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع *(وذكر ابن غالب) انه كان دور هذا الحائط أربعة وعشرين ميلا وشقندة معدودة في المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسورة *(قال ابن سعيد) في المغرب ولنذكر الآن من متنزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة في الالسن نظما ونثرا ما انتهى اليه الضبط من غير تغلغل في غير المشهور منها والاهم ونوشي ذلك بجميع ما يحضرني من مختار النظم في قرطبة وما يحتوي عليه نطاقها المذكور فأول ما نذكر من المتنزهات متنزهات الخلفاء المروانية وهو قصر الرصافة فنقول كان هذا القصر مما ابتناه عبد الرحمن ابن معاوية في أول أيامه لتنزهه وسكناه أكثر أوقاته منية الرصافة التي اتخذها بشمال قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرا حسنا ودحا جنانا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر رسولاه الى الشام من النوى المختارة والحبوب الغريبة حتى نمت بيمن الجد وحسن التربية في المدة القريبة أشجارا معتمة أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بارض الاندلس فاعترف بفضلها على أنواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام بارض الشام الاثيرة لديه ولميله في اختيار هذه وكلفه بها وكثرة تردده عليها وسكناه أكثر أوقاته بها طار لها الذكر في أيامه واتصل من بعده في ايثارها قال وكلهم فضلها وزاد في عمارتها وانبرى أوصاف الشعراء لها فتنازعوا في ذلك فيما هو الى الآن مشهور ما أثر عنهم مستعاد منهم *وقال ابن سعيد والرمان السفري الذي فاض على أرجاء الاندلس وصاروا لا يفضلون عليه سواه أصله من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيان شأنه وأفرد له فصلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ودقة العجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى الشام في توصيل أخته منها الى الاندلس تدجلب طرائف منها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهيا به وكان فيمن حضره منهم سفر ابن زيد الكلاعي من جند الاردن ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته قال وهم يحملون الالوية بين يدي الخلفاء من بني أمية فاعطاه من ذلك الرمان جزأ فراقه حسنه وخبره فسار به الى قرية بكورة رية فعالج عجمه واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجرا أثمر وأينع فنزع الى عرقه وأغرب في حسنه فجاء به عما قليل الى عبد الرحمن فاذا هو أشبه شيء بذلك الرصافي فسأله الامير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبرع استنباطه واستنبل همته وشكر صنعه وأجزل صلته واغترس منه بمنية الرصافة وبغيرها من جنانه فانتشر نوعه واستوسع الناس في غراسه ولزمه النسب اليه فصار

مايعرض ويثور من الادواء في أجوافها وعدم احتباسها في وعائها بأن الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورث وسقراط وروحانس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرون حبس شيء من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته ويؤول اليه من متعقباته وان ذلك يجده في نفسه كل ذي حس وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل واذا استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ولم يجر ذلك في عاداتهم (قال المسعودي) وقد أتينا على أخبارهم وما احكمنا من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والافاويه مع ملك قارونما جرى لملك قمار مع المهراج واخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندري وهي بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الرانج وغيرها وكل ملك يملك بلاد مندري يسمى القايدي وسنأتي بجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين

يعرف الى الآن بالرمان السفرى قال وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر فى أبيات كتب بها الى بعض من أهداه له فقال

ولابسة صدفا أحمرا * أتتك وقد ملئت جوهرا
كأنك فاتح حق لطيف * تضمن مرجانه الاحمرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب * رضابا اذا شئت أومنظرا
وللسفر تعزى وماسافرت * فتشكو النوى أو تقاسى السرى
بلى فارقت ايكها ناعما * رطيبا وأغصانها نضرا
وجاءتك معتاضة اذ أتتك * بأكرم من عودها عنصرا
بعود ترى فيه ماء الندى * ويورق من قبل أن يثمرا
هدية من لو غدت نفسه * هدية ظنه قصرا

(وقال ابن سعيد) وأخبرنى والدى قال أخبرنى الوشاح المبرز المحسن أبو الحسن المرينى قال بينما أنا أشرب مع ندمائى بازاء الرصافة اذ بانسان رث الهيئة مجفو الطلعة قد جاء فجلس معنا فقلنا له ماهذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة فقال لا تعجلوا على ثم فكر قليلا ورفع رأسه فانشدنا

اسقنيها ازاء قصر الرصافه * واعتبر فى مآل أمر الخلافه
وانظر الافق كيف بدل أرضا * كى يطيل اللبيب فيه اعترافه
ويرى أن كل ماهو فيه * من نعيم وعز أمر سخافه
كل شئ رأيته غير شئ * ماخلا لذة الهوى والسلافه

قال المرينى فقبلت رأسه وقلت له بالله من تكون فقال قاسم بن عبود الرياحى الذى يزعم الناس انه موسوس أحمق قال فقلت له ماهذا شعر أحمق وان العقلاء لتعجز عنه فبالله الا ماتممت مسرتنا بمؤانستك ومنادمتك ومناشدة طرف أشعارك فنادم وأنشد ومازلنا معه فى طيبة عيش الى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ويقول اللهم غفرا انتهى (قال) ومن قصور خارج قرطبة قصر السيد أبى يحيى بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن وهو على متن النهر الاعظم تحمله اقواس وقيل للسيد كيف تانقت فى بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقى فى رؤسهم من الخلافة المروانية فاحببت أن يبقى لى فى بلادهم أثر أذكر به على رغمهم * قال ابن سعيد وأخبرنى والدى أن ناهض بن ادريس شاعر وادى آش فى عصره أنشد لنفسه فى هذا القصر

ألا حبذا القصر الذى ارتفعت به * على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذى انف الثرى * ورفعه عن لثمه المجد والناس
فأركب متن النهر عزا ورفعة * وفى موضع الأقدام لا يوجد الراس
فلازال معمور الجناب وبابه * يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

وقال الفتح فى قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجرى فى اتقانه الى غير أمد وأبدع بناؤه ونمقت ساحاته وفناؤه

واتخذوه

(ذكر جبل القبج وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأخبار الباب والابواب ومن حولهم من الامم)

أما جبل القبج فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والامم وفى هذا الجبل اثنان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى انوشروان وجعلها بينه وبين الخزر وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل القبج مادا فى أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من أربعين فرسخا الى أن ينتهى ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذى جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعى ذلك الباب ومايليه من السور كل ذلك ليدفع أذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان والسرير وغيرهم من انواع الكفار وجبل القبج يكون فى المسافة علوا وطولا وعرضا

واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار أفراحهم وحكوا به قصرهم بالشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق وأنشد فيه لابن عمار

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندى * عنبر أشهب ومسك أحم

وهى منسوبة للحاجب ابى عثمان جعفر بن عثمان المصحفى * وذكر الحجارى فى المسهب أن الرئيس أبا بكر محمد بن أحمد بن جعفر المصحفى اجتاز بالمنية المصحفية التى كانت لجده أيام حجابته للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكر ما آل اليه حال جده مع المنصور بن أبى عامر واستيلائه على ملكه وأملاكه فقال

قف قليلا بالمصحفية واندب * مقلة أصبحت بلا انسان
واسألنها عن جعفر وسطاه * ونداه فى سالف الازمان
جعفر مثل جعفر حكم الدهـر عليه بعزة وهوان
واكم حذر الردى فصمنا * لا أمان لصاحب السلطان
بينما يعتلى غدا خافضا منـه اكتئاب ككفة الميزان

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير ابن عم المثم ملك قرطبة (قال ابن سعيد) أخبرنى والدى عن أبيه قال خرج معى الى هذه المنيه فى زمان فتح النوار ابو بكر بن بقى الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من اشجار اللوز وقد نورت فقال ابن بقى

سطر من اللوز فى البستان قابلنى * مازاد شئ على شئ ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى اعطافه رقصا

ثم قال شعرا منه

عجبت لمن ابقى على خمر دنه * غداة رأى لون الحديقة نورا

ولا اذكر بقية الابيات قال جدى ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة فذكرته باجتماعه فى منية الزبير فتنهد وفكر ساعة وقال اكتبوا عنى فكتبنا

سقى الله بستان الزبير ودام فى * ذراه مسيل النهر ماغنت الورق
فكائن لنا من نعمة فى جنابه * كبرته الخضراء طالعها طلق
هو الموضع الزاهى على كل موضع * أماط له ضاف أماماؤه دفق
أهيم به فى حالة القرب والنوى * وحق له منى التذكر والعشق
ومن ذلك النهر الخفوق فؤاده * بقلبى ماغيدت عن وجهه خفق

قال فقلت له جمع الله بينك و بينه على الحالة التى تشتهى قال ذلك لك قلت و كيف ذلك قال تدفع لى هذا السيف الذى تقلدت به أتزود به اليه وأنفق الباقى فيه على ما تعلم قال فقلت له هذا السيف شرفنى به السلطان أبو زكريا بن غانية وما لعطائه سبيل ولكن اعطيك قيمته فخرج وأتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية ليعظم قدره فى عينه فيزيد فى قيمته ثم قبض ما قدر به وأنشد ارتجالا

نحو من شهرين بل وأكثر وحوله أمم لا يحصيهم الا الخالق عز وجل أحد

شعابه يلى بحر الخزر يلى الباب والابواب على ماذكرنا ومن شعابه ما يلى بحر مانطش المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذى ينتهى اليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهى مدينة على شاطئ هذا البحر لها أسواق فى السنة يأتى اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين والروم والارمن وغيرهم وبلاد كسكر ولما بنى أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور فى البر والبحر والجبل أسكن هناك أمما من الناس وملوكا وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة وحد لها حدا معلوما على حسب فعل أزدشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان فمن رتب أنوشروان من الملوك فى بعض هذه البقاع والمواضع مما يلى الاسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ومملكته مضافة الى اسمه فيقال لها شروان شاه وكل ملك يلى هذا الصقع يقال له شروان وتكون مملكته فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان تغلب على مواضع لم يكن رسمها له أنوشروان فانضافت الى ملكه والملك فى هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور

أطال الله عمر فتى سعيد * وبقاه ورقته السعود
غدا لي جوده سببا لعودي * الى وطني فها أنا ذا أعود
وألثم كفه شكرا ويتلو * طريفي آي نعماه النشيد
حباني من ذخائره بسيف * به لم يبق للاحزان جيد

والقصر الفارسي من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره الوزير أبو الوليد ابن زيدون في قصيد ضمنه من متنزهات قرطبة ما تقف عليه وكان قد فر من قرطبة أيام بني جهور وتحضره في فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعاهده الانسية مع ولادة التي كان يهواها ويتغزل فيها فقال

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

وستأتي هذه القصيدة في هذا الباب كما ستأتي قصيدة أبي القاسم بن هشام القرطبي التي أولها * يا هبة باكرت من نحو دارين * وفيها كثير من متنزهات قرطبة * قال ابن سعيد كان والدي كثيرا ما يأمرني بقراءتها عليه ويقول والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل قال وكان أبو يحيى الحضرمي يحفظها ويزين بها مجالسه ويحلف أن لا ينشدها بحضرة جاهل لا يفهم وحاسد لا ينصف في الاهتزاز لها وانه لجدير بذلك وانها لمن كنوز الادب ثم قال والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخز أخبرني والدي أنه حضر في زمان الصبا بهذا المرج على راحة ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي والحسن ابن دويدة المشهور بخفة الروح قال فسبحت أمامنا أوز وجعلت تمرح وتنشر ما عليها من الماء فوق المرج والمرج قد أحدق به الوادي والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لي أبو الحسين بالله صف يومنا وحسن هذا المنظر فقلت لا أصفه أو تصفه أنت ولا بد من ذلك فافكر كل منا على انفراد بعدما ذكرنا ما نصف نثرا فقال أبو الحسين الوقشي

لله يوم بمرج الخز طاب لنا * فيه النعيم بحيث الروض والنهر
وللاوز على أرجائه لعب * اذا جرت بددت ما بيننا الدرر
والشمس تجنح نحو الغرب مائلة * كأن عاشقها في الغرب ينتظر
والكاس جائلة باللب حائرة * وكلنا غفلات الدهر يبتدر

قال فقلت

الا حبذا يوم ظفرنا بطيبه * بأكناف مرج الخز والنهر يبسم
وقد مرحت فيه الاوز وأرسلت * على سندس درا به يتنظم
ومد به للشمس فهو كأنه * لثام لها ملقى من النور معصم
أدرنا عليها كؤسا بعثت به * من الانس ميتا عاد وهو يكلم
غدونا اليه صامتين سكينة * فرحنا وكل بالهوى يترنم

فأظهر كل منا لصاحبه استحسان ما قال تنشيطا وتتميما للمسرة ثم قلنا للحسن ما عندك أنت تعارض به هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجله وحبق حبقة فرفعت منها أرجاؤه فقال له أبو الحسين ما هذا يا شيخ السوء فقال الطلاق يلزمه ان لم تكن أوزن من شعركما وأطيب رائحة

لا خلاف في نسبه وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور وكذلك صاحب خراسان في هذا الوقت المؤرخ من ولد اسمعيل بن أحمد واسمعيل من ولد بهرام جور لا خلاف فيه اذ كرنا من شهرة انساب من ذكرنا وقد غلب محمد هذا وهو شروان على مدينة الباب والابواب وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك ابن هشام وكان رجلا من الانصار وكان بيده امارة الباب والابواب وقد كانوا تغلبوا بها منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام في صدر الزمان وتلي مملكة شروان مملكة أخرى من جبل القبج يقال لها الاران وملكها يدعى الاران شاه وقد غلب على هذه المملكة في هذا الوقت شروان أيضا وتلي مملكة أخرى يقال لها مملكة الموقانية والمعول في مملكته على مملكة السكز وهي أمة لا تحصى كثرة ساكنة في أعالي هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار وطريقة في المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه في الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره وأحجاره وغلب هذا الرجل المعروف

وأغن

وأغن صوتا وأطرب معنى فضحكنا منه أشد ضحك وجعلنا نهتز غاية الاهتزاز لموقع نادرته فقال والدليل على ذلك أنكم طربتم لما جئت به أكثر مما طربتم من شعركم * ثم قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس أخبرني والدي عن أخيه أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجت مع الشريف الاصم القرطبي الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد تدبج بالنوار فلما حركنا حسن المكان وتشوقنا الى الاركان قال الشريف لقد ذكرني هذا البسيط بسيط فحص السرادق فقلت له فهل ثار في خاطركم نظم فيه قال نعم ثم أنشد

ألا فدعواذكر العذيب وبارق * ولا تسأموا من ذكر فحص السرادق
مجرّ ذيول السكر من كل مترف * ومجرى الكؤس المترعات السوابق
قصرت عليه اللحظ ما دمت حاضرا * وفكري في غيب لمرآه شائق
أيا طيب أيام تقضت بروضة * على لمح غدران وشم حدائق
اذا غردت فيها حمائم دوحها * تخيلتها الكتاب بين المهارق
وما باختيار الطرف فارقت حسنها * ولكن بكيد من زمان مفارق

قال أبو جعفر فلما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار وحركني ذلك الى أن قلت في حور مؤمل سيد منتزهات غرناطة ولم يذكرها ما قاله فيه وذكره في موضع آخر لم يحضرني الآن حتى أورده هنا والله أعلم ومن منتزهات قرطبة السد قال ابن سعيد أخبرني والدي ان الشاعر المبرز أبا شهاب المالقي أنشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السد

ويوم لنا بالسد لو رد عيشه * بعيشة أيام الزمان رددناه
بكرنا له والشمس في خدر شرقها * الى أن اجابت اذ دعا الغرب دعواه
قطعناه شدوا واغتباقا ونشوة * ورجع حديث لو رقي الميت أحياه
على مثله من منزه تبتغى المنى * فلله ما أحلى وأبدع مرآه
شدت نحوه الارجاء والقت ثمارها * علينا فأصغينا له وقبلناه
لئن بان أنا بالانين لفقده * وبالدمع في اثر الفراق حكيناه

وأنشدني والدي موشحة لابي الحسن المريني معاصره وصاحبه يذكر فيها هذا السد وهي

(مطلع)

في نغمة العود والسلافه * والروض والنهر والنديم
اطال من لامني خلافه * فظل في نصحه مليم

(دور)

دعني على منهج التصابي * ما قام لي العذر بالشباب
ولا تطل في المنى عتابي * فلست اصغي الى عتاب
لا ترتجي ردي الى جواب * والكاس تفتر عن حباب
والغصن يبدي لنا انعطافه * اذا هفا فوقه النسيم
والروض أهدى لنا اقتطافه * واختال في برده الرقيم

بشروان على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رسمها كسرى أنوشروان اغيره ممن وثب هنالك فاضافها محمد بن يزيد الى ملكه منها خراسان شاه وزادان شاه وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الاران هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلي مملكة شروان في جبل القبق مملكة طبرستان وملكها في هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب وهي أقرب الامم المتصلة بالباب والابواب ويبادي أهل الباب والابواب مملكة يقال لها حيدان وهذه الامة داخلة في جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت في بدء الزمان افتتحها سلمان ابن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب في بحر مانطش وهذه المدينة جانبان وفي وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في وسطها هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفي هذه المدينة

(دور)

ياحبذا عهدي القديم * ومن به همت مسعدي

ريم عن الوصل لا يريم * مولـــع بالتودد

ما تم الا به النعيم * طوعا على رغم حسدي

معتدل القد ذو نحافه * اسقمني طرفه السقيم

ورام طرفي به انتصافه * فخد في خده الكليم

(دور)

غصن الصبا عاطر المقبل * أحلى من الامن والامل

ظامى الحشا مفعم المخلخل * حلو اللمى ساحر المقل

لكل من رامه توصل * لم يخش ردا بما فعل

اشكو فيبدي لي اعترافه * ان حاد عن نهجه القويم

لا أعدم الدهر فيه رافه * فحق لي فيه أن أهيم

(دور)

لله عصرلنا تقضى * بالسد والمنبر البهيج

أرى ادكاري اليه فرضا * وشوقه دائما يهيج

فكم خلعنا عليه غمضا * وللصبا مسرح أريج

وردأطال المنى ارتشافه * حتى انقضى شربه الكريم

لله ما أسرع انحرافه * وهكذا الدهر لا يديم

(دور)

يا من يحث المطي غربا * عرج على حضرة الملوك

وانثر بها ان سفحت غربا * من مدمع عاطل سلوك

واسع الى من أقام صبا * واحلل صداه لافض فوك

بلغ سلامي قصر الرصافه * واذكره عهدي القديم

وحي عني دار الخلافه * وقف بها وقفة الغريم

قال ابن سعيد والمنبر المذكور في هذه الموشحة من منتزهات قرطبة والسد هو الارحاء التي ذكرها في زجله قاسم بن عبود الرياحي رويته عن والدي عن قائله وهو

(مطلع)

بالله أي نصيب * من ليس لي فيه نصيب

محبوبا مخالف * ومعو رقيب

(دور)

حين نقصد مكانو * يقم في المقام

و يخل علينا * بردا السلام

أدخلت يا قلبي * وروحك في زحام

سلامتك

خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر في خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان في مملكته من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم وهو أرمنوس ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه في ملكه في هذا الوقت المؤرخ فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرض الخزر على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم في احدى جانبي هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودوابهم وآلاته والحلي واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفا الا أن الهند

سلامتك عندي * هي شي عجيب
وكيف بالله يسلم * من هو في لهيب

(دور)

يا لله يا حبيبي * اترك ذا النقار
واعد أن نطيب * في هذا النهار
واخرج معي للوادي * لشرب العقار
تتمم نهارنا * في لذة وطيب
في الارحا والا * في المرج الخصيب

(دور)

أو عند النواعير * والروض الشريق
أو قصر الرصافه * أو وادي العقيق
حق والله دونك * هو عندي الحريق
وفي حبك امسيت * في أهلي غريب
وما الموت عندي * الا حين تغيب

(دور)

اتكل على الله * وكن فاجسور
وان ريت فضولي * فقل أي غور
كش عني وجهك * فان را لك نفور
يهرب عنك خائف * ويبقى مريب
وامش انت موقر * كانك خطيب

(دور)

ما أعجب حديثي * ايش هذا الجنون
نطلب وندبر * امرا لا يكون
وكم ذا تهون * شيأ لا يهون
وايش مقدار ما نصبر * لبعد الحبيب
رب اجمعني معو * عاجلا قريب

قال ابن سعيد وأما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتى مثلها في نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسية مشرقا والنصف الى قرطبة واشبيلية مغربا ولما ذكر الرازي قرطبة قال ونهرها الساكن في جريه اللين في انصبابه الذي تؤمن مغبة ضرره في جمله وقال هذا لانه يعظم عند اشبيلية فاذا حان جمله في ايام الامطار أشفقت اشبيلية على الغرق وتوقع اهلها الهلاك والقنطرة التي على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعجبها اقواسها سبعة عشرة قوسا وبانيها على ماذكره ابن حيان وغيره السمح بن مالك الخولاني صاحب الاندلس بأمر عمر بن عبد

ليس من شانها أن تحرق المرأة مع زوجها الا أن ترى ذلك المرأة والغالب في هذا البلد المسلمون لانهم جند الملك وهم يعرفون في هذا البلد باللارشية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان في قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع في بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو باس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر في حروبه وأقاموا في بلده على شروط بينهم أحدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير في وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ويركب منهم مع الملك في هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة أيضا على حسب ما في المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهي قضايا عقلية فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل

العز برضى الله عنه وشيدها بنو أمية بعد ذلك وحسنوها قال ابن حيان وقيل انه قد
كانت فى هذا المكان قنطرة من بناء الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتى سنة أثرت
فيها الزمن بمكابدة المد حتى سقطت حناياها ومحيت أعاليها وبقيت أرجلها وأسافلها
وعليها بنى السمح فى سنة احدى ومائة انتهى وقال فى مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى
أعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى وطولها
ثمانمائة ذراع وعرضها عشرون باعا وارتفاعها ستون ذراعا وعدد حناياها ثمان عشرة
حنية وعدد أبراجها تسعة عشر برجا انتهى *(رجع الى قرطبة)* ذكر ابن حيان والرازى
والحجارى أن التنبان ثانى قياصرة الروم الذى ملك أكثر الدنيا وصنع نهر رومية بالصفر
فأرخت الروم من ذلك العهد وكان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة
أمر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبنيت فى مدته قرطبة واشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد
الحجارى بأن التنبان المذكور وجه أربعة من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم
مدينة فى الجهة التى ولاه عليها وسماها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت أسماء لاولئك
الملوك وغير الحجارى جعل أن هذه المدن مشتقة مما تقتضيه اوضاعها كما ذكروا وانه
قد تداولت على قرطبة ولاة الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصو بن اسحق بن ابراهيم على نبينا
وعليهم الصلاة والسلام الى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على
الاندلس الى أن اخذها منهم المسلمون ولم تكن فى الجاهلية سرير السلطنة الاندلس بل كرسيا
لخاص مملكتها وسعدت فى الاسلام فصارت سرير السلطنة العظمى الشاملة وقطبا
للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعا لها بعدما كان الامر بالعكس والله يفعل
ما يشاء بيده الملك والتدبير وهو على كل شئ قدير لا اله الا هو العلى الكبير وقال صاحب
نشق الازهار عندما تعرض لذكر قرطبة هى مدينة مشهورة دار خلافة واهلها أعيان ناس فى
العلم والفضل وبها جامع ليس فى الاسلام مثله انتهى ومن الاسباب فى سلب محاسن قرطبة
عيث البربر بها فى دخولهم مع سليمان المستعين الاموى حين استولى على قرطبة فى دولته التى
افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمان على بن حمود من بنى
على بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم
أجمعين وجده ادريس هرب من هرون الرشيد الى البربر فتبربر ولده وبنى ابنه ادريس
مدينة فاس وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على أن دولة بنى امية تنقرض
بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من
محاسنها ومحاسن أهلها كان من اكبر أمرائهم على بن حمود وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس
خبره واسمه ونسبه فدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطرى يحدثنى أن هذا الرجل
يقتلنى يعنى سليمان فان فعل فخذ بثارى وكان هذا الامر هو الذى قوى نفس ابن حمود على
طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد احد من اخذ بثاره بعد موته
وتولى بعد ذلك على بن حمود وبويع بقرطبة فى قصرها فى اليوم الذى قتل فيه سليمان المستعين
واخذ الناس بالارهاب والسطوة واذل رؤس البربر وبرقت للعدل فى ايامه بارقة خلب لم تكد

تقد

نعضام اجتمعوا الى قضاة
المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ماتوجبه شريعة الاسلام وليس فى
ملوك الشرق فى هذا
الصقع من له جند مرتزقة غير
ملك الخزر وكل مسلم من
تلك الديار يعرف باسم
هؤلاء القوم اللارسية
والروس والصقالبة الذين
ذكرنا انهم مرتزقة من جند
الملك وعبيده وفى بلاده
خلق من المسلمين تجار
وصناع غير اللارسية فى
طرف باسم العدل وأمنه
ولهم مسجد جامع والمنارة
تشرف على قصر الملك ولهم
مساجد أخر فيها المكاتب
لتعليم الصبيان القرآن
واذا اتفق المسلمون ومن
بها من النصارى لم يكن
للملك بهم طاقة (قال
المسعودى) وليس اخبارنا
عن ملك الخزر نريد به خاقان
وذلك ان للخزر ملكا يقال له
خاقان ورسمه أن يكون فى
يدى ملك آخر هو وغيره
نحو خاقان فى جوف قصر
لا يعرف الركوب ولا
الظهور للخاصة ولا للعامة
ولا الخروج من مسكنه ومعه
حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر
من أمر المملكة شيأ
ولا تستقيم مملكة الخزر
لملكهم الا بخاقان يكون
عنده فى دار مملكته ومعه
فى حيزه واذا أجدبت
ارض الخزر أو نابت
بلادهم نائبة أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم أو فاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى

تقدحتى خبت وجلس للمظالم وقدمت له جماعة من البربر فى اجرام فضرب رقابهم واهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه حمل عنب فاستوقفه وقال له من اين لك هذا فقال أخذته كما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الحمل وطيف به فى البلد واستمر على هذا مع اهل قرطبة فى أحسن عشرة نحو ثمانية أشهر حتى بلغه قيام الاندلسيين بالمرتضى المروانى فى شرق الاندلس فتغير عما كان عليه وعزم على اخلاء قرطبة وابادة أهلها فلا يعود لأمتهم بها سلطان آخر الدهر وأغضى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء الى حاله وانتزع أهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من أعيانهم وألزمهم مالا فلما غرموه سرحهم فلما جىء اليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ الدواب وتركهم ينزلون الى منازلهم على أرجلهم وكان منهم أبو الحزم الذى ملك قرطبة بعد وصارت دولته بوراثة ولده معدودة فى دول الطوائف وانجمعت عن على النفوس وتوالى عليه الدعاء فقتله صبيان أغمار من صقالبة بنى مروان فى الحمام وكان قتله غرة ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا فى اماكن يعرفونها وصح عند الناس موته ففرحوا وكانت مدته كلها نحو عامين وحققها بعض فقال أحد وعشرون شهرا وستة أيام وكان الناصر على بن حمود على عجمته وبعده من الفضائل يصغى الى الامداح ويثيب عليها ويظهر فى ذلك آثار النسب العربى والكرم الهاشمى ومن شعرائه المختصين به ابن الخياط القرطبى ومن شعره قوله

راحت تذكر بالنسيم الراحا ❊ وطفاء تكسر للجنوح جناحا
أخفى مسالكها الظلام فأوقدت ❊ من برقها كى تهتدى مصباحا

وعبادة بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيع وفيه يقول من قصيدة

أبوكم على كان بالشرق بدءها ❊ ورثتم وذا بالغرب أيضا سميه
فصلوا عليه أجمعون وسلموا ❊ له الامر اذ ولاه فيكم وليه

ومدحه ابن دراج القسطلى بقوله

لعلك ياشمس عند الاصيل ❊ شجيت لشجو الغريب الذليل
فكونى شفيعى لابن الشفيع ❊ وكونى رسولى لابن الرسول

وكان أخوه القاسم بن حمود أكبر منه بعشر سنين وامهما واحدة وهى علوية ولما قتل الناصر كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن على واليا على سبتة فاختلف هؤلاء البربر فمال أكثرهم الى القاسم لكونه غير أولا وقدم عليه أخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر فلما وصلت رسلهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان تكون حيلة من أخيه عليه فتقهقر الى أن اتضح له الحق فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ستة أيام من قتل أخيه واحسن السيرة وأحس من البربر الميل الى يحيى ابن أخيه على صاحب سبتة فتمالك فى اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقودهم على أعماله فأنفت البربر من ذلك وانحرفوا عنه وفى سنة تسع وأربعمائة قام عليه بشرق الاندلس المرتضى عبد الرحمن من اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صعب عليهم ملك بنى حمود العلويين بسبب البربر فأرادوا

ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه وقد تشاءمنا به فاقتله أو سلمه اليهم فيقتلونه وربما سلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له ودافع عنه لان قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه هذا رسم الخزر فى هذا الوقت فلست أدرى فى قديم الزمان كان ذلك أم حدث وانما ينسب خاقان هذا لأهل بيت واعيانهم ارى ان الملك كان فيهم قديما والله اعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار فى نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من اعاليها يقال له برطاس عليه امم من الترك حاضرة داخلة فى جملة ممالك الخزر وعمائرهم متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر من حد بلاد البلغر والسفن تختلف فيه من البلغر والخزر وبرطاس امة من الترك على ما ذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار وأكثر ذلك من السود والحمر اخفض ثمنا منها وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس فى لبسه وهو اغلى عندهم من السمور والفنك وماشاكل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف ويتنزه فى الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود فى اعالى

رجوع الامامه الى بنى مروان واجتمع له أكثر ملوك الطوائف وكان معه حين أقبل لقرطبة منذر التجيبى صاحب سرقسطة وخيران العامرى الصقلبى صاحب المرية وانضاف اليهم جمع من الفرنج وتأهب القاسم والبرابرة للقائهم فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية منذر وخيران على المرتضى وقالا أرانا في الاول وجها ليس بالوجه الذى نراه حين اجتمع اليه الجمع لغيره وهذا ما كرغيرمانى النية فكتب خيران الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلب على غرناطة وهو داهية البربر وشجاعها أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذل عن نصرته الموالى العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فأصغى ابن زيرى الى ذلك وكتب المرتضى الى ابن زيرى يدعوه لطاعته فقلب الكتاب وكتب فى ظهره قل يا أيها الكافرون السورة فارسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه جئتك بجميع أبطال الاندلس وبالفرنج فاذا تصنع وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منا أشر بخير ❊ أو لا فأيقن بكل شر

ولم الكاتب ان يحوّل الكتاب ويكتب فى ظهره ألهاكم التكاثر السورة فازداد حنقه وحمله الغيظ على أن ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى أن يصطلمه فى ساعة من نهار ودامت الحرب أياما وأرسل ابن زيرى الى خيران يستنجزه وعده فاجابه انما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ولو كنا بيوا طننا معك ما ثبت جمعك لنا ونحن ننهزم عنه ونخذله فى غد ولما كان من الغدر أى اعلام خيران واعلام منذر وأصحاب الثغور قد ولت عنه فسقط فى يد المرتضى وثبت حتى كادوا يأخذونه واستحر القتل وصرع كثير من أصحابه ولما خاف القبض عليه ولى فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب وادى آش وقد جاوز بلاد البربر وأمن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاؤا برأسه الى المرية وقد حل بها خيران ومنذر فتحدث الناس انهما اصطبحا عليه سرورا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن أهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به اليهم وضرب القاسم بن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تتقطع حسرات وأنشد عبادة بن ماء السماء قصيدته التى أولها

لك الخير خيران مضى لسبيله ❊ وأصبح أمر الله فى ابن رسوله

وتمكنت امور القاسم وولى وعزل وقال وفعل الى أن كشف وجهه فى خلع طاعته ابن أخيه يحيى بن على وكتب من سبتة الى أكابر البرابر بقرطبة ان عمى أخذ ميراثى من أبى ثم انه قدم فى ولاياتكم التى أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان وأنا اطلب ميراثى وأوليكم مناصبكم واجعل العبيد والسودان كما هو عند الناس فاجابوه الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب وأعانه اخوه ادريس صاحب مالقة فجاز البحر بجمع وافر وحصل بمالقة مع اخيه وكتب اليه خيران صاحب المرية مذكرا بما أسلفه فى اعانة أبيه وأكد المودة فقال له اخوه ادريس أن خيران رجل خداع فقال يحيى ونحن نخدعون فيما لا يضرنا ثم ان يحيى أقبل الى قرطبة واتفقا بان البرابر معه ففر القاسم الى اشبيلية فى خمسة فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٨ شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ ودخل يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان وأهل البلد يوم

السبت

خليج من بحر اقريطش وهو بحر (الروس) لا يسلكه غيرهم وهو على ساحل نهر الخزر مصب متصل من سواحلهم وهى امة عظيمة جاهلية لا تنقاد الى ملك ولا شريعة وفيهم تجار يختلفون الى مدينة بحر البلغر والروس فى ارضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذى بجبل بنجهير من أرض خراسان ومدينة البلغر على ساحل بحر نيطش وأرى انهم فى الاقليم السابع وهم نوع من الترك والغز والقفل متصلة بهم من بلاد خوارزم من ارض خراسان ومن خوارزم اليهم لان ذلك بين بوادى غيرهم من الترك والغز والقفل تخفره منهم وملك البلغر فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مسلم اسلم فى أيام المقتدر وذلك بعد العشر والثلثمائة وذلك لرؤيا رآها وقد كان له ولد حج وورد مدينة السلام وحمل معه المقتدر لواء وبنودا ولهم جامع وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية فى نحو ألف فارس فصاعدا فشن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وأرض أرجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية فى خليج آخر من البحر الرومى لا منفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد حرفيديه وأتاهم فى البحر جماعة من البلغر يحذرونهم وأخبروهم أن ملكهم بالغرب وهذا يدل على ما

السبت مستهل جمادى الآخرة وكان يحيى من الجبناء وأمه فاطمية وانما كانت آفته العجب واصطناع السفلة واشتط أكابر البرابر عليه وطلبوا امارة عدة من اسقط مراتب السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويفرغ بيت المال وفر السودان الى عمه باشبيلية ومن البرابر ومن جند الاندلس من احدب عنهم يحيى وتكبر عليهم ولم يعل اليه ملوك الطوائف وبقي منهم كثير على الخطبة لعمه القاسم الى أن اختلت الحال بحضرة قرطبة وأيقن يحيى انه متى أقام بها قبض عليه وكان قد ولى على سبتة أخاه ادريس وبلغه أن أهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفر يحيى في خواصه تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فراره ركب من اشبيلية الى قرطبة فخطب له بها يوم الثلاثاء ١٢ ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ ولم يصلح الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان هوى السودان معه وهوى كثير من البرابرة مع يحيى وهوى أهل قرطبة مع قائم من بني أمية يشيعون ذكره ولا يظهرونه وكثر الارجاف بذلك ووقع الطلب على بني أمية فتفرقوا في البلاد ودخلوا في أغمار الناس وأخفوا ربهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر وأهل قرطبة وتكاثر البلديون وأخرجوا القاسم وبرابرته فضرب حصة بغربيها وقاتلهم مدة خمسين يوما قتالا شديدا وبنى القرطبيون أبواب مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار الى أن طال عليهم الحصار فهدموا بابا من الابواب وخرجوا خرجة رجل واحد وصبروا ففتحهم الله تعالى الظفر وفر السودان مع القاسم الى اشبيلية وفر البرابرة الى شي وهو بمالقة وكان فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس ١٢ ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد ابن القاسم واليا على اشبيلية وثقته المدبر لامره محمد بن زيري من أكابر البرابرة وقاضيها محمد ابن عباد فعمل القاضي لنفسه وهو جد المعتمد بن عباد وأضمع ابن زيري في التملك وأغلق الابواب في وجه مصطنعه وحاربه فقتل من البرابر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيئس القاسم وقنع أن يخرجوا اليه ابنه وأصحابه ويسير عنهم فأخرجوهم اليه فسار بهم الى شريش وعندما استقر بها وصل اليه يحيى ابن أخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصره في المدينة عشرين يوما كان فيها حروب صعاب وقتل من الفريقين خلق كثير وأجلت الحرب عن ظهور يحيى لعمه واسلام أهل شريش له وفر سودانه وحصل القاسم وابنه في يد يحيى وكان قد أقسم أنه ان حصل في يده ليقتلنه ولا يتركه حتى يلي الامامة بقرطبة مرة ثالثة فرأى التربص في قتله حتى يرى رأيه فيه فحدث عنه بعض أصحابه انه حمله بقيد الى مالقة وحبسه عنده وكان كلما سكر وأراد قتله رغبه ندماؤه في الابقاء عليه لانه لا قدرة له على الخلاص وكان كلما نام رأى والده عليا في النوم ينهاه عن قتله ويقول له أخي أكبر مني وكان محسنا الي في صغري ومسلما الى عند ما يرى الله فيه وامتدت الحال على ذلك الى أن قتله خنقا بعد ١٣ سنة من حين القبض عليه لانه قد كان حبسه في حصن من حصون مالقة فنمي اليه أنه قد تحدث مع أهل الحصن في القيام والعصيان فقال أو بقي في رأسه حديث بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧ وبقي أهل قرطبة بعد فرار القاسم نيفا عن عشرين يوما يرون رأيهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أحضر المستظهر وسليمان بن المرتضى وأمري

وصفنا أن البلغر تتصل سراياها الى ساحل بحر الروم وكان نفر منهم ركبوا في مراكب الطرسوسيين وأتوا بهم الى بلاد طرسوس والبلغر أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ينقاد لها من جاورها من الامم والفارس ممن تدأسلم مع ذلك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار ولا يمنع أهل القسطنطينية منهم من هذا الوقت الاسورها وكذلك من في هذا الصقع لا يعتصم منهم الا بالحصون والجدران والليل في بلاد البلغر في نهاية من القصر في بعض السنة ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك الوجه من الفلك وعلة الموضع الذي يكون الليل فيه ستة أشهر لا نهار فيه والنهار ستة أشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو الجدي وقد ذكر أصحاب الزيجات في النجوم علة ذلك من الوجه الفلكي والروس امم كثيرة وانواع شتى ومنهم من يقال لهم اللودعانه وهم الاكثرون يختلفون بالتجارة الى بلاد الاندلس ورومية وقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب في كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج نيطش المتصل بنهر الخزر وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية

آخر بعد فبايعنا المستظهر وتبلا يده بعدما كان قبل البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ماارتضاه الاماثل فبشر اسمه وكتب اسم المستظهر وركب الى القصر وحمل معه ابنى عمه المذكور بن فحبسهما وكان قدرفع جماعة من الاتباع ذهب بهم العجب كل مذهب كأبى عامر بن شهيد المنهمك فى بطالته وأبى محمد بن حزم المشهور بالرد على العلماء فى مقالته وابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف فى حالته فأحقد بذلك مشايخ الوزراء والاكابر وبادر المستظهر باصطناع البرابر وأكرم مثواهم وأحسن مأواهم واشتغل مع ابن شهيد وابنى حزم بالمباحثة فى الآداب ونظم الشعر والتمسك بتلك الاهداب والناس فى ذلك الوقت أجهل ما يكون وكان جماعة من أهل الشر فى السجون يتعين أن لا يخرج منهم انسان فأخرج منهم شخصا يقال له أبو عمران وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فأخرجه وخالفه فى ذلك ولم يقبل النصيحة وفعل ما أداه الى الفضيحة فسعى القوم الذين خرجوا من المحبوس على افساد دولته وابدال فرحه بالبوس لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس وسعوا فى خلعه مع البرابر وقتل فى ذى القعدة من السنة التى بويع فيها وصار كأمس الدابر بعد سبعة وأربعين يوما من يوم بويع بالخلافة واذا أراد الله أمرا فلا يقدر أحد أن يأتى خلافه وعمره ثلاث وعشرون سنة كأنها سنة ومن شعر المستظهر المذكور وهو من القريض الممدوح صاحبه بالبلاغة المشكور

طال عمر الليل عندى * مذ تولعت بصدّى
يا غزالا نقض العهد ولم يوف بوعدى
أنسيت العهد اذ بتنا على مفرش ورد
واعتنقنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تسرى * ذهبا فى لازورد

وكتب اليه شاعر فى طرس مكشوط السطر مبشور وفيه بشارة ببقاء الامام الفاضل المستظهر

ملك أعاد العيش غضا ملكه * وكذا يكون به طوال الاعصر

فاجزل صلته وكتب فى ظهر الورقة

قبلنا العذر فى بشر الكتاب * لما أحكمت فى فصل الخطاب

وقد قدمنا فى الباب الثالث شيأ من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى أن تولى الامر ابن جهور فى صورة الوزارة ثم ابنه الى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد حسبما ذكر فى أخباره ثم آل الامر بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدوة من الملثمين والموحدين على قرطبة الى أن تسلمها النصارى أعادها الله تعالى للاسلام كما ذكر فى الباب الثامن * وقال صاحب مناهج الفكر فى ذكر قرطبة ما ملخصه فاما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة من البلاد الخطيرة فمنها قرطبة وكانت مقر الملك ودار الامارة وأم ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك الى أن خرجت عن ايديهم وتنقلت فى أيدى ملوك المسلمين الى أن وصلت الى الناصر عبد الرحمن فبنى فى تجاهها مدينة سماها الزهراء يجرى بينهما نهر عظيم انتهى * واعلم أن المبانى الدالة على عظم قدر بانيها كما ذكرناه فى كلام الناصر الذى طابت له

يصعدون من بردمن ذلك البحر ومن بردمن ذلك الوجه من البر الذى سفنه فى نهر الخزر وتتصل بشهر نيطش وذلك ان بوادى الغزاة تردالى ذلك اكثر وتشتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى خليج القسطنطينية فتعبر عليه بخيولها وهو ماء عظيم ينحسف من تحتهم لشدة استحجاره وتغير على بلاد الخزر ورعا يخرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك من رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما فى الصيف فلا سبيل للترك الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر على ان يجتازوا البلاد وينحدروا فى نهره فيدخلوا بحر الخزر الذى هو بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الاعاجم على ما ذكرنا ويجعلوا لملك الخزر النصف مما يغنمون ممن هنالك من الامم على ذلك البحر فأباحهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه وصاروا مصعدين فى تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا فيه الى مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس فى هذا البحر وطرحت سراياها الى الجبل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهى بلاد ساحل جرجان وبلاد

من

من الزهراء مجانيها ولم يزل البلغاء يصفون المباني باحسن الالفاظ والمعاني ورأينا أن نذكر هنا بعض ذلك زيادة فى توسيع المسالك فمن ذلك قول ابن حمديس الصقلى فى دار بناها المعتمد على الله

ويا حبذا دار قضى الله أنها * يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه * مشى قدماه فى أرضها خلع النعلا
وما هى الا خطة الملك الذى * يحط اليه كل ذى أمل رحلا
اذا فتحت أبوابها خلت انها * تقول بترحيب لداخلها أهلا
وقد نقلت صنا عها من صفاته * اليها افانينا فأحسنت النقلا
فمن صدره رحبا ومن نوره سنى * ومن صيته فرعا ومن حلمه أصلا
فأعلت به فى رتبة الملك ناديا * وقل له فوق السماكين أن يعلى
نسيت به ايوان كسرى لانى * اراه له مولى من الحسن لا مثلا
كأن سليمان بن داود لم يبح * مخافته للجن فى صنعه مهلا
ترى الشمس فيه ليقة تستمدها * أكف أقامت من تصاويرها شكلا
لها حركات أودعت فى سكونها * فما تبعت فى نقلهن يد رجلا
ولما عشينا من توقد نورها * تخذنا سناه فى نواظرنا كحلا

وقال من أخرى يصف دارا بناها المنصور بن أعلى الناس ببجاية

أعمر بقصر الملك ناديك الذى * اضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كحلت بنوره * اعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيمه * فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نسى الصبيح مع الفصيح بذكره * وسما ففاق خورنقا وسديرا
لو أن بالايوان قوبل حسنه * ما كان شيأ عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الالى * رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا * لملوكهم شبها له ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا * غرفا رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا أعمالهم * ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت * حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا أنه * حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبدع منظر * ثم انثنيت بناظرى محسورا
فظننت أنى حالم فى جنة * لما رأيت الملك فيه كبيرا
واذا الولائد فتحت أبوابه * جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم * فغرت بها أفواهها تكبيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها * من لم يكن بدخولها مأمورا
تجرى الخواطر مطلقات أعنة * فيه فتكبو عن مداه قصورا

النفاطة ونحو بلاد اذربيجان وذلك أن من مدينة أردشير من بلاد أذربيجان الى هذا البحر نحو من ثلاثة ايام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات وأخربت وأحرقت فضج من حول هذا البحر من الامم لانهم لم يكونوا يعهدون فى قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب كثيرة مع الجبل والديلم وساحل جرجان ونفر أهل بردعة واران والسيلقان وأذربيجان مع قائد لابن أبى الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكوى وكانت الروس تأوى عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطة على أميال منها وكان ملك شروان يومئذ على بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا فى القوارب ومراكب التجار وساروا نحو تلك الجزائر فمالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألوف وأقام الروس شهورا كثيرة فى البحر على ما وصفنا لا سبيل لاحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس متأهبون لهم حذرون منهم لانهم بحر غامر لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما هم فيه ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه

... مراكب وليس لهم بها عادة ولولا ذلك لكان على المسلمين منهم أمة عظيمة

يرخم الساحات تحسب أنه * فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه * مسكا تضوع نشره وعبيرا
تستخلف الابصار منه اذا اتى * صبحا على غسق الظلام منيرا

ثم ذكر بركة فيها عليها أشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه وتقدم ذكر اسود على حافتها قاذفة المياه أيضا فقال

وضراغم سكنت عرين رياسة * تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها * وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك * في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما * أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه * درعا فقدر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى * سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد سرجت أغصانها فكأنما * قنصت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لوقع طيورها * أن تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأن في كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما * جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصفح الابواب تبرا نظروا * بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت * تلك النهود من الحسان صدورا
خلعت عليه غلائلا ورسية * شمس ترد الطرف عنه حسيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفه * أبصرت روضا في السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي * حامت لتبني في ذراه وكورا
وضعت به صناعه أقلامها * فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقة * مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما اللازورد مخرم * بالخط في ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة * تركوا مكان وشاحها مقصورا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الارض الذي أضحى له * ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدمت * واستوجبت بقصورك التأخيرا

وهو ... على ... وفي ... منهم ... ووجدت العين ... الروس ... فكيف ... المسعودي في ... الى بلاد ... وركبوا مراكبهم ... من ... ووقع الى بلاد المسلمين فقتلوهم وكان من وقع عليه ... المسلمون ... نحوا

من ثلاثين ألف عام ولم يكن للروس من تلك السنة عودة الى ما ذكرنا (قال المسعودي) وأما ما ذكرنا فعمرتها

هذه القصة دفعا لقول من زعم ان بحر الخزر متصل ببحر مانطش وخليج

فعمرتها وملكت كل رياسة ※ منها ودمرت العدا تدميرا

قلت لم أر لهذه القصيدة من نظير في معناها البانع النضير ولفظها العذب النمير الذي شمر فيه قائلها عن ساعد الاجادة أي تشمير غير أن فيها عندي بيتا واحدا وهو ختمها لفظ التدمير وعلى كل حال فالحسن والاحسان يتبادران في أرسان لعبد الجبار بن حمديس المذكور ذي المقاصد الحسان وخصوصا في وصف المباني والبرك فما أبقى نسواه في ذلك حسنا ولا ترك ※ (ومن ذلك) قوله في وصف بركة تجري الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود وكل ذلك في قصر أطنب في وصفه في قصيدة طويلة

والماء منه سبائك من فضة ※ ذابت على درجات شاذروان
وكأنما سيف هناك مشطب ※ ألقته يوم الحرب كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجبا ※ من دوحة نبتت من العقيان
عجبا لها تسقي الرياض ينابعا ※ نبعت من الثمرات والأغصان
خصت بطائرة على فنن لها ※ حسنت فأفرد حسنها من ثنى
قس الطيور الخاشعات بلاغة ※ وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت ※ بخرير ماء دائم الهملان
وكأن صانعها استبد بصنعة ※ فخر الجماد بها على الحيوان
أوفت على حوض لها فكأنها ※ منها على العجب العجاب روانى
فكأنها ظنت حلاوة مائها ※ شهدا فذاقته بكل لسان
وزرافة في الجوف من أنبوبها ※ ماء يريك الجري في الطيران
مركوزة كالرمح حيث ترى له ※ من طعنة الحلو اعطاف سنان
وكأنها ترمي السماء ببندق ※ مستنبط من لؤلؤ وجمان
لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت ※ في الجو منه قميص كل عنان
في بركة قامت على حافاتها ※ أسد تذل لعزة السلطان
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها ※ فلذاك انتزعت من الابدان
وكأن برد الماء منها مطفئ ※ نارا مضرمة من العدوان
وكأنما الحيات من أفواهها ※ يطرحن انفسهن في الغدران
وكأنما الحيتان اذ لم تخشها ※ أخذت من المنصور عقد أمان

وهاتان القصيدتان لابن حمديس كما في المباهج مع طولهما تدلان على الابداع الذي ابتكره والاختراع الذي ساوغ سمع أحد من الفضلاء الا شكره لما أسكره وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي يصف قصرا بمصر يسمى منزل العز بناه حسن بن علي بن تميم بن المعز العبيدي

منزل العز كاسمه معناه ※ لا عدا العز من به سماه
منزل ودت المنازل في اعلى دراه لو صيرت اياه
فأجل فيه لحظ عينيك تبصر ※ أي حسن دون القصور حواه

القسطنطينية ولو كان هذا البحر متصلا بخليج القسطنطينية ...

اليها وتختلف المراكب فيه بالتجارات مع المواضع التي سميناها من ساحله الى باكوى وهي معدن النفط الابيض ...

سال فى سقفه النضار ولكن * جمدت لى قراره الامواه
وبأرجائه مجال طراد * ليس تنفك من وغى خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه * ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للنز * ع بعيدا من قرنه مرماه
وصفوفا من الوحوش وطير الجو كل مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات * واختلاف كأنه أشباه
تحيا الحبيب حرفا بحرف * ما تعدى صفاته اذ حكاه
ورده وجنتاه نرجسه القتان عيناه آسه عارضاه
وكأن الكافور والمسك فى الطيب وفى اللون صبحه ومساه
منظر يبعث السرور ومرأى * يذكر المرء طيب عصر صباه

وقال أبو الصلت أمية الاندلسى المذكور يذكر بناء بناه على بن تميم بن المعز العبيدى

لله مجلسك المنيف قبابه * بموطد فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرة تلتقى * فيه الجوارى بالجوارى الكنس
تتقابل الانوار من جنباته * فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمائه * عطف الاهلة والحواجب والقسى
واستشرفت عمد الرخام وظوهرت * بأجل من زهر الربيع وأنفس
فهواؤه من كل قد أهيف * وقراره من كل خد أملس
فلك تحير فيه كل منجم * وأقر بالتقصير كل مهندس
فبدا للحظ العين أحسن منظر * وغدا لطيب العيش طيب معرس
فاطلع به قمرا اذا ما أطلعت * شمس الخدور عليك شمس الاكؤس
فالناس أجمع دون قدرك رتبة * والارض أجمع دون هذا المجلس

ويعجبنى من قول أبى الصلت أمية المذكور يصف حال زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منها اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
اذا زاد يحكى الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذى بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التى قد اشتملت * من كل شئ حلا فى جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادى

وهو مأخوذ من قول الاول يصف قصر أنس بالبصرة

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له نديشاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادى
تلقى به السفن والظلمان حاضرة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال رحمه الله تعالى يذكر الهرمين

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا * على طول ما عاينت من هرمى مصر

وليس فى الدنيا والله أعلم نفط أبيض الا فى هذا الموضع وهى على ساحل مملكة شروان وفى هذه النفاطة أطمة وهى عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الاوقات تضطرم الصعداء ويقابل هذا الساحل فى البحر جزائر منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر فى أوقات من فصول السنة فيظهر منها نار تذهب فى الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية تضىء الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر وهذه الاطمة تشبه أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد أفريقية من أرض المغرب وليس فى آطام الارض أشد صوتا ولا أسود دخانا ولا أكثر تلهبا من الاطمة التى فى أعمال المهراج وبعدها أطمة وادى برهوت وهى نحو بلاد سبا وحضرموت من بلاد الشحر وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلا يهوى الى قعرها وحولها والجمر الذى يظهر منها حجارة وقد احمرت بما قد أحاله من سواد حرارة النار وقد أتينا على علة تكون عيون النيران فى الارض وما سبب موادها فى كتابنا أخبار الزمان وفى هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها أنافا

أنافا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وستأتى ترجمته ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس * وعلى ذكر الانهار والبرك فما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف بركة عليها عدة فوارات

غضبت مجاريها فأظهر غيظها * ما فى حشاها من خفى مضمر
وكأن نبع الماء من جنباتها * والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثمر فرعها * لما انتهت باللؤلؤ المتحدر

وقال ابن صارة الاندلسى يصف ماء بالزرقة والصفا يجرى على الصفا

والنهر قد رقت غلالة خصره * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وما أحسن قول بعض الادباء ولم يحضرنى الآن اسمه

والنهر يكسو غلالة فضة * فاذا جرى سال فيه نضار
واذا استقام رأيت صفحة منصل * واذا استدار رأيت عطف سوار

وقال ابن حمديس المغربى يصف نهرا بالصفاء

ومطرد الامواج يصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جريح باطراف الحصى كلما جرى * عليها شكا أوجاعه بخريره

وهذا النهج متسع ولم نطل السير فى هذه المهامه وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة ليتنبه به منتقصهم من سنة أوهامه ولان فى أمرها عبرة لمن عقل اذ أصدأ مرآة حسنها ولطالما كان لمثلها صقل وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج فى هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصا وهو ويلحق بذكر المنازل التى راق منظرها وفاق مخبرها وارتفع بناؤها واتسع فناؤها طرفا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها ومحاه من محاسن صور كانت أرواحا لجسومها وصف أعرابى محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثر الارتحلت عنها ربات الخدور وأقامت بها أثافى القدور ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم والعهد قريب واللقاء بعيد وقال عمر بن أبى ربيعة فأحسن

يا دار امسى دارسا رسمها * وحشا قفارا ما بها أهل
قد جرت الريح بها ذيلها * واستن فى أطلالها الوابل

ومن كلام الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع وأطال به التوجع والقصور تختال فى أدواحها والازاهر تحيى ميت الصبابة شذا أرواحها وأطيار الرياض كثكالى يبكين على خرابها وانقراض أترابها والوهى بمشيدها لاعب وعلى كل جدار منها غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها ولطالما أشرقت بالخلائق وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث فى آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فأصبحت ولها تلفع واعتجار ولم يبق

نوع من البزاة البيض أسرع اجابة وأقلها معاشرة الأن فى هذا النوع من البزاة شيأ من الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضوارى وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازى اذا كان الى البياض فى اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما وأجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى جميع البزاة على السمو فى الجو وأذهبها صعداء وأبعدها غاية فى الهواء لان فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس فى غيرها من جميع أنواع البزاة وان اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج فى أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة أرضنا اذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء الى الفضاء سمت فى الجو الى الهواء البارد الكثيف فان رأت دواب تسكن هناك فتغذيها فى أوكارها من تلك الدواب أضراها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأ وسكن وعن بليناس انه قال

من آثرها الانوى وأحجار قد هوت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد * وقال ابو صخر القرطبي يذكر ذلك من أبيات ينعاهم بها

ديار عليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا
ربوع كساها المزن من خلع الحيا * برودا وحلاها من النور جوهرا
تسرك طورا ثم تشجيك تارة * فترتاح تأنيسا وتشجى تذكرا

(ومن كلام أبي الحسن القاشاني) يصف نادى رئيس خلا من ازدحام الملا وعوضه الزمان عن تواصل أحبابه هجرا وبلا قد كان منزله مألف الاضياف ومأنس الاشراف ومنتجع الركب ومقصد الوفد فاستبدل بالانس وحشة وبالضياء ظلمة واعتاض من تزاحم المواكب تلاطم النوادب ومن ضجيج النداء والصهيل عجيج البكاء والعويل *(ومن رسالة لابن الاثير الجزري يصف دمنة لعبت بها أيدى الزمن وفرقت بين المسكن والسكن كانت مقاصير جنة فأصبحت وهي ملاعب جنة وقد عميت اخبار قطانها وآثار أوطانها حتى شابهت احداهما في الخفاء الاخرى في العفاء وكنت أظن انها لا تسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير ان السحاب بكاهم فأجرى بها هوامع دموعه والليل شق عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه)* وقد لمع في بعض كلامه قول الشريف من أبيات يصف فيها ما كان في الحيرة من منازل النعمان ابن المنذر

ما زلت أطرق للمنازل باللوى * حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت * شم العماد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها * ويبين بالبنيان فضل الباني
ما ينفع الماضين أن بقيت لهم * خطط معمرة بعمر فاني

يقول فيها

ولقد رأيت بدير هند منزلا * ألما من الضراء والحدثان
يغضى كمستمع الهوان تغيبت * أنصاره وخلا من الاعوان
بالى المعالم أطرقت شرفاته * اطراق منجذب القرينة عاني
أمقاصر الغزلان غيرك البلى * حتى غدوت مرابض الغزلان
وملاعب الانس الجميع طوى الردى * منهم فصرت ملاعب الجنان

ومنها

مسكية النفحات تحسب تربها * برد الخليع معطر الاردان
وكأنما نسى التجار لطيمة * جرت الرياح بها على العقيان
ماء يجيب الدرع يصقله الصبا * ويقى بدوحته النسيم الواني
زفر الزمان عليهم فتفرقوا * وجلوا عن الاقطار والاوطان

وقال أبو اسحق الصابي وتوارد مع الشريف الرضي في المعنى والقافية يصف قصر روح بالبصرة

واجب اذا كان لهذين الاستقصين يعنى الارض والماء خالق وساكن أن يكون للاستقصين يعنى الهواء والنار خلق وساكن ووجدت في بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل وعلى يده باز أبيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق شيئا فهوى به يشبه الحية والسمكة وله ريش كأجنحة السمك فأمر الرشيد فوضع في طست فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم هل تعلمون للهواء سكانا فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله ابن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان أدبرها منا دواب بيض في الهواء تفرخ فيه يرفعها الهواء الغليظ ويربيها حتى تنشأ في هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بزاة بيض تكون بارمينية فأخرج الطست اليهم فأراهم الدابة وأجاز مقاتلا يومئذ وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بعمرو غيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجو حيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق وأنهار بما تقع على الحيوان فتقتله وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت كنشر ثوب جديد وربما يتولد من

احبب

أحبب الى بقصر روح منزلا * شهدت بنيته بفضل البانى
سورعلا وتمنعت شرفاته * فكأن احدهن هضب أبان
وكانما يشكو الى زواره * بين الخليط وفرقة الجيران
وكانما يبدى لهم من نفسه * اطراق محزون الحشا حران

ولاحمد بن فرج الالبيرى من أبيات

سألت بها فاردت جوابا * عليك وكيف تخبرك الطلول
ومن سفه سؤالك رسم دار * مضى لعفائه زمن طويل
فان تك أصبحت قفرا خلاء * لعينك فى مغانيها همول
فقدما قد نعمت قرير عين * بها وبربعها الرشأ الكحيل

وقال أبو عبد الله بن الخياط الاندلسى الاعمى

لو كنت تعلم ما بالقلب من نار * لم توقد النار بالهندى والغار
يادار علوة قد هيجت لى شجنا * وزدتنى حرفا حييت من دار
كم بت فيك على اللذات معتكفا * والليل مدرع ثوبا من القار
كانه راهب فى المسح ملتحف * شد الجديل له وسطا بزنار
يدير فيه كؤس الراح ذو حور * يدير من لحظه ألحاظ سحار

ولا بد فى التفجع على الديار والتوجع للدمن والآثار على قول البحترى من قصيدة يرثى بها المتوكل

محل على القاطول أخلق داثره * وعادت صروف الدهر جيشا تغادره
كأن الصبا توفى نذورا اذا انبرت * تراوحه أذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم ثم عهده * ترق حواشيه ويونق ناضره
تغير حسن الجعفرى وأنسه * وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة * فعادت سواء دوره ومقاصره
اذا نحن زرناه أجد لنا الاسى * وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انس وحش القصر اذ ريع سربه * واذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت * على عجل أستاره وستائره
وأوحشه حتى كأن لم يكن به * أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة * بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها * وبهجتها والعيش غض مكاسره
فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت * بهيبتها أبوابه ومقاصره
واين عميد الناس فى كل نوبة * تنوب وناهى الدهر فيهم وآمره

وعلى قول أبى اسحق بن خفاجة الاندلسى

ومرتبع حططت الرحل فيه * بحيث الظل والماء القراح
تخرم حسن منظره مليك * تخرم ملكه القدر المتاح

لاعلم له وغيره من النسوان هذا صوت ساحرة تطير ذات أجنحة من قصب وللناس كلام كثير فيما ذكر واستدلالهم على هذا انما هو عما يحدث فى استقصاء الماء من الحيوان وانه يجب على هذه القصة أن يحدث ذلك بين الاستقصين الآخرين وهما الارض والماء (قال المسعودى) وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة وأغربت فى الوصف وأطنبت فى المدح فمن ذلك خاقان ملك الترك البازى شجاع مريد وقال كسرى أنوشروان البازى رقيق يحسن الاشارة لا يؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازى ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة حسبك من البازى نزعه فى المطالب والرزق فى السمو اذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته وأحب لسرعته ألا ترى الى الفهود لا تزداد فى غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية البازى لقصر جناحيه ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ولا تؤتى الجوارح الا من قصر القوادم الا ترى الدراج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت غاياتها وقال أرسيجاس البازى طير عارى الجناب وما

تحـ ر يه ماء جـ د وله بكاء * عليـه وشـ دو طائره نواح

وهذا النوع من البكاء على الدمن والتأسف على ما فعلت بها أيدى الزمن كثير جدا لا يعرف الباحث عنه له حدا وذلك لشدة ولوع النفوس بذكر أحبابها وحنينها الى أماكنها التى هى مواض امرائها ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة وجعلناه انبعة يشفى المشوق بها غليله وقد كره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم انه لا يجدى ولا يدفع عادية الدهر الخؤون ولا يعدى ونهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب المجزع لصاحبه الصاب والاوصاب قال أبو عمر بن عبد البر

عفت المنازل غير أرسم دمنة * حييتها من دمنة و رسوم

كم ذا الوقوف ولم تقف فى منسك * كم ذا الطواف ولم تطف بحريم

فكل الديار الى الجنائب والصبا * ودع النهار لى الصدى والبوم

انتهى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار * (رجع الى قرطبة فنقول) وقد ألم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبه وبعض أوصافها فى كتاب له كتبه على لسان سلطانه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه بجملته فى الباب الخامس من القسم الثانى فليراجع ثمة ونص محل الحاجة منه هنا ثم كان الغزو الى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة التى على عمل أهلها فى القديم بهذا الاقليم كان العمل والكرسى الذى بعصاه رعى الهمل والمصر المعمور الذى فى خطه الناقة والجمل والافق الذى هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل مخيم الاسلام فى عفرتها المستباحة وأجاز نهرها المغنى عن السباحة وعم دوحها الاشب بوارا وادار اعلاك بسورها سوارا وأخذ بمخنقها حصارا وأعمل الصبر بشجرة أصلها اجتثاثا واهتصارا وجدل من ابطالها من لم يرض انجحارا وأعمل الى المسلمين اصحارا حتى فرع بعض جهاتها غلابا جهارا ورفعت الاعلام اعلاما بعز الاسلام واظهارا فلولا استهلال الغوادى وان آتى الوادى لافضت الى فتح الفتوح تلك المبادى ولقضى تفثه العاكف والبادى انتهى * (ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى فى وصف هذه الغزوة لسلطان بنى مرين على لسان صاحب الاندلس ما صورته) * المقام الذى نطالعه بأخبار الجهاد ونهدى اليه عوالى العوالى صحيحة الاسناد ونبشره بأخبار افتتح البعيد الآماد ونسأل الله تعالى دوام الاسعاد والامداد ونرتقب من صنع الله تعالى على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد وامتعاضا يطلع بآفاق البلاد نجوم غرر الجياد ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف الحداد وينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والاجداد مقام محل اخينا الذى نستفتح له بالفتح الظهور ونهدى الى مجده لما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور ونستظهر بملكه المؤيد المؤمل ونجده المشهور ونتوعد منهما العدو والحبيب المذخور والولى المنصور السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى عالى القدر قرير العين منشرح الصدر ولا زال حديث فخره سائرا مسير الشمس والبدر عظم سلطانه الحقيق بالتعظيم الوافى منه بالذكر الكريم المثنى على مجده الصميم وفضله العميم امير المسلمين عبد الله

الغنى

يفوبه فى كسوره بز يدفى أجمه ورجليه وهو أضعف الطير جسما وأقواها قلبا وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير فى الجزء الذى فيه من الحرارة التى ليست فى شئ منها ووجد باصدد رنما منسوجة العصب لا لحم عليها وفى كتاب ليوس مريانا ساذهب ابيه أرسطاليس ان البازى لا يتخذ وكرا الا فى شجرة بعا مشتبكة بالشوك مختلفة الجرن بين شجر عسى ظل ذلك وذوعما لا تنالها الجوارح فاذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مضرة ولا ثلج اشمه فاعلى نفسه وفراخه من البرد وذكر الادهم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحرث بن معاوية بن ثور ابن كندى وهو ابن كندة وانه وقف يوما بقانص وقد نصب حبالة للعصافير فانقض أكدر على عصفور منها قد علق وعلقه الاكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الاجدل فجعل العصفور وقد علق وجعل الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به فى كسر البيت فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر واذا رمى اليه طعاما أكله واذا رأى لحما نهض الى يد صاحبه ثم دعى فأجاب فطعم على المدو وكانوا يتباهون بحمله اذ رأى يوما حمامة فطار اليها من يد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذه واتصيد بها فبينما الملك يسير يوما اذ

الغنى بالله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن
نصر سلام كريم برعميم يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد
حمد الله رب العباد وملهم ارشاد ومكيف الاسعاف والاسعاد الولى النصير الذى نلقى الى
التوكل عليه مقاليد الاعتماد ونمد الى انجاده وامداده أيدى الاعتداد ونرفع اليه أكف
الاستمداد ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد فنعرف عوارف الفضل المزداد ونجتنى
ثمار النصر من أغصان القنا المناد ونجتلى وجوه الصنع الوسيم ابهر من وجه الصباح الباد
ونظفر بالنعيم العاجل فى الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الاشهاد ونتفيأ ظلال الجنة من
تحت اوراق السيوف الحداد والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبى الهاد رسول
الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ونبى الرحمة الهامية العهاد أكرم الخلق بين الرائح والغاد
ذى اللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة فى يوم التناد الذى بجاهه نجدع انوف
الآساد يوم الجلاد وببركته ننال أقصى الامل والمراد وفى مرضاته نتصل أسباب الوداد
فنعود بالتجر الرابح من مرضاة رب العباد ونستولى فى ميدان السعادة المعادة على الآماد
والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الامجاد دعائم الدين من بعده وهداة
العباد انجاد الانجاد وآساد الاساد الذين ظاهروه فى حياته بالحلوم الراجحة الاطواد
والبسالة التى لم تنل باعد فى سبيل الله والاعداد حتى بوؤا الاسلام فى القواعد الشهيرة
والبلاد وأرغموا أنوف اهل الجحد والالحاد فأصبح الدين رفيع العماد منصور العساكر
والاجناد مستصحب العز فى الاصدار والايراد والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذى يغنى عن
اختيار الطوالع وتقويم الميلاد والنصر الذى تشرق انباؤه فى جنح ليل المداد والصنع الذى
تشرع له أبواب التوفيق والسداد من حمراء غرناطة حرسها الله والبسر يدوطا المهاد والخير
واضح الاشهاد والحمد لله فى المبدا والمعاد والشكر له على آلائه المتصلة الترداد ومقامكم
الذخر الكافى العتاد والمرد المتكفل بالانجاد والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم
ووالى نصركم وعضدكم وعددكم وعددكم وبلغكم من فضله العميم أملكم وقصدكم فانا نؤثر
تعريفكم بنافعه المتزيدات ونوردعليكم اشتات الاحوال المتجددات اقامة لرسم الخلوص
فى التعريف بما قل ومودة خالصة فى الله عز وجل وكيف اذا كان التعريف بما تهتز له
منابر الاسلام ارتياحا لوروده وتنشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده والمكيفات
البديعة الصفات فى وجوده وهو أننا قدمنا اعلامكم بما نويناه من غزو مدينة قرطبة ام
البلاد الكافرة ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة والقطر الذى عهده بالمسام الاسلام
متقادم والركن الذى لا يتوقع صدمه صادم وقد اشتمل سورها من زعماء ملة الصليب
على كل رئيس بئيس وهزبر خيس وذى مكر وتلبيس ومن له سمة تذيع مكانه وتشيعه
وأتباع على المنشط والمكره تطيعه فاستدعينا المسلمين من أقاصى البلاد واذعنا فى
الجهات نفير الجهاد وتقدمنا الى الناس بسعة الازواد وأعطينا الحركة التى يخلف المساوون
فيها وراءهم جمهور الكفر من الاقطار والاعداد حقها من الاستعداد واقتضينا العطاء
والاستلحاق والاستركاب فى أهل الغناء وأبطال الجهاد والجلاد فحشر الخلق فى صعيد

نفحت أرنب فطار الصقر اليها فاخذها فطاب بها الطير فقتناها واتخذها العرب
بعده ثم استفاضت فى
أيدى الناس فاما الشواهين
فان ارسجاس الحكيم ذكر
فى كتاب كان وجهه الى
المهدى حمل اليه من أرض
الروم أهداه اليه الملك أو
ملك من ملوك الروم يقال
له سنان نظر يوما الى شاهين
يهوى متحدرا على طير الماء
فيضربه ثم يسمو فى الهواء
حتى فعل ذلك مرارا
فقال هذا طير ضار وله قوة
انحدار على الطير فى الماء
انتسارا ويدل اسرعة
انحداره وارتفاعه فى جو
السماء على انه طير أليف
فلما رأى حسن طيرانه
أعجبه فكان أول من اتخذ
الشواهين وقد ذكر سعيد
ابن عفير عن هشام بن خالد
قال خرج قسطنطين ملك
عمورية متصيدا بالمراة
حتى انتهى الى خليج ماء
الجارى الى بحر الروم وعمر
الى مرج بين الخليج والبحر
فسيح مديد فنظر الى شاهين
ينكد على طير الماء فعجبه
ما رأى من سرعته وضراوته
ولم يدر الحيلة فى صيده وأمر
ان يصطاد له فضراه وكان
قسطنطين أول من لعب
بالشواهين ونظر ذلك المرج
طويل البساط مفروشا
بالوان الزهر فقال هذا
موضع حصين من نهر وبحر
وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الملوك

واحدوا لاهبة والزينة فى عيد سعيد وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعيد
او رحلنا وفضل الله شامل والتوكل عليه كاف كافل وخيمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى
الناس آرابهم واستكملوا أسرابهم ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع كثرها الله وله الحمد
والمنه وأبعد فى التماس ما عنده من الاجر مستماها وعندما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دون
بغرة مزمل نصرنا وانجادنا ومستعيد حظه من مواقع جهادنا ومقتضى دين كدحه باعانتنا
اياه وانجادنا قد نزل بظاهرها فى محلات ممن استقر على دعوته وتمسك بطاعته وشمله
حكم جماعته فكان لقاؤنا اياه على حال اقرت عيون المسلمين وتكفلت باعزاز الدين وجملها
يغنى عن التعيين والشرح والتبيين ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم وأشك
فى حال اليقظة خيالهم من جموع تسد الفضا وأبطال تقارع أسد الغضى وكتائب منصورة
ورايات منشورة وأمم محشورة فضل عن مرأى العين وتردى العدو فى مهاوى الحين فاعترفوا
بما لم يكن فى حسابهم واعتبر فى عزة الله سبحانه أولو البابهم واذا كثر الله تعالى العدد
نماو زكا وازاح العلل ما اعتذر عاذر ولا شكا وسالت من الغد الاباطح بالاعتراف
وسمت الهوادى الى الاستشراف وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهاديه والاطراف
وأحكمت التعبيه التى لا ترى العين فيها خللا ولا يجد الاعتبار عندها دخلا وكان النزول
على فرسخ من عدوة النهر الاعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعد دمارها وأعادها
الى عهدها فى الاسلام وشعارها ومحا ظلام الكفر من آفاقها بالاسلام وأنوارها وقد
برزت من حاميتها شوكة سابغة الدروع وافرة الجموع واستجمعت من اسوار القنطرة
العظمى بحمى لا يخفر وأخذ عقابها من الحماة والكماة العدد الاوفر فبادر اليهم سرعان
خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع والمصال والمصاع وخالطوهم هبرا بالسيوف
ومباكرة بالحتوف فتركوهم حصيدا واذاقوهم وبالا شديدا وجدلوا منهم جملة وافرة
وأمة كافرة وملكوا بعض تيك الاسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة وظهرت عليها عزماتهم
الصادقة واقتحم المسلمون الوادى سيما فى عمره واستهانة فى سبيل الله بأمره وخالطوا
حامية العدو فى ضفته فاقتلعوها وتعلقوا باوائل الاسوار ففرعوها فلو كنا فى ذلك اليوم
على عزم من القتال وتيسير الآلات وترتيب الرجال لدخل البلد وملك الاهل والولد
لكن أجار الكفار من الليل كافر وفقد هلك منهم عدد وافر ورجع المسلمون الى محلاتهم
ونصر الله سافر والعزم ظافر ومن الغد خضنا البحر الذى جعلنا العزم فيه سفينا والتوكل
على الله للبلاغ ضمينا ونزلنا من صفة القوى العزيز منزلا عزيزا مكينا بحيث يجاوز سورها
طنب القباب وتصيب دورها من بين الخيمات بوارق النشاب وبرزت حاميتها على متعددات
الابواب مقيمة أسواق الطعان والضراب فآبت بصفقة الخسر والتباب ولما شرعنا فى
قتالها ورتبنا اشتات النكايات لنكالها وان كنا لم نبق على مطاولة نزالها أنزل الله المطر
الذى قدم بعهاده العهد وساوى النجد من طوفانه الوهد وعظم به الجهد ووقع
الابقاء على السلاح والكف بالضرورة عن الكفاح وبلغ المقام عليها والاخذ بمخنقها
والثواء لديها خمسة أيام لم تخل فيها الاسوار من اقتراع ولا الابواب من دفاع عليها وقراع

الروم سعضين بن هلال فى هذا وما كان من خبره وهو المظهر لدين النصرانية فهذا وجه ما ذكر
من السبب ابتداء بناء
القسطنطينية وقد ذكر ابن عمر
عن أبى زيد المهرى أنه
كان من رسم ملوك الاندلس
الازارقة أنه اذا ركب
الملك منهم صارت الشواهين
فى الهواء مظلة له عسر شمسه
على مركبه ... بسيره
وترجع أخرى معه تنبك
لا نزال ... فى حال
... حوله
الى أن ركب يوما ملك منهم
وصارت الشواهين معه على
موضعها فثارت طائرا
فقبض عليه شاهين واحده
فعجب بذلك الملك وصراها
على الصيد فكان أول من
صيد بها بالمغرب وبلاد
الاندلس (قال المسعودى)
وكذلك ذكر جماعة من
أهل العلم بهذا الشأن أنه
كان أول من لعب بالعقبان
أهل المغرب لما نظر الروم
الى شدة شرهها وافراط
سلاحها فأحكموها هذه
التى لا يقوم خبرها بشرها
وذكر أن قيصر أهدى الى
كسرى عقابا وكتب اليه
يعلمه أنها تعمل أكثر من
عمل الصقر الذى أعجبه
صيده فأرسلها كسرى
فأرسلت على ظبى عرض
فدققته فعجبه ما رأى منها
فانصرف مسرورا فجوعها
ليصيد بها فوثبت على صبى له فقتلته فقال كسرى وترنا قيصر فى أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى وانفذن

وأنفذت مقاتل الستائر أنقابا وارتقب الفتح الموعود ارتقابا وفشت في أهلها الجراح والعيث الصراح وساءهم المساء بعزة الله والصباح ولولا عائق المطر لكان الاجهاز والاستفتاح والله بعدها الفتاح وصرفت الوجوه الى تخريب العمران وتسليط النيران وعقر الاشجار وتعفية الآثار وأتى منها العفاء على المسير الشهير في الامصار وتركت زروعها المائحة عبرة للابصار ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حدادا ونكس من طغاتها الحيادا فاعتادت الذل اعتيادا وألفت الهون قيادا وكادت أن نستباح عنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعادا وأتى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها ممن يبارز وينافح ويماسي بالناس ويصابح على عدد جم اخبرت سيماهم المشهورة بأسمائهم ونبهت علاماتهم على نباهاتهم وظهر اقدام المسلمين في المعتركات وبروزهم بالحدود المشتركات وتنفيلهم الاسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب وكان القفول وقد شمل الامن والقبول وحصل الجهاد المقبول وراع الكفر العز الذي يهول والاقدام الذي شهدت به الرماح والخيول وخاض المسلمون من ذرع الطرق التي ركبوها والمنازل التي استباحوها وانتهبوها بحورا بعدمنها الساحل وفلاة مورك تتعدد فيها المراحل فصيروها اصرما وسلطوا عليها النار غرما وحلوا بظاهر حصن اندجر وقد أصبح مألف ادمار غير أوشاب ووكر طير نشاب فلم يلو نام اسه صعبا وابراجه ملئت حرسا شديدا وشهبا ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه فسلطنا العفاء على ساحه وأغرينا الغارات باستيعاب ما يجاوزه واكتساحه وسلطنا النار على حرثه وبطاحه والصقنا بالرغام ذوائب أدواحه وانصرفنا بفضل الله والمناصل دامية والاجور نامية وقد وطئنا المواطئ التي كانت على الملوك قبلنا بسلا ولم نترك بها حرفا برفد ولا نسلا ولا ضرعا برسل رسلا والحمد لله الذي يتم النعم بحمده ونسأله حلة النصر فما النصر الا من عنده عرفناكم بهذه الكيفيات الكريمة الصفات والصنائع الروائع التي بعد العهد بمثلها في هذه الاوقات علما بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات فانكم سلالة الجهاد المقبول والرفد المبذول ووعد النصر المفعول ونرجو الله عز وجل أن ينتقل خبالكم للمعاهد الجهادية الى المعاينة ونصر الملة المحمدية وان يجمع الله بكم كلمة الاسلام على عبدة الاصنام ويتم النعمة على الانام وودنا لكم ما علمتم يزيد على ممر الايام والله يجعله في ذاته لكم متصل الدوام مبلغا الى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويضاعف الآلاء عندكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن هذا النحو) ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه ونصه المقام الذي أحاديث سعادته لا تمل على الاعادة والتكرار وسبيل مجادته الشهيرة أوضح من شمس الظهيرة عند الاستظهار وأخبار صنائع الله لملكه ونظم فرائد الآمال في سلكه تخلدها أقلام الاقدار بمداد الليل في قرطاس النهار وترسمها بتذهيب الاسفار في صفحات الاقطار وتجعلها هجيري حملاء الاسفار وحداة القطار في مسالك الاقطار مقام محل اخينا الذي نلذ اعادة هنائه مع الاعادة ونتلقى أنباء علائه بالاذاعة والاشادة ونطرز بأعلام ثنائه صحائف المجادة ونشكر الله أن

قيصر غرا وكتب انه يقتل الظباء وامة الهامن الوحش وكتب ماصنعت العقاب فاعجب قيصر حسن النمر وطاني صفته ووصف من العهد وعمل عنه تانفس بعضن فمانه فيسان حدا كسرى فان كما فدصد ءلا باس هذا وقد تعلعل بنا الكلام عند ذكرنا جرجان وجزائره الى الكلام في انواع الجوارح واشكالها عند ذكرنا الملوك اليونانيين فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن يل السور من الامم وجبل القبخ وقد قلنا ان شر الملوك ممن جاورها من الامم مملكة حيزان وملكهم رجل مسلم يزعم انه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وليس في مملكته مسلم غيره وولده واهله وارى ان هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع وبين مملكة حيزان وبين الباب والابواب اناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية في آجام هنالك وغياض واودية وانهار كبار من قرى قد سكنوها واقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي افتتحت فيه تلك الديار ممن طرأ من وادي العرب اليها فهم مجاورون لمملكة حيزان الانهم ممتنعون بتلك الاندبرو الانهار وهي على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والابواب واهل

الباب يحذرونهم واهل مملكة حيزان مما يلي جبل الفتح والسرير ولهم ملك يقال له مدرمان مسلم ويعرف بلده بالكرخ وهم اصحاب الاعمدة وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى مدرمان ثم يلي مملكة مدرمان مملكة يقال لها غميق واهلها اناس نصارى لا ينقادون الى ملك ولهم رؤساء وهم مهادنون لمملكة اللان ثم يليهم مما يلي السور والجبل مملكة يقال لها زريكران وتفسير ذلك عمال الزرد لان أكثرهم يعمل الزرد والركب واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد وهم ذوو ديانات مختلفة مسلمون ويهود ونصارى وبلدهم بلد خشن قد امتنعوا لخشونته على من جاورهم من الامم ثم يلي هؤلاء مملكة السرير وملكها يدعى فيلان شاه يدين بدين النصرانية وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب انه من ولد بهرام جور وسمي صاحب السرير لان يزدجرد وهو الآخر من ملوك ساسان حين ولى منهزما قدم سرير الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام ليسير بها الى هذه المملكة فيحرزها هناك الى وقت موافاته ومضى يزدجرد الى خراسان فقتل هناك وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا فقطن ذلك الرجل في هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك والجد

وهب لنا من اخوته المضافة الى المحبة والودادة ما رجح في ميزان الاعتبار أخوة الولادة وعرفنا يمن ولايته عوارف السعادة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى في أعلام الملك السعيد بيت القصيد ووسطى القلادة ومجلى الكمال الذي بارى عيدار بأسه وجوده جنسا الابادة والافادة ولا زالت آماله القاصية تمتثل طوع الارادة ويمن نقيبته يجمع من اشتات الفتوح والعز الممنوح بين الحسنى والزيادة معظم سلطانه العالي المثني على مجده المرفوع اساده في عوالي المعالي المسرور بما يسنيه الله له من الصنع المتوالي والفتح المقدم والتالي أمير المسلمين عبد الله الغني بالله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر أيد الله أمره وأسعد نصره سلام كريم يتأرج في الآفاق شذا طيبه وتسمع في ذروة الود بلاغة خطيبه ويتضمن نوره سواد المداد عند مراسلة الوداد فيكاد يذهب بعبوسة المجهول وتقطيبه ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله فاتح الابواب بعقاليد الاسباب مهما استصعبت وميسر الامور بحكم المقدور اذا أجهدت الحيل وأتعبت مجدد نيران لفتن ما التهبت وجامع كلمة الاسلام وقد تصدعت وتشعبت ومسكن رجفان الارض بعدما اضطربت ومحييها بعهاد الرحمة مهما اهتزت وربت اللطيف الخبير الذي قدرت حكمته الامور ورتبت منهي كل نفس الى ما خطت الاقلام عليها وكتبت ونفت وأوجبت وشاءت وأبت ومجازيها يوم العرض بما كسبت والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله هازم الاحزاب لما تألفت وتألبت وجالب الحتف اليها عندما أجلبت رسول الملحمة اذا الليوث وثبت ونبي الرحمة التي هيأت النجاة وسببت وأبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت ومداوي القلوب المريضة وقد انكبت وانقلبت بلطائفه التي راضت وهذبت وقادت الى الجنة العليا واستجلبت وادت عن الله وأدبت الذي بجاهه نستكشف الغماء اذا طنبت ونستوكف النعماء اذا أخلفت البروق وكذبت ونتحابب في طاعته ابتغاء الوسيلة الى شفاعته فنقول وجبت حسبما ثبت والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره واحزابه التي استحقت المزية المرضية واستوجبت لما انتمت الى كرمه وانتسبت وببذل نفوسها في الله ومرضاته تقربت والى نصرته حمايته انتدبت والمناصل قد رويت من دماء الاعداء وأخضبت وخلفته في أمته بعد مماته بالهمم التي عن صدق اليقين اعربت فتداعت لمجاهدة الكفار وانتدبت وابعدت المغار وادربت حتى بلغ ملك أمته أقاصي البلاد التي نبت فكسرت الصلب التي نصبت ونعلت التيجان التي عصبت ما همت السحب وانسحبت وطلعت الشمس وغربت والدعاء لمثابتكم العليا بالنصر العزيز كلما جهزت الكتائب وتكتبت والفتح المبين كلما ركضت عقائل المواعد اذا خطبت والصنائع التي مهما احدقت فيها العيون تعجبت أوجالت في ثنائها الافكار فاستطابت مذاق الشكر واستعذبت حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد اقتربت فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم أغيا ما سألت الالسن السائلة واستوعبت من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وجنود الله بفضل الله تعالى ونعمته قد غلبت وفتحت وسلبت وأسود جهاده قد أردت الاعداء بعدما كلبت ومراعي الآمل قد اخصبت

والحمد لله حمدا يجلو وجوه الرضا بعدما احتجبت ويفتح أبواب المزيد كلما استقبلها الامل رحبت والشكر لله شكرا يقيد شوارد النعم مما أبقت وما هربت وانى هذا وصل الله لمقامكم أسباب الظهور والاعتلاء وعرفكم عوارف الآلاء على الولاء فانه لما ورد علينا كتابكم البر الوفادة الجم الافادة الجامع بين الحسنى والزيادة جالى غرة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة وواهب المنن المتاحة وواصف النعم المعادة فأوقفنا من رقه المنشور على تحف سنية وأمانى هنية وعطاف للمسرة جنية ضمنت سكون البلاد وقرارها وأن الله قد أذهب الفتن وأوارها وأخمد نارها ونضح عن وجه الاسلام عارها وجمع الاهواء على من هو بيته السعادة بعد أن أجهد اختيارها فاصبح الشتيت مجتمعا وجمع الجماح مرتفعا والجبل المخالف خاشعا منصدعا وأصبح فى العباد من كان ممتنعا واسترقت الطاعة ونجحت السنة والجماعة وارتفعت الشناعة وتمسكت البلاد المكرهة بأذيال وليها لما رأته وعادت الاجياد العاطلة الى حليها بعدما أنكرته أجلنا جياد الاقلام فى ملعب الهناء وميدانه لاول أوقات امكانه على بعد مكانه وأجهدنا عبارة الكلام فى اجلال هذا الصنع وتعظيم شانه وأغرينا الثناء بتسنيم مجدكم فى شرحه لنا وبيانه رأينا أن لا نكل ذلك الى اليراع ونفرده فيه بالاجتماع وما يعطاه من مد الذراع وأن نشد برده من المشافهة أزره ونقصد تبيين من اللسان أمره فعيّنا لذلك من يقوم مقامنا فى الجمل وعهدنا المقصد المعمل حتى يجمع بين أغراض البر والعلن منه والسر ويقيم شتى الادلة على الوداد المستقر ووجهنا فى عرض الرسالة به اليكم ولخبر بالشرح بين يديكم خطيب الوفود وبركة المشائخ فى هذا المقام المحمود الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحاج وصل الله حفظه وأجزل من الحمد والالطاف حظه وهو البطل الذى لا يعلم الاجالة فى الميدان ولا يضرب طائف ذلك الشان ومرادنا منه أن يطيل ويطنب ويجمل فى وصف محاسنكم اللسان الرطب ويقرر ما عندنا لمقامكم من التشيع الذى قام على الحب المتوارث أساسه واطراد حكمه وانتج قياسه ولنجعل تلو مقصد الهناء تجلة كم الباهر السناء الصارف الى الجهاد فى سبيل الله والفداء وجه الهمم والاعتناء على مر الآناء تجديد لدينا من الانباء فى جهاد الاعداء وان كان رسولكم أعزه الله تعالى قد شارك فى السرى والسير وبين الطير وأغنى فى الحكاية عن العيان ولا سيما فى الخير وهو أنا لما استرقنا من منازلة قرطبة نظر الحشود التى نفذت معدات أزوادها وشابت بهم العلة المستعلية مفارق بلادها واشفقنا لفساد أقواتها بفوات أوقاتها رحلنا عنها وقد انطوينا من اعفاء أكثر تلك الزروع الهائلة المروع الهائلة الروع على هم مض وأسف للمضاجع مقض اذ كان عادل المطر يكف ألسنة النار عن المبالغة فى التهابها وحلاق اهابها ونفض أعوارها ونهب شوارها واذاعة أسرارها وهى البحور المتلاطمة اذا خطبتها الرياح الخاطمة واللجج الزاخرة اذا حركتها السوافى الماخرة تود العيون أن تحدى حدودها القاصية ولا تطيق والركائب الرا كضة أن تشرف على غاياتها فيعصل عن مراحلها الطريق قد جللها الربيع أرزاقا تغص بها الحزائن والاطباق وحبونا مقضيه

في عقبه فسمي صاحب السرير ودار مملكته تعرف بخمرج وله اثنا عشر الف قرية يستعبد منهم من شاء وله بلد حصين منيع لحصانته وهو شعب من جبل القبق وهو يغير على الخزر ويستظهر عليهم لانهم فى سهل وهو فى جبل ثم تلى هذه المملكة مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وكذلك قيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص وتفسير ذلك الديانة وله قصور ومنتزهات فى غير هذه المدينة ينتقل فى السكنى اليها وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت وقد تزوج كل واحد منهما أخت الآخر وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العباسية قد اعتقدوا دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان أنفذهم اليهم ملك الروم وبين ملك اللان وجبل القبق قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بنى هذه القلعة ملك فى قديم الزمان من الفرس

الاوائل يقال له اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب ورتب فى هذه القلعة رجالا يمنعون اللان من الوصول

لا ترزؤها الانفاد والانفاق ولو اعتصمت على انتسافها الآفاق خففنا في سبيل الله لتعقيب
غزو تلك الاقطار الخافقة بمحق الصائفة واعانة تلك الطائفة بكلوم الجماع الحائفة
خفوفا لم تقنع فيه بالاستنابة حرصا على استئصال الصبابة وأعفينا الرحل من اتصال
الكد وقابلنا قبولهم على استصحابنا فيها بالرد وأطللنا على قرطبة بمحلاتنا ننسف الجبال
نسفا ونعم الارض زلزالا وخسفا ونستقري مواقع البذر احترافا ونخترق أجوافها
المخترقة بحب الحصيد اختراقا ونسلط عليها من شرر النار أمثال الجمالات الصفر مدت من
الشواظ أعناقا ونوسع القرى الواسعة دكا واستغراقا وندير على مستديرها كؤوس
الحتوف دهاقا وأحدث البران وادبها الاعظم من كلا جانبيه حتى كأن العيون أجمت
مبكته فسخلت وأذابت صفيحته فسالت وأتت الكفار سماؤهم بالدخان المبين
ودارت الشمس من بعد سفورها وعموم نورها منقبة المحيا معصبة الجبين وخضنا
أحشاء القرية بعد أشتت النعم انتسافا وأقوات أهلها اتلافا وآمال سكانها اخلافا وقد
بهتوا لسرعة الرجوع ودهشوا لوقوع الجوع وتسبيب تخريب الربوع فمن المنكر البعيد
أن يتأتى بعد عمرانها المعهود وقد اصطلم الزرع واجتث العود وصار الى العدم منها الوجود
ورأوا من عزائم الاسلام خوارق تشذ عن نطاق العوائد وعجائب تستريب فيها عين
المشاهد اذا اشتمل هذا العام المتعرف فيه من الله تعالى الانعام على غزوات أربع
دمرنا فيها القواعد الشهيرة تدميرا وعلا فوق مرافيها الاذان عزيزا جهيرا وضويقت
كراسي الملك تضييقا كبيرا وأذيقت وبالا مبيرا وريح الادالة ان شاء الله تعالى نستأنف
هبوبها وأسباب نشبوبها والثقة بالله قد ملأت نفوسا مؤمنة وقلوبا والله سبحانه المسؤل أن
يوزع شكر هذه النعم التي أثقلت الاكتاد وأبهظت الطوق المعتاد وابهجت المشيم
والمرتاد فبالشكر يستدر مزيدها ويتوالى تجديدها وقطعنا في مجبوحة تلك العمالة
المستبحرة العمارة والفلج المعنى وصفها عن الشرح والعبارة مراحل ختمنا بالتعريج على
حرب جيان حربها ففللنا ثانية غربها وجددنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها ونظمنا
البلاد في سلك البلاء وحثثنا في أنجادها وأغوارها ركائب الاستيلاء فلم نترك بها ملتقط
طير فضلا عن معاف عير ولا أسأرنا لعلها المحروب آلة خير وقفلنا وقد تركنا بلاد النصارى
التي منها الكباد بالمدد والعدة والعدد وفيها الخصام واللدد قد لبست الحداد حريقا
وسلكت الى الخلاء والجلاء طريقا ولم نترك لها مضغة تخالط ريقا ولا نعمة تصون من
الفراق فريقا وما كانت تلك النعم لولا أن أعان الله تعالى من عنصري النار والهواء بجنود
كونه الواسع ومدركه البعيد الشاسع لتولى الايدي البشرية تغريبها ولا تنزوا كثيرها
الا تمتاع بالاعتراف غديرها بل لله القدرة جميعا فقدرته لا تحامى ربعا ولا تحمي مربعا
مسبعا وعدناوالعود في مثله أحمد وقد بعد من شفاء النفوس الامد ونسخ بالسرور
الكمد ورفعت من عز الاسلام العمد والحمد لله حمد الشاكرين ومنه نلتمس عادة
النصر على أعدائه فهو خير الناصرين عرفنا كم به ليسر دينكم المتين ومجدكم الذي راق
منه الجبين والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويبلغكم أملكم من فضله وقصدكم

ثم الاعلى هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل
الى جبل الفتح ولا طريق
الى فتحها والوصول اليها
الا بالاذن من ديهاوفي هذه
القلعة المبنية على أعلى
هذه الصخرة عين من الماء
عذبة تنبع في وسطها من
اعلى هذه الصخرة وهذه
القلعة احدى قلاع العالم
الموصوفة بالمنعة وقد
ذكرتها الفرس في اشعارها
وما كان لاسفنديار بن
كشتاسب في بنائها
ولاسفنديار في الشرق حروب
كثيرة مع أصناف من الامم وهو
السائر الى بلاد الترك لحرب
مدينة الصفر وكانت من
المنعة بالموضع العظيم الذي
لا يرام وبها ضرب الفرس
الامثال وما كان من أفعال
اسفنديار وما وصفنا أخذ كور
في الكتاب المعروف بكتاب
السيكسكين نقله ابن المقفع
الى لسان العرب وقد كان
مسلمة بن عبد الملك بن
مروان حين وصل الى هذا
الصقع ووطئ اهله أسكن
في هذه القلعة أناسا من
العرب الى هذه الغاية
يحرسون هذا الموضع وربما
يحمل اليهم الرزق والاقوات
من البر من ثغر تفليس
وبين تفليس وهذه القلعة
مسيرة خمسة أيام كبار ولو
كان رجل واحد في هذه
القلعة لمنع سائر الملوك
الكبار أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادي وصاحب

عنه وطوله والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (رجع الى ما كنا بسبيله) من أخبار قرطبة الجليلة الوصف وذكر جامعها البديع الاتقان والوصف فنقول قد شاع وذاع على ألسنة الجم الغفير من الناس في هذه البلاد المشرقية وغيرها أن في جامع قرطبة ثلثمائة ونحو ستين طاقا على عدد أيام السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وهذا شئ لم أقف عليه في كلام المؤرخين من أهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لذكروه وتعرضوا له لانه من أعجب ما يسطر مع أنهم ذكروا ما هو دونه فالله أعلم بحقيقة الحال في ذلك وستأتي في الباب السابع رسالة الشقندى الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس الطم والرم وقد ذكرنا في الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فاغنى ذلك عن اعادتها هنا على ان رسالة الشقندى تكرر فيها بعض ما ذكرناه لانا لم نرد أن نخل منها بحرف فاتينا بها بلفظها وان تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه والعذر واضح للمنصف المغضى والله نسأل سلوك السبيل الذى يرضى بمنه وكرمه ✽ وقال صاحب نشق الازهار ان في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح وبه أشياء غريبة من الصنائع العجيبة يعجز عن وصفها الواصفون قيل أو حكم عمله في سبع سنين وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الآخر صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام الثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع انتهى قلت لم أر أحدا من محققى المؤرخين للاندلس وثقاتهم ذكر هذا على قلة اطلاعى وهو عندى بعيد لانه لو كان لذكره الائمة ✽ وقد حكى عياض في الشفاء أشياء وجد فيها اسم نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هذا ويستبعد أن يكون بجامع قرطبة ولا يذكره والله تعالى أعلم بحقيقة الامر ✽ وقال في موضع آخر من هذا الكتاب ان دور قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وهى على النهر الكبير وعليه جسران وبها الجامع الكبير الاسلامى وبها الكنيسة المعظمة بين النصارى وبهذه المدينة معدن الفضة ومعدن الشاذنج وهو حجر من شانه أن يقطع الدم وكان يجلب منها البغال التى تباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنها وعلوها الزائد انتهى ✽ (رجع الى أخبار البنيان) ولا خفاء أنه يدل على عظم قدر بانيه ولذلك قال أمير المؤمنين الناصر المروانى بانى الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعضهم ينسبهما لغيره وسيأتيان في ترجمة نور الدين بن على منسوبين

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها ✽ من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره ✽ أضحى يدل على عظيم الشان

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين وهو الاديب الفاضل الشيخ أسد بن معين الدين مما يكتب على أبراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت الكبير الحى والميت القاضى عبد الرحمن بن الفرفور الدمشقى وضمنها بيتى الناصر المذكورين

زر مجلسا أضحى اعز مكان ✽ ومحل أهل العلم والعرفان
المجد خيم في ذرى أبراجه ✽ والسعد عبد الباب طول زمان

اللان يركب في ثلاثين ألف فارس وهو ذو منعة وبأس شديد ودو سياسة بين الملوك ومملكته عمائرها متصلة غير منفصلة اذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر مملكته لاشتباك العمائر واتصالها ثم يلى مملكة اللان أمة يقال لها كشك وهم بين جبل القبخ وبحر الروم وهى أمة مطيعة منقادة الى دين المجوسية وليس فيمن ذكرنا من الامم في هذا الصقع أنقى أبشارا ولا أصفى ألوانا ولا أحسن نساء ولا أقوم قدودا ولا أدق أخصارا ولا أظهر أكفالا وأردافا ولا أحسن شكلا من هذه الامة ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ولباسهم البياض والديباج الرومى والسقلاطونى وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب وبياضهم أنواع من الثياب يصنع من السب فيها نوع يقال له الطلى أرق من الدبيقى وأبقى على الكد يبلغ الثوب عشرة دنانير يحمل الى ما بينهم من الاسلام وقد تحمل هذه الثياب عن جاورهم من الامم الا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء واللان مستظهرة على هذه الامة لا تنتصف هذه الامة من اللان الا أنها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تنوزع في البحر الذى هم عليه فمن الناس من يرى انه بحر الروم ومنهم من يرى انه بحر نيطش الا أنهم يقربون في البحر من بلاد

منها في المراكب وتتجهز من قبلهم أيضا والعلة في ضعفهم عن اللان تر هم

كأنما قد رفوع البناء وأرضه * مفروشة بالدر والعقيان
بيت به فخر البيوت لانه * بيت القصيد ومنزل الضيفان
معنى فصيح فيه معنى مفصح * عن قدر بانيه بغير لسان
تدلو لبعض ذوي الفضائل قبلنا * قولا بديعا واضح التبيان
همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان
قد شاده من ساد أهل زمانه * بالاصل والافضال والرجحان
ورث السيادة كابرا عن كابر * وسما برفعته على كيوان
قاضي القضاة ومفخر العصر الذي * قد جاء فيه سابق الاقران
في العلم بحر لا ينال قراره * في الحكم مثل مهند وسنان
يروي عطاء عن يديه قد اقتفى * آثار آباء ذوي احسان
لازال يبقى شائدا بيت العلا * وعدوه في الوهن والنقصان
يا أيها المولى الذي يجري مع الاقبال والاسعاد طلق عنان
دم شامخ المقدار مرتفع البنا * والناس تحت رضاك كالغلمان
متمتعا ببنيك سادات الورى * في عز رب دائم السلطان
ما رجع القمري في تغريده * في الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضي عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالي الهمة تضيق يده عما بريد فلذلك كان كثيرا ما يبث شكواه في الطروس والدفاتر ويعتب على الزمان الذي أخنى على أهل الادب وقطع آمالهم بحسامه الباتر ويرحم الله القائل

هذا زمان در يهمى لا غيره * فدع الدفاتر للزمان الفاتر

ومن نظم المذكور وقد أبطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا وأدمج شكوى الزمان الذي كان من شماتة الاعداء به حذرا

ابطأت في ذا الجزء يا سيدي * كتابة من جور دهر بغيض
صابرته فالجسم مني لقى * تجلدا والقلب مني مريض
فاذا أبى الاتلاف وقد * أحلني منه محل النقيض
واقتادني قسرا الى مصرع * قد رق منه اللحم والعظم هيض
سلمت للاقدار مستسرعا * لباب مولى ذي عطاء عريض
جوم صبر كنت أسطو به * على رزايا الدهر بالهم غيض
ولا تلم يا صاح من بعد ذا * اذا تمثلت بحال الجريض

ورأيت بخطه رحمه الله تعالى مما نسبه جده القطب الخيضري الحافظ لابراهيم بن نصر الحموي ثم المصري المعروف بابن الفقيه

يا زمانا كلما حا * ولت امرا يتمنع
ان تعصبت فاني * باصطباري أتقنع

دار بنده والعادة تتصل
أن يملكوا عليهم ملكا
يجمع كلمتهم وبراجعت
كلمتهم لم يطقهم اللان ولا
غيرها من الامم وتفسير
هذا الاسم وهو فارسي الى
العربية العنف وذلك
أن الفرس اذا كان الانسان
ناتهاصلها فاتوا تدشلك
وتلي هذه الامة التي على
هذا البحر امة أخرى يقال
لبلادهم السبع بلدان
وهي أمة كثيرة ممتنعة
بعيدة الدار لا أعلم ملتها
ولا تغني الي خبرها في دينها
وتليها أمة عظيمة بينها
وبين بلاد كشك نهر عظيم
كالفرات يصب الى بحر
الروم وقيل الى بحر مانطش
ويقال لدار مملكة هذه
الامة ارم ذات العماد وهم
ذوو خلق عجيب وآراؤها
جاهلية ولهذا البلد على
هذا البحر خبر ظريف
وذلك أن سمكة عظيمة
تاتيهم في كل سنة فيتناولون
منها ثم توجد نحوهم من
الشق الآخر فيتناولون
منها وقد عاد اللحم على
الموضع الذي أخذ منه اولا
وخبر هذه الامة مستفيض
في تلك الديار من الكفار
ويلي هذه الامة أمة بين
جبال أربعة كل جبل منها
ممتنع ذاهب في الهواء وبين
هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء في وسط تلك الصحراء دارة مقورة كأنها قد خطت وهذه

وهذه تورية بديعة للغاية في التعصب والتفنع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفة الوزن والله سبحانه يروح تلك الارواح في الجنان ويعاملنا واياهم بمحض الفضل والامتنان ويكفينا شجون دهر جرى بنا طلق العنان (رجع الى ما كنا فيه) وكنت وقفت في كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى أمير المؤمنين الناصر المرواني رحمه الله تعالى قالهما في الزهراء التي بناها وسيأتي ذكرها قريبا وقال الشيخ سيدي محيي الدين بن العربي في المسامرات قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها ماوى الطير والوحش وبناؤها عجيب في بلاد الاندلس وهي قريبة من قرطبة ابياتا تذكر العاقل وتنبه الغافل وهي

ديار بأكناف الملاعب تلمع * وما ان بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب * فيصمت احيانا وحينا يرجع
فخاطبت منها طائرا متغردا * له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي * فقال على دهر مضى ليس يرجع

(ثم قال) وأخبرني بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر ماتت له سرية وتركت مالا كثيرا فأمر أن يفك بذلك المال اسرى المسلمين وطلب في بلاد الافرنج أسيرا فلم يوجد فشكر الله تعالى على ذلك فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبها حبا شديدا اشتهيت لو بنيت لي به مدينة تسميها باسمي وتكون خاصة لي فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة اميال أو نحو ذلك واتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزها ومسكنا للزهراء وحاشية أرباب دولته ونقش صورتها على الباب فلما قعدت الزهراء في مجلسها نظرت الى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الاسود فقالت يا سيدي الا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر ذلك الزنجي فأمر بزوال ذلك الجبل فقال بعض جلسائه أعيذ أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين العقل سماعه لو اجتمع الخلق ما ازالوه حفرا ولا قطعا ولا يزيله الا من خلقه فأمر بقطع شجره وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر أحسن منها ولا سيما في زمان الازهار وتفتح الاشجار وهي بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار وقال ابن خلكان في ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته الزهراء بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء بعدها همزة ممدودة وهي من عجائب أبنية الدنيا انشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة في أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق المستخلصة سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار وهي من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا واعظمه شأنا

بيكار وشكل دائرتها خسفة مجوفة في حجر صلد مخسف كما تدور الدائرة استدارة تلك الخسفة نحو من ميل لا يطلع قديم يرى فيها كالحائط يبني من سفل الى علو يكون قعره على نحو ميل طريق لا سبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة وبالنهار يرى فيها قرى وعمائر وأنهار تجري من تلك القرى وناس وبهائم الا انهم يرون لطاف الاجسام لبعد محل الموضع لا ندري من أي الامم هم ولا سبيل لهم الى الصعود من جهة من الجهات ولا سبيل لمن فوق الى النزول اليهم بوجه من الوجوه ووراء تلك الجبال الارضية على ساحل البحر حسفة أخرى قريبة القعر بها آجام وغياض فيها نوع من القرود منتصبة القامات مستديرة الوجوه الاغلب عليها صور الناس واشكالهم الا انهم ذوو شعور وربما وقع في النادر القرد منهم اذا احتيل في اصطياده فيكونون في نهاية الفهم والدراية الا انه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم كل ما يخاطب به بالاشارة وربما حمل الواحد منهم الى ملوك الامم من هنالك فيعلم القيام على رؤسها بالمذاب على موائدها ويلقي الملك له من طعامه فان أكله أكل الملك منه وان اجتنبه علم انه مسموم فحذر منه وكذلك الا كثير

- ترك ذلك كله ابن بشكوال فى تاريخ الاندلس انتهى كلامه * وحكى فى المطمح أن الوزير الكبير الشهير بالحزم ابن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين التى تقوضت أبنيتها وعوّضت من أنيسها بالوحش أفنيتها

قلت يوماً لدار قوم تفانوا * أين سكانك العزاز علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلاً * ثم ساروا ولست أعلم أينا

وفيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس وعرشت بسرور واثتناس وقرع النواقيس يبهج سمعه وبرق الحميا يسرع لمعه والقس قد برز فى عبده المسيح متوشحاً بالزنار أبدع توشيح قد هجروا الافراح واطرحوا النعم كل اطراح لا يعمدون الى ماء بالله الا اغترافاً من الغدران بالراح وأقام بينهم يعملها حمياً كأنما يرشف من كاسها شفة لميا وهى تنفح له بأطيب عرف كلما رشفها أعذب رشف ثم ارتحل بعد ما ارتحل فقال

ولربحان قد شربت بديره * خمر الصبا مزجت بصرف عصيره
فى فتية جعلوا السرور شعارهم * متصاغرين تخشعاً لكبيره
والقس مما شاء طول مقامنا * يدعو بعود حولنا بزبوره
يهدى لنا بالراح كل مصفر * كالخشف خفره التماح خفيره
يتناول الظرفاء فيه وشربهم * لسلافهم والاكل من خنزيره

انتهى * (رجع الى أنباء الزهراء) قال بعض من أرخ الاندلس كان يتصرف فى عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل انتهى وسيأتى فى الزهراء مزيد كلام وقال ابن حيان ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الى غرب ألفين وسبعمائة ذراع وتكسيرها تسعمائة ألف ذراع وتسعون ألف ذراع كذا نقله بعضهم وللنظر فيه مجال قال وكان يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومؤنة حملها وجلب اليها الرخام الابيض من المرية والمجزع من رية والوردى والاخضر من افريقية من اسفاقس وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان وليس له قيمة ولما جلبه أحمد الفيلسوف وقيل غيره أمر الناصر بنصبه فى وسط المجلس الشرقى المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثنى عشر تمثالاً وبنى فى قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ الصافى لونه المتلونة أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت فى وسطه اليتيمة التى اتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس فى وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان فى كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والآبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام

من القرد فى ما وصلوا لهم به عند الطعام وذكر ما ذكر من القرود باليمن والنوع الحديد الذى ذكره سليمان ابن داود وهذا القرود بالسيروان كان من أمرهم مع عامل معاوية كتب به فى أمره ووصف القرد العظيم الذى كان فى وقته الى الرجل الحديد ولمس فى قرود العالم أوصل من هذا النوع ولا أخبث وذلك ان القردة تكون فى بقاع الارض الحارة فمنها أرض النوبة وأعلى بلاد الاحابش مما يلى أعالى مصب النيل القرود المعروفة بالنوبية وهى صغيرة الوجوه ذات سواد كانه نوبى وهو الذى يكون مع القرادين ويصعد على رمح فيصير الى أعلاه ومنها ما يكون فى ناحية الشام فى آجام وغياض نحو أرض العمالقة وغيرها من هنالك من الامم كلها وما وصفناه من هذا النوع من القرود وقرب شكله من صورة الانسان ومنها بخليجات بلاد الزانج وبحر الصين فى مملكة المهراج ملك الجزائر وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن مملكته يوازى ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين وهذه القرود مشهورة فى الصقع معروفة

الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار وكان الناصر اذا أراد أن يفزع أحدا من أهل مجلسه أومأ الى أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من في المجلس ان المحل قد طار بهم مادام الزئبق يتحرك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه في الجاهلية ولا في الاسلام وانما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم وكان بناء الزهراء في غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعمد كثير وأجرى فيها المياه وأحدق بها البساتين وفيها يقول الشاعر السميسر

وقفت بالزهراء مستعبرا ✽ معتبرا أندب أشتاتا

فقلت يا زهرا الا فارجعي ✽ قالت وهل يرجع من ماتا

فلم أزل أبكي وأبكي بها ✽ هيهات يغني الدمع هيهاتا

كأنما آثار من قد مضى ✽ نوادب يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا وبعضه يوافق ما قبله وبعضه يخالفه والله سبحانه اعلم الامر كله وربما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد في بعض الاخبار تكرارا فيحمل ذلك على الغلط وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعباراتهم والناقد البصير لا يخفاه مثل هذا وربما يقع التكرار وذلك من أجل ما ذكرته والله اعلم ❊ وذكر بعضهم ان مجلس الناصر هذا نظير ما حكاه غير واحد عن القصر المعظم الذي بناه ملك طليطلة المأمون ابن ذي النون بها وذلك أنه أنفق فيه الى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة وصنع في وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة اذ سمع منشدا ينشد

أتبني بناء الخالدين وانما ✽ مقامك فيها لو عقلت قليل

لقد كان في ظل الاراك كفاية ✽ لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فنغص عليه حاله وقال انا لله وانا اليه راجعون أظن أن الاجل قد قرب ولم يلبث بعده غير شهر وتوفي ولم يجلس في تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٢ تجاوز الله تعالى عنه هكذا حكاه بعض مؤرخي المغرب ❊ وقد ذكر في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة لفظ ابن بدرون شارح العبدونية فليراجع وبذكر هنا قول أبي محمد المصري في صفة قصر طليطلة

قصر يقصر عن مداه الفرقد ✽ عذبت مصادره وطاب المورد

نشر الصباح عليه ثوب مكارم ✽ فعليه ألوية السعادة تعقد

وكأنما المأمون في ارجائه ✽ بدر تمام قابلته أسعد

وكأنما الاقداح في راحاته ✽ درج جمان ذاب فيه العسجد

بالكثرة في هذه الجنات وهي ذات صور نامية وقد كان حمل الى المعتمد منها
وجاءت في بلاد [illegible] الى عصام
وكان في القرود وولي [illegible]
[illegible] انواع [illegible]
الهدايا [illegible]
حمل ذلك أحمد بن أبي [illegible]
أمير عمان يوسف [illegible]
القرود [illegible]
[illegible] أهل [illegible]
[illegible]
وارانح وكم [illegible]
بالحيلة اصطياد [illegible]
حوف الماء على أن [illegible]
[illegible] القرود [illegible]
لا يكون الا [illegible] مصر
[illegible]
[illegible]
[illegible] ذلك
[illegible]
الماء فأما اليمن [illegible]
[illegible] ان القرود
[illegible] مواضع [illegible]
لا [illegible] ها [illegible] الى
وادي [illegible] لاد
[illegible]
أميرها في هذا الوقت هو
[illegible]
ابراهيم بن زياد صاحب
الحرملي وبين هذا الراس
[illegible] يوم وبين الجند
يوما وأكثر من ذلك وهذا
الوادي كثير العشاء
ومصاب المياه اليه كثيرة
وشجر الموز فيه كثير
والقرود فيه كثير وهو
بين جبلين والقرود قطع بين
كل قطيع مهاب وفيه هدر والهدر ذكر العظيم كالفحل العظيم المقدم فيها ووجدنا القردة في بطن واحد منهم [illegible]

وله فى صفة البركة والقبة عليها

شمسية الانساب بدرية * يحار فى تشبيهها الخاطر
كأنما المأمون بدر الدجى * وهى عليه الفلك الدائر

وكان ملوك الاندلس فى غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيرى رحمه الله تعالى فى وصف مجلس للمنصور بن أبى عامر ما يشهد لذلك وهو قوله

وتوسطتها الجنة فى قعرها * ثبتت السلاحف ماتزال تنفق
تنساب من فلكى هزبران يكن * ثبت الجنان فانفاه أخرق
صاغوه من ند وخالق صفحتى * هاديه محض الدر فهو مخلق
للياسمين تطلع فى عرشه * مثل المليك غداة وهو مطوق
ونضائد من نرجس وبنفسج * وجنى خيرى وو رديعبق
ترنو بسحر عيونها وتكاد من * طرب اليك بلا لسان تنطق
وعلى يمينك سوسنات أطلعت * زهر الربيع فهن حسنا تشرق
فكأنما هى فى اختلاف رقومها * رايات نصرك يوم باسك تخفق
فى مجلس جمع السرور لأهله * ملك اذا جمعت قناه يفرق
حازت بدولته المغارب رفعة * فغدا يحسدها عليه المشرق

ومن هذه القصيدة

أما الغمام فشاهد لك انه * لاشك صنوك أو أخوك الاوثق
وافى الصنيع فحين تم تمامه * فى الصحو انشا ودقه يتدفق
وأظنه يحكيك جودا اذ رأى * فى اليوم بحرك زاخرا يتفهق

وكان السبب فى هذه الابيات أن المنصور صنع فى ذلك الاوان صنيعا التطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فارتفع السعر بقرطبة وبلغ ربع الدقيق الحد ينار بن فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت فى السماء سحابة عمت الافق ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسر المنصور بن أبى عامر فقال الجزيرى بديهة أما الغمام الخ وهو القائل على لسان نرجس العامرية

حييتك يا قمر العلا والمجلس * أزكى تحيتها عيون النرجس
زهر تريك بحسنها وبلونها * زهر النجوم الجاريات الكنس
ملكن افئدة الندامى كلما * دارت بمجلسهم مدار الاكؤس
ملك الهمام العامرى محمد * للمكرمات وللنهى والانفس

قال ابن بسام ومن شعر الجزيرى ما اندرج له أثناء مدحه الذى ملح فيه مخاطبة للناصر وعلى السنة اسماء كرائمه برهر رياضه فن ذلك عن بهار العامرية

حدق الحسان تقر لى وتغار * وتضل فى صفتى النهى وتحار
طلعت على قضبى عيون تمائمى * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بى اذا شبهتنى * درر تنطق سلكها دينار

العشرة والاثنى عشر كما تلد الخنزير ٢٤٨ خنانيص كثيرة وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ويحمل الذكر باقيهن ولهن مجالس يجتمع فيها حلق منهن فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهمهمة والاناث متميزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لايرى أشخاصهن بين تلك الجبال والاشجار الملتفة بالليل لم يشك أنهم أناس لكثرتهن بالليل والنهار وليس فى جميع البقاع التى تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرود الرباح وهم جمع للذكور والاناث قد سرحت سود كأسود ما يكون من الشعر واذا طلعوا يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ويتشبهون فى سائر أعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء رقلعة كهلان ما يكون فى برار وجبال هنالك كأنها السحب فى تلك البرارى والجبال لكثرتها وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن فى هذا الوقت محتجب عن الناس الا خواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألف مرتزقة يقبضون الرزق فى كل شهر ويدعى وقت القبض البركة

أهدى له قضب الزمرد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حتى ابهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقل بهار

ومن أخرى عن بنفسج العامرية إذا تدافعت الخصوم أيد الله مولانا المنصور في مذاهبها وتعاورت في مفاخرها فاليه مفزعها وهو المقنع في فصل القضية بينهما لاستيلائه على المفاخر باسرها وعلمه بسرها وجهرها وقد ذهب البهار والنرجس في وصف محاسنهما والفخر بمشابهها كل مذهب وما منهما الا ذو فضيلة غير ان فضلي عليهما أوضح من الشمس التي تعلوهما وأعذب من الغمام الذي يسقينا وان كانا قد تشبها في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهي من الموات الصامت فاني أتشبه باحسن ما زين الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع أني اعطر منهما عطرا وأحمد خبرا وأكرم امتاعا شاهدا وغائبا ويانعا وذابلا وكلاهما لا يمتع الا ريثما يبدو ثم اذا ذبل تستقذره النفوس شمه وتستدفع الاكف ضمه وأنا أمتع يابسا ورطبا وتدخرني الملوك في خزائنها وسائر الاطباء وأصرف في منافع الاعضاء فان فخرا بالقيام على ساق فهي أقوى من ساقي فلاغرو ان الوني ضعيف والهوى لطيف والمسك خفيف وليس الحديد يدرك بالصراع وقد أودعت أيد الله مولانا في الشعر من وصف مشابهي ما أودعاه وحضرت بنفسي لئلا أغيب عن حضرتهما لتقدمها فضل الحاضر وان كان مفضولا ولذا قالوا الذاهب مما حضر لوقته وأشعر الناس من أنت في شعره ولمولانا أتم الحكم في أن يفصل بحكمه العدل وأقول

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه
لمشابه الشعر الاثيث أعاره الـ * ـقمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جمع الدجى من الطلى * من صارم المعتود يوم قراعه
حكاه غير مخالف في لونه * لا في روائحه وطيب طباعه
ملك جهلنا قبله سبل العلا * حتى وضحن بهديه وشراعه
في سيفه قصر لطول نجاده * وعنان ساعده وفسحة باعه
ذو همة كالبرق في اسراعه * وعزيمة كالحين في ايقاعه
تلقى الزمان له مطيعا سامعا * وترى الملوك الشم من أتباعه

وما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة مخضرة أثوابها * في قدها للطير كل مغرد
نادمت فيها فتية صفحاتهم * مثل البدور تنيربين الاسعد
والجدول الفضي يضحك ماؤه * فكأنه في العين صفح مهند
واذا تجعد بالنسيم حسبته * لما نراه مشبها للمبرد
وتناثرت نقط على حافاته * كالعقد بين مجمع ومبدد
وتدحرجت للناظرين كأنها * در نثير في بساط زبرجد

وكان بحمام الشطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل وصفها بعض أهل الاندلس بقوله

ودمية مرمر تزهو بجيد * تناهى في التورد والبياض

فيجتمعون هنالك ويحذرون ويحدرون من تلك المحاليف والمخاليف القلاع وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب المدبجرة وهو علي ابن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلي باليمن شان عظيم حين قتل وتوطأت اليمن لهذا الرجل وباليمن للقرود مواضع كثيرة وكذلك في سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على علة تكونها في بعض البقاع دون بعض من الارض وأخبار النسناس في كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار عن العرابد وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حجر اليمامة فيهم نفر واحدها عربد وقد كان المتوكل في بدء خلافته سأل جبير بن اشتوان يأتي له في حمل اشخاص من النسناس والعربد فلم يصل منهم الى سر من راى الا اثنان من النسناس ولم يصل اليه الحية في حمل العربد من اليمامة وذلك أن العربد هذا اذا اخرج عن اليمامة وصار الى موضع منها معروف المسافة عدم من الوعاء الذي حمل فيه وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات والعقارب وسائر الهوام كنفعه أهل

ط ل ٢: سجستان بالسماة ولذلك كان في عهد سجستان العديم لا يقتل قنفذ بلادهم لانه بلد كثير

هـلو ندولم تعرف حليـلا * ولا ألمت بأو جاع الخماص
وتعلم أنها تجر ولكن * تقمصنا بالحماط مراص

وكان يسمى سيده في القصر المسمى بدار السرور ومجلس الذهب أحد قصور المقتدر بن هود وفيه يقول ذو الوزارتين بن عبد شلب يهجو وزيرا كان ينبز بتحقون

صح من تحقون بيت الذهب * ودعا ثمانية واحربي
رب طهر بي فقد دنسني * عارة تحقون ألوف الذهب

(وكتب) بعض كبراء الأندلس إلى إخوانه كأني بهذا من وادي الزيتون ونحن فيه نختلفون بما كسى من السندس الأخضر ونختال بأنواع الزهر ونخايل بأنهار تخللها وأشجار تظللها نحجب أدواحها الشمس لالتفافها وأذن للنسيم في تخلل من أعطافها فنشم من شاسن تروق وتعجب وأطيار تجاوب بالحان تلهي وتطرب في مثلها يعود الزمان كله صبا وتجري الحياة على الأمل والمنى وأما فيها الآن فقا كم الله سبحانه بحال من طاب غداؤه وحسن استمراؤه وصحا من جنون العقار واستراح من مصص الخمار ورزايته ووساوسه ونجا من الحماط هواجسه ثم ذكر كلاما من هذا النمط في وصف الخمار والدعاء إلى العقار فراجعه أبو الفضل بن حسداي بردة قال في صدرها إلى سيدنا الذي ألزمنا امتنانه الشكر وكبيرنا الذي علمنا بديانه السحر وعميدنا الذي عقد بحرمه الحلي وزمانا بدائه ونسل أبقاك الله تعالى لتوبة تصوح زهرها وعين عموس نبرها وورد أيدك الله تعالى كتابك الذي أهديته من معرسك بوادي الزيتون ووقفنا على ما لقيت في أوصافه من حنة المصون واعجابك بالتفاف شجره ودوحاته واهتزازك بلطيف بواكره وروحاته وسرورك به ودنو جوتلاعه مورودة هضابه وأجراعه وكل المشارب ما حلاه دميم ومن دهدهر حصرر ماه جميم وتلك عادة تلونك وسجية تخصرمك وشاكله ملالك وسا ملك واشعر الناس عندك من أنت في شعره وأحب البلاد إليك ما أنت في عمره وأين منك بساتين جلق وجناته ورياضه المونقة ولجاته ودنانه البيض في حدائقه الخضر وجون العضر في جنانه النضر وما تبسمه خطابه ونعمه أنحاده وعطاته من أمهات الراح التي هجر بهار عمك ومورد الشمول التي طلعت بها رعمك وهيهات فوالله ما فارقتك تلك الاجارع والمجاني ولا شاقتك تلك المنازل والمغاني الا ذكرا لما لديها من طيب المعاهد وحبا لما بها من جميل المشاهد وأين من مشتاق عنقاء مغرب * ثم ذكر كلاما في جواب ما مر من الخمار لم يتعلق لي به غرض (وما أحلى) قول ما كتبه أبو بكر بن باجة من رسالة في ذكر مقترة ولما ألم بنا كب العام كتابا لم أجد منه انقلابا واتصل المطر اتصالا لم أألف منه انفصالا الا إذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته ويشر صحيفته نقشعت ارشية السحاب كما طوى السجل الكتاب وطفقت السماء تخلع جلبابها والشمس تميط نقابها وطلعة البدر تبتهج كأنها عروس تجلت وقد تحلت ذهبت في لمة من الاخوان نستبق إلى الراحة ركضا ونطوي المرج أرضا فلا أبدع الا إلى غدير عير قد استدار منه في كل قرارة سماء سحابة غماء وأقنابا في تلعة حباب

الرمال به ذو القرنين ق الافاعي والحيات به جدا ولولا كثرة العقاقير النافعة من هنالك من الناس وكذلك أهل مصر في صعيدها يعمرونها دونه فقال لها العرب اكبر من اثر وفعرونها عرس عرا ... لولا هسده الدو به لعاب على أهل مصر الثعابين وهي نوع من الحيات عظيمة ويطوى الثعبان على الدويبة دريا فيها فترجى عليه ريحه فتقطع الثعبان من ريحها هذه خاصية هذه الدابة وفي الشرق أنواع من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته وجماده وكذلك في الغرب واليمن وهو الجنوب والجربي وهو الشمال وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الاربع في ذكرها في هذا الباب خروج عن الغرض الذي نحن نحوه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا من الامم المختصة بالباب والابواب والسور وجبل القبق والاداخر ورو للان ... اليه لي الاداخر فيما بينهم وبين المغرب ثم نزل نرجع الى أب واحد ونسب أنسابهم حصرونه دون ... شديد لكل ... سماه وحوله جبال كثيرة من الرمل قد سكرت بالخشب والقصب والبلد كثير مساوه عليه ... بعضها ... وتتصل عمارتها بمدينة ... فترددنا

وتردد بتلك الاباطح تهادي تهادى أغصانه . وتتصافح تصافح أقدواتها وللنسيم أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسل مشى على بساط وشى فاذا مر بغدير نسجه درعا واحكمه صنعا وان عثر بجدول شطب منه نصلا وأخلصه صقلا فلا ترى الا بطاحا مملوءة سلاحا كانما انهزمت هنالك كتائب فالقت بالسنة من دروع مصقول وسيف مسلول * ومن فصل منها فاحتللنا قبة خضراء ممدودة اشطان الاغصان سندسية رواق الاوراق وما زلنا نلتحف منها بردظل ظليل ونشتمل عليه برداء نسيم عليل ونجيل الطرف فى نهر صقيل مانى لجين الماء كانه مجرة السماء مؤتلق جوهر الحباب كانه من ثغور الاحباب وقد حضرنا مسمع يجرى مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها وهواها ويغنى لها مقترحها ومناها فتسى لسان السفر يشفى من الوقر كانه كاتب حاسب يمشق بيمناه ويعقد بيسراه

يحرك حين يشدو ساكنات * وتنبعث الطبائع للسكون

انتهى * (وكانت) بين أبى اسحق وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق أن ولى ذلك الصديق خطة خاطبه أبو اسحق برقعة منها أطال الله بقاء سيدى النبيه أوصافه النزيهة عن الاستثناء المرفوعة امارته الكريمة بالابتداء ما انحذفت يا سيدى لا لجزم وانما انحذفت واو يغزو لموضع الجزم كتبت عن ود قديم هو الحال لم يلحقها انتقال وعهد كريم هو الفعل لم يدخله الاعتلال والله يجعل هاتيك من الاحوال الثابتة اللازمة ويعصم هذا بعدها من الحروف الجازمة وانما استنهض طولك الى تجديد عهدك بمطالعة ألف الوصل وتعديه فعل الفصل وعدولك عن باب ألف القطع الى باب الوصل والجمع حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السكت ويدخل الانتقال حال الصمت فلا تقل أعزك الله ان رسم اخائك عندى دونه قد درس عفاء ولا أن صدرى دارمية أمسى من وده خلاء وانما أنا فعل اذا اتتنى ظهر من ضمير ودك ما بطن وبدا منه ما كمن وهنيئا أعزك الله أن فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعه تغيير وأن فعل سيفك ماض ماله للعوامل تأثير وأنت بمجدك حماع أبواب الظرف تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف ودرس حروف العطف وبدخل لام التبرئة على ماحدث من عتبك وتوجب بعد النفى ماسلف من عهدك وتدع ألف الالفة أن تكون بعد من حروف اللين وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين وتسوم ساكن الوداد يتحرك ومعتل الاخاء أن يصح وكان ان هذا حرف صلة فلا تحذفه حتى تعود الحال الاولى صفة وتصير هذه النكرة معرفة فأنت أعزك الله مصدر فعل السرور والنبل ومنك اشتقاق اسم السودد والفضل وانك وان تأخر العصر بك كالفاعل وقع متأخرا وبعدولك وان تكبر كالكميت لم يقع الا مصغرا وللايام حال تبسط وتقبض وعوامل ترفع وتخفض فلا دخل عروضك قبض ولا عاقب رفعك خفض ولا زلت مرتبطا بالفصل شرطك وجزاؤك جاريا على الرفع سرورك الكريم وسناؤك حتى يخفض الفعل ويبنى على الكسر قبل ان شاء الله * وكتب رحمه الله تعالى يستدعى عود غناء * انتظم من اخوانك أعزك الله تعالى عقد شرب يتساقون فى ودك ويتعاطون ريحانة شكرك وحمدك وساميهم الاشره المسامع الى رنة حمامة تناد لا حمامة بطن واد والطول لك فى

وبمايلى بلاد الاندلس مستظهرة على سائر ماهنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنه وكذلك بينه وبين صاحب اللان وديارهم تتصل ببلاد الخزر فالجيل الواحد منهم يقال له تركى ثم تليها أمة ثانية يقال لها جعرد ثم تليها أمة يقال لها الجناك وهى أشد هذه الامم الاربعة بأسا ثم تليها أمة ثانية يقال لها انوكرده وملوكهم بدو وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلثمائة أو فيها وقد كان للروم فى تخوم أرضهم مما يلى من ذكرنا من هذه الاجناس الاربعة مدينة عظيمة يونانية يقال لها وليدر فيها خلق من الناس ومنعة بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الامم ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى أرض الروم لمنع الجبال والبحر اياهم ومن فى هذه المدينة وكان بين هؤلاء الاجناس حروب خلاف وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض اردبيل كان نازلا على أرض بعضهم فاستضافه ناس من الجيل الآخر فاختلفت الكلمة وأغار من فى وليدر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا كثيرا من الذرية وساقوا كثيرا من الاموال وبلغ ذلك اليهم وهم مشاغيل فى حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد القوم جميعا نحو

دليل انه ناطق قد استعار من بنان لسانا وصار لضمير صاحبه ترجمانا وهو على الاساءة والاحسان لا ينفك من ايقاع به من غير ابحاع له فان هفا عركت أذنه وأدب وان تأبى واستوى بعج بطنه وضرب لازالت منتظم الجذل ملتئم الأمل انتهى * (ومن نظمه رحمه الله تعالى يتفجع ويتوجع)

شراب الامانى لو علمت سراب * وعتبى الليالى لو عرفت عتاب
وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
يخب بها فى كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
وكيف يفيض الدمع أو يبرد الحشا * وقد باد أقران وفات شباب
أواب سرى لا أرى غير ليله * وقد حط عن وجه الصباح نقاب
كأنى وقد طار الصباح حمامة * يمد جناحيه على غراب
دعا بهم داعى الردى فكأنما * تبادرت بهم خيل هناك عراب
فها هم وسلم الدهر حرب كأنما * جنا بينهم طعن لهم وضراب
همود ولا غير التراب حشية * لجنب ولا غير القبور قباب
ولست بناس صاحبا من ربيعة * اذا نسيت رسم الوفاء صحاب
ومما شجانى أن نضى حتف أنفه * وما اندق رمح دونه وكعاب
وأنا تجارينا ثلاثين حقبة * فمات سباقا والحمام قصاب
كأن لم يبت فى منزل التصف ليله * يجيب بها داعى الصبا ويجاب
اذا قام منا قائم هز عطفه * شباب أرقناه بها وشراب
ولما تراءت للمشيب بريقة * وأقشع من ظل الشباب سحاب
نهضنا بأعباء الليالى جرالة * وأرست بها فى النائبات هضاب
فيا ظاعنا قد حط فى ساحة البلى * بمنزل بين ليس عنه مآب
كفى حزنا أن لم يرد على النوى * رسول ولم ينفذ اليك كتاب
وأنى اذا يممت قبرك زائرا * وقفت ودونى للتراب حجاب
ولو أن حيا كان حاور ميتا * لطال كلام بيننا وخطاب
وأعرب عما عنده من جلية * فأقشع عن شمس هناك ضباب

وقد أبعدنا عما كنا بصدده من ذكر قرطبة أعادها الله للاسلام فنقول * قال بعض من أرخ الاندلس انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل الى اربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما سيأتى ذكره * وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وأم المدائن ودار الملك وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلثمائة وكانت عدة الدور فى القصر الكبير أربعمائة دار ونيفا وثلاثين وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت فى السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار حاشا دور الوزراء وأكابر الناس والبياض * ورأيت فى بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة والموحدين قال وكانت ديار أهل الدولة اذ ذاك ستة آلاف دار وثلثمائة دار انتهى وعدد أرباضها ثمانية

فى نحو مائة ألف فارس فلما انتهى خبرهم الى أرمانوس ملك الروم فى هذا التاريخ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قسم اليهم اثنى عشر ألف فارس من المتنصرة على الخيل بأرسنة زى العرب وأضاف اليهم خمسين ألفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر فى ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من أهل وليدر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم هذا المدد ولما صح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفى هؤلاء الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا فى أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض

وعشرون

وعشرون وقيل أحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام وقيل ثلثمائة حمام وقال ابن حيان ان عدة المساجد عند تناهيها في مدة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد والحمامات تسعمائة حمام وفي بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما وسائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا وربما نصف العدد أو أكثر لارباب الدولة وخاصتها هكذا نقله في المغرب وهو أعلم بما يأتي ويذر رحمه الله تعالى * وقال بعض المؤرخين بعد ذكره نحو ما تقدم ووسط الارباض قبة قرطبة التي تحيط بالسور دونها وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع فانها كانت من تحف قصر اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تحف كثيرة سنية انتهى ونحوه لابن الفرضي وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر أن عدد المساجد بقرطبة أربعمائة مسجد وأحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دور قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع * وتفسيرها بالسان القوطي القلوب المختلفة وهي بالقوطية بالظاء المشالة وقيل ان معنى قرطبة أجرفا سكنها قال وبقرطبة أقاليم كثيرة وكور جليلة * وكانت جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار وعشرين آلاف دينار وعشرين دينارا وسبق ما يخالف هذا ومن القمح أربعة آلاف مدي وستمائة مدي ومن الشعير سبعة آلاف مدي وستمائة مدي وسبعة وأربعين مدا وقال بعض العلماء أحصيت دور قرطبة التي بها وأرباضها أيام ابن أبي عامر فكان مائتي ألف دار وسبعة وسبعين دارا وهذه دور الرعية وأما دور الاكابر والوزراء والكتاب والاجناد وخاصة الملك فستون ألف دار وثلثمائة دار سوى مصاري الكراء والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ثمانون ألف حانوت وأربعمائة وخمسة وخمسون ولما كانت الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران ومحيت آثار تلك القرى والبلدان انتهى ملخصا * وسيأتي في رسالة الشقندي ما هو أشمل من هذا * ولما رقت حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة وزين له بعض أصحابه الرحلة الى حضرة ملك الموحدين بمراكش قال وذكر المتنزهات القرطبية

يا هبة باكرت من نحو دارين * وافت الى على بعد تحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة * جناحها بين خيري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما * خلت النسيم اذا ما مت يحييني
لولا تنسمها عن نشر أرضكم * ما أصبحت من أليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة * من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله * لما تنسم في تلك الميادين
نزوت من طرب لما هفا سحرا * وظل ينشرني طورا ويطويني
خلت الشمال شمالا اذ سكرت بها * سكرا بها لست أرجوه يمنيني

الكثيرة أضعاف الترك وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة فيما لهم بما يحتال فادوني المدبير في غداة غد فأنعموا له بذلك فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك في جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت في قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة واتصل الرمي واتصلت الكراديس كالرحا والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها في ألف ألف وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدئ فيرمي في جناح ميسرة الروم ويرجع يمينهم فيرمي وينتهي الى القلب وما يخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم وينتهي الى الميسرة فيرمي وينتهي الى القلب فيرمي فيكون ما في الكراديس في القلب دائرا على ما وصفنا فلما نظرت المتنصرة والروم الى ما لحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حملوا على القوم مشوشين في مصافهم وصادفوا صفوف الترك ثابتة فاخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعبيهم

أهدت الى أرجاء شمائلكم * ففات قربي من كان يقصدني
وحلت من طمع أن اللقاء على * اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
مطلت أنتم من تعظيم حقكم * مجرداً بالهوى والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد * قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما * يزال مثل اعمان بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج النضير فوا * دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون
لباب عدستقه السحب وابلها * فلم يزل بكؤس الانس يسقيني
لاباعد الله عيني عن منازهه * ولا يقرب لها أبواب جيرون
حاشا لها من محلات مفارقة * من شيق دونها في الترب مخزون
أين المسير ورزق الله أدركه * من دون جهد وتأميل يعنيني
يا من يزين لي الترحال عن بلدي * كم ذا تحاول تسلاء عند عنين
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة * من شاء يظفر بالدنيا وبالدين
وطرفيح ونهر مابه كدر * حفت بشطيه ألفاف البساتين
باليت لي بمر نوح في اقامتها * وأن مالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت أقضيه على نشوا * ت الراح نهباً ووصل الحور والعين
وانما أسفي أني أهيم بها * وأن حظي منها حظ مغبون
أرى بعيني مالا تستطيل يدي * له وقد حازه من قدره دوني
وانكد الناس عيشاً من تكون له * نفس الملوك وحالات المساكين
بعض طرف التصابي حين يهته * قضبان نعمان في كثبان يبرين
فانوا الكماة مقيم فات ذاك لمن * لا يستخف الى بيت الزراجين
ولا يبلبله هب الصبا سحرا * ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورمان الصدور وترجيع التلاحين
لا تقتضي راحة الا على تعب * ولا تنال العلا الا من الهون
وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر * وانما الصفو فيها للمجانين
يا آمري ان أحث العيس عن وطني * لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
يحق لكن لي نفسا ينازعني * فلو رحلت عنه حال دوني
لا لزمن وطني طورا تطاوعني * فيه الاماني وطورا فيه تعصيني
منقلا بين عرفاني وأضرب عن * سير لارض بها من ليس يدريني
هذا يقول غريب ساقه طمع * وذاك حين أريد البر يجفوني
اليك عني آمالي فبعدك يهديني وقربك يطغيني ويغويني
بالحظ كل غزال لست أملكه * يدنو ومالي حال منه تدنيني
ويا مدامة دير لا ألم به * لولاكما كان ما أعطيت يكفيني
لاصبرن على ما كان من كدر * لمن عطاياه بين الكاف والنون

الى ان بعد الرشق بالنبل على صفوفهم غير مشوشين ما كانوا عليه من التعبية وركضت الكراديس من اليمين والشمال وتحدد الهجوم السيف و ... الأمن وكان صاحبهم قتل من الروم والف أسر ... من الساحل كان صعد الى سور المدينة على جثثهم ... ت المدينة وأدام السيف يعمل فيها أياما ... ونهب وخرج ... الثالث بعد ثلاث يوما ... القسطنطينية ثم ... والمروج والضياع قتلا وأسرا وسبيا حتى نزلوا على سور القسطنطينية ... اموا عليها نحوا من أربعين يوما يبيعون المرأة منهم ... بالخرقة ... الثوب من ديباج ... ويريدوا السيف فلم يغنوا على أحد منهم وربما قتلوا النساء والولدان ... العارات في تلك الديار فاتصلت غاراتهم ارض ... و ... اتصلت غاراتهم الى ... بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ذكرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية وسائر ما من الممالك الى هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والسور والابواب والبواب اذ كنا قد ذكرنا جملا من أخبار الامم الساكنين هذا الصقع من ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين

وتسمى هذه القصيدة عند أهل الاندلس كنز الادب وقد أشرنا فى الفصل الأول الى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى الى الاسلام فاغنى عن اعادته وان كان ذكره هنا أنسب لان ما تقدم انما هو فى ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال وأنشد أبو العاصى غالب بن أمية المروزى لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهة

يا قصر كم حويت من نعم * عادت الى بعوارض الـكلك
يا قصر كم حويت من ملك * دارت عليه دوائر الفلك
ما شئت فابق فكل متخذ * يوما يعود بحال منترك

وقال القاضى أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

أقول وقد جد ارتحالى وغردت * حدانى وزمت للفراق ركائبى
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتى * وصارت هواء من فؤادى ترائبى
ولم يبق الا وقفة يستحثها * وداعى للاحباب لا للحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلا * وجادر باها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته * طليق المحيا مستلان الجوانب
أاخواننا بالله فيها تذكروا * مودة جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفالهم * كأنى فى أهلى وبين أقاربى

(وأما) مسجد قرطبة فشهرته تغنى عن كثرة الكلام فيه ولكن نذكر من أوصافه وننشر من أحواله ما لا بد منه فنقول قال بعض المؤرخين ليس فى بلاد الاسلام أعظم منه ولا أعجب بناء وأتقن صنعة وكلما اجتمعت منه أربع سوارى كان رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد فى أعلاه وأسفله انتهى وكان الذى ابتدأ بناء هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل فى زمانه وكمله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بنى أمية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذى ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على من قبله الى ان كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء * وقال بعض المؤرخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره وعظم بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وأنفق عليه ثمانين ألف دينار وبنى بقرطبة الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بدمشق وقال بعض انه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار واشترى موضعه اذ كان كنيسة بمائة الف دينار فالله تعالى أعلم * وقال بعض المؤرخين فى ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما تمهد ملكه شرع فى تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه وأصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة متنزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى وكانت أخته أم الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمان العجيب الذى أرسلته اليه من دمشق الشام كما مر وسيأتى كلام ابن سعيد بعاه وأتم من هذا * ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبى عامر فى جامع

النصرانية ولها ملك فى هذا الوقت يقال له الطبيعى ومملكة هذا الطبيعى موضع يعرف بمسجد ذى القرنين وكانت الاخبار والجزية تؤدى الجزية الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون فى أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم منقادون الى طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمره على هنالك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على نهر تفليس وأقام عليها حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحق بن اسمعيل لان اسحق بن اسمعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يطول ذكرها وهى مشهورة فى أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عنى بأخبار العالم وأراه رجلا من قريش من بنى أمية أو مولى لاحقا فاخرمت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الاكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر وأهلها ذو قوة وباس شديد وان كان ما ذكرنا من الممالك مختلطا بهم

قرطبة قال ومن أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية اعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض قشتالة وغيرها وهم كانوا ينصرفون في البنيان عوضا من رجالة المسلمين اذلالا للشرك وعزة للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدور التي نقل أصحابها عنها بنفسه وكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التي لك ياهذا أريد أن ابتاعها لجماعة المسلمين من مالهم وفيئهم لازيدها في جامعهم وموضع صلاتهم فشطط واطلب ما شئت فاذا ذكر أقصى الثمن أمر ان يضاعف له وأن تشترى له بعد ذلك دار عوضا منها حتى أتى على امرأة لها دار بصحن الجامع وبها نخلة فقالت لا أقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ في الثمن وحكى ذلك ابن حيان أيضا وقيل ان انفاق الحكم في زيادة الجامع كان مائة ألف وواحدا وستين ألف دينار ونيفا وكله من الاخماس وقال صاحب كتاب مجموع المفترق وكان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسا وعشرين ذراعا والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة أذرع ثم زاد الحكم في طوله مائة ذراع وخمسة أذرع فكمل الطول ثلثمائة ذراع وثلاثين ذراعا وزاد محمد بن أبي عامر بأمر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتي ذراع وثلاثين ذراعا وكان عدد بلاطه أحد عشر بلاطا عرض أوسطها ستة عشر ذراعا وعرض كل واحد من اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا أربع عشرة ذراعا وعرض كل واحد من الستة الباقية احدى عشرة ذراعا وزاد ابن أبي عامر فيه ثمانية عرض كل واحد عشرة أذرع وكان العمل في زيادة المنصور سنتين ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس أذرع وعرض كل واحد من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع فتكسيره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد أبوابه تسعة ثلاثة في صحنه غربا وشرقا وجوفا وأربعة في بلاطاته اثنان شرقيان واثنان غربيان وفي مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء وثريات المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليوم وهي من بناء عبد الرحمن ابن محمد ثلاث وسبعون ذراعا الى أعلى القبة المفتحة التي يستدير بها المؤذن وفي رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع صنعة ورمانة ذهب صغيرة على رأس الزج وهي احدى غرائب الارض وكان بالجامع المذكور في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي خطه بيده وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وهو على كرسي العود الرطب بمسامير الذهب (رجع الى المنارة) وارتفاع المنارة الى مكان الاذان أربع وخمسون ذراعا وطول كل حائط من حيطانها على الارض ثمان عشرة ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة لما

ثم تلي مملكة حران مملكة هؤلاء الصحصحية بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنارية وملكهم يقال له كرسكوس وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وينقادون الى دين النصرانية وهؤلاء الصنارية يزعمون أنهم من العرب من نزار ابن معد بن مضر وانهم فخذ من عقيل سكنوا هنالك في قديم الزمان وهم هنالك مستظهرون على كثير من الامم ورأيت ببلاد مأرب من أرض اليمن أناسا من عقيل مخالفة لمذحج لا فرق بينهم وبين أحلافهم لاستقامة كانهم فيهم خيل كثيرة ومنعة وليس في اليمن كلها أخيل من نزار ابن معد غير هذا الحي من عقيل الا ماذكر من ولد أنمار بن نزار بن معد ودخولهم في اليمن حسب ما ورد به الخبر وما كان من خبر جرير بن عبد الله البجلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من خبر بجيلة والصنارية يزعمون أنهم أمروا الى قديم الزمان وهم من سميناه من عقيل ببلاد مأرب في خبر طويل ثم تلي مملكة الصنارية مملكة تكين وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من الجزر وغير ذلك ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا

يقال لها الصحصحية نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ثم تلي مملكة

لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم اذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما صورته وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقرب بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلثمائة وذلك أنه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية وتناهى حالها في الجلالة ضاقت الارباض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة فبدأ ابن أبي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد الى آخره وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم وأول ما عمله ابن أبي عامر تطييب نفوس أرباب الدور الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن وصنع في صحنها الجب العظيم قدره الواسع فناؤه وهو أعني ابن أبي عامر هو الذي رتب احراق الشمع بالجامع زيادة للزيت فتطابق بذلك النوران وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة ببنائه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل أكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثريا وعدد الكؤس سبعة آلاف كاس وأربعمائة كاس وخمسة وعشرون كاسا وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤس وزنة مشاكي الرصاص للكؤس المذكورة عشرة أرباع أو نحوها وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربع أو نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقصور لاقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التي توقد بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق جميعها ليلة الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر وينصرف فيه من أئمة ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصا ويوقد من البخور ليلة الختمة أربعة أواق من العنبر الاشهب وثمان أواق من العود الرطب انتهى * وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل ليلة جمعة رطل من دور ربع رطل عنبر يتجر به انتهى * وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذي هو بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ثلثمائة وثلاثون ذراعا الصحن المكشوف منه ثمانون ذراعا وغير ذلك مسقف وعرضه من الغرب الى الشرق مائتان وخمسون ذراعا وعدد أبهائه عشرا كثمانها بائنا ما به التي زادها المنصور بن أبي عامر بعده فذا تسعة عشر بهوا وتسمى البلاطات وعدد أبوابه الكبار والصغار أحد وعشرون بابا في الجانب الغربي تسعة أبواب منها واحد كبير للنساء يشرع لمقاصيرهن وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب منها لدخول الرجال ثمانية أبواب وفي الجهة الشمالية ثلاثة أبواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع في القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة في قبلته متصل بالساباط المفضي الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر

آروين بنيه بن مهاجر ثم تليه مملكة قبله وما حوت المدينة من أمور وما حولها من العمائر والضياع بصارى ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الاعور وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدعار ثم تلي هذه المملكة مملكة الموقان وهي التي قدمنا ذكرها وانها متغلبة عليها وانها مضافة الى مملكة شروان شاه ورئيس هذا البلد المعروف بالموقانية هو الذي على ساحل بحر الخزر وقد كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه في هذا الوقت ملك الارانية ومن سلف من آبائه وكان ملك شروان شاه علي بن الهيثم فلما هلك على تغلب محمد بن شروان شاه على حسب ما ذكرنا بعد أن قتل عمومته واحتوى على ما ذكرنا من الممالك وله قلعة لا يذكر في قلاع العالم أحسن منها في جبل القبق قال انها في الموضع المعروف بالسعط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التي بناها ملوك بلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل ببلاد بردعة فقد أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا وأما نهر الكر فيبتدئ من بلاد خزران من مملكة جرجير ويمر ببلاد الخان حتى يأتي

الى الجامع المشهود الجمعه وجميع هذه الابواب ملبسة بالنحاس الاصفر بأغرب صنعة وعدد
سوارى هذا المسجد الجامع الحاملة لسماواته واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من
أجمله بين كبار وصغار ألف وأربعمائة سارية وتسع سوار منها داخل المقصورة مائة
وتسع عشرة سارية وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع فقال
المحظر بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكمية وأطلق حنا فيها على الستة الباقية ثلاثة
من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب خمسا وسبعين ذراعا وعرضها من جدار الخشب
الى جدار المسجد بالقبلة اثنين وعشرين ذراعا وارتفاع حيطانها الى منتهى شرافاتها ثمان أذرع
وارتفاع كل شرافة ثلاثة أشبار ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش
شارعة الى الجامع شرقي وغربي وشمالي ثم قال وذرع المحراب في الطول من القبلة الى
الجوف ثمان أذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب سبع أذرع ونصف وارتفاع قبوه
في السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمنبر الى جنبه مؤلف من أ[illegible] كارم الخشب ما بين آبنوس
وصندل وبقم وشوحط وما أشبه ذلك ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون ألف دينار
وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وقيل غير ذلك وعدد درج تسع درجات صنعه
الحكم المستنصر رحمه الله وذكر أن عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل
البلاطات خاصة سوى ما منها على الابواب مائتان وأربع وعشرون ثريا جميعها من لاطون
مختلفة الصنعة منها أربع ثريات كبار معلقة في البلاط الاوسط أكبرها الضخمة المعلقة
في القبة الكبرى التي فيها المصاحف حيال المقصورة وفيها من السرج فيما زعموا ألف وأربعمائة
وأربعة وخمسون سرجا توقد هذه الثريات الضخام في العشر الاخير من شهر رمضان تسقى كل ثريا
منها بستة أرباع في الليلة وكان مبلغ ما يقع من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في
السنة أيام عام وقوده في مدة ابن أبي عامر مكمله بالزيادة المنسوبة ألف ربع منها في شهر رمضان
[illegible] ثمانية وخمسون ربعا قال وفي بعض التواريخ القديمة كان عدد القومة بالمسجد الجامع
بقرطبة في زمن الحكم وفي زمن ابن أبي عامر ثلثمائة انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدم ذكر
بعضهم الزيت ولكن قوله أولى بالاتباع لنقله عن ابن بشكوال والمعروف ابن سعيد نقل هذا
وغيره فيه ما [illegible] أكثر من غيره والله سبحانه أعلم وقال ألف ربع وثلاثون ربعا منها في رمضان
خمسمائة ربع وفي الثريات التي من الفضة وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحدة ثمانية
عشر في ليلة وقودها وقال في المنبر انه مركب من ستة وثلاثين ألف وصل قام كل واحد
منها بسبعة دراهم فضة وسمرت بمسامير الذهب والفضة وفي بعضها نفيس الاحجار واتصل
العمل فيه سبعة أعوام ثم قال ودور الثريا العظيمة خمسون شبرا وتحتوي على ألف كاس وأربعة
وثمانين كاسا وشباه بالذهب الى غير ذلك من العرائب ؛ وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد
ابراهيم بن صاحب الصلاة الوليبي صفة جامع قرطبة بما نصه عمر الله سبحانه بشمول السعادة
[illegible] ووفر من جزيل الكرامة قسمك ولا برحت سحائب الانعام تهمي على لك ثرة
وبأمل الايام تهدي اليك كل مسرة انك كان أعزك الله طريق الواديين عامرا وسبيل
الخدمة عامرا لوجب أن نعض حتمه ونروض كتمه لا سيما فيما يدراخل الافاضل ويهز

وتجري الى وادي ثم ينصب
فيه من ماء الصغار ونهر
الرس وينهر من أناضي
بلاد الروم من نحو مدينة
طرابزنده حتى يجيء الى
الكر وقد صار نهرا
أكبر من نهر الكر
ونحو الرس من بلاد ابن
وهي بلاد بابك الخرمي
من أرض أذربيجان
وجبل البذ وهي من بلاد
الران وتمر بيلاد ورثان
وينتهي الى [illegible]
وقد أتينا على وصف هذه
الانهار أيضا ونهر أسبيد
رود وجريانه في أرض الديلم
نحو بلعبسلام وهو ابن
سوار بعض ملوك الديلم
ويمر هذا النهر من الديلم
الى الجيل فيصب فيه نهر
آخر في بلاد الديلم يقال له
شاهان رود ويمر فيصب
الجميع الى بحر الجيل وهو
بحر الديلم والجرز وعيرهم
على ما ذكرنا وعلى هذا
النهر كثير من دور الاعاجم
ومن هناك من ملوكهم
في هذا الوقت وهو سنة
اثنتين وثلاثين وثلثمائة
شهمرأحوم داوان صاحب
مدينة الري وطبرستان
وغيرهم من الجيل لم يذكر
الآن ملوك السريانيين
وهم أول من يعد في كتب
الاخبار والنجوم والاوار

أعطاف الشمائل واني شخصت الى حضرة قرطبة حرسها الله تعالى منشرح الصدر لحضور ليلة القدر والجامع قدس الله تعالى بقعته ومكانه وثبت أساسه وأركانه قد كسي ببردة الازدهاء وحل في معرض البهاء كأن شرفاته فلول في سماء أو أشرفي أسماء وكأنما ضربت على سمائه كلل أو خلعت على أرجائه حلل وكأن الشمس حلعت فيه ضياءها وسحبت على أقطاره أفياءها فترى نهارا قد أحدق به ليل كما أحدق بروقه ليل نيل دامس ونهار شامس وللذبال تألق كنضنضة الحيات أو اشارة السبابات في التحيات قد أترعت من السليط كؤسها ووصلت بمحاجن الحديد رؤسها وبسطت سلاسل كالجذوع القائمة أو كالثعابين العائمة عصبت بها تفاح من الصفر كالامساح الصفر تولع في حملها او جل بها حتى بهر بحسنها ولا لانها كأنها أم اجليت بالذهب وأشربت ما الذهب ان مددتها طولا رأيت منها سبائك عسجد أو قلائد زبرجد وان أتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق القرط من الذفرى وتبسط شعاعها بسط الاديم حين يفري والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود وعرضت عليها عرض الجنود ليجلى طلاقة رونقها القريب والبعيد ويستوي في هدايتها الشقي والسعيد وقد قوبل منها بيض بحمر وعورض مخضر بمصفر تحيك سكانها وتبكي بضحكها وتهلك بحياتها وتحيا بهلكها والطيب تعم أفواحه وتنسم أرواحه وتتام الالحوح والند يسترجع من روح الحياة ما ند وكلما تصاعد وهو خاسر أطال من العمر ما كان تقاصر في صفوف محام ككعوب مقام وظهور القنا مؤللة وبطونها مهللة كأنها تيجان رصع فيها ياقوت ومرجان قد قوس ظهرها الحكم تقويس ووشم مثل ريش الطواويس حتى كأنه باخرة مقرطق وبقوس قزح منطق وكأن اللازورد حول وشومه وبين رسومه سقف من قوادم الحمام أو كسف من ظلل الغمام والناس أخياف في دواعيهم وأوزاع في اغراضهم ومراميهم بين ركع وسجد وأيقاظ وهجد ومزدحم على الرقاب يتخطاها ومقتحم على الظهور يتمطاها كأنهم برد حلال قطر أو حروف في عرض سطر حتى اذا قرعت أسماعهم روعة التسليم سادروا بالتكلم وتحاذبوا بالاثواب وتساقوا بالاكواب كأنهم حضور طال عليهم غياب أو سفر أتيح لهم اياب وصفت مع اخوان صدق نسكب العلوم بينهم سكاب الودق فكان كوكر الغيد ورأنه عمر الله أو ككناس العفور كأن اقليدس قد قسم بينهم اجزاءه بالموازين وارسطاطاليس ادرس البيادق بالفرازين حتى صار عقيد الايجل وحذا بالانفل بحيث نسمع سور التنزيل كيف تتلى وسيلع نور التفسير كيف تجلى والمومقة والبنا يجهدون في دفع الصرر ويعمدون الى قرع العمد بالدرر فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين وسرت نحوهم سرى القين وتوهموا انها الى أعطافهم واصلة وفي اقفائهم حاصلة فقروا بين الاساطين كما تفر من النجوم الشياطين كأنما ضربهم ابو جهل بعصاه أو حصبهم عين بن صاف بحصاه فاكرم بها من مساع تسوق الى جنة الخلد وتهون في السعي اليها الطوارف والتلد تعظيما لشعائر الله وتنبيها لكل ساه ولاه حكمة تشهد لله تعالى بالربوبية وطاعة تدل بها كل نفس اوابة فلم أر أدام الله سبحانه عزك منظرا منها

ثم تبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالكيانيين الى أفريدون ثم الاشكان الى دارا بن دارا وهم السكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم اليونانيين ثم الروم ونذكر من تلوهم من ملوك العرب والامم والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم)

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفي النبط فمن الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة نود ماش بن نبيط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوان وكان اول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغيا في الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولد له يقال له بردس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك مماسير بن اول سبع سنين ثم ملك بعده اهريمون عشر سنين فخط الخطوط وكور الكور ووجد في امره واتسق له الملك وعمل عمارة ارضه فلما انه عامله

ابى ولا خبرا أشهى وإذا لم تتأمله عيانا فتخيله بيانا وإن كان حظ منطقى من الكلام حظ الشيخ من الأزلام لكن ما بيننا من مودة أكدنا وسائلها وذمة تقلدنا حمائلها يوجب القول اتحافى سميا وغثا ولبس الضافى جديدا ورثا لا زالت لزناد النبل مورياً والى آماد الفضل مجريا والتحية العبقة الريا المشرقة المحيا عليك ما طلع فجر وانبلج فجر ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى . (وذكر ابن بشكوال) ان الحكم المستنصر هدم الميضأة القديمة التى كانت بفناء الجامع الذى يستقى لها الماء من بئر السانية وبنى موضعها أربع ميضآت فى كل جانب من جانبى المسجد الشرقى والغربى منها اثنتان كبرى للرجال وصغرى للنساء اجرى فى جميعها الماء من قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة الى أن صبت ماءها فى احواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار واجرى فضل هذا الماء العذب الى سقايات اتخذهن على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية اجراها هنالك الى ثلاث جوابى من خالص الرخام استقطعها اقتطع المستبحر بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير والقاه الرخاميون هنالك واحتفروا أجوافها اعتنابرهم فى المدة الطويلة حتى استوت فى صورها البديعة لاعين الناس فخف ذلك من ثقلها وأمكن من اهباطها الى اماكن نصبها بأكناف المسجد الجامع وأمد الله تعالى على ذلك بعونته فحملت الواحدة منها فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام خشب البلوط على فلك موثقة بالحديد المثقف محفوفة بوثاق الجبال ورتب لجرها سبعون دابة من أشد الدواب وسهلت قدامها الطرق والمسالك وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة فى مدة اثنى عشر يوما فنصبت فى الاماء المعقودة لها قال وابتنى المستنصر فى غربى الجامع دار الصدقة واتخذها معهد التفريق صدقاته المتواليه وابتنى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الكبير الغربى انتهى واعلم انه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب حتى انهم يقولون فى الاحكام هذا مما جرى به عمل قرطبة وفى هذه المسئلة نزاع كثير ولا بأس أن نذكر ما لا بد منه من ذلك قال الامام ابن عرفه رحمه الله تعالى فى اشتراط الامام على القاضى الحكم بمذهب معين وان خالف معتقد المشترط اجتهادا وتقليدا ثلاثة أقوال الأول الصحة للباجى ولعمل أهل قرطبة ولظاهر شرط سحنون على من ولاه الحكم بمذهب أهل المدينة قال المازرى مع احتمال كون الرجل مجتهدا الثانى البطلان للطرطوشى اذ قال فى شرط أهل قرطبة هذا جهل عظيم الثالث تصح التولية ويذهب الشرط تخريجا على أحد الاقوال فى الشرط الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس انتهى مختصرا قال ابن غازى ان ابن عرفة نسب للطرطوشى البطلان مطلقا وابن شاس انما نسب له التفصيل انتهى ولما ذكر مولاى الجد الامام قاضى القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب بفاس سيدى أبو عبد الله المقرى التلمسانى فى كتابه القواعد شرط أهل قرطبة المذكور قال بعده ما نصه وعلى هذا الشرط ترتب عمل القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب فبينما نحن ننازع الناس فى عمل المدينة ونصيح بأهل الكوفة مع كثرة من نزل بها من علماء الامة كعلى وابن مسعود ومن كان معهما

ليس التكحل فى العينين كالكحل * سخ لى بعض الجهود ومعدن التقلد

الله أخر مدتى فتأخرت * حتى رأيت من الزمان عجائبا

لمع بعض ملوك الهند ما ءابه ملوك السريانيين من القوة وشدة العمارة وانهم

الاحوال وانتظم له الملك يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند عاليا على ما حوله من ممالك الهند وانقادت الى سلطانه ودخلت فى أحكامه وقيل ان مملكته كان مما يلى السند والهند فسار نحو بلاد بسط وغزنين وبلاد الداور على النهر المعروف بنهر هيدمند وهو نهر سجستان يذهب جريانه على أربع فراسخ منها وهذا النهر عليه اهل سجستان ودنياهم ونخلهم وجبالهم وسنرهانهم وهذا النهر يعرف بنهر بسط ويجرى فيه السفن من هنالك الى سجستان وبها الاقوات وغير ذلك ومن بسط الى سجستان نحو من مائة فرسخ وبلاد سجستان هى بلاد الرياح والرمال وهو البلد الموصوف بان الريح به تدير الارحية وتستقى الماء من الآبار وتسقى الجنان وليس فى الدنيا بلد والله أعلم أكثر منه استعمالا للرياح وقد تنوزع فى مبدا هذا النهر المعروف بنهر هيدمند من الناس من رأى ان مبداه من مبدا نهر الكنك وهو نهر الهند ويمر بكثير من جبال السند وهو نهر حاد الانصباب والجريان عليه يعذبا كثر الهند أعدها الحديد ونعرقها زهدا فى هذا العالم ورغبة فى النقلة

يا لله وللمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها ولم يبرح من الناس جهلها ما داك ألا ان الشيطان يسعى في محو الحق فيفنيه والباطل لا زال يلقنه ويلقيه الا ترى خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتفضيل والكهانة والنجوم والخط والتشاؤم وما أشبه ذلك وأسماؤها كالعتمة ويثرب وكذا التنابز بالالقاب وغيره مما نهى عنه وحذر منه كيف لم تزل من أهلها وانتقلت الى غيرهم مع تيسر امرها حتى كانهم لا يرفعون بالدين رأسا بل يجعلون العادات القديمة أسا وكذلك محبة الشعر والتلحين والنسب وما انخرط في هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب والشرع فينا منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة لا تحفظه الا قولا ولا تحمله الا كلا انتهى * وقال الحافظ ابن غازي بعد ذكر كلام مولاي الجد ما نصه وحدثني ثقة ممن لقيت انه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني وتصدى لاقراء التفسير بالبلد الجديد وأمر السلطان ابو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان مما القاه اليهم مشرع المترى هذا فبالغوا في انكاره ورأوا انه لا معدل عما عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق كالمتيطي من اعتماد عمل أهل قرطبة ومن في معناهم انتهى ::

(وقال بعض المؤرخين) حين ذكر قرطبة ما ملخصه هي قاعدة بلاد الاندلس ودار الخلافة الاسلامية وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس في حسن المآكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو الهمم وبها اعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاد الغزاة وأنجاد الحروب وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها ما يكفي أهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد وهي سفح جبل مطل عليها وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين وفيه من السواري الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود أكبرها تحمل ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الارض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعته وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قاقلي ويذكر في تاريخ بني أمية انه احكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثماني وللجامع عشرون بابا مصفحات بالنحاس الاندلسي مخرمة تخريما عجيبا بديعا يعجز البشر ويبهرهم وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى واهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربانية

عنه وذلك انهم يتصدون موضعا في أعالي هذا النهر المعروف بالكنك وهناك جبال عالية وأشجار عادية ورجال جلوس وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون في زهدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويسيرون الى هذا النهر أجزاء وما ذكرناه موصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهناك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره والغرائب مما به فيظهر من الارض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستقيم في الجو كابعد ما يكون من طوال النخل ثم ينثني جميع ذلك منعكسا فيعود في الارض مندساو يهوي في قعرها سفلا على المقدار الذي ارتفع به في الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان نابتة على حسب ما وصفنا في الاول فتذهب الصعداء ثم تتقطر منعكسة ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت

وأما المسجد الذي بقرطبة فهي بديعة الصنعة عجيبة المرأى فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدة
... شبرا و... واسعة كل قوس منها خمسون شبرا وبين كل قوسين خمسون شبرا وبالجملة
... من مرمة افضل الاخناس واعظم من أن نحيطها وصفا انتهى ملخصا وهو وان تكرر بعضه
مع ما تقدم ففيه فوائد زائدة والله الموفق ❊ وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف
لما مر ويمكن الجواب بان هذا الذراع أكبر من ذلك كما أشار اليه هو في أمر الصومعة وكذا ما
ذكره في عدد السواري الا أن يقال ما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذي ذكره
هنا انما هو للكبار وحده كما صرح به والله تعالى أعلم ❊ وأما الثريات فقد خالف في عدها ما تقدم
مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وان اختلفت
طرقه وسميت رواته وقال في المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة ما نصه اعتمدت فيما نقلته
في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتنى بهذا الشان أتم اعتناء واغنى عن الاستطلاع
الى كلام غيره عن الرازي انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح
وخالد بن الوليد عن رأي عمر رضي الله تعالى عنه من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة
دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت
داخل مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها بشنت بنجنت وابتنوا في ذلك الشطر مسجدا
جامعا وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة
واقتنع المسلمون بما في أيديهم الى أن كثروا وتزيدت عمارة قرطبة ونزلها أمراء العرب فضاق
عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس
ينالون في الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف وقصر أبوابها
وتطامن سقفها حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الارض ولم يزل
المسجد على هذه الصفة الى أن دخل الامير عبد الرحمن بن معاوية المرواني الى الاندلس
واستولى على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وعدنت به فنظر في أمر الجامع وذهب الى
توسعته واتقان بنيانه فاحضر أعاظم النصارى وسامهم بيع ما بقي بأيديهم من كنيستهم
لصق الجامع ليدخله فيه وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه فأبوا من بيع ما
بأيديهم وسألوا بعد الجهد بهم أن يباحوا بناء كنيستهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على
أن يسلموا اليه ما بقي من هذا الشطر الذي طولبوا به فتم الامر على ذلك وكان ذلك سنة ثمان
وستين ومائة ثم بنى بعد ذلك عبد الرحمن المسجد الجامع على ما قد ذكرها لاحاجة الى تفسير الزيادة
وانما انتهى بناؤه في وقت على الكمال وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوي من قصيدة

وأنفق في دين الاله ووجهه ❊ ثمانين ألفا من لجين وعسجد
توزعها في مسجد أسه التقى ❊ ومنهجه دين النبي محمد
ترى الذهب الناري فوق سموكه ❊ يلوح كبرق العارض المتوقد

قال وكمل سنة سبعين ثم زاد في زيادته ابنه هشام الرضا وما جدده فيه وانه بناه من خمس في
أربع ثمّ زاد ابنه عبد الرحمن الاوسط لما تزايد الناس قال وهلك قبل أن يتم الزخرفة وأتمها
ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رم المنذر بن محمد ما وهى منه وذكر ما جدده خليفتهم الناصر ونقضه

وكنت بقطعه من براعيه في أمره لا مريد كونه وخطر في المستقبل يصفونه لطبق
الثرى فلولا ان الهند فقد
على بث البلاد ولعدى
تلك الارض بهذا النوع
من الاشجار ... على
ذكرها ... من
الى تلك البلاد وزادها
في اليمن ... فهذه
... ماوصفه
بانواع العجائب من سوق
الامم ... ارض
الهاجر ... مستعمل
موجلا لا ... يغير
... من تعذيب
... الدار معجلا
ومنهم من يسير الى باب
الملك ... في احرازه
... وفي الاسواق
وقد اجتمعت الانظار العظيمة
عليها من ... وكل بايقادها
... اسير في الاسواق وقدامه
الطبول والصنوج وعلى
... أنواع من خرق الحرير
... على نفسه وحوله
أهله ... وعلى رأسه
اكليل من الريحان وقد تشر
... من ... ووعلى ...
الجمر ... الكبريت
... بها ...
... وهو
... الطبول وحب
... الى
بلادهم ... كانت
... من الانواع
يجمع هذا الورق بالورقة
المطولة مع الفوفل وهو
الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلا من الطيب

للصومعة الاولى وبداية للصومعة العظيمة قال ولما ولي الحكم المستنصر بن الناصر وضاق
نطاق قرطبة وكثر أهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيأ على النظر في الزيادة فبلغ الجهد
وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وقد رفع حد يعصرا ...
وذكر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة الى نحو المشرق ... قبلة
جامع الزهراء لان أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة الى نحو الغرب
فقال له الفقيه أبو ابراهيم يا أمير المؤمنين انه قد صلى الى هذه القبلة ... من ادركه من
الائمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ فتح الاندلس الى هذا الوقت ... من
من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصنعاني وأمثالهم رحمهم الله تعالى و... بفضل
الاتباع وهلك من هلك بالابتداع فأخذ الخليفة برأيه وقال نعم ما قلت ... الاتباع
قال ابن بشكوال وقرأت من خط أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة في هذه الزيادة ... انتهت
بها الى مائتي ألف دينار وأحد وستين ألف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين دينارا
ودرهمين ونصف ثم ذكر الصومعة فقال عن ابن بشكوال وقال أمر الناصر عبد الرحمن بهدم
الصومعة الاولى سنة ٣٤٠ وقام هذه الصومعة البديعة فحفر في أساسها حتى بلغ الماء مدة
ثلاثة وأربعين يوما ... ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من
أحد درجيها ونزل من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت
الاولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين فصل بينهما البناء فلا يلتقي الراقون فيها الا بأعلاها
ترتد مراقي كل مطلع منها على مائة سبعا : قال وخبر هذه الصومعة مشهور في الارض وليس في
مساجد المسلمين صومعة تعدلها . قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم ير صومعة
مراكش ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فهما أعظم وأطول لانه
ذكر أن طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن أربعة وخمسون ذراعا والى أعلى الرمانة
الاخيرة بأعلى البرج ثلاثة وسبعون ذراعا وعرضها في كل ربع ثمانية عشر ذراعا وذلك
اثنان وسبعون ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشر أذرع ... وذكر أن
صومعة قرطبة ... بضخام الحجارة العظيمة ... غاية التجديد وفي على ذروتها ثلاث شمسات
يسمونها رمانة ملصقة في السفود البارز في أعلاها من النحاس الثنتان منها ... والثالثة
منها وسطى بينهما من فضة ... وفوقها سوسنة من ذهب ... وفوقها رمانة ذهب
صغيرة في طرف البرج البارز بأعلى الجو . وكان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا . وذكر
ابن بشكوال في روايته أن موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها أهل
قرطبة قماماتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود صلى الله وسلم عليهما ودخل قرطبة قال للجن
اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه ففعلوا ما أمرهم ثم بني فيه
بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن فضائله أن الدارات المائة في ترابيع سمائه مكتوبة
كلها بالذكر والدعاء الى غيره بأحكم صنعة انتهى : وذكر مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن فقال هو مصحف أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضي الله تعالى عنه بخط يمينه وله عند أهل الاندلس شأن عظيم ... ذكر

وقد ... على ما ذكرنا الازرق
وأورد ... الله ...
... الا ...
السكة وارل ارط ...
المودة وشهى ...
وبعث على ...
الاشفاق حتى يكون ...
... من ...
... احد ...
... وقرى ...
وأثر ...
...
...
...
لا ...
...
الاسواق ... الى ...
الدار وهو ...
ولا ...
...
من أشرف على ...
صار ... العظم
...
...
...
صيمور من بلاد الهند ...
... مملكة ...
وذلك في سنة أربع
وثلثمائة والملك ...
على صيمور المعروف ...
... بها ... المسلمين
نحو من عشرة آلاف قاطنين
بياسرة وسيرافيين و...
و...
... الامصار ...
وبعض تلك البلاد ... من وجوه ... مثل ... على ...
ويكون عند الصلاة ... عن ذلك ...

بر ر كرياز عير الهيرمة يراد به رآسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون

فيه زيادة على هذا انتهى وأما الزهراء فهي مدينة الملك التي اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدم ذكره وهي من المدن الجليلة العظيمة القدر قال ابن الفرضي وغيره كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصناع فاستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية وأربعين يوما وجاء في غاية الاتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ثلاثون ذراعا وعرض البهو الاوسط من أبهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشر ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له اثنا عشرة ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب احدى وأربعون ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخمري وفي وسطه فوارة يجري فيها الماء وطول هذا المسجد أجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون ذراعا وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعا وعرضها عشرة أذرع في مثلها وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد صنع في نهاية من الحسن ووضع في مكانه منه وحظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند كماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة قال وفي صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التي أجراها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وبيص شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجه في تلك البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منه وكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذي يصب فيها من أعظم آثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسمو أبراجها التي يرقى الماء منها ويتصوب من أعاليها وكانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى أن وصلت أعني القناة الى هذه البركة أربعة عشر شهرا وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي اتصل واستمر يوم الخميس غرة جمادى الاخيرة من السنة وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة أفضل فيها على عامة أهل مملكته ووصل المهندسين والقوام بالعمل بصلات حسنة جليلة جزيلة وأما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحو من أربعين سنة ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أول جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامام القاضي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة وأول من خطب به القاضي المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله في الاسلام البتة وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارد

ورسول

أحكامهم مصروفة اليه ومعنى قولنا البياسرة يراد به من ولد من المسلمين بأرض الهند يعرفون بهذا الاسم واحدهم بيسر وجمعهم بياسرة فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم فلما دنا من النار أخذ الخنجر ووضعه على فؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر فدفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه في النار واذا مات الملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البلانجرية واحدهم بلانجري وتفسير ذلك أنه اذا فرق أن يموت فيموت بموته ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تعجز عن سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التي لم يعهد ذكرها الابدان ويقصر عن ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان ولنرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد سجستان وبعده مملكة السربانيين ونعدل عما الحديث فيه من أخبار الهند فنقول كان هذا الملك من ملوك الهند يقال

ورسول وافد وتاجر وجهبذ وفى هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة الا وكلهم قطع انه لم ير له شبها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى انه كان أعجب ما يقصد له القاطع الى الاندلس فى تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه والاخبار عن هذا يتسع جدا والادلة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرد المشرف على الروضة المباهى بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب مصون وعمد كأنما أفرغت فى القوالب ونقوش كالرياض وبرك محكمة الصنعة وحياض وتماثيل عجيبة الاشخاص لا تهتدى الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها فسبحان الذى أقدر هذا المخلوق الضعيف على ابداعها واختراعها من اجزاء الارض المنحلة ليرى الغافلين عنه من عباده مثلا لما أعده لاهل السعادة فى دار المقامة التى لا يتسلط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرم لا اله الا هو المنفرد بالكرم (وذكر المؤرخ) أبو مروان بن حيان صاحب الشرطة أن مبانى الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف وعلى ثلثمائة سارية وست عشرة فان منها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما اهداه صاحب القسطنطينية وان مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه والله سبحانه أعلم فانها كانت من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا وأعظمه شانا انتهى قلت ذكر بعضهم ذلك النيف فى كلامه بثلاث عشرة والله أعلم (وقال بعض مؤرخى الاندلس) كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم كل يوم حاشا أنواع الطير والحوت ثلاثة عشر ألف رطل وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة انتهى وقيل ان عدد الفتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون وجعل بعض سكان الخمسين سبعة وثمانين (وقال آخر) ستة آلاف صقلبى وسبعة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم وينقع لها من الحمص الاسود ستة أقفزة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل تقسم من عشرة أرطال للشخص الى ما دون سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى (وقال ابن حيان) ألفيت بخط ابن دحون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بعمارة الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الصخر المصرف فى التبليط فانه لم يدخل فى هذا العدد وكان يخدم فى الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر منها أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دواب الاكرية الراتبة للخدمة ألف بغل لكل منها ثلاثة مثاقيل فى الشهر يجب لها فى الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص فى كل ثالث من الايام ألف ومائة حمل وكان فيها حمامان واحدة للقصر وثانية للعامة * وذكر بعض أهل الخدمة فى الزهراء انه قدر النفقة فيها فى كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التى بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها لانه توفى سنة خمسين فحصل جميع

اه زنبيل وكل ملك يلى هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم رتبيل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جم ماذبه فسار اليه بعض ملوك العرب فالى دينه وملك العراق وردملك السريانيين الى كراعيهم رجلا منهم يقال له (سير) وكان ولد المقتول وكان ملكه الى أن هلك ثمانين سنين ثم ملك بعده (أهربون) وكان ملكه اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له (هوريا) فزاد فى العمارة وأحسن فى الرعاية وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (سارث) واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده (أزور) و(حلكاس) ويقال انهما كانا أخوين فاحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ويقال ان أحدهذين الملكين كان بالسادات يوما ادنظر فى أعلى قصره الى طائر قد أفرخ هناك واذا هو يضرب بجناحيه ويصيح وتأمل الملك ذلك

فنظر الى جثته منسابا الى الوكر حاضنة لا فراخ الطائر فدعا الملك بقوس ثم رمى الحية فصرعها ولم

إلا أن ... كان مبلغه خمسة عشر بيت مال * قال وجلب إليها الرخام من قرطاجنة وإفريقية وتونس وكان الذين جلبوه عبد الله بن يونس عريف البنائين وحسن وعلي بن جعفر الإسكندراني وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة بعشرة دنانير انتهى وقال بعض ثقات المؤرخين إنه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير قيل وكان عدد السواري المجلوبة من إفريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية وأهدى إليه ملك الروم مائة وأربعين سارية وسائرها من مقاطع الأندلس طركونة وغيرها فالرخام الأبيض من ريه والمجزع من رية والوردي والأخضر من إفريقية من كنيسة إسفاقس وأما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة فجلبه إليه أحمد اليوناني من القسطنطينية مع ربيع الأسقف القادم من إيلياء وأما الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان فجلبه أحمد من الشام وقيل من القسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضاً وقالوا إنه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله وحمل من مكان إلى مكان حتى وصل في البحر ونصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد إلى جانبه غزال إلى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره وكان يخبز في أيامه في كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة وقيل أكثر إلى غير ذلك مما يطول تتبعه * وكان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثاً ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنيمة فلا يحصيها ديوان وقد سبق هذا كله وإنما كررناه لقول بعضهم إثر حكايته له ما صورته وقيل إن مبلغ تحصيل النفقة في بناء الزهراء مائة مدي من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة وقيل إن مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مدياً وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمساً وعشرين سنة شطر خلافته ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها وكانت خمسة عشر عاماً وأشهراً فسبحان الباقي بعد فناء الخلق لا إله إلا هو انتهى (وقال ابن البديع الهمداني رحمه الله في المطمح) كان الناصر كلفاً بعمارة الأرض وإقامة معالمها وانبساط مجاهلها واستجلاب أبعد مياهها واتخاذ الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره الرائد المنتشر صيته في الأرض واستفرغ جهده في تنميقها وإتقان قصورها وزخرفة مصانعها وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فأراد القاضي منذر أن يغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكير بالإنابة والرجوع فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون إلى قوله من الواعظين ثم وصله بقوله

عندهم به يصفق بجناحه في منقاره حبة وفي مخلابه حبتان وجاء إلى الملك وألقى

فرخ الطائر فجاء الطائر
مكان في منقاره
ومخلابه والملك يرمقه
ووقع الحب بين يديه
... الطائر ... الأمة ...
... الحب ...
... عرف ...
... نصراني
... المدن في الحب بينها
الملك ... أن يودع
... الرخام لأرض ...
... العامة ...
... دعا
... الأكرداوام ...
... يكون ...
... والبلد ...
... والملك ...
إلى أن انتهى في الملوك
... على دوقه
... الملك ... ماته وأن يودع
... وأن ...
وتركه على حاله ...
... الرشد ...
... الملك
على ... من
ذلك في أيامه ...
... وما
...
الشيخ ...

... ثم ... وترك رأسه ووضع يده على الأرض

قدامه

فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار ومكان الجزاء ومضى في ذم تشييد
البنيان والاستغراق في زخرفته والإسراف في الإنفاق عليه بكلام جزل وقول فصل
يجري فيه طلقا وانتزع فيه قوله تعالى أفمن أسس بنيانه إلى آخر الآية وأتى بما يشاكل المعنى
من التخويف بالموت والتحذير من فجأته والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على
اعتزالها والرفض لها والندب إلى الإعراض عنها والإقصار عن طلب اللذات ونهي النفس
عن اتباع هواها فأسهب في ذلك كله وأضاف إليه من آي القرآن ما يطابقه وجلب من
الحديث والأثر ما يشاكله حتى أذكر من حضره من الناس وخشعوا ورقوا واعترفوا وبكوا
وضجوا ودعوا وأعلنوا التضرع إلى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة وأخذ خليفة
من ذلك بأوفر حظ وقد علم أنه المقصود به فبكى وندم على ما سلف من فرطه واستعاذ بالله من
سخطه إلا أنه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال
والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري فأسرف علي وأفرط في تقريعي وتفزيعي ولم
يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غضبا عليه فأقسم أن لا
يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة
ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك
والاستبدال بغيره منه إذ كرهته فزجره وانتهره وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره
وعلمه لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون وإني
لأستحيي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه
ولكنه أحرجني فأقسمت ولوددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس
حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض منه أبدا وقال إن الحكم اعتذر بما قال
منذر وقال يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح وما أراد إلا خيرا ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية
لعذرك فأمر حينئذ الناصر بالقصور ففرشت وفرش ذلك المجلس بأصناف فرش الديباج
وأمر بالأطعمة وقد أحضر العلماء وغص بهم المجلس فدخل منذر في آخرهم فأومأ إليه الناصر
أن يقعد بقربه فقال يا أمير المؤمنين إنما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب
فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة ثم ذكر الناس بعد هذا كلاما من كلام المنذر
[illegible] ويختلط الناس آخره فقام القاضي منذر [illegible] الى لا [illegible]
بالناس [illegible] أهله لذلك وصام بين يديه أياما [illegible] وأنابه ورهبه وأخذ معه الناس في
مصلى الربض مترقبة بارزا إلى الله تعالى في جمع [illegible] وقعد [illegible] فأمر أهل
مصانعه المرتفعة من القصر لتشارف الناس وتشاركهم في الخروج إلى الله تعالى
والضراعة له وأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ثم خرج نحوهم
ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى بدار الناس إلى ارتقائه واستكانتهم من
خيفة الله وإخباتهم له وابتهالهم إليه رقت نفسه وغلبته عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح
خطبته بأن قال يا أيها الناس سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يك من عادته فنظر
الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ثم اندفع تاليا قوله تعالى كتب

فشرب ووقع عميرة يغني فسأل الملك هذا الشراب يذهب بالعقل وأخاف
أن يكون قال الأمر إلى
[illegible] كيف عاش في حال
السكر [illegible] سلطان الندم
وقوة الشباب ثم إن الملك
[illegible]
فسأل الملك هل [illegible] من
الشيخ أفاق وطلب [illegible]
من الشراب وقال [illegible]
[illegible] ويكشف عني الغموم
[illegible] ساحتي الأحزان
[illegible]
الأمر [illegible] هذا الشراب
[illegible] فسأل الملك [illegible]
أشرف شراب أهل الأرض
[illegible]
حسن وقوي [illegible]
في [illegible] وشرب في حال
[illegible] الحزن [illegible]
الدائم [illegible]
[illegible]
[illegible] الملك أن [illegible]
[illegible] ذلك فقال هذا
شراب الملوك وأما [illegible]
فيه فإن كان لا يشربه
غيري فأسمعه الملك [illegible]
أن [illegible] أيدي الناس
[illegible]
[illegible] من زرعها
[illegible] حين [illegible]
[illegible] خرج من
السفينة واستوى على
الجودي في كتاب المبتدأ
وغيره من الكتب

(ذكر ملوك الموصل
ونينوى ولمع من أخبارهم)

نينوى هي مقابلة الموصل وبينهما دجلة وهي من [illegible] كور الموصل ونينوى في [illegible] وهو [illegible]

ربكم على نفسه الرحمة إلى قوله رحيم ثم قال استغفروا ربكم إنه كان غفارا استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وتزلفوا بالأعمال الصالحة لديه قال الحاكي فضج الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففزع النفوس بوعظه وانبعث الإخلاص بتذكيره فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل وسكن الأزل والله لطيف بعباده وكان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه أن قال يوما وقد سرح طرفه في ملأ الناس عندما شخصوا إليه بأبصارهم فهتف بهم كالمنادي يا أيها الناس وكررها عليهم مشيرا بيده في نواحيهم أنتم الفقراء إلى الله إلى بعزيز فاشتد وجد الناس وانطلقت أعينهم بالبكاء ومضى في خطبته وقيل إن الخليفة الناصر خرج مرة للاستسقاء وأسرع عزمه عليه فتأهب الناس للمصلى فقال للرسول وكان من خواص الناس ليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا فقال له ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا إنه منتبذ حائر منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب مفترش التراب وقد رمد به على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني قال الحاكي فتهلل وجه القاضي منذر عندما سمع قوله وقال يا غلام احمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس إلا عن السقيا وكان منذر شديد الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته وقوة الحكومة والقيام بالحق في جميع ما يجري على يده لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه (وقال ابن الحسن النباهي) وأصله في المطمح وغيره ومن أخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر في إنكاره عليه الإسراف في البناء أن الناصر كان اتخذ لسطح القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب وفضة أنفق عليها مالا جسيما وقرمد سقفها به وجعل سقفها صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة تستلب الأبصار بأشعة نورها وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته فقال لقرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة هل رأيتم أو سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين وإنك لأوحد في شأنك كله وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره فأبهجه قولهم وسره وبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لقرابته من ذكر السقف المذهب واقتداره على إبداعه فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أنزلتني منزلتهم قال نعم أليس الله تعالى يقول ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الآية فوجم الخليفة وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر وقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر

الله

...ين وثلاثين وثلاثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لأهلها وإلى أهلها أرسل يونس بن متى وآثار الصور فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها وظاهر المدينة تل عليه مسجد وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه السلام ويأوي إلى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد وكان أول ملك بنى هذه المدينة وسور سورها ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ويقال له سيبوس بن مالوس وكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان بالموصل رجل آخر محاربا لهذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع ويقال إن ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة يقال لها سيموس فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل بمملكتها من شاطئ دجلة إلى بلاد أرمينية ومن بلاد أذربيجان إلى حد الجزيرة والجودي وجبل الثلج إلى بلاد الزوزان وغيرها من أرمينية وكان أهل نينوى ممن سمينا نبيطا وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وإنما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم والمقالة واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسبس) ويقال إنه كان ابنها وكان ملكه نحوا

الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاده قرمداً على صفة غيرها انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهي وانذكر هذه الحكاية وغيرها وان خالف السياق ما سبق وهذا منقول من كلام الحجاري في المسهب في أخبار المغرب فانه أتم فائدة اذ قال رحمه الله دخل منذر بن سعيد يوماً على الناصر باني الزهراء وهو مكب على الاشتغال بالبنيان فوعظه فأنشده عبد الرحمن الناصر

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
أوما ترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان

قال فما أدري أهذا شعره أم تمثل به فان كان شعره فقد بلغ به غاية الاحسان وان كان تمثل به فقد استحسنه بالتمثل به في هذا المكان وكان منذر يكثر تعنيفه على البنيان ودخل عليه مرة وهو في قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة واحتفل فيها احتفالاً ظن أن أحداً من الملوك لم يصل اليه فقام خطيباً والمجلس قد غص بأرباب الدولة فتلا قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية وأتبعها بما يليق بذلك فوجم الملك وأظهر الكآبة ولم يسعه الا الاحتمال لمنذر بن سعيد لعظم قدره في علمه ودينه * وحضر معه يوماً في الزهراء فقام الرئيس أبو عثمان بن ادريس فأنشد للناصر قصيدة منها

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن * مضيعاً وقد مكنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتقى * وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فاهتز الناصر وابتهج وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشداً

يا باني الزهراء مستغرقاً * أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقاً * لو لم تكن زهرتها تذبل

فقال الناصر اذا هب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعالى فقال منذر اللهم اشهد أني قد بثثت ما عندي ولم آل نصحاً انتهى ولقد صدق القاضي منذر رحمه الله تعالى فيما قال فانها ذبلت بعد ذلك في الفتنة وقلما كان بينها مدة مختصرة وذلك عندما ولي الحجابة عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الملقب بشنجول وتصرف في الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور ساء التدبير ولم يعتبر من العقل والمشير ودس الى المؤيد هشام بن الحكم من خوفه حتى ولاه عهده كما مضى نص العهد فيما سبق فاطلق الخاصة والعامة على حسده واضمار السوء له وذلك سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر سنة تسع وتسعين وتلقب بالمهدي وخلع المؤيد وحبسه وأسلمت الجيوش شنجول فأخذ وأسر وقتل (قال ابن الرقيق) ومن أعجب ما روي انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقين من جمادى الاخيرة الى نصف نهار يوم الاربعاء فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع خليفة وهو المؤيد وولي خليفة وهو المهدي وزالت دولة بني عامر العظيمة وقتل وزيرهم محمد بن عسلجة وأقيمت جيوش من

من أربعين سنة ورجعت اليه الارمن وقد كانت الحروب بينهم سجالا في

ما له ثم غلبوا على أهل نينوى وكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى وكان يؤدي الضريبة الى ملك أرمينية ولهؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على جميعها في كتابينا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط

* (ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم) *

ذكر جماعة من أهل التبصر والخشوع ذوي العناية بأخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وان الفرس الاولى انما أخذت الملك من هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أولهم (نمرود) الجبار وكان ملكه نحوا من ستين سنة وهو الذي احتفر أنهارا بالعراق أخذها من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى بالعراق بين طريق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد لا دفاء لجريه وشهرته وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيراً من أنهار العراق عند ذكرنا لملوك الفرس الاولى

والثانية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض في هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم والتنبيه على ما سلف من

أنفسهم وبذلك خلت من الوزراء وولي الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يد عشرة رجال خبازين وجزارين وزبالين وهم جند المهدي انتهى وقد تقدم بعض الكلام على المهدي هذا وقال بعض الشعراء لما قام على الدولة

قد قام مهدينا ولكن * بملة الفسق والمجون
وشارك الناس في حريم * لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجما * فاليوم قد صار ذا قرون

ومن شعر المهدي هذا وقد حياه في مجلس شرابه غلام بقضيب آس

أهديت شبه قوامك المياس * غصنا رطيبا ناعما من آس
وكأنما تحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الأنفاس

وقد ذكرنا فيما سبق في الفصل الثالث خبر المهدي هذا وقتله ولقد كان قيامه مشؤما على الدين والدنيا فإنه فتح أبواب الفتنة بالأندلس ومحى معالمها حتى تفرقت الدولة وانتثر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو إليها وأخذها شيئا فشيئا حتى محى اسم الإسلام منها أعاده الله تعالى وقد ألم الولي بن خلدون في تاريخه بذكر الزهراء في جملة مباني الناصر فقال ما نصه ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره إلى تشييد القصور والمباني وكان جده الأمير محمد وأبوه عبد الرحمن الأوسط وجده الحكم قد احتفلوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الإتقان والفخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهو والكامل والمنيف فبنى هو إلى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء إلى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المتنزهات فاتخذ منية الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها لنزله وكرسيا لملكه وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما عفا على مبانيهم الأولى واتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظللة بالشباك واتخذ فيها دور الصناعة آلات من آلات السلاح للحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس انتهى وأما الزاهرة فهي من مباني المنصور محمد بن أبي عامر (قال ابن خلدون) أثناء كلامه على المنصور ما صورته وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة انتهى (وقال غيره) وأطنب صاحب المطمح وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة وذلك عندما تكامل واستقل أمره واتقد جمره وظهر استبداده وكثر حساده وأضداده وأنداده وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان وخشي أن يقع في أشطان فتوثق لنفسه وكشف له ما تزعزع في أمره من الاعتراض عليه ورفع الاستناد إليه وسما إلى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله بأهله وذويه ويضم إليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته ويجمع فيه فتيانه وغلمانه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم

... بعده (اندلس) نحوا من ... سنة وكان عظيم البطش مجبرا في الارض وكانت في أيامه حروب ثم
ملك بعده (...موس)
نحوا من مائة ... في
الارض ... أهلها ...
بعده (...) نحوا
من ...
... (...ورش) نحوا
من ... ثم ملك
بعده (...) نحوا ... عشرين
... (٢٠٠)
نحو ...
... أكثر من ذلك ثم
... بعده (...بس) نحوا
من ... سنة ثم ملك
بعده (...روس) نحوا من
ثلاثين سنة ثم ملك بعده
(ايلاوس) خمس عشرة
سنة ثم ملك بعده (...لرس)
نحوا من أربعين سنة ثم
ملك بعده (...يونوس)
نحو ثلاثين سنة ثم ملك
بعده (...كاوس) نحو
ثلاثين سنة ثم ملك بعده
(...مروس) نحوا من أربعين
سنة ...
... ثم ملك بعده
(...) نحو ...
... (...)
...
(أسيرطوبس) نحو ...
سنة ثم ملك بعده (العداس)
نحو ... سنة ثم ملك
بعده (أسيرنوس) نحو ...
سنة ثم ملك بعده (...)
نحو عشرين سنة ثم ملك
بعده (فارسوس) نحو ... سنة ... ثم ملك بعده (... ادريوس) نحو

وشرع

وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة وحشد الصناع والفعلة وجلب إليها الآلات الجليلة وسربلها بهاء يرد الأعين كليلة وتوسع في اختطاطها وتولع بانتشارها في البسيطة وانبساطها وبالغ في رفع أسوارها وثابر على تسوية انجادها وأغوارها فاتسعت هذه المدينة في المدة القريبة وصار بناؤها من الأنباء الغريبة وبني معظمها في عامين * وفي سنة سبعين وثلثمائة انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته فتبوأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته واتخذ بها الدواوين والأعمال وعمل في داخلها الأهراء وأطلق [illegible] الأرحاء ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه فابتنوا بها كبار الدور وجليلات القصور واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة والمنازل المشيدة وقامت بها الأسواق وكثرت فيها الأرفاق وتنافس الناس في النزول بأكنافها والحلول بأطرافها للدنو من صاحب الدولة وتناهى الغلو في البناء حوله حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة واستقرت في بحبوحتها الإمارة وأفرد الخليفة من كل شيء إلا من الاسم الخلافي وصير ذلك هو الرسم العافي ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤوس أمرائه وندب إليها كل ذي خطة بخطته ونصب ببابها كرسي شرطته وأجلس عليه واليا على رسم كرسي الخليفة وفي صفة تلك المرتبة المنيفة وكتب إلى الأقطار بالأندلس والعدوة بأن تحمل إلى مدينته تلك أموال الجبايات ويقصدها أصحاب الولايات وينتابها طلاب الحوائج وحذر أن يعوج عنها إلى دار الخليفة عائج فاقتضيت إليها اللبانات والأوطار وانثال الناس إليها من جميع الأقطار وتم لمحمد بن أبي عامر ما أراد وانتظمت بأمانيه المراد وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه وسد باب قصره عليه وجد في خبر لا يصل إليه وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر ويبسط فيه النهي والأمر ويشرف منه على كل داخل ويمنع ما يحذره من الدواخل ورتب عليه الحراس والبوابين والسمار والمنتابين يلازمون حراسة من فيه ليلا ونهارا ويراقبون حركاته سرا وجهارا وقد حجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من تملك قبيل أو دبير وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء محجوز الغناء خفي الذكر عليل الفكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الأحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يخاف منه بأس ولا يرجى منه إنعام ولا يعهد منه إلا الاسم السلطاني في السكة والدعوة وقد نسخه ولبس أبهته وطمس بهجته وأغنى الناس عنه وأزال أطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وأمرهم لا يذكرونه فاشتد ملك محمد ابن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الأيام في تشييد مبانيها حتى كملت أحسن كمال وجاءت في نهاية الجمال نقاوة بناء وسعة فناء واعتدال هواء ورق أديم وصقالة جو واعتلال نسيم ونضرة بستان وبهجة للنفوس بها افتتان وفيها يقول صاعد اللغوي

يا أيها الملك المنصور من يمن * والمبتني نسبا غير الذي انتسبا
بغزوة في قلوب الشرك رائعة * بين المنايا تناغي السمر والقضبا
أما ترى العين تجري فوق مرمرها * هوى وتجري على أحفافها الطربا
أجريتها فطما الزاهي بجريتها * كما طموت فسدت العجم والعربا

بعده (بطاورس) [illegible] سنة ثم ملك بعده (صاطرس) نحو أربعين سنة [illegible] بعده (أفرورس) [illegible] أربعين سنة ثم [illegible] بعده ([illegible]) نحو [illegible] سنة بعده (ا[illegible]) نحو [illegible] سنة ثم [illegible] بعده (مروطاوس) [illegible] عشر سنة ثم ملك بعده (أفريدرس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]طوروس) نحو [illegible] سنة بعده (دولاس) [illegible] سنة ثم ملك [illegible] بعده (سعلس) [illegible] سنة [illegible] وكان [illegible] من ملوك [illegible] [illegible] كتاب [illegible] العدد ثم ملك بعده (سيموجس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده (مردوخ) أربعين سنة وقيل أول من [illegible] ثم ملك بعده ([illegible]) [illegible] وهو الذي [illegible] بيت المقدس ثم ملك بعده ([illegible]) [illegible] سنة وقيل أول من ذلك ثم ملك بعده (بختنصر) الجبار نحو أربعين سنة ثم ملك بعده (قرمودوس) نحو [illegible] سنة ثم [illegible]

تجال فيه جنود الماء زاخرة * مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفه من فنون الأيك زاهرة * قد اورقت فضة اذ أورقت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها * يتلو على السمع منها آية عجبا
لا يحسن الدهر أن ينشي لها مثلا * ولو تعنت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية والروض قد تفتحت أنواره وتوشحت أنجاده وأغواره وتصرف فيها الدهر متواضعا ووقف بها السعد خاضعا فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الما والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد ان لا تحل الشمس بالحمل

ومازالت هذه المنية رائقة والسعود بلبتها متناسقة تراوحها الفتوح وتغاديها وتجلب اليها منكسرة أعاديها لا يرحف عنها راية الا الى فتح ولا يصدر عنها تدبير الا الى نجح الى ان حان يومها العصيب وقيض لها من المكروه أوفر نصيب فتولت ففقدت حلت من بهجتها كل عقيده انتهى (وقد حكى الحميدي في جذوة المقتبس) هذه الحكاية الواقعة لابن أبي الحباب بزيادة فقال بعد ان ذكر هذه المنية العامرية وهي الى جانب الزهراء ان أبا المطرف بن أبي الحباب الشاعر دخل الى المنصور في هذه المنية فوقف على روضة فيها ثلاث سوسنات ثنتان منها قد فتحتا وواحدة لم تفتح فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد ان لا تحل الشمس في الحمل
كأنما غرست في ساحته وبدا السوسان من حينه فيها على عجل
أبدت ثلاثا من السوسان مائلة * أعناقهن من الاعياء والكسل
فبعض نوارها للبعض منفتح * والبعض منغلق عنهن في شغل
كأنها راحة ضمت أناملها * من بعد ما ملئت من جودك الخضل
واخرى بسطت منها أناملها * ترجو نداك كما عودتها فصل سى

وذكر ابن سعيد ان ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد اللغوي البغدادي فأنشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من أبيات

فالعامرية تزهى * على جميع المباني
وأنت فيها كسيف * قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان مناقضا له فقال أسعد الله تعالى الحاجب الاجل ومكن سلطانه هذا الشعر الذي قد أعده وتروى فيه وأقدر أن أقول أحسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر صدق دعواك فجعل يقول من غير فكرة كثيرة

يا أيها الحاجب المعتلي على كيوان

(نقوس) سنة وقيل أول من ... ثم ملك بعده (درنوس) احدى وثلاثين سنة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك بعده (كمرحوس) عشرين سنة ثم ملك بعده (فحشمت) احدى واربعين سنة ثم ملك بعده (احرشت) ثلاثين سنة وقيل ستين وشهرين ثم ملك بعده (شعبا) سنة وقيل ستة أشهر ثم ملك بعده (ارنوس) عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (اصطخس) سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (دار الاسع) خمس عشرة سنة وقيل عشرين سنة (قال المسعودي) فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم ... وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الارضين واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل والمكايد وصفوا صفوفا للحرب بالقلب والميمنة والميسرة والاجنحة وجعلوا ذلك مثالا لاعضاء جسد الانسان وودوا لكل حرب علما الامة لا يواريها غيرها فجعلوا لها أعلاما على صور الفيلة وما عظم من أجناس الحيوان وجعلوا أعلام ... ومن

ومن به قد تناهى * فخار كل يمان
العامرية أضحت * بحسنه الرضوان
فريدة لفريد * ما بين أهل الزمان

ثم مر فى الشعر الى ان قال فى وصفها

انظر الى النهر فيها * ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا * على ذرا الاغصان
والقضب تلتف سكرا * على القضبان
والروض يفتر زهوا * عن مبسم الاقحوان
والنرجس الغض يرنو * بوجنة النعمان
وراحة الريح تهدى * ونفحة الريحان
فدم مدى الدهر فيها * فى غبطة وأمان

فأعطى المنصور لناظمها وقال لابن العريف ما لك فائدة فى افتقادهم هذا ان كان له فكيف يكون رد به على ابن العريف فاعتاظه ودرب عليه المأخذ احسابك وقال له صاعد ويخرج من هذا أن تله احسانه لك اسكت وبعد عليك المأخذ فضحك المنصور وقال غيره هذه المنزعة اليق أدبكما (قلت) وقد ذكر مؤرخو الاندلس منى كثيرة بها مضاهية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثم ملك قرطبة (قال أبو الحسن) بن سعيد حدثنى أبى عن أبيه قال خرج معى الى هذه المنية فى زمان فتح نوار اللوز أبو بكر بن بقى الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر لوز قد نور فقال ابن بقى

سطر من اللوز فى البستان قابلنى * ما زاد شئ على شئ ولا نقصا
كانما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى أعطافه رقصا

ثم قال

عجبت لمن أبقى على خمر دنه * غداة رأى لوزا تجدد نورا

(وذكر) بعض مؤرخى الاندلس أن المنصور بن أبى عامر كان يرد ع كل سنة ألف مدى من الشعير قضيما لدوابه الخاصة به وانه كان اذا قدم من غزوة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحب الابنية للوقوف على ما وهى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره قال وكان له حالة كل يوم اثنا عشر ألف رطل من اللحم ما عدا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع فى كل عام اثنى عشر ألف ترس عامرية للقصر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طريق الزاهرة والزهراء مدينة العامرية بيد أن المنصور والمرجات المخترقة كنية السرو وغيرها من منتشئة المدينة المسماة ومن المطبع أن المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها الايغال وغاب بها من عظماء الروم من عال وحل من أرضهم ما لم يطرق وراع منهم ما لم يرع ولم يفرق وصدرت ذراسما أنه على كل حسناء عقيلة وجلابه كل صفحة للحسن صقيلة ودخل قرطبة ولم يعهد وشهدله

انبساطه فى احمر ره وأن الدسبه الرابعه من بدر الساطر و بين لون احمر ره الاحمر الثوبا بانه الساه

وجعلوا فى الاحد صور ما الذعف من السباع كالنمر والدب وجعلوا صور أعلام التكية صور الحيات والعقبان وما حوى فعله من هوام الارض وجعلوا الرأس كل نوع منها من السواد الا انهم والا انهم جعلوا التعصم دون السماء ودون كردوم ان الالوان تماثلة على حسب لموضع المستدعى لها ومنعوا أن تكون احمره تشرب ــ امن ــ ذلك الا ما الذعف من احرائها داخلا فى جملة الاكثر من أعلام الحيوان من تلك الاعلام وزعموا ان قضية القياس توجب ان تكون اثر أعلام الحمر حمرا اذ كانت ألوان واشكل بلون الدم وأ ... ان كان نرها واحدا لكن منع من ذلك استعمالها فى حال ... و نظر وأوفا ... السرو واستعمال الالـ ... والصديان ساوق ... العروس بها وأوجب ترك ذلك وأن حسن الاحمر منها كل لون احمر فان كان من شانه انه اذا ادركها الحس نوره فى ادراكها واذا وقع البصر على اللون الاسود اجتمع نوره ولم ينبسط فى ادراكه الا انه لاثر الثوب اثر ... ابساله

وبه أيوم مشهد لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداة عائده وحداة منعه وراتدة وابن شهيد هذا احد حجاب الناصر وله على ابن أبي عامر أياد محكمه الاواصر وهو الذي نهض به أوّل انبعاثه وشق أمره زمن التياثه وخاصم المصحفي عنه بلسان من اتحابه اله وتوجاه باحسان قلده من الرعاية ما قلد واسمى رتبته وحلى باعظام جاهه لبته وكان كثيرا ما يتحفه ويصله ويلطفه فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقفل نسى ساحة ه ونفل ذكر سال اليه ابن شهيد

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا ⁂ بنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الاله أسهم في الفى ⁂ ء لمن لم يحضر فيه المطايا
فاجعلى نصيب اشكره وا ⁂ ذلك وابعث بهاعذاب الثنايا

وبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كأنهن نجوم سوار وكتب اليه

قد بعثنابها كشمس النهار ⁂ في ثلاث من المها أبكار
فاتئد واجتهد فانك شيخ ⁂ سلخ الليل عن بياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها ⁂ فمن العار كلة المسمار

فكتب اليه ابن شهيد

قد فضضنا ختام ذاك السوار ⁂ واصطبغنامن النجيع الجارى
ونعمنا في ظل أنعم ليل ⁂ ولهونا بالبدر ثم الدرارى
وقضى الشيخ ماقضى بحسام ⁂ ذى مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا ⁂ واتخذه سيفاعلى الكفار   انتهى

وقد قدمنا هذه الحكاية في أخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا أعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العدو به والفائدة الرائقة ﴿ وممن كان في أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري قال في المطمح علم من الاعلام فريد الرسائل وعين من أعيان البيان باهر الفصاحة طاهر الجناب والساحة تولى التحبير أيام المنصور والانشاء وأشعر بدولته الافراح والانتشاء ولبس العزة مدة ضافية البرود وورد بها النعمة صافية الورود وامتطى من جياد التوجيه وأعنق من لاحق والوجيه وتمادى طلقه ولا أحد يلحقه الى أيام المظفر فمشى على سننه وتمادى السعد يترنم على فننه الى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته وأميرها المطاع وكان أبو مروان نديم الاصطناع له والانقطاع فاتهم معه وكاد أن يذوق حمامه ومصرعه الا أن احسانه شفع وبيانه نفع ودفع خطبه عن تلك الرتب وحمل الى طرطوشة على القتب وبقي هنالك معتقلا في برج من أبراجها نائي المنتهى كالما ينادي السهاقد بعد ساكنه عن الانس وقعد من الحزم بمنزلة الجليس نمر الطيور دونه ولا تجوزه ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه وبقي فيه دهرا لا يرتقى اليه راق ولا يرجى لنشره راق الى أن أخرجه منه الى ثراه واستراح مما عراه فمن بديع نظمه قوله يصف المعتقل الذى فيه اعتقل

بين نور البصر ونور السواد ومراتب الانوار وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نور به حس الحمرة ونور الحمرة والبصر والصدد المبائن بين السواد ونور البصر دون الالوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض وعلل القوم في هذه المعاني الى غير ذلك من الاجسام الجسمية من السيرين والخمسة واختلافهم في أنواعها الى غير ذلك من الاشخاص العلوية وقد أتينا على ما قالوه من ذلك وما سلف من كتبنا وأتينا على سير هؤلاء الملوك وآرائهم واختلافهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس الى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الامم وانه كان يرؤس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقيما بالجبل والاشهر ما قدمنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار النبط وأنسابهم

(ذكر ملوك الفرس الاولى وجمل من أخبارهم) ⁂

الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها

وبانها في ديارها واوة الرتبة بهاس حفظ أنسابها ينقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير ان (أول

يأوي اليه كل أعور ناعق * وتهب فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرتاد فيه مرة * من غمه يشكو انقطاع الابهر

ودخل ليلة على المنصور والمنصور قد اتكأ وارتفق وتحلى بمجلسه ذلك الافق حكم امانيا بعلمه ذلك مسوقة وأحاديث الامانى به منسوقة وامره بالنزول عنده فنزل فى جملة الاصحاب والقمر يظهر ويحتجب فى السحاب والافق يبدو به أغر ثم يعود مبهما والليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما وأبو مروان قد انتشى وجال فى ميدان الانس ومشى وبرد خاطره قد دبجه السرور ووشى فاقلقه ذلك المغيب والالتياح وانصه ذلك السرور والارتياح فقال

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
فقال لو نمى عندى اليه * لراجعنى بتصديق جوابا

وله فى شدة اعتلاله وتردده فى قيله وقاله

شحط المزار فلا مزار ونافرت * عينى الهجوع فلا خيال يعترى
أزرى بصبرى وهو مشدود العرا * وألان عودى وهو صلب المكسر
وطوى سرورى كله وتلذذى * بالعيش طى صحيفة لم تنشر
هاأنا ألقى الحبيب نوهما * بصميم كارى وعين مذكرى
عجبا لقلبى يوم راعتنى النوى * ودنا وداع كيف لم يتفطر

(رجع الى المنصور) وكان المنصور اذا اراد امرا استشار ارباب الدولة والاكابر من خدام الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه فيخالفهم الى المنهج الذى ابتدعه فيتيقنون فى انفسهم بالهلاك فى الطريق الذى سلكه والمهيع الذى اخترعه فتسفر العاقبة عن السلامة التامة التى اقتضاها سعده فيكثرون التعجب من موارد أموره ومصادرها * وقيل له مرة ان فلانا مشؤوم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يعفى على شؤمه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى جرت به العادة شئ * وحكى عنه انه كان فى قصره الذى بالزاهرة فتأمل محاسنه ونظر الى مياهه المطردة وانصت لاطياره المغردة وملأ عينه من الذى حواه من حسن وجمال والتفت فى الزاهرة من اليمين الى الشمال فانحدرت دموعه وتجهم وقال ويل لك يا زاهرة فليت شعرى من الخائن الذى يكون خرابك على يديه عن قريب فقال له بعض خاصته ما هذا الكلام الذى ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردئ الذى لا يليق بمثله شغل البال به فقال والله لترون ما قلت وكانى بمحاسن الزاهرة قد محيت وبرسومها قد غيرت ومبانيها قد هدمت ومحيت وبخزائنها قد نهبت وبساحاتها قد أضرمت بنار الفتنة والهبت (قال الحاكى) فلم يكن الا ان توفى المنصور وتولى المظفر فلم تطل مدته فقام بالامر أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول فقام عليه المهدى والعامة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة وانقرضت دولة آل عامر ولم يبق منهم آمر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

ملوكهم كيومرث) ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم انه ابن آدم والاكثر من ولده ومنهم من زعم وهم الاقلون عددا انه أصل النسل وينبوع الذرء وقد ذهبت طائفة منهم الى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح لان أميم اول من حل بفارس من ولد نوح وكان كيومرث ينزل بفارس والفرس لا تعرف طوفان نوح والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان اسمهم سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا فى مساكن واحدة والله أعلم بذلك وكان كيومرث اكبر اهل عصره والمقدم فيهم وكان اول ملك نصب فى الارض فيما يزعمون وكان السبب الذى دعا اهل ذلك العصر الى اقامة ملك ونصب رئيس لهم انهم رأوا اكثر الناس قد جبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ورأوا ان الشرير منهم لا يصلحه الا الرهبة ثم تأملوا أحوال الطبيعة وتدبروا أن الجسم وهو الانسان الحساس الدراك فرأوا الجسم فى بنيته وكونه قد رتب بحواس تؤدى الى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما يورده اليه من احلائها ثم مداركها وهو معنى فى القلب فرأوا اصلاح الجسم بتدبيره وانه متى فسد تدبيره فسد سائره ولم تظهر افعاله المتقنة المحكمة فلما رأوا هذا العالم الصغير

وخربت الزاهرة ومضت كأمس الدابر وحلت منها الدسوت الملوكية والدساكر واستولى النهب على ما فيها من العدة والذخائر والسلاح وتلاشى أمرها فلم يرج لفسادها صلاح وصارت قاعاً صفصفاً وبدلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفا (ويروى) أن بعض الولاة في ذلك الزمان مر بها ونظر إلى مصانعها السامية الفائقة ومبانيها العالية الرائقة فقال يا دار فيك من كل دار فجعل الله منك في كل دار (قال الحاكي) فلم تكن بعد دعوة ذلك الرجل تصابح الأيام يسيرة حتى نهبت ذخائرها وعم بالخراب سائرها فلم تبق دار في الأندلس إلا ودخلها من ذخائرها شيء كثيراً أو قليلاً وحقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل الذي همته دعوة بمحله (ولقد حكي) أن بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد المشرقية فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضي ملكه لا إله إلا هو (وتذكرت) هنا ما رآه في المنام بعض أهل المغرب بالبلاد التي انقرض فيها ملك الموحدين أن شخصاً ينشده

ملك بني مؤمن تولى : وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا واعبروا وقولوا : سبحان من لا يبيد ملكه

لا إله إلا هو

وكان المهدي الذي تم على الملك بين ما جناه فانه كما قال وقد حياه في مجلس شرابه غلام بغصن آس

أهديت شبه قوامك المياس : غصناً رطيباً ناعماً من آس
وكأنما يحكيك في حركاته : وكأنما يحكيه في الأنفاس

وكان المنصور بن أبي عامر حين تغلب على ملك الأموية غير مكترث بمثل المهدي المذكور وسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه وأخرب كل ما قدمه ولم ينفع في ذلك احتياط ولا حزم ولا راد للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشاء ولا نكن متعرضاً وقد قدمنا شيئاً من أخبار المنصور ولا بأس أن نلم هنا ببعضها وإن حصل منه نوع تكرار في بعضها لارتباط الكلام بعضه ببعض (قال بعض المحققين من المؤرخين) حجر المنصور ابن أبي عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولي الحجابة وربما أركبه بعض سنين وجعل عليه برنساً وعلى جواريه مثل ذلك ولا يعرف منهن ويأمر من ينحي الناس من طريقه حتى ينتهي المؤيد إلى موضع تنزهه ثم يعود به غير أنه أركبه بأبهة الخلافة في بعض الأيام لعرض له كما لعامة فتماسوا وكان المنصور إذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل معه ذلك وكان هذا من فعله سبب انقطاع ملك بني أمية من الأندلس وأخذ مع ذلك في قتل من يخشى منه من بني أمية خوفاً أن يثوروا به ويظهر أنه فعل ذلك شفقة على المؤيد حتى أفنى من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم في البلاد وأدخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد وربما سكن بعضهم البادية وترك مجالس الأبهة والبادية حتى قال بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة

أبني أمية أين أقمار الدجى : منكم وأين نجومها والكوكب
غابت أسود منكم عن غابها : فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

مع أن للمنصور مفاخر لديها الأوائل والأواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار الذهاب

أي هو بمنزلة الأساس المرتقى لا تستتم أموره ولا تنتظم أحواله إلا باستعانة الرئيس الذي قدمنا ذكره علموا أن الناس لا يستقيمون إلا بشخص منهم يوجه العدل عليهم ويعقد الأحكام على موجبه ليعدل بينهم فبادروا إلى كيومرث بن آدم وعرضوا حاجتهم إلى ملك وقيم وقالوا أنت أفضلنا وخيرنا وأكبرنا وبقية أبينا وليس في العصر من يوازيك فرد أمر الملك وكن القائم بما فاتحت بعهدك وصادق والعاقلون بمن يراه فحاطهم إلى ما دعوا إليه واستوثق منهم بما أكد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه فلما وضع التاج على رأسه وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الأرض قال إن النعم لا تدوم إلا بالشكر وإنا نحمد الله ونشكره على نعمه ونرغب إليه في مزيده ونسأله المعونة على ما دفعنا إليه ونحسن الهداية إلى العدل الذي به تجتمع الأهل وتصفو العيش فثقوا بالعدل مني وأنصفونا من أنفسكم بورودكم إلى أفضل ما في همكم والسلام لم يزل كيومرث قائماً بالأمر حسن السيرة في الناس والخير آمنة والأمة ساكنة إلى أن مات ولهم في وضع التاج على الرأس أسرار يطول ذكرها أعرضنا عن ذكرها إذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا

بنفسه في الرواح والغدو وله مع المصحفي وغيره أخبار مرت ويأتي بعضها ولا باس أن نلخص ترجمة المصحفي فنقول (قال الفتح في المطمح) الحاجب جعفر المصحفي تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى فسما دون سابقة وارتمى الى رتبة لم تكن لبيته مطابقة والتاح في افياء الخلافة وارتاح اليها بعطفه كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه كان يسمع وبه يبصر فادرك بذلك ما ادرك ونصب لاعاديه الحبائل والشرك واقتنى وادخر وزرى بين سواه وسخر واستعطفه المنصور بن ابي عامر ونجمه بعد غائر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى روضة دنياه ولا قطف وقام في تدبير الاندلس ما اقام والاندلس متغيرة والاذهان في تكييف سعده متحيرة فاهيك من ذكر خالد ومن فخر تقلد ومن صعب راض وجناح حتف هاض ولم يزل بهذا التالد الخلافة معتقلا وفي مطالعها متنقلا الى ان توفي الحكم فانتقض عقد الحكم وابتدرته النوائب وتسددت اليه سهام سوائب واتصل الى المنصور ذلك الامر واحضره كما سال بيزيد اخوة الغمر واناف في تلك الخلافة كالشيب قبل اليوم عن طوقه عمرو وانتدب للمصحفي بصدر كان اوغره وساءه وصغره فاقتص من تلك الاساءة واغص حلقه بأي اشاعة فاحله نكبه وارجله عما كان الدهر اركبه والهب حرارته ترنا ونهب له مدخرا ومختزنا ودس عليه ما كان حاط واحاط به من مكروهه ما احاط ونبر منن في مهوى تلك النكبة وحرائق تلك الكربة ينقله المنصور معه في غزواته ويعتقله بين ضيق المطبق ولهواته الى ان تكورت شمسه وفاظت بين انامل الحين نفسه ومن بديع ما حفظ له في نكبته قوله يسترحم من كربته

صبرت على الايام لما تولت * والزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت تاقت والا تسلت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة * فلما رأت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتي كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض يسارع فمن محاسن نظامه وانشاده التي بعثها ايناس دهره باسعاده قوله

لعينيك في قلبي علي عيون * وبين ضلوعي للشجون فنون
لئن كان جسمي مخلقا في يد الهوى * فحبك عندي في الفؤاد مصون

(وله) وقد اصبح عاكفا على حمياه هاتفا باجابة دنياه مرتشفا ثغر الانس متنسما رياه والملك يغازله بطرف كليل والسعد قد عقد عليه منه اكليل يصف لون مدامه وما تعرف له مهادون ندامه

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

ومن شعره الذي قاله في السفرجل مشبها وغدا به لنائم البديع منبها قوله يصف سفرجلة

بنفسها فتصلح الذي عما يرد اليه من الغذاء وسكن النفس عند ذلك فتدبر كل عضو من الاعضاء بما يؤدي الى ما فيه صلاحه من اخذ صفو الطعام فيكون الذي يرد الى الكبد وغيرها من الاعضاء القابلة للغذاء ما فيه هو وما فيه صلاحها فان الانسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التدبير الى حيث انصراف الهمة وتفرع الى ... الى ... ذلك بالنفس الحيوانية والهوى الانسانية فاذا كان ذلك ادى الى مضارة النفس الناطقة لهذا الجسد المركب وفي ذلك ترك للحكمة وخروج عن الصواب ولهم في هذا الباب سرائر من اسرار السبب الذي بين النفس والجسم ليس هذا موضعه وقد اتينا على ذكره في الكتاب المترجم بسر الحياة وفي كتاب الزلف عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والخيالية والتراعية وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم (وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا) فمن الناس من رأى ان عمره الف سنة وقيل دون ذلك والمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في انه بدء النسل

او ... ته ار بحاله

وسمرة يحكى ... في ثوب نرجس * وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لها ... ولون يحكيه السقيم مكتسي
... صمر ... عارة * وأنفاسها في الطيب أنفاس مؤنسي
وكان لها ثوب من الزغب أغبر * على جسم مصفر من التبر أملس
فلما استتمت في القضيب شبابها * وحاكت لها الاوراق اثواب سندس
مددت يدي باللطف أبغي اجتناءها * لأجعلها ريحانتي وسط مجلسي
فمزقت عنها بالثوب جسمها * وأعريتها باللطف من كل ملبس
ولما ... يدي من بردها * ولم تبق الا في ... لاله نرجس
ذكرت لها من لا أبوح بذكره * وأدملها في الكف ... التنفس

وله وقد اعاد المنصور الى المطبق والشجون ... واستسلم ... معربا بالعفو عنه ومحرضا باسعاد ...

احازي الرمان ... على حاله * مجاراة نفسي لانفاسها
اذا نفس صاعد شجوها * توارت به دون جلاسها
وان عكفت نكبة للزمان * عطفت بنفسي على راسها

وما ... له في استعطافه وسنى الله للمنصور واستلطافه قوله

عفا الله عنك الا رحمة * تجود بعفوك أن ابعدا
لئن جل ذنب ولم اعتمده * فانت اجل واعلى يدا
الم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلافيته * فعاد فاصلح ما افسدا
اقلني اقالك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى

(عود وانعطاف الى اخبار المنصور بن أبي عامر) رحمه الله تعالى وجاراه عن جهاده افضل الجزاء وكرسه وصله وطوله فنقول وكان له في كل غزوة من غزواته المسمة على الخمسين ... من المفاخر الاسلاميه ومنها أن بعض الاجناد نسي رايته مركوزة على جبل ... قرب احدى مدائن الروم وأقامت عدة ايام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر ... الاحداث ... بها اهل التوحيد على اهل التثليث لانهم لما اشرب قلوبهم خوف ... المنصور وحربه وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجؤوا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع (ومن مفاخر المنصور) في بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين في طريق عرض بريد بوسط بلاد الافرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ في التحريق والتخريب والغارات والسبي يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى اقفرت البلاد ... ايام ثم عاد فوجد الافرنج قد استجاشوا من وراءهم وصدوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار ... بلادهم اباح به فيمن معه من العساكر وتقدم بدناء

كان من خبره مع ابليس
رفع له انه وكان من اصطخر
...
ارمى ... قدر ... في
دلت (... ومشو ...)
ابن ...
ميشا ...
... هو ...
وكان ...
وقال ... ذلك وفد
... من رأى
... وشيث بن ادم
و ... من رأى انه ولد
لملك الماضي (...
... بن نوح هان
... من هو ... وكان
... ابو ...
... له
(ابو ...) احدث
... ان
... اشرف الكامل
... في هذا السقف
المرتفع ...
هي المدبر والوارد
...
...
وطعامهما ...
... الماس ...
... في العالم
الاثيري ... لا يستمر
... وتركت انه ...
وانه ...
... وظهور ...

الدور والمنازل و يجمع آلات الحرث ونحوها و بث سراياه فيتعب وغنمت فاسترق الصغار وضرب أعناق الكبار والتى جثثهم حتى سد بها المدخل الذى من جهته وصارت سراياه تخرج فلا تجد الا بلدا خرابا ولما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه فى طلب الصلح وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسلهم تتردد اليه حتى يئسوا أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم ان أصحابى أبوا أن يخرجوا وقالوا انا لانكاد نصل بلادنا الا وقد جاءت الغزوة الاخرى فنقعد هنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عدنا وما زال الامر [illegible] عليهم أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبى وان [illegible] الى بلاده وان يحاربوا عنه من طريقه [illegible] ففعلوا [illegible] وصار له عز ما وراءه مطمع ونصر لا يكاد أن يجود بمثله و [illegible] من الطريق وغصصهم فى شرب ذلك الريق * ومن مآثره التى فى حبيس [illegible] دهره قرة انه لما حبس أولاده حتى معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة [illegible] من أولاد الضعفاء عدد لا يحصر فبلغت النفقة عليهم فى هذا الاعذار خمسمائة الف دينار وهذه مكرمة مخلدة ومنة مقلدة فالله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء و يجعل للمسلمين فى فقد مثله أحسن العزاء * ومن مناقبه التى لم تتفق لغيره من الملوك فى غالب الظن أن أكثر جنده من سبيه على ما حققه بعض المؤرخين وذلك غاية اليمن من الله وفضل * ومن أخبار [illegible] على اقبال أمره وخيبة عدوه وادباره انه ما عاد قط من غزوة الا استعد لاخرى ولم تهزم له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاه ذلك فخرا * ومما اتفق له في عوده من بعض غزواته امرأة تعرضت عليه بلوعة ماء وشهوانه وقالت له يا منصور اسمع ندائى [illegible] فى طيب عيشك وأنا فى بكائى وسألها عن مصيبتها التى عمتها وغمتها فذكرت له أن لها ابنا أسيرا فى بلاد بعينها وأنها لا تهنأ عيشها لفقده ولا يخمد ضرام قلبها من وقده وأنشدته من حالها ما لك الملك العلى و بث الشجى من الحلى فرحب المنصور بها وأظهر الرقة لها وخرج من القائلة الى تلك المدينة التى فيها ابنها و جاس أقطارها وتخللها حتى دوخها واناخ عليها بكلكله وذللها وأعراها من حماتها وبعود الاسلام المنصور طبلها وخلص جميع من فيها من الاسرى و جلبت عوامله الى قلوب الكفرة كسرا وانقلبت عيون الاعداء حسرى وتلا لسان حال المرأة فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنخوة الايمانية فالله سبحانه يروح تلك الارواح فى الجنان ويرقى درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان وقد تذكرت هنا والحديث شجون وبذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون كتابا كتبه الاديب الكاتب أبو محمد ابن الامام الحافظ محدث الاندلس أبى عمر بن عبد البر النمرى الى المنصور بن أبى عامر وهو من ذرية المنصور الكبير الذى كنا نتحدث فى أخباره يمت اليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدم من آبائه بتعظيم قدره واكبارة وهو عمر الله بقاء سيدى ذكرى السامعين [illegible] أوطانه و [illegible] عمان زمانه وقد عليه ظلال أمانه انى أبقى الله الملك الكريم والسيد الرحيم لما اتصلت لى أهله مفاخركم فى سماء الفخار وأشرقت شموس مكارمكم على مفارق الاحرار وأسرت

واحتذى به جماعة من ذوى الضعف فى الآراء ويقال ان هذا الرجل اول من اظهر آراء اصحابه من [illegible] وهذا [illegible] العباسية [illegible] فى [illegible] واسط والبصرة من [illegible] العراق [illegible] ابن ازدهان وكان [illegible] كان فى [illegible] [illegible] هذا [illegible] المعروف بالبصرة وكان هذا الرجل [illegible] كسرى [illegible] الى ان هلك ستمائة [illegible] وقبل [illegible] الى الاردن [illegible] [illegible] ابن طاهر بن [illegible] من العرب الضحاك وسماه قوم بيوراسب ولدس هو كذلك [illegible] على ما وصفناه [illegible] و [illegible]

شم تنث لزهر يهدى اليك من الهمه محامدها ومحاسنك الغر توقظ الشمس الآمال
ويرامدها ايمت أنه تحوا عادت لك القلوب باء تها وهادت اليك النفوس بارمتها
فأ ليت ان لا الم الا انحماك ولا أحط رحلا الا عند ك علما بانك نثرة الفخر وغرة الدهر
و عمت ساريا فى ساطع نورك ميمما يمن طائرك محققا للربح موقنا بالفلح والنجح حتى
حللت فى دوحة المجد وأنخت بدولة السعد واستشعرت لذة الشكر والحمد وجعلت
أنظم من جواهر الكلام ماربى على جواهر النظام وأنثر من عطر الثناء ماربى
بار بحه العطاء وحاشا الله أن يعصل الى من أقطارك أو يخلى أفق من أنوارك فاراني
مقرطا بى برك ومحطا الى غير مالكه لاحرمانه من استصحاب الهلال عن الدلال
ومن استمطارنا صح الهى من الماح وبالله ماهزت المالى دواتها الى سوالك ولاحدت
أوصارى ركائبها الى من عداك ليكون فى آثار سعى فى المراحل وعلى جمال الحلى على
العاطل لسيادتك السنية ورياستك الاولية التى عمر عنها السار افصاحى وبعيانى
بعصيها سانى وايصاحى فالقرطاس عندت مناقبك تهى والاقلام فى رسم ماثرك
تحنى ومااملى الجدب فى حدة الخصب ولاجذل المذنب برضا المعتب كاملى فى التعرز
نورك ولجمل تحمل بك والترمع بخدمك فالسعيد من تأتى دولتك وطهرى
اتتك واستصفاء بعرك القدار بالسبق من لحظه عين رعايتك وكنيه حوزة حمايتك
فتأتى أمنت بعدله نوائب الايام ودوين بسلطانه دعائم الاسلام تختال بك المعالى
اختيال العروس وتخضع لجلالك أعزة النفوس سابقة اشهر من الفجر ووصفه أنور من
البدر وهمه اعدل من الدهر

لعمرى لقد امسى أخى بكم متمسكا ... يشد على تأميل عزكم يدا
سالكات سدر المعز حلقام كم ... وغيرك لا يأتيه الا مجاهدا
وتم لواء الدين لاراك بيننا ... باشرتكم فى ظلمة الخطب يهتدى
اليكم محمد تليد انتم ... أعارمناد فى البلاد وأنجدا

ومثله أعلاه الله سحابه بتقرأ رائه بهمزه اوبس مطرا برأفه بمطرحياه لا يماوى
بدأه حمها احسان أوثلاث الطاهر بن والعمأ اعلم أ كابرك الاحرار الطيبين رحدير
بعولك واحسانك وبرك واجمالك من اصله ثابت فى أهل محبتكم وفرعه ثابت فى
خاصتكم

وماربيتى فى عقد انتعهد ... ولكنها فى معصر اسجده
فكل نوال كان أوهو كائن ... فلحظه طرف منك عندى عده
تكرى فى اصطناعى تحسانحرب ... يمى لك تقريب الجواد وسده
اذا كنت فى شك من السيف فابله ... فاما تنافيه وانما تعده
وما الصارم الهندى الا كغيره ... اذا لم يفارقه الحداد وعمده

ولا بأس أن يقول مولاى بعرس الصنيعة أركى الترب ووضع الماء موضع النوب والله
سبحانه يبقى مولاى آخذا بزمام الفخر ماهصا بأعباء البر مالكا لاعنة الدهر وصنع الله

كان الف سنة وبنى فى الارض
وللفرس فيه حصص ...
وانه ...
نهاوند بين الرى وطبرستان
وقد ذكره شعراء العرب
من تقدم ومن تأخر وقد اشعر
ابو نواس به ...
امر لانه ...
...
...
وكان ...
... والوحش فى مسارها
(ثم ... يدون)
ان ...
الممالك الاقاليم الارض ...
يور ...
نهاوند على ... كرنا
وقد ذكر ... من الفرس
ومن ...
...
ا ... يدون جعل هذا اليوم
الذى ...
له ... المهرجان على حسب
مانورده ... الموضع
من هذا الكتاب وماقيل
فى ... دار مملكة
افريدون ... وهذا الاقليم
...
يقال لها ...
نهر ... الفرات أرض
العرق ...
المدينة المعروفة ...
ونهر ... قرية بالعراق
والمتصل ...

سبحانه لسيدى أتم الصنع وأجمله وأفضله وأكمله بمنه لا رب سواه انتهى (رجع الى أخبار المنصور الكبير) محمد بن أبى عامر رحمه الله وكما قدذكرنا انه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع انه كان أحد أتباعه (قال) صاحب كتاب روضة الازهار وبهجة النفوس ونزهة الابصار ولما أمر المنصور بن أبى عامر بسجن المصحفى فى المطبق بالزهراء ودع أهله وودعوه وداع الفرقة وقال لهم لستم ترونى بعدها حيا فقد أتى وقت اجابة الدعوة وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة وذلك انى أشركت فى سجن رجل فى عهد الناصر وما أطلقته الا برؤيا رأيتها أن قيل لى أطلق فلانا فقد أجيبت فيك دعوته فأطلقته وأحضرته وسألته عن دعوته على فقال دعوت على من شارك فى أمرى أن يميته الله فى أضيق السجون فقلت انها قد أجيبت فانى كنت ممن شارك فى أمرك وندمت حين لا ينفع الندم ويروى انه كتب للمنصور بن أبى عامر بهذه الابيات

هبنى أسأت فأين العفو والكرم ☆ اذقادنى نحوك الاذعان والندم
ياخير من مدت الايدى اليه أما ☆ ترثى لشيخ نعاه عندك القلم
بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدر ☆ ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيرى

يا جاهلا بعد ما زلت به القدم ☆ تبغى التكرم لما فاتك الكرم
ندمت اذ لم تعد منى بطائلة ☆ وقلما ينفع الاذعان والندم
نفسى اذا جمحت ليست براجعة ☆ ولو تشفع فيك العرب والعجم

وبقى فى المطبق حتى مات نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم انتهى وقد ذكر بعضهم فى هذه الابيات زيادة حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل فان هذه الابيات للمصحفى وهذا المؤرخ مصرح بأن العبد الملك الجزيرى وقد يقال لا منافاة بينهما فان المنصور أجاب بالابيات وهل هو قائلها أم لا الامر أعم فبين هنا والله أعلم (وقال بعض مؤرخى المغرب) ان الحاجب المصحفى حصل له فى هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن انه يصدر من مثله حتى انه كتب الى المنصور بن أبى عامر يطلب منه أن يقعد فى دهليزه معلما لاولاده فقال المنصور بدهائه وحدقه ان هذا الرجل يريد أن يحط من قدرى عند الناس لانهم طالما رأونى بدهليزه خادما ومعلما وكيف يرونه الآن فى دهليزى معلما وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه فى غزواته حتى انه حكى بعضهم انه رأى الحاجب المصحفى فى ليلة من ليالى المنصور وعليه لباس عن ايقاد النيران نعميه على العدو الكافر وهو ينفخ فى كانون صغير ويحميه تحت ثيابه أو كما قال سبحان مذل الدول لا اله الا هو وقال هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظم والتحكم فى الدولة المدة المديدة أمرا لا مزيد عليه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولقد ذكر بعض علماء المغاربة) أن من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ولم يزل أعداء المنصور بن أبى عامر يتربصون به الدوائر فغلب سعده الذى هو المثل السائر وربما هجاه بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا فقال

اقترب الوعد وحان الهلاك ☆ وكل ما تحذره قد أتاك

عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت كالزوابى وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران فى القرآن على حسب ما قص الله تعالى من نعته هذه القرية بابل وكان ملك افريدون خمسمائة سنة وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال فى ذلك بعض الشعراء ممن سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام يذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسمنا ملكنا فى دهرنا ☆ قسمة اللحم على ظهر وضم
وجعلنا الشام والروم الى ☆ مغرب الشمس الى الغطريف سلم
وأطوج جعل الترك له ☆ فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنا عنوة ☆ فارس الملك وفزنا بالنعم

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وأن بلاد بابل أضيفت الى ولد افريدون وهو ايرج وقتله أخواه فى حياة افريدون وهلك ولم يخلص له الملك فيعد فى الملوك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية اضافة هذا الاقليم الى ايرج واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منه فقالوا ايران شهر والشهر الملك (ثم ملك بعد افريدون

خليفة يلعب فى مكتب * أمه حبلى وقاض ينالك

يعنى بالخليفة هشاما المؤيد لكونه كان صغيرا وأمه صبح البشتكية كان الاعداء يتهمون بها المنصور وذلك بهتان وزور وأقطع منه رميهم القاضى بالفجور والله عالم بسرائر الامور ونعوذ بالله من ألسنة الشعراء الذين لايراعون الاولاذمة ويطلقون السنتهم فى العلماء والائمة وأظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب جدير بأن لايدرك مايؤمل ويتطلب لانه يعترض على الله سبحانه فى أحكامه نعوذ بالله من شر أنفسنا ومن شر كل ذى شر بجاه نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه وقد قدمنا أن المنصور بن أبى عامر كان يخدم أولا جعفر بن عثمان المصحفى مدبر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وانه مازال يستجلب القلوب بجوده وحسن خلقه والمصحفى ينفرها ببخله وسوء خلقه الى أن كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصحفى وفى ذلك يقول المصحفى

غرست قضيبا خلته عود كرمة * وكنت عليه فى الحوادث قيما
واكرمه دهرى فيزداد خبثه * ولو كان من أصل كريم تكرما

ولما يئس المصحفى من عفو المنصور قال

لى مدة لابد أبلغها * فاذا انقضت أيامها مت
لوقابلتنى الاسد ضارية * والموت لم يقرب لما خفت
فانظر الى وكن على حذر * فى مثل حالك أمس قد كنت

ومن أحسن مانعى به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس الاحيث يجعلها الفتى * فان طمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يانفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وأنشد له الفتح فى المطمح ونسبها غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلمتنى فقلت در سقيط * فتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فأرتنى * نظم در من التبسم آخر

وله كما مر

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

وله

ياذا الذى أودعنى سره * لاترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى * كأنه مامر فى اذنى

وأنشد له صاحب بدائع التشبيهات

سألت نجوم الليل هل ينقضى الدجى * فخطت جوابا بالثريا كخط لا

افريدون على حسب ماذكرنا من التنازع فى نسبه والحاقه بايران بن منوجهر) بن ايران بن أفريدون وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل ببابل وقد قيل انه فى زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلا أباه وهما أطوج وسلم وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد منوجهر سهم ابن ابان) بن أثقبان ابن نود بن منوجهر فنزل بابل وملك ستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان (ثم ملك بعده فراسياب) ابن أطوج بن ياسر بن رامى ابن آرس بن يورك بن ساساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوج بن أفريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات فى التاريخ وغيره فزعم انه تركى وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنى عشر سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنتى عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زو بن طهماسب بن كنجهور بن عداست بن دابريج بن راع بن ماسر بن نود بن منوجهر الملك فهزمه وقتل أصحابه وكنت

وكنت أرى أني بآخر ليلتي * وأطرف حتى خلته عاد أوّلا
وما عن هوى سامرتها غير أنني * أنافسها المجرى الى طرق العلا

انتهى (رجع) وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثماني وهو متداول بين أهل الاندلس قالوا ثم آل امره الى الموحدين ثم الى بني مرين قال الخطيب بن مرزوق في كتاب المسند الصحيح الحسن ما ملخصه وكان السلطان أبو الحسن لا يسافر موضعا الا ومعه المصحف الكريم العثماني وله عند أهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيف لا وقد قيل ان ابن بشكوال اخرج هذا المصحف منها أى قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت ١١ شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وبامره وهو احد المصاحف الاربعة التي بعث بها عثمان رضي الله تعالى عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمان بعيد وان يكن أحدها فلعله الشامي قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبي السبتي أما الشامي فهو باق بمقصورة جامع بني أمية بدمشق المحروسة وعاينته هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينت المكي بقبة اليهودية وهي قبة التراب قلت عاينتهما مع الذي بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيها قال النخعي لعله الكوفي أو البصري وأقول اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من الاندلس فالفيت خطهما سواء وما توهموا انه خطه بيمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدني ونص ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المؤمن بن علي ولم يزل الموحدون يحملونه في أسفارهم متبركين به الى ان حمله المعتضد وهو السعيد علي بن المأمون أبي العلاء ادريس ابن المنصور حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ فقتل قريبا من تلمسان وقدم ابنه ابراهيم ثم قتل ووقع النهب في الخزائن واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ونهب المصحف ولم يعلم مستقره وقيل انه في خزانة ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف في الخزانة الى ان افتتحها امامنا ابو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ فظفر به وحصل عنده الى أن أصيب في وقعة طريف وحصل في بلاد برتقال وأعمل الحيلة في استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمور واستمر بقاؤه في الخزانة انتهى باختصار واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء كما ذكره ابن رشيد في رحلته ولا بأس ان اذكر كلامه بجملته والرسالة في شان المصحف لما فيها من الفائدة ونص محل الحاجة منه أنشدني الخطيب أبو محمد بن برطله من لفظه وكتبته من خطه قال انشدني الشيخ الفقيه القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة أبي عبد الله بن عياش لابيه رحمهم الله تعالى مما نظمه وقد أمر امير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف

وتنقلته من كل ملك ذخيرة * كأنهم كانوا برسم مكاسبه
فان ورث الاملاك شرقا ومغربا * فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه
وكيف يفوت النصر جيشا جعلته * أمام قناه في الوغى وقواضبه

بعد حروب كثيرة وعمر ما خربه فراسياب وقد تنوزع في المنذار الذي ملك فيه فقيل ثلاث سنين وقيل أكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس كلام طويل في قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم ابن دستان هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية وخبر اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب وقتل رستم ابن دستان وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى وأخبارها وهذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا وقد قيل ان أول من نزل من الملوك بلخ وانتقل عن العراق كيكاوس وقد كان سار نحو اليمن بعد أن كان له بالعراق غمدان على الله وبغدان بناه نحو السماء وكان ملك اليمن الذي سار اليه كيكاوس في ذلك الوقت شمر بن يرعش فخرج اليه شمر فأسره وحبسه في أضيق محبس فهو يته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه في خفية من أبيها الى

والبسته الياقوت والدر حلية * وغيرك قد رواه من دم صاحبه

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الامر في وصوله الى الخليفة امير المؤمنين عبد المؤمن وما أبدى في ذلك من الامور الغريبة التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر حسبما أطرفنا به الوزير الاجل ابو زكريا يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي حفظه الله تعالى وشكره على استفادة وافادة لما لم نسمع به قبل عن كتاب جده الوزير ابي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور بما تضمنه من وصف قصة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله سبحانه تأييدهم قمرا الاندلس النيران واميراها المتخيران السيدان الاجلان ابو سعيد وابو يعقوب ايدهما الله وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف ومازال ينقله خلف عن سلف وقد حفظ شخصه على كثرة المتداولين وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمته من المتداولين وله من غرائب الانباء ومتقدم الاشعار بما آل اليه امره من الاعمار ما مشت به الطروس ويحفظه من أهل الاندلس الرائس والمرؤس فتلقي عند وصوله بالاجلال والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وعكف عليه اطول العكوف والتزم أشد الالتزام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبر لاولي الالباب وبلاغ في الاغراب والاعجاب وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المؤمنين أدام الله له عوائد النصر والتمكين كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكره في خاطره الكريم وحركته اليه دواعي خلقه العظيم وتراءى مع نفسه المطمئنة المرضية وسجاياه الحسنة الرضية في معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ووطنه الموصل بحرمته للتقديم فتوقع ان يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا لفقدان اضاءته في أفقهم واشراقه فوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته واشفاقه فاوصله الله اليه تحفة سنية وهدية هنية وتحية من عنده مباركة زكية دون ان يكدرها من البشر اكتساب أو يتقدمها استدعاء او اجتلاب بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقه والتبرع به الى القائم الى الله تعالى بحقه ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه وعضدت مخايل برقه سوابق ودقه وكان ذلك من كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا والى أمره الذي هو أمر الله مردودا وجمع عند ذلك بحضرة مراكش حرسها الله تعالى سائر الابناء الكرام والسادة الاعلام بدور الآفاق وكواكب الاشراق وأهل الاستئهال للمقامات الرفيعة والاستحقاق فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرا الى اجتماع هذه الدراري الزاهرة والتئام خطوطها على مركز الدائرة ووصول المتقدم ذكره المشهور في جميع المعمور امره وهو هذا

دراري من نور الهدى تتوقد * مطالعها فوق المجرة أسعد
وانهار جود كلما امسك الحيا * يمد بها طامي الغوارب مزبد
وآساد حرب غابها شجر القنا * ولا لبد الا العجاج الملبد
مساعير في الهيجا مساعير للندى * بايديهم يحمى الهجير و يبرد

من معه من أصحابه وملك في محبسه أربع سنين حتى اسر رستم بن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستنقذ كيكاوس ورده الى ملكه وسعدى معه فاعتلت عليه واغرته بولده سياوخش حتى كان من امره مع فراسياب التركي واستئمانه اليه وتزوجه بابنته حتى جاءت منه بكيخسرو ما كان من قتل فراسياب سياوخش بن كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى واخذه بطائلة سياوخش فقتل من قتله من وجوه الترك وعند الفرس على ما في كتاب السكيكين ان كيخسرو كان قبله على الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم من هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك في لهراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعى نهر بلخ وهو جيحون بلغتهم كالف وكذلك يسميه كثير من اعاجم خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم فلم يزالوا كذلك الى أن صار الملك الى جماى ابنة بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن (ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس الملك الى لهراسب) بن فنوح بن كيمس بن كيناسس بن كيناسه بن كيقباذ الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة

تشب

تشب بهم نار ان الحرب والقرى * ويجرى بهم سيلان جيش وعسجد
ويستمطرون البرق والبرق عندهم * سيوف على افق العداة تجرد
اذا من سجف السائرات مضاؤها * فما الذى يغنى الحديد المسرد
ويسترشدون النجم والنجم عندهم * نصول الى حب القلوب تسدد
تزاحم فى جو السماء كانما * عواملها فى الافق صرح ممرد
تحاذر ألحاظ الكواكب دونها * و يفرق منها المرزمان وفرقد
ألم ترها فى الافق خافقة الحشا * كما تطرف العينان والقلب يرأد
وليس احمرار الفجر من أثر السنى * ولكنه ذاك النجيع المورد
وما انبسطت كف الثريا فداؤمت * ولكنها فى الحرب شلو مبدد
وحط سهيلا ذعره عن سميه * فاضحى على افق البسيطة يرعد
ولما رأى نسر وقوع أليفه * تطاير من خوف فما زال يجهد
مواقع أمر الله فى كل حالة * يكاد لها رأس الثرى يتميد
اهاب بأقصى الخافقين فنظمت * وهيب جميع المعتقين بددوا
واضفى على الدنيا ملابس رحمة * نضارتها فى كل حين تجدد
وأخضل أرجاء الربا فكأنما * عليها من النبت النضير زبرجد
فمن طرب ما اصبح البرق باسما * ومن فرح ما اصبحت المزن ترعد
وغنى على افنان كل اراكة * غداة احيا النعما حمام مغرد
وكبر دونطق وسبح صامت * وكاد به المعدوم يحيا ويوجد
وابرز للاذهان ما كان غائبا * فسيان فيها مطلق ومقيد
سلام على المهدى أما قضاؤه * فحتم وأما أمره فمؤكد
امام الورى عم البسيطة عدله * على حين وجه الارض بالجور اربد
بصير رأى الدنيا بعين جلية * فلم يغنه الا المقام المعد
ولما مضى والامر لله وحده * وبايع مأمول وانجز موعد
تردى امير المؤمنين رداءه * وقام بامر الله والناس شهد
بعزمة شجعان الفؤاد مصمم * يقوم به اقصى الوجود ويقعد
مشيئته ما شاءه الله انه * اذا هم فالحكم الالهى يسعد
كتائبه مشفوعة بملائك * تزاد بها فى كل حال وترفد
وما ذاك الا نية خلصت له * فليس له فيما سوى الله مقصد
اذا خطبت راياته وسط محفل * ترى هام الاعداء فى الترب تسجد
وان نطقت بالفصل فيهم سيوفه * اقر بامر الله من كان يجحد
معيد علوم الدين بعد ارتفاعها * ومبدى علوم لم تكن قبل تعهد
وباسط انوار الهداية فى الورى * وقد ضم قرص الشمس فى الغرب ملحد
وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها * يغار با كناف الضلال و يخمد

لرعيته وشملهم عدله ولسنين خلت من ملكه مال بنى اسرائيل منه محن وشتتهم فى البلاد وكانت له معهم
أقاصيص يطول ذكرها
وذكر فى بعض الروايات
من أخبار الفرس انه بنى
بلخ الحسناء لما فيها من
المياه والشجر والمروج
وكان ملكه مائة وعشرين
سنة وقد ذكر حربه له
مع الترك وما كان منهم
فى حصاره وقد اخذ ثاره
بعد ذلك فى كتب قدماء
الفرس وقد ذكر كثير من
ذوى أخبار الفرس أن
بختنصر مرزبان العراق
والمغرب كان من قبل هذا
الملك وهو الذى وطئ
الشام وخرب بيت المقدس
وسبى بنى اسرائيل وكان
من أمره بالشام والمغرب
ما قد اشتهر والعامة تسميه
بخت ناصر وأكثر
الاخباريين والقصاص
يغالون فى أخباره ويبالغون
فى وصفه والمنجمون فى
زيجاتهم وأهل التواريخ
فى كتبهم يجعلونه ملكا
وانما كان مرزبانا على
ما وصفنا للملوك ممن ذكرنا
وتفسير مرزبان يراد به
صاحب ربع من المملكة
وصاحب ناحية وواليها
وقد كان حمل سبايا بنى
اسرائيل الى الشرق وتزوج
منهن امرأة يقال لها دينارد
فكانت سبب رد بنى اسرائيل
الى بيت المقدس وقيل ان دينارد أولدها لهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان جماعة من نسل بنى اسرائيل

دار ان يجلو من مطالعها الصدا * ويبرز هـا سمـاء والجو اسـود
جزى الله من هذا الامام خليفة * به شربوا ماء الحياة فخلدوا
وحامداست محاسن ذكره * على مدرج الايام تتلى وتنشد
لمصحف عثمان الشهيد وجمعه * تبين أن الحق بالحق يعضد
تحاميه ايدي الروم بعدا تساميه * وقد كاد لولا سعده يتبدد
فها هو الآن عرس صارخ * بدعوته العليا وحصن ممدد
وحاولي الثار برعب نصره * واسامه عزمه المتجرد
رأى أثر المسفوح في صفحاته * فقام لاخذ الثار ممه مؤيد
وشاهد بالصدر قبل حسوده * لله شديه الشرع يشهد
زمان رعاع العلم كان حسوده * وقد عاد بالمهدى والعود أحمد
انتهت امير المومنين ألو كة * من الحرم الاقصى لامرك عهد
سيوف بني عبلان قامت شهيرة * لدعوتك العليا تهدى وترشد
وسادات بيت الله قد شوقه * اليك ولي منه هجر ومسجد
وحج الى المشاعر كن والمروة والصفا * فانت لذاك الحج حج ومقصد
... هذا الاجسام وارواح امركم * ومسكهم للمقام المخلد
فلله ... ز زره * انتشار لم يبرح لك بالعرب مشهد
ولله ... سعرات تسعرت * بها ثقة الاسلام تحيا وتسعد
اذا ... الاولك عدمه * ... الذى يرجو القصى المبعد
فذ ... عراو ... * فنزلك في الدار ... ومسعد
وزاد لك الاعياد ... * كأنك للاعياد زى مجدد
ولازالت للايام ... يدها * ومدرك في ريعانه ليس يعهد

ثم انهم ادام الله سبحانه تاييدهم ووصل سعودهم لما ارادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير شرعوا في انتخاب كسوته وأخذوا في اختيار حليته وتأنقوا في استعمال أحفظته وبالغوا في استجادة أصوانه فحشروا له الصناع المهرة ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة والقصية فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب الى الحذق في صناعة لا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل امثلة مخترعة واشكال مبتدعة وضمنوها من غرائب الحركات وخفي امداد الاسباب للمسببات ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم واستفرغوا فيه جهد قوتهم والهمة العلية أدام الله سموها تترقى فوق معارجهم وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء مواجهم وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مداركهم فسلكوا من عمل هذه الامثلة كل شعب وأبوا من منتشرها

ما بختنصر وقيل في التنصر ... هذا الموضع ... كذا ... ويدأوه ... بختنصر ... بزمان ... صاحب كتاب العانون ... يوم ... من علامة ... كمدر بن ابيش ... المدينة (ثم ماث ... وراد ... وهل ابنه ... أرخ ... ان ... ان هاره ... دوسر ... الملك وكان من أهل أور ... والا ... قرأ ... وهو من ... ما لكتاب المعروف بالرمسة ... عرا ... وأبى زراد ... بالمعجزات الباهرة ... عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات

والجزئيات والكليات هي الاشياء العامة والجزئيات هي الاشياء الخاصة مثل زيد يموت يوم كذا ويمرض

كل شعب وأشرفوا عند تحقيقها وابرازدقيقها على كل صعب فكانت منهم وقفة كادت
لها النفس تيأس عن مطلبها والخواطر تكر راجعة عن خفى مذهبها حتى أطلع الله خليفته
فى خلقه وأمينه المرتضى لاقامة حقه على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتياصها
وتخلصت اشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها القوا ذلك الهم الله بنصره
وامدهم بمعونته وتيسيره الى المهندسين والصناع فقبلوه احسن القبول وتصوروه بأذهانهم
فراوه على مطابقة المأمول ووقفهم حسن تنبيهه على ما جهلوه على طور غريب من موجبات
التعظيم وعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وما الى بعد هذه الاشارة
الى تفصيل تلك الحركات المستغربة والاشكال المونقة المعجبة ان شاء الله تعالى عمل الصندوق
للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة والاحفظة العجيبة انه كسى كله بصوان واحد من
الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا داخرى حسن
الوان الزجاج الرومى ما لم يعهد له فى العصر الاول مثال ولا عرف به بشبه حضر ولا بال وله
مفاصل تجتمع اليها اجزاؤه وتلتئم وتتناسق عندها جوانبه وتنتظم قد اميلت للحركة
أعطافها واحكم انشاؤها على الصنعة وانعطافها وقسم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت
ونفيس الدر وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية متنافس فى ادخاره
وتتوارثه على مرور الزمن وترداده وتغتني العز الاقعس والملك الانفس فى ادخاره واعداده
وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه فى جنسه وانفراده فانتظم عليه منها
ما شاكله زهر الكواكب فى تلألئه واتقاده واشبه الروض المزخرف غب سماء المزن عن
امداده واتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر آخذا بمجامع القلوب والبصر مستوليا
بصورته الغريبة على جميع الصور يدهش العقول بهاء وتحير الالباب رواء ويكاد يعشى
الناظر تألقا وضياء فحين تمت خصاله واستركبت اوصاله وحان ارتباطه بالمصحف العظيم
واتصاله رأوا ادام الله تأييدهم واعلى كلمتهم بما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات
والاشراف على جميع الثنيات ان يتلطف فى وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا
متصلا وطورا منفصلا ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص متبذلا
وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس فى الاستبصار تختلف وكل له مقام اليه ينتهى وعنده
يقف فعمل فيه على مشاكلة هذا المقصد وتلطف فى تتميم هذا الغرض المعتمد وكسى
المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر ذى حلية عظيمة خفيفة تلازمه فى
المغيب والمحضر ورتب ترتيبا يتأتى معه أن يكسى بالصوان الاكبر فيلتئم به التئاما يغطى
على العين من هذا الاثر وكمل ذلك كله على اجمل الصفات واحسنها وابدع المذاهب
واتقنها وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل والصبغة ذو مفاصل ينبو عن دقتها
الادراك ويشهد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك مغشى كله بضروب من
الترصيع وفنون من النقش البديع فى قطع من الآبنوس والخشب الرفيع لم تعمل قط فى
زمان من الازمان ولا انتهت قط الى ايسره تواقد الاذهان مدار بصفائح قد اجريت فى
صفائح الذهب وامتدت امتداد ذوائب الشهب وصنع لذلك المحمل كرسى يحمله عند

فلان فى وقت كذا ويولد افلان فى وقت كذا واشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب بسور على ستين حرفا من احرف
المعجم وليس فى سائر اللغات
أكثر حروفا من هذا وله
خطب طويل [illegible] أتينا
على ذكره فى كتابنا اخبار
الزمان والكتاب الاوسط
وأتى زرادشت بكتابهم
هذا بلغة يعجزون عن ايراد
مثلها ولا يدركون كنه
مرادها [illegible] ذكر بعد هذا
الموضع من هذا الكتاب
[illegible] زرادشت وما كان
[illegible] التفسير و[illegible]
التفسير وكتب هذا الكتاب
فى اثنى عشر الف مجلد
بالذهب [illegible]
وأمر و[illegible]
من الشرائع والعبادات فلم
تزل الملوك تعمل بما فى هذا
الكتاب الى عهد الاسكندر
وما كان من قتله دارا بن
دارا فحرق الاسكندر
بعض هذا الكتاب ثم
صار الملك بعد الطوائف
الى أردشير بن بابك فجمع
الفرس على قراءة سورة
منه يقال لها ابستا فالمجوس
فى هذا الوقت لا يعرفون
غيرها من الكتاب الاول
[illegible] ثم عمل زرادشت
تفسيرا عند عجزهم عن فهمه
وسموا التفسير زند ثم عمل
للتفسير تفسيرا وسماه
بازند ثم عمل علماؤهم
بعد وفاة زرادشت تفسيرا
لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرنا وسموا هذا التفسير بارده والمجوس الى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم [illegible]

لانتقال وبشارته فى أكثر الاحوال موضع مثل ترصيعه الغريب ومثاكله فى جودة التقسيم وحسن الترتيب وصنع لذلك كله تابوت يحتوى عليه احتواء المشكاة على أنوارها والصدور على محفوظ أفكارها مكعب الشكل سام فى الطول حسن الجملة والتفصيل بالغ ما شاء من التتميم فى اوصاله والتكميل جار مجرى المحمل فى التزيين والتجميل وله فى أحد جوانبه باب ركبت عليه دفتان قد أحكم ارتجاجهما ويسر بعد الابهام انفراجهما ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسى من تلقائه وتركب المحمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية وتلقيت التنبيهات القدسية وانتظمت العجائب المعنوية والحسية والتأمت الدخائر النفيسة والنفسية وذلك أن باسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعدله مفتاح لطيف يدخل فيه فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه وادير به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسى من ذاته ساعيا الى أقصى غايته وفى خلال خروج الكرسى يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتى بها من مؤخر الكرسى زحفا الى مقدمه فاذا كمل الكرسى بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما احد وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شئ آخر فاذا أدير المفتاح الى خلف الجهة التى ادير اليها اولا انفتح اولا الباب وأخذ الكرسى فى الدخول والمحمل فى التأخر عن مقدم الكرسى الى مؤخره فاذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه كل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذى كان فى حال خروجه وصحة هذه الحركات اللطيفة على اسباب وسببيات غائبة عن الحس فى باطن الكرسى وهى مما يدق وصفها ويصعب ذكرها اظهرها بركات هذا الامام السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة أدام الله تعالى أمرهم وأعز نصرهم وفى خلال الاشتغال بهذه الاعمال التى هى غرر الدهر وفرائد العمر أمروا أدام الله تعالى تأييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى فبدئ ببنائه وتأسيس قبلته فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأبعد البناء والنجارة وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر والمقصورة ما لو عمل فى السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف فى هذا الامد اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهضوا أدام الله سبحانه تأييدهم عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة والروضة المعظمة بمدينة تينملل أدام الله رفعتها فأقاموا بها بقية شعبان المكرم وأكثر شهر رمضان المعظم وحملوا فى صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام المهدى المعلوم رضى الله تعالى عنه فى التابوت الموصوف اذ كان قد صنع له غروه فى أعلاه وأحكمت فيه احكاما كمل به معناه واجتمع فى مشكاته فعاد النور الى مبتداه وختم القرآن العزيز فى مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لاتحصى لكثرتها وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب ثم قال ابن رشيد بعد ايراد ما تقدم ما صورته نجزت الرسالة فى المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين انتهى محل

فصار عاد وثمود [illegible] أعلم من هذا الكتاب وأرباعا وأثلاثا فيبتدئ كل واحد [illegible] من جزء فيتلوه ويبتدئ الثانى منه فيتلو جزأ آخر والثالث كذلك الى أن انتهى الجميع على [illegible] الواحد [illegible] على الكمال [illegible] كانوا يحفظون [illegible] ان [illegible] بعد ثلثمائة [illegible] يحفظ هذا الكتاب على الكمال وكان ملك كشتاسب الى أن [illegible] ثم هلك عشرين ومائة سنة وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمسة وثلاثين سنة وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة ولما هلك زرادشت (ولى [illegible] جاماسب العالم) وكان من اهل اذربيجان وهذا اول موبذ قام فيهم بعد زرادشت [illegible] كشتاسب الملك ثم ملك بعده بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وكان له حروب كثيرة مع [illegible] سجستان الى أن قتل [illegible] ووالده دستان وقيل ان أم بهمن كانت من بنى اسرائيل من ولد طالوت الملك وانه هو الذى بعث بالخت نصر مرزبان العراق الى بنى اسرائيل وكان من أمرهم ما وصفنا وكان ملك بهمن الى أن هلك مائة واثنى عشرة سنة وقيل انه فى ملكه رد [illegible] بنى اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم ببابل الى أن رجعوا الى

الحاجة

الحاجة منه * وما أحسن قول الشيخ الامام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة

أستودع الله أهل قرطبة * حيث وجدت الحياء والكرما
والجامع الاعظم العتيق ولا * زال مدى الدهر مامنا حرما

وقال أبو الربيع بن سالم حدثني بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعري قال أنشدني أبو محمد بن عطية لنفسه فذكرهما بعد أن قال انه لما أزمع القاضي أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وأنشدني البيتين انتهى * وقال ابن عطية أيضا رحمه الله تعالى

بأربع فاقت الامصار قرطبة * وهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم أكبر شيء وهو رابعها

وقد قدم انشادنا هذين البيتين من غير نسبتهما لأحد * ومما يدخل في أخبار الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم قال نادمت يوما المنصور ابن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير وهي جامعة بين روضة وغدير فلما تضمخ النهار بزعفران العشي ورفرف غراب الليل الدجوجي وأسبل الليل جنحه وتقلد السماك رمحه وهم النسر بالطيران وعام في الافق زورق الزبرقان أوقدنا مصابيح الراح واشتملنا ملاءة الارتياح وللدجن فوقنا رواق مضروب تغنتنا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب وقالت

قدم الليل عند سير النهار * وبدا البدر مثل نصف السوار
فكأن النهار صفحة خد * وكأن الظلام خط عذار
وكأن الكؤوس جامد ماء * وكأن المدام ذائب نار
نظري قد جنى علي ذنوبا * كيف مما جنته عيني اعتذاري
يالقومي تعجبوا من غزال * جائر في محبتي وهو جاري
ليت لو كان لي اليه سبيل * فأقضي من الهوى أوطاري

قال فلما أكملت الغنا أحسست بالمعنى فقلت

كيف كيف الوصول للاقمار * بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق * لطلبنا الحياة منك بثار
واذا ما الكرام همو بشيء * خاطروا بالنفوس في الاخطار

قال فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ في كلامه وقال لها قولي واصدقي الى من تشيرين بهذا الشوق والحنين فقالت الجارية ان كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى والله ما كانت الا نظرة ولدت في القلب فكرة فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكتماني والعفو مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من عقد أو طل تساقط من ورد وأنشدت

أذنبت ذنبا عظيما * فكيف منه اعتذاري
والله قدر هذا * ولم يكن باختياري

بيت المقدس سبعين سنة وذلك في أيام كورس الفارسي الملك على العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ ببلخ وقد قيل ان أم كورس كانت من بني اسرائيل وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاث وعشرين سنة وفي وجه آخر من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لا من قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك بهمن وان كورس من ملوك الفرس الاولى وليس هذا عاما في كتب التواريخ القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الازمان الى أن تنقضي الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور من الحوادث ودلائل ذلك في الافلاك ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خبئت فيها من الارض على ما قدمنا (ثم ملكت خماى) بنت بهمن بن اسفنديار ابن كشتاسب بن بهراسب وكانت تعرف بأمها شهرزاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك

والعفو أحسن شئ * يكون عند اقتدار

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الي وسل سيف السخط علي فقلت أيدك الله تعالى انما كانت هفوة جرها الفكر وصبوة أيدها النظر وليس للمرء الاما قدرله لا ما اختاره وأمله فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح وتجاوز عنا وسمح وخلى سبيلي فسكن وجيب قلبي وغليلي ووهب الجارية لي فبتنا بأنعم ليلة وسحبنا فيها للصبا ذيله فلما شمر الليل غدائره وسل الصباح بواتره وتجاوبت الاطيار بضروب الالحان في أعالي الاغصان انصرفت بالجارية الى منزلي وتكامل سروري * قال بعضهم ذكرتني حكاية أبي المغيرة هذه حكاية قرأتها في النوادر لابي علي القالي البغدادي حذت في الظرف حذوها وزهت في الاغراب زهوها وهي ما أسنده عن منصور البرمكي انه كانت للرشيد جارية علامية وكان المأمون يميل اليها وهواذ ذاك أمرد فوقفت تصب على يد الرشيد من ابريق معها والمأمون خلف الرشيد فأشار اليها يقبلها فأنكرت ذلك بعينها وأبطأت في الصب على قدر نظرها للمأمون واشارتها اليه فقال الرشيد مه هذا ضعي الابريق من يدك ففعلت فقال لها والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك فقالت ياسيدي أشار الي كأنه يقبلني فأنكرت ذلك عليه فالتفت الى المأمون فنظر اليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخجل فرحمه وضمه اليه وقال ياعبد الله أتحبها قال نعم ياأمير المؤمنين قال هي لك فاخل بها في تلك القبة ففعل ثم قال له هل قلت في هذا الامر شيأ فقال نعم ياسيدي وأنشد

ظبي كنيت بطرفي * من الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني * حتى قدرت عليه

وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء اللحظ يعرب عن اللفظ (وقال آخر) رب كناية تغني عن ايضاح ورب لفظ يدل على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودة بيننا * دقائق لحظ هن أمضى من السحر
فأعرف منها الوصل في لين لحظها * وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر

(وفي هذا قال بعض الحكماء) العين باب القلب فما في القلب يظهر في العين (وقال الشاعر)

العين تبدي الذي في نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
فالعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

انتهى (وأبو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح ما نصه) الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب ابن حزم وأبو حزم فقيه علم وأدب ونبيه مجد وحسب وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد لا ينعت ولا يحد وهو فارس المضمار حامي ذلك الذمار وبطل الرعيل وأسد ذلك الغيل نسق المعجزات وسبق في المعضلات الموجزات اذا كتب وشى المهارق ودبج وركب من بحر البلاغة الثبج وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلي صفاء وحليفي وفاء لا ينفصلان في رواد ولا مقيل ولا يفترقان كمالك وعقيل وكانا بقرطبة رافعي ألوية الصبوة وعامري

أندية

بعدها أخ لهما يقال له دارا) ملك دارا بن دارا بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب والفرس تسمي دارا هذا باللغة الاولى من لغاتهم دارا بنوس وهو الذي قتله الاسكندر بن فليبش المقدوني وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر أن منوجهر حين انهزم من حرب فراسياب التركي سار الى جبل طبرستان فتحصن به ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب فراسياب التركي وقد وطئ العراق وغلب على الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك صار بعد منوجهر الى أخوين) وقيل بل كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض وما خربه فراسياب احدهما (بهماست) بن كيجهر بن دوزدف بن هوست بن دابدسك بن دوس بن منوجهر والآخر (كرساسب) ابن غار بن طهماسب بن آسك بن آيرنس بن أدج ابن دوس بن منوجهر وكان كرساسب محاربا لفراسياب ومنازلا له والآخر هو بهماست لازم بالعراق يعمر ما خربه فراسياب من الارض واحتفر النهرين المعروفين بالزابين الصغير والكبير على حسب ما قدمنا من ذكرهما في

اندية السلوة الى أن اتخذ أبوعامر في حبالة الردى وعلق وغدارهنه فيها وغلق فانفرد أبوالمغيرة بذلك الميدان واسترد من سبقه مافاته منذ زمان فلم تذكر له مع أبي عامر حسنة ولا سرت له فقرة مستحسنة لتعذر ذلك وامتناعه بشفوف أبي عامر وامتداد باعه وأما شعر أبي المغيرة فرتبط بنثره ومختلط زهره ببدره وقد أثبت له منه فنونا تجن بها الافهام جنونا فمن ذلك قوله

ظعنت وفي أحداجها من شكلها * عين فضحن بحسنهن العينا
ما أنصفت في جنب توضح اذ قرت * ضيف الوداد بلابلا وشجونا
أضحى الغرام قطين ربع فؤاده * اذ لم يجد بالرقتين قطينا

(وله)

لما رأيت الهلال منطويا * في غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لي * بصولجان انثنى لضرب كره

انتهى (وأبوعامر بن شهيد المذكور قال في حقه ما صورته) الوزير أبوعامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد الاشجعي عالم باقسام البلاغة ومعانيها حائز قصب السبق فيها لا يشبهه أحد من أهل زمانه ولا ينسق ما نسق من در البيان وجمانه توغل في شعاب البلاغة وطرقها وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراه يغترف الا من بحر مع انطباع مشى في طريقه بأمد باع وله الحسب المشهور والمكان الذي لم يعده ظهور وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك المفاخر والاوضاح والضحاك صاحب يوم المرج وراكب ذلك المرج وأبوعامر حفيده هذا من ذلك النسب ونبع لا براش الا من ذلك الزغب وقد أثبت له ما هو بالسحر لاحق ولنور المحاسن ماحق (فمن ذلك) قوله

ان الكريم اذا نابته مخمصة * أبدى الى الناس ريا وهو ظمآن
يحني الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه غمر بماء البشر ريان

وهو مأخوذ من قول الرضى

ما ان رأيت كمعشر صبروا * عزا على الازلات والازم
بسطوا الوجوه وبين اضلعهم * حر الجوى ومآلم الكلم

(وله أيضا)

كلفت بالحب حتى لودنا أجلي * لما وجدت لطعم الموت من ألم
كلا الندى والهوى قدما ولعت به * ويلي من الحب أوويلي من الكرم

(وأخبرني) الوزير أبوالحسن بن سراج الدين وهو بمنزلة ابن شهيد وكان من البلاغة في مدى غاية البيان ومن الفصاحة في أعلى مراتب التبيان وكنا نحضر مجلس شرابه ولا نغيب عن بابه وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ولا يخليه من نثر دروه وازهاره فقعد فيه ليلة ٢٧ من رمضان في لمة من اخوانه وأئمة سلوانه وقد حفوا به ليقطعوا انحت ادبه وهو يخلط لهم الجد بهزل ولا يفرط في انبساط مشتهر ولا انقباض جزل واذا بجارية من اعيان اهل قرطبة معها من جواريها من يسترها ويواريها وهي ترتاد

هذا الكتاب الخارجين من بلد أرمينية الصابين في دجلة الاكبر بين الموصل والحديثة والآخر ببلاد الصين وسماه باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماه بالزاب وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث طساسيم من الضياع والعمائر وأسماها الزوابي وما ذكرنا فهو باق الى هذه الغاية وان مملكتها كانت ثلاث سنين وان كيخسرو ابن سياخوش بن كيكاووس ابن كتيفة بن كيقباذ لما قتل جده ببلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن سيمك ابن تمت بن ديشهر بن ترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من الناس من ولد لسث بن ريسب بن أطوح بن أفريدون وقد قدمنا وجها من الرواية في نسبه فيما سلف من هذا الكتاب سار كيخسرو في البلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد الصين فبنى هنالك مدينة عظيمة وسماها كنكدر وقد نزلها خلق من ملوك الصين كنزولهم اغوى وغيرها من مدنهم وقد قيل ان كنكدر هي اغوى بعينها وقد قيل ان كيكاووس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بارض السغد وان سياخوش بنى في حياة أبيه كيكاووس مدينة القندهار من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودي) ولمن ذكرنا من هؤلاء

وضعها لما جاورتها وتبتغي منزلا لاستعمار ذنبها وهي متنقبة خائفة ممن يرقبها مترقبة وأمامها طفل لها كأنه غصن آس أو ظبي يمرح في كناس فلما وقعت عينها على أبي عامر ولت سريعة وتولت مروعة خيفة أن يشبب بها أو يشهرها باسمها فلما نظرها قال قولا فضحها به وشهرها

وناظرة تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داعي
سعت خفية تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرؤم * تراعي غزالا بروض البقاع
وجالت بموضعنا جولة * فحل الربيع بتلك البقاع
أتتنا تبختر في مشيها * فحلت بواد كثير السباع
وريعت حذارا على طفلها * فناديت ياهذه لا تراعي
غزالك تفرق منه الليوث * وتفزع منه كماة المصاع
فولت وللمسك في ذيلها * على الارض خط كظهر الشجاع

انتهى المقصود منه (رجع) ومما ينخرط في سلك أخبار الزهراء ما حكاه الفتح في ترجمة المعتمد ابن عباد قال وأخبرني الوزير أحمد بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يصرفه بصرف أرخت به المسرات عهدها وأبرزت له الاماني خدها ونهدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها ومازالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويتبدلون الغصون بجني وهصر ويتنقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكؤس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ماقضوا من تلك الآثار أوطارا ووقروا بالاعتبار قطارا فحلوا منها في درانك ربيع محفوفة بالازهار مطرزة بالجداول والانهار والغصون تختال في أدواحها وتنثني في أكف أرواحها وآثار الديار قد أشرفت عليهم كالثكالى ينحن على خرابها وانقراض أترابها وأطرابها والوهي بمشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها وأخجلوا الغيوث في انسجامها فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الانؤى وأحجار قد وهت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها أنسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ماأساء
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

فساروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد فيه اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا ليلتهم ماعراهم نوم ولا عداهم

الملوك أخبار وسير قد أتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا وأغنانا ذكر في هذا الكتاب جوامع نبني بها على ماسلف من مبسوطها وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا وذكرنا سائر ما وأتوه فيها ووصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانة

(ذكر ملوك الطوائف) وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف أمن الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب فحكى جماعة من الاخباريين ممن عني بأخبار الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فيلبس دارا بن دارا غلب كل رئيس ناحية على ناحيته وكاتبهم الاسكندر وفيهم فرس ونبط وعرب وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشعانيين وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهمذان وماسندان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الاعم اشغان فقيل لسائر ملوك الطوائف

عن

عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى امله وكان روم أمرها أشهى عمله ومازال يخطبها بمداخلة اهليها ومواصلة واليها اذلم يكن فى منازلتها قائد ولم يكن لها الاحيل ومكايد لاستمسا كهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها وحين اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل فى قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها قال

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الاول
خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فاصبحت فى سرى الحلى والحلل
عرس الملوك لنا فى قصرها عرس * كل الملوك لها فى مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم * هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ولما انتظمت فى سلكه واتسمت بملكه اعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها فاناص فيها نداه وزاد على امده ومداه وجلها بكثرة حبائه واستقل باعبائها على فتائه ولم يزل فيها آمرا وناهيا غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن باهلها اعتقده واغترارا بهم ماروّاه ولاانتقده وهيهات كم من ملك كفنوه فى دمائه ودفنوه بذمائه وكم من عرش فلّوه وكم من عز بملك أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجرّ اليها حربا وويلا فبرز الظافر منفردا عن كماته عاريا من حماته وسيفه فى يمينه وهاديه فى الظلماء نور جبينه فانه كان غلاما قد بلله الشباب بانداته وألحفه الحسن برداته فدافعهم اكثر ليله وقد منع منه تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعا ولا استقال منها ولا سعى فترك ملتحفا فى الظلماء تحت نجوم السماء معفرا فى وسط اكماء تحرسه الكواكب بعد المواكب ويستره الحندس بعد السندس فمر بمصرعه سحرا احد أئمة الجامع المغلسين فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه ونضاه وستره به سترا أقنع الجدب وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف فشكر له يده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الحزن لوعته رفع بالعويل نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح وهو يشرق كنار على علم ويرشق نفس كل ناظر بالم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة والانصار رموا أسلحتهم وسووا للفرار أجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاه ومنهم من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية ولا كلمة للوعته شافية الا اشارته اليه فى تأبين اخويه المامون والراضى المقتولين فى أول النائرة والفتنة الثائرة انتهى (وقد رايت) ان ازيد على ما تقدم مما قصدت جلبه فى هذا الموضع نبذة من كلام الفتح فى ذكر منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الاندلس ووصف مجالس الانس التى كانت بها مما تنشرح له الانفس ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لهما تبعا ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل فى اللهو مصيفا ومرتبعا ثم طواه الدهر طى السجل ومحا

الاشغانيون اضافتهم الى ملك هذا الصقع لانقيادهم اليه وقد حكى محمد بن هشام الكلبى عن أبيه وغيره من علماء العرب انهم قالوا أول ملوك الدنيا الكينان وهم من سمينا من ملوك من سلف من الفرس الاولى الى دارا بن دارا ثم الاردوان وهم ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف وكانوا بارض العراق مما يلى قصر ابن هبيرة وسقى الفرات والجامعين وسورا وأحمد آباد والنرس الى جبلا وتل فاحر والطفوف وسائر ذلك الصقع وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وانمار بن نزار والنصرية من بنى نضر من اليمن وغيرهم من قحطان لهم ملوك وقد نصبت كل طائفة لها ملكا لعدم ملك يجمع كلمتهم وذلك أن الاسكندر أشار عليه معلمه وهو ارسطاطاليس فى بعض رسائله اليه بذلك وكاتب الاسكندر ملك كل ناحية وملكه على ناحيته وتوجه وحياه فاستبد كل واحد منهم بناحية فصار ملكه من بعده فى عقبه ممانعا عما فى يده وطالبا للازدياد من غيره وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عنى باخبار الماضين ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب

آثاره التى كانت تسمو وتجل وما قصدنا علم الله غير الاعتبار بهذه الاخبار لا الحث على الحرام وتسهيل القصد اليه والمرام والاعمال بالنيات والله سبحانه كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الامنيات وتعويضنا عن هذه النعم الفانيات بالنعم الباقيات السنيات * (قال الفتح رحمه الله تعالى) فى ترجمة الوزير أبى الوليد بن زيدون ما صورته وأخبرنى الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى انه فى وقت فراره أضحى غداة الاضحى وقد ثار به الوجد بمن كان يألفه والغرام وتراءت لعينيه تلك الظباء الاوانس والآرام وقد كان الفطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى أعفاه فلما عاده منهما ما عاد وأعياه ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر عهده الحسن وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها فى العيد ويتفرج بها مع اولئك الغيد فقال

خليلى لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقنى شرق العقاب فلم أزل * أخص بممحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوفى الرصافة مسعرى * دواعى بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسى صبابة * لقلبى لا يألو زناد الاسى قدحا
وليس ذميما عهد مجلس ناصح * فأقبل فى فرط الولوع به نصحا
كأنى لم أشهد لدى عين شهدة * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجنى فان مشى * سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته * فان لم يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو فى مسناة مالك * معاطاة ندمان اذا شئت أو سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته * قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة * أجلت المعلى فى الامانى بها قدحا
ألا هل الى الزهراء أوبة نازح * تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصر ملك أشرقت جنباتها * فخلنا العشايا الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطيها لى الوهم جهرة * فقبتها فالكوكب الجون فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه * اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هناك الجمام الزرق تندى حفافها * ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شرق القيان خلالها * صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا
ومن حملى الكاس المفدى مديرها * تقحم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلى فوق شاطئ نيطة * لأقصر من ليلى بيانة فالبطحا

وهذه معاهد بنى أمية قد طعوا بها ليالى وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما فهاموا بشرق العقاب وشاموا به برقا يدوم من تقاب ونعموا بالجوفى الرصافة وطعموا عيشا تولى الدهر جلاءه وزفافه وابعدوا نصح الناصح وحمدوا انس مجلس ناصح وعموا ابا الزهراء وصموا عن نبا صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم وعوضهم عنها ما عوضهم فصاروا أحاديث وأنباء ولم يتزودوا منها الا حنوطا وكباء وغدت تلك المعاهد تصافحها

على ملوك الطوائف وقتل اردوان الملك بالعراق و وضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم يعد فيه ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف ومهدت له البلاد واستقامت دعائم المملكة ومن ملوك الطوائف من قتله أردشير بن بابك ومنهم من قاده الى ملكه وأجاب دعوته وملوك الطوائف بين الفرس الاولى ممن سمينا وبين الفرس الثانية وهى الساسانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى عن عمر كسرى فى كتاب له فى أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وحروبهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور واحتفروه من الانهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم أن أول من ملك من ملوك الطوائف (أسك) ابن أسك بن أردوان بن أشغان بن آش الجبار بن ساوس بن كيكاوس الملك عشرين سنة ثم ملك بعد أسك (سابور) بن أسك ستين سنة وفى احدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بايلياء ثم ملك (حود) بن ابراهيم بن ادراو بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك

احدى وعشرين سنة وقيل انه فى أيامه سار نطوس بن أسعانوس ملك رومية الى ايليا وذلك بعد ارتفاع
المسيح باربعين سنة فقتل
وأسر وسبى وخرب ثم ملك
بعده نيرو بن سابور (ابنه
جودر) بن نيرو تسع عشرة
سنة ثم ملك بعده أخوه
(هرمز) بن نيرو عشرين سنة
ثم ملك (أرداوان) بن
مرداوان أربعين سنة ثم
ملك بعده (كسرى) بن
ايلاووس بن كسرى
اربعا وعشرين سنة ثم ملك
بعده (ايلاووس) بن ارداوان
ابن ايلاووس ثلاث عشرة
سنة (قال المسعودى) فهذا
وجه آخر غير ما قدمنا وقد
قيل فى تاريخ سنى ملوك
الطوائف غير ما وصفنا وان
مدتهم كانت أقل مما
وصفنا والاول أشهر وأصح
فى مقدار ما ملكوا من السنين
مع تباين التواريخ وتضاد
ما فيها غير أن الذى حكيناه
هو ما أخذناه عن علماء
الفرس وهم يراعون من
تواريخ من سلف ما لا يراعيه
غيرهم لان الفرس تدين
بما وصفنا قولا وعملا
وغيرهم من الناس يقول
ذلك ولا ينقاد اليه عملا
لتباين أهل الشرائع وقد
أتينا فيما سلف من كتبنا
على الغرر من أخبار
الطوائف وسيرهم وبالله
التوفيق

أيدى الغير وتناوحها نعبات الطير وراحت بعد الزينة سدى وأمست مسرحا للبوم وملعبا للصدى يسمع للجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والنزيف وكذا الدنيا أعمالها خراب وما آلها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخدود وأذهبت ما كان بما رب من حيازات وحدود انتهى *(وقال الفتح بعد كلام ما صورته) ولما عضته ناب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومرحه بين الصفا والعقيق وحن الى سعد زررت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتأسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد فقال

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشى * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى الى أن تقضى * زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى * ليس يومى بواحد من ظلوم
ماترى البدر ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

(وقال الفتح أيضا فى شان ابن زيدون ما صورته) ولما تعذر انفكاكه وعمر فرقده وسماكه وعادته الاوهام والفكر وخانه من أبى الحزم الصارم الذكر قال يصف ما بين مسراته وكروبه ويذكر بعد طلوع سعده وغروبه ويشكى لما هو فيه من التعذير ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى بانحناء الدهر على الاحرار والحاحه على التمام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على ارقه وسهده

ما جال بعدك لحظى فى سنى القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء الليل من أسف * الا على ليلة مرت مع القصر
فى نشوة من شباب الوصل موهمة * الا مسافة بين الوهن والسحر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
يا للرزايا لقد شافهت منهلها * غمرا فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * أنى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

وله يتغزل ويعاتب من يستعطفه ويتنزل

يا مستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أرانى * تكذيب ما كنت تدعيه

(ذكر أنساب فارس وما قاله الناس فى ذلك) تنازع الناس فى الفرس وأنسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ناسور

ان سام بن نوح وكذلك النبط ولد نبيط بن ناسور بن سام بن نوح وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه عن أبيه

من قبل أن يهزم التسلي * ويغلب الشوق ما يليه — انتهى

وما أحسن قول ابن زيدون المذكور في قصيدته النونية الشهيرة

غص العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

ومن أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز نونية ابن زيدون وهي

غدا منادينا محكما فينا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

بحر الهوى يغرق * من فيه جهده عام

وناره تحرق * من هم او قد هام

وربما تقلق * فتى عليه نام

قد غير الاجسام وصير الايام سودا وكانت بكم بيضا لياليا

يا صاحب النجوى * قف واستمع مني

اياك أن تهوى * ان الهوى يضني

لا تقرب البلوى * اسمع وقل عني

بحاره مره خضنا على غره حينا فقام بها للنعي ناعينا

من هام بالغيد * لاقي بهم هما

بذلت مجهودي * لا أحور ألمى

يهم بالجود * وورد ما هما

وعند ما قد جاد بالوصل أو قد كاد أضحى التنائي بديلا من تدانينا

بحق ما بيني * وبينكم الا

أقررتم عيني * فتجمعوا الشملا

فالعين بالبين * بفقدكم أبلى

جديد ما قد كان بالاهل والاخوان ومورد اللهو صاف من تصافينا

يا جيرة بانت * عن مغرم صب

لعهده خانت * من غير ما ذنب

ما هكذا كانت * عوائد العرب

لا تحسبوا البعدا يغير العهدا اذ طالما غير النأي المحبينا

يا نازلا بالبان * بالشفع والوتر

والنمل والفرقان * والليل اذا يسر

وسورة الرحمن * والنحل والحجر

هل حل في الاديان أن يقتل الظمآن من كان صرف الهوى والود يسقينا

يا سائل القطر * عرج على الوادي

من ساكني بدر * وقف بهم نادي

عسى صبا تسري * لمغرم صادي

ان شئت تحيينا بلغ تحيينا من لو على البعد حيا كان يحيينا

وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد ارم بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي

وبنا سمي الفوارس فرسا
نا ومنا مناجب الفرسان
وكهول طواهم الركض
والكر
كمثل الكران يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنتيه وهي دعوى ولاصحاب التواريخ في هذا خبر طويل وذكر آخرون انهم من ولد بوان ابن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذي ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة في العالم بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان ذار الراهب
فهم تلفي راحة النوائب

ومنهم من رأى أن الفرس من ولد ايران بن افريدون وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب أخبار ولد افريدون حين وافت

وافت لنا أيام * كأنها أعوام
وكان لي أعوام * كأنها أيام
عمر كالاحلام * بالوصل لو دام
والكاس مترعة حثت مشعشعة فيها الشمول وغنانا مغنينا

*(رجع الى ما يتعلق بقرطبة) قال الوزير أبو بكر بن القبطرنة يخاطب الوزير أبا الحسين ابن سراج ويذكر له اخوانه بقرطبة

ياسيدي وأبي هوى وجلالة * ورسول ودي ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة ولذ بجنابها * بأبي الحسين وناده تعويلا
فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شكري وشوقي مجملا * ولو استطعت سردته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كأنما * جرت على زهر الرياض ذيولا
وأشم منها المصحفي على النوى * نفسا ينسي السوس المبلولا
والى أبي مروان منه نفحة * يهدى له نوارها مطلولا
واذا الفتى الاخطى فسقه * من صفو ودي قرقفا مشمولا
وأدر على سبق منهار بعده * مسكا عاء غمامة محلولا
واذكرهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
ولي ومولى نعمة وكرامة * وأحا اخاء خالصا وخليلا
بالحير ما عبست هناك غمامة * الا تضاحك اذخرا وجليلا
يوما وليلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الاهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

قال أبو نصر الحير الذي ذكرناه هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة الذي يقول فيه ابو عامر بن شهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهود * شمسا أبى الحسن ان تكسفا
تراه اليهود على بابها * أميرا فتحسبه يوسفا

وهذا الحير من أبدع المواضع وأجملها وأعمها احسانا وأكملها يحفه مرمر صافي البياض يخترقه جدول كالحية النضناض به حابية كل حجة بها كابيه قد رصعت بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه والروض قد اعتدلت اسطاره وابتسمت من كمائمها ازهاره ومنع الشمس ان ترمق ثراه وعطر النسيم يهب به عليه ومسراه شهدت به ليالي وأياما كأنما انتشرت من لمحات الاحباب او قدت من صفحات ايام الشباب وكانت لابي عامر بن شهيد به فرج وراحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ووالى عليه الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه اليفي صبوة وحليفي نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات تجاورهما في الحياة وتقلدت عنهما اوزارهما تلك الفيآت والى

قسم الارض بينهم وما قاله الشاعر في ذلك من قوله

ولايران جعلنا عنوة * فارس الروم وزنا بالاعم

فأضيف الفرس الى ذلك وايران تسميه الفرس ايراج اذ عربوا اسمه ولا تناكر بين الفرس جميعا في أنهم من ولد ايراج جميعا وأيراج هو ايرا بن افريدون هذا هو المستفيض بينهم والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر اجناس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد عيلام ولا خلاف بين الفرس في ان الجميع من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر وكيومرث هو قيل ايراج بن افريدون وايراج ابن افريدون هو الذي ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى ان الفرس الثانية وهم الساسانية دون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى أن منوجهر هو ابن منشخر بن أفريس بن ويزك وويزك هو اسحق بن ابراهيم الخليل وسار منشخر الى ارض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده وملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لما هم عليه من الشجاعة والفروسية ودثرت الفرس الاولى كدثور الامم الماضية والعرب العاربة (قال المسعودي) وأكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا و يعمل عليه في بدء النسب و بغداد الـه

ذلك العهد أشار ابن شهيد وبه عرض وبشوقه صحّ ومرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه أن يدفن بإزائه ويكتب على قبره

يا صاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا * في ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرّة تجود
كلٌّ كأن لم يكن تقضّى * وشؤمه حاضر عتيد
حصّله كاتب حفيظ * وضمّه صادق شهيد
يا ويلنا إن تنكّبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفواً فأنت مولى * قصّر في أمرك العبيد

انتهى

ثم قال بعد كلام وركب أبو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بقرطبة ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبي الحكم بن حرم غلاما كأنما عق تمائمه وهو بروق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل أبا الحسين بن سراج أن يقول فيه فارتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال:

رأى صاحبي عمراً فكلّف وصفه * وحمّلني من ذاك ما ليس في الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذا أشبّ على الطوق

انتهى

وكان بنو القبطرنة بالأندلس أشهر من نار على علم وقد تصرفوا في البراعة والقلم ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المشكورة ولذا قال أبو نصر في حقهم ما صورته هم للمجد كالأثافي وما منهم إلا موفور القوادم والخوافي إن ظهروا أزهروا وإن تجمعوا تضوّعوا وإن نطقوا أصدقوا ما أوهموا صعوا وكل منهم لصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالي وشموسها ودانت لهم أرواحها ونفوسها ولهم النظام الصافي الزجاجة المضمحل الحجاجة انتهى ثم قال وبات منهم أبو محمد مع أخويه في أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف بموافاته ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويوقف عليه إغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينتهز فرص الأنس فيه روحاته وبكره ويدير حمياه على صفحة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه أخواه فطاردوا اللذات حتى أنضوها ولبسوا برود السرور وما نضوها حتى صرعتهم العقار وصلحتهم تلك الأوقار فلما هم رداء الفجر أن يندى وجبين الصبح أن يتبدى قام الوزير أبو محمد فقال

يا شقيقي وافى الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرة يوم * لست تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال

يا أخي قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا
لا تنم واغتنم مسرة يوم * إن تحت التراب نوما طويلا
في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ما عانق الخليل الخليلا

بالفرس وانها من ولد اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال في ذلك اسحق بن سويد العدوي عدي قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسودد * أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءا باسحق عمنا * وصاروا لنا عبيدا على الدهر أعبدا
فان كان منهم تبع وابن تبع * فاملاكهم كانوا الاملاك أيدا
ويجمعنا والغر أبناء سارة * أب لا يبالي بعده من تفردا
هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم * وهم منحوهم بعد ذلك سوددا

وفي ذلك أيضا يقول جرير ابن الخطفى التميمي يفخر على قحطان بأن الفرس والروم من أولاد اسحق والأنبياء من ولد يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها

وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصبهبد منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب الله فيهم ونوره * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا

ثم

ثم استيقظ اخوهما أبو الحسن وقد هب من غفلة الوسن فقال

ياصاحبي ذرالومي ومعتبتي * قم نصطبح خمرة من خيرماذخروا
وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدو في غد خبر

وساق صاحب البدائع هذه القصة فقال وذكر أبو الفتح ماهذا معناه انه خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت مسارى هباته ودمعت بالطل عيون ازهاره وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وانفسحت مقل الحوادث عنه مطرقة خيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو ونصول السواقي تحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد نقبت وجه الثرى وحجبت عن الارض العيون فما تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن الافطس يعده غاية الارب مشهد الطرب ومدفع الكرب فما توافيه لبانتهم يديرون لم لهب يسمون فيه الخلود ويحسون ذوب ذهب لا يصهر به مافي بطونهم والجلود حتى تركتهم ابنة الخابية كانهم أعجاز نخل خاوية فلما هزم روم الصباح زنجي الظلام ونادى الديك حي على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وانشد مرتجلا ياشقيقي الخ فانتبه اخوه أبو بكر لصوته وتحوق لذهاب ذلك الوقت وفوته وأنبه اخاهما أبا الحسن وهو يرتجل ياأخي قم ترى النسيم الى آخره فانتبه أخوه لكلامه داعيا الى منامه للذة قيامه وارتجل ياصاحبي ذرالخ انتهى (قال الفتح) ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين بن سراج بلقاء ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع القائد والمشي اليه والنزول عليه تنويها بمقدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه فصارا الى بابه فوجداه مقفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظن كل واحد منهما وتأول ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالتحية ويده ترتعش وأنزلهما عجلا ومشى بين أيديهما عجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعة في الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلال السجف فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا اليه بما فهما منه فكتبا اليه

سمعنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف
وصدقنا ولم نقطع * وكذبنا ولم ننف
وأعجبنا لاجلالـك عن اكرومة الظرف
ولم ننصف وقد جئنا * لك سانهض من ضعف
وكان الحكم ان تحمل أو تردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها

أيا اسفي على حالى * سلبت بها من الظرف
ويالهفي على جهل * بنصف كان من نصف

انتهى

ولاهل الاندلس في معاني الانس الحسان مالايفي به لسان وقال الفتح في ترجمة الوزير أبي الفضل بن حسداي بعد كلام ماصورته فمنها هذه القطعة اتى أطلعها نيرة وترك الالباب

ومنهم سليمان النبي الذي دعا * أعطى نبيا ناوملكا معدرا * أبونا أبو إسحق يجمع بيننا * أب كان مهديا ومنا كان معمرا
وموسى وعيسى والذي خر ساجدا
وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حكمة
وكان أبو يعقوب نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر أبناء فارس
أب لايبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا
رضينا بما أعطى الاله وقدرا
وفي ذلك يقول بشار بن برد
يمتي الكرام بنو فارس
قريش وقومي قريش
العجم
وقال أحد شعراء الفرس
بد كرأنه من ولد اسحق
وأن اسحق هو المسمى
وترك على حسب ماقدمنا
قبل من كلمة له
أبونا وترك وبه أحاجي
اذا فخر المفاخر بالولاده
أبونا وترك عبد رسول
له شرف الرسالة والزهاده
ذي مثلي اذا افتخرت قروم
وبيتي مثل واسطة القلاده
ومن الفرس من يزعم أن
وترك هو ابن أبريك وابن
أبريك ابن سبع نسوة تولدن
من غير ذكر الى أن يحتن
نسبهن بايراج بن أفريدون
وهذا مما يدفعه العقل ويأباه
الحس ويخرج عن العادة
ويتبوعنه المشاهدة الا ماخص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدي آياته ودلائله الخارجة عن العادة

بها متحيرة في يوم كان عند المقتدر بالله مع عليه قد اتخذوا المجد حليه والامل قد سعرلهم عن محياه وعبق لهم عرر رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الافراح والملك ينشر فضله وينثروابله وطله يسدى العلاء ويهب الغنى والغناء فصدحت الغواني واوضحت المثالث والمثاني بما استنزل من مرقب الوفار وسرى في النفوس مسرى العقار

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كانما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ماتركنا الماء يقتلها * الالتحيا بها منا حشاشات
قد كان في كاسها من قبلها ثقل * نخف اذ ملئت منها الزجاجات
عهد للبنى تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها اللبانات
يدنى التوهم للمشتاق منتزحا * من الامور وفي الاوهام راحات
تقضى عدات اذا هب الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدى تحيات
زور يعلل قلب المستهام به * دهرا وقد بقيت في النفس حاجات
لعل عتب الليالي أن يعود الى * عتبى فنبلغ أوطار ولذات
حتى يفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

ولما اعرس المستعين بالله ببنت الوزير الاجل أبي بكر عبد العزيز احتفل ابو المؤتمن في ذلك احتفالا اشهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع بذكائه دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدبر تلك الآراء ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر اقتضابها وايجازها * فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظاهر أبا عبد الله بن طاهر محلك أعزك الله في طي الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك في احناء الضلوع بادوان شحط المزار فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بنظر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك باللحوق الى ما يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وانا أعزك الله على شرف سوددك حاكم وعلى مشرع سنائك حائم وحسبي ما تحققه من نزاعي وتشوقي وتتيقنه من تطلعي وتتوقي وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعترض الاقتراح باستحباب الصلة وانت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشئ للمؤانسة عهدا وتورى بالمكارمة زندا وتقتضي بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لازلت مضيئا بالسعود المقبلة مسوغا اجتلاء غرر الاماني المتهللة بمنه انتهى (ثم قال) بعد هذا بيسير ما نصه وركب المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طرادلذته وارتيادنزهته واقتاد احد حصونه المنتظمة بلبته

وعند ذكرنا من المشاهدات والفرس ههنا منازعات في نسب منوجهر واضطراب في كيفية الحاقه بافريدون
وفي وطء أفريدون لابنة ابراج ووطئه بنت البنت الى انسبع منه وقد كان بين ملك منوجهر بن منشحر ابن افريرس بن وترك على ماذكرنا وبين ملك أفريدون مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك لتحرب كان باقليم بابل وعدم ذي همة تنقاد اليه المملكة ويستقيم له الملك وتجتمع عليه الكلمة وانتقل الملك من ولد أفريدون الى ولد اسحق فان كان ما ذكرناه هو المعول عليه من قول هذه الطائفة يجب على ما يوجبه الحساب أن من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد اسحق ألفا وتسعمائة واثنتين وعشرين سنة كذلك وجدت في كتب تواريخ هذه الطائفة بارض فارس وبلاد كرمان (قال المسعودي) وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده اسحق بن ابراهيم الخليل على ولد اسمعيل بان الذبيح كان اسحق دون اسمعيل فقال من كلمة له
قل لبني هاجر ما بنت لكم ماهذه الكبرياء والعظمه
ألم تكن في القديم أمكم لامنا سارة اتجالا امه والملك فينا والانبياء انما ان تنكروا ذلك توجدوا ظلمه

واجتمع له من أصحابه من اختصه لاستصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد الانفراجهم سالكا مناهجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك واجناسه ماراق من حضر ووافق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تشيرها المكايد وتغوص اليها المصايد فتبرز منها للعين قضبان در أو سبائك لجين والراح لا يطمس لها لمع ولا يحس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتص من نكره معروفه فقال

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبي وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائل في أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن عن هدى مقتدر
تحوي السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تصادم من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في مدح مولى خلقه زهر * يذكو وغرته أبهى من القمر

انتهى (وقال) في ترجمة العلامة الكبير الاستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي شارح أدب الكاتب وسقط الزند وغيرهما ما صورته أخبرني انه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمع اليها المنى ومرآها هو المقترح والمتمنى والمأمون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كالشمس في أفقه والبدر في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر الحوار أو كثكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد رشته أنداؤه والاسد قد فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال

يا منظرا ان نظرت بهجته * أذكرني حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت * فيه اللآلي فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد
تراه يزهو اذا يحل به الـ * ـمأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا في مطالع السعد
كأنما البست حدائقه * ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد
لا زال في رفعة مضاعفة * متمم الوفد واري الزند

(وقال) في وصف هذا المجلس بعينه في الكتاب الذي أفرده لترجمة ابن السيد ما صورته في

تعلم قريش الاحساب مفخرة
أصل لنا ان كنتم بنوه فه
اما بنو يعرب فلستوا كمن
أسكنه الله آمنا حرمه
ولا كأبناء فارس وهم
في الارض مثل الاسود في
الاجمه

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله ابن المعتز وكان قائل هذه القصيدة في عصره وعمر الى أن مضت الثلثمائة بناقصه في أبيات منها من ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا
من ذا الشقي الذي أباح
دمه
حاش لاسحق أن يكون لكم
أبا وان كنتم بنوه فه
قولا لكلب يرى لبنشته
قد قعد الليث للفراس فه

والفرس لا تنقاد الى القول بان الملك يكون فيها لاحد غير ولد أفريدون في عصر من الاعصار فيما سلف وخلف الى أن زال عنهم الملك الا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصب بغير حق وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما له ولجدها ابراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه وحفظا لانسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشير بن بابك

ذلك انه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة فى المنية المتناهية البهاء والاشراق المباهية لزوراء العراق التى ينفح شذاها العطر ويكاد من الغضارة يقطر والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتداه وحكم العقار فى جوده ونداه والمجلس يشرق كالشمس فى الحمل ومن حواه يبتهج كالنفس عند منال الأمل والزهر عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر حوار الى آخر ما سبق (وقال الفتح) فى وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح ما صورته حضر الاستاذ أبو محمد بن السيد عند المأمون ابن ذى النون فى بعض متنزهاته فى وقت طاب نعيمه وسرت بالسعود نجومه والروض قد أجاد وشيه راقمه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقمه وثم بركة مملوءة كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت سباع الصفر بشاطئها غابا ومجت بها من سائغ الماء لعابا فكأنها آساد عين ادلعت ألسنة من لجين وهى لا تزال تقذف الماء ولا تفتر وتنظم لآلى الحباب بعدما تنثر فامره بوصف ذلك الموضع الذى تجد اليه ركائب القلوب وتوضع فقال بديها يا منظرا ان هى (ثم قال الفتح) فى هذا التصنيف بعد كلام فى المذكور ما نصه ومما أبدع قوله فى وصف الراح والحض على النبذ للهموم والاطراح بمعاطاة كاسها وموالاة ايناسها ومعاقرة دنانها واهتصار ثمار الفتوة من افنانها والاعراض عن الايام وانكادها والجرى فى ميدان الصبوة الى أبعد آمادها

سل الهموم اذا نبا زمن * بمدامة صفراء كالذهب
مزجت فمن در على ذهب * طاف ومن حبب على لهب
وكأن ساقيها يثير شذى * مسك لدى الاقوام منتهب

ولله هو فقد ندب الى المندوب وذهب الى مداواة القلوب من الندوب وابرائها من الآلام واهدائها كل تحية وسلام وابهاجها بآصال وبكر وعلاجها من هموم وفكر فى زمن حلى عاطله وجلى فى أحسن الصور باطله ونفقت محالاته وطبقت أرضه وسماءه واستحالاته فليثه كاسد وذئبه مستاسد واضغانه تنشر وبغاثه قد استنسر فلا استراحة الا فى معاطاة حميا ومواخاة وسيم المحيا وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه وفضضه بالابداع وذهبه حين دخل سرقسطة ورأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فصلا وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا فاقبل على راحه يتعاطاها وعكف عليها ما تعداها ولا تخطاها حتى بلغه أنهم نقموا ما قرنه العقار وجالت ألسنتهم فى توبيخه مجال ذى الفقار فقال

نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى راح وليس فتى مجد
ومن ذا الذى قاد الجياد الى الوغى * سواى ومن اعطى كثيرا ولم يكدى
فديتكموا لم تفهموا السر انما * قليتكم جهدى فابعدتكم جهدى

ودعى ابن السيد ليلة الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب وقرع السرور نبعه بالغرب ولاحت نجوم أكواسه وفاح سيم رنده وآسه وأبدت صدور اباريقه اسرارها وضمت عليه المجالس أزرارها والراح يديرها أهيف أوطف والامانى تجنى وتقطف فقال

وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذى يرجعون اليه كرجوع ملوك المروانية الى مروان ابن الحكم وخلفاء العباسيين الى العباس بن عبد المطلب ولم يزل الفرس الثانية أحد الامن ولد أردشير بن بابك هذا فكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسمعيل فقيل انما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم
وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

ومازلنا نحج البيت قدما
ونلقى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى
أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر
لاسمعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا وسيوفا وذهبا كثيرا فقذفه فى زمزم وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم

يا رب ليل قد هتكت حجابه * بمدامة وفادة كالكوكب
يسعى بها أحوى الجفون كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشفه بدر غارب * فانعم برشفة طالع لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مشرب
والليل منهزم يطير غرابه * والصبح يطرده بباز أشهب

(ثم قال الفتح) بعد كلام كثير ماصورته ودخل يعنى ابن السيد سرقسطه امام المستعين وهي جنة الدنيا وفتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ملك عمر البشاشة كثير المشاشة وملك أبهج الفناء أرج الارجاء بروق المجتلى ويروق النجم المعتلى وحضرة مفضضة الماء مذهبة السماء يبسم زهرها وينساب نهرها وتتفتح خمائلها وتتضوع صباها وشمائلها والحوادث لاتعترضها والكوارث لاتفترضها وبارها من عرس الى موسم وآملها متصل بالامانى ومتسم فنزل منها في مثل الخورنق والسدير وتصرف فيها بين روضة وغدير فلم يحف على المستعين احتلاله ولم تخف لديه خلاله فذكره معلمابه ومعرفا وأحضره منوها به ومشرفا وقد كان فرمن ابن رزين فرار السرور من نفس الحزين وخلص من اعتقاله خلوص السيف من صقاله فقال يمدحه

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة اظعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها نهر من الدمع هتان
أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان
ولي مقلة عبرى وبين جوانحي * فؤادي الى القاكم الدهر حنان
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب الوان
أناخت بنا في أرض شنتمرية * هواجس ظن خان والظن خوان
وشمنا بروقا للمواعيد أتعبت * نواظرنا دهرا ولم يهم هتان
فسرنا وما نلوى على متعذر * اذا وطن أقصاك آوتك أوطان
ولاوزاد الا ما انتشته من الصبا * أنوف وحازته من الماء أجفان
رحلنا سوام الحمد منها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حرب والمقادير أعوان
جفتنا بلاجرم كأن مودة * ثنى نحونا منها الاعنة شنآن
ولولم تفدنا سوى الشعر وحده * لحسن لنا ترعليه واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا * فيوجب للمكدى جفاء وحرمان
ولا نحن ممن يرتضى الشعر خطة * وان قصرت عن شأوناً فيه أعيان
ومن أوهمته غير ذاك ظنونه * فثم مجال للمقال وميدان

وغيرها مما أودع في زمزم وللناس في الاسباب تنازع في بدئها وتتمها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفى ذو المعرفة بالاشراف عليها عن كثير من مبسوطها في (ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وأخبارهم) * كان اول من تنسب اليه ملوكهم على حسب ماقدمنا في الباب الذى قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بهافريد بن دارا بن ساسان بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب ولاخلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل أردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذى خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من عرف فضل ما أتاه ونشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه الاوانا ساعون في اقامة منازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة وردما انخرم في سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فانى أعم بالعدل القوي والضعيف والدنيء والشريف وأجعل العدل سنة

حليلي من بعدي على زمن له * اذا ما قضى حيف على وعدوان
وهل ري من قبلي غريق مدامع * يفيض بعينيه الحيا وهو حران
وهل طرفت عين لمجد ولم يكن * لها مقلة من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد في برديه بدر وضيغم * وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان
من الغر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن الخواطر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى * هزبر بيمناه من السمر ثعبان
وهل دون ما قد شاد مقتدر لهم * ومؤتمن بالله لقياه ايمان
ألا ليس فخر في الورى غير فخرهم * والا فان الفخر زور وبهتان
فيا مستعينا مستغاثا لمن نبا * به وطن يوما وعضته أزمان
كسوتك من تظمي قلادة مفخر * يباهي بها جيد المعالي ويزدان
وان قصرت عما لبست فربما * تجاور در في النظام ومرجان
معان حكت غنج الحسان كأنني * بهن حبيب أو بطليوس بغدان
اذا غرست كفاك غرس مكارم * بأرضي أجنتك الثنا منه اغصان

(وقال) في وصف مجلس لابي عيسى بن لبون أحضر اليه ابن السيد منوها بقدره ما صورته وأحضره الى مجلس نام عنه الدهر وغفل وقام افرط أنسه واحتفل قد بانت صروفه ودنت من الزائر قطوفه وقال هلم بنا الى الاجتماع بمذهبك والاستمتاع بمعاشته من براعة أدبك فأقاموا يعملون كاسهم و يصلون ايناسهم وباتوا ليلتهم ما طرفهم نوم ولا عداهم عن طيب اللذات سوم ثم قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذي النون مجلسا رفعت فيه المنى لواءها وخلعت عليه اضواءها وزفت اليه المسرات أبكارها وفارقت اليه الطير أوكارها فقال يصف

لم تر عيني مثله ولا ترى * أنفس في نفسي وأبهى منظرا
اذا تردى وشيه المصورا * من حوك صنعاء وحوك عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا * خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الابريق حين قرقرا * قد أم لثم الكاس حين فغرا
وحشية ظلت تناغي جؤذرا * ترضعه الدر ويرنو حذرا
كأنما مج عقيقا أحمرا * أوفت من رياه مسكا أذفرا
أو عابد الرحمن يوما ذكرا * فنم مسكا ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذي من ظفرا * يقر به نال العلاء الاكبرا
لو أن كسرى راءه أو قيصرا * هلل اكبارا له وكبرا
تبدى سماء الملك منه قمرا * اذا تجاب المجد عنه سفرا
يا أيها المضني المطايا بالسرى * تبغي غمام المكرمات الممطرا

انتهى (وقال الفتح) في ترجمة الاديب أبي القاسم بن العطار ما صورته هو أحد أدباء اشبيلية ونحاتها

مشهورة وشريعة مقصودة وسيردون في سيرتنا الى ما تحمدونه عليه وتصدق أفعالنا أقوالنا ان شاء الله تعالى والسلام

(قال المسعودي) واردشير ابن بابك المتقدم في ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى ان ذلك من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة فكانت طبقات خاصته ثلاثا * الاولى الاساورة وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة اذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم * وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكون والمقيمون بباب أردشير والمرازبة وهم الاصبهبذية ممن كانت مملكة الكون في أيامه والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مأوف ولا مرمي بأبنة ولا ابن ذي صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا وكان أردشير يقول ما شيء أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذي معرفة

ونحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا مواصله راحاته ونعطيل بكره وروحاته ومواالاته للفرج ومعالاته في عرف الانس والارج لايعرج الا على عدة نهر ولا يبتهج الا بقطعة زهر لم يحفل بملام ولم يشتغل الا في طاعة غلام ماهيك من رجل مخلوع العنان في ميدان الصبابة مغرم بالحسان غرام يريد بحبابه لاتراه الا ردمه انهماك ولا تلقاه الا في لمة انهتاك رافع الرايات الهوى قارع الثنيات الجوى لايقمر فؤاده من كلف ولا يبيت الا رهن لف أكثر خلق الله تعالى علاقه واحضرهم لمشهد حلاقة مع جرالة تحرك السكون وتضحك الطير في الوكون وقد أثبت له ما ارتجله في أوقات انسه وساعاته ومن به أثناء دوراته وولوعاته فمن ذلك ماقاله في يوم ركب فيه النهر على عادات اكله ادمن وارتضاه لنعور اللذات وارتشافه

عبرنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله فيه

مررنا بشاطي النهر بين حدائق * بها حدق الازهار نحو رمق الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وله

هب الريح بالعشي فحاكت * زرد الالغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هدا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقوله

لله بهجة منزه ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح منه حسام

وله

لاكالعشية في رواء جمالها * وبلوغ نفسي منه أقصى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنى * والشمس قد شدت مطى رحالها
في حيث تنساب المياه أراقما * وعليك الافياء برد ظلالها

وله

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال في حلل الربيع وحليه * ومن الربيع تلائد ومطارف

انتهى (وقال الفتح) في ترجمة ابن عمار أخبرني ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز انه حضر معه عند المؤتمن في يوم حادت فيه السماء بهطلها وأتبعت وابلها طلها وارتقب رعدها برقها وانسكب درا كاودقها والازهار قد تجلت من اكمامها وبحات بدر غمامها والاشجار قد جلى صداها وتوشحت بنداها واكؤس الراح كأنها كواكب تتوقد تدبرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذا بفتى من فتيان المؤتمن أخرس لايفصح ومستعجم لايبين ولا يوضح متشمر تشمر الليث متشمر كالبطل الفارس عند العيث وقد أفاض على

خلاصة الشريف الاريب الحسيب صحيحة من معاشرة سخيف أوخالطة وضيع لانه كان النفس صلح على كذلك تفسد بمعاشرة الحسيس حتى قد حذر ذلك فيها وبرئها عن فصالها ويشفيها عن محمود شريف أخلاقها وكان الرشد اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيي به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالمنتن حملته فالمت به النفس وأضر بأخلاقها اضرارا نماؤه والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يجد ذو المعرفة في نفسه عند معاشرة السفلة الوضعاء شهرا فسادا له دهرا وكان اردشير يقول يجب على الملك أن يكون فائض العدل فان العدل جامع الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتحرمه وان اول مخايل الادبار في الملك ذهاب العدل منه وانه متى خفقت رايات الجور في ديار قوم كافحتها عقاب العدل ردها على العقب وليس أحد من يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الاخلاق وفضائل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحد من هذه الخلال هو مضطر اليها في

نفسه درعا تضيق بها الاسنة درعا وهو يريد استشارة المؤمن فى التوجه الى موضع بعثه اليه ووجهه وكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء آساده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه تبناه وأراد أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى والمدير فأمره المؤتمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وثابت مرامه بهجة ذلك المحيا واستنزلته سوره العقار من مرقب الوقار قال

وهو يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متأرج الحركات يندى عوده * كالغصن هزته الصبا بالمغلس
يسقى بكاس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر اللثام فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يمرح فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وأورد هذه القصيدة صاحب البدائع بقوله حضر أبو المطرف بن عبد العزيز عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى بنبل ودقه وحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعتادها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من أوراقها والراح قد اشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خدها سنا وتظلل بعرف حبابه اذ بفتى من فتيان المؤتمن قد أقبل متدرعا كالبدر احتجب سحابا والنجم قد اكتست حبابا وقد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع قد كان عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وبث سراياه فى ضواحى قلبه جد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يكون هو الساقى فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كميت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار وهو يته الخ الا انه قال اثر قوله اياك بادرة الوغى من فارس ماصورته * يضع السنان على العذار الاملس * انتهى

ولابن عمار الرائية المشهورة فى مدح المعتضد والد المعتمد وهى

أدر المدامة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره * وشيا وقلده نداه جوهرا
أو كالغلام زها بورد خدوده * خجلا وتاه بآسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا

والى أن يجتمع له مع ذوه الخاطر مايفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حال لا يحسن أن يجذب غيرها حسب ما يأتيه من حلائقه ويعلم من معانى لحظه واشاراته ما يعبر عنه على شؤونه ولا يكون نديما حتى يكون له جمال وجه وتمام جماله ونظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأما مروءته وكثرة ما ... على ... اطه الى ... وقار فى مجلسه ... صلاته وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة وترتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أرواح فأولها الوزراء ثم الموبذان وهو القائم بأمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ومعناها القوام بأمور الدين فى سائر المملكة والقضاة المنصوبون للاحكام وجعل الاصبهذين أربعة الاول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الاربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الاربعة ورتب أردشير الطبقات الاربعة من أصحاب التدبير ومن البهم ... الملك ... ور المشوره فى ايراد الامور واصدارها ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وتهزه

ونبهه ريح الصبا فتخاله * سيفا ابن عباد يدعه مكسرا
عباد المخضر نائل كفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لايردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ فى الاجفان من سنة الكرى
يختار اذيهب الحريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
قداح زند المجد لاينفك من * نار الوغى الاالى نار القرى
لاخلق أقرأ من شفار حسامه * ان كنت شبهت المواكب أسطرا
أيقنت أنى من دراه بجنة * لما سقانى من نداه الكوثرا
وعلمت حقا أن ربعى مخصب * لما ألث به الغمام الممطرا
من لاتوازنه الجبال اذا احتبى * من لاتسابقه الرياح اذا جرى
ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * تنبو وأيدى الخيل تعثر فى الثرى
فاذا الكتائب كالكواكب فوقهم * من لامهم مثل السحاب كنهورا
من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا
ملك يروقك خلقه أوخلقه * كالروض يحسن منظرا أومخبرا
أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته فى بردتيه مصورا
وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته فى راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الغنى من كفه * وجنت به روض السرور منورا
حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجد أوأموت فأعذرا
ياأيها الملك الذى حاز العلا * وحباه منه بمثل حمدى أنورا
السيف أفصح من زياد خطبة * فى الحرب ان كانت يمينك منبرا
مازلت تغنى من عنا لك راجيا * نيلا وتغنى من عتا وتجبرا
حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا اليهود وان تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا
واليكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نورا
نمقتها وشيا بذكرك مذهبا * وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا
من ذا ينافحنى وذكرك مندل * أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم مدحى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا انتهى

*(وقال فى ترجمة عبدالجليل بن وهبون المرسى) ركب باشبيلية زورقا فى نهرها الذى لاتدانيه الصرات ولايضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت فى ظلمتها ولم يبد وضح فى دهمتها

وذوى الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك من طرأ بعده من ملوك آل ساسان الى بهرام جور فانه قرر مراتب الاشراف وأبناء الملوك ونسبوت المرازبة والنساك والزهاد وطبقات العلماء بالديانة وتواتح المهن الموسيقية على حاله وغير طبقات المغنين ورفع من كان بالطبقة الوسطى الى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة الى الوسطى ورتب المراتب على حسب الحظا بالمطرب له منهم وأفسد ما رتبه أردشير بن بابك فى طبقات الملهين فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك حتى ورد كسرى أنوشروان فرد مراتب المغنين الى ما كانت عليه فى عهد أردشير بن بابك *وقد كانت ملوك الاعاجم نغها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء وكان بين الملك وبين أول الطبقات عشرون ذراعا وان الستارة التى على الملك تكون منه على عشرة أذرع ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من أبناء الاساورة يقال له خرم باش فاذا غاب هذا الرجل وكل به آخر من أبناء الاساورة وذوى التحصيل وسمى بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن رتب فى هذه المرتبة ووتب هذا الموقف وتفسير ذلك كن فرحا مسرورا وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقره أمر رجلا أن يرتفع على أربع

و بين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللجة وزاد في تلك البهجة فقال

كأنما الشمعتان اذ سمتا * جيد غلام محسن الغيد
وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدي

وكان معه غلام البكري معاطيا للراح وجاريا في ميدان ذلك المراح فامتاح عبد الجليل بماجاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال

اعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجني بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهو بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج تحت الماء أضوأ منهما * كالبرق يخفق في غمام سماء

*(وقال الفتح رحمه الله) دعيت يوما الى منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية وهي منتهى الجمال ومزدهى الصبا والشمال على وهي بنائها وسكنى الحوادث برهة بفنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازرار الذهبية أثوابه يخترقه جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الايم في الطلول وضفتاه بالادواح محفوفة والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول علي بن أحمد أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من وزرائها

قم فاسقني والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر
في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر
والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر
والنهر مثل المجرة حف به * من الندامى كواكب زهر

فحللت ذلك المجلس وفيهم أخدان كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقمنا ننعم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظللنا بليلة كأن الصبح منها مقدود والاغصان تميس كأنها قدود والمجرة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجو زهرا والثريا كأنها راحة تشير وعطارد لنا بالطرب يشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث الى أن أفضى بنا الى ذكر متنزهنا بالامس وما لقينا فيه من الانس فقال لي ما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب وسلب الزمان بهجته وانتهب وباد فلم يبق الا رسمه ومحاه الحدثان فما كاد يلوح وسمه عهدي به عندما فرغ من تشييده وتنوهي في تنسيقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في وقت حلت فيه الشمس برج شرفها واكتست فيه الارض بزخرفها فحللت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله قاطفه والمدام تطلع به وتغرب وقد حل به قحطان ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كاسها درا وعقيقا فأقمنا والشهب تغازلنا وكأن الافلاك منازلنا ووهب المنصور في ذلك

وكان في دار الملك فيرفع ذلك تجاسر في هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان ذلك تعلمهم في يوم جلوس الملك للهو والطرب في أخذ الندماء مراتبهم منافقة أصواتها غير مشيرة بشيء من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس *وكور أردشير ابن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد في أيدي الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى طاعته زهد في الدنيا وتبين عوارها وما هي عليه من الغرور والعناء وقلة الملك وسرعة الغيلة منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها غرارة ضرارة خاتلة زائلة بائدة ما اعذوذب منها جانب لامرئ وحلا الا أمر منها عليه جانب ورأى أن من بني قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عددا قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فآثر التفرد عن المملكة والترك

تقشير نه ويعرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول يا لسان احفظ رأسك

ذلك اليوم ما يزيد على عشرين القامن صلات متصلات واقطع شيء عاتم نوجع لذلك العهد
وافصح بما بين ضلوعه من الوجد وقال

سقيا المنزلة اللوى وكثيبها * اذلا أرى زمنا كأزماني بها انتهى

(وما أحسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك) يصف نزهة ببعض منتزهات الاندلس المونقة
وبذكر استضافته فيها بشموس المسرة المشرقة وهو أطال الله سبحانه بقاء ناصر الدولة ومحيي
الملة الذى حسن بأفياء العيش وبرن بمحياه الجيش ورواق ابمه الملك وزن سعد
الملك وأنار به الليل الدامس ولاح له الاثر الطامس وجرى الدهر لسطوته خاضعا
وغدا السعد بعقوته طائعا والزمان بيرود عليائه ملتحف والثغور برداء نرتدف ولا زال
للسعد بتملكه والسعد بحمله فلكه أما وقد وافقنى أيامه أيده الله سبحانه وفاقا ورأيت
للبيان عنده نفاقا فلا بد أن أرسل كتائبه أفواجا وأفيض من بحره أمواجا وأصف ما شاهدته
من انفراده وعاينته من حسن ايراده واصداره عنال افصح من شكوى المحزون وأملح
من رياض الحزون وقد كنت أيدكم الله تعالى كلفا بالدول وبها تها لهجا بالبلوغ الى
انتهائها لاجد دولة أرتضيها وحظوة عليائه أقتضيها فكل ملك فاوضته سرا وجهرا
وكل ملك قلبته بطنا وظهرا والنفس تصدعنه صدود الجبان عن الحرب والملائكة الكرام
عن الشرب الى آن حللت لديه ووصلت بين يديه فقلت الآن أمكن من راح البغية
الانتشاء وتمثلت الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء ومازلت أسايره حيث سار وآخذ اليمين تارة وتارة اليسار وكل ناحية تسفر لى عن خد
روض ازهر وعذار نبت أخضر وتبسم عن ثغر حباب فى نهر كالحباب وترفل من الربيع
فى ملابس سندسيات وتهدى النوافح مسكيات ونرهى بجنتها بأحسن منظر
وتتيه بجلباب أينع من برد الشباب الانضر فجلنا فيها يمينا وشمالا واستخبرنا عن أسرارها
صبا وشمالا ثم مال بنا أيده الله تعالى عن هذه المسارح السنية والمنازل البهية الى
احدى ضياعه الحالية وبقاعه العالية فحللناها والايام قد عرى من جلبابه واليوم قد
اكتهل بعد شبابه فنزلنا قصورا يقصر عنها جعفرى جعفر وقصور بنى الاصفر تهدى
من لبانها بردا محبرا وتندى من شذاها مسكا وعنبرا وقد لاحت من حوانيها نجوم أكواس
لو رآها أبو نواس لجعلها شعاره ووقف على نعتها أشعاره ولم يجد سواها خمرة ولا نبه
خماره بعد هجعة فتعاطيناها والسعد لنا خادم ومامير السرور علينا قادم وخدود سقاتها
قد اكتست من سناها وقدودهم تميل علينا بجناها ونحن بين سكر وصحو وانبات
ومحو واصاخة الى بم وزير والتفاتة الى ملك ووزير الى أن ولى النهار بحدنا وأقبل
الليل المميت فأحيانا فوصلنا لهوا وقصف وعيش يتجاوز كل وصف فكأن يومنا متيم
أوكأن ليلنا من الظلام عقيم ولما سل الفجر حسامه وأبدى لعروس الليل ابتسامه وجاء
يختال اختيالا ويعوم من بقايا الليل نبالا قمنا نتنادب للمسير وكلنا فى يد النشوة أسير
فسرنا والملك الاجل يقدمنا والايام تخدمنا ولا زالت الايام به راهية وعن سواه لاهية
ما عمر وكر اعقاب وكان للشهور غرر واعقاب انتهى * (وقال الفتح فى ترجمة الراضى

اخ جهرزاد أبه رآه أرجح
ولده حلما وأكثرهم علما
وأشدهم بأسا وأجزلهم
مراسا فعاش بعد ذلك فى
حال زهده وخلوه بربه
وكونه فى بيوت النيران
سنة وقيل شهرا وقيل
أكثر مما ذكرنا * وأقام
أردشير اثنتى عشرة سنة
يحارب ملوك الطوائف
حتى صفت له المملكة
الا كرهبة من صولته
ومنهم من سمع عليه بالسير
الى داره وبابى عليه وكان
آخر من قتل منهم ملكا
للنبط ناحية سواد العراق
اسمه بابا بن برباصاحب
قصر ابن هبيرة ثم أردوان
الملك وفى هذا اليوم سمى
شاهنشاه وهو ملك الملوك
* وأم ساسان الاكبر من سبايا
بنى اسرائيل وهى بنت
ساسان * ولاردشير بن
بابك أخبار فى بدء مملكته
مع زاهد من زهادهم وانتقاء
ملوكهم يقال له تنسر وكان
افلاطونى المذهب على
رأى سقراط وأفلاطون
أعرضنا عن ذكرها اذ كنا
قد أتينا على جميع ذلك
فى كتابنا أخبار الزمان
وفى الكتاب الاوسط
مع ذكر سيره وفتوحه وما
كان من أمره * ولاردشير
ابن بابك كتاب يعرف بكتاب الكارنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره فى الارض وسيره * وكان مما حفظ من وصية أردشير

بالله أبي خالد يزيد بن المعتمد بن عباد) بعد كلام ما صورته وأخبرني المعتمد بالله ان أبا المعتمد وجهه يعني الراضي الى شلب واليا وكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التي عمر نجودها غلاما وتذكر عهودها أحلاما وفيها يقول يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها

الاحي أوطاني بشلب أبا بكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدري

وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراق مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين بكره وروحاته أيام لم تحل عنه تمائمه ولا خلت من أزاهير الشباب كمائمه وكان يعتدها منتهى آماله ومنتهى أعماله الى هيجة جنباتها وطيب نفحاتها وهباتها والتفاف خمائلها وتقلدها بنهرها مكان حمائلها وفيها يقول ابن اللبانة

أما علم المعتمد بالله انني * بحضرته في جنة شقها نهر

وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

فلما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل المعتمد عليه مشرفا لاوبته ومعرفا بسمو قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده مستريحا وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجدا على الراضي فخالت الحميا أفقه ومحت غيظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوه وذكرته بعده فجنح الى دنوه وبين ما استدعى وأوفى مالت بالمعتمد نشوته وأغفى وألفاه صريعا في مبتداه طريحا في منتهى مداه فقام تجاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده

الآن تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد معل

ويورق للعز غصن ذوى * ويطلع للسعد نجم أفل

فقد وعدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل

دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل

كما يستطير لحب الوغى * اليها وفيها القنا والاسل

أبا ملك كالأمر نافذ * فمن شاء أعز ومن شاء أذل

فلا غرو ان كان منك اغتفار * وان كان من ابنيك زلل

فذلك هو والذي لم يجد * عاد بحلم على من جهل انتهى

(وقال في ترجمة المتوكل على الله ابن الافطس ما صورته) واخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون أن الارض توالى عليها الجدب بحضرته حتى جفت مذاهبها واغبرت جوانبها وغرد المكاء في غير روضه وخاض الياس بالناس أعظم خوضه وابدت الخمائل عبوسها وشكت الارض للسماء بوسها فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو واظهر الخشوع واكثر السجود والركوع الى ان غيم الجو وانسجم النو وصاب الغمام وترنمت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجود والاغوار واتفق ان وصل ابو يوسف المغنى والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتتوجت الغيطان والربا وارجت

قال سابور عند نصبه ابنه للملك أن قال له يا بني ان الدين والملك أخوان ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك والملك حارسه وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع وكان يحفظه يكاتبه أعني أردشير الى خواص من رعيته وعماله من أردشير بن بهمن ملك الملوك الى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساورة الذين هم حماة الحرب والى الحراث الذين هم عمرة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا اتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحتكروا فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى تردوا غدا في المعاد وتزوجوا في الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا للدنيا فانها لا تدوم لاحد ولا تهتموا فيها فلن يكون الا ما شاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها * وكتب أردشير الى بعض عماله بلغني أنك تؤثر اللين على الغلظة والمودة على الهيبة والجبن على الجراءة فلا يشتد أولك ولا يلين آخرك ولا تخلين قلبك من هيبة ولا تعطله من مودة ولا يبعد عليك ما أقول فانهما نفعات

نفحات الصبا والمتوكل مافض لتوبته ختاما ولا قوض عن قلبه منها خياما فكتب اليه

الم ابو يوسف والمطر * فياليت شعري ما ينتظر
ولست بآب وانت الشهيد * حضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعي وسط تلك السما * ء بين النجوم وبين القمر
وركضي فيها جياد المدا * م محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه مركوبا وكتب معه

بعثت اليك جناحا فطر * على خفية من عيون البشر
على ذلك من نتاج البروق * وفي ظل من نسج الشجر
فحسبي ممن نأى من دنا * ومن غاب كان فدا من حضر

فوصل القبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فاقام مصاحبا قال عدي بن زيد فيها مصطبحا

في قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

وهم من السرور يوم ما رأته عين ولا تصور قبل عيونهم لعين واخبرني انه سايره الى شنترين قاصية أرض الاسلام السامية الذرا والاعلام التي لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف لانها متوعرة المراقي معورة للراقي متمكنة الرواسي والقواعد من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت على خمائلها اطلال العروس من منصتها واقتطعت من الجو أكثر من حصتها هروا بانهر قطر سالت به جداوله واختالت فيه خمائله فما يحول الطرف منه الا في حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مقانا قاضي حضرته وأنزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وانعاما وعندما طعموا قعد القاضي بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياء منه لا تجول ولا تمرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقي ابن خيرون منتظرا له وقد أعد لحلوله منزله فسار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نواره وخجلت خدود ورده من زواره وأبدت صدور أباريقه أسرارها وحمت عليه المحاسن أزرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وأرجت له رياحينه وجه من رقيب المتوكل حتى يقوم جليسه ويزول موحشه لا أنيسه فأقام رسوله وهو عكانه لا يريمه قد لازمه كانه غريمه فما انفصل حتى ظن أن عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل بقطيع راح وطبق ورد وكتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد خبا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها منه رحمه الله تعالى وعفا عنه وكتب اليه

قد وصلت تلك التي زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب
فهب حتى سنرد ذاهبا * من انسنا ان اسرد ذاهب

و ذات له حروب مع كثير من ملوك العالم في كورا ومصر مدنا مدنا بها نسبت من الكور والمدن الى آبائه والعرب تسميه سابور الجنود وفي زمنه ظهر ماني وقال بالاثنين فرجع سابور الى المجوسية الى مذهب ماني والقول بالنور والظلمة ثم عاد بعد ذلك الى المجوسية ولحق ماني بارض الهند لاسباب أوجبت ذلك قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكتب ملك الروم الى سابور بن أردشير اما بعد فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسلك فيه طريقتك وأركب منهاجك فكتب اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم أخلف وعدا ولا وعيدا قط وحاربت للغنى لا للهوى واجتذبت قلوب الناس ثقة بلا كره وخوفا بلا مقت وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا استكثف رجلا فأسس رزقه ووثق بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان نعل وطأته على اهل العناد ان

مركب اليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما الا برسم السهر ولا يشيمان برقا الا الكاس والزهر (ثم قال) بعد كلام وأخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية انه مر في بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برود الخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهره تتيه على الكواكب وتختال في خلع الغمام السواكب فارتاح الى الكون به بقية نهاره والتنعم ببنفسجه وبهاره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ونجوم سمائه

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * ما لم تكن حاضرا لدينا

(وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح صاحب المرية) وأخبرني الوزير أبو خالد بن بشتغير انه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويلتوي في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس فقال

انظر الى حسن هذا الماء في صببه * كأنه أرقم قد جد في هربه

فاستبدعوه وتمموه وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأعرب بما ظهر من بشره وأبداه ثم قال بعد كلام وخرج الى برجة ودلاية وهما منظران لم يجل في مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدائق تهدي الارج والعرف ومناظر تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيهما أياما يتدرج في مسارحها ويتصرف في منازهها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأوفت عليها أي انافة (وقال في ترجمة ابن رزين ما ملخصه) أخبرني الوزير أبو عامر أنه اصطبح يوما والجو سماكي العوارف لازوردي المطارف والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتفيهم ومبراته تشافههم وتوافيهم والراح تشعشع وماء الاماني ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت في ودي مسرا ومعلنا
فلو تسأل الايام من هو مفرد * بود ابن عمار لقالت لها أنا
فان حالت الايام بيني وبينه * فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

ولما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعاني والفصول فقال أحد الحاضرين اني لا عجب من قعود ابن عمار عن هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذا اعتذر لانه يعاني قوله ويعله ويرويه ولا ينحله ويغوله في المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اخلال لادبه واخلال لمنازله في الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو

هصرت لي الآمال طيبة الجنى * وسوغتني الاحوال مقبلة الدنى
وأنبتني النعماء أغض من الندى * وأجمل من وشي الربيع وأحسنا

فان وقع أمره على ما رسمت قوله عرضك وأوجب زيارته عليك وان خاص عن امرك علقته بحبلك واصفقت بالعفو يده على يدك والسلام * وعهد سابور الى ابنه هرمز بالملك من بعده فقال اجعلوا ابدالا احلالكم كعلو اخطاركم وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وسبعين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعده سابور ابنه هرمز) بن سابور الملقب بالبطل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رام هرمز من كور الاهواز * وكتب الى بعض عماله لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يتيقن به عند موارد الامور وحقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصتها وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر جوائحها وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تدبير الاموال في حقها (ثم ملك بعده بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد كربا وكم

وكم ليلة أحظيتني بحضورها * مع سمير الأسماء والسنى
أعلل نفسي بالمكارم والعلا * وأدني وكفي بالعفو بالعلى
سأدمن بالتطويل ذكرك كلما * تعاورت الأسماء غيرك والكنى
لأوسعتني قولاً وطولاً كلاهما * يطوق أعناقاً ويخرس ألسنا
وشرفتني من قطعة الروض بالتي * تناثر فيها الطلع ورداً وسوسنا
رووق بها الملك عقداً مرصعاً * وزهو على عطفيه برداً مزينا
فدم هكذا يا فارس الدست والوغى * لتطعن طوراً بالكلام وبالقنا

(وأخبرني الوزير ابن سعدون) أنه اصطبح يوماً بخضرته والأرض قد درست والربيع على وجه الأرض ترس وقد نص على الغمام الأزهار في أدهم بها وجعلها ما روى عنها ذكر هاله

هذي الثلاث لا يسطيع ملك النظم والنثر * فات مليك الأرض وأصل الأمر
مزيد لذلك العمر فانهل صوبها * كما سكبت وطفاء أو سكب البحر
وجاء الربيع الطلق يبدي نضارة * تحييك منه الشمس والروض والنهر

إلى أن قال ثم توجه به إلى روضة قد أرجت نفحاتها وتدبجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأفصحت حمامها وحرت جداولها كالبواتر ورمقت أزهارها كالعيون الفواتر وأقاموا يعملون أكوابهم ويشتملون أثوابهم فقال ذو الرياستين

وروض كساه الطل وشياً مجدداً * فأضحى مقيماً للنفوس ومقعدا
إذا صافحته الريح خلت غصونه * رواقص في خضر من العصب ميدا
إذا ما انسكاب الماء عاينت خلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وإن سكنت عنه حسبت صفاءه * حساماً صقيلاً صافي المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم بيننا * غناء فسيك الغريض ومعبد
فلا تجعون الدهر ما دام مسعدا * ومد إلى ما قد حباك به يدا
وخذها مداماً من غزال كأنه * إذا ما سقى بدر تحمل فرقدا

إلى أن قال وأخبرني الوزير ابن سعدون أنه كان معه في منية العيون في يوم مطرز الأديم ومجلس معزز النديم والأنس يعازلهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر أحد الحاضرين سكراً مثل له ميدان الحرب فهل عليه مشروع الطعن والضرب فطلب مجالس الأنس حرباً وقتالاً وطلب الطعن وحده والنزالا فقال ذو الرياستين

نفس الذليل تعز بالجريال * فيقاتل الأقران دون قتال
كم من جبان ذي افتخار باطل * بالراح تحسبه من الأبطال

*(وقال في ترجمة ابن طاهر ما صورته) وجئته يوماً وقد وقفت بباب الخنش فقال لي من أين فأعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لي كنت أخرج إليه في أكثر الليالي مع الوزير الأجل أبي بكر يعني ابن عبد العزيز إلى روضته التي ودت الشمس أن يكون منها طلوعها وود المسك أن تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام

وقيل إن الزنادقة أصحابه وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة الذي إليه أضيفت الزنادقة وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحاً سماه البازند على حسب ما قدمنا وكان الزند بياناً لتأويل المتقدم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندي فأضافوه إلى التأويل وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا زنديق وعربوه والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم (ثم ملك بعده بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك وأدمن في أول ملكه على العصف واللذات والصيد والنزهة لا يفكر في ملكه ولا يستشرف

أمور رعيته وأضاع الضياع لخواصه ومن لا دين له من خدمه وحاشيته فخربت الضياع وخلت من عمارة

والناس قد انتشروا في جوانبه وقعدوا على مذانبه وفي سافيته الكبرى دولاب يئن كناقة ترحوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت عليه ليلة والمتنبي الجزيري واقف وأمامه ظبي آنس تهيم به المكانس وفي أذنيه قرطان كأنهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان والمتنبي يقول

معشر الناس بباب الحنش * بدر تم طالع في غبش
علق القرط على مسمعه * من عليه آفة العين خشي

فلما رآني أمسك وتبسم كأنه تنسك * (وقال في ترجمة ابن عمار ما صورته) وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجروا من اتقانه الى غاية وأمد وأبدع بناؤه وعمت ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار الانشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فحله ابو بكر بن عمار على اثر بوسه وابتسم له دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسقته صفوها وبات فيه مع لمة من أتباعه ومتفيئ رباعه وكلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل باس فطابت له ليلته في مشيده وأطربه الآس ببسيطه ونشيده فقال

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي * عنبر أشهب ومسك أحم انتهى

وعبر صاحب البدائع عن هذه القصة بقوله تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بني أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه ورصفوه وأجروه على ارادتهم وصرفوه وذهبوا سقفه وفضضوها ورخموا أرضه وروضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع آبنوس الظلام نضار الشفق قال مرتجلا كل قصر بعد الدمشق يذم الخ انتهى * (وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي عيسى بن لبون) أخبرني الوزير ابو عامر بن الطويل انه كان بقصر مربيطر بالمجلس الشرقي منها والبطحاء قد لبست زخرفها ودبج الغمام مطرفها وفيها احداق نرجس ترنو عن مقل نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء وراع أفئدة الندماء فقال

قم يانديم أدر على القرقفا * أوما ترى زهر الرياض مفوّفا
فتخال محبوبا مدلا وردها * وتظن نرجسها محبا مدنفا
والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

الى أن قال وشرب مع الوزراء الكتاب ببطحاء لورقة في عشية تجود بدمائها ويصوب عليها دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودرها نرجسها والشمس تنفض على الربا زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن تسكب أحيانا وتحدر

سكنوا الضياع المعمورة فقلت العمارة الا ما اقطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج بعمايلة وزراء خواص الملك وكان تدبير الملك متوضعا الى وزرائه فخربت البلاد وقلت العمارة وقل ما في بيوت الاموال ودفع القوي من الجنود وهلك الضعيف منهم فلما كان في بعض الايام ركب الملك الى بعض متنزهاته وصيده مع الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة قمراء فدعا بالموبذان لامر حضر بباله فلحق به وسايره وأقبل على محادثته مستخبرا عن سير أسلافه فتوسطوا في مسيرهم خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مملكته ولا انيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك للموبذان أترى أحدا من الناس أعطي فهم منطق هذا الطير المصوت في هذا الليل الهادي فقال له الموبذان انا أيها الملك ممن قد خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه الملك عما قال وعلمه ان قوله صحيح فقال له فما يقول هذا الطائر وما الذي يقول الآخر قال الموبذان هذا بوم ذكر يخاطب بومة ويقول لها أمتعيني من نفسك حتى يخرج منا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذي

والارض

والارض مصفرة بالشمس كاسية * أبصرت تبرا عليه الدر ينتثر

*(وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي بكر بن رحيم ماصورته) ووصل هو وابن وضاح صهر المرتضى وابن جمال الخلافة صاحب صقلية الى احدى جنات مرسية فحلوا منها في قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد فأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون في المؤانسة طريقهم اذا بالجناني قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع وما منها نظرة الا ومعها سهم واقع فاستدعى فحما وكتب في احدى زوايا القبة

قادنا ودنا الليث فجئنا * بنفوس تفديك من كل بوس
فنزلنا منازلا لبدور * وحللنا مطالعا لشموس

*(وقال في ترجمة الوزير الكاتب أبي محمد بن عبدون ماصورته) حللت بابرة فازاني والبها بتصرها ومكنني من جني الاماني وهصرها فأقمت ليلي أجر على المجرة ذيلي وتتطارد في ميدان السرور خيلي فلما كان من الغد بكر الى الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبي عنه متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه في كوني لديه ثم انصرف وقد أخذني من يديه فحللت عنده في رحب وهمت على من البراءة ارسحب في مجلس كأن الدراري فيه مصفوفة أو كأن الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافي وكثر سالي الى مالي واستشرافي ركب معي الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فانخنا عليها أيدي عيسنا ونلنا منها ما شئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمي وسددت الى غرض الرحلة سهمي أنشدني

سلام يناجي منه زهر الربا عرف * فلا سمع الا ودلو أنه أنف
حنيني الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعي التي أقفو

ثم سرد القصيدة الى أن قال وله رحمه الله تعالى

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لي بها من معان فصاح
وحلى أكاليل تلك الربا * ووشى معاطيف تلك البطاح
فلم أنس لم أنس عهدي بها * وجري فيها ذيول المراح
ونومي على حبرات الرياض * يجاذب بردي مرالرياح
ولم اعط امر النهى طاعة * ولم أصغ سمعي الى قول لاح
وليل كرجعة طرف المريب * لم ادر له شفقا من صباح

(وقال) في ترجمة الوزير أبي محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده بيتيه البديعين اللذين هما

لا تلمني بأن طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الشان أن تشق القلوب

ماصورته وخرجت باشبيلية مشيعا لاحد زعماء المرابطين فالفيته معه مسايرا له في جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرس أمير المسلمين أدام الله تعالى تاييده الذي ينزله عند حلوله باشبيلية وهو موضع مستبدع كأن الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كما وشت البرد يد راقم وزهر يحسد الملك رباه ويتمنى الصبح أن

دعوتني اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في العاجل والآجل الا اني أشرط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ما دعوتني اليه فقال لها الذكر وما تلك الخصال قالت أولها ان أنا زوجتك نفسي وصرت الى ما اليه دعوتني تضمن لي أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذي قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك مما خرب من الضياع ألف قرية فما تصنعين بها قالت في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر أمر طلبتيه مني وقدمت لك الوعد وأنا ملئ بذلك فهاتي ما بعد ذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وخلا بالموبذان فقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه على ما أغفله من أمور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ما هذا الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكنا وبعثتني على علم ما كنت عنه غائبا قال الموبذان وصادفت من الملك السعيد

بمرآة شيبان وصف سلام وسيم من سلمانه نوره ومد يده الى وهى فى كمه فعزم على أن أدنو بشانى وصفه فقلت

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كفه من رائق النور كوكب

قال أبو محمد

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجىء على مثل الكثيب ويذهب

(وقال فى ترجمة الوزير أبى القاسم بن السقاط بعد كلام كثير ما صورته) وحملنا الوزير القاضى أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك وجماعة من أعيان تلك الممالك فحللنا بضيعة لم يحت الحل أثلها ولم ترمق العيون مثلها وحللنا بها فى أكناف جنات ألفاف قد نشأت من دوحة أفياء وغصن يميس كعطفى هيفاء وماء ينساب فى جداوله وزهر يضمخ بالمسك راحة متناوله ولما قعدنا من تلك الحدائق أرائكها واقتعدنا منها أتراكها عرنا فملنا الى موضع المقيل وبرلماء ازه تزرى بعذره جديمة مع مالك وعقيل وقد وصلنا الى من أحد الأصحاب تقصير فى المبرة عرض لى منه تكدير لتلك العين الثرة وأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم عدلت عنهم الى الاضطجاع والنوم والسحب قد ضفت الأرض والسماء قد نسجت بحوها وقم دوها والغمام منهمل والثرى من سقياه ثمل فبتنا بحميه وأضحى برد لم يزل يتمه ويوشيه وأنشدنى

يوم تجهم فيه الأفق وانتثرت * مدامع الغيث فى خد الثرى هملا

رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك فى الأخلاق ممتثلا

(وقال فى ترجمة الوزير القاضى أبى الحسن بن أضحى ما نصه) وكان لصاحب البلد الذى كان يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صوره وكانت محاسن الأفعال والأقوال عليه مقصورة مع ما نشأت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا بقرية على ضفة نهر أحسن من سلك مهر تشبهها حداق كالعذار ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضر لنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الإكرام والإنعام ما لا يطاق ولا يحد وينحصر بن بعضه العد وفى أثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتمدته وملام أحددته فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ما عهدته من الانابة وكتبت اليه مداعبا مراجعنى بهذه القطعة

أتتنى أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف فى الخطرات

فأعربت عن وجد كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات

غزال أحم المقلتين عرفته * بخيف منى للحسن أو عرفات

رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذى فتكات

وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات

تعرب بالنساك فى كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات

ثم قال له الملك أيها الناصح كشف لى عن هذا الغرض الذى اليه رميت والمعنى الذى له قصدت وأردت والى من تقول وأنا أوله أيها الملك ان ... الملك لا عز له الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا دوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك قال الملك سمعت ووعيت وأبن لى ما قصدت وأوضح لى البيان قال الموبذان نعم أيها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال وأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم فعمدوا الى ما يعجل من غلاتها واستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقى من أرباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم وخلوا عن ديارهم وأووا الى ما تعذر من الضياع وكانت

وكانت له حيان مثوى فأصبحت * صلوعك مثواه بكل فلاة
يعز علينا أن تهيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

*(وقال فى ترجمة اديب الاندلس وشاعرها أبى اسحق بن خفاجة بعد كلام ما صورته) وقال يندب معاهد الشباب ويتفجع لوفاة الاخوان والاحباب بعد ان جال أقطار الاندلس وعاد الى الديار فوجدها آثارا وقضى عليها وهيا وانتثارا

ألا عرس الاخوان فى ساحة البلى * وما رفعوا غير القبور قبابا
بدمع كما سح الغمام ولوعة * كما ضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتنى فى الديار عشية * تلذذت فيها جيئة وذهابا
أكر بطرفى فى معاهد فتية * ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفى بين وجد وفرقة * أنادى رسوما لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طورا بعبرة * أخط بها فى صفحتى كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما ويبابا
وحسبى شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء وأشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلنى هذه الديار المندوبة وهى كعهدها فى جودة مبناها وعودة سناها فى لبنها كتحلما طالما مها اتخذا وشوقنا اليها به وسنا كذا ولم يزل ذلك الانس يبسطه والسرور ينشطه حتى نشر لى ما طواه وبث مكتوم لوعته وجواه وأعلمنى بلياليه بها مع اترابه وما قضى بها من أطرابه انتهى ما وقع عليه اختيارى من كلام أبى نصر الفتح بن عبيد الله رحمه الله تعالى فى وصف بعض منتزهات الاندلس البديعة ورياضها المونقة المريعة وما أحسن رسالة مختصرة كتبها مهنئا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله تعالى من التمكين الذى أيده به ونصره وقد جود أوصافه واستطرد منها الى ذكر الناصر وولده الحكم اللذين عمرا الزهراء والرصافة ونصها أدام الله تعالى أيام الامير للارض يتملكها ويستدير سعده فلكها وقد استبشر الملك أيدك الله وحق له الاستبشار بقدومك اليه السعد وأشار بما فوله من توليتك وحتى عليه من ألويتك فلندحى منك بملك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يتقدم حيث يتأخر الذابل ويتكرم اذا بخل الوابل ويحمى الحمى كربيعة بن مكدم ويسقى الظبا نجيعا كلون العندم فهنيئا للاندلس فقد استردت عهد خلفائها واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفائها فيا أن لم تمت أعاصرها ولم يمت حكمها ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ونكحا عقائل الروم وما بذلا لغير المشرفية مهرا والله سبحانه أسأله اظهار أيامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أجمل من عصرهم ونصرك أغرب من نصرهم بمنه وكرمه ويمنه *(وقال رحمه الله تعالى فى ترجمة الفقيه القاضى الحافظ أبى محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ما صورته) ومررنا فى احدى نزهتنا بمكان منفر وعن المحاسن مسفر وفيه بكير برجس كأنه عيون مراض يسيل وسطه ماء رضراض بحيث لا حس الا للالهام ولا أنس الا ما يتعرض للاوهام فقال

بأربابه فسكنوه فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام فى موضعه ذلك ثلاثا وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضرت الجرائد فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة والحاشية وردت الى أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا فى العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامر بنفسه فى كل وقت من الزمان وينظر فى أمر خواصه وعوامه فحسنت أيامه وانتظم ملكه حتى كانت تدعى أيامه أعياد المآتم الناس من الخصب وشمولهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام ابن الملك ابن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسى بن بهرام) على ما ذكرنا من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز) بن نرسى بن بهرام على ما ذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى

نرجس باكرت فيه روضة * لذ قطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا * رقص النبت لها ثم شرب
فهو دايما يرعى وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت لمع الشمس فى مشرفه * لهبا يخمد منه فى لهب
وبياض الطل فى صفرته * نقط الفضة فى خط الذهب

انتهى وسيأتى ان شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الاندلس ومنتزهاتها وما اشتملت عليه من المحاسن فى كلام غير واحد ممن يجرى ذكره فى هذا الكتاب وخصوصا أديب زمانه غير مدافع من اعترف له أهل الشرق بالسبق وأهل المغرب بالابداع المغرب النور أبو الحسن على ابن سعيد العنسى فانه لما اتصل بمصر ودخلها اشتاق الى تلك المواطن الاندلسية الرائقة ووصفها بالقصائد والمقطوعات الفائقة وقد أسلفنا أيضا فيما مر من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الاندلس فليراجع فى محله من هذا الكتاب قلت وماذا عسى أن نذكر من محاسن قرطبة الزاهرة والزهرا ونصف من محاسن الاندلس التى تبسم بكل موضع منها طلا فضيا ونهرا وزهرا ورحم الله تعالى اديبها المشهور الذى اعترف له بالسبق الخاصة والجمهور أبا اسحق بن خفاجة اذ قال

يا أهل أندلس لله دركم * ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد الا فى دياركم * ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

ويروى مكان قوله ولو تخيرت هذا كنت أختار ما مثاله وهذه كنت لو خيرت أختار ومكان لا تختشوا لا تحسبوا وكذا رأيت بخط الحافظ التنسى والاول رأيته بخط العلامة الوانشريسى رحمهما الله تعالى * وحكى ان الخليل لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب أبى عنان فارس ابن السلطان أبى الحسن المرينى انشد بحضرة السلطان المذكور أبيات ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال السلطان أبو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنة الخلد وأنه لو خير لاختارها على ما فى الآخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا أقل من الكذب والاغراق وان جرت عادة الشعراء بذلك الاطلاق فقال الخليل يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاد والنبى صلى الله عليه وسلم الرؤف الودود الرحيم العطوف يقول الجنة تحت ظلال السيوف فاستحسن منه هذا الكلام ورفع عن قائل الابيات الملام وأجزل صلته ورفع منزلته ولعمرى ان هذا الجواب لجدير بالصواب وهكذا ينبغى ان تكون رسل الملوك فى الافتنان روح الله تعالى أرواح الجميع فى الجنان وأبو اسحق بن خفاجة كان أوحد الناس فى وصف الانهار والازهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين وقد سبق بعض كلامه ويأتى أيضا منه بعض فى أثناء الكتاب ومن ذلك قوله

وكمامة حدر الصباح قناعها * عن صفحة تندى من الازهار
فى أبطح رضعت ثغور أقاحه * أخلاف كل غمامة مدرار

جنديسابور من بلاد خوزستان وقد كان يعقوب ابن الليث الصفار سكن جنديسابور ثم لم يزل مضى من ملوك ساسان الى أن مات بها وسنذكر فيما نورده من هذا الكتاب أخبار المعتمد حين سكناه أيضا وورود فيها (ثم ملك بعده هرمز بن نرسى ابنه سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وخلفه والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بامر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحرث بن الاغر الايادى فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد أساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان فى حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعرا ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو سلام فى الصحيفة من لقيط على من فى الجزيرة من اياد بان الليث يأتيكم دلاقا فلا يحبسكم سوق النقاد أتاكم منهم سبعون ألفا * يجرون الكتائب كالجراد على خيل ستأتيكم فهذا

نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم النوار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت * حلى الحباب سوالف الانهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك * جذل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفض بكرة لمم الربا * والطل ينضح أوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
وارائك سجع الهديل بفرعها * والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة الانوار

ودونه

سقيا ليوم قد أنخت بسرحة * ريانة لاعبها الرياح فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني * طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فترفع للشبيبة راية * فيه ويطلع للبهارة كوكب
والروض وجه أزهر والظل فر * ع أسود والماء ثغر أشنب
في حيث أطرب بالغناء الحمام عشية * فشدا يغنينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا * وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به * طوق على برد الغمامة مذهب
في فتية سرى فينصدع الدجى * عنها وتنزل بالجديب فيخصب
كرموا فلا غيث السماحة مخلف * يوما ولا برق اللطافة خلب
من كل أزهر للنعيم بوجهه * ماء برونقه الشباب مسكب

وقال يمدح الامير أبا يحيى بن ابراهيم

سمح الخيال على النوى بمزار * والصبح يمسح عن جبين نهار
فرعت من ناري لضيف طارق * يعشو اليها من خيال طاري
ركب الدجى أحسن به من مركب * وطوى السرى أحسن به من ساري
وأناخ حيث دموع عيني منهل * يروى وحيث حشاي موقد نار
وسقى فأروى غلة من ناهل * أورى بجانحتيه زند أوار
يلوى الضلوع من الولوع لخطرة * من شيم برق أو شميم عرار
والليل قد مسح الندى سربا له * فانهل دمع الطل فوق صدار
مترقب وسل الرياح عشية * بمساقط الانواء والانوار
ومجرذيل غمامة لبست به * وشي الحباب معاطف الانهار
خفقت ظلال الايك فيه ذوائبا * وارتج ردفا مائل التيار
ولوى القضيب هناك جيدا اتلعا * قد قبلته مباسم النوار
باكرته والغيم قطعة عنبر * مشبوبة والبرق لفحة نار
والريح تطلع فيه أرداف الربا * لعبا وتلثم أوجه الازهار
ومنابر الاشجار قد قامت بها * خطباء مفصحة من الاطيار

أو يرى الغي في الامور رشادا * لقريب من الهلاك كما أهلك سابور بالسواد ايادا

على أسواد فلما تجهز الروم نحوهم أعاد اليهم كتابا يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا وهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا أوله

يادار عبلة من مذكارها الجرعا * هجت لي الهم والاحزان والوجعا

ألم ايادا وخلل في سراتهم * أني أرى الرأي ان لم أعص قد صدعا

الا تخافون قوما لا أبالكم * مشوا اليكم كامثال الدبى سرعا

لو ان جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا

فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

أوقع بهم جمعهم القتل فما أفلت منهم الا نفر لحقوا بأرض الروم وخلع بعد ذلك أكتاف العرب فسمي بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من بالعراق من عمه ليثوروا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ ذلك عليا رضوان الله عليه فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل ان من يرى الصلاح فسادا

وقد كان سابور في مسيره

في فتية جنبوا العجاجة ليلة * ولربما سفروا عن الاقمار
ثار القتام بهم دخانا وارتمى * زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من هيآتهم وهباتهم * اشراف أطواد وفيض بحار
من كل منتقب بوردة حجلة * كرما ومشتمل بثوب وقار
في عمة خلعت عليه للمة * وذؤابة قرنت بها لعذار
ضافي رداء المجد طماح العلا * طامي عباب الجود رحب الدار
جرار أذيال المعالي والقنا * حامي الحقيقة والحمى والجار
طرد القنيص بكل قيد طريدة * زجل الجناح مورد الاظفار
ملتفة أعطافه بحبيرة * مكحولة أجفانه بنضار
يرمى به الامل القصي فينثني * مخضوب دون الظفر والمنقار
وبكل ماضي الشوط أشدق احرر * طاوي الحشى حالي المقلد ضاري
يفترعن مثل الهلال وانما * يمشي على مثل القنا الخطار
مستقريا أثر القنيص على الصفا * والليل مشتمل بشملة قار
من كل مسود تلهب طرفه * يرميك جمرته بشعلة نار
ومورس السربال يخلع بده * عن نجم رجم في سماء غبار
يسمن في سطر الطريق وقد عفا * قدما فتقرأ أحرف الآثار
عطف الصمور ورائه فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
ولرب رواع هنالك أنبط * حالي المسامع أطلس الاطمار
يجري على حذر فيجمع بسطه * يهوي فيعطف انعطاف سوار
عمد حبل الشأو يعسل رائعا * فيكاد يفلت أيدي الاقدار
متردد يرمي به جوب الردى * كرة تهاداها أكف قمار
ولرب طيار خفيف قد جرى * شللا بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة * مشي الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كرعت على ظما بكاس عقار
ولو استجارت منه مما يحمى أتى * يحيى لآمنها أعز جوار
خدم القضاء مراده وكأنما * ملكت يداه أعنة الأقدار
وعنى الزمان لأمره فكأنما * اصغى الزمان به الى أمار
وجلا الامارة في وفيق نضارة * جلت الدجى في حلة الانوار
في حيث وشح لبه بقلادة * منها وحلى معصما بسوار
جذلان يملأ منحه وبشاشه * أيدي العفاة وأعين الزوار
أرج الندى بذكره فكأنه * متنفس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسرجه * واستل صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى وشماله * ماشاء من نار ومن اعصار

الاخرين وفيها يومئذ بنو تميم فامعن في قتلهم وفرت بنو تميم وشيعتها يومئذ

ن البلاد أتى على بلاد
عمرو بن تميم بن مرو له يومئذ
ثلثمائة سنة وكان يعلق
في عمود البيت في قفة قد
اتخذت له فرآه اجله
فابي عليهم الآن يتركوه
في ديارهم وقال أنا هالك
اليوم أو غد وماذا بقي لي
من العمر ولعل الله
ينجيكم من صولة هذا الملك
المسلط على العرب فخلوا
عنه وتركوه على ما كان
عليه فصبحت خيل سابور
الديار فنظروا الى أهلها
قد ارتحلوا ونظروا الى
قفة معلقة في شجرة وسمع
عمرو صهيل الخيل ووقعها
وهمهمة الرجال فاقبل
يصيح بصوت ضعيف
فاخذوه وجاؤا به الى سابور
فلما وضع بين يديه نظر الى
دلائل الهرم ومرور الايام
عليه ظاهرة فقال له
سابور من أنت أيها الشيخ
الفاني قال أنا عمرو بن تميم
ابن مرو قد بلغت من العمر
ما ترى وقد هرب الناس
منك لاسرافك في القتل
وشدة عقوبتك اياهم
وآثرت الفناء على يديك
ليبقى من مضى من قومي
ولعل الله ملك السموات
والارض يجري على يديك
فرجهم ويصرفك عما انت
بسبيله من قتلهم وأنا
سائلك عن أمر ان انت اذنت لي

فيه فقال له سابور قل يسمع منك فقال له عمرو ما الذي يحملك على

والشمس

والشمس تحرر والحديد عرائس ، والجو كاس والسيوف عواري
والخيل تعثر في شواشول القنا ؛ وتصد وهي تسبح في الدم الموار
والبيض تحكي في الطلى وكأنها * تلوي عن امنها على أزرار
والنقع يكسر من سنا شمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار
بحر الحمام النصر تحت تبيطه ؛ في كف صنوا نه سوار
لو أنه أوفى السماء لما سطر ؛ ومالنار ولم يمن بن نار
وقضى وقد ملكته غير عزة ؛ تحت العجاج بخالا المشار

وقال رحمه الله تعالى

وراكة ضربت سماء فوقها ، تبدي وأوه لنا الكؤوس بدار
حفت بدوحتها مجر جدول ، نثرت عليه نجومها الأزهار
وكأنها وكأن جدول مائها ؛ حسناء تشد بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة ، تجلى ونور الغصون نثار
في روضة جنح الدجى ظلها ، وتجسمت نورانها الأنوار
سال النسيم بشر وشيه الدارلي ، دهاو يتبع مسكه العطار
قام ابعاها وقد نده الندى ، وجه الثرى وابعت النوار
والماء في حلى الحباب معاند ؛ زرت عليه جيوبها الأشجار

وقال ملغزا ما لا يلزم

حدها اليك واتها طيرة ، طرأت اليك وأيله السمراء
حلت وحسبك نعمة من نعمة * عبق العروس وحجلة العذراء
من كل وارسة القميص كأنما ، شأت نعل بيده الصفراء
نحمت زروق نهاذ وماحبها * بالأيكة الخضراء من خضراء
وأتتك تسفر عن وجوه طلقة ؛ وتنوب من لطف عن الشعراء
بدي بها وجه الندى ولربما ، سطت هالالات أوجه السراء
فاستضحكت وجه الدجى معمومة * حملت جمال العنبر العذراء

وقال أيضا

وصدر باد تضمنا ، اه الهوا في عدا
في منزل قد شبا ، بضله العز بردا
بد كونه الشهب حمرا ؛ ويعيق الليل بدا
وقد بارح نور * غصن تخالط وردا
كأنه شمس ثغر * عدت بقبل خدا

وقال من قصيدة يصف منترها

يارب وضاح الجبين كأنما ، رسم العذار بصفحتيه كتاب
تعرى بطلعته العيون مهابة * وتبيت تعشق عقله الألباب

وعلوا ذلك ولست تنهيهم بقيم على الطاعة وأعلى ما كانوا عليه من الدهيلة قال سابور أقتلهم لأنا ملوك الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستدال علينا وتكون لهم الغلبة على ما لكنا فقال عمرو وهذا أمر تحققه أو تظنه قال بل أتحققه ولا بد يكون ذلك قال له عمرو وقال كنت تعلم ذلك فلم تسيء إلى العرب والله لئن تبق على العرب جميعا وتحسن إليهم ليكافؤنك عند إدالة الدولة لهم على قومك بإحسانك وإن مدت طال بك المدة كافؤك عند مصير الملك اليهم يحمون عنك وعلى قومك إن كان الأمر كما تقول فهو الحزم في الرأي والنفع في العاقبة وإن كان باطلا فلم تتحمل الإثم وتسفك دماء رعيتك فقال سابور الأمر صحيح وهو كائن لكم والرأي ما قلت ولقد صدقت في القول وصحت في الخطاب فنادى منادي سابور بأمان الناس ورفع السيف والكف عن قتلهم ويقال إن عمرا بقي في هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة وقيل أقل

من ذلك والله أعلم وسار سابور بجنوده إلى بلاد الشام فافتتح المدن وقتل خلائق من الروم ثم طالبته نفسه

خلعت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السماء نقاب
نزعت من ماء الصبا في منهل * قد شف عنه من القميص سراب
في حيث للريح الرخاء تنفس * أرج وللماء الفرات عباب
ولرب غض الجسم مد بحوضه * سبحا كما شق السماء شهاب
ولقد أنخت بشاطئيه يهزني * طرب با شباب راقني وشراب
وبكيت دجلته يضاحكني بها * مرحا حبيب شاقني وحباب
تجلى من الدنيا عروس بيننا * حسناء ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت وللنهار ذؤابة * شمطاء تخضب والظلام خضاب
تلوي معاطف الصبابة والصبا * والليل دون الكاشحين حجاب

وقال

مر بنا وهو بدر تم * يسحب من ذيله سحابا
بقامة تنثني قضيبا * وغرة تلتظي شهابا
يقرأ والليل مدلهم * لنور اجلائه كتابا
ورب ليل سهرت فيه * أزجر من جنحه نكابا
حتى اذا الليل مال سكرا * وشق سربا له وجابا
وحام من سدفه غراب * طالت به سنه فشابا
ازددت من لوعتي خبالا * بحثت من غلتي شرابا
وما خطا قادما فوافى * حتى انثنى ناكصا فآبا
وبين جفني بحر شوق * يعب في وجنتي عبابا
قد شب في وجهه شعاع * وشب عن قلبي التهابا
وروضة طلقة حياء * غناء مخضرة جنابا
ينجاب عن نورها كمام * يحط عن وجهه نقابا
بات بها مبسم الأقاحي * يرشف من طلها رضابا
ومن خفوق البروق فيها * ألوية حمرت خضابا
كأنها أنمل وراد * تحصر قطر الحيا حسابا

وله

رحلت عنكم ولي فؤاد * تنفض أضلاعه حنينا
أجود فيكم بعلق دمع * كنت به قبلكم ضنينا
يثور في وجنتي جيشا * وكان في جفنه كمينا
كأني بعدكم شمال * قد فارقت منكم يمينا

وقال

فيا لك من قلب من الصبر فارغ * ويا لقذى طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة * وقلب الى أفق الجزيرة حنان

تعوضت

بالدخول الى أرض الروم متنكرا ليعرف أخبارهم وسيرهم فتنكر وسار الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل في جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أن يصور سابور ويصوره له فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأناء من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فأخبره فأمر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور استحقيت العقوبة لأمر كان مني فدعاني ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فأقر فجعله في جلد بقرة وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق وافتتح المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر عيد لهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبيحتها فأغفل الموكلون أمر سابور واحد الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس فخاطبهم ان يحل بعضهم بعضا

تعوضت من واها بآه ومن هوى * بهون ومن اخوان صدق بخوان
وما كل بيضاء بروق بشحمة * وما كل مرعى ترتعيه بسعدان
فياليت شعرى هل لدهرى عطفة * فتجمع أوطارى على وأوطانى
ميادين أوطارى ولذة لذتى * ومنشأ أهوائى وملعب غزلانى
كأن لم يصلنى فيه ظبى يقوم لى * لماه وصدغاه براحى وريحانى
فسقيا لوادى هموان كنت اغما * أبيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد أدرنا بأفقه * نجوم كؤوس بين أقمار ندمان
وللقضب والاطيار ملهى بجرعة * فماشئت من رقص على رجع ألحان
وبالخضرة الغراء غر علقته * فأحسن حبا فيه وهيمان نعمان
رقيق الحواشى فى محاسن وجهه * ومنطقه مسلى قلوب وآذان
اعار لحديه على الورد كلما * بدا ولعطفيه على أغصن البان
وهبنى أجنى ورد خد بناظرى * فمن أين لى منه بتفاح انسان
يعللنى منه بوعد رشفة * خيال له يغرى بمطل وليان
حبيب عليه لجة من صوارم * علاها حباب من أسنة مران
تراءى لنا فى مثل صورة يوسف * تراءى لنا فى مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة * قرأنا لها من وجهه سطر عنوان
محبته دينى ومثواه كعبتى * ورؤيته حجى وذكراه قرآنى

وقال

وليل تعاطينا المدام وبيننا * حديث كما هب النسيم على الورد
نعاوده والكاس يعبق نشره * وأطيب منها ما نعيد وما نبدى
ونجنى اقاح الثغر أو سوسن الطلى * ونرجسة الاجفان أو وردة الخد
الى أن سرت فى جسمه الكاس والكرى * ومال بعطفيه فمال على عضدى
فأقبلت استهدى لما بين اضلعى * من الحر ما بين الضلوع من البرد
وعاينته قد سل من وشى برده * فعاينت منه السيف سل من الغمد
ايار مجس واستقامة قامة * وهز أعطاف ورونق افرند
أغازل منه الغصن فى معرس الدنا * وألثم وجه الشمس فى مطلع السعد
فان لم يكنها أو تكنه فانه * أخوها كما شد الشراك من الجلد
تسامر كلتا راحتى بجسمه * فطورا الى خصر وطورا الى نهد
وتهبط من كشحيه كفى تهامة * وتصعد من نهديه أخرى الى نجد

وقال أيضا

ورداء ليل بات فيه معانقى * طيف ألم بظبية الوعساء
فجمعت بين رضابه وشرابه * وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت فى ظلماء ليلة وفرة * شفقا هناك لوجنة حمراء

وشجعهم وامرهم أن يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هنالك ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص وأتى المدينة وهم يدارون على سورها لحفظهم فعرفوه ورفعوه بالحبال وفتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم مفرقهم نحو مواضع من الجيش والروم غارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب النواقيس فاتوه بقيصر اسيرا فاستحياه وابقى عليه وضم اليه من اولت من الغنل من رجاله بغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل وغيرها ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وغير ما اخرب فى اخبار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر فى بعض الاخبار ان سابور ر…ق قيصر وقطع اعصاب عقبية اورده وان الروم تزى دوابها ولا تلبس الخفاف المعقبة وفى ذلك يقول الحارث بن جندة المعروف بالمرمران شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا * وهم سواهر قلابا لسواد
وهم قتلوا اباقابوس عصبا * وهم احدوا البسيطة من اياد
وفى فعل سابور في … بره نفسه فى دخوله الى ارض

والليل مشمط الذوائب كبرة * خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والصبح يسحب فرعه * ويجر من طرب فضول رداء
تندى بفيه اقحوانة أجرع * قد غازلتها الشمس غب سماء
وتميس فى أثوابه ريحانة * كرعت على ظما بجدول ماء
تفاحة الانفاس الا انها * حذر الندى خفاقة الافياء
فلويت معطفها اعتناقا حسبما * ديه بقطر الدمع من انواء

انتهى * (وكان المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى) * كثيرا ما ينتاب وادى الطلح مع زملته وأولى انسه ومسرته وهو واد بشرق اشبيليه ملتف الاشجار كثير ترنم الاطيار وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سائل بوادى الطلح ريح الصبا * هل سحرت لى سن زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * لن نأمن الرسل ولن نكتبا
يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا غيرهم مذهبا
يا قاتل الله الذى لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والبم لا يعرف ما طعمه * الا الذى وافى لأن يشربا
دعنى من ذكر الوشاة الالى * لم ابرل فكرى بهم ملهبا
واذكر بوادى الطلح عهدا لنا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * ولم س الا معجبا مطربا
وخاننى من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يسلبا
قد أترع الكاس وحيا بها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذى شئته * يا بدر تم مهد الكوكبا
لكننى آليت أسقى بها * أو تودعنها ثغرك الاشنبا
فمج لى فى الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا
وقال ها لثمى نقلا ولا * تشم الا عرفى الاطيبا
واقطف بخدى الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أسعفته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهى وذا امرة * حتى تبدى فسلت الحبا
ولم أصن عرضى فى حبه * ولم أطع فيه الذى أنبا
حتى اذا ما قال لى حاسد * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعرى سحرا له * ييسر المرغب والمطلبا
وقال عرفه بأنى ساحتال فما أجتنب المكتبا
فزادنى شوقا له وعده * ولم أزل معتقدا مرقبا

وفى ذلك يقول بعض المتقدمين من شعراء ابناء فارس وكان سابور صغوا فى أرومته * أجيد عنها فأضحى غير مختار
اذ كان بالروم جاسوسا يجول به
حوم المنية من ذى كبد مكار
فاستأسروه وكانت كبوة عجبا
وزلة بعض من عثر عثار
وأصبح الملك الرومى معترضا
أرض العراق على هول واخطار
فناهض الفرس بالابواب وافترقوا
كما تحارب أسد الغاب فى الغار
فأخذ بالسيف هام الروم فاحتصدوا
لله درك من طلاب أوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا
من النخيل وما حفوا بأشجار
وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرهما من بلاد الروم ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرهما من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار فمن ذلك الوقت صار الديباج التسترى وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين وسكت الى هذه الغاية وقد كان من قبلهم من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الاولى يسكن بطيسبون وذلك بغربى المدائن من ارض العراق فسكن

أمد طرفي ثم أثنيه من * خوف أخي التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحر لن يكذبا
أبي ومن يجحره بعدما * أيأس نظاء كاد أن يغضبا
قبلت في الترب ولم أستطع * من حصر اللقا سوى مرحبا
هنأت ربعي اذ عدا هالة * وقلب يأمن لم يسع أشعبا
بالله ما يعتنقا لاثما * قال كالغصن ثنته الصبا
فقال لا ترغب قلت اتئد * أدركت اذ كلفني المرتبا
فتى لا أرغب عن ذكرها * ترغبه قبت ادن مركبا
وكان ما كان بحمد الله ما * دكر به دهري أو أعتبا

وستأتي هذه القصيدة بكمالها في جملة من نظم ابن سعيد المذكور وقال يتشوق الى اشبيلية وهي حمص الاندلس

أن الخليج وغنت الورقاء * هل ربما اذهاجت البرحاء
أمانكما أولى بخلقة عاشق * أني وسمعت لي الصعداء
أخشى الوشاة هما أسوء بلفظة * والكتم عند العاشقين عناء
لولا تشوق أرض حمص ماجرى * دمعي ولا شمتت بي الاعداء
لم أستطع كتماله فكأنني * ما كان لي كتم ولا اخفاء
والبدر مهما رام كتما من سرى * فيه ينم على سراه ضياء
بلد متى يخطر له ذكر هفا * قلبي وخان تصبر وعزاء
من بعده ما الصبح يشرق نوره * عندي ولا تتبدل الظلماء
كلي به من ذي وفاء لم يخن * عهدي ويمزج بالوداد وفاء
فتراه اذ ما مر ذكري سائلا * عن حالتي ان قلت الانباء
يمسي ويصبح لي بذكر مدة * يرضى بها الاصباح والامساء
مع كل مبذول الوصال ممنع * من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظبي كالشمس المنيرة كالقنا * كالغصن يثني معطفيه رخاء
يسعى براح كالشهاب براحة * كالبدر والوجه المنير كاء
مالان تحت الوصل حتى مال منه المجر واتصلت به الالواء
خبر المحبة ما أتت عن قبلي * تدري بؤس الفاقة النعماء
مازلت أرقى بالقريض جنونه * حتى استكان وكان منه اباء
فظفرت منه بمدة لو أنها * دامت لدامت لي بها السراء
صفوت كدر بالتحرك ليته * مازال لكن لا يرد قضاء
ان الفراق هو المنية انما * أهل النوى ماتوا وهم أحياء
لولا تذكر لذة طابت لنا * بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطرا * وتبددت في الدوحة الانداء

وبعد كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الايوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الايوان فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر هذا الذي بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه الى السماء فامر الرشيد بعض الاستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا وقال لمن حضره ان الملك نسبة والملوك به اخوة وان الغيرة بعثتني عليه وعلى أدبه لسياسة الملك وما يلحق الملوك بالملوك (وذكر) عن الرشيد بعد السخط على البرامكة انه بعث الى يحيى بن خالد بن برمك وهو في اعتقاله يشاوره في هدم الايوان فبعث اليه لا تفعل فقال الرشيد لما حضره في نفسه المجوسية والحنو عليها والمنع من ازالة آثارها فشرع في هدمه ثم نظر فاذا يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تنضبط كثرة فامسك عن ذلك وكتب الى يحيى يعلمه ذلك فأجابه بان ينفق في هدمه ما بلغ من الاموال ويحرص على فعله فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره فبعث اليه ليسأله عن ذلك فقال نعم أما ما أشرت به في الاول فاني أردت بقاء الذكر لامة الاسلام وبعد الصيت وأن يكون من يرد في الاعصار ويطرأ من الامم

ما كابدت نفسى أليم تفكر * ألوى به عن جفنى الاغفاء
يا نهر حمص لا عدتك مسرة * ماء يسيل لديك أم صهباء
كل النفوس تهش فيك كأنما * جمعت عليك شتاتها الاهواء
ودى اليك مع الزمان مجدد * ما ان يحول تذكر وثناء
ولو انني لم آتِ ذكر الذى * أوليته ما كان فى حياء
ما كنت أطمع فى الحياة لو انى * أيقنت أن لا يستر دلقاء
غيرى اذا ما بان حان واعما * أبقى حياتى حين بان رجاء

وسيأتى ان شاء الله تعالى لهذا النمط وغيره مزيد أثناء الكتاب بحسب ما اقتضته المناسبة والله تعالى المرجو فى حسن المتاب وهو سبحانه لا اله الا هو الموفق للصواب

(الباب الخامس)

فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العرار والبشام ومدح جماعة من أولئك الاعلام ذوى العقول الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وأرباب بيانها ذوى السودد والاحتشام ومخاطباتهم للفقير المؤلف حين حلها سنة ألف وسبع وثلاثين للهجرة وشاهد برق فضلها المبين وشام

*(اعلم جعلنى الله تعالى واياك) ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا علام الغيوب الشديد المحال ولو اطلقنا عنان الاقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الاعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير اطناب داع الى الملال واختصار مؤد للاخلال فنقول مستمدين من واهب العقول (منهم عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمى) وقد عرف به القاضى عياض فى المدارك وغير واحد ورأيت فى بعض التواريخ أن تواليفه بلغت ألفا ومن أشهرها كتاب الواضحة فى مذهب مالك كتاب كبير مفيد ولابن حبيب مذهب فى كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما ومن نظمه يخاطب سلطان الاندلس

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا * واذكره لا زلت فى التاريخ مذكورا
قال النبى صلاة الله تشمله * قولا وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع فى انفاق موسمه * ان لا يزال بذاك العام ميسورا

وهذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدى به والله تعالى أعلم

*وقال الفتح فى المطمح الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى اى شرف لاهل الاندلس واى مفخر واى بحر بالعلوم يزخر خلدت منه الاندلس فقيها عالما عاد بجاهل اهلها معالما واقام فيها للعلوم اسواقا نافقة ونشر منها الوية خافقة وجلا عن الالباب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والاسل وتصرف فى فنون العلوم وعرف كل معلوم وسمع بالاندلس وتفقه حتى صار أعلم من بها وأفقهه ولقى أنجاب مالك وسلك فى مناظرتهم أوعر

فى الازمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول ان أمة قهرت أمة هذا بنيانها فازالت رسومها واحتوت على ملكها لامة عظيمة شديدة منيعة وأما ... ان الثانى فاخبرت انه قد شرع فى هدمه ثم عجز عنه فان ... فى الزمن أمثال الملام اللائقة بمن وصفت ثم ... الاخبار ان هذه الامة عجزت عن هدم ما بنتها ... ولم يطمع ارشيد ذلك من كلامه قال قاتله الله تعالى ... فان شيأ قط الاذو فيه واعرض عن هدمه وسابور هو الذى بنى نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (ثم ملك بعده أخوه اردشير بن هرمز) وكان ملكه الى ان خلع أربع سنين (ثم ملك بعده سابور) ابن سابور خمس سنين وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرهما من العرب فيقول فيه شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب اياد حولها الخيل والنعم

ويقال ان هذا الشعر قاله لما غزوا ارض الروم حين وقع بهم سابور ذو الاكتاف على ما ذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضافوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشنت الغارات فى ملك سابور بن سابور فقال شاعر اياد فى ذلك ما وصفنا وهم

المسالك حتى أجمع عليه الاتفاق ووقع على تفضيله الاصفاق ويقال انه لقي مالكا آخر عمره وروى عنه عن سعد بن المسيب ان سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم كان يركب الى بيت المقدس ويتغدى به ثم يعود فيتعشى باصطخر وله في الفقه كتب الواضحة ومن أحاديثه غرائب قد تحلت بها الرمان نحور ترائب (وقال محمد بن لبابة) فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها يحيى بن يحيى وكان عبد الملك قد جمع الى علم الفقه والحديث علم اللغة والاعراب وتصرف في فنون الآداب وكان له شعر يتكلم به تحريا سرى ببنوه فيدلك شعرا وتوفي بالاندلس في رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعدما مال في الارض وصنع طولها والعرض وحال في أكنافها وانتهى الى أطرافها ومن شعره قوله

قد طاح أمري والذي أبتغي ❊ هين على الرحمن في قدرته
ألف من الخمر وأقلل بها ❊ لعالم أزرى على عنته
زرياب قد أعطيها جملة ❊ وحرفتي أشرف من حرفته

وكتب الى الرحابي رسالة وصلها بهذه الابيات

كيف يطيق الشعر من أصبحت ❊ حالته في الصوم كحال الغرق
والشعر لا يسلس الا على ❊ فراغ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر ❊ يرضى من الحظ بأدنى العلق
وصلك قد بان عليه كما ❊ بان لاهل الارض ضوء الشفق
أمادمام الود منى لكم ❊ فهو من المختوم فيما سبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله ويفرق مستقيمه من مختله وكان غرضه الاجازة وأكثر رواياته غير مستجازة قال ابن وضاح قال لي ابراهيم بن المنذر أتى صاحبكم الاندلسي يعني عبد الملك هذا بغرارة مملوءة فقال لي هذا علمك فتأذن لي ان أرويه فقلت له نعم ما قرأ علي منه حرفا ولا قرأته عليه وحكى انه قال في دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الاكابر فازدراه من رآه

لا تنظرن الى جسمي وقلته ❊ وانظر لصدري وما يحوي من الدرر
فرب ذي منظر من غير معرفة ❊ ورب من تزدريه العين ذو خطر
ورب لؤلؤة في عين مزبلة ❊ لم يلتفت بال لها الا الى درر

انتهى ما في المطمح الصغير: قلت أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم لاهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى ان في شفاء عياض احاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها مع اعترافهم بجلالة حفاظ الاندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم: وأما ما ذكره عنه من الاجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب من يرى الاجازة وهو مذهب مستفيض واعتراض من اعترض عليه انما هو بناء على القول بمنع الاجازة فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق (ومن الراحلين) من الاندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطا عن مالك رضي الله تعالى عنه ويقال ان أصله من بربر مصمودة وحكي انه لما ارتحل الى مالك

(ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان ملكه عشر سنين وقيل احدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) بن سابور المعروف بالاثيم وكان ملكه الى ان هلك احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر (ثم ملك بعده بهرام) بن يزدجرد وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل سبع عشرة سنة ثم هلك وهو ابن عشرين سنة وكان صاحب هو وطرب في حومة سباق صيد فعثر به فرسه فهلك أمه من عدله وحسن سيرته ورأفته برعيته وانتظام الامور في أيامه وقد كان خرج في أيامه خاقان ملك الترك الى الصغد وشن الغارات في بلاده وبلغ انه أتى بلاد الري وان بهرام كتب اجناده وسلك طريق الضرو في السير من جريدة أصحابه حتى أتى على خاقان في جنوده وسار نحو العراق برأسه فهابته ملوك الارض وهادنته قيصر وحمل اليه الاموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل الى ارض الهند متنكرا ولا خبار هم متعرفا واتصل بشرمة ملك من ملوك الهند فابلى بين يديه في حرب من حوربه وأهلك من عدوه فزوجه ابنته على انه من اساورة فارس وكان نشؤه مع العرب بالحيرة وكان يقول

ولازمه فبينما هو عنده في مجلسه مع جماعة من أصحابه اذ قال قائل حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما جئت من الاندلس لانظر اليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجئ لانظر الى الفيل فأعجب به مالك وقال هذا عاقل الاندلس ولذلك قيل ان يحيى هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى راويها ومحدثها وتوفي يحيى بن يحيى سنة ٢٠٤ في رجب وقبره يستسقى به بقرطبة وقيل ان وفاته في السنة التى قبلها والله تعالى أعلم وروايته الموطأ مشهورة حتى ان أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثيرا مع تعدد رواة الموطأ والله أعلم * وكان يحيى بن يحيى روى الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون وسمع من يحيى بن مضر القيسي الاندلسي ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها فأثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدل على ورعه وسمع بمصر من الليث بن سعد وبمكة من سفيان بن عيينة وتفقه بالمدنيين والمصريين كعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم العتقي وسمع منهما وهما من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له وانتهت اليه الرياسة بالاندلس وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر رواة الموطا وأحسنهم رواية يحيى المذكور وكان مع أمانته ودينه معظما عند الامراء يكنى عندهم عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء وكان أعلى من القضاة قدرا عند ولاة الامر بالاندلس لزهده في القضاء وامتناعه قال الحافظ ابن حزم مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على ان يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم انتهى * وذكرنا في غير هذا الموضع قولا آخر في سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس والله سبحانه أعلم بحقيقة الامر وقال ابن أبي الفياض جمع الامير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في قصره وكان وقع على جارية يحبها في رمضان ثم ندم أشد ندم فسألهم عن التوبة والكفارة فقال يحيى تكفر بصوم شهرين متتابعين فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم له لم لم تفته بمذهب مالك بالتخيير فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على أصعب الامور لئلا يعود وقال بعض المالكية ان يحيى ورى بهذا ورأى أنه لم يملك شيأ اذ هو مستغرق الذمة فلا عتق له ولا اطعام فلم يبق الا الصيام انتهى ولما انفصل يحيى عن مالك ووصل الى مصر رأى ابن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط للرجوع الى مالك ليسمع منه المسائل التى رأى ابن القاسم يدونها فرحل رحلة ثانية فألفى مالكا عليلا فأقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه

الشعر بالعربية وتكلم بسائر اللغات وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخبار وله أخبار في أخذه الملك بعد أبيه وتناوله التاج والرايه من بين يدي الأسدين وله أخبار مع ملك الهند وبريضول دكرها ولا يهمنا عليه سمي بهرام جور لانه أحد من أولع بالنشاب في ايامه ومن الصيد داخل القوس وطاردها وقد جمع على ذلك في كتابنا أخبار الزمن والكتاب الاوسط وما قالت الفرس والترك في بنية القوس والسهام كبعة على الطبائع الاربع كطبائع الانسان وما ذهبوا اليه من انواع الرمي وكيفيته وما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم ظفره بخاقان وقد له

أقول له لما فضضت جموعه
كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فاني حامي ملك فارس كلها
وما خير ملك لا يكون له حامي
(وقوله أيضا)
لقد علم الانام بكل أرض
بأنهم وقد أضحوا عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم
عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تقفى حذارى
وترهب من مخافتي الورودا
وكنت اذا تشاوس ملك أرض
عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطيني المقادة أو أوافي
به يشكو السلاسل والقيودا من

من مالك هكذا ذكره ابن الفرضي في تاريخه وهو مما يرد الحكاية المشهورة الآن بالمغرب أن يحيى سأل مالكا عن زكاة التين فقال لا زكاة فيه فقال انه يدخر عندنا ويدار ووصل الى الاندلس أن يرسل مالك سفينة مملوءة تينا فلم يصل وأرسلها لذلك [illegible] انتهى * قال ابن الفرضي ولما انصرف يحيى الى الاندلس كان امام وقته وواحد بلده وكان ممن اتهم بالهيج في وقعة الربض المشهورة ففر الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم أمانا وانصرف الى قرطبة وقيل لم يعط أحد من أهل الاندلس منذ دخلها الاسلام ما أعطي يحيى من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر وقال ابن بشكوال ان يحيى بن يحيى كان مجاب الدعوة وانه أخذ في نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك وحكي عنه أنه قال أخذت بركاب الليث بن سعد فأراد غلامه أن يمنعني فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك العلم فلم تزل بي الأيام حتى رأيت ذلك توفي (سنة ٢٣٤)

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى قال في المطمح من بني يحيى بن يحيى الليثي وهذه نبذة علم وعقل وصحة ضبط ونقل كان علم الاندلس وعالمها المدرس وولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها الى المشرق وجمع فيها من الروايات والسماع كل مفترق وجال في آفاق ذلك الأفق لا يستقر في بلد ولا يستوطن في جلد ثم كر الى الاندلس فسمت رتبته وعلت بالأماني همته وتصرف في ولايات أحمد فيها منابه واتصلت بها أسبابه وولاه العدل [illegible] بقرطبة فولاه سياسة محمودة ورياسة في الدين مبرقة العود شهودة [illegible] بالصرامة في تنفيذ الحقوق والجزالة في اقامة الحدود والكشف عن البينات في السر والصدع بالحق في الجهر لم يستمله تخادع ولم يكده تخايل ولم يهب جارحة ولا داهن ذا مرتبة ولا أغضى لأحد من أرباب السلطان وأهله حتى تحاموا واحدة جانبه فلم يجسر أحد منهم عليه وكان له بعد [illegible] وافر من الأدب وحظ من البلاغة اذا نظم واذا كتب ومن مليح شعره ما قاله عند [illegible] من قرطبة

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة ... اذا كان من بعد الفراق تلاقي
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي ... ولم تمر كف الشوق ماء مآقي
ولم أزر الأعراب في جنب أرضهم ... بذات اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى ... وكأس سقاها في الأزاهر ساق

وله أيضا

بما أكابد من ورق مغردة ... على قضيب بذات الجذع مياس
رددن شجوا شجى قلب الخلي فهل ... في عبرة ذرفت في الحب من باس
ذكرته الزمن الماضي بقرطبة ... بين الأحبة في أمن وإيناس
هم الصبابة لولا همة شرفت ... فصيرت قلبه كالجندل القاسي

وله أخبار تدل على رقة العراق والمعدي بما تلك الآفاق : فمنها انه خرج الى حضور جنازة بمقابر قريش ورجل من بني جابر كان بناحيته له منزل فعزم عليه في الميل اليه وعلى أخيه فنزل عليه فأحضر لهما طعاما وأمر جارية له بالغناء فغنت

طابت بطيب لثاتك الأقداح ... وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه ... طابت بطيب نسيمك الأرواح

مالما للاختيار (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما وقد كان في حد الأمن والطيش ساخطا على الآداب والثواب على حسب ما ودّه [illegible] [illegible] كريم الآداب والامتنان وجميل الفعل وأحضر يزدجرد بن بهرام وجلاس حكماء عصره كان ذا أفاضل مملكته أحداثا أخلاقهم [illegible] الرأي منهم [illegible] [illegible] الحكم العاصل ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وأمن السبل وانصاف المظلوم من الظالم فقال فما صلاح أمر الملك فقال وزراؤه وأعوانه فانهم ان صلحوا صلح وان فسدوا فسد فقال له يزدجرد ان الناس قد أكثروا في أسباب الفتن فصف لي ما الذي يثيرها ويشبها وما الذي يسكنها ويدفعها فقال يثيرها ضغائن يجشمها جراءة عامة ولدها استخفاف بخاصة وأكدها انبساط الألسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وأمل معسر وغفلة ملتذ ويقظة محروم والذي يسكنها أخذ العدة لما يخاف قبل حلوله وايثار الجد [illegible]

واذا الحنادس ألبست ظلماؤها * وضياء وجهك في الدجى مصباح

وكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والابيات مكتوبة على ظهر كفه وكان رحمه الله تعالى في غاية اللطف حكى بعض أصحابه قال ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس اذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما رأى القاضي هابه وأراد الانصراف فخانته رجلاه فاستند الى الحائط وأطرق فلما قرب القاضي رفع رأسه وانشأ يقول

ألا أيها القاضي الذي عم عدله * فأضحى به بين الانام فريدا
قرأت كتاب الله تسعين مرة * فلم أر فيه للشراب حدودا
فان شئت جلدا لي فدونك منكبا * صبورا على ريب الزمان جليدا
وان شئت أن تعفو تكن لك منة * تروح بها في العالمين حميدا
وان انت تختار الحديد فان لي * لسانا على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشأنه انتهى ملخصا من المطمح * ورأيت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة سمع عم أبيه عبد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٣ ودخل مصر وحج وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلي وابن الاعرابي ومعاني الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضي أحمد بن بقي واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجاية ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبي طالب سنة ٣٢٤ وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيرا ما يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ما وهى منها فاعتل في آخر خرجاته ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٧ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى وأظن اني نقلته من كتاب ابن الابار الحافظ والله أعلم * (ومنهم) عتيق بن احمد بن عبد الباقي الاندلسي الدمشقي وفاة يكنى أبا بكر نزيل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقراء وولد على ما قيل سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٦١٤ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره على هذا مائة سنة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبركات أمثاله * (ومنهم) أبو ابراهيم اسمعيل بن محمد بن يوسف الانصاري الاندلسي الابذي الملقب في البلاد المشرقية ببرهان الدين وأبذة بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلد بالاندلس سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ بن طبرزد وأم بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفي سنة ٦٥٦ وأخبر عن بعض الاولياء المجاورين ببيت المقدس انه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس

ان يكن بالشام قل تصبري * ثم خربت واستمر هلوكي
فلقد أثبت الغداة خرابي * سمر العار في حياة الملوك

هكذا رأيته بخط الصفدي في حياة ويحتمل أن يكون في جباه جمع جبهة والله أعلم * (ومنهم) القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملة من أخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف في الله لومة لائم ومن مشهور ما جرى له في

ذلك

يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز الى ان هلك على يدي ملك الهياطلة باخشنوان بين مرو والروذ من بلاد خراسان ... والهياطلة هم الصغد وهم ببخارى وسمرقند (ثم ملك بلاش) بن فيروز الملك وكان ملكه أربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفي أيامه ظهر مردك الزنديق واليه تضاف المردكية وله أخبار مع قباذ وما حدثه في العامة من النواميس والحيل الى ان قتله أنوشروان في مملكته وكان ملك قباذ الى ان هلك ثلاثا وأربعين سنة (ثم ملك بعده ولده أنوشروان) بن قباذ بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية اشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس أخ له يقال له جاماسب نحوا من سنتين لأمر كان من مردك وأصحابه فظافر أنوشروان وابن برزجمهر بن ... حتى اعيد قباذ الى ملكه في خبر طويل ولما ملك أنوشروان وقتل مردك وأتباعه ثمانين الفا من أصحابه وذلك بين جازر والنهروان من أرض العراق تسمى من ذلك اليوم أنو شروان ونهض بعد ذلك بتجديد الملوك وجمع أهل مملكته على دين المجوسية

ذلك قصته في أيتام أخي نجدة وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية وهي ان الخليفة
الناصر احتاج الى شراء دار من قرطبة لحظية من سائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار
كانت لاولاد زكريا أخي نجدة وكانت بقرب النشارين في الربض الشرقي متصلة عن دوره
ويتصل بها حمام له غلة واسعة وكان أولاد زكريا أخي نجدة أيتاما في حجر القاضي فارسل
الخليفة من قومها له بعدد ما طابت نفسه وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصي الايتام في بيعها
عليهم فذكر انه لا يجوز الا بامر القاضي اذ لم يجز بيع الاصل الا عن رأيه ومشورته فارسل
الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار فقال لرسوله البيع على الايتام لا يصح الا لوجوه
منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الايتام الى البيع
وأما الوهي فليس فيها وأما الغبطة فهذا مكانها فان اعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به
الغبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهد في شراء الدار طمعا
أن يتوخى رغبته فيها وخاف القاضي ان تنبعث منه عزمة تلحق الايتام ثورتها فامر وصي
الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة اكثر مما
قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وامر بتوقيف الوصي على ما احدثه فيها فاحال
الوصي على القاضي انه أمره بذلك فارسل عند ذلك للقاضي منذر وقال له أنت أمرت بنقض دار
أخي نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك فقال أخذت فيها بقول الله تعالى أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا
مقوموك لم يقوموها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نض في أنقاضها اكثر من ذلك وبقيت
القاعة والحمام فضل ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك
وقال نحن أولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا قالوا وكان على
متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من
دينه شعرة ثار له ثورة الاسد الضاري فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي
شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا سائل يقول أطعموني من عشائكم
أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضي ان استجيب لهذا
السائل فيكم فليس يصبح منا أحد وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهني انه ركب يوما لحيازة أرض
محبسة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي ونظراؤه قال فسرنا
نقفوه وهو أمامنا وأمامه أمناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار وكانت
القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشي فعرض له في بعض الطريق كلاب مع مستوحمة والكلاب
تلعق هنها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه الينا وقال ترون يا أصحابنا امارة الكلاب بالهن
الذي تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من
هزله وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلدة له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة
وسط روضة نافحة في يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من
وهج الحر الجهد وبث منه ما تجاوز الحد فأمره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يصف
ذلك ما به فقال له الصواب أن تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك وليس مع

الفتح لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده بنى السور على الازقاق البحر المنوخة بالصخر واشد بدو الرصاص فكلما ارتفع البناء رسبت تلك الازقاق الى ان استقرت في قرار البحر وقد ارتفع السور على الماء وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين الى تلك الازقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الماء في قرار البحر وهو باق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا الموضع من السور في البحر الصد مانعا للمراكب في البحر ان وردت من بعض الاعداء ثم مد السور في البحر ما بين جبل الفتح والبحر وجعل فيه الابواب مما يلي الكفار ثم مد السور على جبل الفتح على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار جبل الفتح والباب وكان لانوشروان خبر مع ملوك الخزر الى ان أتى له هذا البناء وقيل انه بنى ذلك بالرهبة واذعان من هنالك من الامم وانصرف أنوشروان الى العراق ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك وكان
فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا والطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه فقال

انه ليعة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة الحكم لارابع لهم وكانه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا واقصر عنه اقصارا وأمر الخليفة حاجبه جعفرا ان يسبقه الى النزول فى الصهريج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك وألقى نفسه فى الصهريج وكان يحسن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضى الا انفاذ أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود فى درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدريج ولم ينبسط فى السباحة وجعفر يمر صعدا وصوبا فدسه الحكم على القاضى وحمله على مساجلته فى العوم وهو يعجزه فى اخلاده الى القعود ويعابثه بالقاء الماء عليه والاشارة بالجذب اليه وهو لا ينبعث معه ولا يفارق موضعه الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب فى فعله وتتقبل صنعه من أجلك نزل وبسببك تبذل فقال له ياسيدى يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله تعالى لا هول معه وانا هذا الهول الذى معى يعقلنى ويمنعنى من أن أجول معه مجاله يعنى أن الحاجب خصى لا هول معه والهول الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه بجعفر وخجل جعفر من قوله وسقط الاشراف وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما * وحكى ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغنى انك لا تجتهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوءا يأكلون أموالهم فقال نعم وان أمكنهم ذلك أمهاتهم لم يعفوا عنهن قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن أحلفنى على اللؤلؤى وابى ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع لاخبرا وقال القالى منذر أتيت وأبو جعفر بن النحاس فى مجلسه بمصر يملى فى اخبار الشعراء شعر قيس المجنون حيث يقول

حليلى هل بالشام عين حزينة * تبكى على نجد لعلى أعينها
قد اسلمها الباكون الا حمامة * مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة * يكاد يدنيها من الارض لينها

فقلت له يا أبا جعفر ماذا أعزك الله تعالى باتا يصنعان فقال لى وكيف تقول انت يا أندلسى فقلت له بانت وبان قرينها فسكت ومازال يستثقلنى بعد ذلك حتى منعنى كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بى قيل لى أين أنت من أبى العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة فسألته الكتاب فأخرجه الى ثم ندم أبو جعفر لما بلغه اباحة أبى العباس الكتاب الى وعاد الى ما كنت أعرفه منه * قال وكان أبو جعفر لئيم النفس شديد التقتير على نفسه وربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم وكان يأبى شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته * ى وأبو جعفر هذا يقال ان تواليفه تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القرآن ومعانى القرآن وشرح أبيات الكتاب وغير ذلك * (رجع) * وقال منذر بن سعيد كتبت الى أبى على البغدادى أستعير منه كتابا من الغريب وقلت

بحق ريم مهفهف * وصدغه المتعطف
ابعث الى بجزء * من الغريب المصنف

كان يحتاج هذا البحر ان أرادها على يده وارتبها ثابت فلم يكرهها الملك وبقى الاعوجاج من ذلك على يد نرى فقال الرومى هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء وسار أنو شروان فى بلاده ودار فى مملكته واحكم المدن وشيد القلاع والحصون ورتب الرجال فعبر الى الشام وافتتح بها المدن وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وفامية وهى بين انطاكية وحمص وسار الى انطاكية وحاصرها وفيها أخت لقيصر فافتتحها وفتح مدينة عظيمة كبيرة العمران عجيبة البنيان كانت فى ساحل انطاكية رسومها بينة الى هذه الغاية واثرها قائم يدعى سلوقية وأقبل يفتتح المدائن بالشام وأرض الروم ويغنم الغنائم والجواهر والاموال وبذل السيف وبث عساكره وسراياه فهادنه قيصر وحمل اليه الخراج والجزية فقبل ذلك منه ونقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والاحجار والفسيفساء هى شئ يطبخ من الزجاج والاحجار ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبقى

فقضى حاجتى وأجاب بقوله

وحوّ در تألف * بفيك أى تآلف
لأبعثن بعاقد * يحوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسى * اليك ما كنت أسرف

فرحم الله تعالى تلك الارواح الطاهرة * (وذكر) ابن اصبغ الهمدانى عن منذر انه خطب يوما وأراد التواضع فكان من فصول خطبته أن قال حتى متى والى متى أعظ ولا اتعظ وأزجر ولا أنزجر أدل الطريق الى المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين كلا ان هذا لهو البلاء المبين ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء الآية اللهم فرّغنى لما خلقتنى له ولا تشغلنى عما تكفلت لى به ولا تحرمنى وأنا أسألك ولا تعذبنى وأنا أستغفرك يا أرحم الراحمين * وسمع منذر بالاندلس من عبد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلثمائة فاجتمع بعدة أعلام وظهرت فضائله بالمشرق وممن سمع عليه منذر بالمشرق بمكة محمد بن المنذر النيسابورى سمع عليه كتابه المؤلف فى اختلاف العلماء المسمى بالاشراف * وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبى العباس بن ولاد * وروى عن أبى جعفر بن النحاس وكان منذر متفننا فى ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبى سليمن داود بن على الاصبهانى المعروف بالظاهرى فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به فى نفسه ودونه فاذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك وأصحابه وهو الذى عليه العمل بالاندلس وحمل السلطان أهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى ان توفى رحمه الله تعالى عقب ذى القعدة من سنة خمس وخمسين وثلثمائة فكانت ولايته للقضاء الجماعة المعبر عنه فى المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاما كاملة لم يحفظ عليه فيها جور فى قضية ولا قسم بغير سوية ولا ميل لهوى ولا اصغاء الى عناية رحمه الله تعالى ورضى عنه ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربى من قرطبة أعادها الله تعالى جوفى مسجد السيدة الكبرى بقرب داره * وله رحمه الله تعالى تواليف مفيدة منها كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك فى الفقه والكلام فى الرد على أهل المذاهب تغمده الله تعالى برضوانه وكتب بعض الادباء الى القاضى منذر بقوله

مسئلة جئتك مستفتيا * عنها وأنت العالم المستشار
علام تحمرّ وجوه الظبا * وأوجه العشاق فيها اصفرار

فأجاب منذر بقوله

احمرّ وجه الظبى اذ لحظه * سيف على العشاق فيه احورار
واصفرّ وجه الصب لما نأى * والشمس تبقى للمغيب اصفرار

مدينة نحو المدائن وسماها برومية وجعل بنيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من أنواع الاخبار يحكى بذلك انطاكية وغيرها من المدن فى الشام وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب وباب يعرف بماذكرنا وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه وهادنه ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك وحملت اليه الهدايا ووفدت اليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظم ملكه ولما ظهر من فعله بالممالك وقتله الملوك وانه ادى الى العدل فى كتب اليه ملك الصين من يعفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور والذى توجد رائحته على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فرسا من در منضد الاعين الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من زبرجد منضد بالجوهر وثوب حرير صينيا عبقريا فيه صورة الملك جالسا فى ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم وبايديهم المذاب صورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازوردى فى سفط من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها تتلألأ جمالا

*(ومن رحل الى المشرق من الاندلس فشهدله بالسبق كل أهل المغرب والشرق) الامام العلامة أبو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني والعقيلة وغيرهما * وهو أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المقرى الفقيه الحافظ الضرير أحد العلماء المشهورين والفضلاء المشكورين خطب ببلده شاطبة مع صغر سنه ودخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ السلفي وابن برى وغيرهما وولد بشاطبة آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفى بالقاهرة يوم الاحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم * وحكى ان الامير عز الدين موسك الذى كان والد ابن الحاجب حاجباله بعث الى الشيخ الشاطبي يدعوه الى الحضور عنده فامر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه

قل للامير مقالة * من ناصح فطن نبيه
ان الفقيه اذا أتى * أبوابكم لاخير فيه

ومن نظمه رحمه الله تعالى

جالست أبناء الزمان فلم أجد * من لم أرم منه ارتيادى مخلصى
ردالشباب وقد مضى لسبيله * أهيا وأمكن من صديق مخلص

وكان رحمه الله تعالى قرأ بشاطبة القرا آت وأتقنها على النفرى ثم انتقل الى بلنسية فقرأ بها التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة وابن سعادة وابن عبد الرحيم وغيرهم وارتحل الى المشرق فاستوطن القاهرة واشتهر اسمه وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحى وكان اماما علامة ذكيا كثير الفنون منقطع القرين رأسا فى القرا آت حافظا للحديث بصيرا بالعربية واسع العلم وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الامانى وعقيلة اتراب القصائد اللتين فى القرا آت والرسم وحفظهما خلق كثير لايحصون وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء ولقد أوجز وسهل الصعب * وممن روى عنه أبو الحسن ابن خيرة ووصفه من قوة الحفظ بأمر عجيب معجب وممن قرأ عليه بالروايات الامام الشهير محمد ابن عمر القرطبي وتصدر الشاطبي رحمه الله تعالى للاقراء بالمدرسة الفاضلية وكان موصوفا بالزهد والعبادة والانقطاع * وقبره بالقرافة يزار وترجى استجابة الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله بما أرجو قبوله وترك أولادا منهم أبو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة * وقال السبكى فى حق الامام الشاطبي انه كان قوى الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا ناسكا يتوقد ذكاء قال السخاوى أقطع انه كان مكاشفا وانه سأل الله كتمان حاله ما كان أحد يعلم أى شئ هو انتهى وترجمته واسعة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين * وقال ابن خلكان انه أبدع فى حرز الامانى وهى عمدة قراء هذا الزمان فى تعلمهم فقل من يشتغل بالقرا آت الا ويقدم حفظها ومعرفتها وهى مشتملة على رموز عجيبة واشارات لطيفة وما أظنه سبق الى اسلوبها وقد روى عنه انه كان يقول لايقرأ أحد قصيدتى هذه الا وينفعه الله عزوجل لانى نظمتها لله تعالى مخلصا وكان عالما بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيرا وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخارى ومسلم والموطا يصحح النسخ

وسيرها كرما من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك الى أكفائها وكتب اليه ملك الهند من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر الى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى أنوشروان واهدى اليه الف من من عود هندى يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة وجام من الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوء درا وعشرة امنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة اشبار تضرب أشفار عينيها خدها وكأن بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها ظفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الموشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بارض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه أرق من الورق الصينى يتكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو فى عسكره محاربا لبعض اعدائه كتاب ملك التبت من خاقان ملك تبتسان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه

من

من حفظه ويملي النكت على المواضع المحتاج اليها وكان أوحد في علم النحو واللغة عارفا بتعبير الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق في سائر أوقاته الا بما تدعو اليه الحاجة ولا يجلس للقراءة الا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه واذا سئل عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز في النعش وهو لابي زكريا يحيى بن سلامة الخطيب

أتعرف شيأ في السماء نظيره * اذا سار صاح الناس حيث يسير
تلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان نزيل القاضي الفاضل ورتبه بمدرسته بالقاهرة وقيل ان كنيته ابو محمد حسبما وجد في بعض اجازاته رحمه الله تعالى

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس) الامام القاضي أبو بكر بن العربي قال ابن سعيد هو الامام العالم القاضي الشهير فخر المغرب أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري قاضي قضاة كورة اشبيلية ذكره الحجاري في المسهب طبق الآفاق بفوائده وملأ الشام والعراق باوابده وهو امام في الاصول والفروع وغير ذلك ومن شعره وقد ركب مع احد أمراء الملثمين وكان ذلك الامير صغيرا فهز عليه رمحا كان في يده مداعبا له فقال

يهز على الرمح ظبي مهفهف * لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة في لباس خشن

لبس الصوف لكي أنكره * وأتانا شاحبا قد عبسا
قلت ايه قد عرفناك وذا * جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شيء أنت فيه حسن * لا يبالي حسن ما لبسا

وزعم بعض أن الابيات ليست له وانما تمثل بها فالله تعالى أعلم * وممن عرف بابن العربي وذكره ابن الامام في سمط الجمان والشقندي في الطرف وكان قد صحب المهدي محمد بن تومرت بالمشرق فأوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرما عنده وحكي أنه كتب كتابا فأشار عليه بعض من حضر أن يذر عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة وقال اكتب

لا تشنه بما تذر عليه * فكفاه هبوب هذا الهواء
فكأن الذي تذر عليه * جدري بوجنة حسناء

ولقي أبا بكر الطرطوشي وما برح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد أضحى فأحضروها كارهين ثم اجتمعت العامة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره وخرج الى قرطبة وكان في أحد أيام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بغلام رومي وضيء قد جاء

المحمود في السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة للاقاليم السبعة واهدى اليه أنواعا من العجائب التي تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن تبتية ومائة قطعة تجافيف ومائة ترس تبتية وأربعة آلاف من من المسك في نوافج غزلانه وقد كان أنوشروان سار الى ما وراء نهر بلخ وانتهى الى جيلان وقتل اخشوان ملك الهياطلة وملك بلاده وملك ما كان في يد الملك ووجه بالخاتم وكان يحمل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندي وهو الخضاب الذي يلمع سواده فيما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداء ولا ينصل منه شيء (ويحكى) ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها الهنيئة طعامه من أكله من حله وعاد على ذوي الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وكان له خواتيم أربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصه ياقوت كحلي نقشه التأني وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر كالنار نقشه الرجاء ووضع

يخترق الصفوف بشمعة في يده وكتاب معتق فقال

وشمعة تحملها شمعة * يكاد يخفي نورها نارها
لولا هي نفس نهت غيها * لقبلته وانتحت عارها

ولما سمعها أبو عمران الزاهد قال إنه لم يكن يفعل ولكنه هزته أريحية الأدب ولو كنت أنا قلت

لولا الحياء وخوف الله يمنعني * وأن يقال صبا موسى على كبره
إذاً لمتعت لحظي في نواظره * حتى أوفي جفوني الحق من نظره

(رجع) إلى أخبار ابن العربي فنقول إنه سمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السرقسطي وبدانية أبا عبد الله الكلاعي وبالمهدية أبا الحسن بن الحداد الخولاني وسمع بالإسكندرية من الأنماطي وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره وبدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار وقرأ الأدب على التبريزي وعمل رحمه الله تعالى على مدينة إشبيلية سوراً بالحجارة والآجر بالنورة من ماله وكان كما في الصلة حريصاً على آدابها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود وذكره ابن بشكوال في الصلة وقال فيه الإمام الحافظ ختام علماء الأندلس رحل إلى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ثم حج في سنة تسع وثمانين وعاد إلى بغداد ثم صدر عنها وقال ابن عساكر خرج من دمشق راجعاً إلى مقره سنة ٤٩١ ولما غرب صنف عارضة الأحوذي ولقي بمصر والإسكندرية جملة من العلماء ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم إشبيلية بعلم كثير وكان موصوفاً بالفضل والكمال وولي القضاء بإشبيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة وتوفي بعيله بمقبرة من مدينة فاس ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة انتهى كلام ابن سعيد وغيره ملخصاً وما وقع لابن سعيد حافظ الإسلام أبا بكر بن العربي جمعه ثلعر رهبا حصرنا من التعريف به فنقول إنه لقي ببغداد الشاشي والإمام أبا بكر والإمام أبا حامد الطوسي الغزالي ونقل عنه أنه قال كل من رحل لم يأت عثر ما أتيت به من العلم إلا الباجي أو كلاماً هذا معناه وكان من أهل التفنن في العلوم متقدماً في المعارف كلها متكلماً على أنواعها حريصاً على نشرها وقام بأمر القضاء أحمد قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين وقد روي عنه أنه أمر بثقب أشداق زامر ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال بإشبيلية وقال ابن الأبار إن الإمام الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الإشبيلي لازم القاضي ابن العربي نحواً من ثلاثة أشهر ثم تخلف عنه فقيل له في ذلك فقال كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان انتهى وذكره ابن الزبير في صلته وقال إنه رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاماً إلى أن قال وقيد الحديث وضبط ما روى واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام

على

أنوشروان على العراق وضائع الخراج فألزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهماً والأرز نصفاً وثلثاً ولكل أربع نخلات فارسية درهماً ولكل ست نخلات دقل درهماً ولكل ست أصول زيتون درهماً والكرم ثمانية دراهم والرطبة سبعة دراهم فهذه سبعة أنواع من الغلات وترك ... هذا كان العسم السار والهاشم وكان أنوشروان يدعى كسرى الخير وقد ذكرته الشعراء في أشعارها وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي من كلمة

أين كسرى خير الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور
... بهم قرب المنون وبان الـ * ملك عنه فبابه مهجور
... ولو كانوا ورق جف * فألوت به الصبا والدبور

وجلس أنوشروان يوماً للحكماء فأحضرهم من آداب(؟) فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم في مجلسه دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعامة رعيتي فتكلم كل واحد بما حضره من الرأي وأنوشروان مطرق يتفكر في أقاويلهم حتى انتهى القول إلى بزرجمهر ابن البختكان فقال أيها الملك أنا أجمع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة فقال هاتها فقال أولاهن تقوى الله في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب فاجعله ... من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والعمل والوفاء

على أئمة هذا الشان ومات أبوه رحمه الله تعالى بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فانصرف حينئذ الى اشبيلية فسكنها وسمع ودرس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف فى غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولى القضاء مدة أولها فى رجب من سنة ثمان فنفع الله تعالى به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى أوذى فى ذلك بذهاب كتبه وماله فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وكان فصيحا حافظا أديبا شاعرا كثير الملح مليح المجالس ثم قال قال القاضى عياض بعد أن وصفه بما ذكرته ولكثرة حديثه وأخباره وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس الكلام وطعنوا فى حديثه وتوفى منصرفه من مراكش من الوجهة التى توجه فيها مع أهل بلده الى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فادركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضى عياض وأبو جعفر بن الباذش وجماعة انتهى ملخصا * ووقع فى عبارة ابن الزبير تبعا لجماعة أنه دفن خارج باب الجيسة بفاس والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك فى أزهار الرياض وقد زرته مرارا وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته وقال انه دفن بتربة القائد مظفر خارج القصبة وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج رحمه الله تعالى ومن بديع نظمه

أتتنى تؤنبنى بالبكا ... فأهلا بها وبتأنيبها
تقول وفى نفسها حسرة ... أتبكى بعين ترانى بها
فقلت اذا استحسنت غيركم ... أمرت جفونى بتعذيبها

وقال رحمه الله تعالى دخل على الاديب ابن صارة وبين يدى نار علاها رماد فقلت له قل فى هذه فقال

شابت نواصى النار بعد سوادها ... وتسترت عنا بثوب رماد

ثم قال لى أجز قلت

شابت كما شبنا وزال شبابنا ... فكأنما كنا على ميعاد

وقد اختلف حذاق الادباء فى قوله ولكنه رمح وثان وثالث ماهو الثانى والثالث فقيل القد واللحظ وقيل غير ذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى فى كتابه قانون التأويل ركوبه البحر فى رحلته من افريقية قال وقد سبق فى علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزوله ويغرقنا فى هوله فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بنى كعب بن سليم ونحن من السغب على عطب ومن العرى فى أقبح زى قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة مسيئتها ودسمت الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمناها أزرا واشتملناها لفافا تمجنا الابصار وتخذلنا الانصار فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا وأكرم مثوانا وكسانا بأمر حقير ضعيف وفن من العلم طريف وشرحه انا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه فعل السامد اللاه فدنوت منه فى تلك الاطمار وسمح لى بياذقته اذ كنت من الصغر فى حد يسمح فيه للاغمار

بالعدات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول بقدر منازلهم والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسئ على اساءته والسادسة تعهد أهل السجون بالعرض لهم بالايام تستوثق منهم بالمسئ وتطلق البرئ والسابعة تعهد سبيل الناس واسواقهم واسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية فى الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجميع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون فى الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذى الغش والعجز منهم فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جوامع أنواع السياسات الملوكية وكان مما حفظ من كلام أنوشروان وحكمته انه سئل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الاحتياج اليها فقال معروف أودعته الاحرار وعلم توريثه الاعقاب وقيل لانوشروان من أطول الناس عمرا فقال من

ووقفت بآرائهم أنظر الى تصرفهم من ورائهم اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في خلس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير أعلم من صاحبه فأطيعوني شزرا وعظمت في أعينهم بعد أن كنت نزرا وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدناني فدنوت منه وسألني هل لي علم فيه فقلت لي فيه بعض نظر سيبدو لك ويظهر حرك تلك القطعة ففعل كما أشرت وعاوده صاحبه فأمرته ان يحرك أخرى وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا ما أنت بصغير وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الامير منشدا

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال لعن الله أبا الطيب أويتشكك الرب فقلت له في الحال ليس كما ظن صاحبك أيها الامير انما أراد بالرب ههنا الصاحب يقول ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض من الآمال على ريب فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله وتقاة لما يقطع به كما قال

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض في طرفي ابرام وانتقاض ما حرك منهم الى جهتي دواعي الانتهاض وأقبلوا يتعجبون مني ويسألوني كم سني ويستكشفونني عني فبقرت لهم حديثي وذكرت لهم نجيثي وأعلمت الامير بان أبي معي فاستدعاه وأوفدنا الثلاثة الى مثواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه وجاء كل خوان بافنان وألوان ثم قال بعد المبالغة في وصف ما نالهم من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذي هو الى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف أنقذاني من العطب وهذا الذكر يرشدكم ان عقلتم الى المطلب وسرنا حتى انتهينا الى بادر مصر انتهى مختصرا والزول العجب ونجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم اذا ظهر سرهم الذي كانوا يخفونه قاله الجوهري وذكر رحمه الله تعالى في رحلته عجائب * منها انه حكى في دخوله بدمشق بيوت بعض الاكابر انه رأى فيه النهر جاريا الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية اخرى فلم أفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام في النهر المقبل الينا فأخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا فلما فرغنا ألقى الخدم الاواني وما معها في النهر الراجع فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير أن يقرب الخدم تلك الناحية فعلمت السر وان هذا العجيب انتهى بمعناه وقال في قانون التأويل ورد علينا دانشمند يعني الغزالي فنزل برباط أبي سعد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا أمنيتنا عليه وقلت له أنت ضالتنا التي كنا ننشد وامامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة وتحققنا ان الذي نقل الينا من ان الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ولو رآه علي بن العباس لما قال

اذا ما مدحت امرأ غائبا * فلا تغل في مدحه واقصد

فانك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الامد الابعد

فيصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد انتهى

علمه ويتأدب به من بعده أو معروف يشرف به عقبه وأنوشروان الذي يقول الانعام لقاح والشكر ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا وهو الذي يقول لا تعدن الحرمة في الامناء ولا التلذذ في الاحرار وقال أنوشروان لو سألت بزرجمهر من يصلح من ولدي لملك فأظهر برغبته والاحالة اليه ومن لا أعرف ذلك ولكني أصف لك من يصلح لملك أسمحهم للمعالي وأطلبهم للادب وأحرصهم على العامة وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم فان كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (قال المسعودي) وقد ذكرنا في كتاب الزلف الخصال التي يستحق بها الملك من وجدت فيه وما ذكرناه عن حكماء الفرس وأسلافها في ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كافلاطون وما ذكره في كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر انه قال رأيت من أنوشروان خصلتين متباينتين لم أر مثلهما منه جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة أهله فنحاه وزيره فأمر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التي رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره في المجلس ثم رأيته يوما وقد خرج عنده في سر من تدبير شيء من المملكة وخدمه خلف فرشه وسرير و كنت

وكنت نقلت من المطمح في حقه ما صورته علم الاعلام الطاهر الاثواب الباهر الالباب الذي انسى ذكاء اياس، وترك التقليد للقياس، وانتج الفرع من الاصل، وغدا في الاسلام أمضى من النصل، سقى الله تعالى به الاندلس بعد ما أجدبت من المعارف، ومد عليها منه ظله الوارف، وكساها رونق نبله وسناها رين وبله، وكان أبوه أبو محمد باشبيلية بدرا في فلكها، وصدرا في مجلس ملكها، واصطفاه معتمد بني عباد اصطفاء المأمون لابن أبي دواد وولاه الولايات الشريفة، وبوأه المراتب المنيفة، فلما أقفرت حمص من ملكهم وخلت والقتهم منها وتخلت، رحل به الى المشرق، وحل فيه محل الخائف الفرق، فجال في اكنافه واجال قداح الرجاء في استقبال العز واستئنافه، فلم يسترد ذاهبا، ولم يجد كمعتمده بالدلاله وواهبا، فعاد الى الرواية والسماع، وما استفاد من آمال تلك الاطماع، وابو بكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب ما دوح، وفي روض الشباب زهر ما صوح، فالزمه مجالس العلم رائحا وغاديا، ولازمه سائقا اليها وحاديا، حتى استقرت به مجالسه، واطردت له مقايسه، فجد في طلبه، واستجد به ابوه متمزق اربه، ثم ادركه حمامه، ووارته هنالك رجامه، وبقي ابو بكر متفردا وللطلب متجردا، حتى اصبح في العلم وحيدا، ولم يجد عنه رياسته محيدا، فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة، ولانبائه متسمعة، فناهيك من حظوة لقي ومن عزة سقي، ومن رفعة سما اليها ورقي، وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن انس اثبتها فيها وخلدها، وقد اثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافا، وترده الافهام نطافا، فمن ذلك قوله يتشوق الى بغداد، ويخاطب فيها أهل الوداد

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر * خيال حبيب قد حوى قصب الفخر
جلا ظلم الظلماء مشرق نوره * ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر
ولم يرض بالارض البسيطة مسحبا * فسار على الجوزا الى فلك يجري
وحث مطايا قد مطاها بعزه * فأوما أها قسرا على قنة النسر
فصارت ثقالا بالجلالة فوقها * وسارت عجالا تتقي ألم الزجر
وجرت على ذيل المجرة ذيلها * فمن ثم يبدو ما هناك لمن يسري
ومرت على الجوزاء توضع فوقها * فآثار ما مرت به كلف البدر
وساقت أريج الخلد من جنة العلا * فدع عنك رملا بالانيعم يستذري
فما ذرت قيسا ولا خيل عامر * ولا أضمرت خوفا لقا ابني ضمر
سقى الله مصرا والعراق وأهلها * وبغداد والشامين منهمل القطر انتهى

ومن تآليف الحافظ أبي بكر بن العربي المذكور كتاب القبس في شرح موطا مالك بن أنس وكتاب ترتيب المسالك في شرح موطا مالك وكتاب أنوار الفجر وكتاب أحكام القرآن وكتاب عارضة الاحوذي في شرح الترمذي والاحوذي بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وآخره ياء مشددة وكتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب سراج المريدين وكتاب المشكلين مشكل الكتاب والسنة وكتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن وكتاب قانون التأويل وكتاب النيرين في الصحيحين وكتاب

ملكا يتحدثون فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه فقلت له وأخبرته بتفاوت ما بين الحالين فقال لي لا تعجل فنحن ملوك على رعيتنا وخدم لملوك على أرواحنا ينالون منا في خلوتنا ما لا حيلة لنا معه في التحرز منهم وكان أنوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود وعدل الملك أخصب من عدل الزمان وكان يقول أيام السرور كلمح البصر وأيام الحزن تكاد تكون شهورا (قال المسعودي) ولانوشروان سير حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وما كان منه في مسيره في سائر اسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة في الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن أنوشروان بن قباذ وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر مما يلي الباب والابواب فكان ملكه اثنتي عشرة سنة وكان متحاملا على خواص الناس مائلا الى عوامهم متوريا لهم موثرا للارويبضة وتوابع العوام مقربا لهم بخواص الناس وقيل انه قتل في مدة

سراج المهتدين وكتاب الأمد الاقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب فى الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح فى تعيين الذبيح وتفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافى فى أن لا دليل على النافى وكتاب السباعيات وكتاب المسلسلات وكتاب التوسط فى معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوى البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصاف فى مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر فى الشفاعة وكتاب شرح حديث أم زرع وكتاب ستر العورة وكتاب المحصول فى علم الأصول وكتاب أعيان الاعيان وكتاب ملجأة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد ما لا يوصف * ومن فوائد القاضى أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى قوله قال علماء الحديث ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبى صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها الحديث قال وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفى بقوله

أهل الحديث عصابة الحق * فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة * لألاؤها كتألق البرق
ياليتنى معهم فيدركنى * ما أدركوه بها من السبق
انتهى

(ولا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى) * فمنها قوله فى تصريف المحصنات يقال أحصن الرجل فهو محصن بفتح الصاد فى اسم الفاعل وأسهب فى الكلام فهو مسهب اذا أطال البحث فيه وألفج فهو ملفج اذا كان عديما لا رابع لها والله تعالى أعلم انتهى * ومنها قوله سمعت الشيخ فخر الاسلام أبا بكر الشاشى وهو ينتصر لمذهب أبى حنيفة فى مجلس النظر يقول يقال فى اللغة العربية لا تقرب كذا بفتح الراء أى لا تتلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضع وهذا الذى قاله صحيح مسموع انتهى * ومنها شاهدت المائدة بطور زيتا مرارا وأكلت عليها ليلا ونهارا وذكرت الله سبحانه فيها سرا وجهارا وكان ارتفاعها أسفل من القامة بنحو الشبر وكان لها درجان قبلى وجنوبى وكانت صخرة صلداء لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة اذ مسخ أربابها قردة وخنازير والذى عندى أنها كانت صخرة فى الاصل قطعت من الارض محلا للمائدة النازلة من السماء وكل ما حولها حجارة مثلها وكان ما حولها محفوفا بقصور وقد نحتت فى ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها وحناياها فى جوانبها وبيوت خدمها قد صورت من الحجر كما تصور من الطين والخشب فاذا دخلت فى قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار ثمن درهم لم يفتحه أهل الارض للصوقه بالارض واذا هبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح الا بعد صب الماء تحته والاكثار منه حتى يسيل بالتراب وينفرج منفرج الباب وقد بار بها قوم بهذه العلة وقد كنت أخلو فيها كثيرا للدرس ولكنى كنت فى كل حين أكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيرى فيها وقد

ملكه من خواص فارس ثلاثمائة ألف رجل مذكور ولاثنتى عشرة سنة من ملكه تخرم عليه الملك وتداعت أركانه وزحفت اليه الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد كان أزال أحكام الموبذان وخرب بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة بن شب عظيم من ملوك الترك فى أربعمائة ألف حتى نزل نحو بلاد هراة وبلاد عيسى وبوشنج من أرض خراسان وسار اليه من أطراف أرضه طراخنة من الخزر فى جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك الى ما يقع بخيل أوقفت وملوك تهادنت وتواهبت ما كان بينهم من الدماء مما يلى جبل الفتح وسار بطريق القيصر فى ثمانين ألفا مما يلى الجزيرة وسار مما يلى اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد وعليهم العباس المعروف بالاحول وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز امره واحضر الموبذ وذوى الرأى منهم من بعد احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم والاقبال على شابة بن شب فانتدب لحربه بهرام جوبين ابن مرزبان الرى وكان بهرام هذا من ولد جرجين بن ميلاد من نسل انوس المعروف بالران فسار

شرحت

شرحت أمرها في كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من هذا انتهى * ومنها قوله رحمه الله تعالى تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري الطرطوشي حديث ابي ثعلبة المرفوع ان من ورائكم أياما للعامل فيها أجر خمسين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الامة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين وأقاموا المنار وافتتحوا الامصار وحموا البيضة ومهدوا الملة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ولا يدانيهم فيها بشر وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الاجر من أخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو أيضا انتهاؤه وقد كان قليلا في ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق وفي آخر الزمان أيضا يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتي سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه وقال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فلابد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد ويضعف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء اليه كان له من الاجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معانا عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى وذلك قوله لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله يروى برفع الهاء ونصبها فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعروف ولا ناه عن منكر يقول أخاف الله وحينئذ يتمنى العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتني كنت مكانه انتهى وأنشد رحمه الله تعالى لبعض الصوفية

امتحن الله بذا خلقه * فالنار والجنة في قبضته
فهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

*(ومن فوائد ابن العربي) رحمه الله تعالى انه قال كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور بن جهير على رتبة بيناها في كتاب الرحلة للترغيب في الملة فقرأ القارئ تحيتهم يوم يلقونه سلام وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء بن عقيل امام الحنبلية بمدينة السلام وكان معتزلي الاصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة فان العرب لا تقول لقيت فلانا الا اذا رأته فصرف وجهه أبو الوفاء مسرعا الينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد قال الله

في اثني عشر الفا وشابة في أربعمائة الف فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من ترغيب وترهيب وحيل في الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه وأمواله وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمود بن شابة ولده تحصن في بعض القلاع من بهرام فنزل عليه بهرام فنزل برموده على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام جملا من الغنائم وما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان في خزائن أفراسياب من الاموال والجواهر التي كان أخذها من سياوخش وما كان بأيدي الترك من تركات هوحاسف ملك الترك مما أخذه من خزائن بستاسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة فلما انتهى ما وصفنا من الاموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزيره هرمز ارتحسيس وقد نظر الى اعجاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال اعظم هذه زلته وعرض لهرمز بخيانة بهرام واستبداده باكثر الجواهر والاموال والغنائم وأغراه به فعصاه بهرام ثم احتال بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا من التجار فأنفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت في أيديهم وعلم بها هرمز فلم يشك أن

تعالى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى فى الآخرة وقد شرحنا وجه الآية فى المشكلين وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه ويحتمل ضمير يلقونه ان يعود الى ضمير الفاعل فى أعقبهم المقدر بقولنا هو ويحتمل أن يعود الى النفاق مجازا على تقدير الجزاء انتهى * ومنها ما نقله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقد أنبأنا محمد بن عبد الملك القيسى الواعظ أنبأنا أبو الفضل الجوهرى سماعا منه كنا فى جنازة فقال المنذر بها انصرفوا رحمكم الله تعالى فقال لا يقل أحدكم انصرفوا فان الله تعالى قال فى قوم ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فان الله تعالى قال فى قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء انتهى * ومنها وقد ذكر الخلاف فى شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقدم مقاله فان لسان الحال أبلغ من لسان المقال فى بعض الامور وقد تضيف العرب الكلام الى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ومن أحلاه قول بعضهم قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى ما يتركنى ورائى هذا الذى ورائى لكن قوله تعالى بعد ذلك من أهلها فى صفة الشاهد يبطل أن يكون القميص وأما من قال انه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله من أهلها يعطى اختصاصها من جهة القرابة انتهى * ومنها قوله انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية وأى امام يعرف بابن عطاء فتكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب اليه من مكروه فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال يا شيخ يا سيدنا فاذن يوسف هم وما تم فقال نعم لأن العناية من ثم فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العامى فى سؤاله والعالم فى اختصاره واستيفائه ولذا قال علماؤنا الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما أن الله تعالى أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة انتهى * ومنها قوله كنت بمكة مقيما فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكنت أشرب من ماء زمزم كثيرا وكل ما شربته نويت به العلم والايمان ففتح الله تعالى لى بركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ونسيت أن أشربه للعمل ويا ليتنى شربته لهما حتى يفتح الله تعالى لى فيهما ولم يقدر فكان صغوى للعلم أكثر منه للعمل وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته * ومنها قوله سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء على بن عقيل يقول انما تبع الولد الام فى المالية وصار بحكمها فى الرق والحرية لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مبثوثة عليه وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كما لو أن رجلا كل تمرا فى أرض رجل وسقطت منه نواة فى الارض من يد الآكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض دون الآكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها وهذه من البدائع انتهى * ومنها قوله ومن نوادر أبى الفضل الجوهرى ما أخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا أمسكت علاقة الميزان بالابهام والسبابة وارتفعت سائر الاصابع كان شكلها مقروا بقولك الله فكأنها اشارة منه سبحانه فى تيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل فى وزنك

ذلك فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ولم يعلم أن الحيلة فى ذلك من بهرام

ابنه أبرويز بهما طلبا فهرب أبرويز من أبيه لتغيره عليه ولحق ببلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان وحبس هرمز خالى أبرويز بسطام ونهدويه فأعملا الحيلة فى محبسهما وخرجا فانصاف اليهما خلق من الجيش فدخلا على هرمز فسملا عينيه وأعمياه فلما نمى ذلك الى أبرويز سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لا ذنب له فى ذلك وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه هرمز وسلم الملك اليه ونمى ذلك الى بهرام جوبين فسار فى عساكره يؤم الباب ودار الملك فخرج اليه أبرويز فالتقيا على شاطئ النهروان والنهر بينهما فتوادعا وكان لهما خطب طويل من تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها أبرويز لتخلف أصحابه عنه وميلهم الى بهرام فنجا تحته فرسه المعروف بشبديز وهو المصور فى الجبل وهو ببلاد قرماسين من أعمال الدينور هو وأبرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من احدى عجائب العالم وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المصورة فى الصخر والفرس تذكر فى أشعارها وغيرها من الحرب هذا الفرس المعروف بشبديز وقد كان أبرويز على شبديز فى بعض

انتهى

انتهى * ومنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام فيسمع من الطور فلا يقدر أحد أن يصنع شيأ دون قراءته الا الاصغاء اليه انتهى * ومنها قوله في تفسير قوله تعالى في أيام نحسات قيل انها كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء والناس يزهدون السفر يوم الاربعاء لاجل هذه الرواية حتى اني لقيت يوما مع خالي الحسن بن أبي حفص رجلا من الكتاب فودعنا بنية السفر فلما فارقنا قال لي خالي انك لا تراه أبدا لانه سافر في يوم أربعاء لا يتكرر كذا كان مات في سفره وهذا ما لا أراه لان يوم الاربعاء يوم عجيب بما جاء في الحديث من الخلق فيه والترتيب فان الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثاء المكروه ويوم الاربعاء النور وروى النون وفي غريب الحديث أنه خلق يوم الاربعاء التقن وهو كل شئ تتقن به الاشياء يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص فاليوم الذي خلق فيه المكروه لا تعافه الناس واليوم الذي خلق فيه النور أو التقن يعافونه ان هذا هو الجهل المبين وفي المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الاحزاب من يوم الاثنين الى يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فاستجيب له وهي ساعة فاضلة فالآثار الصحاح تدل على فضل هذا اليوم فكيف يدعى فيه التحذير والنحس بأحاديث لا أصل لها وقد صور قوم أياما من الاشهر الشمسية ادعوا فيها الكراهية لا يحل لمسلم أن ينظر اليها ولا يشغل بالا بها أخسهم الله انتهى * ومنها وكان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الامام دانشمند من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله انتهى * ومن شعر ابن العربي مما نسبه له الشيخ أبو حيان قوله

ليت شعري هل دروا * أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى * أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى * في الهوى وارتبكوا

* (ومن فوائده) * أخبرني المهرة من السحرة بأرض بابل أنه من كتب آخر آية من كل سورة ويعلقها لم يبلغ اليه سحرنا قال هكذا قالوا والله تعالى أعلم بما نقلوه * وقال رحمه الله تعالى حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي أبي الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر محمد بن أبي عامر بن حجاج الغافقي الاشبيلي) ومن نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

لم يبق لي سؤل ولا مطلب * مذ صرت جار الحبيب الحبيب
لا أبتغي شيأ سوى قربه * وها أنا منه قريب قريب
من غاب عن حضرة محبوبه * فلست عن طيبة ممن يغيب

الايام فانقطع عنانه فدعا بصاحب سروجه وجه فاراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها الملك ما بقي سرير يحيى دنه ملك الانس وملك الخيل فاطلقه وأجاره ولما ثلج هذا الفرس تحت أبرويز وقصر طالب الى النعمان في المعركة أن يمن عليه بفرسه المعروف باليحموم فأبى عليه وجاء اليه بفرسه ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي الى أبرويز وقد ماتته الرجال وأشرف على الهلاك فأعطاه فرسه المعروف بالضبيب وقال له أيها الملك انج على فرسي فان حياتك للناس خير من حياتي وأعطاه أبرويز فرسه شبداز فدعا عليه في جملة الناس ومضى أبرويز الى أبيه ففي ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائي

أعطيت كسرى ما أراد ولم أكن
لاتركه في الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الضبيب وقد بدت
مسومة من خيل ترك وأبلا

فكافأه ابرويز بعد ذلك وعرف له ما صنع ولما سار أبرويز من الهزيمة الى أبيه هرمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت في مثل هذه الحالة انجدت في حطب جرى بينه وبين أبيه فمضى أبرويز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام ونفدويه وعبر دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام

لاتسأل المغبوط عن حاله * جار كريم ومحل خصيب
العيش والموت هنا طيب * بطيبة لى كل شئ يطيب

وممن روى عنه هذه الابيات الاشرف بن الفاضل (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل البارع جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الخطيب أبي الحسن محمد بن أبي عبد الله بن عيسى بن محمد بن علي بن ذي النون الانصاري المالقي) من أشياخ ابي حيان لقيه ببلبيس من ديار مصر قال وأنشدني لشيخه أبي عبد الله الاستجي من قصيدة

ما للنسيم سرى يهب عليلا * أتراه يشكو لوعة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتي * فأتى يجر من السقام ذيولا

وانشد رحمه الله تعالى لرضوان المخزومي

ان كنت يوسف حسنا * وكنت عبد العزيز
فان يوسف من قبل كان عبد العزيز

وأخذ ابن ذي النون المذكور عن أبي عبد الله بن صالح وقرأ للسبعة على أبي جعفر الفحام وأبي زيد القمارشي وعلى أبي جعفر السهيلي وولد ابن ذي النون سنة ٦١٨ بمالقة ومن تواليفه نفح المسك الاذفر في مدح المنصور بن المظفر وأزهار الخميلة في الآثار الجميلة واستطلاع البشير ومحض اليقين وروض المتقين * (ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون ٣) يكنى أبا عبد الله كان فقيه الاندلس على مذهب مالك وهو أول من أدخل مذهبه الاندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب الاوزاعي وأراده الامير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام ليت الناس كلهم كزياد حتى أكفى الرغبة في الدنيا وأرسل الى زياد فأمنه حتى رجع الى داره ويحكى انه لما اراده للقضاء كلمه الوزراء في ذلك عن الامير وعرفوه عزمه عليه فقال لهم اما ان أكرهتموني على القضاء فزوجتي فلانة طالق ثلاثا لئن أتاني مدع في شئ مما في أيديكم لاخرجنه منه ثم أجعلكم مدعين فيما بقي فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه فعملوا عند الامير في معافاته سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنة معاوية تحته وروى يحيى بن يحيى الليثي عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل الى مالك ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه الا أبوابا في كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فابقى روايته فيها عن زياد عن مالك وتوفي سنة اربع ومائتين وقيل سنة ١٩٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة ١٩٩ والاول أولى بالقبول والله تعالى أعلم ورحل في ذلك العصر جماعة من امثال شبطون كفرغوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم ممن رحل الى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالاندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان زائد الجماعة في ذلك شبطون وهو أول من أدخل موطأ مالك الى الاندلس مكملا متقنا فأخذه عنه يحيى بن يحيى كما مر وهو اذ ذاك صدر في طلاب الفقه فأشار عليه زياد بالرحيل الى مالك ما دام حيا فرحل سريعا وأخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة الى يحيى ولقى أيضا عبد الله بن وهب صاحب مالك وسمع منه موطأه ولقي أيضا عبد الله بن نافع المدني

٣ قوله المعروف بشبطون تقدم انه في نسخة بسطون وفي أخرى بشطون فليحرر اه

ونظر في مسيره ذلك اليوم الى خاله وقد تأخر عنه فاستراب بهما وبمن انضاف اليهما ممن كان معهم فسألهما عن السبب فقالا لسنا بآمنين أن يدخل بهرام الى أبيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأسه وان كان أعمى ويصير هو الهرمزان وتفسير ذلك امير الامراء والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدمستق وفي كتاب بهرام الى أبيك هرمز الى قيصر ان ابني ابرويز وجماعة انضافوا اليه وثبوا وسملوا عيني فاحمله الى فيحملنا قيصر عليه فيأتي علينا بهرام ولا بد لنا من الرجوع الى أبيك وقتله فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك واظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلهما فرجعا من فورهما ومن تسرع معهما الى المدائن وقد صاروا على اميال منها فدخلا على هرمز فخنقاه ولحقا بابرويز ولحقتهم خيل بهرام وكانت منهم حيلة في بعض الديارات الى أن تخلصوا من تلك الخيل وسار أبرويز وفي هرمز يقول ورقة بن نوفل

لم يغن هرمز من شئ خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له

صاحب مالك وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الاندلس أيام الحكم فانتشر به وبزياد وبعيسى بن دينار علم مالك بالاندلس رضى الله تعالى عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذى رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك فليراجع فى الباب الثالث (ومنهم سوار بن طارق مولى عبد الرحمن بن معاوية) قرطبى حج ودخل البصرة ولقى الاصمعى ونظراءه وانصرف الى الاندلس وأدب الحكم ومن ولده محمد بن عبد الله بن سوار حج أيضا ولقى أبا حاتم بالبصرة والرياشى وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بقى بن مخلد الشهير الذكر صاحب التآليف التى لم يؤلف مثلها فى الاسلام ولقى مائتين وأربعة وثمانين شيخا وكانت له خاصة من الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وستأتى جملة مما يتعلق ببقى بن مخلد فى رسالة ابن حزم فى الباب السابع وبقى على وزن على رحمه الله تعالى ورضى عنه وقد عرف ببقى بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب المبراس وغيره * (ومنهم قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البيانى) وبيانة من اعمال قرطبة وأصل سلفه من موالى الوليد بن عبد الملك وسمع المذكور بقرطبة من بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وأصبغ بن خليل وابن مسرة وغير واحد ورحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الاعلى سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع بمكة من محمد بن اسمعيل الصائغ وعلى بن عبد العزيز ودخل العراق فلقى من أهل الكوفة ابراهيم بن أبى العنبس قاضيها وابراهيم بن عبد الله القصار وسمع ببغداد من القاضى اسمعيل وأحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل والحرث بن أبى اسامة وكتب عن ابن أبى خيثمة تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم فى آخرين وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العمرى ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتى الشاعر وانصرف الى الاندلس بعلم كثير فمال الناس اليه فى تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن وابن عبد الاعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبيلا فى النحو والغريب والشعر وكان يشاور فى الاحكام وصنف على كتاب السنن لابى داود كتابا فى الحديث وسببه انه لما قدم العراق سنة ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد بن أيمن وجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما بيسير فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفا فى السنن على أبواب كتاب أبى داود وخرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنفان جليلان ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسماه المجتنى بالنون وابتدأ اختصاره فى المحرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة وجعله باسم الحكم المستنصر وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثا فى سبعة أجزاء ومولده يوم الاثنين عاشر ذى الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى وحكى القرطبى فى تفسيره عند قوله تعالى قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا ان قاسم بن أصبغ قال لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قدم عليه قوم من مضر مجتابى النمار فقال انما هو مجتابى الثمار فقلت انما هو مجتابى

والجنّ والانس تجرى بينها البرد واسرع بهرام جور الى المدائن من النهروان حين بلغه قتل هرمز فاحتوى على الملك ولحق ابرويز بالرها فنزلها وكاتب ملوك الروم وهو موريقش مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه يسئله النصرة على عدوّه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من امواله والاحسان الى جنده وانه يؤدى اليه ديات من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط واهدى اليه هدايا كثيرة منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك فى نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور فى آذانهم أقراط الذهب بها الدر واللؤلؤ ومائدة من العنبر قطرها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بانواع الجواهر أحد الارجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعل بظلفه والثالث كف عقاب بمخلبه فى وسطها جام جزع يمانى فاخر قطره شبر مملوءة حجارة ياقوت أحمر وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أروع ما يكون فحمل اليه موريقش ملك الروم الفى ألف دينار ومائة ألف فارس بعث بهم مع هديته وألف ثوب من الديباج الخزائنى المنسوج بالذهب الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس

الثمار هكذا قرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق فقال لى بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا ثم قال لى قم بنا الى ذلك الشيخ كان فى المسجد فان له بمثل هذا علما فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتابى الثمار كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم والثمار جمع نمرة فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه رغم أنفى للحق وانصرف انتهى وهذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله تعالى ورضى عنهما ونفعنا بهما *(ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد العوفى السرقسطى) رحل مع أبيه فسمع بمصر من احمد بن شعيب النسائى وأحمد بن عمر البزار وبمكة من عبد الله بن على بن الجارود ومحمد بن على الجوهرى واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فادخلا الى الاندلس علما كثيرا ويقال انهما أول من أدخل كتاب العين الى الاندلس وألف قاسم فى شرح الحديث كتابا سماه الدلائل بلغ فيه الغاية فى الاتقان ومات قبل اكماله فاكمله ابن ثابت بعده وقد روى عن أبى على البغدادى انه كان يقول كتبت كتاب الدلائل وما أعلم انه وضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما فى معرفة الحديث والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا واريد على القضاء بسرقسطة فأبى ذلك فأراد أبوه اكراهه عليه فسأله أن يتركه ينظر فى امره ثلاثة أيام ويستخير الله تعالى فمات فى هذه الثلاثة الايام فيرون انه دعا لنفسه بالموت وكان مجاب الدعوة توفى سنة ٣٠٣ بسرقسطة رحمه الله تعالى *(ومنهم علم الدين أبو محمد المرسى اللورقى وهو قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر) العلامة المقرى الاصولى النحوى ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبى جعفر الحصار وابى عبد الله المرادى وابى عبد الله بن نوح الغافقى وقدم مصر فقرأ بها على ابى الجود غياث بن فارس وبدمشق على التاج بن زيد الكندى وسمع ببغداد من ابى محمد بن الاخضر وأخذ العربية عن ابى البقاء ولقى الجزولى بالمغرب وسأله عن مسئلة مشكلة فى مقدمته فاجابه وبرع فى العربية وفى علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ ذلك ويحققه واقرأ بدمشق ودرس وشرح المفصل فى النحو فى اربع مجلدات فاجاد وافاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل حسن البزة موطأ الاكناف قرأ عليه جماعة وتوفى سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمرا مشتغلا بانواع العلوم وسماه بعضهم ابا القاسم والاول أصح *(ومنهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار ابو محمد) من اهل قرطبة وجده مولى الوليد بن عبد الملك رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزنى والبرقى والحرث بن مسكين ويونس بن عبد الاعلى وابراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقه وتحقق به وبالمزنى وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ويميل الى مذهب الشافعى ولما قال له ابنه محمد بن القاسم يا ابت اوصنى قال اوصيك بكتاب الله فلا تنس حظك منه واقرأ منه كل يوم جزأ واجعل ذلك عليك واجبا وان اردت ان تأخذ من هذا الامر بحظ يعنى الفقه فعليك برأى الشافعى فانى رأيته اقل خطأ قال ابو الوليد بن الفرضى ولم يكن بالاندلس مثله فى حسن النظر والبصر بالحجة وقال احمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة ما رأينا افقه من قاسم بن محمد فيمن دخل الاندلس من اهل الرحلة وقال اسلم بن عبد العزيز سمعت عن ابن عبد الحكم انه قال لم يقدم علينا من الاندلس احد أعلم

وغيرهم من الاجناس المجاورة لملك الروم على رؤسهن اكاليل الجوهر وزوجه بابنته مارية وحملها اليه مع أخيه

...د وس واشترط ملك الروم على أبرويز شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه أنوشروان وترك التعرض لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تتزوج الى سائر من جاورها من ملوك الامم ولا تزوجها الا بهم أحرار وانجاد وللفرس فى هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق وتحمسها فكانوا يقفون بمزدلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن الحمس وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار أنا رجل أحمسى ولما اجتمع لابرويز ما وصفنا سار الى بلاد آذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر وانضاف اليه كثير من الجنود والامم وبلغ بهرام جوبين ما قد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره والتقى الجيشان جميعا ووجهت على بهرام فانكشف فى نفر من أصحابه وانتهى الى أطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى مملكته هو ومن حصل معه من أصحابه وأخته كرديه وكانت فى الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول فى كثير من

من

من قاسم بن محمد ولقد عاتبته فى حين انصرافه الى الاندلس وقلت له اقم عندنا فانك تعتقد ههنا رياسة ويحتاج الناس اليك فقال لا بد من الوطن وقال سعيد بن عثمان قال لى احمد بن صالح الكوفى قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد فرايت رجلا فقيها وألف رحمه الله تعالى كتابا نبيلا فى الرد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والعتبى يدل على علمه وله كتاب فى خبر الواحد وكان يلى وثائق الامير محمد طول ايامه روى عنه ابن لبابة وابن أيمن والاعناقى وابنه محمد بن قاسم فى آخرين توفى سنة ست او سبع او ثمان وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو بكر الغسانى وهو محمد بن ابراهيم بن احمد بن اسود) من اهل المرية قدم الى مصر ولقى بها ابا بكر الطرطوشى ثم عاد الى بلده وشوور واستقضى بمرسية مدة طويلة ثم صرف وسكن مراكش * قال ابن بشكوال توفى بمراكش فى رجب سنة ٥٣٦ وقال ابو جعفر بن الزبير له كتاب تفسير القرآن وبيته بيت علم ودين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حيون) من أهل وادى الحجارة قال ابن الفرضى سمع من ابن وضاح والخشنى ونظرائهما بالاندلس ورحل الى المشرق تردد هنالك نحوا من خمس عشرة سنة وسمع بصنعاء ومكة وبغداد ولقى جماعة من اصحاب الامام أحمد بن حنبل منهم عبد الله بن أحمد وسمع بمصر من الخفاف النسابورى وابراهيم بن موسى وغيرهما وبالمصيصة والقيروان وكان اماما فى الحديث عالما حافظا للعلل بصيرا بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله أبصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجه للحديث صدوق ولم يذهب مذهب مالك وممن روى عنه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأحمد بن سعيد بن حزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدق انسانا لكان ابن حيون وكان يزن بالتشيع لشئ كان يظهر منه فى حق معاوية رضى الله تعالى عنه وكان شاعرا وتوفى بقرطبة سنة ٣٠٥ سامحه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن غالب المالقى) قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من أبى الحسن بن المقدسى وكان فاضلا رأيت بخطه اجازة بمصر لبعض المصريين فى رجب سنة ٦٠٤ وسمع بمصر شيأ من الخلعيات قال ابن فرتون الفاسى فى ذيل تاريخ الاندلس روى بمالقة ورحل الى المشرق وحج ولقى أبا الحسن على بن الفضل المقدسى وأخذ عنه كتاب تحقيق الجواب عمن أجيز له ما فاته من الكتاب من تأليفه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش فتوفى فى أقصى بلاد السوس فى حدود سنة ٦٤٥ رحمه الله تعالى * (ومنهم اليقورى وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) مصنف كتاب اكمال الاكمال للقاضى عياض على صحيح مسلم وكتب على كتاب الشهاب القرافى فى الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة ثم عاد بعد حجه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ وقد زرت قبره مرارا قال الحافظ المقريزى واليقورى نسبة الى يقورة بياء آخر الحروف مفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة بلد بالاندلس انتهى (ومنهم أبو عبد الله الانصارى وهو محمد بن ابراهيم بن موسى ابن عبد السلام) ويعرف بابن شق الليل من أهل طليطلة سمع بمصر أبا الفرج الصوفى وأبا القاسم الطحان الحافظ وأبا محمد بن النحاس وأبا القاسم بن ميسرة وأبا الحسن بن بشر وغيرهم

حربه ومضى كسرى ابرويز الى دار مملكته وأمر الجنود مرويفش بالاموال والمراكب والكساوى وكافأهم على ما كان منهم فى معونته وحمل اليه الف ألف دينار وبرنز ذلك هدايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ما وعده وخرج من كل ما أوجبه على نفسه واحتال ابرويز فى قتل بهرام فى أرض الترك فقتل هناك غيلة وذكر أن رأسه حمل بعد ان احتيل عليه وأخرجه من الناووس الذى كان خاقان ملك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل تاجر فارسى فنصب على باب ابرويز فى رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها من اصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها أخبار فى الطريق مع ابن لخاقان وكتبها ابرويز فى فى قتل خاله بسطام وكان مرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بابيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد فى أخبار بهرام جوبين وما كان من مكايده ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العير الكبير كان قد احتملها من بين جوار بها وعلا بها وقد خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز الغالب عليه والمدبر لامره ...

وسمع بطليطلة من جماعة وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة * قال ابن بشكوال وكان فقيها عالما واماما متكلما حافظا للفقه والحديث قائما بهما متقنا لهما الا أن المعرفة بالحديث وأسماء رجاله والبصر بمعانيه وعلله كان أغلب عليه وكان مليح الخط جيد الضبط من أهل الرواية والدراية والمشاركة في العلوم وكان أديبا شاعرا مجيدا لغويا دينا فاضلا كثير التصانيف والكلام على علم الحديث حلو الكلام في تأليفه وله عناية باصول الديانات واظهار الكرامات توفي بطليطلة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٥٥ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الامام الشهير الولي الكبير العارف بالله سيدي أبو عبد الله القرشي الهاشمي الاندلسي) شيخ السالكين وامام العارفين وقدوة المحققين قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعة من اعلام الزهاد وكان يقول صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم باربعة الشيخ أبو الربيع والشيخ أبو الحسن بن طريف والشيخ أبو زيد القرطبي والشيخ أبو العباس الجوزي وسلك على يده جماعة منهم الشيخ أبو العباس القسطلاني فانه أخذ عنه كلامه وجمعه في جزء وخرج سيدي أبو عبد الله القرشي من مصر الى بيت المقدس فأقام به الى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذي الحجة سنة ٥٩٩ عن خمس وخمسين سنة ودفن هنالك وقبره ظاهر يقصد للزيارة وزرته أول قدماتي على بيت المقدس سنة ١٠٣٨ ومن كلامه من لم يدخل في الامور بلطف الادب لم يدرك مطلوبه منها وقوله العاقل يأخذ ما صفا ويدع التكلف فانه تعالى يقول وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه حرم بركة الصحبة وقال سمعت الشيخ أبا اسحق ابراهيم بن طريف يقول لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لاصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها الى فانه بلغني انها فداء كل مؤمن من النار قال فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له ثم حكى عن شيخه أبي زيد القرطبي ما حكاه السنوسي عنه في أواخر شرح صغراه وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كون ما ذكر حديثا ولعل هؤلاء أخذوه من جهة الكشف ونحوه والله تعالى أعلم وقال رحمه الله تعالى دخلت على الشيخ أبي محمد عبد الله المغاوري فقال لي أعلمك شيأ تستعين به اذا احتجت لشئ فقل يا واحد يا أحد يا واجد يا جواد انفعنا منك بنفحة خير انك على كل شئ قدير قال فأنا انفق منها منذ سمعتها وقال رحمه الله تعالى ما من حال ذكر في رسالة القشيري الا وقد شاهدته نفسي وتزوج رحمه الله تعالى بنساء حدثن عنه بكرامات ومنهن أم القطب القسطلاني وحكت انها خرجت عنه يوما لحاجتها ثم عادت فسمعت عنده في طبقته حس رجل فتوقفت وتفقدت الباب فوجدته مغلقا فلما انقطع الكلام دخلت اليه فاذا هو وحده كما تركته وسألته عن ذلك فقال هو الخضر دخل على وفي يده حية فقال هذه حيتك جئتك بها من أرض نجد وفيها شفاء مرضك فقلت لا أريد اذهب أنت وحيتك لا حاجة لي بها ودخل عليه بعض نسائه يوما فوجدته بصيرا نقي الجسم من الجذام فلما نظرته قال لها أتريدين أبقى لك هكذا فقالت له يا سيدي كن كيف شئت انما مقصودي خدمتك وبركتك وقيل له وقد تكاثرت منه رؤية الاشياء واخباره بها مع كونه ضريرا عن ذلك فقال كلي أعين بأي عضو

من حكماء الفرس وهو بزرجمهر بن البختكان فلما خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل الى بعض الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ما أداك اليه عقلك أن صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه بزرجمهر أما اذا كان معي الجد وكنت أنتفع بثمرة عقلي فالآن اذ لا جد معي فقد أنتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثيرا الخير فقد استرحت من كثير من الشر واغرى ابرويز ببزرجمهر فدعا به وامر بكسر انفه وفمه فقال بزرجمهر في لأهل لما هو شر من هذا فقال ابرويز ولم يا عدو الله فقال لاني كنت اصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك وأقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه اسمع مني يا شر الملوك نفسا واخبثهم فعلا وأسواهم عشرة لا تقتلني بالشك وترفع به اليقين الذي قد علمته مني بالتمسك بالشريعة من ذا الذي يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وامر به فضرب عنقه ولبزرجمهر في ايدي الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير في الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف ودعا بجبرانوس الوزير الثاني وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر فلما راى بزرجمهر

أردت

أردت ان انظر به نظرت وقال هممت ان أدعو برفع الغلاء فقيل لي لا تدع فما نسمع لاحد منكم في هذا الامر دعاء فسافرت الى الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عليه السلام تلقاني رسول الله الخليل حين ورودي عليه فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك أهل مصر فدعا لهم ففرج عنهم ومناقبه رحمه الله تعالى وكراماته لا يفي بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكره البركة وكفارة ما وقع في هذا الكتاب من الاحماض والله المرجو في العفو * ومن فوائده ما نقله عن شيخه أبي الربيع المالقي انه قال الا اعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت بلى قال قل يا الله يا أحد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول يا غني يا مغني يا فتاح يا رزاق يا عليم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حنان يا منان انفحني منك بنفحة خير تغنيني بها عمن سواك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك واحفظني بما حفظت به الذكر الحكيم وانصرني بما نصرت به الرسل انك على كل شيء قدير فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله تعالى من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه أمثال الجبال دينا بكرمه واحسانه انتهى نقله عنه العلامة ابن داود البلوي الاندلسي ومن خطه نقلت رحم الله تعالى الجميع ونقله اليافعي كما ذكر رحمه الله تعالى الا انه لم يقل فيه يا ودود واتفقا فيما عدا ذلك والله سبحانه أعلم * وقال ابن خلكان في حقه محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي الهاشمي العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء كانت له كرامات ظاهرة ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ولقيت جماعة ممن صحبه وكل منهم يثني عليه من بركته وذكروا عنه أنه وعد جماعته الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وأنها صحت كلها وكان من السادات الاكابر والطراز الاول وهو مغربي صحب بالمغرب اعلام الزهاد وانتفع بهم فلما وصل الى مصر انتفع به من صحبه وشاهده ثم سافر الى الشام قاصدا زيارة بيت المقدس وأقام بها الى ان مات وصلي عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمس وخمسين سنة وقبره ظاهر للزيارة والتبرك * والجزيرة الخضراء في بلاد الاندلس مدينة تقابل سبتة من بر العدوة ومن جملة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تعالى عرجا ومكاسير فان انتظار الصحة بطالة انتهى ببعض اختصار * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسين القرطبي) سمع من قاسم بن أصبغ وغيره وقدم مصر فسمع بها من ابن الورد وابن أبي الموال والباوردي وابن السكن في آخرين وسمع بالرملة وبيت المقدس وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحا بليغا طويل اللسان ولي الشرطة ببلاد المغرب توفي سنة ٣٧٣ * (ومنهم أبو بكر الجياني محمد بن علي بن خلف التجيبي الاشبيلي الحافظ الكاتب) روى عن ابن الجد وغيره وحج بمصر حاجا فلقي بمكة أبا حفص الميانشي وأبا الحسن المكناسي ولقي بالاسكندرية السلفي وابن عوف وغيرهما وكان مدرسا للفقه فقيها اجليلا متقدما

قتيلا اسف عليه وعلم انه لا ينجو فأغاظ لابرويز في الكلام فأمر به فقتل واغرق في دجلة فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفالة وتدبير الملك استوحش من شر بعية العدل وواضحة الحق فعدل الى الجور والعسف بخواص رعيته وعوامها وحملها على ما لم تكن تعهده واوردهم الى ما لم يكونوا يعرفونه من الظلم ووثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فانوس فيمن اتبعه على موريقش ملك الروم حمو ابرويز فجده فقتلوه وملكوا موادس ونمى ذلك الى ابرويز فغضب لحموه وسير الى الروم الجيوش وكانت له في ذلك اخبار يطول ذكرها وسير شهريار مرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل انطاكية فكانت له مع الروم وابرويز اخبار ومكاتبات وحمل الى ان خرج ملك الروم الى حرب شهريار وقدم خزائنه في البحر في الف مركب فالقتها الريح الى ساحل انطاكية فغنمها شهريار وحملها الى ابرويز فسميت خزائن الريح ثم فسدت الحال بين ابرويز وشهريار ومايل شهريار ملك الروم فسير شهريار نحو العراق الى ان انتهى الى النهروان فاحتال ابرويز في كتب كتبها مع بعض اساقفة النصرانية ممن كان في ذمته حتى رده الى القسطنطينية وافسد الحال بينه وبين شهريار وغير ذلك مما قدا تينا

فيه عارفا فاضلا سنيا توفي بعد امتحان من منصور بن عبد المؤمن سنة ٥٩٦ وذلك انه وشى به للمنصور أيام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث *(ومنهم أبو بكر الاندلسي الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري) سافر من بلده ودخل ديار مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ولقي أئمتها وتفقه ببخارى حتى تمهر في المذهب والخلاف والجدل ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيرا ثم سكن بلخ مدة وعاد الى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩ وتوجه الى مكة فحج ورجع الى الشام واستوطن حلب الى ان توفي بها ووقف كتبه وكان متدينا صدوقا حافظا عالما بالحديث وفيه فضل ولد بجيان سنة ٤٩٢ ومات بحلب سنة ٥٦٣ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي) كان حسن السمت بارع الخط والخلق والخلق رحل الى الحج وجال في البلاد في حدود سنة ست وستمائة فاخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية عن جماعة كثيرة وكان مدلا فاضلا على خير ودين وكان محترفا بالتجارة بغرناطة ثم خرج منها آخر عمره فمات بقوص بعد ما حج سنة ٦٥٠ وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل منتصف السنة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني الاندلسي الاشبيلي النحوي ولد سنة ٦١٧ باشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق وغيرها وكان اماما عالما نحويا فاضلا كتب عنه أبو محمد الدمياطي والقطب عبد الكريم وناهيك بهما علما *(ومنهم أبو بكر بن عبد الله محمد بن محمد بن علي بن علي بن هذيل البلنسي) رحل وسمع من السلفي وحج قال أبو الربيع بن سالم هو شيخ صدوق متيقظ سمع اباه وأبا الوليد ابن الدباغ وأبا الحسن بن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة وأخذ بمكة سنة ٥٣٩ عن ابي علي الحسن المقري وقفل الى الاندلس سنة ٥٤٦ فاخذ عنه بها وسمع منه جماعة قال ابن الابار كان غاية في الصلاح وأعمال البر والورع توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٤٨ ومولده سنة سبع او تسع عشرة وخمسمائة وله حظ من علم التعبير واللغة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو سلمة محمد بن علي البياسي الغرناطي الانصاري ناصر الدين) روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير وغيره وقدم الى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى مات بها سنة ٧٠٣ وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال الى مذهب الظاهرية وانتفع به جماعة من طلبة الحديث وكان ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الشامي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر حاجا وأقام بمكة والمدينة وكان اماما فاضلا عالما متفننا في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ولغة وقراآت ونظم ونثر ومع معرفته بمذهب مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعي وسمع الموطا بتونس من أبي محمد بن هرون القرطبي ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفي سنة ٧١٥ ومن شعره رضي الله تعالى عنه

اذا كنت جار النبي وصحبه * ومكة بيت الله مني على قرب
فما ضرني أن فاتني رغد عيشة * وحسبي الذي أوتيته نعمة حسبي

وقوله

نزيل الكرام عزيز الجوار * واني نزيل عليكم وجار

على ذكره في الكتاب الاوسط وفي ملك ابرويز كانت حروب ذي قار وهو اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بي وكانت وقعة ذي قار اتمام أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد ان بعث وقيل بعد ان هاجر وفي رواية اخرى انها كانت بعد وقعة بدر باشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهامرز صاحب كسرى ابرويز وقد اتينا على هذه الاخبار على الشرح والايضاح في الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الموضع وفي ايام ابرويز كانت حوادث تنذر بالنبوة وتبشر بالرسالة وانفذ ابرويز عبد المسيح بن بقيلة الغساني الى سطيح الكاهن فاخبره برؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وغير ذلك من اخبار فيض وادي السماوة وما كان من بحيرة ساوة وكان لابرويز تسعة خواتم تدور في امر الملك منها خاتم فصه ياقوت احمر نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس ذكر يختم به الرسائل والسجلات والخاتم الثاني فصه عقيق نقشه خراسان خره حلقته ذهب يختم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع نقشه فارس حلقت

حللت ذراك وأنت الكريم * ومن حل مثوى كريم يجار

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي) قدم مصر وروى عن ابن الوليد بها وكان عالما وله قصيدة طويلة فيها حكم ومواعظ يوصي ابنه بها منها قوله

وطاعة من اليه الامر فالزم * وان جاروا وكانوا مسلمينا
فان كفروا ككفر بني عبيد * فلا تسكن ديار الكافرينا

واسم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في رحلته سنة ٤١٥ ووصفه بالعلم وعمار بالراء *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبي الحافظ) روى عن عيسى الليثي وابن عون الله وأبي جعفر التميمي وأبي محمد الباجي وقدم مصر وحج وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام وافتى بها وافتخر بذلك على أصحابه وقال لقد شوورت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم دار مالك بن أنس ومكان شواره ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وكان من أهل العلم والذكاء والحفظ والفهم عارفا بمذاهب الائمة وأقوال العلماء ذاكرا للروايات يحفظ المدونة والنوادر لابن أبي زيد ويوردها من صدره دون كتاب قال ابن حيان مؤرخ الاندلس توفي الفقيه المشاور الحافظ المستبحر الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بلنسية في ربيع الاول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر وكان الحفل في جنازته عظيما وعاين الناس فيها آية من ظهور أشباه الخطاطيف بها تخللت الجمع رائحة فوق النعش لم تفارق نعشه الى ان ووري فتفرقت ومكث مدة ببلنسية مطاعا عظيم القدر عند السلطان والعامة وذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد القبسي خبر الطير قال وكان سنه نحو الثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت في دعوته الاجابة وقال أبو عمرو الداني ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ودفن يوم الاحد بمدينة بلنسية وبلغ نحو ست وسبعين سنة وهو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العاملين بالكتاب والسنة بالاندلس رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمروس القرطبي) سمع على ابن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة وقدم مصر فاخذ بها عن ابن المهندس وغيره وحج ودخل العراق وسمع من أبي بكر الابهري والدارقطني وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولي الاحتساب بقرطبة فحدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره ومات في جمادى الآخرة سنة أربعمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري المعروف بالاعشى القرطبي) رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحا عاقلا سريا جوادا يذهب الى مذهب أهل العراق وتوفي سنة ٢٢١ ذكره ابن يونس وغيره *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الالبيري الزاهد) قال الحميدي في حقه هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما وروى بالاندلس عن جماعة منهم بقي بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ قال ابن الفرضي كان شيخنا نبيلا ضابطا لكتبه ثقة في روايته

وحلقته ذهب منقوش فيه الوحا يختم به اجوبة البريد والخاتم الرابع فصه ياقوت مورد نقشه بالمال ينال الفرح وحلقته ذهب يختم به السترايك والكتب في التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو احسن ما يكون من الحمرة واصفاها واشرفها نقشه حرزوحزم اي بهجة وسعادة حاشيتاه لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلي والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد حبشي والخاتم السابع نقشه ذباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب وفصه بادزهر والخاتم الثامن فصه حجر ماهن نقشه راس خنزير يختم به اعناق من يؤمر بقتله وما يفقد من الكتب في الدماء والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الابن وكان على مربطه خمسون الف دابة وسروج ذهب مكلله بالدر والجوهر على عددها لركابه من الخيل وكان على مربطه الف فيل منها اشهب اشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر وأكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة أذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ في اثمان ما عظم من الفيلة

صدوق في حديثه وكانت الرحلة اليه بالبيرة وبها مات في شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي) من موالي بني أمية سمع من أبيه ومن بقي بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائي ومن احمد بن حماد زغبة وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقيروان من مائة وستين رجلا قال أبو محمد الباجي لم أدرك بقرطبة أكثر حديثا منه وكان عالما بالفقه متقدما في علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا واسمع من الناس كثيرا وكان ثقة صدوقا وغزا سنة ٣٢٧ ومات ثالث ذي الحجة منها ومولده سنة ٢٦٣ وقيل توفي سنة ٣٢٨ قاله ابن يونس والحميدي * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القرشي الفهري) عرف بابن رمان الغرناطي قرأ على أبي جعفر بن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧٢٢ ومات بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧٢٩ ومن شعره قوله

فديتم خبروني كيف صحت * فريضة هالك من غير مين
لزيد زوجة ولها ابن ام * هما ابنا عمها الاغيرذين
فحاز البعل ما تركته ارثا * وولي غيره صفر اليدين
ولا رق فديت على أخيها * وليس بكافر يرمى بشين
وليس محللا ارثا بقتل * مخافة أن ينال شقاوتين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبي حدث بالقاهرة وتوفي قريبا من سنة ٦٤٠ وهو أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصباغ ومن كلامه اشتغالك بوقت لم يأت تضييع للوقت الذي أنت فيه ولعمري لقد صدق * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سراقة الشاطبي ابن محمد بن ابراهيم ابن الحسين بن سراقة محيي الدين ويكنى ايضا أبا القاسم وأبا بكر الانصاري الشاطبي المالكي) ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من أبي القاسم بن بقي ورحل في طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ أبي حفص عمر السهروردي وأبي طالب القبيطي وابي جعفر الديغوري وجماعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري سنة ٦٤٢ وبقي بها الى أن توفي بالقاهرة في شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيرا وهو أحد الائمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل وأحد مشايخ الصوفية له في ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعاني الشعر وكان صالح الفكرة في حل التراجم مع ماجبل عليه من كرم الاخلاق واطراح التكليف ورقة الطبع ولين الجانب ومن شعره قوله

نصبت ومثلي للمكارم ينصب * ورمت شروق الشمس وهي تغرب
وحاولت احياء النفوس باسرها * وقد غرضت يا بعد ما أنا أطلب
وأتعب ان لم يمنح الخلق راحة * وغيري ان لم تتعب الخلق يتعب
مرادي شيء والمقادير غيره * ومن عاند الاقدار لاشك يغلب

وقوله

الى كم أمني النفس مالا تناله * فيذهب عمري والاماني لا تقضي

ان نفع من الارض وقد يكون من ٥٢ م الوحشية في ارض الزنج ما هو اعظم سمكا مما وصفنا باذرع كثيرة على حسب ما تحمل من قرونها المسماة بالانياب ... وزن الناب خمسون ومائة من الى المائتين والمائتين رطلا بالبغدادي وعلى قدر عظم الناب عظم جسد الفيل وقد كان ابرويز خرج في بعض الاعياد وقد صفت له الجيوش والعدد والسلاح وفيما صف له الف فيل وقد أحدقت به خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما نظرته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها وسطها الخراطيم ما احتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون بالهندية فلما بصر بذلك أبرويز أسف على ما خص به الهند من فضيلة الفيلة وقال ليت الفيل لم يكن هنديا وكان فارسيا انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها بقدر ما ترون من معرفتها وأدبها وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظم أجسامها ومعرفتها وحسن طاعتها وقبولها الرياضات وفهمها المرادات وتمييزها بين الملك وغيره وان غيرها من الدواب لا يفهم شيأ من ذلك ولا يفصل بين شيئين وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الفصول في اخبار الفيلة وما قالته الهند وغيرهم في ذلك وتفضيلها على سائر الدواب فكانت مدة ملك ابرويز الى ان خلع وسملت عيناه وقتل

وقد مر لي خمس وعشرون حجة * ولم أرض فيها عيشتي فتى أرضى
وأعلم أني والثلاثون مدتي * حرعغاني اللهو أوسعها رفضا
فاداعسى في هذه الخمس أرتجي * ووجدي الى أوب من العشر قد أعضى
فيارب عجل لي حياة لذيذة * والا فبادر بي الى العمل الأرضى

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزلال يمحو * صفاؤه الشك باليقين
لم يحص الا الجميل مني * كأنه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المنازي

وصاحب خلته خليلا * وما جرى غدره ببالي
لم يحص الا القبيح مني * كأنه كاتب الشمال

(ومنهم أبو عبد الله محمد بن احمد الفريشي) بكسر الفاء وتشديد الراء المهملة بعدها شين معجمة نسبة الى فريش احدى مدائن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرأ بالروايات على أبي القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى أبي القاسم بن بشكوال وغيره وسمع بمكة وحدث بمصر وعاد الى الاندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ وكان مشهورا بالصلاح معروفا باجابة الدعاء ورعا ثقة زاهدا فاضلا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون وقيل محمد بن عمر بن خيرون) أندلسي سكن القيروان ورحل الى المشرق واخذ القرا آت بمصر عن محمد بن سعيد الانماطي وغيره كعبد الله بن رجاء وأبي الحسن بن اسمعيل بن يعقوب الازرق المدني ودخل العراق وسمع به من أصحاب علي بن المدني ويحيى بن معين وعاد الى القيروان وسمع بها وبقرطبة وقدم بقراءة نافع على اهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص حتى قدم بها فاجتمع اليه الناس ورحل اليه أهل القيروان من الآفاق وكان ياخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش وتوفي بشعبان سنة ٣٠٦ وكان رجلا صالحا فاضلا كريم الاخلاق اماما في القرا آت مشهورا بذلك ثقة مأمونا واحد أهل زمانه وأثبتهم في علم القرآن رحمه الله تعالى *(ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسي الاندلسي المالقي) ولد بمالقة سنة ٥٦٢ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجا فسمع بها وبدمشق وكتب بخطه كثيرا وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد ديناخيرا فاضلا له مشاركة جيدة في عدة علوم توفي شابا بالقاهرة سنة ٦٦٢ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر محمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي) ولد بها سنة ٥٢٩ وقدم مصر فسمع ابن الفضل وغيره وروى عنه جماعة وكان أحد رجال الكمال علما وادراكا وفصاحة وحفظا للفقه وتفننا في العلوم ومتانة في الادب حافظا للغة والغريب وله شعر رائق ودين متين وأخذ الناس عنه ببلده ومرسية واشبيلية ومالقة وغرناطة في اجتيازه عليها وبغيرها من البلاد وعلا صيته وعرف بالدين والعلم والفضل وكان أبو الخطاب يثني على علمه ودينه توفي ببجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق)* القاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف

ثمانيا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده) ولده قباذ المعروف بشيرويه القابض على ابيه والجاني عليه والقاتل له والفرس تسميه المشؤم وفي ايامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم فهلك فيه مائتا الف من الناس فالمكثر يقول هلك نصف الناس والمقلل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان هلك سنة وستة اشهر وقيل اقل من ذلك ولكسرى ابرويز ولابنه شيرويه اخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولي عهد الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من انطاكية من بلاد الشام شهريار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع أبرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهريار) نحوا من عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى أبرويز يقال لها آزرمي دخت فقتلته (ثم ملك كسرى بن قباذ بن أبرويز) وقيل انه ابن لابرويز كان بناحية الترك فسار يريد دار الملك فقتل في الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا (ثم ملك رجل) من آهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الاثيم يقال له جيروز خشنس فكان

المشهورة وقال ابن ماكولا فى حقه انه فقيه متكلم أديب شاعر سمع بالعراق ودرس وصنف الى أن مات وكان جليلا رفيع القدر والخطر وقال غير واحد انه ولد سنة ٤٠٣ وارتحل سنة ٤٢٦ وجاور ثلاثة أعوام ملازما لابى ذر الحافظ يخدمه ورحل الى بغداد ودمشق ولقى فى رحلته غير واحد وتفقه بالقاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وقال أبو على بن سكرة ما رأيت مثل أبى الوليد الباجى وما رأيت أحدا على هيئته وسمته وتوقير مجالسه ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم فسرت معه الى شيخنا قاضى القضاة الشاشى فقلت له أدام الله تعالى عزك هذا ابن شيخ الاندلس فقال لعله ابن الباجى فقلت نعم فأقبل عليه قال القاضى عياض وكثرت القالة فى القاضى أبى الوليد لمداخلته الرؤساء وولى قضاء أماكن تصغر عن قدره وكان يبعث الى تلك النواحى خلفاءه وربما أتاها المرة ونحوها وكان فى أول أمره مقلا حتى احتاج الى القصد بشعره واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسة درب وقد جمع ابنه شعره قال ولما قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الا أنه كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه فى ذلك فدخل اليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة ولما تكلم ابو الوليد فى حديث الكتابة يوم الحديبية الذى فى البخارى قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه ابو بكر الصائغ وكفره باجازة الكتب على الرسول الامى صلى الله عليه وسلم وانه تكذيب للقرآن فتكلم فى ذلك من لم يفهم الكلام حتى اثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما اتى به وتكلم به خطباؤهم فى الجمع وقال شاعرهم

برئت ممن شرى دنيا بآخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا

فصنف ابو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بين فيها ان ذلك غير قادح فى المعجزة فرجع بها جماعة اذ ليس من عرف ان يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه اميا لانه لا يسمى كاتبا وجماعة من الملوك قد ادمنوا على كتابة العلامة وهم اميون والحكم للغالب لا للصور النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام انا امة اميون اى اكثرهم كذلك لندور الكتابة فى الصحابة وقال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم انتهى وبعضه بالمعنى وذكر ابن بسام ان ابا الوليد الباجى نشأ وهمته فى العلم وانه بدأ بالادب فبرز فى ميادينه وجعل الشعر بضاعته فنال به من كل الرغائب ثم رحل فما حل بلدا الا وجد ملآن بذكره نشوان من فهوى نظمه ونثره فمال الى علم الديانة فمشى بقياس وبنى على اساس حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه ويرتاحون للاخذ عنه ثم كر واستقضى فى طريقه بحلب فاقام بها نحوا من عام قال وبلغنى عن ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب الا مثل أبى الوليد الباجى لكفاهم وصنف ابو الوليد كتبا كثيرة منها كتاب التسديد الى معرفة التوحيد وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج وكتاب احكام الفصول فى أحكام الاصول وكتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح وكتاب شرح الموطا وهو نسختان نسخة سماها الاستيفاء ثم انتقى منها فوائد سماه المنتقى فى سبع مجلدات وهو احسن كتاب

ملكه شهرين (ثم ملكت ابنة الكسرى) ابرويز يقال لها آزرمى دخت فكان ملكها سنة واربعة اشهر (ثم ملك فرخزاد خسرو ابن كسرى ابرويز وهو طفل فكان مدة ملكه شهرا وقيل أشهرا (ثم ملك يزدجرد بن شهريار) بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وقباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان وهو آخر ملوك الساسانية وكان ملكه الى أن قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى سنة احدى وثلاثين من الهجرة وقيل غير ذلك فى مقدار ملكه وخبر مقتله (قال المسعودى) وذهب الاكثر من الناس ممن عنى باخبار الفرس وايامهم الى أن جميع من ملك من آل ساسان بن أردشير بن بابك الى يزدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكا امرأتان وثمانية وعشرون رجلا ووجدت فى بعض التواريخ ان عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكا وعدد الملوك الاول وهم الفرس الاول من كيومرث الى دارا بن دارا تسعة عشر ملكا منهم امرأة وهى حمانة بنت بهمن وافراسياب التركى وسبعة عشر رجلا

الف فى مذهب مالك لانه شرح فيه احاديث الموطا وفرع عليها تفريعا حسنا وافرد منه شيأ سماه الايماء وقال بعضهم انه صنف كتاب المعانى فى شرح الموطا فجاء عشرين مجلدا عديم النظير وكان ايضا صنف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سماه الاستيفاء وله كتاب الايماء فى الفقه خمس مجلدات انتهى ومن تصانيفه مختصر المختصر فى مسائل المدونة وله كتاب اختلاف الموطآت وكتاب الاشارة فى اصول الفقه وكتاب الحدود وكتاب سنن الصالحين وكتاب التفسير لم يتمه وكتاب شرح المنهاج وكتاب التبيين لمسائل المهتدين فى اختصار فرق الفقهاء وكتاب السراج فى الخلاف ولم يتم وغير ذلك وحج الباجى رحمه الله تعالى أربع حجج جاور فيها ثلاثة أعوام ملازما لابى ذر بن احمد الهروى وكان يسافر معه للسروات لان اباذر تزوج من العرب وسكن بها وأبوذر المذكور هو عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الانصارى المالكى ويعرف بابن السماك سمع بهراة وسرخس وبلخ ومرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة والف معجما لشيوخه وعمل الصحيح وصنف التصانيف قال الخطيب قدم أبوذر بغداد وأنا غائب فحدث بها ثم حج وجاور ثم تزوج فى العرب وسكن السروات وكان يحج كل عام ويحدث ثم يرجع وكان ثقة ضابطا دينا وقال الحسن بن بقى المالقى حدثنى شيخ قال قيل لابى ذر من أين تمذهبت بمذهب مالك ورأى الاشعرى مع انك هروى فقال قدمت بغداد وكنت ماشيا مع الدارقطنى فلقينا أبا بكر بن الطيب فالتزمه الدارقطنى وقبل وجهه وعينيه فلما افترقنا قلت من هذا قال هذا امام المسلمين والذاب عن الدين القاضى أبو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تكررت اليه وتمذهبت بمذهبه انتهى قلت هذا صريح فى ان القاضى أبا بكر الباقلانى مالكى وهو الذى جزم به غير واحد ولذا ذكره عياض فى المدارك فى جملة المالكية وكذلك شيخ السنة الامام أبو الحسن الاشعرى مالكى المذهب فيما ذكره غير واحد من الائمة وذكر بعض الشافعية انهما شافعيان والله تعالى أعلم * وقال عبد الغافر فى تاريخ نيسابور كان أبو ذر زاهدا ورعا عالما سخيا لا يدخر شيأ وصار كبير مشيخة الحرم مشارا اليه فى التصوف خرج على الصحيح تخريجا حسنا وكان حافظا كثير الشيوخ توفى سنة ٤٣٥ وقال أبو على بن سكرة توفى عقب شوال سنة ٤٣٤ وقال الخطيب فى ذى القعدة من سنة أربع وثلاثين رحمه الله تعالى وأكثر نسخ البخارى الصحيحة بالمغرب امّا من رواية الباجى عن أبى ذر عبد بن أحمد الهروى المذكور وامّا من رواية أبى على الصدفى الشهير المعروف بابن سكرة بسنده واعلم أن هراة المنسوب اليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التى وراء النهر نظيرة بلخ وانما هى هراة بنى شيمانة بالحجاز وبها كان سكنى أبى ذر والله تعالى أعلم * (رجع الى القاضى أبى الوليد الباجى رحمه الله تعالى) ثم انه اعنى الباجى قدم بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ولقى بها عدة من العلماء كابى الطيب الطبرى والامام الشهير أبى اسحق الشيرازى والصيمرى وابن عمروس المالكى وأقام بالموصل سنة مع أبى جعفر السمنانى يأخذ عنه علم الكلام فبرع فى الحديث وعلله ورجاله وفى الفقه وغوامضه وخلافه وفى الكلام ومضايقه وتدبج مع الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر رضى الله تعالى عنهما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف

وعدة ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم فى مقتل دارا بن دارا الى أن ظهر أردشير ٥٠٣ بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك الشعر والران ومن أجلهم سمى سابور ملوك الطوائف الاشغان بجميع الملوك من كيومرث بن آدم وهو أول ملوك بنى آدم على ماذكرت الفرس الى يزدجرد ابن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرث الى يزدجرد ثمانون ملكا ورأيت جماعة من الاخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة فى التواريخ وغيرها يذهبون الى ان سنى الفرس الى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة منها من كيومرث الى انتقال الملك الى منوشهر ألف وتسعمائة وثنتان وعشرون سنة ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وملك الاسكندر خمس سنين ومن الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير الى الهجرة أربعمائة سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك فى الموضع المستحق

وممايعتبر به انه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر وأبو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي وأحمد بن علي بن غزلون وأبو بكر الطرطوشي وأبو علي بن الحسين السبتي وأبو بحر سفيان بن العاصي وممن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد وكان لما رجع الى الاندلس فشا علمه وتهيأت الدنيا له وعظم جاهه وأجزلت له الصلات فمات عن مال وافر وترسل للملوك وولي القضاء بعدة مواضع رحمه الله تعالى * وأما ما تقدم عن القاضي أبي الوليد الباجي من اجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قول بعض والصواب خلافه قال القاضي أبو الفضل عياض حدثنا محمد بن علي المعروف بابن الصيقل الشاطبي من لفظه قال حدثني أبو الحسن بن مفوز قال كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر ممن لازم الباجي وتفقه عنده وكان يميل الى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم بيده حديث المقاضاة في الحديبية على ما جاء في ظاهر بعض رواياته ويحتج به وكنت أنكر ذلك عليه فلما كان بعد برهة أتاني زائرا على عادته وأعلمني أن رجلا من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه فتحدث له قشعريرة وهيبة عظيمة ثم يراه ينشق ويميد ولا يستقر فيعتريه منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينتحله ما ليس له باصل أو لعله يفتري عليه فسألني بالله من أين قلت هذا قلت له من قول الله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه الى قوله تعالى ولدا فقال لي لله درك ياسيدي وأقبل يقبل رأسي وبين عيني ويبكي مرة ويضحك أخرى ثم قال لي أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلك قال انه لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم كنت أقول والله ما هذا الا أني أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت أبكي وأقول أنا تائب يا رسول الله وأكرر ذلك مرارا فأرى القبر قد عاد الى هيأته أولا وسكن فاستيقظت ثم قال لي وأنا اشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا وعليه ألقى الله تعالى فقلت الحمد لله الذي أراك البرهان فاشكره له كثيرا انتهى وقال ابن الابار حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع ابن سالم بقراءتي عليه عن الكاتب ابي بكر عبد الرحمن بن مغاور وقراءة عليه عن القاضي ابي جعفر احمد بن عبد الرحمن بن جحدر عن ابي الحسن طاهر بن مفوز قال كان ابو محمد الى آخرها وهي اتم من هذه انتهى * (رجع الى الباجي) ذكر ابو العرب عبد الوهاب البقشاني بسنده الى القاضي ابي الوليد الباجي انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة السلطان لولا السلطان لنقلتني الذر من الظل الى الشمس أو ما هذا معناه انتهى * (ومن فوائد الباجي) انه حكى ان الطلبة كانوا ينتابون مجلس ابي علي البغدادي واتفق انه كان يوما مطر ووحل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال واتيانه في تلك الحال انشده

دببت للمجد والساعون قد بلغوا * حد النفوس وألقوا دونه الازرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم * وعانق المجد من وافى ومن صبرا
لاتحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

انتهى

ز من هذا الكتاب دور ذكر الهجرة وخلافة أبي بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بني أمية وبني العباس لانا قد أفردنا لما ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الأمويين والعباسيين ترجمته بذكر التاريخ الثاني وكانت الفرس من بدء الدهر أربع أجناس الى أن جاء الله تعالى بالاسلام فالصنف الاول يقال لهم الخداهان وهم الارباب كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرث الى أفريدون هم كيان من افريدون الى دارا بن دارا وهم الاشغان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم الفرس الثانية وقد ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في اخبار الفرس الذي رواه عن كسرى ان الفرس طبقات اربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرث الى كوستاسب والطبقة الثانية كيان من كيقباذ الى الاسكندر بن فيلبش وآخرهم دارا والطبقة الثالثة وهم الاشغانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع وهم الساسانية أولهم اردشير بن بابك ثم سابور ثم اردشير هرمز نرسي بن هرمز هرمز بن نرسي

وروى

وروى عن القاضى ابى الوليد الباجى رحمه الله تعالى الخطيب البغدادى قوله رحمه الله تعالى

اذا كنت اعلم علم اليقين * بان جميع حياتى كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وقد ذكرناهما فيما يأتى قريبا من كلام الفتح لكوننا نقلنا كلامه بلفظه رحمه الله تعالى ورضى عنه وقال فى القلائد فى حق الباجى رحمه الله تعالى ما صورته بدر العلوم اللائح وقطرها الغادى الرائح وثبيرها الذى لا يزحم ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذى تقتبس أنواره وتنتجع نجوده وأغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتفنن فى اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب وعاد بلح طلبه الى الارطاب فكر الى الاندلس بحر الاتخاض لجه وبحرا لا يطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فصار اليه مرتاحا وبدا بافقه ملتاحا وهنالك ظهرت تواليفه وأوضاعه وبدا وخده فى سبل الهدى وايضاعه وكان المقتدر يباهى باشياعه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله فى مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقف على ذاته ولا يصرف فى رفث القول وبذاته (فمن ذلك) قوله فى معنى الزهد

اذا كنت أعلم علم اليقين * بان جميع حياتى كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها فى صلاح وطاعه

وله يرثى ابنيه وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظرى الدهر وساحرى النظم والنثر

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها فى السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظرى وتبوآ * فؤادى لقد زاد التباعد فى القرب
يقر بعينى أن أزور ثراهما * وألصق مكنون الترائب بالترب
وأبكى وأبكى ساكنيها لعلنى * سأنجد من صحب وأسعد من سحب
فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى * ولا روحت ريح الصبا عن أخى كرب
ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى * ولا ظمئت نفسى الى البارد العذب
أحن ويثنى اليأس نفسى عن الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

وله يرثى ابنه محمدا

أمحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبى محمد * ولرزؤه أدهى لدى وأعظم
فلقد علمت بأننى بك لاحق * من بعد ظنى أننى متقدم
لله ذكر لا يزال بخاطرى * متصرفا فى صبره متحكم
فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا أصخت فصوته متوهم

سابور بن هرمز اردشير بن هرمز سابور بن اردشير سابور بن سابور بهرام بن سابور يزدجرد بن بهرام بهرام بن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباذ بن فيروز انوشروان ابن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهريار بوران كسرى بن قباذ فيروز خشنس آزرمى دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد وانما ذكرنا هؤلاء بعد ان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ فى أعدادهم واسمائهم فاوردنا ما قاله المتنازعون من الاخباريين وقد أتينا على اخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث فى اعصارهم وما كوروه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من احوالهم فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب جوامع من تاريخهم وأعداد ملوكهم ولمع من بعض أخبارهم وكذلك ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وما حفر كل ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن وآراء الملوك واحكامها وكثير من قضاياها فى خواصها وعوامها وأنساب أصحاب خيل الملك ومن

وبكل أرض لى من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوم

فاذا دعوت سواك حاد عن اسمه * ودعاء باسمك معول بك مغرم

حكم الردى ومناهج قد سنها * لاولى النهى والحزن قبل متمم

انتهى

ولعمرى انه لم يوف القاضى أبا الوليد الباجى حقه الواجب المفترض ووددت أنه مد النفس فى ترجمته بعبارة يعترف ببراعتها من سلم له ومن اعترض فان ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالا وأفصح روية وارتجالا وبالجملة فهو أحد الاعلام بالاندلس وهو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبى وذكره ابن بسام فى الذخيرة وابن خلكان وغير واحد وأصله من بطليوس وانتقل جده الى باجة قرب اشبيلية وليس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقدم مصر وسمع بها واجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد الوثائق الى أن فشا علمه وتهيأت له الدنيا وشهرته تغنى عن وصفه ومن نظمه قوله

ما طال عهدى بالديار وانما * أنسى معاهدها أسى وتبلد

لو كنت انبأت الديار صبابتى * رق الصفا بفنائها والجلمد

وله فى المعتضد عباد والد المعتمد

عباد استعبد البرايا * بانعم تبلغ النعائم

مديحه ضمن كل قلب * حتى تغنت به الحمائم

ومن أشهر نظمه قوله اذا كنت اعلم البيتين وقد سبقا * وممن ذكره ايضا الحجارى فى المسهب وابن بشكوال فى الصلة وانه حج اربع حجج رحمه الله تعالى وتوفى فى المرية لاحدى عشرة بقيت من رجب وقيل ليلة الخميس تاسع رجب وقيل تاسع عشر صفر سنة اربع وسبعين واربعمائة ومن تواليفه المنتقى فى شرح الموطا ذهب فيه مذهب الاجتهاد وايراد الحجج وهو مما يدل على تبحره فى العلوم والفنون ولما قدم من المشرق الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وجد ملوك الطوائف احزابا مفترقة فمشى بينهم فى الصلح وهم يجلونه فى الظاهر ويستثقلونه فى الباطن ويستبردون نزعته ولم يفد شيا فالله تعالى يجازيه عن نيته ولما ناظر ابن حزم قال له الباجى انا اعظم منك همة فى طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لا لك لانك انما طلبت العلم وانت فى تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالى وانا طلبته فى حين ما تعلمه وما ذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمى فى الدنيا والآخرة فافحمه قال عياض قال لى اصحابه كان يخرج الينا للاقراء وفى يده اثر المطرقة الى ان فشا علمه ونوهت الدنيا به وعظم جاهه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان فى ترسلهم ويقبل جوائزهم وولى القضاء بمواضع من الاندلس * (وابن حزم المذكور) هو ابو محمد بن حزم الظاهرى قال ابن حيان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة فى المنطق والفلسفة لم يخل فيهما من غلط وكان شافعى المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب فى هذا المذهب وثبت عليه الى أن مات وكان له تعلق

بالادب

كان على خيل كل ملك منهم فى الحروب وأنساب حكمائهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك فى اعصارهم وأنساب المرازبة وذكر أولاد الضيعات الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب انسابهم وتفرق اعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التى شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون فى أهل السواد الى وقتنا هذا واشرف السواد بعد هذه الابيات الثلاثة من السهارجة الذين شرفهم ابرج وجعلهم اشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد السهارجة هم الدهاقين وهم ولد وهكرت ابن فردال بن بابك بن مرس ابن كيومرث الملك وكان لوهكرت عشرة بنين فابناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت أول من ندهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرنا وله خمس وثلاثون سنة وخلف من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسهاوم ادوز بدوا كثر عقبه بمرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ولا خلاف فيما ذكرنا عند ذوى الدراية كما وصفنا (قال المسعودى)

بالادب وشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه واقصاه الملوك وابعدوه عن وطنه وتوفى بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة قال صاعد فى تاريخه كان ابن حزم أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار اخبرنى ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط ابيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبى قال الذهبى وهو العلامة ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموى مولاهم الفارسى الاصل الاندلسى القرطبى الظاهرى صاحب المصنفات واول سماعه سنة ٣٩٩ وكان اليه المنتهى فى الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب قال الغزالى رحمه الله تعالى وجدت فى اسماء الله تعالى كتابا لابى محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه انتهى باختصار وعلى الجملة فهو نسيج وحده لولا ماوصف به من سوء الاعتقاد والوقوع فى السلف الذى أثار عليه الانتقاد سامحه الله تعالى * وذكر الذهبى أن عمره اثنتان وسبعون سنة وهو لاينافى قول غيره انه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر لانه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقى من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب وتوفى ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦ وكان كثير المواظبة على التأليف ومن جملة تآليفه كتاب الفصل بين أهل الاهواء والنحل وكتاب الصادع والرادع على من كفر اهل التاويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد وكتاب شرح حديث الموطا والكلام على مسائله وكتاب الجامع فى صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحها وكتاب التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية وفروعها التى لانص عليها فى الكتاب والحديث وكتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة مالا يعرف فيه اختلاف وكتاب الامامة والخلافة فى سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها وكتاب أخلاق النفس وكتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب كشف الالتباس مابين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس انتهى * وقال ابن سعيد فى حق ابن حزم مالخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد على ابن الوزير أبى عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسى وشهرته تغنى عن وصفه وتوفى منفيا بقرية من بلاده لبلة ووصل له من ابن عمه أبى المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة وهى سمعت وأطعت لقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين وأسلمت وانقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا من تعرض لاذاك اعراضك عنه وأقول

تتبع سواى امرأ يبتغى * سبابك ان هواك السباب
فانى أبيت طلاب السفاه * ونزهت عرضى عما يعاب
وقل مابدالك من بعد ذا * واكثر فان سكوتى خطاب

اليونانيين ولمعا من أخبارهم وتنازع الناس فى بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولى التوفيق برحمته ورضوانه

(ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وماقاله الناس فى بدء أنسابهم)

(قال المسعودى) تنازع الناس فى فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم من ولد أوراس بن ياوان ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم قبيل متقدم فى الزمان الاول وانما وهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم فى السجية والمذهب فلذلك غلط من غلط فى النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت فى لغتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم وطلاقة السنتهم والروم انقص فى اللسان من اليونانيين وأضعف فى ترتيب الكلام الذى عليه نبنى

وأقول

كأني بذكر الناس لي وما ترى * ومالك فيهم يا ابن عمي ذاكر
عدوي وأشياعي كثير كذاك من * غدا وهو نفاع المساعي وضائر
واني وان آذيتني وعققتني * لمحتمل ما جاءني منك صابر

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتها أنشدتني

تخضع زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل

فأردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفسي قد عرفت مكانها بالله لا قطعتها الا بيده فأثبت على ظهرها ما يكون سببا الى صونها فقلت

نعقت ولم تدر كيف الجواب * وأخطأت حتى أتاك الصواب
وأجريت وحدك في حلبة * نأت عنك فيها الجياد العراب
وبت من الجهل مستصحبا * لغير قرى فأتتك الذئاب
فكيف تبينت عقبى الظلوم * اذا ما انقضت بالخميس العقاب
لعمري مالي طباع تذم * ولا شيمة يوم مجد تعاب
أبى لي المنى والظبا سخط * وأعلى الرضا والعوالي غضاب

وأقول

وغاصب حق أوبقته المقادر * يذكرني حاميم والرمح شاجر
غدا يستعير الفخر من خيم خصمه * ويجهل أن الحق أبلج ظاهر
ألم تتعلم يا أخا الظلم أنني * برغمك ناء منذ عشر وآمر
تذل لي الأملاك حتى نفوسها * وأركب ظهر النسر والنسر طائر
وأبعث في أهل الزمان شواردا * تلين لهم وهي الصعاب النوافر
فان أك في أرض فاني سائر * وان أنا عن قوم فاني حاضر
وحسبك أن الارض عندك خاتم * وأنك في سطح السلامة عاثر
ولا لوم عندي في استراحتك التي * تنفست عنها والخطوب فواقر
فاني للعلق الذي هو حافظ * وللنزعة الاولى بحاميم ذاكر
هنيئا لكل ما لديه فاننا * عطية من تبلى لديه السرائر

(ومن شعر أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير)

أنا الشمس في جو العلوم منيرة * ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع * لجد على ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو آفاق العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فان ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر * وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
هنالك تدري أن للبعد قصة * وأن كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوقوا * له ودنو المرء من دارهم ذنب
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا
وان

في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب فأقام هنالك وانسل في تلك الديار واستعجم لسانه ووازى من كان هنالك في اللغة الاعجمية من الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي كبير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ويحتج لذلك بأخبار نذكرها في بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفا في صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف اني نظرت فلم أجد * على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا

وان مكانا ضاق عني لضيق * على انه فسح مهامهه سهب
وان رجالا ضيعوني لضيع * وان زمانا لم أنل خصبه جدب

ومنها في مدحه لنفسه

ولكن لي في يوسف خير اسوة * وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول مقال الصدق والحق انني * حفيظ عليم ما على صادق عتب

وقوله

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية

دعوني من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي * تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي * وينزل ان أنزل ويدفن في قبري

وقوله

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي * فقلبي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * لذا سأل المعاينة الكليم

وقوله

وذي عذل فيمن سباني حسنه * يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره * ولم تدر كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد * فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهري وأنني * على ما أرى حتى يقوم دليل

وهو أبو محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد القرطبي قال ابنه أبو الفضل رافع اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة انتهى وأبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور ابن أبي عامر وتوفي كما قال ابن حيان بذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة وكان منشؤه ومولده بقرية تعرف بالزاوية * وحكي ان الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد في يوم غزير المطر والوحل شديد الريح فلقيه أبو عامر وأعظم قصده على تلك الحال وقال يا سيدي مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم فانشده أبو محمد بن حزم بديها

فلو كانت الدنيا دوين لجة * وفي الجو صعق دائم وحريق
لسهل ودي فيك نحوك مسلكا * ولم يتعذر لي اليك طريق

قال الحافظ ابن حزم أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي

اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وهذا كاف في فضل الفرع والاصل رحم الله الجميع * قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مر يوما هو وابو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين من مدينة اشبيلية فلقيهما

اتقرن الحادا بدين محمد * لقد جئت شيأ يا أخا كندة إدا
وتخلط يونانا بقحطان ضلة * لعمري لقد باعدت بينهما جدا

ولما نشأ ولد يونان وكبر خرج يسير في الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثينا وهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى أن ادركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه جرينوس فقال له يا بني اني قد واشمت الاجل وقربت من الحتم الواجب واني راحل عنك ومفارقك ومفارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت احوالكم حسنة النظام بي وكنت كهفا في الشدائد وعونا على المحن وتجنبا في الزمان فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التي عليها بني العقل فان من ترك رأي الاب وثمرة العقل تورط في المهالك ووقع في مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده جرينوس على مكان أبيه وضم اليه أهله وولده وغيرهم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والنوكبرد واجناس الامم

شاب حسن الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نر الا الوجه فلعل ما ستر الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا وذي عذل فيمن سباني حسنه الابيات المتقدمة
ولابن حزم ايضا قوله

لا تلمني لان سبقة لحظ * فات ادراكها ذوي الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد * وويعلو النخال فوق اللباب

ولابي بكر بن مفوز جزء يرد فيه على أبي محمد بن حزم وفيه قال معرضا

يا من تعانى امورا لن يعانيها * خل التعانى واعط القوس باريها
تروي الاحاديث عن كل مسامحة * وانما لمعانيها معانيها

وقيل انه خاطب بهما بعض أصحاب ابن حزم * (رجع الى القاضي ابي الوليد الباجي) ومن نظمه قوله من مرثية

احن ويثني الناس نفسي على الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

ومن جيد نظمه قوله

اسروا على الليل البهيم سراهم * فنمت عليهم في الشمال شمائل
متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى * بدت للهوى بالمأزمين مخايل
فلله ما ضمت منى وشعابها * وما ضمنت تلك الربا والمنازل
ولما التقينا للجمار وابرزت * اكف لتقبيل الحصى وانامل
اشارت الينا بالغرام محاجر * وباحت به منا جسوم نواحل

وقال الباجي ابو الوليد رحمه الله تعالى

مضى زمن المكارم والكرام * سقاه الله من صوب الغمام
وكان البر فعلا دون قول * فصار البر نطقا بالكلام

وذيله بعضهم بقوله

وزال النطق حتى لست تلقى * فتى يسخو برد للسلام
وزاد الامر حتى ليس الا * سخي بالاذى او بالملام

*(ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي) صاحب سراج الملوك ويعرف بابن ابي رندقة بالراء المهملة المفتوحة وسكون النون وكفى بسراج الملوك دليلا على فضله ذكره ابن بشكوال في الصلة وتوفي بالاسكندرية في شعبان وقيل جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وزرت قبره بالاسكندرية وممن اخذ عنه الحافظ القاضي ابو بكر بن العربي وغيره ومن نظم الطرطوشي قوله من رسالة

اقلب طرفي في السماء ترددا * لعلي أرى النجم الذي انت تنظر
واستعرض الركبان من كل وجهة * لعلي عن قد شم عرفك اظفر
واستقبل الارواح عند هبوبها * لعل نسيم الريح عنك يخبر
وامشي ومالي في الطريق مآرب * عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر

من الصقالبة وغيرهم الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلموس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما ان سار بختنصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما ان كان من أمر الاسكندر بن فيلبش وهو الملك الماضي الذي هو أول ملوك اليونانيين على ما ذكره بطليموس ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه دارا ملك فارس وهو دارا بن دارا يطالبه بما جرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض بيض الذهب واكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن تحزب معهم من ملوك المشرق في الكتاب الاوسط ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبش بن مصريم بن والمج وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس في كتابه فيلبش وتفسيره محب

والمع من ألقاه من غير حاجة * عسى لمحة من نور وجهك تسفر

ومن نظمه ايضا قوله

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * كؤسا امر من الحنظل

ومما ينسب اليه وكان كثيرا ما ينشده

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وانت بانجازها مغرم
فارسل باكمه مرسلابة * به صمم اغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

كان كثيرا ما ينشد

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

رحمه الله تعالى كنت ليلة نائما بالبيت المقدس اذ سمعت فى الليل صوتا حزينا ينشد

أخوف ونوم ان ذا لعجيب * ثكلتك من قلب فانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للاغماض فيك نصيب

أيقظ النوام وأبكى العيون وكان رحمه الله تعالى زاهدا عابدا متورعا متقللا من قوالا للحق وكان يقول اذا عرض لك أمر دنيا وأخرى فبادر بامر الاخرى يحصل لك أمر او الاخرى وله طريقة فى الخلاف ودخل مرة على الافضل بن أمير الجيوش فوعظه وقال الامر الذى أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله عزوجل سائلك عن النقير والقطمير والفتيل واعلم ان الله عزوجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء أصاب ورفع عنه حساب ذلك أجمع فقال عزمن قائل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فما عد ذلك نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله عزوجل فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وكان الى جانب الافضل رجل نصرانى فأنشده

يا ذا الذى طاعته قربة * وحقه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى النصرانى فأقامه الافضل من مكانه والطرطوشى بضم الطاءين نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبر عنه ابن الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالاستاذ وكان رحمه الله تعالى صحب القاضى أبا الوليد الباجى رحمه الله تعالى بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه وقرأ الفرائض عليه والحساب بوطنه وقرأ

ابن نوح ونسبه قوم انه من ولد العيص بن اسحق ابن ابراهيم ومنهم من رأى انه الاسكندر بن يونه ابن سرحون بن رومى بن قرمط بن نوفيل بن رومى ابن الاصفر بن اليغز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فمنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى انه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه والقول الاول لابن عباس فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى انه كان بذؤابتين من الذهب وهذا قول يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد قيل غير ذلك وانما نذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب وقد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية فاسكنها خلقا من اليمن وأن ذا القرنين وهو الاسكندر من أولئك العرب المقيمين بها والله أعلم وسار الاسكندر بعد أن ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوج

الادب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيليه ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ودخل بغداد والبصرة فتفقه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي علي التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير وقال الصفدي في ترجمة الطرطوشي ان الافضل بن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه الى متى نصبر اجمع لي المباح فجمعه وأكله ثلاثة أيام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل وولي بعده المأمون بن البطائحي فأكرم الشيخ اكراما كثيرا وله ألف الشيخ سراج الملوك انتهى ومقامه أعني الطرطوشي مشهور وهذه الحكاية تكفي في ولايته ومن تآليفه مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وكتاب في تحريم جبن الروم وكتاب بدع الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابي زيد وولد سنة احدى وخمسين وأربعمائة تقريبا ولما توفي صلى عليه ولده محمد ودفن رحمه الله تعالى قبل الباب الاخضر باسكندرية وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكان القاضي عياض ممن استجازه فاجازه ولم يلقه وشهرته رضي الله تعالى عنه تغني عن الاطناب فيه * وحكي انه كتب على سراج الملوك الذي أهداه لولي الامر بمصر

الناس يهدون على قدرهم * لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى وأهدي الذي * يبقى على الايام والدهر

وحكي انه سمع رضي الله تعالى عنه منشدا ينشد للواواء

فرأني من غير وعد * في ليلة طرقت بسعد
بات الصباح الى الصبا * ح معانقي خدا لخد
بتنا رقيبي وناظري * ماشئت من خمر وشهد

فقال أو يظن هذا الدمشقي أن أحدا لا يحسن ينظم الكذب غيره لو شئنا الكذب نظمنا مثل هذا ثم أنشد لنفسه يعارضه

فرأني من غير وعد * حفت شمائله بسعد
قبلته ورشفت ما * في فيه من خمر وشهد
مزجت من السلسبيل بزنجبيل مستعد
واتمت فاه من الغرو * ب الى الصباح المستجد
وسكرت من رشفي العقيق على أقاح تحت رند
فنزعت عن فمه فمي * ووضعت خدا فوق خد
وشممت عرف نسيمه الساري على مسك وند
وصحوت من ريا القرنفل بين ريحان وورد
وألذ من وصلي به * شكواه وجدا مثل وجدي

ومن نظم الطرطوشي قوله أيضا

كأن لساني والمشكلات * سنى الصبح يجرح ليلا بهيما

والخراج وحاربه ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه الهدايا والضرائب وسار في مفاوز الترك يريد خراسان من بعد ان ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور بخراسان كورا وبنى مدنا في سائر أسفاره وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق ومابعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون وأفلاطون تلميذ سقراط وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفسية وغير ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وأبانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها لمن استعجم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة شهرزور اشتدت علته وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس فلما مات

وغيري ان رام مارمته * خصي يحاول فرجا عقيما

وقوله أيضا

اعمل لمعادك يارجل * فالناس لدنياهم عملوا
وادخر لمسيرك زادتقى * فالقوم بلا زاد رحلوا

*(ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي) وفد الى المشرق وذكره العماد في الخريدة وله الامد العلي بمصر وكان يخضب بسواد الرمان قوله

اخلط العفص فيه يا أحوج النا * س الى العفص حين يعكس عفص

ومنهم القاضي الشهيد أبو علي الصيرفي ٣ وهو حسين بن محمد بن فيرة بن حيون ويعرف بابن كرة وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجي وأبي محمد عبد الله بن محمد بن اسمعيل وغيرهما وسمع ببلنسية من أبي العباس العذري وسمع بالمرية من أبي عبد الله محمد بن سعدون القروي وأبي عبد الله بن المرابط وغيرهما ورحل الى المشرق أول المحرم من سنة احدى وثمانين وأربعمائة وحج من عامه ولقي بمكة أبا عبد الله الحسين بن علي الطبري وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم سار الى البصرة فلقي بها أبا يعلى المالكي وأبا العباس الجرجاني وأبا القاسم بن شعبة وغيرهم وخرج الى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ودخل بغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأطال الاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون مسند بغداد ومن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وطراد الزينبي والحميدي وغيرهم وتفقه عند أبي بكر الشاشي وغيره ثم رحل منها سنة سبع وثمانين فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي وأبي الفرج الاسفرايني وغيرهما وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخلعي وأبي العباس أحمد بن ابراهيم الرازي وأجازه الحبال مسند مصر في وقته ومكثرها وسمع بالاسكندرية من أبي القاسم الوراق وشعيب بن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس في صفر من سنة سبعين وأربعمائة وصدر مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر سماعهم عليه وكان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته وكان حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علما كثيرا وقيده وكان حافظا لمصنفات الحديث ذاكرا عليها اذاكر المتونها وأسانيدها ورواتها وكتب منها صحيح البخاري في سفر وصحيح مسلم في سفر وكان قائما على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذي وكان فاضلا دينا متواضعا حليما وقورا عالما عاملا واستقضي بمرسية ثم استعفي فأعفي وأقبل على نشر العلم وبثه وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه لدخوله الشام قال وبعد أن استقرت به النوى استمرت افادته بما قيد وروى رفعته ملوك أوانه وشفعته في مطالب اخوانه فأوسعته حبيا وأحسنت فيه رأيا ومن أبنائهم من جعل يقصده لسماع بسنده وعلى وقاره الذي كان به يعرف ندرله مع بعضهم ما يستطرف وهو أن فتى يسمى يوسف لازم مجلسه لاستطرافه وتحته ومنظفا ملبسه ثم غاب لمرض قطعه أو شغل منعه ولما فرغ أو أبل عاود ذلك النادي المبارك والمحل وقبل افضائه اليه دل طيبه عليه فقال الشيخ على سلامته من

الامم وكان يجمعهم ويسترشد الى كلامهم ولا يصدر الامور الاعن رأيهم وجعل بعد أن مات في تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد أن طلي جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء وهو المقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا فقام فوضع يده على التابوت وقال أصبح آسر الاسراء اسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذي كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه وقال الحكيم الثالث ما أزهد الناس في هذا الجسد وأرغبهم في هذا التابوت وقال الحكيم الرابع من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال الخامس يا ذا الذي جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من اجلك لتبلغ بعض املك هلا حققت من املك الامتناع عن فوت أجلك وقال السادس أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وفارقت ايامه فغناه لغيرك ووباله عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة ابلغ من وفاتك فمن كان له عقل فليعقل ومن كان

(قوله الصدف في نسخة الصدفي وقوله العذري في نسخة العدوي اه)

الجون وخلاصه من الفتون انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون وهى من طرف نوادره رحمة الله عليه ولما قلد قضاء مرسية وعزم عليه صاحب الامر فيه فر الى المرية فأقام ... سنة خمس وبعض سنة ست وخمسمائة وفى سنة ست قبل قضاءها على كره الى ان استعفى آخر سنة سبع فى قصة يطول ايرادها ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه بها فلما كانت وقعة كتندة كان ممن حضرها ففقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال القاضى عياض ولقد حدثنى الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر أنه قال له خذ الصحيح واذكر أى متن شئت منه أذكر لك سنده أو أى سند شئت اذكر لك متنه انتهى وذكر واحد أنه حدث ببغداد بحديث واحد والله أعلم وهو من أبناء الستين * (ومنهم ابن روح الجزيرى) ومن شعره لما تغرب بالمشرق

أحن الى الخضراء فى كل موطن * حنين مشوق للعناق وللضم
وما ذاك الا أن جسمى رضيعها * ولا بد من شوق الرضيع الى الام

(ومنهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزنى الحسيب العالم المحدث) وسبب رحلته أنه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر ثم مكة و... صحيح البخارى وعنه أخذ أهل الاندلس ورجع وسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله سنة ... وأربعمائة ومن شعره يحرضه على الجهاد

أعباد حل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للالام المضيع

وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب أمل بين اثناء المحاذير مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد ... لك من غيرك العجز وطبق مضاربها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر لكم لا يستقل * ان نهلتم جاءكم من بعد عل
بدء صعق الارض من رش وطل * ورياح ثم غيم قد أبل
خفضوا فالداء رزء أو أجل * واعمدوا سيفا عليكم قد يسل

وابنه أبو القاسم هو الذى كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده ... * (ومنهم أبو عمرو عثمان بن الحسين أخو الحافظ أبى الخطاب بن دحية الآتى) كان أسن من أخيه ابن أبى الخطاب وكان حافظا للغة العرب قيما بها وعزل الملك الكامل أبا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التى انشأها بين القصرين ورتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور ولم يزل بها الى أن توفى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح المقطم كأخيه وكان موت أبى عمرو بعد أبى الخطاب بسنة رحمهما الله تعالى * (ومنهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم) من أهل وادى الحجارة ويعرف بابن سكنهادة وارتحل الى المشرق لما نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها وتحول ملوكها وخولها فجال فى العراق وقاسى ألم الفراق واجتاز بحلب وأقام بها

...معرا ... وقال الثامن عشر رب هائب لك كان يهابك من ورائك وهو اليوم بحضرتك لا يخافك وقال التاسع عشر رب حريص على سكوتك اذا سكت وهو اليوم حريص على كلامك اذا تكلم وقال العاشر أكثرت هذه النفس الآلام ... ثم ... وقال الحادى عشر وكان صاحب ... انه كتب الحكمة قد كنت تأمرنى ان لا أبعد عنك واليوم لا اقدر على الدنو منك وقال الثانى عشر هذا اليوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك فيما احتوى عليك منها وقال الخامس عشر اعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام المائد والهشيم البائد وقال السادس عشر ايها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى

مقام غريب لم يصف له حلب وقال

أين أقصى الغرب من أرض حلب * أمل في الغرب موصول التعب
حن من شوق الى أوطانه * من جفاه صبره لما اغترب
جال في الارض لحاجا حائرا * بين شوق وعناء ونصب
كل من يلقاه لا يعرفه * مستغيثا بين عجم وعرب
لهف نفسي أين هاتيك العلا * واضيعاه ويا غبن الحسب
والذي قد كان ذخرا له * أرتجي المال وادراك الرتب
صار لي أبخس ما أعددته * بين قوم ما دروا طعم الادب
يا أحبائي اسمعوا بعض الذي * يتلقاه الطريد المغترب
ولكن زجرا لكم عن غربة * يرجع الراس لديها كالذنب
واحملوا طعنا وضربا دائما * فهو عندي بين قومي كالضرب
ولئن قاسيت ما قاسيته * فبما أبصر لحظي من عجب
ولقد أخبركم ان التقى * بكم حتى تقولوا قد كذب

واجتاز بدمشق فقال من أبيات رحمه الله تعالى

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبتهم تؤول الى حروب

ثم انه ودع الشرق بالاسلام وحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامري في بحبوحة عز لا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد ونال بها بعد من بلوغ الآمال ما ليس له عليه مزيد وقال

وكم قد لقيت الجهد قبل مجاهد * وكم أبصرت عيني وكم سمعت أذني
ولاقيت من دهري وصرف خطوبه * كما جرت النكباء في معطف الغصن
فلا تسألوني عن فراق جهنم * ولكن سلوني عن دخولي الى عدن

(وله من كتاب) وحامل كتابي سلمه الله تعالى وأعانه ممن أخنى عليه الزمان وأدار عليه وما صحا الى الآن كؤس الهوان وقد قصد على بعد جنابك الرحيب الخصيب قصد الحسن محل الخصيب ويمم جناب ابن طاهر حبيب واني لارجو أن يرجع منك رجوع نصيب عن سليمان ويستعين في شكرك بكل لسان وأنت عليم بأن الثناء هو الخلف وقد قال الاول

أرى الناس أحدوثة * فكوني حديثا حسنا

وأنا القائل

فلا تزهدن في الخير قد مات حاتم * وأخباره حتى القيامة تذكر

ومع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الاوان عارف وجوه الاعذار غير ذي عجل في العتب قبل البيان وعند سيدي من التصدي للايفاء ما يحقق فيه جميل الرجاء دامت أرجاؤه مؤملة ولا برحت نعمه سابغة مكملة * (ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي) وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضراء له رحلة الى الديار المصرية صنع فيها

وظلل الغمام كيف انجلى وقال الثامن عشر وكان من حكماء الهند يامن كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم ايها الجمع هذا الملك الماضي فليتعظ به الآن هذا الباقي وقال العشرون هذا الذي دار كثيرا والآن يقر طويلا وقال الحادي والعشرون ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال الثاني والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون في أولها وقال الخامس والعشرون وكان صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت الموائد ولا أرى عميد المجلس وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله قد كنت تأمرني بالجمع والادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال السابع والعشرون وكان خازنا من خزانه هذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضها قبل ان أوخذ بما لم آخذ منها وقال الثامن

مقامه بقول فيها

وفي جنبات الروض نهر ودوحة * بروقك منها سندس ونضار
تقول وضوء البدر فيه مغربا * أذراع فتاة دار فيه سوار

ومن شعره

ما كل انسان أخ منصف * ولا الليالي أبدا تسعف
فلا تضع ان امكنت فرصة * واحذر من الاخوان من ينصف
وانتف من الدهر ولو ريشة * فا... ك ماتنتسف

وقوله يرثي السيد أبا عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ملك المغرب والاندلس

مجيد المعالي أي عقد تبددا * وصدر العوالي أي رمح تقصدا
ولما دهت خيل الشقي فجاءة * وسال العدا بحرا من الموت مزبدا
شهدت بوجه كالغزالة مشرقا * وان كان وجه الشمس بالنقع مرمدا
عزائم صدق ليس تصرف هكذا * الى الموت يسعى أو على الموت يعتدي

وكان السيد أبو عمران المرثي قتله الميورقي صاحب فتنة أفريقية في الهزيمة المشهورة على تلوت وجمع ابن عبدربه المذكور شعر السيد أبي الربيع بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان ابن عبدربه المذكور كاتبا للسيد أبي الربيع سليمان المذكور ولما أنشد لبعض الشعراء

حاكت يد الرياح محكمة * في نهر واضح الاسارير
فكلما ضعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

أنشد نفسه

بين الرياض وبين الجو معترك * بيض من البرق أو سمر من السمر
ان أوترت قوسها كف السماء رمت * نبلا من الماء في زغف من الغدر
لاجل ذلك اذا هبت طلائعها * تدرع النهر واهتزت قنا الشجر

واجتمع ابن عبدربه المذكور في رحلته بالسعيد بن سناء الملك وأخذ عنه شيأ من شعره ورواه بالمغرب * (ومنهم الشاعر الاديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي) ومن نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه الله تعالى

وفي صهوات المقربات وفي القنا * حصون حمى لا في هضاب المعاقل

ومنها

ولا ملك يأتي كيوسف آخرا * كما لم يجئ مثل له في الاوائل

* (ومنهم الحافظ ابو الخطاب بن دحية وهو مجد الدين عمر بن الحسين بن علي بن محمد بن فرح بن خلف الظاهري المذهب الاندلسي) كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات الاثبات المحصلين استوطن بجاية في مدة أبي عبد الله بن تومورو وروى بها وأسمع وكان من احفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا ولا يحفظ الانسان من

بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت أحسب ان غالب دارا الملك يغلب وان كان هذا الكلام الذي سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شرابه فقد خاف الكاس الذي شرب به الجماعة

القول الثلاثون ما حكي عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه ان فقدت من ابني أمره فما فقدت من قلبي ذكره وقبض الاسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وغلبه على سائر ملوك الارض وملك وهو ابن احدى وعشرين سنة وذلك بمقدونية وهي مصر وعهد الى ولي عهده بطليموس بن اذينه ان يحمل تابوته الى والدته بالاسكندرية وأوصاها ان يكتب اليها اذا ناها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادي في مملكتها ان لا يتخلف عنها احد والا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات له خليل ليكون ذلك ماتم الاسكندر بالسرور خلاف ماتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها

اللغة حوشيها الا وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها وكان قصده والله تعالى أعلم ان يتفرد بنوع يشتهر به دون غيره كما فعل كثير من الادباء حيث تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس وكذا الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلقات مقفلات وكان رحمه الله تعالى اذا كتب اسمه فيما يجيزه او غير ذلك يكتب ابن دحية ودحية معا المتشبه به جبريل وجبرائيل ويذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة فى جبريل ويقول عند فاطر السموات والارض وهذا فرع انفرد به عمن عداه من أهل العلم قال صاحب عنوان الدراية رأيت له تصنيفا فى رجال الحديث لا بأس به وارتحل الى المشرق فى دولة بنى أيوب فرفعوا شأنه وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلسا أقروا له بالتقدم وعرفوا انه من أولى الضبط والاتقان والتفهم وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تغييرها ثم ذكر الاحاديث على ما هى عليه من متونها الاصلية ومثل هذه الحكاية اتفق لابى عمر ابن عات فى كتاب مسلم ببراكش ببيت الطلبة منها ومن شعر أبى الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن أيوب

مالى اسائل برق بارق عنكم * من بعد ما بعدت ديارى منكم
فعلكم قلبى وأنتم بالحشا * لا بالعقيق ولا برامة أنتم
وأنا المقيم على الوفاء بعهدكم * يا مالكين وفيتم أو خنتم

وهى طويلة ومنها

رفعت له الاملاك منه سجية * ملك السماك الرمح وهو محرم

ومنها

لذوى النهى والفهم سر حكومة * قد حار فيها كاهن ومنجم
فاقصد مرادك حيث سرت مظفرا * والله يكلا والكواكب نوم
وليهنك الشهر السعيد تصومه * وتفوز فيه بالثواب وتغنم
فلانت فى الدنيا كليلة قدره * قدرا فقدرك فى الملوك معظم

فأجابه السلطان مكافأة بنثر ونظم فمن النظم

ويهيجنى شوقى للاجارع باللوى * وأين اللوى منى وأين الاجارع
مرابع لو أن المرابع أنجم * لكان نجوم الارض تلك المرابع
رعى الله أياما بها ولو انها * الى وقد ولى الشباب رواجع
ليالى لا ليلى اذا رمت وصلها * يلوح لها من صبح شيبى مواقع

فى جملة أبيات (ومن النثر) الحمد لله ولى الحمد وقف ولده على الابيات التى حسن شعرها وصفا درها وليس من البديع أن يقذف البحر درا أو ينظم الخليل شعرا وقد أخذت الورقة لا تنزه فى معانيها واستفيد مما أودعه فيها فالله تعالى لا يخلينا من فوائد فكرته وصالح أدعيته والسلام فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الابيات بقوله من قصيدة

شجتنى شواج فى الغصون سواجع * ففاضت هوام للجفون هوامع

فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتى فقالوا لها أنت منعتيهم من ذلك قالت ٣٦٩ وكيف قيل لها أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزانى ولدى أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل فى تابوت من المرمر وطلى بالاطلية الماسكة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها من الملوك والامم لا يتركونه فى ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على أحجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد وصفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الاسكندرية وعجائبها ومصر وأخبارها وبنائها فى الموضع المستحق له من ذلك فى كتابنا ان شاء الله تعالى

(ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند)

(قال المسعودى) لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب

وأ كثر فيها من التغزل الى ان قال

ولاحاكم أرضاه بيني و بينها * سوى حاكم دهرى له اليوم طائع
يدافع عنى الضيم قائم سيفه * اذا عزمن للضيم عنى يدافع
هو الكامل الاوصاف والملك الذى * تشير اليه بالكمال الاصابع
و بيض أياديه الكريمة فى الورى * قلائد فى الاعناق وهى الصنائع
وبوماه يوماه اللذان هماهما * اذا جمعت غاب الملوك المجامع

ومنها

ها روضة غنا بها مرت الصبا * ونشر شذاها الطيب النشر ذائع
له من شكى الزهر برد مفوّف * اتيح له من أرض صنعاء صانع
فراقك منها اخضر الثوب ناضر * وشاقك منها اصفر اللون فاقع
واحمر قان للخدود مورد * وابيض كالثغر المفلج ناصع
بأحسن من توشيع مدحى الذى له * بدائع من وشى البديع وشائع
وماضائع من نشر شكرى الذى به * تأرجت الارجاء عندك ضائع
ولو لم يقدنى نداك لكان لى * مجال فسيح فى البسيطة واسع
فأنت الذى لى والاعادى كثيرة * فو يق مكان النجم فى الافق دافع

ومنها

بقيت لعبد جده دحية الذى * يشابه جبريل له و يضارع
وجدته الزهراء بنت محمد * عليه السلام الدائم المتتابع
ولاعدمت منك الممالك مالكا * يقرب للآمال ماهو شاسع
ومنك عيون للمهمات يقظ * وعنك عيون الحادثات هواجع

وقال المعريزى فى ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوفا بسماع الحديث النبوى وتقدم عنده ابو الخطاب بن دحية وبنى له دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة انتهى وقال ابو الخطاب بن دحية انشدنى ابو القاسم السهيلى لنفسه وذكر انه ماسأل الله تعالى بها شيأ الا اعطاه

يامن يرى مافى الضمير و يسمع * انت المعد لكل مايتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى ادفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب اقرع
ومن الذى ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن يقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

ومن نظم السهيلى رضى الله تعالى عنه

ماذكرناه من حمل الاموال والخراج اليه بلغه أن فى اقاصى أرض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وانصاف للرعية وانه قد أتى عليه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بارض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند وكان قاهرا لنفسه مميتا لصفاته من الشهوة العضبية وغيرها حاملا لها على خلق كريم وأدب زائد فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا اتاك كتابى هذا فان كنت قائما فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه انه قد اجتمع له قبله اشياء لاتجتمع عند غيره مثلها الا من صارت اليه عنه من ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته واعتدال بنيته واتساعه فى علمه وطبيب لاتخشى معه داء ولاشيأ من العوارض الامايطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التى عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسى وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت فى هذا العالم عرضا

اسائل

اسائل عن جيرانه من لقيته * واعرض عن ذكراه والحال تنطق
ومالى الى جيرانه من صبابة * ولكنّ نفسي عن صبوح ترقق

وله

لما اجاب بلا طمعت بوصله * اذ حرف لا حرفان معتنقان
وكذا نعم بنعيم وصل آذنت * فنعم ولا فى اللفظ متفقان

ولد أبو الخطاب بن دحية فى ذى القعدة سنة سبع أو ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار وقدره اجل مما ذكروه وقد روى رحمه الله تعالى بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق العجم وكل ذلك فى طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون فى جمع كثير وببغداد من أبى الفرج بن الجوزى وبأصبهان من ابى جعفر الصيدلانى معجم الطبرانى ومن غيره وبنيسابور من ابى سعيد بن الصفار ومنصور بن الفراوى والمؤيد الطوسى وحصل الكتب والاصول وحدث وأفاد وكان من اعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وايام العرب واشعارها وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدا منها كتاب التنوير فى مولد السراج المنير صنفه عند قدومه الى اربل سنة اربع وستمائة وهو متوجه الى خراسان لما راى ملك اربل مظفر الدين كوكبرى معتنيا بعمل المولد النبوى فى شهر ربيع الاول كل عام مهتما به غاية الاهتمام وكمله وقرأه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فاجازه بألف دينار وصنف ايضا العلم المشهور فى فضائل الايام والشهور والآيات البينات فى ذكر ما فى اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وكتاب شرح أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس فى أخبار خلفاء بنى العباس وكتاب الاعلام المبين فى المفاضلة بين أهل صفين وولى قضاء بلده أصوله دانية مرتين ثم صرف عن ذلك لسيرة نسبت اليه فرحل عنها وحدث بتونس سنة ٥٩٠ ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة باصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستاديه العادل لولده الكامل وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه اقبالا عظيما وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوى له المداس حين يقوم وهو بالسين كما قاله ابن خلكان وغيره والنسبة مشهورة بشرق الاندلس ثلث سنة بالتصحيف *(ومنهم خلف ابن القاسم بن سهل بن الدباغ الحافظ الاندلسى) رحل الى المشرق وكان حافظا فهما عارفا بالرجال حدث حديث مالك وشعبة وأشياء فى الزهد وسمع بمصر أبا الحسن بن الورد البغدادى ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة وسمع بدمشق على بن أبى العقب وأبا الميمون بن راشد وبمكة من بكير الحداد وأبى الحسن الخزاعى والآجرى وبقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد بن معاوية وتوفى سنة ٣٩٣ *(ومنهم خلف بن سعيد ابن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المرابط الكلبى من ذرية الابرش الكلبى ويعرف بالمبرقع المحتسب القرطبى) رحل الى المشرق مرتين أولاهما سنة ٣٣٣ وهو ابن ثلاث

للآفات والحتوف والبلايا وقدح عندى اذا انا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شئ ولا يزيده الوارد عليه الا دهاقا وانا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندى ونجاة هذا الحكيم من صولتى أحب الى من أن لا تكون عندى ويهلك فانفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين فى عدة من الرجال وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الى ودعوا الرجل فى موضعه وان تبينتم ان الامر بخلاف ذلك وانه اخبر عن الشئ على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الى فمضى القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاهم باحسن لقاء وانزلهم احسن منزل فلما كان فى اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا فى الاولى صدقنا فيما بعدها مما ذكر فلما اخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها اقبل عليهم مباحثا لهم فى اصول الفلسفة والكلام فى الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب فى المبادى الاول وتشاحوا القوم ونظروا فى موضوعات

وعشرين سنة وسمع أبا سعيد بن الاعرابي وابن الورد وأبا بكر الآجري وروى عنه أبو اسحق بن شنظير وأبو جعفر الزاهري وقال ابن شنظير انه توفي في نحو الاربعمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم سابق فضلاء زمانه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الاشبيلي) يقال ان عمره ستون سنة منها عشرون في بلده اشبيلية وعشرون في افريقية عند ملوكها الصنهاجيين وعشرون في مصر محبوسا في خزانة الكتب وكان وجهه صاحب المهدية الى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة في خزانة الكتب فخرج في فنون العلم اماما وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذي لحن الاغاني الافريقية قال ابن سعيد واليه تنسب الى الآن وذكره العماد في الخريدة وله كتاب الحديقة على أسلوب يتيمة الثعالبي وتوفي سنة ٥٢٣ وقيل سنة ٥٢٨ بالمهدية وقيل مستهل السنة بعدها ودفن بها وله فيمن اسمه واصل

يا هاجراً سموه عمداً واصلا * وبضدها تتبين الاشياء
ألغيتني حتى كأنك واصل * وكأنني من طول هجري الراء

وقوله وهو من بدائعه

لا غرو أن سبقت لهاك مدائحي * وتدفقت جدواك ملء انائها
يكسى القضيب ولم يحن اثماره * وتطوق الورقاء قبل غنائها

وقال في الافضل

تردى بكل فتى اذا شهد الوغى * نثر الرماح على الدروب كعوبا
قد لوحته يد الهواجر فاغتدى * مثل القناة قضافة وشحوبا
تخذوا القنا أشطانهم واستنبطوا * في كل قلب بالطعان قليبا

ومنها

تعطى الذي أعطتكه سمر القنا * أبدا فتغدو سالبا مسلوبا

ومنها

وأنا الغريب مكانه وبيانه * فاجعل صنيعك في الغريب غريبا

وله

ومهفهف شربت محاسن وجهه * ما مجه في الكاس من ابريقه
ففعالها من مقلتيه ولونها * من وجنتيه وطعمها من ريقه

أخذه من ابن حيوس وقصر عنه في قوله

ومهفهف يغني بلحظ جفونه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

ولابي الصلت فيمن اسمه محسن

أيها الظالم المسي * ء مدى دهره بنا
ما لهم أخطؤا الصوا * ب فسموك محسنا

وله في لابس قرمزية حمراء

العلماء وترتيبات الحكماء على غير مراء وتناهى ٣٧٢ بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدورهم من العلويات ثم اخرج الجارية فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من اعضائها مما ظهر فامكنه أن يتعدى ببصره الى غيره وشغله تامل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعي طبعه ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من ارضه فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وامر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ما عنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندي ومن احضره من فلاسفته وحكمائه فاعجبه ذلك وتامل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التي اليها كان أصدرهم واقبل ينظر الى مطاردة الهند في عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها على

اقبل

أقبل يسعى أبو الفوارس في * مرأى عجيب ومنظر أنق
أقبـل في قرمزية عجب * قد صبغت لون خده الشرق
كأنما جيده وغرته * من دونها ادبدون في نسق
عمود فجر من فوقه قمر * دارت به قطعة من الشفق

وله في ثقيل وقد أجاد

لي جليس عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله
أنا أرعاه مكرها وبقلبي * منه مايقلق الجبال أقله
فهو مثل المشيب أكره مرآ * ه ولكن اصونه وأجله

أخذه من قول أبي الحسن جعفر بن الحاج الميورقي وهما في عصر واحد

لي صاحب عميت علي شؤونه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالأمر الجلي توهما * فاذا تيقن نازعته ظنونه
اني لأهواه على شرقي به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه

وأوصى ان يكتب على قبره ابو الصلت المذكور مما نظمه قبل موته

سكنتك يادار الفناء مصدقا * باني الى دار البقاء أصير
وأعظم مافي الامر أني صائر * الى عادل في الحكم ليس يجور
فياليت شعري كيف ألقاه عندها * وزادي قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبي فانني * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو ثم عني ورحمة * فثم نعيم دائم وسرور

وله

اذا كان اصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين اقاربي
ولابد لي ان اسال العيس حاجة * تشق على شم الذرا والغوارب

وقال

دب العذار بخده ثم انثنى * عن لثم مبسمه البرود الاشنب
لاغرو أن خشي الردى في لثمه * فالريق سم قاتل للعقرب

وقد ذكروا ان من خواص ريق الانسان انه يقتل العقرب وهو مجرب

وقال

لاتدعني ولتدع من شئته * اليك من عجم ومن عرب
فنحن اكالون للسحت في * ذراك سماعون للكذب

وقال

لاتسالني عن صنيع جفونها * يوم الوداع وسل بذلك من نجا
لو كنت املك خدها للثمته * حتى اعيد به الشقيق بنفسجا
اوكنت اهجع لاحتضنت خيالها * ومنعت ضوء الصبح ان يتبلجا
وبثثت في الظلماء كحل جفونها * وعقدت هاتيك الذوائب بالدجا

عنه فخلا بنفسه وأجال فكره فسنح له سانح من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولاتخبره بشئ فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بحكمة فهمه وتبينه للامور المتقنة المحكمة في نفسه لامر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الي وأجال فكره وسبر المراد به ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرز اطرافها في السمن وأنفذها الى الاسكندر فأمر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الاجزاء وأمر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتامل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبان يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا لاترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتامل حسن صورته فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وامر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وامر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك امر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها في الطست فوق الماء فطفت فوقه وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر

وقال مهنئا بمولود

يلوح فى المهد على وجهه * تجهم الباس وبشرى الندى
والشمس والبدر اذا استجمعا * لم يلبثا ان يلدا فرقدا
فابق له حتى ترى نجله * وان عرا خطب فنحن الفدا

قال ابن سعيد وهذا البيت الاخير من اثقل الشعر ينظير من سماعه وتركه اولى وقال رحمه الله تعالى فى الرصد

وذا غدير وذا روض وذا جبل * فالضب والنون والملاح والحادى

(ومنهم الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى) ذكره العماد الاصبهانى فى الخريدة وذكره السمعانى فى الذيل وانه دخل بغداد فى حدود سنة ست عشرة وخمسمائة ومن شعره

ابا شمس انى ان اتتك مدائحى * وهن لآلى نظمت وقلائد
فلست بمن يبغى على الشعر رشوة * ابى ذاك لى جد كريم ووالد
وانى من قوم قديما وحديثا * تباع عليهم بالالوف القصائد

(ومنهم الفقيه المقرى ابو عامر التيارى) من رجال الذخيرة رحل الى المشرق وقرأ على ابى جعفر الدباجى كتابه فى العروض وسائر كتبه ولقى شيخ القيروان فى العربية ابن القزاز واديبها الحصرى * واخبر عن نفسه انه كان بين يديه تلميذ وسيم فربه ابو جعفر التجانى بمهاة كتب له فيها وخلاها بين يديه وهو قد غلب النوم عليه

يا نائما متعمدا * ابصار طيف حبيبه
هو جوهر فانقبه ان الطيب فى مثقوبه
او اركبنى ظهره * ان لم تقل بركوبه

فلما قرأها علم انها للتجانى فكتب تحتها

يا طالبا اضحى حجا * بدون ما مطلوبه
لو لم يكن فى ذاك اثم لم اكن اصبو به
انى اغار عليه من * اثوابه ورقيبه

وانشد يوما فى حلقته لابن الرومى فى خباز

لا انس لا انس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

فقال بعض تلامذته اما انه لا يقدر على الزيادة على هذا فقال

فكاد يضرط اعجابا برؤيتها * ومن راى مثل ما ابصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فجعلوا محوه او فالعقوه طرى

* (ومنهم الاديب الطبيب ابو الحجاج يوسف بن عتبة الاشبيلى) مطبوع فى الشعر والتوشيح

الاسكندر الى ذلك ام بتراب ناعم فلثمت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال انينه وظهر حنينه وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يانفس ما الذى قذف بك فى هذه السدفة وأصارك الى هذه الظلمة ووصلك بهذه الظلمة انسيت وأنت فى النور تسرحين وفى العلوم تمرحين وتنظرين فى الضياء الصادق وتتفسحين فى العالم المشرق أنزلت الى عالم الظلم ومعاندة والغشم ومفاسده تخطفك الخواطف وتنتهرك العواصف قد حرمت علم الغيوب والسكون فى العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب ورحت كل مطلوب أين معادنك الطيبة وراحتك العذبة حللت فى الاجساد وتتوى عليك الكون والفساد حللت يانفس بين السباع القاتلة والافاعى المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار فى قرارات الاجسام لاتشاهدى الا غافلا ولا ترين الا جاهلا قد زهد فى الخيرات ورغب عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال باعلى صوته يالك من نجوم سائرة

قال

قال ابن سعيد اجتمعت به في القاهرة مرارا بمجلس الامير جمال الدين ابي الفتح موسى بن يغمور بن جلدك وفي غيره وتوفي في مارستان القاهرة ومن شعره

اما الغراب فانه سبب النوى * لاريب فيه وللنوى اسباب
يدعوا الغراب وبعد ذا الحيه * جمل وتعوى بعد ذا الذئاب
لاتكذبن فهذه اسبابه * لكن منها بداءة وجواب

*(ومنهم الامام المحدث الحافظ جمال الدين ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسى المعروف بابن مسدى) وهو من الائمة المشهورين بالمشرق والمغرب قال رحمه الله تعالى أنشدني رئيس الاندلس واديبها ابو الحسن سهل بن مالك الازدى الغرناطي لنفسه سنة ٦٢٧ في شوال بداره بغرناطة

منغص العيش لاياوى الى دعة * من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى احد

*(ومنهم الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الازدى الحميدى نسبة لجده حميد الاندلسى) ولد ابوه بقرطبة وولده وبالجزيرة بليدة بالاندلس قبل العشرين واربعمائة وكان يحمل على الكتف للسماع سنة ٤٢٥ فاول ما سمع من الفقيه ابي القاسم اصبغ قال وكنت أفهم من يقرأ عليه وكان قد لقي ابن أبي زيد وقرأ عليه وتفقه وروى عنه رسالته ومختصر المدونة ورحل سنة ٤٤٨ وقدم مصر وسمع بها من الضراب والقراعى وغير واحد وكان سمع بالاندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه مصنفاته واكثر من الاخذ عنه وشهر بصحبته وصار على مذهبه الا انه لم يكن يتظاهر به وسمع بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته وسمع بمكة من الزنجاني وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيرا من الحديث والادب وسائر الفنون وصنف مصنفات كثيرة وعلق فوائد وخرج تخاريج للخطيب ولغيره وروى عنه أبو بكر الخطيب اكثر مصنفاته وابن ما كولا وكان اماما من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفته واتقانه وثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته حتى قال بعض الاكابر عن ابي الائمة لم ترعيناى مثل أبي عبد الله الحميدى في فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله وكان ورعا ثقة اماما في علم الحديث وعلله ومعرفة متونه وروانه محققا في علم الاصول على مذهب أصحاب الحديث متبحرا في علم الادب والعربية ومن تصانيفه كتاب جذوة المقتبس في أخبار علماء الاندلس وكتاب تاريخ الاسلام وكتاب من ادعى الامان من أهل الايمان وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك وكتاب تسهيل السبيل الى علم الترسيل وكتاب مخاطبات الاصدقاء في المكاتبات واللقاء وكتاب ما جاء من النصوص والاخبار في حفظ الجار وكتاب ذم النميمة وكتاب الاماني الصادقة وغير ذلك من المصنفات والاشعار الحسان في المواعظ والامثال وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل في الحر ويجلس في اجانة ماء يتبرد به ومن مشهور مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين وذكره الحجارى في المسهب

وأجسام زاهرة من عالم شريف طلعت والتي ما وضعت انك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة وفي أكنافه قاطنة فقد أصبحت عنه ظاعنة ثم أقبل على الرسول وقال خذه ورده الى الملك يعني التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ما شاهد ذهب الاسكندر من ذلك وعلم مرامى الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من العلة مما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتأمل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه ولست أشك ان هذا الشخص قد علم كل ما راسلته به وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس في وقته أحد يدانيه في حكمته ولا يلحقه في علمه وتأمل الفيلسوف الاسكندر فادار اصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة انفه واسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير مملكه فحياه بتحية الملوك فاشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك

وقال عنه انه أظهر العلم فى طرق ميورقة بعدما كانت عطلاء من هذا الشان وترك لها خبرا تبارى به خواص البلدان وهو من علماء أئمة الحديث ولازم أبا محمد بن حزم فى الاندلس واستفاد منه ورحل الى بغداد وبها ألف كتاب الجذوة ومن شعره قوله رضى الله تعالى عنه

ألفت النوى حتى انست بوحشها * وصرت بها لا فى الصبابة مولعا
فلم احص كم رافقته من مرافق * ولم احص كم خيمت فى الارض موضعا
ومن بعد جوب الارض شرقا ومغربا * فلابد لى من أن اوافى مصرعا

وقال رحمه الله تعالى

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال ابن ماكولا أخبرنا صديقنا ابو عبد الله الحميدى وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ لم ار مثله فى عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء ان يدفنه عند قبر بشر الحافى فخالف وصيته ودفنه فى مقبرة باب البزر فلما كان مدة رآه مظفر فى النوم كأنه يعاتبه على مخالفته فنقل فى صفر سنة ٤٩١ الى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر وكان كفنه جديدا وبدنه طريا تفوح منه رائحة الطيب ووقف كتبه على اهل العلم رحمه الله تعالى ومن مناقبه انه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ تعديت بعين الى موضع لم ينظره احد منذ عقلت انتهى ومن شعر الحميدى ايضا قوله

طريق الزهد افضل ما طريق * وتقوى الله تالية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك ودع بنيات الطريق

وقوله

كلام الله عز وجل قولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا * تكن منها على عين اليقين

*(ومنهم الكمال ابو العباس احمد الشريشى وهو احمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى ابن عبد المؤمن القيسى) من اهل شريش روى عن ابى الحسن بن ليال وأبى بكر بن أزهر وأبى عبد الله بن زرقون وأبى الحسين بن جبير وغيرهم وأقرأ العربية وله تواليف أفاد عما حشد فيها منها شرح الايضاح للفارسى والجمل للزجاج وله فى العروض تواليف وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر أبى على القالى قال ابن الابار لقيته بدار شيخنا أبى الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهى الى اشبيلية فى سنة ست عشرة وستمائة وهو اذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لى سائره مع رواياته وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية انتهى ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق الى الشام

حين نظرت الى ورميت بطرفك نحوى أدرت أصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة انفك قال تاملتك أيها الملك بنوريه عقلى وصفاء مزاجى فتبينت فكرتك فى وتاملك لصورتى وأنها قلما تجتمع مع الحكمة فاذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه فادرت اصبعى مصداقا لما سنح لك وأريتك مثالا شاهدا كما انه ليس فى الوجه الا انف واحد كذلك ليس فى دار مملكة الهند غيرى ولا يلحق احد من الناس بى فى حكمتى فقال له الاسكندر ما احسن ما اتى لك ما ذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت فدع عنك هذا ما بالك حين انفذت اليك قدحا مملوا سمنا غرزت فيه ابرا ورددته الى قال الفيلسوف علمت أيها الملك انك تقول ان قلبى قد امتلأ وعلمى قد انتهى كامتلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمى يستزيد فى علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر فى هذا الاناء قال فاخبرنى ما بالك حين عملت من الابر كرة وانفذتها اليك صيرتها مرآة ورددتها الى صقيلة قال علمت أيها الملك انك تريد ان قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب فى فهم الغايات والعلوم

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * مالذ للعين لانوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيربين ضحى * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتي التي سلفت * لي منه فهي لعمري عندي العمر
سقاك يا سفح سفح الدمع منهملا * وقل ذاك له ان أعوز المطر

وله رحمه الله تعالى شروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب مالا كفاء له وكان رحمه الله تعالى معجبا بالشام وقال ابن الابار عند ماذكره انه شرح مقامات الحريري في ثلاث نسخ كبراها الادبية ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة انتهى وتوفي بشريش بلده سنة تسع عشرة وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي القرطبي الملقب بضياء الدين) أحد الائمة المتأخرين في القرآت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك قال القاضي الشمس بن خلكان انه رحل من الاندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبدالله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبدالله بن علي المقري المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع عنه مشيخة أبي عبدالله الرازي وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة ورأيت في بعض الكتب ان مولده سنة ٤٨٧ والاول أصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتي اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشيء ملفوف فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ماهو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تقفينا ذلك فقلنا انها دجاجة مسموطة كانت ترسم للشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر في كتاب دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة ٥٦٧ وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى أبي الخير الكاتب الواسطي

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

والحكمة فاخبرتك مجيبا ممثلا بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعلي منها مرآة صقيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتني عن مرادي فاخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء جعلتها قدحا فوق الماء طافية ثم رددتها الى قال الفيلسوف علمت انك تريد بذلك أن الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل فاجبت الملك ممثلا اني ساعمل الحيلة في ايراد العلم الكثير في المهل القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالي للمرآة من بعد كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية عليه فقال له الاسكندر صدقت فاخبرني ما بالك حين ملأت الاناء ترابا رددته الي ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف قال علمت انك تقول ثم الموت وانه لابد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المعتدل الذي هو الارض ودثورها وتفرق اجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي قال الاسكندر صدقت ولا حسنين الى الهند من أجلك وأمر له بجوائز كثيرة وأقطعه قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو

جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين

وتوفى القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧ رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن خلكان ببعض اختصار *(ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبى الحسن بن عبد ربه وهو من حفداء صاحب كتاب العقد المشهور حدث الشيخ الاجل أبو عبد الله محمد ابن على اليحصبي القرموني رفيقه قال اصطحبت معه فى المركب من المغرب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر وأشفينا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذه الحال منار الاسكندرية فسر برؤيته وطمعنا فى السلامة فقال لى لابد أن أعمل فى المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذه الحال التى نحن فيها فقال نعم فقلت فاصنع فاطرق ثم عمل بديها

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى عرنينه شمم * كانه باهت فى دارة الافق
يكسر الموج منه جانبى رجل * مشمر الذيل لا يخشى من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن * ما بين مصطبح منها ومغتبق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كوقع النوم من أجفان ذى أرق

وتقدمت ترجمة الكاتب أبى عبد الله بن عبد ربه وأظنه هذا فليتنبه له بل أعتقد انه هو لا غيره والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي) قال فى القدح المعلى بيتهم مشهور بقرطبة لم يزل يتوارث فى العلم والجاه وعلو المرتبة ونشأ أبو عبد الله هذا حافظا للآداب اماما فى علم الحساب مع انه كان أعمى مقعدا مشوّه الخلقة ولكنه اذا انطق علم كل منصف حقه ومن عجائبه انه سافر على تلك الحالة حتى غدت بغداد له هالة اجتمعت به بحضرة تونس فرأيت بحرا زاخرا وروضا ناضرا الا انه حاطب ليل وساحب ذيل لا يبالى ما أورده ولا يلتفت الى ما أنشده جامعا بين السمين والغث حافظا للمتين والرث وكان يقرئ الادب عراكش وفاس وتونس وغيرها ومن مشهور حكاياته انه لما قال أبو زيد الفازازى فى أبى على المستنصر قصيدته التى مطلعها * الحزم والعزم منسوبان للعرب * عارضه بقصيدة ثم قال فيه وفى ابن أخيه يحيى بن الناصر الذى نازعه فى ذلك الاوان

وان ينازعك فى المنصور ذو نسب * فنجل نوح ثوى فى تسمة العطب
وان يقل أنا عم فالجواب له * عم النبى بلا شك أبو لهب

وشاعت القصيدة فبلغت أبا العلاء فحرص على قتله وسلمه الله تعالى منه ومات سنة ٦٣٩ ومن شعره قوله

لا تحسب الناس سواء متى * تشابهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار فى بعضها * ماء وبعض ضمنها نار

وقوله

يا طالعا فى جفونى * وغائبا فى ضلوعى
بالغت فى السخط ظلما * وما رحمت خضوعى
اذا نويت انقطاعا * فاحسب حساب الرجوع

أحببت المال لما أردت العلم واستغنيت أدخل على علمي ما ضاده وينافيه واعلم أيها الملك ان الغنية توجب الخدمة ولسنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذى يصلح النفس الفلسفة وهى صقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه واعلم أيها الملك ان بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان البارى جل وعز فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل وزلل وأشبه الاشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتأنيك فى أمورك وانتظام سياستك اجسام رعيتك فتخير أن تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهى خزانة سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت أن تفعل فاحترز من ان تقول بأمن من أن تفعل فالملك السعيد من تمت له رياسة أيامه والملك الشقى من انقطعت عنه فمن تحرى فى سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة

(قال المسعودى رحمه الله) وخلا الاسكندر عن الفيلسوف لا يمكنه المقام معه فلحق بأرضه وللاسكندر انتهى

انتهى باختصار يسير * (ومنهم أبو الوليد بن الجنان محمد بن الشرف أبي عمرو بن الكاتب أبي بكر ابن العالم الجليل أبي العلاء بن الجنان الكناني الشاطبي) قال ابن سعيد توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة وأبو الوليد أشعرهم وقد تجدد به في أقطار المشرق مفخرهم وهو معروف هناك بفخر الدين ومتصدر في أئمة النحويين ومرتب في شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية قلائد أهل الغرام صحبته بمصر ودمشق وحلب وجريت معه طلق الجموح في ميادين الادب وأنشدني بدمشق

أنا من سكرهواهم ثمل * لا أبالي هجروا أم وصلوا
فشعري وحديثي فيهم * زمزم الحادي وسار المثل
ان عشاق الحمى تعرفني * والحمى يعرفني والطلل
رحلوا عن ربع عيني فلذا * أدمعي عن مقلتي ترتحل
ما لها قد فارقت أوطانها * وهي ليست لحماهم تصل
لا تظنوا أنني أسلوهما * مذهبي عن حبكم ينتقل

وقوله رحمه الله تعالى

بالله يا بانة الوادي اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الشيح والغار
فعانقيها عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار
وعرفيها بأني فيك مكتئب * فبعض هذي لها بالحب أخبار
وأنتم جيرة الجرعاء من اضم * لي في حماكم أحاديث وأسمار
وأنتم أنتمو في كل آونة * وانما حبكم في الكون أطوار
ويا نسيما سرى تحدو ركائبه * لي بالغوير لبانات وأوطار

وله

يا رعى الله أنسنا بين روض * حيث ماء السرور فيه يجول
تحسب الزهر عنده يتثنى * وتخال الغصون فيه تميل

وله

ذات المدام فقد ناح الحمام على * فقد الظلام وجيش الصبح في غلب
وأعين الزهر من طول البكا رمدت * فكحلتها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة * لكن أزرتها من لؤلؤ الحبب
كم قلت للافق لما أن بدا صلفا * بشمسه عند ما لاحت من الحجب
ان تهت بالشمس يا أفق السماء فلي * شمسان وجه نديمي وابنة العنب
قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم * والليل تبكيه عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد * قامت لترثيه الاطيار في القضب

وله

عليك من ذلك الحمى يا رسول * بشرى علامات الرضا والقبول
جئت وفي عطفيك منهم شذى * يسكر من خمرهواه العذول

مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة في أنواع من العلوم ومكاتبات ومراسلات جرت بين الاسكندر وبين كند ملك الهند قد أتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر من عيونها في كتابنا في أخبار الزمان وأما القدح فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينتقص شربهم منه شيأ وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أبي البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيها فورث عنه وتداولته الملوك الى ان انتهى الى كند هذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه أخبار ظريفة ومناظرات عجيبة في أوائل المعرفة وصنعة الطب وترقيه الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وميلا الى الاختصار في هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذي تدعيه الهند في صنعة الطب وغيرها وقد كان للاسكندر في أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد

ومنها

أحبابنا ودعتم ناظري * وأنتم بين ضلوعي نزول
حللتم قلبي وهو الذي * يقول في دين الهوى بالحلول
انا الذي حدث عني الهوى * بأنني عن حبكم لا أحول
فليزد العاذل في عذله * وليقل الواشي لكم ما يقول

انتهى كلام النور بن سعيد * وقال غيره ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٥ ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون وكان عالما فاضلا دمث الاخلاق كريم الشمائل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضي القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفي المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق وله مشاركة في علوم كثيرة وله يد في النظم ومن شعره

لله قوم يعشقون ذوي اللحى * لا يسألون عن السواد المقبل
وبمهجتي قوم وأبي منهم * جبلوا على حب الطراز الاول

وله أيضا

قم اسقنيها وليل الهم منهزم * والصبح أعلامه محمرة العذب
والسحب قد نثرت في الارض لؤلؤها * تضمن الشمس في ثوب من الذهب

انتهى

وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا وله رحمه الله تعالى في كاتب

ولي كاتب أضمرت في القلب حبه * مخافة حسادي عليه وعذالي
له صنعة في خط لام عذاره * ولكن سها اذ نقط اللام بالخال

(ومنهم أبو محمد القرطبي) قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة وكانه لا خبر عنده من الآخرة وقد طال عمره في أكل الاعراض وفساد الاغراض ومما بقي في أذني من شعره قوله

رحم الله من لقيت قديما * فلقد كان بي رؤفا رحيما
أتمنى لقاء حر فقد أعوز بختي كما عدمت الكريما

وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى * (ومنهم علي بن أحمد القادسي الكناني) قال ابن سعيد لقيته ببيت المقدس على زي الفقراء وحصلت منه هذه الابيات وندمت بعد ذلك على ما فات وهي

ذاك العذار المطل * دمي عليه يطل
كانما الخد ماء * وقد جرى فيه ظل
عقود صبري عليه * منذ حل قلبي تحل
جرت دموعي عليه * فقلت آس وطل

انتهى

(ومنهم أبو عبد الله بن العطار القرطبي) قال ابن سعيد هو حلو المنازع ظريف المقاطع والمطالع مطبوع النوادر موصوف بالاديب الشاعر مازجته بالاسكندرية وبهذه الحضرة العلية ومازال يدين بالانفراد والتجول في البلاد حتى قضى مناه وألقى بهذه المدينة عصاه لا يخطر الهم له ببال ولا يبيت الا على وعد من وصال وله حين سمع ما ارتجلته في السكين بالاسكندرية حين داعبني باختلاسها القاضي زين القضاة بن الريغي وقال مالي اليه سبيل

وفي أوطانهم واختلاف لغاتهم وكتابتهم وصورهم وتباينهم في شيمهم وأخلاقهم أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل وفنون من التدبير وما أحدث من الابنية قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا وغير ذلك مما عن وصفها أمسكنا وانما ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يعرى كتابنا من شيء منه مع ذكرنا لسيره ووفاته وبالله التوفيق

(ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر)

(ثم ملك بعد الاسكندر الملك خليفته بطليموس) وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالي لملك الاسكندر حروب مع بني اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار ملوك العالم انه اول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه ركب في بعض الايام في طريقه الى بعض منتزهاته فنظر الى باز يطير فرآه اذا علا صعد واذا سفل خفق واذا أراد ان يستوي دف فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأمله فاعجبه صفاء عينيه وصفرتهما وكمال خلقه فقال هذا طائر حسن له سلاح وينبغي أن تتزين به الملوك في مجالسها فأمر أن يجمع منها عدة تكون في مجلسه

سبيل حتى يحضر مصرى نبيل

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستنذبه الاقلام عند عثارها * ويكفيه ان بعد الصواب كتاب

فقال

أحاجيك ماشئ اذا ماسرقته * وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على ان فيه القطع والحذ ثابت * ولاحذ فيه هكذا حكم الشرع

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه القدح المعلى فيما أظن ويعنى والله سبحانه أعلم بقوله وبهذه الحضرة العلية حضرة تونس اخر وسة فانها كانت محط رحال الافاضل من الاواخر والاوائل حتى ان قاضى القضاة ابن خلدون أقام بها مدة ومنها ارتحل الى مصر وكذلك الخطيب الجليل سيدى أبو عبدالله بن مرزوق رحمه الله تعالى ومنها خاطب الوزير لسان الدين بن الخطيب وسلطانه فى الشفاعة له عند سلطان المغرب فكتب لسان الدين عن سلطانه فى ذلك ماقصه المقام الذى نؤكد اليه برسله الوداد ونغرى بتخليد فخره وأمره القلم والمداد ونصل به الاستظهار على عدوّ الله تعالى والاستعداد ونخطب له من الله بهز أعطافه للخير والتوفيق والسداد والاعانة منه والامداد مقام محل أخينا الذى اشتهر فضله ودينه ووضح سعده متألقة براهينه وحياه الصنع الجميل وسياه مشرقا جبينه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يرعى الذمم ويسلك من الفضائل المنهج الاهم ويغلى البضائع النافقة عند الله تعالى ويعلى الهمم معظم قدره وملتزم بره الحريص على توفير أجره وتخليد فخره فلان أما بعد حمد الله تعالى ناصر الامرة المطاعة المحافظة على السنة والجماعة وحافظهما من الاضاعة الى قيام الساعة الذى جعل المودة فيه أنفع الوسائل النفاعة والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم والاشاعة متمم مكارم الاخلاق من الفضل والبذل والحياء والشجاعة والرضا عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة وزرعوا الخير فى العاجلة ففازوا فى الآجلة بفائدة تلك الزراعة والدعاء لمقامكم الاعلى بصنع يروى فيه عن الاشمط الباتر خبر النصر المتواتر لسان البراعة وتأييد لا يرضى فيه القنا عقام تلك القناعة فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لثنائكم العاطر بتخليد المفاخر منشور الاذاعة فى أيدى النواسم الشواعة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عن خير هامى السحاب وبشر مفتح الابواب وعز للاسلام ببركة الاعتداد بكم المنصور والاعلام مقتبل الشباب ويمن ضافى الجلباب والحمد لله على تضافر الايدى فى ذاته وتوفر الاسباب وجانبكم الرفيع الامل المنتاب اذا حدت الحداة ذوات الاقتاب ومطمع الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الود اللباب والى هذا وصل الله تعالى سعيكم بسوابغ نعمه وآلائه دائمة الانسكاب وجعل ما عجل لكم من نعمه وآلائه كفيلة بالزلفى وحسن المتاب والهمكم تقييد شواردها بالشكر قولا وعملا فالشكر مستدعى المزيد كما ورد فى الكتاب فان من المنقول الذى اشتهر وراق فضله وبهر قوله اشفعوا تؤجروا وما فى معناه من المعتبر فى الخبر وتنفيس

زينة تعرض لباز منها ايم وهو الحية الذكر فوثب عليه البازى فقتله فقال الملك هذا ملك يغضب عما تغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب عليه البازى فما أفلت الا جريضا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب عليه فأكله فقال الملك هذا ملك يمنع جاه ولا يضيع أكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وفى من بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والابواب جملا من أخبارها واخبار من لعب بها وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وانشأها على منازلها ودرجاتها وهى أربع أجناس وثلاثة عشر شكلا فأما الاجناس الاربعة فهى البازى والشواهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال

الاوسط على مراتبها من سائر انواع الحيوان الجوارح ودلائلها وماقاله

كربة عن مسلم وسماع شكوى من متظلم ولولا أن مقامكم السنى أغنى لجلبنا الكثير من هذا المعنى ولما تحقق ما أنتم عليه من سلوك سبيل الخير واقامة رسوم الدين والاهتداء بمن هديه بالنور المبين خف علينا أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات ونتجر لكم مع الله بأنفس البضاعات فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقة وشكرناكم عليه شريعة وما تأخر أوسعناكم فيه عذرا يسد ذريعة وعلمنا أن الله تعالى لم يأذن فى تعجيله وسألناه فى تيسيره وتسهيله سواء لدينا فى ذلك ما عاد باعانة عامة وامداد وساهم فى قصد جهاد ومالم يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما باعانة ولا ارفاد انما علينا أن نجلب الخير الباقى والاجر الراقى الى بابكم وندل عليه كريم جنابكم بمقتضى وداد صحيح باد وجميل ظن فى دينكم المتين واعتقاد سلم مجمله ومفصله من انتقاد وذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الاوحد العلامة سلالة الصالحين وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين وبالها من مزية دنيا ودين أبا عبد الله بن مرزوق جبر الله تعالى على يدكم البرة حاله وسنى من مقامكم السنى آماله جرى عليه من المحن وتباريح الاحن ما يعلم كل ذى مروءة وعقل واجتهاد ونقل أن ذلك من الجنايات على والدكم السلطان محسوب والى معقاته منسوب ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا لاستدعت الى تعمدها عفوا كبيرا رعيا لذلك الامام الصالح الذى كبر خلفه وأحرم وتشهد وسلم وأمن عقب دعائه ونصب كفه لمواهب الله تعالى وآلائه وأنصت لخطبته ووعظه وأوجب المزية لسعة حفظه وعذوبة لفظه فأحبط ذلك من أحبط الاعمال الصالحة وعطل المتاجر الرابحة وأسف الملك المذكور بدم ولده واحراق خزائنه وعدده وتغيير رسومه وحدوده واسخاطه واسخاط الله معبوده الى أن طهر سيفكم المليك من عاره وأخذ منه بثاره وتقرب الى الله والى السلف الكريم بمحو آثاره والحمد لله على ما خصه من ايثاره وتدارك الاسلام باقالة عثاره وانه خاطبنا الآن من حضرة تونس يقرر من حاله ما يفت الفؤاد ويوجب الامتعاض له والاجتهاد يطلب منا الاعانة بين يديكم والانجاد ويشكو العيلة والاولاد والغربة التى أحلته الاقطار النازحة والبلاد والحوادث التى سلبته الطارف والتلاد وان نذكركم بوسيلته وضعف حيلته فبادرنا لذلك عملا بالواجب وسلوكا من بره ورعى حقه على السنن اللاحب وان كنا نطوقه فى أمرنا عند الحادثة علينا تقصيرا ولا نشكر الا الله وليا ونصيرا فحقه علينا أوجب فهو الذى لا يجحد ولا يحجب ولا يلتبس منه المذهب وكيف لا يشفع فيمن جعله السلف الى الله تعالى شفيعا وأحله محلا منيعا رفيعا الى وليه الذى جبر ملكه سريعا وصير جنابه بعد المحول مريعا وجدد رسومه تأصيلا لها وتفريعا ومثلكم من اغتنم بره فى نصر مظلوم وسبر مكلوم واعداء كرم على لوم وهى منا ذكرى تنفع وحرص على أجر من يشفع واسعاف لمن سال ما يعلى من قدركم ويرفع وتأدية لحق سلفكم الذى توفرت حقوقه وابلاغ نصيحة دينية الى مجدكم الذى لا يمنعه عن المجد مانع ولا يعوقه ومطالبه فى جنب ملككم الكبير حقير وهو به الى ما يفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير ومنهلكم الاروى وباعكم فى الخير أطول وساعدكم أقوى وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والله

على طريق الخبر فى الكتاب الناهر فى ذلك (ثم ملك بعد بطليموس هيملوس) وكان رجلا جبارا وفى أيامه عملت الطلسمات وظهرت عبادة التماثيل والاصنام اشبه دخلت عليهم وانها وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم اليه وتدنيهم منه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وقيل اربعين وقد قيل ان الذى ملك بعد خليفة الاسكندر بطليموس الثانى محب الاخ وغزا بنى اسرائيل ببلاد فلسطين وايلياء من ارض الشام فسباهم وقتل منهم وطلب العلوم ثم رد بنى اسرائيل الى فلسطين وحمل معهم الجواهر والاموال وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس وكان ملك الشام يومئذ انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها احدى عجائب العالم فى البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا عشر ميلا عدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجا وجعل عدد شرافاته اربعة وعشرين ألف شرافة وجعل على كل برج من الابراج بتولة بطريق اسكنه اياه برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات والطريق فى اعلاه وجعل كل برج منها كالحصن عليها ابواب حديد وآثار الابواب

عز

عز وجل يسلك بكم المسالك التي تخلد بالجميل ذكركم وتعظم عند الله أجركم فما عند الله خير للابرار والدنيا دار الغرور والآخرة دار القرار وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * والسلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وكان ابن مرزوق غالبا على دولة السلطان أبي سالم أخي أبي فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودي وتغلب على الملك ونصب أخا لابي سالم معتوها وسجن ابن مرزوق ورام قتله فخلصه الله تعالى منه ثم ان السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله واستقل بالملك فخوطب في شأن ابن مرزوق بما ذكر * (رجع الى ما كنا فيه) من ذكر الراحلين من أعلام الاندلسيين الى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى فنقول * (ومنهم أبو الوليد وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي القرطبي المعروف بابن الفرضي الحافظ المشهور) كان فقيها عالما عارفا بفنون علم الحديث ورجاله بارعا في الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو بديع في بابه وهو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتاب حسن في المؤتلف والمختلف وفي مشتبه النسبة وكتاب في أخبار شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٢ فحج وسمع من العلماء وأخذ عنهم وكتب من أماليهم وروى عن شيوخ عدة من أهل المشرق ومن شعره

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقى * ومالك في فصل القضاء مخالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما * يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي * أرجي لاسرافي فاني لتالف

وكان رحمه الله تعالى حسن الشعر والبلاغة ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى

ان الذي أصبحت طوع يمينه * ان لم يكن قمرا فليس بدونه
ذلي له في الحب من سلطانه * وسقام جسمي من سقام جفونه

وله شعر كثير ومولده في ذي القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتولى القضاء بمدينة بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ وبقي في داره ثلاثة أيام ودفن متغيرا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة رحمه الله تعالى وروى عنه انه قال تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله تعالى الشهادة ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسك كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك قال ثم قضى على اثر ذلك وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه وقد ساق في المطمح حكايته فقال كان حافظا عالما كلفا

ومواضع الحديد بين الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واظهر فيها مياها من اعين وغيرها الاسديل الى قطعها من خارجها وجعل اليها مياها مصبة في قنى محرقة الى شوارعها ودورها ورأيت فيها في هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخزف لترادف الصرف بها فيتراكم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد في كسره وقد ذكرنا ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب وما شاهدناه حسا ونمى الينا خبرا مما يولده ماء انطاكية في أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم وما يحدث في معدهم من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة وقد اراد الرشيد سكناها فقيل له بعض ما ذكرنا من أوصافها وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها وعدم بقاء ريح الطيب بها واستحالته على اختلاف أنواعه فامتنع من سكناها (ثم ملك) على اليونانيين بعد هيفلوس بطليموس الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذي بنى مدينة فامية بين حمص وانطاكية (ثم ملك)

بالرواية رحل في طلبها وتبحر في المعارف بسببها مع حظ من الادب كثير واختصاص بنفسه ونبه حج وبرع في الزهادة والورع فتعلق باستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم ذكر في القتل ومرارته والسيف وحرارته فاراد ان يرجع ويستقيل الله تعالى فاستحيا وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا فاصيب في تلك الفتن مكلوما وقتل مظلوما ثم ذكر مثل ما مر ومما قال في طريقه يتشوق الى افريقية

مضت لي شهور مذ غبتم ثلاثة * وما خلتني أبقى اذا غبتم شهرا
ومالي حياة بعدكم أستلذها * ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرا
ولم يسلني طول التنائي عنكم * بلى زادني وجدا وجدد لي ذكرا
يمثلكم لي طول شوقي اليكم * ويدنيكم حتى أناجيكم سرا
سأستعتب الدهر المفرق بيننا * وهل نافعي أن صرت أستعتب الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكم * وأستسهل البر الذي جبت والبحرا
ويؤنسني طي المراحل عنكم * أروح على أرض وأغدو على أخرى
وتالله ما فارقتكم عن قلى لكم * ولكنها الاقدار تجري كما تجري
رعتكم من الرحمن عين بصيرة * ولا كشفت أيدي النوى عنكم سترا

وقد عرف به ابن حيان في المقتبس وذكر قصة شهادته رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل الى العراق فسمع به المشايخ كالقطيعي وابن روزبه وابن الكثير وغيرهم واشتغل وساد أهل زمانه واشتهر بين أقرانه ثم عاد الى مصر فدرس بالفاضلية ثم انتقل الى القدس الشريف فأقام به شيخ الحرم ثم جاء الى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية وعرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وذلك سنة خمس وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى وليس هو بشارح المقامات بل هو غيره وقد اشتركا في البلد فبسبب ذلك ربما يقع في الاذهان الوهم في أمرهما وشارح المقامات أحمد وهذا محمد وقد ترجمنا لصاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب فليراجع والله سبحانه وتعالى أعلم * (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس القيسي الاندلسي البلنسي) كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا اليه فيهما رحل من الاندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرأ الادب على أبي العلاء صاعد اللغوي صاحب الفصوص وعلى أبي يعقوب يوسف بن خرقان بمصر ودخل بغداد واستفاد وأفاد وله شعر حسن فمن ذلك قوله

مريض الجفون بلا علة * ولكن قلبي به ممرض
أعان السهاد على مقلتي * بفيض الدموع فما تغمض
وما زار شوقا ولكن أتى * يعرض لي أنني معرض

وله أشعار كثيرة وتوفي يوم الاربعاء لست بقين من جمادى الاولى سنة ٤٢٧ وقيل سنة ٤٢٩ بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي صاحب

بعده على اليونانيين بطليموس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي وغيره أربعا وعشرين سنة (ثم ملك بطليموس محب الام) خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده بطليموس الصانع) سبعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس المخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الاسكندراني) اثنتي عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الحديدي ثماني سنين (ثم ملك بعده بطليموس الجوال) ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك بعده بطليموس الحديد ثلاثين سنة (ثم ملكت بعده ابنته قلبطره وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة في الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعة أهل الطب وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم وامتحت آثارهم وزالت علومهم الا ما بقي في أيدي حكمائهم وقد كان لهذه الملكة خبر ظريف في موتها وقتلها نفسها وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها في ملك مقدونية وهي بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فسار اليهم

التفسير في مصلى الصدفي ودفن عند أبي اسحق رحمه الله تعالى ومغلس بضم الميم وفتح الغين وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة وكانت بينه وبين أبي الطاهر اسمعيل بن خلف صاحب كتاب العنوان معارضات في قصائد ومن شعر ابن المغلس أيضا قوله في حمام

ومنزل أقوام اذا ما اغتدوا به * تشابه فيه وغده ورئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه * ويخفى عدوّ المرء وهو جليسه
يفرج كربي ان تزايد كربه * ويؤنس قلبي ان يعدّ أنيسه
اذا ما أعرت الجوّ طرفا تكاثرت * عليّ مائه أقماره وشموسه

*(ومنهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الاديب المعروف بالمغربي) وهو من أهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله ديوان شعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد في الخريدة انه كان طبيب المارستان في معسكر السلطان السلجوقي حيث حل وخيم وكان السيد يحيى بن سعيد المعروف بابن المرخم الذي صار أقضى القضاة ببغداد في أيام المقتفي فاصدا وطبيبا في هذا المارستان وأثنى العماد على أبي الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه وان له كتابا سماه نهج الوضاعة لاولي الخلاعة ثم ان أبا الحكم انتقل الى الشام وسكن دمشق وله فيها أخبار وماجريات ظريفة تدل على خفة روحه قال ابن خلكان رأيت في ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسي كان عند الامراء بني منقذ بقلعة شيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعر يقال له ابو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه وبين ابي الحكم المذكور مداعبات فسأل منه كتابا الى ابن منير بالوصية عليه فكتب ابو الحكم

أبا الحسين اسمع مقال فتى * عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا * للقوم فاهنا به اذا وصلا
واتل عليهم بحسن شرحك ما * انقله من حديثه جملا
وخبر القوم انه رجل * ما ابصر الناس مثله رجلا
تنوب عن وصفه شمائله * لا يبتغي عاقل به بدلا

ومنها

وهو على خفة به ابدا * معترف انه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة والسخف واما بغير ذلك فلا
ان أنت فاتحته لتخبر ما * يصدر عنه فتحت منه خلا
فنبه ان حل خطة الخسف والهون ورحب به اذا رحلا
وأسقه السم ان ظفرت به * وامزج له من لسانك العسلا

وله أشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد من جملتها

وكل ملموم فلا بد له * من فرقة لو ألزقوه بالغرا

وله مرثية في عماد الدين زنكي بن آق سنقر الاتابكي شاب فيها الجد بالهزل والغالب على شعره الانطباع وتوفي ليلة الاربعاء رابع ذي القعدة سنة ٥٤٩ وقيل في السنة التي قبلها

بعده وسنذكر خبره في ملوك الروم بعد هذا الموضع وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطره الملكة ومع زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء اليونانيين ثم بعدها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قد دبره من قتل زوجها وجنودها فطلبت الحية التي تكون بين الحجاز ومصر والشام وهي نوع من الحيات تراعى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من اعضائه قفزت اذرعا كثيرة كالريح فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتي عليه ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس انه قد مات حتف أنفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الاهواز لما أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بحام دوبة بين مدينة دورق وبلاد الباسيان والعندم في الماء

 وهي حيات شبرية وتدعى هنالك القبرية ذات رأسين تكون في الرمل وفي جوف تراب الارض فاذا أحست

بدمشق رحمه الله تعالى * والقاضى ابن المرخم المذكور هو الذى يقول فيه أبو القاسم هبة الله ابن فضل الشاعر المعروف بابن القطان

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا * خرف الزمان تراه أم جن الفلك
ان كنت تحكم بالنجوم فربما * أما بشرع محمد من أين لك

وكان أبو الحكم المذكور فاضلا فى العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية حسن النادرة كثير المداعبة محبا للهو والخلاعة والشراب وكان يعرف صنعة الموسيقى ويلعب بالعود ويجلس فى دكان يخبرون للطب وسكناه بالمادين وأتى فى ديوانه نهج الوضاعة بكل غريب يدل على انه أديب سامحه الله تعالى وغفر له * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) * من هو الاحق بالتقديم والسبق الشهير عند أهل الغرب والشرق الحافظ المقرى الامام الربانى أبو عمرو الدانى عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموى مولاهم القرطبى صاحب التصانيف التى منها المقنع والتيسير وعرف بالدانى لسكناه دانية وولد سنة ٣٧١ وابتدأ بطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث بالقيروان أربعة أشهر ودخل مصر فى شوالها فمكث بها سنة وحج ورجع الى الاندلس فى ذى القعدة سنة ٣٩٩ وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسى وغيره بقرطبة وعلى أبى الحسن بن غلبون وخلف ابن خاقان المصرى وأبى الفتح فارس بن أحمد وسمع من أبى مسلم الكاتب وهو أكبر شيخ له ومن عبد الرحمن بن عثمان القشيرى وحاتم بن عبد الله البزاز وغير واحد من أهل مصر وسواها وسمع من الامام أبى الحسن القابسى وخلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه خلق منهم مفرج الاقفالى وأبو داود بن نجاح صاحب التنزيل فى الرسم وهو من أشهر تلامذته وحدث عنه خلق كثير منهم خلف بن ابراهيم الطليطلى قال أبو محمد عبيد الله الحجرى ذكر بعض الشيوخ أنه لم يكن فى عصر الحافظ أبى عمرو الدانى ولا بعد عصره أحد يدانيه ولا يضاهيه فى حفظه وتحقيقه وكان يقول ما رأيت شيأ قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته قال ابن بشكوال كان أبو عمرو أحد الائمة فى علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه وجمع فى ذلك كله تواليف حسانا وله معرفة بالحديث وطرقه واعرابه وأسماء رجاله وكان حسن الخط والضبط من أهل الحفظ والذكاء واليقين وكان دينا فاضلا ورعا سنيا وقال بعضهم وأظنه المغامى كان أبو عمرو مجاب الدعوة مالكى المذهب وقال بعض أهل مكة ان أبا عمرو الدانى مقرئ متقدم واليه المنتهى فى علم القراآت واتقان القرآن والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله فى القراآت والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك له مائة وعشرون مصنفا وروى عنه بالاجازة رجلان أحمد بن محمد بن عبد الله الخولانى وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبى حمزة وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية فى نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد ابن أبى حبيب الاندلسى) من بيت علم ووزارة صرف عمره فى طلب العلم فى الفقه والحديث والادب وولى القضاء بالاندلس مرة ثم دخل الاسكندرية ومصر وجاور بمكة المشرفة ثم قدم العراق وأقام ببغداد مدة ثم ورد خراسان فأقام بنيسابور وبلخ وكانت ولادته ببلاد الاندلس

وتوفى

الحيوان وثبت من موضعها أذرعا كثيرة فضربت باحدى رأسيها بالانسان أو غيره من الى أى موضع من ذلك الحيوان فلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها الحينه فبعثت قلبطره هذه الملكة فاحتملت لها حية من هذه المقدم ذكرها التى توجد باطراف الحجاز فلما أن كان اليوم الذى علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وأن لا يلحقها العذاب بعدها فسمتها فى آنائها فخمدت من فورها ثم جلست قلبطره الملكة على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا مبسوطة فى مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها منه فيه فتفلت عليها الحية فخفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد جحرا ولا مذهبا تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام

وتوفي بهراة في شعبان سنة ٥٤٨ رحمه الله تعالى ورضي عنه (ومنهم أبو العباس احمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر الاندلسي المقري) رحل وأخذ القراآت عن أبي الفضل جعفر الهمداني وسمع من أبي القاسم بن عيسى وسكن الفيوم واختصر التيسير وصنف شرحا للشاطبية وتوفي سنة ٦٤٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد المريني اللورقي المقري النحوي) ولد سنة ٥٧٥ وقرأ القراآت وأحكم العربية وبرع فيها واجتمع بالجزولي وسأله عن مسئلة في مقدمته وقرأ علم الكلام والاصولين والفلسفة وكان خبيرا بهذه العلوم متصودا باقرائها وولي مشيخة قراءة العادلية ودرس بالعزيزية نيابة وصنف شرحا للشاطبية وشرحا للمفصل في عدة مجلدات وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البزة وتوفي سنة ٦٦١ رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم أبو عبد الله بن أبي الربيع القيسي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر سنة ٥١٥ أو بعدها فسمع على السلفي وقراءته على جماعة من شيوخ مصر وكان لديه فقه وأدب ثم سافر الى باب الابواب وكان حيا سنة ٥٥٦ ومن نظمه بمدح كتاب الشهاب

ان الشهاب له فضل على الكتب * بما حوى من كلام المصطفى العربي
كم ضم من حكمة غرا وموعظة * ومن وعيد ومن وعد ومن أدب
أما القضاعي فالرحمن يرحمه * كما حباه من التأليف بالعجب

* (ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشي العبدري) من أهل ميورقة من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون وطراد الزينبي وأبي عبد الله الحميدي وجماعة ولم يزل يسمع الى حين وفاته وكتب بخطه كثيرا من الكتب والاجزاء وجمع وخرّج وكان صحيح العقل معتمد الضبط مرجوعا اليه في الاتقان وكفاه فخرا وشرفا أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفي وأبو الفضل محمد بن ناصر وكان فهامة علامة ذا معرفة بالحديث متعففا مع فقره وكان يذهب الى أن المناولة والعرض كالسماع وقال السلفي فيه انه من اعيان علماء الاسلام بمدينة السلام متصرف في فنون من العلم ادبا ونحوا ومعرفة بانساب العرب والمحدثين وكان داودي المذهب قرشي النسب وقد كتب عني وكتبت عنه وسمعنا معا كثيرا على شيوخ بغداد ومولده بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعي به كنت أسمع اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثني عليه فلما اجتمعنا وجدته فوق ما وصفه انتهى وقال ابن عساكر كان احفظ شيخ لقيته وربما حكى عنه بعضهم كابن عساكر امورا منكرة فالله اعلم وتوفي في ربيع الآخر سنة ٥٢٤ ببغداد رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعدون الباجي) سمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق وبمكة من الآجري وكان صالحا فاضلا زاهدا ورعا حدث ومات ببطليوس فجاة سنة ٣٩٢ ومولده سنة ٣٢٢ * (ومنهم ابو بكر محمد بن سعدون التميمي الجزيري المتعبد) كانت آدابه كثيرة وحج غير مرة ورابط ببلاد المغرب وكان حسن الصوت بالقرآن سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقراء وطاف بالشام وغزا غزوات وتعرّض للجهاد وحرض عليه وساح بجبل المقطم وذكر أنه صلى بمصر الضحى اثنتي عشرة ركعة ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان

والمرمر والاصباغ فدخلت في تلك الرياحين ودخل اغسطس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك في انها تنطق فدنا منها فتبين انها ميتة وأعجب بتلك الرياحين وهديه الى كل نوع منها باسمه وتبينه ويعجب خواص من معه به ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها النفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فقال في ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوما وهلك ولولا ان الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطره الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية يذكرونه في يومهم ويرثون به ملوكهم وربما ذكروه في اغانيهم وهو متعالم معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما أحدثوه من الآراء والنحل ومقاتل فلاسفتهم وغير ذلك من أشرارهم وعجيب

مالكا والليث اختلفا في الضحى فمالك يقول ثنتا عشرة ركعة والليث يقول ثمانية فضرب عليه الصلاة والسلام بين وركي ابن سعدون وقال رأي مالك هو الصواب ثلاث مرات قال وكان في وركي وجع فمن تلك الليلة زال عني وكان له براهين من نور يضيء عليه اذا صلى ونحوه وأنشد

سجن اللسان هو السلامة للفتى * من كل نازلة لها استئصال
ان اللسان اذا حللت عقاله * ألقاك في شنعاء ليس تقال

توفي سنة ٣٤٤ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعد الأعرج الطليطلي الخطيب) ويقال فيه ابن سعيد سمع بمصر ابن الورد وابن السكن وحدث مولده سنة ٣٠٩ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٤ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن اسحق بن يوسف الاموي القرطبي) وأصله من لبلة ولكن سكن قرطبة وقدم مصر وحج وسمع في طريقه من الشيخ أبي محمد بن أبي زيد صاحب الرسالة وأخذ عن القابسي وعن جماعة من علماء مصر والحجاز ومولده سنة ٣٥٢ ورحلته سنة ٤١٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام القرطبي) سمع من أبيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فسمع من أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد الى الاندلس وبها توفي سنة ٢٦٠ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع) أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع الى الله تعالى والتخلي عن الناس والتمسك بطريقة السلف قرأ القرآن ببلده بالقراآت السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي وغيره وقرأ بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على أبي القاسم بن صصرى وأبي المعالي بن خضر وأبي الوفاء بن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الاسكندرية بتربة أبي العباس الراسي وتلمذ للشاطبي تلميذ الراسي وصنف كتبا حسنة منها كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن العزيز وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراآت والنازل وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية وكتاب الحرقة في الباس الخرقة وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش وكتاب الزهر المضي في مناقب الشاطبي وكتاب الاربعين المضية في الاحاديث النبوية ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالاسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله تعالى ونفع بهما *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي) قدم مصر وسمع بها من ابن نفيس وأبي علي الحسن البغدادي وأبي جعفر النحوي وأبي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب وبمكة من أبي ذر الهروي قال ابن بشكوال كان من جلة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته وكانت رحلته الى المشرق سنة ٤٢٣ ومولده سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٧٦ وعمره

أخبارهم والذي يعوّل عليه من عدد ملوكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة بأخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبطره وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة وكان كل ملك يملك على اليونانيين من بعد الاسكندر فيلبس يسمى بطلميوس وهذا الاسم الاعم الشامل لملوكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشي وتسمية ملوك الزنج وقليمن وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم وأسمائهم الاعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الروم وما قاله الناس في أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم)

تنازع الناس في الروم ولأية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال سموا روما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعون أهل الثغور

أربع وثمانون سنة الا خمسة وخمسين يوما وروى باشبيلية عن جماعة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح الانصارى المالقى) قال السلفى هو شاب من أهل الادب له خاطر سمع كان يحضر عندى بالاسكندرية كثير السماع للحديث وذكر أنه قرأ الادب على أبى الحسين بن الطراوة النحوى بالاندلس وعلى نظرائه وأنشدنى لنفسه

كم ذا تقلقلنى النوى وتسوقنى * والى متى أشجى بها وأسام
ألفت ركائبى الفلا فكانما * للبين عهد بيننا وذمام
ياويح قلبى من فراق أحبة * أبدا تصدعه به الايام

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القحطانى المعافرى الاندلسى المالكى) رحل الى المشرق فسمع بالشام من خيثمة بن سلمان وبمكة أبا سعيد بن الاعرابى وببغداد محمد بن اسمعيل بن محمد الصفار وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتى ومحمد بن وضاح وقاسم بن اصبغ وغيرهم وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزنى روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به مذان مات ببخارى سنة ٣٨٣ وقيل سنة ثمان وقيل سنة تسع وسبعين وقال فيه أبو سعيد الادلسى انه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم وقال غنجار انه كان فقيها حافظا جمع تاريخا لاهل الاندلس وقال السمعانى فيه كان فقيها حافظا رحل فى طلب العلم الى المشرق والمغرب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر على بن عيسى الخزرجى الدانى النحوى أخو أبى العباس بن عيسى) سمع بدانية من أبى داود المقرى وغيره وقدم دمشق سنة ٥٥٤ حين خرج حاجا وأقرأ بدمشق النحو مدة ثم خرج الى بغداد وأقام بها الى أن مات سنة ٦١٩ وولد سنة ٥١٢ وقدم مصر سنة ٥٧٢ وله من المصنفات كتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب فى علم مجازات العرب ومن كلامه ليست هيبة الشيخ لشيبه ولا لسنه ولا لشخصه ولكن لكمال عقله والعقل هو المهاب ولو رأيت شخصا جمع جميع الخصال وعدم العقل لما هبته وقال من جهل شيأ عابه ومن قصر عن شئ هابه *(ومنهم القاضى الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافرى) وقيل فى آبائه غير ذلك كما يأتى ولما أشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير الى خطة القضاء بقرطبة وجه اليه بياحة فأقبل ولا يعلم مادعى اليه ونزل على صديق له من العباد فتحدث فى شأن استدعائه وقدم أنه يعرف فن الكتابة فقال له العابد ما أراه بعث فيك الا للقضاء فان القاضى بقرطبة مات وهى الآن دون قاض فقال ابن بشير فأنا أستشيرك فى ذلك ان وقع فقال أسألك عن أشياء ثلاثة وأعزم عليك أن تصدقنى فيها ثم أشير بعد ذلك عليك فقال ماهى فقال كيف حبك للاكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره فقال والله لا أبالى مارددت به جوعى وسترت به عورتى وحملت به رحلى فقال هذه واحدة فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب الغيد وما شاكل ذلك من الشهوات فقال هذه حال والله ما استشرفت قط اليها ولا خطرت ببالى ولا اكترثت لفقدها فقال وهذه ثانية فكيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل فقال والله ما أبالى فى الحق من مدحنى أوذمنى وما أسر للولاية ولا أستوحش للعزل فقال وهذه

الارميس ومنهم من رأى ان هذا الاسم اسم للاب وهو روم بن شماحلين بن هربان بن عقلا بن العيص
ابن اسحق بن ابراهيم
الخليل عليه السلام ومنهم
من رأى انهم سموا باسم
جدهم رومى بن ليطن بن
يونان بن يافث بن بريه بن
سرحون بن رومية بن
مربط بن نوفل بن روبن بن
الاصفر بن اليغز بن العيص
ابن اسحق بن ابراهيم عليه
السلام وتذكر جماعة
ممن سلف من شعراء العرب
قبل ظهور الاسلام ذلك
الاشتهار ماوصفنا فيهم
منهم عدى بن زيد العبادى
حيث يقول
وبنو الاصفر الكرام ملوك الر
وم لم يبق منهم مذكور
وقد كان العيص بن اسحق
وهو عيصو تزوج من بنات
الكنعانيين فأكثر أولاده
منهم وقد قيل ان العماليق
وهم العرب البادية الذين
كانوا بالشام من ولد اليغز
ابن عيصو وهذا ما لا ينقاد
اليه علماء العرب الا فى
الروم دون ماذكرنا من
العماليق وغيرهم وهذه
الانساب كلها تتعلق بما
فى التوراة وغيرها من
كتب العبرانيين (قال
المسعودى) وغلبت الروم
على ملك اليونانيين
لاخبار يطول ذكرها
ويتعذر فى هذا الكتاب
شرحها وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوحاس وهو جانيوس الاصغر ابن روم بن شماحلين

لئا انه اقبل الولاية فلا باس عليك فقدم قرطبة فولاه الامير الحكم القضاء والصلاة قال ابن
وضاح أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة
وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل صرارة وله جمة مفرقة ثم يقوم فيخطب و يصلي وهو في
هذا الزى و به كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام أحد من دينه شيأ وجده أبعد من الثريا
وأتاه رجل لا يعرفه فلما رأى ما هو فيه من زى الحداثة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر
وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء في يديه توقف وقال دلوني على القاضي فقيل له ها هو
وأشير اليه فقال اني رجل غريب وأراكم تستهزؤن بي أنا أسألكم عن القاضي وأنتم تدلوني
على زامر فصحوا له أنه القاضي فتقدم اليه واعتذر فأدناه وتحدث معه فوجد عنده من العدل
والانصاف فوق ما ظنه فكان يحدث بقصته معه وعوتب في ارسال لمته ولبسه الخز
والمعصفر فقال حدثني مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر وكان سيد القراء كانت له لمة وأن
هشام بن عروة فقيه هذا البلد يعني المدينة كان يلبس المعصفر وأن القاسم بن محمد كان
يلبس الخز ولقد سئل يحيى بن يحيى عن لباس العمائم فقال هي لباس الناس في المشرق
وعليه كان امرهم في القديم فقيل له لو لبستها لاتبعك الناس في لباسها فقال قد لبس محمد بن
بشير الخز فما تبعه الناس فيه وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به فلعلى لو لبست العمامة لتركني
الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير وكان أول ما نظر فيه محمد بن بشير حين ولى القضاء
التسجيل على الخليفة الحكم في ارحاء القنطرة اذ قيم عليه فيها وثبت عنده حق المدعي وأعذر
الى الحكم فلم يكن عنده مدفع فسجل فيها وأشهد على نفسه فما مضت مدة حتى ابتاعها
الحكم ابتياعا صحيحا فسر بذلك وقال رحم الله محمد بن بشير فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره
ما كان في أيدينا شئ مشتبه فصححه لنا وصار حلالا طيب الملك في أعقابنا وحكم على ابن
فطيس الوزير ولم يعرفه بالشهود فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلم من ابن بشير فأومأ الحكم
اليه ان الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرفه بهم ولا أعذرت اليه فيهم وان أهل
العلم يقولون ان ذلك له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه لانه
ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يتحرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم فيدعون
الشهادة هم ومن اتسى بهم وتضيع أموال الناس وأكثر موسى بن سماعة أحد خواص
الامير الحكم في ابن بشير الشكاية وأنه يجور عليه فقال له الحكم أنا امتحن قولك الساعة
فاخرج اليه فورا واستأذن عليه فان أذن لك عزلته وصدقت قولك فيه وان لم يأذن لك
دون خصمك ازددت بصيرة فيه فليس هو عندي بجائر على حال وانما مقصده الحق في كل
ما يتصرف فيه فخرج يؤم دار ابن بشير وقد أمر الحكم من يثق به من الفتيان الصقالبة
أن يقفو أثره و يعلموا ما يكون منه فلم يكن الاريثما بلغ ثم انصرف فحكى للحكم أنه لما خرج
الآذن الى موسى وعلم القاضي بمكانه عاد اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصد فيها اذا
جلس القاضي مجلس القضاء فتبسم الحكم وقال قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق
لا هوادة فيه عنده لاحد * وولي القضاء مرتين فلما عزل المرة الاولى انصرف الى بلده وكان
بعض اخوانه يعاتبه في صلابته و يقول له أخشى عليك العزل فيقول له ليته قد ران

كان ملكه اثنتين وعشرين سنة وقد قيل ان أوّل من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس
ابن افليوس ثمان عشرة
سنة وفي نسخة أخرى ان
أوّل من ملك من ملوك
الروم بعد اليونانيين بوليس
سبع سنين ونصفا وكانت
مدينة رومية بنيت قبل
الروم باربعمائة سنة (ثم
ملك) بعده أغسطس بن
قيصر ستا وخمسين سنة
وهذا الملك هو الاوّل من
ملوك الروم واسمه قيصر
وهو الثاني من ملوكهم
وتفسير قيصر أى شق عنه
وذلك ان امه ماتت وهى
حامل به فشق بطنها فكان
هذا الملك يفتخر في وقته
بان النساء لم تلده وكذلك
من حدث بعده من ملوك
الروم ممن كان من ولده
يفتخرون بهذا الفعل وما
كان من أمهم فصارت
سمة لمن طرأ بعده من
ملوك الروم والله أعلم * وغزا
هذا الملك الشام ومصر
والاسكندرية وأزال من
بقى من ملوك الاسكندرية
ومقدونية وهى مصر وقد
قدمنا ان كل ملك كان
يلي مقدونية والاسكندرية
يسمى بطليموس واحتوى
هذا الملك أعني أغسطس
على خزائن ملوك الاسكندرية
ومقدونية ونقلها الى
رومية وكانت له حروب
كثيرة في الارض وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم

الشقراء يعنى بغلته تقطع الطريق بى حادة نحو باجة فما مضى الا يسير حتى عتب عليه الامير فى قصة اشتدفيها على بعض خاصته فكانت سببا العزله وانصرف كما غنى فلم يمكث الا يسيرا حتى أتى فيه رقاص من قبل الامير الحكم والرقاص عند المغاربة هو الساعى عند المشارقة فعاد الى قرطبة وجبره على القعود للقضاء الامير الحكم فلا ذمنه باليمين بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك فى سبيل الله تعالى ان حكم بين اثنين فلم يعذره وأخرجه من ماله وعوضه من طيب ما عنده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضاء ثانية * ومما يحكى عنه فى العدل ان سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل وكل عند ابن بشير وكيلا يخاصم عنه لشئ اضطر اليه وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيهم من الاحياء الا الامير الحكم وشاهد آخر مبرز فشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال فى شاهد ثان وجد به الخصام فدخل سعيد الخير بالكتاب الى الحكم وأراه شهادته فى الوثيقة وقد كان كتبها قبل الخلافة فى حياة أبيه وعرفه مكان حاجته الى ادائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه وكان الحكم يعظم سعيد الخير عمه ويلتزم مبرته فقال له ياعم انا لسنا من أهل الشهادات وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ونخشى أن توقفنا مع القاضى موقف مخزاة كنا نفديه بملكنا فصر فى خصامك حيث صيرك الحق اليه وعلينا خلف ما انتقصك فأبى عليه وقال سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك فى شهادتك وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك وقد لزمتك فى الديانة أن تشهد لى بما علمته ولا تكتمنى ما أخذ الله عليك فقال بلى ان ذلك لمن حقك كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخلة فان أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطررتنا لم يمكنا عقوقك فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته وضايقته الآجال فألح عليه فأرسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه وخط شهادته بيده فى قرطاس وختم عليها بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما هذه شهادتى بخطى تحت ختمى فاديا ها الى القاضى فأتياه بها الى مجلسه وقت قعوده للسماع من الشهود فأدياها اليه فقال لهما قد سمعت منكما فقوما راشدين فى حفظ الله تعالى وجاء وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له أيها القاضى قد شهد عندك الامير أصلحه الله تعالى فما تقول فأخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال للوكيل هذه شهادة لا تعمل عندى فجئنى بشاهد عدل فدهش الوكيل ومضى الى سعيد الخير فأعلمه فركب من فوره الى الحكم وقال ذهب سلطاننا وأزيل بهاؤنا يجترئ هذا القاضى على رد شهادتك والله سبحانه قد استخلفك على عباده وجعل الامر فى دمائهم وأموالهم اليك هذا ما يجب أن تحمله عليه وجعل يغريه بالقاضى ويحرضه على الايقاع به فقال له الحكم وهل شككت أنا فى هذا ياعم القاضى رجل صالح والله لا تأخذه فى الله لومة لائم فعل ما يجب عليه ويلزمه وسد دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله تعالى جزاءه فغضب سعيد الخير وقال هذا حسبى منك فقال له نعم قد قضيت الذى كان لك علىّ ولست والله أعارض القاضى فيما احتاط به لنفسه ولا أخون المسلمين فى قبض يد مثله ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك قال لمن عاتبه ياعاجز أما تعلم أنه لابد من الاعذار فى الشهادات فمن كان يجترئ على الدفع فى شهادة الامير لو

مدنا وكور كورا نسبت تلك المدن اليه منها قيسارية وكذلك بالشام

بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها وهو يسوع الناصرى على حسب ما قدمنا لاثنتين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية فى بعض تواريخ الروم الملكية فى كنيسة القسيان أنه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع سنين وكان مولد يسوع الناصرى بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية فمن هبوط آدم الى مولد المسيح فى تواريخ أصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وخمسون سنة وأقام اغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا وكان مدة ملكه على الروم برومية وفى سائر أسفاره ستة وخمسين سنة على حسب ما قدمنا من موته ولسع الحية اياه بقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لفعل قلبطره بنفسها فى الباب الذى قبل هذا الباب

(ثم ملك الروم بعده) طيباريوس وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح

قبلتها ولولم أعذر لبخست المشهود عليه حقه * وتوفى القاضي محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعي بست سنين كما يأتي قريبا ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضي عياض في المدارك فليراجعها من أرادها فان عهدي بها في المغرب *
وقال بعض من عرف به ما نصه القاضي محمد بن بشير بن شمد المعافري أصله من جند باجة من عرب مصر ولاه الحكم بن هشام قضاء القضاة الذي يعبرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران ثم صرفه وولى مكانه الفرج بن كنانة وعن ابن حارث قال أحمد بن خالد طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ثم كتب لاحد أولاد عبد الملك بن مروان لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به وتصرف معه تصرفا لطيفا ثم انقبض عنه وخرج حاجا قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم خرج حاجا فلقي مالك بن أنس وجالسه وسمع منه وطلب العلم أيضا بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة وقال ابن حيان انه استقدم من باجة للقضاء برأي العباس بن عبد الملك وقال ابن شعبان في الرواة عن مالك من أهل الاندلس محمد بن بشير ابن سرافيل ويقال شراحيل ولي القضاء وكان رجلا صالحا وبعدله تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة انتهى وبعضه عن غيره ومن شعره قوله

انما أزرى بقدري أنني * لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذي مقلية * لذوي الالباب أو ذي حسد
يتحامون لقائي مثل ما * يتحامون لقاء الاسد
مطلعي أثقل في أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدي

*(ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقي) من أهل قرطبة كان فقيها زاهدا ورعا وحضر افتتاح اقريطش واستوطنها قاله الرازي *(ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثي) خرج حاجا ولقي سحنون بن سعيد بافريقية ولقي بمصر رجالا من أصحاب مالك فسمع منهم وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفي هنالك *(ومنهم محمد بن مروان بن خطاب المعروف بابن أبي جمرة) رحل حاجا هو وابناه خطاب وعميرة في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدونة بالقيروان وأدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه *(ومنهم محمد بن أبي قلاعة البواب من أهل قرطبة) كانت له رحلة الى المشرق ولقي فيها جماعة من أهل العلم وأخذ عن أبي اسحق الزجاجي وعن أبي بكر بن الانباري وعن أبي الحسن علي بن سليمان الاخفش وأبي عبد الله نفطويه وغيرهم وسمع من الاخفش الكامل للمبرد وقال الحكم المستنصر لم يصح كتاب الكامل عندنا من رواية الا من قبل ابن أبي قلاعة وكان ابن جابر الاشبيلي قد رواه قبل بمصر بعده وما علمت احدا رواه غيرهما وكان ابن الاحمر القرشي يذكر انه رواه وكان صدوقا ولكن كتابه ضاع ولو حضر ناهى الرجلين المتقدمين *(ومنهم محمد بن حزم بن بكر التنوخي) من أهل طليطلة وسكن قرطبة يعرف بابن المديني سمع من أحمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مرة الجبلي قديما واختص بمرافقته في

عليه السلام ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت فاقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانية وتسعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم ولما انقضى ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطاريس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان في أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسميه سمعان هو وبولس صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما ممن أتى الى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية فجعلا في أجربة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وأكثر من عني بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما اقتلا برومية في ملك الخامس من ملوك الروم وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار مارا الى العراق

طريق الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من أهل الورع والانقباض وحكى عن ابن مسرة أنه كان في سكناه المدينة يتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم قال ودلني بعض أهل المدينة على دار مارية أم ابراهيم سرية النبي صلى الله عليه وسلم فقصدت اليها فاذا هي دويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بحائط وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقى الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي صلى الله عليه وسلم في الصيف قال فرأيت أبا عبد الله بعد ما صلى في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبره فكشفته بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك فقال هذا البيت الذي تراني فيه بنيته على تلك الحكاية في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان انتهى ❊(ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ والد أبي زكريا الراوية من أهل طرطوشة يكنى أبا بكر) تأدب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشي وأحمد بن سعيد ومنذر بن سعيد وأبي علي القالي وغيرهم وكان حافظا للنحو واللغة والشعر يفوت من جاراه على حداثة سنه شاعرا مجيدا مترسلا بليغا ورحل مع أبيه الى المشرق سنة تسع وأربعين وثلثمائة فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحمزة الكناني وغيرهم وسمع أيضا بالبصرة وبغداد كثيرا وخرج الى أرض فارس فسمع هنالك وجمع كتبا عظيمة وأقام بها الى أن توفي باصبهان مغتبطا مع السنين وثلثمائة ومولده بطرطوشة صدر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى ❊(ومنهم محمد بن عبدون الجبلي العدوي من أهل قرطبة) أدب بالحساب والهندسة ورحل في سنة سبع وأربعين وثلثمائة فدخل مصر والبصرة وعني بعلم الطب فمهر فيه ودبر مارستان الفسطاط ثم رجع الى الاندلس في سنة ستين وثلثمائة فاتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله وله في التكسير تاليف حسن رحمه الله تعالى ❊(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الازدي الفراء القرطبي) صحب أبا بكر بن يحيى بن مجاهد واختص به ولطف محله منه وقرأ عليه القرآن ورحل صحبته لاداء فريضة الحج وكان رجلا صالحا كثير التلاوة للقرآن والخشوع اذا قرأ بكى ورتل وبين في مهل ويقول أبو بكر على هذه القراءة وحكى انه سرد الصوم اثنتي عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد مفطرا الكل ليلة وقت الافطار ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشاء الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب اليها تزيدا من الخير واجتهادا في العمل ❊(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري الاندلسي) رحل الى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وأبا سعيد بن الاعرابي واسمعيل بن محمد الصفار وبكر بن حماد التاهرتي وغيرهم روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا بهمذان سنة احدى وأربعين يعني وثلثمائة فتوجه منها الى أصبهان وكان قد سمع في بلاده وبمصر من أصحاب يونس وبالحجاز وبالشام وبالجزيرة من أصحاب علي بن حرب وببغداد وورد نيسابور في ذي الحجة سنة احدى وأربعين فسمع الكثير ثم خرج الى مرو ومنها الى بخارى فتوفي بها في رجب من سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وروى عنه أيضا أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيرهما ذكره ابن عساكر وأسند اليه قوله

فمات بمدينة برمى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط وهذا البلد بلد

علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هناك في كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان من الاثني عشر الى بلاد الهند داعيا الى شريعة المسيح فمات هناك وسار آخر الى آخرمدينة بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم اثنان ماتا ببلاد قوف وجا البحار وكرخ حران في تخوم العراق وموضعه مشهور ومات مارقس بالاسكندرية من أرض مصر وقبره هنالك وهو أحد التلاميذ الاربعة الذين ألفوا الانجيل ووجد دانيال مارقس مع أهل مصر خبر طريف في مقتله قد أتينا على السبب في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب بانه من جاءكم على صورتي فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدي أناس يتشبهون بي فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم مايقولون ومضى

وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم ثم ماهم وابقتله قال لهم ويحكم أنا

ودعت قلبي ساعة التوديع * وأطعت قلبي وهو غير مطيعي
ان لم أشيعهم فقد شيعتهم * بمشيعين تنفسي ودموعي

وذكره ابن الفرضي وقال انه استوطن بخارى وجعل وفاته بها سنة ثمان وسبعين والاول قول الحا ... وهو أصح * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى السرقسطى) روى عنه الباجى وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدث بها عن شيوخه الاندلسيين وعن أبى حفص عمر بن أبى القاسم بن أبى زيد القفصى وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه أبو محمد الاكفانى وحكى عنه تدليسا ضعفه به وتوفى سنة ٤٧٧ * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عيسى بن بقاء الانصارى) من بلاد الثغر الشرقى أخذ القراآت بالسبع وأخذ عنه جماعة من أهلها وكان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف فى اللباس ذكره ابن عساكر وقال رأيته وسمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس للمصلى للاستسقاء على المنبر أولها

أستغفر الله من ذنبي وان كبرا * وأستقل له شكرا وان كثرا

وكان يسكن فى دار الحجارة ويقرئ بالمسجد الجامع ولد فى الثانى والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة وتوفى يوم الاربعاء عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثانى من ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ودفن فى مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال وشهدت أنا غسله والصلاة عليه ودفنه وذكره السلفى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن على بن عيسى الانصارى الخزرجى) من أهل دانية سمع كتاب التقصى لابن عبد البر ولقى أبا الحسن الحصرى ثم خرج حاجا فقدم دمشق سنة اربع وخمسمائة وأقام بها مدة يقرئ العربية وكان شديد الوسوسة فى الوضوء ذكره ابن عساكر وقال أنشدنى أخى أبو الحسن هبة الله بن الحسن الفقيه قال أنشدنا ابن طاهر الاندلسى بدمشق قال انشدنى الحصرى لنفسه

يموت من فى الانام طرا * من طيب كان ومن خبيث
فمستريح ومستراح * منه كما جاء فى الحديث

قال وأنشدنى الحصرى لنفسه

لو كان تحت الارض أو فوق الذرى * حر أتيح له العدو وذى
فاحذر عدوك وهو أهون هين * ان البعوضة أردت النمروذا

* (ومنهم محمد بن أبى سعيد الفرج بن عبد الله البزاز) من أهل سرقسطة لقى بدانية الحصرى وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فأدى الفريضة ودخل العراق فسمع من جماعة وأجازوا له منهم ابن خيرون والحميدى وأبو زكريا التبريزى وابن المبارك عبد الجبار وثابت بن بندار وهبة الله بن الاكفانى وغيرهم ونزل الاسكندرية وحدث بها وأخذ الناس عنه وتوفى هنالك وانشد للحصرى

الناس كالارض ومنها هم * من خشن اللمس ومن لين
وتشتكى الارجل منها الوجى * واثمد يجعل فى الاعين

وروى عنه ابن الحضرمى وابن جارة وغيرهما * (ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين) الشهير

تركك ولا بد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل ذلك سئل فى بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان كنت صادقا فيما أتيتنا به فاعرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه زنارا به واتزر بمزر صوف على أن يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن لنا بعدك اذ كنت الاب وكان أمره بعد ذلك على ما وصفنا وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فاما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس ويحيى ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا فى غير الاثنى عشر ولا أدرى ما معناهم فى ذلك والاثنان اللذان من الاثنى عشر يحيى بن سيداى ومارقس صاحب الاسكندرية والثالث الذى ورد انفا كيف وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث المذكور فى القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس فى سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس اباح لهم ذلك (ثم ملك الروم) نيرون واستقام ملكه ورغب على حسب

بالميورقي لان أصله منها وسكن غرناطة وروى عن أبي علي الصدفي ورحل حاجا فسمع بمكة من أبي الفتح عبد الله بن محمد البياضي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي في شوال وذي القعدة من سنة ٥١٧ وبالاسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي الحسن بن مشرف وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم وعاد الى الاندلس بعد مدة طويلة فحدث في غير ما بلد منها وله وكان فقيها ظاهريا عارفا بالحديث وأسماء الرجال متقنا لما رواه يغلب عليه الزهد والصلاح روى عنه أبو عبد الله النميري الحافظ ويقول فيه الازدي تدليسا لان الانصار من الازد وأبو بكر بن رزق وأبو عبد الله بن عبد الرحيم وابن عبد المنعم وسواهم وصار أخيرا الى بجاية هاربا من صاحب المغرب حينئذ بعد أن حمل اليه هو وأبو العباس بن العريف وأبو الحكم بن برجان وحدث هنالك وسمع منه في سنة ٥٣٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي الاشبيلي) ويعرف بابن عظيمة أخذ القراآت عن أبي عبد الله السرقسطي وروى عن أبي عبد الله الخولاني وأبي عبد الله بن فرج وأبي علي الغساني وأبي داود المقري وأبي جعفر بن عبد الحق وأبي الوليد بن طريف ورحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن معاوية ثم بالاسكندرية عن ابن الحضرمي أبي عبد الله محمد بن منصور وأبي الحسن بن مشرف الانماطي وبالمهدية عن المازري وكانت رحلته مع أبي علي منصور ابن الخير الاحدب للقاء أبي معشر الطبري فبلغهما نعيه بمصر فلما قفلا من حجهما قعد منصور يقول قرأت على أبي معشر واقتصر أبو الحسن في تصدره للاقراء على التحديث عمن لقي فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولي الصلاة ببلده وتقدم في صناعته واشتهر بها وتلاه أهل بيته فيها فأخذ عنهم الناس وله ارجوزة في القراآت السبع وأخرى في مخارج الحروف وشرح قصيدة الشقراطسي وله أيضا كتاب الفريدة الحصرية في شرح القصيدة الحصرية واليه والى بنيه بعده كانت الرياسة في هذا الشان ومن جلة الرواة عنه أبو بكر محمد بن خير قرأ عليه الشهاب القضاعي وأجاز له جميع رواياته وتواليفه في رجب سنة ٥٣٦ وتوفي في حدود الاربعين وخمسمائة وروى عنه أبو الضحاك الفزاري * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجي) من أهل جيان ويعرف بالبغدادي لطول سكناه اياها روى عن أبي علي الغساني وأبي محمد بن عتاب ورحل حاجا فلقي أبا الحسن الطبري المعروف بالكيا وأبا طالب الزينبي وأبا بكر الشاشي وغيرهم وكان فقيها مشاورا حدث عنه أبو عبد الله النميري وأبو محمد بن عبيد الله وأبو عبد الله بن حميد وأبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وغير واحد وتوفي بفاس سنة ٥٤٧ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي ابن ياسر الانصاري الجياني) ونزل حلب يكنى أبا بكر رحل الى المشرق وأدى الفريضة وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة وسكن قنطرة سنان منها وكان يعلم القرآن ويتردد الى أبي عبد الله نصر الله بن محمد يسمع الحديث منه ثم رحل صحبة أبي القاسم بن عساكر صاحب تاريخ الشام الى بغداد سنة عشرين وكان زميله فسمع بها معه من هبة الله بن الحصين وغيره ثم خرج الى خراسان فسمع بها من حمزة الحسيني وأبي عبد الله الفراوي وأبي القاسم الشحامي وغيرهم وسمع ببلخ جماعة منهم أبو محمد الحسن بن علي الحسيني وأبو النجم مصباح بن

ما قدمناه ومنى دين النصرانية الى الروم فكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة وكان ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطش وأسباسيانوس مشتركين في الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سار الى الشام وكانت لهما مع بني اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيها من بني اسرائيل ثلثمائة ألف وخربا بيت المقدس وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره وكانت عبادتهما الاصنام ووجدت في بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربت فيه بيت المقدس ان يسبي كل يوم منهم سبي يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الامم فلا يوم من أيام العالم الا والسبي واقع بهم قل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم بعدهما) ذونسطناس خمس عشرة سنة عابدا للتماثيل معظما لها ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك (ثم ملك بعده) بيونوس (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادريانوس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل وخرب

محمد المكي وغيرهما وبلغ الموصل فاقام بها مدة يسمع منه ويؤخذ عنه ثم انتهى الى حلب فاستوطنها وسلمت اليه خزانة الكتب النورية واجريت عليه جراية وكان فيه عسر فى الرواية والاعارة معا ووقف كتبه على اصحاب الحديث وله عوال مخرجة من حديثه ساوى بعض شيوخه البخارى ومسلما وابا داود والترمذى والنسائى روى عنه ابو حفص الميانشى وابو المنصور مظفر بن سوار اللخمى وابو محمد عبد الله بن على بن سويدة وابن ابى السنان وغيرهم ذكره ابن عساكر فى تاريخه وقال سمعت منه ومات فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة على ما بلغنى وقال ابن نقطة حدث عن جماعة منهم ابو القاسم سهل ابن ابراهيم النيسابورى وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الهمدانى حدثنا عنه ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبى واخوه ابو العباس احمد وحكى عن الحسن بن هبة الله ابن صصرى انه توفى بحلب فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين كما تقدم وقد بلغ السبعين قاله ابن الابار *(ومنهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرسى) سكن شاطبة ودار سلفه بالمنسية سمع ابا على الصدفى واختص به واكثر عنه واليه صارت دواوينه واصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما وسمع ايضا ابا محمد بن ابى جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقه به وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب الاندلس فسمع محمد بن عتاب وابا بحر الاسدى وابا الوليد بن رشد وابا عبد الله بن الحاج وابا بكر بن العربى وغيرهم وكتب اليه ابو عبد الله الخولانى وابو الوليد بن طريف وابو الحسن بن عفيف وابو القاسم بن صواب وابو محمد بن السيد وغيرهم ثم رحل الى المشرق سنة عشرين وخمسمائة فلقى بالاسكندرية ابا الحجاج بن نادر الميورقى وصحبه وسمع منه واخذ عنه الفقه وعلم الكلام وادى فريضة الحج فى سنة احدى وعشرين ولقى بمكة ابا الحسن رزين بن معاوية العبدرى امام المالكية بها وابا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب كريمة المروية وسمع منها واخذ عنها وروى عن ابى حسن على بن سند بن عياش الغسانى ما حمل عن ابى حامد الغزالى من تصانيفه ثم انصرف الى ديار مصر فصحب ابن نادر الى حين وفاته بالاسكندرية ولقى ابا طاهر بن عوف وابا عبد الله بن مسلم القرشى وابا طاهر السلفى وابا زكريا الزناتى وغيرهم فأخذ عنهم وكان قد كتب اليه منها ابو بكر الطرطوشى وابو الحسن بن مشرف الانماطى ولقى فى صدره بالمهدية ابا عبد الله المازرى فسمع منه بعض كتاب المعلم واجازه باقيه وعاد الى مرسية فى سنة ست وعشرين وقد حصل فى رحلته علوما جمة ورواية فسيحة وكان عارفا بالسنن والآثار مشاركا فى علم القرآن وتفسيره حافظا للفروع بصيرا باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلا الى التصوف مؤثرا له اديبا بليغا خطيبا فصيحا ينشئ الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الشارة محافظا على التلاوة بالخشوع راتبا على الصوم وولى خطة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها واخذ فى اسماع الحديث وتدريس الفقه ثم ولى القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمة ونقل الى قضاء شاطبة فاتخذها وطنا وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطب أيام الجمع فى جوامع هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدث بالمرية وهنالك أبو الحسن بن موهب وأبو محمد الرشاطى وغيرهما وسمع منه أبو الحسن

وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده) مرليس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثانى أربع سنين يعبد التماثيل وفى آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر ماماس وتفسير ماماس العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عرديانس يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) يعرس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن فى قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف (١) وقد اختلف الناس فى أصحاب الكهف والرقيم فمنهم من رأى أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وزعموا أن

(١) فيه أن الملك الذى هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس كما فى القاموس وكتب التفسير

ابن

ابن هذيل جامع الترمذى وألف كتابه شجرة الوهم المرقية الى ذروة الفهم ولم يسبق الى مثله ولبس له غيره وجمع فهرسة حافلة ووحد فيه غير واحد بالتفنن فى العلوم والمعارف والرسوخ فى الفقه وأصوله والمشاركة فى علم الحديث والادب وقال ابن عباد فى حقه انه كان صليبا فى الاحكام مقتفيا للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه المجالسة ثبتا حسن الخط من أهل الاتقان والضبط وحكى انه كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيحين بخط السلفى فى سفرين قال ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه فى صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الحظوة والذكر وجلالة القدر مارزقه وذكره أبو سفيان أيضا وأبو عمرو بن عات ورفعوا جميعا بذكره وتوفى بشاطبة مصروفا عن قضائها آخر الحجة سنة خمس ودفن أول يوم من سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بالروضة المنسوبة الى أبى عمر بن عبد البر ومولده فى رمضان سنة ٤٩٦ *(ومنهم محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمى) من أهل غرناطة ونزل جزيرة شقر يكنى أبا القاسم وأخذ القراءة عن أبى الحسن بن هذيل وسمع منه كثيرا ورحل حاجا فادى الفريضة وأخذ القرا آت بمكة عن أبى على بن العرجاء فى سنة ست وأربعين وخمسمائة وسنة سبع بعدها وحج ثلاث حجات ودخل بغداد وأقام فى رحلته نحوا من تسعة أعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر من أعمال بلنسية وأقرأ بها القرآن نحوا من اربعين سنة لم ياخذ من أحد أجرا ولا قبل هدية وولى الصلاة والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا مشاورا يشار اليه باجابة الدعوة معروفا بالورع والانقباض وتوفى فى صفر سنة ٥٨٧ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبى) نزيل تلمسان من أهل القنت عمل مرسية وسكن أبوه أوريولة رحل الى المشرق فادى الفريضة وأطال الاقامة هنالك واستوسع فى الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم المشرقيين أبو طاهر السلفى صحبه واختص به وأكثر عنه وحكى عنه انه لما ودعه فى قفوله الى المغرب سأله عما كتب عنه فأخبره انه كتب كثيرا من الاسفار ومئين من الاجزاء فسر بذلك وقال له تكون محدث المغرب ان شاء الله تعالى قد حصلت خيرا كثيرا قال ودعا لى بطول العمر حتى يؤخذ عنى ما أخذت عنه وقد جمع فى أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والاخبار وقفل من رحلته وله أربعون حديثا فى المواعظ وأخرى فى الفقر وفضله وثالثة فى الحب فى الله تعالى ورابعة فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومسلسلاته فى جزء وكتاب فضائل الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكتاب فضل عشر ذى الحجة وكتاب مناقب السبطين وكتاب الفوائد الكبرى مجلد والفوائد الصغرى جزء وكتاب الترغيب فى الجهاد خمسون بابا فى مجلد وكتاب المواعظ والرقائق اربعون مجلسا سفران وكتاب مشيخة السلفى وغير ذلك ومولده بالقنت الصغرى فى نحو الاربعين وخمسمائة وتوفى سنة عشر وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ الاكبر ذو المحاسن التى تبهر سيدى محيى الدين بن عربى محمد بن على بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمى من ولد عبد الله بن حاتم اخى عدى بن حاتم الصوفى الفقيه المشهور الظاهرى) ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على أبى بكر بن خلف

الرقيم هو ما رقم من أسماء أهل الكهف فى لوح من حجر على باب تلك المغارة ومنهم من رأى ان أصحاب الرقيم غير أصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بارض الروم (وقد حكى) أحمد بن الطيب عن مروان السرخسى تلميذ يعقوب بن اسحق الكندى عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بخارى وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط قصة أصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر أصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبرنا عن السد الذى بناه ذو القرنين مانعا ليأجوج ومأجوج (قال المسعودى) وجدت فى كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل المشيدة قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب فى الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فمقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغانى المنجم وتكلم

باشبيلية وبالسبع بكتاب الكافى وحدثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى عن أبيه وقرأ أيضا السبع بالكتاب المذكور على أبى القاسم الشراط القرطبى وحدثه به عن ابن المؤلف وسمع على أبى بكر محمد بن أبى جمرة كتاب التيسير للدانى عن أبيه عن المؤلف وسمع على ابن زرقون وأبى محمد عبد الحق الاشبيلى الازدى وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق وأجازه جماعة منهم الحافظ السلفى وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزى ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات بدمشق سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون وأنشدنى لنفسه مؤرخا وفاته الشيخ محمد بن سعد الكلشنى سنة ١٠٣٧ حفظه الله تعالى

انما الحاتمى فى الكون فرد * وهو غوث وسيد وامام
كم علوم أتى بها من غيوب * من بحار التوحيد يا مستهام
ان سألتم متى توفى حميدا * قلت أرخت مات قطب همام

وقال ابن الابار هو من أهل المرية وقال ابن النجار أقام باشبيلية الى سنة ٥٩٨ ثم دخل بلاد المشرق وقال ابن الابار انه أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة ثم رحل الى المشرق حاجا ولم يعد بعدها الى الاندلس وقال المنذرى ذكر انه سمع بقرطبة من أبى القاسم بن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة وجمع مجاميع فى الطريقة وقال ابن الابار انه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه وقال غيره انه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يومأ اليه بالفضل والمعرفة والغالب عليه طرق أهل الحقيقة وله قدم فى الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان أهل التصوف ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشان بالشام والحجاز وله أصحاب وأتباع ومن تآليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومنامات قد حدث بها عمن رآه صلى الله عليه وسلم قال ابن النجار وكان قد صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر وحج وجاور وكتب فى علم القوم وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادهم وله أشعار حسنة وكلام مليح اجتمعت به فى دمشق فى رحلتى اليها وكتبت عنه شيأ من شعره ونعم الشيخ هو ذكر لى انه دخل بغداد سنة ٦٠١ فأقام بها اثنى عشر يوما ثم دخلها ثانيا حاجا مع الركب سنة ٦٠٨ وأنشدنى لنفسه

أيا حائرا ما بين علم وشهوة * ليتصلا ما بين ضدين من وصل
ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن * يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل

وسألته عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمرسية من بلاد الاندلس انتهى وقال ابن مسدى انه كان جميل الجملة والتفصيل محصلا لفنون العلم أخص تحصيل وله فى الادب الشأو الذى لا يلحق والتقدم الذى لا يسبق سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ ابن الجد وأبى الوليد الحضرمى وبسبتة من أبى محمد بن عبد الله وقدم عليه اشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه وأبو جعفر بن مضى وذكر انه لقى عبد الحق الاشبيلى

عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطيب ٢٩٨ الذى قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل قد أتينا على ما قيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط (ثم ملك طابس) ثلاث سنين (ثم ملك بعده) بدنوس نحوا من عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة (ثم ملك بعده) فورس نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له فارس نحوا من سنتين (ثم ملك بعده) فليطالبس عشر سنين (ثم ملك بعده) قسطنطين (قال المسعودى) والذى وجدت فى الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية وهم الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الكتاب تسعة وأربعون ملكا وجميع عدد سنى ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا من الخلاف فى صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو ابن هيلانى أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ونسخ كتب التواريخ فى هذا المعنى مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ومدة ممالكهم وأكثرها بالرومية فحكينا من ذلك ما تأتى وصفه ولهؤلاء الملوك أخبار وسير هى موجودة فى كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها فى كتابنا

وفى

وفى ذلك عندى نظر انتهى قلت لا نظر فى ذلك فان سيدى الشيخ محيى الدين ذكر فى اجازته للملك المظفر غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ما معناه أو نصه ومن شيوخنا الاندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلى رحمه الله تعالى حدثنى بجميع مصنفاته فى الحديث وعين لى من أسمائها تلقين المهتدى والاحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدثنى بكتب الامام أبى محمد على بن أحمد بن حزم عن أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه انتهى وقال ان الحافظ السلفى أجازله انتهى وله بعض الحفاظ وأحسبها الاجازة العامة وكان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنى النظر فى الاعتقادات وكان دفنه يوم الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما أقام ببلاد الروم زكاه ذات يوم الملك فقال هذا تذل له الاسود أو كلاما هذا معناه فسئل عن ذلك فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لى يوما الله يذل لك أعز خلقه وأمر له ملك الروم مرة بدار تساوى مائة ألف درهم فلما نزلها وأقام بها مر به فى بعض الايام سائل فقال له شئ لله فقال مالى غير هذه الدار خذها لك فتسلمها السائل وصارت له وقال الذهبى فى حقه انه توسع فى الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيقا فى التصوف وتواليف جمة فى العرفان ولولا شطحه فى كلامه وشعره ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير انتهى وقال القطب اليونينى فى ذيل مرآة الزمان عن سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه ونفعنا به انه كان يقول انى أعرف اسم الله الاعظم وأعرف الكيمياء انتهى وقال ابن سودكين عنه انه كان يقول ينبغى للعبد أن يستعمل همته فى الحضور فى مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خلقا له وجد ثمرة ذلك فى البرزخ وانتفع به جدا فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن الله تعالى وقال ان الشيطان ليقنع من الانسان بان ينقله من طاعة الى طاعة ليفسخ عزمه بذلك وقال ينبغى للسالك انه متى حضر له انه يعقد على امر و يعاهد الله تعالى عليه أن يترك ذلك الامر الى أن يجىء وقته فان يسر الله تعالى فعله فعله وان لم ييسر الله فعله يكون مخلصا من نكث العهد ولا يكون متصفا بنقض الميثاق ومن نظم الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى

بين التذلل والتدلل نقطة * فيها يتيه العالم النحرير
هى نقطة الاكوان ان جاوزتها * كنت الحكيم وعلمك الاكسير

وقوله أيضا رحمه الله

يا درة بيضاء لاهوتية * قد ركبت صدفا من الناسوت
جهل البسيطة قدرها لشقائهم * وتنافسوا فى الدر والياقوت

وحكى العماد بن النحاس الاطروش أنه كان فى سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده الشيخ محيى الدين والغيث والسحاب عليه ودمشق ليس عليها شئ قال فقلت للشيخ أما ترى هذه الحال فقال كنت بمراكش وعندى ابن خروف الشاعر يعنى أبا الحسن على بن محمد القرطبى القيذافى وقد اتفق الحال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة فأنشدنى

(ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع من أخبارهم)

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطاليس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهى مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له فى بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله فى دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هيلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما نورده عند ذكرنا لاخبار مصر من هذا الكتاب وهى التى بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد

يطوف السحاب بمراكش * طواف الحجيج ببيت الحرم
يروم نزولا فلا يستطيع * اسفك الدماء وهتك الحرم   انتهى

وحكى المقريزى فى ترجمة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من أنواره أن الشيخ محيى الدين ابن العربى بعث الى سيدى عمر يستأذنه فى شرح التائية فقال كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها انتهى وقال بعض من عرف به انه لما صنف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة فما ادخر منها شيأ وقيل ان صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم وابن الزكى كل يوم ثلاثين درهما فكان يتصدق بالجميع واشتغل الناس بمصنفاته ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان وكان يقول اعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ومن نظمه رضى الله تعالى عنه

حقيقتى همت بها * وما رآها بصرى
ولو رآها لغدا * قتيل ذاك الحور
فعندما ابصرتها * صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها * اهيم حتى السحر
يا حذرى من حذرى * لو كان يغنى حذرى
والله ما هيمنى * جمال ذاك الخفر
فى حسنها من ظبية * ترعى بذات الحمر
اذا رنت او عطفت * تسبى عقول البشر
كأنما انفاسها * أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى * فى النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها * نور صباح مسفر
أو سدلت غيهبها * سواد ذاك الشعر
يا قمرا تحت دجى * خذى فؤادى وذرى
عينى لكى أبصركى * اذ كان حظى نظرى

وقال الحوبى قال الشيخ سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه رأيت بعض الفقهاء فى النوم فى رؤيا طويلة فسألنى كيف حالك مع أهلك فقلت

اذا رأت اهل بيتى الكيس ممتلئا * تبسمت ودنت منى تمازحنى
وان رأته خليا من دراهمه * تجهمت وانثنت عنى تقابحنى

فقال لى صدقت كلنا ذاك الرجل * وذكر الامام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة وشيخ الطريقة صفى الدين حسين ابن الامام العلامة جمال الدين أبى الحسن على ابن الامام مفتى الانام كمال الدين أبى منصور ظافر الازدى الانصارى رضى الله تعالى عنه فى رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره بعد كلام ما صورته ورأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم

دين النصرانية وكل كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم فانها بنتها هذه الملكة هلانى أم قسطنطين وقد جعل اسمها مع الصليب فى كل كنيسة لها وليس فى الروم فى أحرفهم هاء وأحرف هلانى خمسة أحرف فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهى خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ما ذكرنا هذه صورة الحرف الذى هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هلانى اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فاقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السنودسات واحدها سنودس فالاول بنيقية على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على أريوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانيه من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا السنودس أيضا والسنودس الثانى بالقسطنطينية على مقدنوس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسنودس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل

العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وتخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء أتباع أرباب مواجيد وتصا[illegible] كان بينه وبين سيدى الاستاذ الحرازى اخاء ورفقة فى السياحات رضى الله تعالى [illegible] ما فى الاصال والبكرات ومن نظم سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه قوله

يامن يرانى ولا أراه * كم ذا أراه ولا يرانى

قال رحمه الله تعالى قال لى بعض اخوانى لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له مرتجلا

يامن يرانى مجرما * ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما * ولا يرانى لائذا

قلت من هذا وشبهه تعلم ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول وانه لا يقصد ظاهره واناله محامل تليق به وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فأحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد وللناس فى هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم والله سبحانه بكلام اوليائه اعلم ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدى محيى الدين رضى الله تعالى عنه فى ضابط ليلة القدر

وانا جميعا ان نصم يوم جمعة * ففى تاسع العشرين خذ ليلة القدر
وان كان يوم السبت اول صومنا * فحادى وعشرين اعتمده بلا عسر
وان كان صوم الشهر فى احد فخذ * ففى سابع العشرين ماشئت فاستقرى
وان هل بالاثنين فاعلم بانه * يؤاتيك نيل المجد فى تاسع العشر
ويوم الثلاثا ان بدا الشهر فاعتمد * على خامس العشرين فاعمل بها تدرى
وفى الاربعا ان هل يامن يرومها * فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
ويوم خميس ان بدا الشهر فاجتهد * ففى ثالث العشرين تظفر بالنصر
وضابطها بالقول ليلة جمعة * توافيك بعد النصف فى ليلة الوتر انتهى

قلت لست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ رحمه الله تعالى فان نفسه اعلى من هذا النظم ولكنى ذكرته لما فيه من الفائدة ولان بعض الناس نسبه اليه فالله تعالى اعلم بحقيقة ذلك ومما نسبه اليه رحمه الله تعالى غير واحد قوله

قلبى قطبى وقالبى اجفانى * سرى خضرى وعينه عرفانى
روحى هرون وكليمى موسى * نفسى فرعون والهوى هامانى

وذكر بعض الثقات ان هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج فى كفه ويلحسهما فانه يبرا باذن الله تعالى قال وهو من المجربات وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بايمان فرعون ان مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق وحكى فى ذلك حكاية عن بعض الاولياء ممن كان ينتصر للشيخ رحمه الله تعالى *وولد للشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية فى رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيد وله ديوان شعر مشهور وتوفى بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم

والسندوس الرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا

والسندوس الخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس السادس كان فى ملكة المدن وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع فى ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب فى دخول قسطنطين بن هلانى فى دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج فى بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه فى بعض الايام فقتل من أصحابه خلق كثير فخاف البوار فرأى فى النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب وأعلام على رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها فى النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه الدبر فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ودفعها فى عسكره وزحف الى عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون

دلت فى شئ من الآراء والنحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشام مجمع لهذا المذهب وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس فى سنة ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فاتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السندوس الاول وهو الاجتماع على ما ذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلانى كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفى وجه آخر من التاريخ انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتاد الموضع القسطنطينية وورده الى هذا الخليج الآخذ من بحر مانطش ونيطش فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويجرى الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه فى الموضع الذى يأخذ من بحر مانطش نحو من عشرة أميال وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى سباه تمنع من يرد فى هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية

ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون وكان قدم القاهرة وسكن حلبا ومن شعره

لما تبدى عارضاه فى نمط * قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل سطر الحسن فى خديه خط * وقيل آبنوس فوق عاج انبسط
وقيل مسك فوق ورد قد نقط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت تذكرت بهذا ما قاله الكاتب ابو عبدالله بن جزى الاندلسى كاتب سلطان الغرب ابى عنان حين تنازع الكتاب ارباب الاقلام والرؤساء اصحاب السيوف فى تشبيه العذار وقالت كل فرقة لا نشبهه الا بما هو مناسب لصنعتنا فلما فرغوا قال ابن جزى

انى اولوا الكتب والسيف الاولى عزموا * من بعد سلمى على حربى واسلامى
بكل معنى بديع فى العذار على * ما يقتضى منهم أفكار احلام
فقال ذوا الكتب لا أرضى المحارب فى * تشبيهه لا وأنقاسى واقلامى
وقال ذوا الحرب لا ارضى الكتائب فى * تشبيهه ومطلاتى وأعلامى
فقلت أجمع بين المذهبين معا * باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وهذه الغاية التى لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم *(رجع) ومن نظم سعد الدين قوله

سهرى من المحبوب اصبح مرسلا * وأراه متصلا بفيض مدامعى
قال الحبيب بان ريقى نافع * فاسمع رواية مالك عن نافع

ومن نظمه ايضا قوله

وقالوا قصير شعر من قد هويته * فقلت دعونى لا ارى منه مخلصا
محياه شمس قد علت غصن قده * فلا عجب للظل ان يتقلصا

وقوله

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رمانا بسهم لحظ * فلنا له دائم النفوذ

وقوله

لك والله منظر * قل فيه المشارك
ان يوما اراك فيه ليوم مبارك

ومن نظمه أيضا ما كتب به الى اخيه عماد الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الاكبر محيى الدين ابن عربى أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته

ما للنوى رقة ترثى لمكتئب * حران فى قلبه والدمع فى حلب
قد أصبحت حلب ذات العماد بكم * وجلق ارم هذا من العجب

وتوفى الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضى ابن الزكى رحم الله تعالى الجميع ومن نظم سعد الدين المذكور فى وسيم رآه بالزيادة فى دمشق

ياخليلى فى الزيادة ظبى * سلبت مقلتاه جفنى رقاده
كيف أرجو السلو عنه وطرفى * ناظر حسن وجهه فى الزياده

وله

فلقت صوفيا كبدر الدجى * لكنه فى وصلى الزاهد
يشهد وجدى بغرامى له * فديت صوفياله شاهد

وله

ص [illegible] مليح * تكرر نحو منزله مسيرى
أقول له الذى بى لصب * عديم للمساعد والنصير
أقام ببابكم خمسين شهرا * فقال كذا مقامات الحريرى

وله

وغزال من اليهود اتانى * زائرا من كنيسه او كناسه
بت أجنى الشقيق من وجنتيه * واشم العبير من انفاسه
واعتنقنا اذلم نخف من رقيب * وأمنا الوشاة من حراسه
من رآنى يظننى لنحولى * واصفرارى علامه فوق راسه

وله

لى حبيب بالنحو اصبح مغرى * فهو منى بما اعانيه أدرى
قلت ماذا تقول حين تنادى * ياحبيبى المضاف نحوك جهرا
قال لى ياغلام او ياغلامى * قلت لبيك ثم لبيك عشرا

وله ايضا

ساءلتنى عن لفظة لغوية * فاجبت مبتدئا بغير تفكر
خاطبتنى متبسما فرايتها * من نظم ثغرك فى صحاح الجوهرى

وله

وعلمت ان من الحديد فؤاده * لما انتضى من مقلتيه مهندا
آنست من وجدى بجانب خده * نارا ولكن ماوجدت بها هدى

وقال الشيخ محيى الدين افاض الله تعالى علينا من انواره وكسانا بعض حلل اسراره انه بلغنى فى مكة عن امراة من اهل بغداد انها تكلمت فى بامور عظيمة فقالت هذه قد جعلها الله تعالى سببا لخير وصل الى فلا كافئها واعقدت فى نفسى ان اجعل جميع ما اعتمرت فى رجب لها وعنها ففعلت ذلك فلما كان الموسم استدل على رجل غريب فساله الجماعة عن قصده فقال رأيت بالينبع فى الليلة التى بت فيها كأن آلا فا من الابل اوقارها المسك والعنبر والجوهر فعجبت من كثرته ثم سألت لمن هو فقيل هو لمحمد بن عربى يهديه الى فلانة وسمى تلك المراة ثم قال وهذا بعض ما تستحق قال سيدى ابن عربى فلما سمعت الرؤيا واسم المراة ولم يكن أحد من خلق الله تعالى علم منى ذلك علمت أنه تعريف من جانب الحق وفهمت من قوله ان هذا بعض ما تستحق انها مكذوب عليها فقصدت المراة وقلت اصدقينى وذكرت لها ما كان من ذلك فقالت كنت قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف فشكرك الجماعة الذين كنت فيهم فقلت فى نفسى اللهم انى أشهدك انى قد وهبت له ثواب ما أعمله فى يوم الاثنين وفى يوم الخميس وكنت أصومهما وأتصدق فيهما قال فعلمت ان الذى وصل منى اليها بعض ما تستحق فانها

فيصير عرضه وهو موضع العبور من الجانب الشرقى الى الموضع الغربى الذى فيه القسطنطينية نحو امس أربعة أميال وعليه العمائر وينتهى فى ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهناك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين فى فم هذا الخليج مما يلى بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين فى الوقت الذى للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرنى أبو عمير عدى بن حاتم بن عبد الباقى الازدى وهو شيخ الثغور الشامية قد يما الى وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية فى هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلى بحر مانطش ونيطش وربما يتبين فى الماء الجرى مما يلى بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل فى بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام ازارقة وقد كانوا

سبقت بالجميل والفضل للمتقدم ومن نظم الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى

يا غاية السؤل والمأمول يا سندى * شوقى اليك شديد لا الى أحد
ذبت اشتياقا ووجدا فى محبتكم * فآه من طول شوقى آه من كمدى
يدى وضعت على قلبى مخافة أن * ينشق صدرى لما خانني جلدى
ما زال يرفعها طورا ويخفضها * حتى وضعت يدى الاخرى تشد يدى

وحكى سبط ابن الجوزى عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم و يقول انه يعرف السيميا بطريق التنزل لا بطريق التكسب انتهى والله تعالى أعلم والتسليم أسلم ومن نظم الشيخ محيي الدين قوله

ما فاز بالتوبة الا الذى * قد تاب قدما والورى نوم
فمن يتب أدرك مطلوبه * من توبة الناس ولا يعلم

وله رحمه الله تعالى من المحاسن ما لا يستوفى وأنشدنى لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفى الشيخ محمد بن سعد الكلشنى حفظه الله تعالى قوله

أمولاى محيي الدين أنت الذى بدت * علومك فى الآفاق كالغيث مذهما
كشفت معانى كل علم مكتم * وأوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه ولله در السيوطى الحافظ فانه ألف تنبيه الغبى على تنزيه ابن عربى ومقام هذا الشيخ معلوم والتعريف به يستدعى طولا وهو أظهر من نار على علم وكان بالمغرب يعرف بابن العربى بالالف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضى أبى بكر ابن العربى وقال ابن خاتمة فى كتابه مزية المرية مانصه محمد بن على بن محمد الطائى الصوفى من أهل اشبيلية وأصله من مرسية يكنى أبا بكر ويعرف بابن العربى وبالحاتمى أيضا أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة بالاندلس ثم رحل الى المشرق حاجا فأدى الفريضة ولم يعد بعدها الى الاندلس وسمع الحديث من أبى القاسم الخرستانى ومن غيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبى الحسن بن أبى نصر فى شوال سنة ٦٠٦ وكان يحدث بالاجازة العامة عن أبى طاهر السلفى ويقول بها وبرع فى علم التصوف وله فى ذلك تواليف كثيرة منها الجمع والتفصيل فى حقائق التنزيل والجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة وكتاب كشف المعنى فى تفسير الاسماء الحسنى وكتاب المعارف الالهية وكتاب الاسرا الى المقام الاسرى وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم وكتاب عنقاء مغرب فى صفة ختم الاولياء وشمس المغرب وكتاب فى فضائل مشيخة عبد العزيز ابن أبى بكر القرشى المهدوى والرسالة الملقبة بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار الالهية فى كتب أخر عديدة وقدم على المرية من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم انتهى ولا خفاء أن مقام الشيخ أعظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر رحمه الله تعالى فى بعض كتبه أن مولده بمرسية وفى الكتاب المسمى بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط تأليف شيخ الاسلام قاضى القضاة مجد الدين

الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر والمدن فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومى وان فى مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج والخليج يضيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلى الشرق ومما يلى الشمال وفى الجانب الجنوبى البر وفيه باب الذهب مطلى على صفائح النحاس وأعلى موضع فى سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن اقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلى البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للابدان لكونه بين ما وصفنا لهذه البحار (قال المسعودى) ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت لهم الآراء فى الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعنى الارثماطيقى وهو علم الاعداد والجومطريقى وهو علم المساحة والهندسة والاسترنوميا وهو علم النجوم والموسيقى وهو علم تأليف

الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادى الصديقي صاحب القاموس قدس الله تعالى روحه الذى ألفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ محيي الدين بن عربى الطائى قدس الله تعالى سره العزيز فى كتبه المنسوبة اليه ماصورته ما تقول السادة العلماء شد الله تعالى بهم أزر الدين ولم بهم شعث المسلمين فى الشيخ محيي الدين بن عربى فى كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات والفصوص هل تحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل هى الكتب المسموعة المقروءة أم لا أفتونا مأجورين جوابا شافيا لتحوزوا جزيل الثواب من الله الكريم الوهاب والحمد لله وحده * (فأجابه بما صورته) الحمد لله اللهم أنطقنا بما فيه رضاك الذى اعتقده فى حال المسئول عنه وندين الله تعالى به انه كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام الحقيقة حقيقة ورسما ومحيي رسوم المعارف فعلا واسما

اذا تغلغل فكر المرء فى طرف * من بحره غرقت فيه خواطره

وهو عباب لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاصر عنه الانواء كانت دعواته تخترق السبع الطباق وتفترق بركاته فتملأ الآفاق وانى أصفه وهو يقينا فوق ماوصفته وناطق بما كتبته وغالب ظنى انى ما انصفته

وما على اذا ماقلت معتقدى * دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
بان ماقلت بعض من مناقبه * مازدت الا لعلى زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التى جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر ماوضع الواضعون مثلها وانما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها وتأمل ما فى مبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات وهذا الشان لا يكون الا لانفاس من خصه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك المعظم فقال فى آخرها وأجزته أيضا أن يروى عنى مصنفاتى ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مصنف منها التفسير الكبير الذى بلغ فيه الى سورة الكهف عند قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وتوفى ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفر بحر لا ساحل له ولا غرو فانه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به وثم طائفة فى الغى حائفة يعظمون عليه النكير وربما بلغ بهم الجهل الى حد التكفير وماذاك الا لقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ولم تصل أيديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها

على تحت القوافى من معادنها * وما على اذا لم تفهم البقر

هذا الذى نعلم ونعتقد وندين الله تعالى به فى حقه والله سبحانه وتعالى أعلم وصورة استشهاده كتبه محمد الصديقى الملتجئ الى حرم الله تعالى عفا الله عنه انتهى وأما احتجاجه بقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح بل كذب وزور فقد روينا عن شيخ الاسلام صلاح الدين العلائى عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال كنا فى مجلس الدرس بين يدى الشيخ عز الدين بن عبد السلام فجاء فى باب

العيون ولم تزل العلوم قائمة السوق مشرقة بالاقطار قوية المعالم شديدة المقاوم سامية البناء الى ان تظاهرت ديانة النصرانية فى الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا سبلها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته وكان من شريف ماتركته المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها يبتهج عند سماعه ويحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت عن المنطق ليست فى قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليها ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول فى الموسيقى وأصحاب الملاهى والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهى من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا مناسبة النغم للاوتار وممازجة

الردة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هي عربية او عجمية فقال بعض الفضلاء انما هي فارسية معربة أصلها زن دين أى على دين المرأة وهو الذى يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم مثل من فقال آخر الى جانب الشيخ مثل الشيخ محيى الدين بن عربى بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال الخادم وكنت صائما ذلك اليوم فاتفق أن الشيخ دعانى للافطار معه فحضرت ووجدت منه اقبالا ولطفا فقلت له ياسيدى هل تعرف القطب الغوث الفرد فى زماننا فقال مالك ولهذا كل فعرفت أنه يعرفه فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تعالى عرفنى به من هو فتبسم رحمه الله تعالى وقال لى الشيخ محيى الدين بن عربى فاطرقت ساكتا متحيرا فقال مالك فقلت ياسيدى قد حرت قال لم قلت أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ماقال فى ابن عربى وأنت ساكت فقال اسكت ذلك مجلس الفقهاء هذا الذى روى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام وأما قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال الدين الزملكانى من أجل مشايخ الشام أيضا يقول ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيى الدين بن عربى لاجل كلمات وألفاظ وقعت فى كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتونى لاحل لهم مشكله وأبين لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم وهذا القطب سعد الدين الحموى سئل عن الشيخ محيى الدين بن عربى لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت ابن عربى فقال وجدته بحرا زخارا لاساحل له وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدى له كتاب جليل وضعه فى تاريخ علماء العالم فى مجلدات كثيرة وهى موجودة فى خزانة السلطان تنظر فى باب الميم ترجمة محمد بن عربى لتعرف مذاهب أهل العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية والمواهب الربانية وقوله فى شئ من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره انه صنفه بامر من الحضرة الشريفة النبوية وأمره باخراجه الى الناس قال الشيخ محيى الدين الذهبى حافظ الشام ما أظن المحيى يتعمد الكذب أصلا وهو من أعظم المنكرين وأشدهم على طائفة الصوفية ثم ان الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى كان مسكنه ومظهره بدمشق وأخرج هذه العلوم اليهم ولم ينكر عليه أحد شيأ من ذلك وكان قاضى القضاة الشافعية فى عصره شمس الدين أحمد الخوبى يخدمه خدمة العبيد وقاضى القضاة المالكية زوجه بابنته وترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ * واما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات وقول المنكرين فى حق مثله غثاء وهباء لايعبأ به والحمد لله تعالى انتهى مانقلته من كلام العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه * وقد حكى الشيخ رضى الله تعالى عنه عن نفسه فى كتبه مايبهر الالباب وكفى بذلك دليلا على مامنحه الله الذى يفتح لمن شاء الباب وقد اعتنى بتربته بصالحية دمشق سلاطين بنى عثمان نصرهم الله تعالى على توالى الازمان وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة ورتب له الاوقاف وقد زرت قبره وتبركت به مرارا ورأيت لوائح الانوار عليه ظاهرة ولا يجد منصف محيدا الى انكار مايشاهد عند قبره من الاحوال الباهرة وكانت زيارتى له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧ * وقال فى عنوان الدراية ان الشيخ محيى الدين كان يعرف بالاندلس بابن سراقة وهو فصيح اللسان بارع فهم الجنان قوى على الايراد كلما طلب الزيادة يزاد رحل

أحاط بذلك من جميع الوجوه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأنبأنا على طريق أخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم فى كتاب أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب فى غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا المعانى هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ماسلف من كتبنا على الشرح والايضاح (ثم ملك الروم) بعد قسطنطين ابن هيلانى الملك المتنصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضى وكان ملكه اربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشدد دين النصرانية (ثم ملك) ابن أخى قسطنطين الاول يوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو يوليانس المعروف بالحنفى وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه بليانس البرباط وغزا العراق فى ملك سابور ابن اردشير بن بابك فاتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق فى جنود لاتحصى ولم يكن لسابور حيله فى دفعه ولقائه لما جاءته اياه فانصرف

الى العدوة ودخل بجاية فى رمضان سنة ٥٩٧ وبها لقى أبا عبد الله العربى وجماعة من الافاضل ولما دخل بجاية فى التاريخ المذكور قال رأيت ليلة انى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم الا نكحته بلذة عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها ثم عرضت رؤياى هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها وقلت للذى عرضتها عليه لاتذكرنى فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال هذا هو البحر الذى لايدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب مالايكون فيه أحد من أهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا فى هذه المدينة فهو ذلك الشاب الاندلسى الذى وصل اليها ثم قال صاحب العنوان ما ملخصه ان الشيخ محيي الدين رحل الى المشرق واستقرت به الدار وألف تواليفه وفيها مافيها ان قيض الله تعالى من يسامح ويتأول سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فالامر صعب وقد قدعليه أهل الديار المصرية وسعوا فى اراقة دمه فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبى الحسن البجائى فانه سعى فى خلاصه وتأول كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحمه الله تعالى كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت فقال له ياسيدى تلك شطحات فى محل سكر ولاعتب على سكران * وتوفى الشيخ محيي الدين فى نحو الاربعين وستمائة وكان يحدث بالاجازة العامة عن السلفى رحمه الله تعالى انتهى * ومن موشحات الشيخ محيي الدين رضى الله تعالى عنه

مطلع

سرائر الاعيان * لاحت على الاكوان * للناظرين
والعاشق الغيران * من ذاك فى حران * يبدى الانين

دور

يقول والوجد * أضناه والبعد * قد حيره
لما دنا البعد * لم أدر من بعد * من غيره
وهيم العبد * والواحد الفرد * قد خيره
فى البوح والكتمان * والسر والاعلان * فى العالمين
أما هو الديان * يا عابد الاوثان * أنت الضنين

دور

كل الهوى صعب * على الذى يشكو * ذل الحجاب
يامن له قلب * لو انه يذكو * عند الشباب
قد قرب الرب * لكنه افك * فانو المتاب
وناد يارحمن * يارب يامنان * انى حزين
أضنانى الهجران * ولا حبيب دان * ولا معين

دور

فنسيت بالله * عما تراه العين * من كونه

سابور عن اللقاء الى الحيلة فى دفعه وكان من امره ماوصفنا وكان ملكه الى ان هلك ستة وقيل اكثر من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس خرج من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له مريناس وقيل انه كان على الماضى فأبى عليهم ان يتملك الا ان يرجعوا الى دين النصرانية فأجابوه الى ذلك وضايق سابور الروم وأحاط بعساكرهم فكان لمريناس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقوا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ماتلف من أرضه بأموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيد هياكل فى دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) أوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه وكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة وقيل ان فى أيامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم

في موقف الجاه * وصحت أين الاين * في بينه
فقال ياساهي * عاينت قطعين * بعينه
أما ترى عيلان * وقيس أومن كان * في الغابرين
قالوا الهوى سلطان * ان حل بالانسان * أفناه دين

دور

كم مرة قالا * أنا الذي أهوى * من هو أنا
فلا أرى حالا * ولا أرى شكوى * الا الفنا
لست كن مالا * عن الذي يهوى * بعد الجنا
ودان بالسلوان * هذا هوا لبهتان * للعارفين
سلوهم ما كان * عن حضرة الرحمن * والا فكين

دور

دخلت في بستان * الانس والقرب * كم كنسه
فقام لي الريحان * يختال بالعجب * في سندسه
أنا هو الانسان * مطيب الصب * في مجلسه
ياجنان ياجنان * اجن من البستان * الياسمين
وحل الريحان * بحرمة الرحمن * للعاشقين

وقال الامام الصفي بن ظافر الازدي في رسالته رأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيي الدين بن عربي وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وفر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء اتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدي الاستاذ الحرار اخاء ورفقة في السياحات رضي الله تعالى عنهما انتهى * وذكر الامام سيدي عبد الله بن سعد اليافعي اليمني في الارشاد أنه اجتمع مع الشهاب السهروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقيل للشيخ ابن عربي ما تقول في السهروردي فقال مملوء سنة من قرنه الى قدمه وقيل للسهروردي ما تقول في الشيخ محيي الدين فقال بحر الحقائق ثم قال اليافعي ما ملخصه ان بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته وقال انكم لا تفهمون معاني كلامه ثم قال اليافعي وسمعت أن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض أصحابه أريد أن تريني القطب أو قال وليا فاشار الى ابن عربي فقال له فأنت تطعن فيه فقال أصون ظاهر الشرع أو كما قال وأخبرني بهذه الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام ثم قال وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الاصبهاني والتاج بن عطاء الله وغيرهما وتوقف فيه طائفة وطعن فيه آخرون وليس الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام اذ هو أحد شيوخه وله معه اجتماع كثير ثم قال وما نسب الى المشايخ له محامل الاول أنه لم تصح نسبته اليهم الثاني بعد الصحة يلتمس له تأويل موافق فان لم يوجد له تأويل في الظاهر

في الشمال والناس ممن عني بعلم الفلك وازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى في كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعده أوانيس) عمر اطنامس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم في روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونيس بطريق القسطنطينية وهو السندوس الثاني (ثم ملك بعده) بدوسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظم منها وبنى كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدي في كتاب فتوح الامصار أن بدأهم من أهل أصبهان وانهم ناقلة من هنالك وهذا يوجب انهم من قبل ملوك فارس الاولى وذكر عبد الله ابن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والاخبار والاشهر من امرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك

فله

فله تاويل فى الباطن لم نعلمه وانما يعلمه العارفون الثالث أن يكون ذلك صدر منهم فى حال السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ولا مكلف انتهى ملخصا وممن ذكر الشيخ محيي الدين الامام شمس الدين محمد بن مسدى فى معجمه البديع المحتوى على ثلاث مجلدات وترجمه ترجمة عظيمة طولة اذ كرمنها أنه قال انه كان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنى النظر فى الاعتقادات خاض بحار تلك العبارات وتحقق بمحيا تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالتقدم والاقدام ومواقف النهايات فى مزالق الاقدام ولهذا ما ارتبت فى أمره والله تعالى أعلم بسره انتهى : ونقلت من خط ابن علوان التونسى رحمه الله تعالى قال الشيخ محيي الدين

بالمال ينقاد كل صعب * من عالم الارض والسماء
يحسبه عالم حجابا : لم يعرفوا لذة العطاء
لولا الذى فى النفوس منه * لم يجب الله فى الدعاء
لا تحسب المال ما تراه * من عسجد مشرق الضياء
بل هو ما كنت يا بنى * به غنيا عن السواء
فكن برب العلا غنيا * وعامل الخلق بالوفاء

وقال

نبه على السر ولا تفشه * فالبوح بالسر له مقت
على الذى يبديه فاصبر له * واكتمه حتى يصل الوقت

وقال

قد ذاب علما ما علينا * فما لنا فى الوجود قدر
أدباؤنا صيرت رؤسا * مالى على ما أراه صبر
هذا هو الدهر يا خليلى * من يقاسيه فهو قهر

ونظم الشيخ محيي الدين هو البحر الذى لا ساحل له ولنختم ما أوردناه بقوله

يا حبذا المسجد من مسجد * وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة * فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيد * لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره * فى كل يوم فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر اذا * أعلن بالتأذين فى المسجد
فهذه عشرون مقرونة * بأفضل الذكر الى الموعد

*(ومنهم الصوفى الشهير أبو الحسن الششترى وهو على بن عبد الله النميرى) عروس الفقهاء وامام المتجردين وبركة لابسى الخرقة وهو من قرية ششتر من عمل وادى آش وزقاق الششترى معلوم بها وكان مجودا للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه من أهل العلم والعمل جال فى الآفاق ولقى المشايخ وحج حجات وآثر التجرد والعبادة *وذكره القاضى أبو العباس الغبرينى فى عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفى من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين

الاندلس من الازارقة واحدهم ازرقى وقد تنوزع فى دياناتهم ممن رأى انهم كانوا على دين المجوس ومنهم من رأى انهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسدس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر وذلك بمدينة افسس وجمع مائتى أسقف وهذا الاجتماع الثالث الذى قدمنا ذكره آنفا للعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الحيلة التى وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسى بالاسكندرية وما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان فى بدريا زوجة الملك الى أن نفى نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله وانما سمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك وقد كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصارى المشرق يأبون هذه الاضافة

له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع أخذ عن القاضي محيي الدين محمد بن ابراهيم ابن الحسن بن سراقة الانصاري الشاطبي وغيره من أصحاب السهروردي صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم بن ابراهيم الدمشقي سنة ٦٥٠ه خدم أبا محمد بن سبعين وتلمذ له وكان ابن سبعين دونه في السن لكن اشتهر باتباعه وعوّل على ما لديه حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين وقال له لما لقيه يريد المشايخ ان كنت تريد الجنة فسر الى أبي مدين وان كنت تريد رب الجنة فهلم الي ولما مات أبو محمد انفرد بعده بالرياسة والامامة على الفقراء المتجردين فكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير فيقسمهم الترتيب في وظائف خدمته صنف كتبا منها كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده الى وفاته وله كتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية والرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك وله ديوان شعر مشهور ومن نظمه قوله رحمه الله تعالى

لقد تهت عجبا بالتجرد والفقر * فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبي نفحة قدسية * فغبت بها عن عالم الخلق والامر
طويت بساط الكون والطي نشره * وما القصد الا الترك للطي والنشر
وغمضت عين القلب غير مطلق * فألفيتني ذاك الملقب بالغير
وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة * ونزهت من أعني عن الوصل والهجر
وما الوصف الا دونه غير أنني * أريد به التشبيب عن بعض ما أدري
وذلك مثل الصوت أيقظ نائما * فأبصر أمرا جل عن ضابط الحصر
فقلت له الاسماء تبغي بيانه * فكانت له الالفاظ سترا على ستر

وقال

من لامني لو أنه قد أبصرا * ما ذقته أضحى به متحيرا
وغدا يقول لصحبه ان أتيتم * أنكرتم ما لي أتيتم منكرا
شذت أمور القوم عن عاداتهم * فلأجل ذاك يقال سحر مفترى

وقال وهي من أشهر ما قال

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمى سهما فعدى به عدنا
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا * نغيب به عنا لدى الصعق ان عنا

وهي طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق نفعنا الله تعالى ببركاته وأشار ابن الخطيب في الاحاطة الى أنها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان وضعف في العربية قال ومع ذلك فهي غريبة المنزع أشار فيها الى مراتب الاعيان الاعلام من أهل هذه الطريقة وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما قدمناه الذي الحسنى الجنة والزيادة مقام النظر وقوله فيها

الى نسطورس ويكرهون ان يقال لهم نسطورية وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأى المشارقة في الثالوث وهو الكلام في الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك بدوسيس الى ان هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده) مرقيانوس (ثم ملك الروم) بلخاريا زوجة مرقيانوس وكانت ملكة معه وفي أيامها كان خبر اليعاقبة من النصارى ووقوع الخلاف بينهم في الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد هات وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم وكرسي اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة انطاكية وكذلك لهم كرسي بمصر ولا أعلم له غير هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر ابن اليون وكان ملكه ست عشرة سنة وفي ايامه احرم مسعرة اليعقوبي بطرك الاسكندرية واجتمع اليه من الاساقفة ستمائة وستون اسقفا

واظهر

وأظهر منها الغافقى لماجنى * وكشف عن أطواره الغيم والدجنا

هو شيخه أبو محمد بن سبعين لانه مرسى الاصل غافقيه ولما وصل الششترى من الشام الى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومى فقال ما اسم هذه القرية فقيل الطينة فقال حنت الطينة الى الطينة وأوصى أن يدفن بمقبرة دمياط اذ الطينة مفازة وأقرب المدن اليها دمياط فحمله الفقراء على أعناقهم الى دمياط وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه الله تعالى ورضى عنه * (ومنهم سيدى أبو الحسن على بن أحمد الحرالى الاندلسى) وحرالة قرية من أعمال مرسية غير أنه ولد بمراكش وأخذ بالاندلس عن أبى الحسن بن خروف وغير واحد ورحل الى المشرق فأخذ عن أبى عبد الله القرطبى امام الحرم وغيره ولقى جلة من المشايخ شرقا وغربا وهو امام ورع صالح زاهد كان بقية السلف وقدوة الخلف وقد زهد فى الدنيا وتخلى عنها وأقام فى تفسير الفاتحة نحوا من ستة أشهر يملى فى التعليل قوانين تتنزل فى علم التفسير منزلة أصول الفقه من الاحكام حتى من الله تعالى ببركات ومواهب لا تحصى وعلى أحكام تلك القوانين وضع كتابه مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل وهو ممن جمع العلم والعمل وصنف فى كثير من الفنون كالاصول والمنطق والطبيعيات والالهيات وكان يقرأ النجاة لابن سينا فينقضه عروة عروة وكان من أعلم الناس بمذهب مالك ويظن فقهاء عصره انه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات قرأ التهذيب وأبدى فيه الغرائب وبين مخالفته للمدونة فى بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شئ وطلب عز الدين أن يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال اين قول مجاهد أين قول فلان وفلان وكثر القول فى هذا المعنى ثم قال يخرج من بلادنا الى وطنه يعنى الشام فلما بلغ كلامه الشيخ قال هو يخرج وأقيم أنا فكان كذلك وله عدة مؤلفات فى الفنون وقال رحمه الله تعالى أقمت ملازما لمجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندى من يعطينى دينارا ومن يزدرينى وأصبح رحمه الله تعالى ذات يوم ولا شئ لاهله يقيم به أودهم وكانت أم ولده جارية تسمى كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عليه فى الطلب وقالت له ان الاصاغر لا شئ لهم فقال لها الآن يأتى من قبل الوكيل ما نتقوت به فبينما هم كذلك واذا بجمال يضرب الباب ومعه قمح فقال لها يا كريمة ما أعجلك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن يصنعه فامر فتصدق به ثم قال لها يأتيك ما هو أحسن فانتظرت يسيرا وبدا الفاقة كلمته بما لا يليق فبينما هم كذلك واذا بحمال سميذ فقال لها هذا السميذ أيسر وأسهل من القمح فلم يقنعها ذلك فامر أيضا بصدقته فلما تصدق به زادت فى المقال واذا برجل على رأسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيت المؤنة هذا الوكيل قد لطف بحالك * ومن كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا فى نزهة وأخذوا حليا من زينة النساء فتزينوا به بعض أصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذى كان فى يده الحلى يتحدث ويشير بيده فقال الشيخ يد يجعل فيها الحلى لا يشار بها فى الميعاد ومنها انه أصاب الناس جدب ببجاية فارسل الى داره من يسوق ماء الى الفقراء فامتنعت كريمة ونهرت رسله فسمع كلامها فقال للرسول قل لها يا كريمة والله لا شربن

وفى تاريخ الروم ان عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية وهذا الاجماع وهو السندوس الرابع عند الملكية واليعاقبة لا تعتد بهذا السندوس ولهم خبر ظريف فى قصة سوارى البطرك وما كان من أمره وخبر تلميذه يعقوب البراذعى ودعوته الى مذهب سوارى واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعى هذا وبه عرفت وكان من أهل انطاكية يعمل البراذع (ثم ملك) بعد اليون الاصغر ابنه ليون سنة على دين الملكية (ثم ملك بعده) بيروهو من بلاد الامينيان وكان يذهب الى رأى اليعقوبية وكان ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه من دار الملك يظفر بهم (ثم ملك بعده) نسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة عمورية وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة وكان ملكه الى ان هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) يوسطيانوس تسع سنين (ثم ملك بعده) سطيانس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبنى كنيسة الرها وهى احدى عجائب

من ماء المطر الساعة نرمق السماء بطرفه ودعا الله سبحانه وتعالى ورفع يديه وشرع المؤذن فى الاذان ولم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كأفواه القرب وتوفى رحمه الله تعالى بحماة من بلاد الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبريني ووقع للذهبى فى حقه كلام على عادته فى الحط على هذه الطائفة ثم قال ورأيت شيخنا المجد التونسى يتغالى فى تفسيره ورأيت غير واحد معظماله وموقرا وقوما تكلموا فى عقيدته وكان نازلا عند قاضى حماة البارزى وقال لنا شرف الدين البارزى تزوج بحماة وكانت زوجته تشتمه وتؤذيه وهو يتبسم وان رجلا راهن جماعة على أن يحرجه فقالوا لا تقدر فأتى وهو بعظ وصاح وقال له أنت أبوك كان يهوديا وأسلم فنزل من الكرسى فاعتقد الرجل انه غضب وانه تم له مارامه حتى وصل اليه فخلع فرجيته عليه وأعطاه اياها وقال له بشرك الله بالخير لانك شهدت لابى انه كان مسلما انتهى وظاهر كلام الغبرينى ان تفسير الشيخ الحرالى كامل وقال بعضهم انه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعى مناسباته وذكر أن الذى وقف عليه منه من أول القرآن الى قوله فى سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكلام الذهبى فى الشيخ يرده كلام الغبرينى اذ هو أعرف به والله تعالى أعلم وحكى الغبرينى انه أنشد بين يديه الزجل المشهور

جنان يا جنان * اجنى من البستان * الياسمين
واترك الريحان * بحرسة الرحمن * للعاشقين

فسأل بعض عن معناه فقال بعض الحاضرين أراد به العذار وقال آخر انما أشار الى دوام العهد لان الازهار كلها ينقضى زمانها الا الريحان فانه دائم فاستحسن الشيخ هذا ووافق عليه (ومنهم ولى الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير المقامات سيدى أبو العباس المرسى نفعنا الله تعالى به) وهو من أكابر الاولياء صحب سيدى الشيخ الفرد القطب الغوث الجامع سيدى أبا الحسن الشاذلى أعاد الله تعالى علينا من بركاته وخلفه بعده وكان قدم من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندرية مشهور باجابة الدعوات وقد زرته مرارا كثيرة ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله وقد عرف به الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله فى كتابه لطائف المنن فى مناقب الشيخ سيدى أبى العباس وشيخه سيدى أبى الحسن رضى الله تعالى عنهما وقال الصفدى فى الوافى أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس الانصارى المرسى وارث شيخه الشاذلى تصوفا الاشعرى معتقدا توفى بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولاهل مصر ولاهل الثغر فيه عقيدة كبيرة وقد زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨ قال ابن عرام سبط الشاذلى ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من الشهود بالثغر انتهى وكان سيدى أبو العباس يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسر معصيته وذل مخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس فى الصلاة والطهارة وينقل عليه شهود من كان على صحبته وذكر عنده يوما شخص بانه صاحب علم وصلاح الا انه كثير الوسوسة فقال وأين

حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى أن قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اعطى هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن اخيه فرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأى الملكية (ثم ملك بعده) طباريس أربع سنين واظهر فى ملكه انواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) مور قس عشرين سنة ونصر كسرى ابرويز على بهرام جور فقتل عليه وبعث ابرويز غضبا له بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قرماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا فى بعض الجزائر ففعل ذلك وعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبنى الكنائس

العالم العلم هو الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الاسود وله كلام بديع فى تفسير القرآن العزيز فمن ذلك انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحمد لله رب العالمين علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين أى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا تكون الالف واللام للعهد وقال فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع وله فى هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدل على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم اللدنية وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره وبسطه الشيخ رضى الله تعالى عنه فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهداء يقولون اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقية والصديق كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم اذ حصلت له درجة الصديقية وفاتته درجة القطبانية والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم فانه حصلت له رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه وقال رضى الله تعالى عنه الفتوة الايمان قال الله سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام وقال رضى الله تعالى عنه التقوى فى كتاب الله عز وجل على أقسام تقوى النار قال الله سبحانه وتعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وتقوى الربوبية قال الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية وتقوى الله وتقوى الانية واتقون يا أولى الالباب وقال رضى الله تعالى عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لى بالعبودية لله وكان كثيرا ما ينشد

يا عمرو نادعبد زهراء * يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول سمنون المحب

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

الاولى أن يقول فكيفما شئت فاعف عنى اذ طلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال رضى الله تعالى عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا وقال

مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان فى ملك نوسطورس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك نوسطورس) وكان ملكه عشرين سنة (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيوس وهو الذى فى كتب الزيجات فى النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفى تواريخ ملوك الروم عمن سلف وخلف أن ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام وأيام أبى بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداهما من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا فى السير منها وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق (ثم ملك بعده) قيصر بن قيصر وذلك فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه (ثم ملك على الروم هرقل ابن قيصر) وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام

رضى الله تعالى العارف لا دنيا له لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وقال الزاهد غريب من الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة قال بعض العارفين معنى الغربة فى كلام الشيخ رضى الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة وطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه عاين الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فتغرب فى هذه الدار وأما العارف فانه غريب فى الآخرة اذ كشف له عن صفات معروفة فاخذ قلبه فيما هنالك فصار غريبا فى الآخرة لان سره مع الله تعالى بلا اين فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحظوظ بالشهوة ولم يصعدوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا فى ذلك كله بآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متادبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين * وكلام سيدى الشيخ أبى العباس رضى الله تعالى عنه بحر لا ساحل له وكراماته كذلك وليراجع كتاب تلميذه ابن عطاء الله فان فيه من ذلك ما يشفى ويكفى وما بقى أكثر * ومن كراماته رضى الله تعالى عنه انه عزم عليه انسان وقدم اليه طعاما يختبره به فاعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له ان الحافظ المحاسبى رضى الله تعالى عنه كان فى اصبعه عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه وأنا فى يدى سبعون عرقا تتحرك على اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * (ومنهم أبو اسحق الساحلى المعروف بالطويجن) بضم الطاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الجيم وقيل بفتحها العالم المشهور والصالح المشكور والشاعر المذكور من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة وكان أبوه أمين العطارين بغرناطة وكان مع أمانته من أهل العلم فقيها متقنا متفننا وله الباع المديد فى الفرائض وأبو اسحق هذا كان فى صغره موثقا بسماط شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحج ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاها مكينا من سلطانها وبها توفى رحمه الله تعالى انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الاحمر فى كتابه نثير الجمان فيمن نظمنى واياه الزمان * وقال أبو المكارم منديل بن آجروم حدثنى من يوثق بقوله ان أبا اسحق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخيرة سنة ٧٤٧ بتنبكتو موضع بالصحراء من عمالة مالى رحمه الله تعالى ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم قال وبذلك ضبطه بخط يده رحمه الله تعالى قال ومن نسبه للساحلى فانه نسبه لجده للام انتهى * (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجى الساعدى) من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجى مولده ببيغة رحل عن الاندلس قديما واستقر أخيرا بالاسكندرية وبها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرة وقد أطال فى رحلته فى ترجمته الى أن قال وذكره صاحبنا أبو حيان وهو أحد من أخذ عنه ولقيه فقال تلا القرآن بالاندلس على أبى الوليد هشام بن واقف المقرى وسمع بها من أبى زيد الفازازى العشرينيات وسمع بمكة من شهاب الدين السهروردى صاحب عوارف المعارف

وتلا

وكان الملك على الروم مورق بن هرقل فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه (ثم ملك) مورق بن مورق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه وأيام معاوية بن أبى سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان اختلاف بينهما فى الرومى غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هادن اباه مورق بن مورق حين سار الى حرب على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان بشره بالملك واعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعنى عثمان ثم يؤل الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ اميرا على الشام لعثمان فى خبر طويل قد اتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق فى الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون) بن قلفط فى أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده يجيرون بن لاون فى أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر

وتلا بالاسكندرية على أبى القاسم بن شيسى ولا يعرف له نظم فى أحد من العالم الا فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شعره يعارض الحريرى

أهن لاهل البدع * والهجر والتصنع * ودن بترك الطمع ولذ باهل الورع

وعد عن كل بذى * لم يكترث بالنبذ * والهج بسبر جهبذ وعالم متضع

واندب زمانا قد سلف * ولم تجد منه خلف * وابعث بانواع الاسف رسائل التضرع

وهى طويلة فلتراجع فى ملء العيبة لابن رشيد رحمه الله تعالى (ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكى المرسى الاندلسى) ويلقب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك درس العربية والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامة ثم رحل الى المشرق وحج مجاوشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشياعه وصنف أوضاعا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ويرمى بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها وكان حسن الاخلاق صبورا على الاذى آية فى الايثار انتهى وقال غير واحد ان اغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المرهق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم بحقيقة أمره ولما ذكر الشريف الغرناطى عنه أنه كان يكتب عن نفسه ابن ه يعنى الدارة التى هى كالصفر وهى فى بعض طرق المغاربة فى حسابهم سبعون وشهر لذلك بابن دارة ضمن فيه البيت المشهور محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا * حسبما ذكره الشريف فى شرح مقصورة حازم وقد طال عهدى به فليراجعه من ظفر به وقال صاحب درة الاسلاك فى سنة ٦٦٩ ما صورته وفيها توفى الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسى صوفى متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف واتباع وأقوال تميل اليها بعض القلوب وتملها بعض الاسماع وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله تعالى برحمته انتهى وقال بعض الاعلام فى حق ابن سبعين انه كان رحمه الله تعالى عزيز النفس قليل التصنع يتولى خدمة الكثير من الفقراء والسفارة أصحاب العبادات والدفافيس بنفسه ويحفون به فى السكك ولما توفرت دواعى النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لالفاظه المعاريض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها ووقع فى رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور وأظن اسمه يحيى ابن محمد بن أحمد بن سليمان وسماها بالوراثة المحمدية والفصول الذاتية ما صورته فان قيل ما الدليل على أن هذا الرجل الذى هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عدم

من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا الى ان ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك فى خلافة أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور واخيه (ثم ملك بعده) اليون بن قسطنطين وذلك فى أيام المهدى والهادى (ثم ملك بعده) قسطنطين بن اليون وكانت أمه أرينى ملكة معه مشاركة له فى الملك لصغر سنه فى أيام هرون الرشيد فمات قسطنطين بن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك على الروم) يعفور بن اسدراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فاعطى القود من نفسه بعد بغى كان منه فى بعض مراسلاته فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقة وفى انقياد يعفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول أبو العتاهية

امام الهدى أصبحت بالدين معنيا

وأصبحت تسقى كل مستمطر ريا لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى * فانت الذى تدعى رشيدا ومهديا

النظر واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمته المضافة للعالم المطلق ومحبته لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلها من علامات الوراثة والتبعية المحضة التى لا يمكن أحدا أن يتصف بها الا مجد أزلى وتخصيص الهى وها انا أصف لك بعض ماخصه الله سبحانه وتعالى به من الامور التى هى خارقة للعادة ونلغى عن الامور الخفية التى لا نعلمها ونقصد الامور الظاهرة التى نعلمها والتى لايمكن أحدا أن يستريب فيها الا من أصمه الله تعالى وأعماه ولا يجحدها الا حسود قد أتعب الله تعالى قلبه وأنساه رشده ونعوذ بالله ممن عاند من الله تعالى ساعده وأيده وهو معه بنصره وعونه فما أتعب معانده وما أسعد موادده وما أكبت مراده فنبدأ بذكر ما وعدنا فنقول الاول فى شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التى فى بلاد المغرب وهو بنو سبعين قرشيا هاشميا علويا وأبواه وجدوده يشار اليهم ويعول فى الرياسة والحسب والتعين عليهم والثانى كونه من بلاد المغرب والنبى عليه السلام قال لا يزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين الى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه فهو المشار اليه بالحديث ثم نقول أهل المغرب أهل الحق وأحق الناس بالحق وأحق المغرب بالحق علماؤه لكونهم القائمين بالقسط وأحق علمائه بالحق محققهم وقطبهم الذى يدور الكل عليه ويعول فى مسائلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه فهو حق المغرب والمغرب حق الله تعالى والمسئلة حق العالم فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل المغرب ظاهرون على الحق أى على الدين والحق سر الدين والمحقق سر الحق فالمحقق سر الدين فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل الله خير العالم وأهل الحق هم خير أهل الله والمحقق خير أهل الحق فاذن هو خير العالم فهو المشار اليه ثم نقول انظر فى بدايته وحفظ الله سبحانه له فى صغره وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التى هى فى جبلة البشرية وتركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها فى آبائه وهى الآن فى اخوته وخروجه عن الاهل والوطن الذى قرنه الحق مع قتل الانسان نفسه وانقطاعه الى الحق انقطاعا صحيحا تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ثم انظر فى تأييده وفتحه من الصغر وتأليف كتاب بدء العارف وهو ابن خمس عشرة سنة وفى جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوى على جميع الصنائع العلمية والعملية وجميع الامور السنية والسنية تجده خارقا للعادة وفى نشأته فى بلاد الاندلس ولم يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التى لم تسمع قط تعلم أنه خارق للعادة وفى تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن أفهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس وفى شجاعته وقوة توكله فى عزمه ونصره لمنازعه وظهور حجته على خصمائه واقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه تعلم أن ذلك بقوة الهية وعناية ربانية وفى انقياد أهل المغرب له واجتماعهم عليه فى كل بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله تعالى حجته ويقمع خصمه ويكبت عدوه ويعجز معارضه ويفحم معترضه وفى غيرة الحق عليه وهلاك من تعرض بالاذى اليه يعلم العاقل المخصوص

اذا ماسخطت الشئ كان مسخطا ※ وان ترض شيأ كان فى الناس مرضيا
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا
فاوسعت شرقيا وأوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى
فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى
نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله أن صفى لهارون ملكه
وكان قضاء الله فى الخلق مقضيا
تحببت الدنيا لهارون بالرضا
واصبح يعفور لهارون ذميا
فلما عوفى الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد هنأه الناس أن يخبروه بغدر يعفور فقال بعض الذى أعطاكه يعفور
فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه
فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا
بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية أن أتى
بالغدر عنه وافد وبشير
ورجت يمينك أن تعجل غزوة
تشفى النفوس نكالها مذكور
يعفور انك حين تغدر أن نأى ※ عنك الامام لجاهل مغرور

أبه

انه عند الله مخصوص وفى خلقه وقهره لقواه النزوعيه والغضبية واسلام قرينه وجلالة قوته الحافظة التى لا تنسى شيأ والمفكرة التى تتصور الذوات المجردة والمعلومة سريعين الضيف وكذلك الذاكرة وسرعة ظهوره وانتشار آيته واستجلاب ثنائه فى الجهات كلها وبالجملة جميع ما ذكرت فيه هو خارق للعادة البشريه ومعجز لمعارضه من كل الجهات ولولا خوف التطويل لكنت أفصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعى وتقيم الادلة القطعيه على تعجيزها ولكن أعطيت الانموذج وعرفت ان النبيه يعمل فكره ويجد ذلك كله كما قلته وبالجملة جميع جزئياته اذا تؤملت توجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهية الوجود بالتخصيص فصح انه هو المشار اليه والمعول فى جملة الامور عليه وانما أعطيت الامر المشهور وتركت ما يعلم منه من خرق العوائد فى ظهور الطعام والشراب والسمن والتمر وأخذ الدراهم من الكون واخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما أخبر فصح انه هو المذكور انتهى ما تعلق به الغرض مما فى الرسالة فى شان الشيخ ابن سبعين وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ومنهم لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة كما سيأتى قريبا أن ابن سبعين عاقه الخوف من أمير المدينة عن القدوم اليها وعظم عليه بذلك الحمل وتبحث الاحدوثة عنه انتهى لكن قال شهاب الدين بن أبى حجلة التلمسانى الاديب الشهير وهو صاحب كتاب السكردان وديوان الصبابة ومنطق الطير والاعتراض على العارف بالله تعالى ابن الفارض ما معناه أخبرنى الشيخ الصالح أبو الحسن بن برغوش التلمسانى شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل أنه صده عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله تعالى أعلم بحقيقة أمره انتهى وقال غيره ثم زار النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا على طريق المشاة حدث بذلك أصهاره بمكة انتهى وقال لسان الدين أما شهرته ومحله من الادراك والآراء والاوضاع والاسماء والوقوف على الاقوال والتعمق فى الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فما يقضى منه بالعجب وقال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى حدثنى بعض أشياخنا من أهل المشرق أن الامير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصارى فنكث به ولم يف بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة القس الاعظم برومية فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبى محمد عبد الحق بن سبعين فى التكلم عنه والاستظهار بين يديه قال فلما بلغ ذلك الشخص رومية وهو بلد لا يصل اليه المسلمون ونظر الى ما بيده وسئل عن نفسه فاخبر بما ينبغى كلم ذلك القس من دنا منه بكلام معجم ترجم لابى طالب بمعناه اعلموا ان أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه انتهى وقال غير واحد انه ظهر منه واشتهرت عنه أشياء كثيرة الله تعالى أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها فمنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولى الله سيدى أبى مدين نفعنا الله تعالى ببركاته شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة وممن حكى هذا لسان الدين فى الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان المستنصر بالله تعالى أبى عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص ملك

لظننت حين غدرت انك مفلت * هبلتك أمك ما ظننت غرور

ان الامام على اقتصادك قادر

قربت ديارك أم نأت بك دور

ليس الامام وان غفلنا غافلا

عما يسوس بحزمه ويدير

ملك يجود الى الجهاد بنفسه

فعدوه أبدا به مقهور

يا من يريد رضا الاله بسعيه

والله لا يخفى عليه ضمير

لا نصح ينفع من يغش امامه

والنصح من نصحائه مشكور

نصح الامام على الانام فريضه

ولاهله كفارة وطهور

وهى طويلة فلما أنشده اياها قال الرشيد أوقد فعل وعلم ان الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك فى سنة تسعين ومائه واخبرنى أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى الازدى ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهل الثغور وفيهم شيخ الثغور الشامية مخلد بن الحسين وأبو اسحق الفزارى صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال أى شئ تقول فى نزولنا على هذا الحصن فقال هذا أول حصن لقيت من حصون الروم وهو فى نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه

افريقيه وما اليها ان أهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وأرسلوا اليه ببيعتهم وهى من انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها وهى طويلة وفيها من البلاغة والتلاعب باطراف الكلام ما لا مطمع وراءه غير أنه يشير فيها الى أن المستنصر هو المهدى المبشر به فى الاحاديث الذى يحثو المال ولا يعده وحمل حديث مسلم وغيره عليه وذلك ما لا يخفى ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون فى محله ولابن سبعين من رسالة سلام عليك ورحمة الله سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورحمة الله الممتدة على عوالمك كلها السلام عليك يا أيها النبى ورحمة الله تعالى وبركاته وصلى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة أعزملائكتك من حيث حقيقتك وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا قياس الكمال ومقدمة العلم ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومن اذا نظر الذهن اليه قرأنعم العبد السلام عليك يا من هو الشرط فى كمال الاولياء وأسرار مشروطات الاذكياء الاتقياء السلام عليك يا من جاوز فى السموات مقام الرسل والانبياء وزاد رفعة واستعلا عن ذوات الملا الاعلى وذكر قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * وقال بعضهم عند ايراده جملة من رسائله التى منها هذه انها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وايثار الورع انتهى * وقال بعض العلماء الاكابر عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به ما نصه ببعض اختصار هو أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف ولد سنة ٦١٤ ودرس العربية والادب بالاندلس ونظر فى العلوم العقلية وأخذ عن أبى اسحق بن دهاق وبرع فى طريقه وجال فى البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار صيته وعظم أمره وكثر أتباعه حتى انه ترحم له أمير مكة فبلغ من التعظيم الغاية وله كتاب الدرج وكتاب ... وكتاب الاجوبة اليمنية وكتاب الكد وكتاب الاحاطة ورسائل كثيرة فى الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم ومن شعره

كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة * وعن زرود وجيران بذى سلم
ظللت تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم
فى الحى حى سوى ليلى فتسأله * عنها سؤالك وهم جر للعدم

ونشأ رحمه الله تعالى ترفا مبجلا فى ظل جاه ونعمة لم تفارق معها نفسه البأو وكان وسيما جميلا ملوكى البزة عزيز النفس قليل التصنع وكان آية من الآيات فى الايثار والجود بما فى يده رحمه الله تعالى * وقال فى الاحاطة للناس فى أمره اختلاف بين الولاية وضدها ولما وجه الى كلامه سهام الناقدين قصر أكثرهم عن مداه فى الادراك والخوض فى تلك البحار والاطلاع وساءت منهم فى الممازجة له السيرة فانصرفوا عنه مكلومين ينذرون عنه فى الآفاق من سوء المقالة ما لا شئ فوقه وجرت بينه وبين اعلام المشرق خطوب وعاقه الخوف من أمير المدينة عن الدخول اليها الى ان توفى فعظم بذلك الحمل عليه وبعثت الاحدوثة عنه ولما وردت على سبتة المسائل الصقلية وكانت جملة من المسائل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتا للمسلمين

لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامره بالانصراف ودعا بابى اسحق الفزارى فقال له مثل ما قال لمخلد فقال يا امير المؤمنين هذا حصن بنته الروم فى بحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالآهل فان أنت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك نقصا فى التدبير والرأى عندى ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق كثير من المسلمين وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فاحضر أبا اسحق الفزارى فقال يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين فما الرأى الآن عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه ورأيت ان يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا فى الملك ووهنا فى الدين واطماعا لغيره من الحصون فى الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأى يا أمير المؤمنين ان تامر بالنداء فى الجيش ان أمير المؤمنين مقيم على

انتدب

انتدب للجواب المقنع عنها على فتاء من سنه وبديهة من فكرته رحمه الله تعالى انتهى * وقال بعض من عرّف به انه من أهل مرسية وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة * وقال فى عنوان الدراية رحل الى العدوة وسكن بجاية مدة ولقى من أصحابنا ناسا وأخذوا عنه وانتفعوا به فى فنون خاصة له مشاركة فى معقول العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو أحد العلماء الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة هى موجودة بايدى أصحابه وله فيها ألغاز واشارات بحروف أبجد وله تسميات مخصوصة فى كتبه هى نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هى كالاسامى المعهودة وله شعر فى التحقيق وفى مراقى أهل الطريق وكتابته مستحسنة فى طريق الادباء وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وحجه مع الحجاج فى كل عام وهذه مزية لايعرف قدرها ولا يرام ولقد مشى به للمغاربة فى الحرم الشريف حظ لم يكن لهم فى غيره مدته وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ويهتدون بافعاله * توفى رحمه الله تعالى يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار وذكره رحمه الله تعالى فى ترجمة تلميذه الشيخ أبى الحسن الششترى السابق الذكر ان أكثر الطلبة يرجحونه على شيخه أبى محمد بن سبعين واذا ذكر له هذا يقول انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وقصور باعهم * ومن تآليف ابن سبعين الفتح المشترك ومما حكاه صاحب عنوان الدراية فى ترجمة الششترى مما لم نذكره فى ترجمته الماضية ورأينا ذكره هنا تبركا أن الششترى كان فى بعض أسفاره فى البرية وكان رجل من أصحابه قد أسر فسمعه الفقراء يقول الينا يا أحمد فقيل له من أحمد الذى ناديته ياسيدى فى هذه البرية فقال لهم من تسرون به غدا ان شاء الله تعالى فلما كان من الغد ورد الشيخ وأصحابه بلد قابس فعند دخولهم اذا بالرجل الماسور فقال الشيخ للفقراء هنيئا لنا باقتحام العقبة صافحوا أخاكم المنادى به ومن مناقبه نفع الله تعالى به أنه لما نزل بلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهريج جاءه الشيخ الصالح أبو اسحق الزرناتى نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة فوافق وصوله وصول الشيخ الصالح الفاضل الولى أبى عبد الله الصنهاجى نفع الله تعالى به مع جملة أصحابه للزيارة فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج الى موضع بخارج المدينة برسم الخلوة فجلسوا لانتظاره فلم يكن الا قليل اذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة وحيا المسجد وأقبل على الفقراء وأثر العبرة على وجنته فقال ائتونى بدواة فلما أحضر بين يديه تاوه تاوها شديدا كاد أن يحرق بنفسه جليسه وجعل يكتب على اللوح هذه الابيات

لا تلتفت بالله ياناظرى * لاهيف كالغصن الناضر
ياقلب واصرف عنك وهم البقا * وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب والبان وما لعلع * ما الخيف ما ظبى بنى عامر
جمال من سميته دائر * ما حاجة العاقل بالدائر
وانما مطلبه فى الذى * هام الورى فى حسنه الباهر

و بناء مدينة بازاء هذا الحصن الى أن يفتحه الله عز وجل ولا يكون هذا الخبر ينميوالى أحد من الجيش الاعلى المقام فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فامر الرشيد من ساعته بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس فى البناء فلما رأى اهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون فى الليل ويدلون أنفسهم بالحبال وفى خبر أبى عمير بن عبد الباقى زيادات منها خبر الجارية التى سباها الرشيد من هذا الحصن وهى ابنة بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزادفيها صاحب الرشيد فى المغنم وبالغ فيها حتى اشتراها له فبلغت من قلبه و بنى لها نحو الرافقة باميال على طريق بالس حصنا سماه هرقلة يحاكى به حصن هرقلة ببلاد الروم فى خبر طويل قد أتينا على جميعه فى كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرنى أبو العيناء قال أخبرنى شبل الترجمان قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا

أفاد للشمس سنى كالذى * أعاره للقمر الزاهر
أصبحت فيه مغرما حائرا * لله در المغرم الحائر

وكانوا يوما ببلد مالقة وكثيرا ما يجوّد عليه القرآن العزيز فقرأ طالب قوله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى فقال مجملا رضى الله تعالى عنه وفهم من الآية ما لم يفهم وعلم منها ما لم يعلم

انظر للفظ أنا يا مغرما فيه * من حيث نظرتنا لعل تدريه
خل ادعاءك لا تفخر بعارية * لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للسر حاملة * ان شئت تعرفه جرب معانيه

ودخل عليه شخص ببجاية من أهلها يعرف بابى الحسن بن علال من أهل الامانة والديانة فوجده يذاكر بعض أهل العلم فاستحسن منه ايراده للعلم واستعماله لحاضرة الفهم فاعتقد شيخته وتقديمه ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينارا اشكر الله تعالى ويأتيهم بمأكول فلما يسر جميع ما هنم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر الثانى الى حين انصراف الشيخ ليكون للفقراء زادا فلما كان فى الليل رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما قال الرجل فنهضت اليه بسرور رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ادع الله تعالى لى فالتفت لابى بكر رضى الله تعالى عنه وقال يا ابا بكر أعطه فاذا به رضى الله تعالى عنه قسم رغيفا كان بيده وأعطانى نصفه ثم أفاق الرجل من منامه وأخذه وجد من هذه الرؤيا المباركة فأيقظ أهله واستعمل نفسه فى العبادة فلما كان من الغد سار وأتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ يا على اقرب فلما قرب قال له يا على لو أتيت بالكل لاخذت منه الرغيف بكماله انتهى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن غصن الاشبيلى) من ولد شداد بن أوس الانصارى الجزيرى نسبة الى الجزيرة الخضراء الامام المقرى الزاهد عرض على الاستاذ ابن أبى الربيع الموطأ من حفظه وأخذ عنه النحو وكان من أولياء الله تعالى الصالحين وعباده الناصحين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم عارفا بمتون الحديث وأحكامه فقيها عارفا متقنا لمذاهب الأئمة الاربعة والصحابة والتابعين لا يقبل من أحد شيأ أخلص الله تعالى يتكلم على المنبر على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية وأقرأ القرآن بمكة مدة بالقرآآت وبالمدينة وبيت المقدس وممن قرأ عليه خليل امام المالكية بالحرم والشهاب الطبرى امام الحنفية بالحرم وله مصنفات فى القرآآت منها مختصر الكافى وكتاب فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ٦٣١ تخمينا وتوفى ببيت المقدس آخر سنة ٧٢٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ الفقيه الاستاذ النحوى التاريخى اللغوى أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى اللبلى يكنى أبا العباس وأبا جعفر) قرأ بالاندلس على مشايخ من أفضلهم الاستاذ أبو على عمر الشلوبين ثم ارتحل الى العدوة وسكن بجاية واقرأ بها مدة وارتحل الى المشرق فحج ثم رجع الى حضرة تونس واتخذها وطنا واشتغل بها بالاقراء الى أن مات كان يتبسط لاقراء سائر كتب العربية وله علم جليل باللغة وله

تواليف

مكتوبا عليه باليونانية فجعلت أترجمه والرشيد ينظر الى وأنا لا أعلم فكانت ترجمته بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا لنفسه موفرا لخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى ذلك اليوم زائدا على ألفى سنة وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن اهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من اهلها كاجمل الرجال قد خرج فى اكمل السلاح فنادى يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج الى منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتأسف ولام خدمه على تركهم انقاظه فقيل له يا امير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه ويطغيه ويجرئه أن يخرج فى غد

تواليف كثيرة منها على الجمل وشرح الفصيح لثعلب ولم يشذ فيه شئ من فصيح كلام العرب قال الغبريني رحمه الله تعالى ورأيت له تأليفا في الاذكار وله عقيدة في علم الكلام ورأيت له مجموعا سماه الاعلام بحدود قواعد الكلام تكلم فيه على الكلم الثلاث الاسم والفعل والحرف وله تواليف أخر وكان من أساتيذ افريقية في وقته وممن أخذ عنه واستفيد منه انتهى * وذكر الشيخ أبو الطيب بن علوان التونسي عن والده أحمد التونسي الشهير بالمصري أن المذكور تأليفا سماه التجنيس وله شرح أبيات الجمل سماه وشي الحلل رفعه للملك المستنصر الحفصي بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ أبي الحسن حازم وأمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل وجده فحكى أبو عبد الله القطان المسفر وكان يخدم حازما قال كنت يوما بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب وسمعت نقر الباب فخرجت فاذا بالفقيه أبي جعفر فرجعت وأخبرت أبا الحسن فقام مبادرا حتى أدخله وبالغ في بره وإكرامه فرأى الكتاب بين يديه فقال له يا أبا الحسن قال الشاعر * وعين الرضا عن كل عيب كليلة * فقال له يا فقيه أبا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه الا قول الحق والعلم لا يحتمل المداهنة فقال له فأخبرني بما عثرت عليه قال له نعم فأظهر له مواضع فسلمها أبو جعفر وبشرها وأصلحها بخطه وأصل هذا اللبلي من لبلة بالاندلس اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد وكان نحويا فلما دخل عليه اللبلي قال له القاضي خير مقدم ثم سأله بعد حين بم انتصب خير مقدم فقال له اللبلي على المصدر وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها وتذكره سيبويه ثم سرد عليه الباب من أوله الى آخره فانه كان يحفظ أكثره فأكرمه القاضي وعظمه ثم قال ابن علوان وذكر والدي أيضا رحمه الله تعالى ومن خطه المبارك نقلت ان الاستاذ أبا جعفر اللبلي المذكور رحمه الله تعالى قرأ عليه يوما قول امرئ القيس

حي الحمول بجانب العزل * اذ لا يلائم شكلها شكلي

فقال لطلبته ما العامل في هذا الظرف يعني اذ فتنازعوا القول فقال حسبكم قرئ هذا البيت على استاذنا أبي علي الشلوبين فسألنا هذا السؤال وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلوبين يغض منه فقال لنا اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعني ابن عصفور فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ودخلنا المسجد فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ولم يتكلم بغرائب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا الى أبي علي فنسي حتى قرئ عليه قول النابغة * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * فتذكر وقال ما فعلتم في سؤال ابن عصفور فصدقناه الحديث فأقسم أن لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبلي لطلبته وأنا أقول لكم مثل ذلك فانظروا لانفسكم قالوا فنظرنا فاذا المسئلة مسئلة فحص ونظر كلما حكمنا بحكم صدتنا عنه قوانين نحوية حتى مضت مدة طويلة فوفد علينا بتونس المحروسة أحد طلبة ابن أبي الربيع وكان ابن أبي الربيع هذا ساكنا بسبتة وهو أحد طلبة الشلوبين أيضا ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده قالوا فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحوية فجرت هذه المسئلة

فيطلب المبارزة ويعود لمثل قوله فطال ذلك على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب فاذن لبعضهم وفي مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزاري فدخلوا فقالوا يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عظيمة وثلمة لا تنسد ونحن عامة لا يرتفع لاحد مناصيت فان رأى أمير المؤمنين أن يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وابراهيم صدقوا يا أمير المؤمنين فأومؤا الى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه قال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي في يدي أشد ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح واستدناه الرشيد وأتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون من المتطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العلج

فى قوله تعالى اذ نسوّيكم برب العالمين فقال هذا الطالب ان هذا الظرف وقع موقع لام العلة فعلمنا أن هذا هو الذى أراد الاستاذ أبو على ثم ناقشنا الطالب وقلنا له اذا جعلته ظرفا فلابد من العامل واذا جعلته واقعا موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين والذى يجوز عكسه على مذهب الجميع وانما الاولى أن يقال اذ حرف معناه التعليل نشترك فيه الاسماء كما اشتركت فى عن والله أعلم بغيبه انتهى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح القرطبى) قال الحافظ المقريزى وفرح بسكون الراء وقال الحافظ عبد الكريم فى حقه انه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين فى الدنيا المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة فيما بين توجه وعبادة وتصنيف جمع فى تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا وشرح أسماء الله الحسنى فى مجلدين وله كتاب التذكرة فى أمور الآخرة فى مجلدين وشرح التقصى وله تآليف غير ذلك مفيدة وكان مطرح التكلف يمشى بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبى العباس أحمد بن عمر القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم بعض هذا الشرح وحدث عن أبى الحسن على بن محمد بن على بن حفص اليحصبى وعن الحافظ أبى على الحسن بن محمد بن محمد البكرى وغيرهما وتوفى بمنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ ودفن بها رحمه الله تعالى * وفى تاريخ الكتبى فى حقه ما نصه كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن مليح الى الغاية اثنا عشر مجلدا انتهى * وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته قد أجحف المصنف فى ترجمته جدا وكان متفننا متبحرا فى العلم انتهى * وكتب بعض باثر هذا الكلام ما نصه قال الذهبى رحل وكتب وسمع وكان يقظا فهما حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظا انتهى * وكتب آخر اثر ذلك الكلام ما صورته مشاحة شيخنا للمصنف فى هذه العبارة ما لها فائدة فان الذهبى قال فى تاريخ الاسلام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الامام القرطبى امام متفنن متبحر فى العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ثم ذكر موته وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشان الركبان وله الاسنى فى شرح الاسماء الحسنى والتذكرة وأشياء تدل على امامته وذكائه وكثرة اطلاعه انتهى * وكتب آخر باثر هذا الكلام ما نصه غفر الله لك اذا كان الذهبى ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف تقول ان مشاحة شيخك لا فائدة فيها وتسىء الادب معه وتقول ان كلامه لا فائدة فيه فالله يستر عليك انتهى *(ومنهم أبو القاسم بن حاضر الجزيرى الخزرجى محمد بن أحمد) من جزيرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعدما كان من عدول بلنسية وكان فصيحا عالما بصناعة التوريق وله نظم لم يحضر فى الآن شىء منه ومات بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو القاسم التجيبى محمد بن أحمد التجيبى) من أهل بلش قرأ على ابن مفرج وابن أبى الاحوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخا فاضلا خيرا له أدب وشعر منه قوله من أبيات

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ فى اداركه شيآن

انما كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا ولكن لا باس فادوه ليس يخرج

وهو عدهم واحدا واحدا لك منا الا رجل واحد فلما خرج منهم ابن الجزرى نادى له العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم وقال له الرومى أتصدقنى عما أسألك عنه قال نعم قال أنت ابن الجزرى بالله قال اللهم نعم قال فكفؤ اذ قال بلى كفؤ ثم أخذا فى شأنهما فتطاعنا حتى طال الامر بينهما وكادا الفرسان أن يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش صاحبه ثم رميا برمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيوفهما وقد اشتدت الحرب عليهما وتبلد جوادا هما فجعل ابن الجزرى يضرب الرومى الضربة التى يظن انه قد بالغ فيها فيتقيها الرومى وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر ويضرب به الرومى فيغوص سيفه لان ترس ابن الجزرى كانت يمانية وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزرى فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها وعظم المشركون من حصنهم وانما كانت حيلة من ابن الجزرى فاتبعه العلج وعلا عليه فلما تمكن منه ابن الجزرى رماه

ياليتـــه ترك الذى أنامبصر * وهوالمخبرفى الغزال الثانى

ولد ببلش سنة ٦٢٣ وتوفى بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥ وممن روى عنه نحوى الزمان اثير الدين أبى حيان وغيره رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو بكر الخزرجى محمد بن أحمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى المالقى المالكى) قال الشريف أبو القاسم انه كان أحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشتغلا بنفسه متخليا عما فى أيدى الناس يا كل من كسب يده ولا يقبل لاحد شيأ مع وجد وعلم وعمل وفضل وأدب ولم يكن فى زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشبيلية واشتغل بالعربية على الشلوبين وقرأ القرا آت السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان والده نجارا وكان لا يأكل الا من كسب يده بخيط الثياب فازدحم الناس عليه تبركا به فترك ذلك وصار يدق القصد يرويأكل منه ويتصدق بما فضل عنه وكان شديد الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى أحد ليقبلها وجاءه شخص قد زيد عليه فى أجرة مسكنه ليشفع الى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد فمضى الى صاحب الدار وأعطاه الزائد مدة أشهر فعلم بذلك الساكن بعد مدة فقال له ياسيدى ما سألت الا شفاعة وأنت تزن عنى فقال له رجل له دار يأخذ أجرتها يجىء الى الخزرجى يقطع عليه حقه والله ما يدفع هذا الا أنا فلم يزل يدفع الزائد الى أن انتقل الساكن الى غيرها ومات ليلة الاثنين الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١ عن خمس وأربعين سنة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى ونفعنا به *(ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمى مولاهم) لان ولاءه لبنى العباس من أهل قرطبة ولد فى شهر رمضان سنة ٣٢٢ بقرطبة وسمع بها من وهب بن مسرة وخالد بن سعيد وغيره ورحل فحج وأدرك بمصر ابن الورد وابن رشيق وأبا على بن السكن ونظراءهم فى سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات فى شهر رمضان سنة ست وأربعمائة قال ابن بشكوال كان رجلا صالحا فاضلا من أهل الاجتهاد فى العبادة مائلا الى التقشف والزهادة قديم الطلب حسن المذهب متبعا للسنن *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سلمان بن أحمد بن ابراهيم الزهرى الاندلسى الاشبيلى) ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم وحصل طرفا صالحا من علم الادب ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فسمع الحديث بها ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنة ٥٠٩ وعمره ثلاثون سنة وأقام بها مدة وسمع من شيوخها كابى الفرج بن كليب ونحوه وقرأ ونسخ بخطه وسافر الى أصبهان وبلاد الجبل وكان فاضلا حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشئ المقامات وصنف كتاب البيان والتبيين فى انساب المحدثين ستة أجزاء وكتاب البيان فيما أبهم من الاسماء فى القرآن مجلد وكتاب أقسام البلاغة وأحكام الصناعة فى مجلدين وكتاب شرح الايضاح لابى على الفارسى فى خمسة عشر مجلدا وكتاب شرح المقامات مجلد وكتاب شرح اليمينى فى مجلد قال المنذرى توفى شهيدا قتله التتار فى رجب وقال ابن النجار فى سابع عشر رجب ٦١٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الاعلى ابن القاسم القرطبى المقرى المعروف بالورشى) نسبة الى قراءة ورش لاشتهاره بها وهو أحد القراء المعروفين قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدم فى علم القرا آت سمع بمصر

بوهق فاختطفه من سرجه ثم عطف عليه بها وصل الى الارض حتى فارقه رأسه وكبر المسلمون وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد أن يجعلوا فى حجارة المجانيق النار فليس عند القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقيل انهم بادروا بالامان فاستولوا عليها عنوة أشهر من قول من قال انها افتتحت صلحا فقال فى ذلك الشاعر المكى

هوت هرقلة لما أن رأت عجبا
حوائما ترتمى بالنفط والنار
كأن نيرانها من جنب قلعتهم
مصقلات على ارسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره فى ذلك الوقت للمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة وصبت الاموال على ابن الجزرى وتوج وخلع عليه فلم يقبل شيأ من ذلك وسأل أن يعفى ويترك على ماهو عليه ففى ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية

ألا نادت هرقلة بالخراب
من الملك الموفق للصواب
غدا هارون يرعد بالمنايا
ويبرق بالمذكرة العضاب
وأبشر بالغنيمة والاياب
ورايات يحل النصر فيها * تمر كانها ابر السحاب
امير المؤمنين ظفرت فاسلم *

والشام والحجاز والعراقين والجبل وأصبهان وورد نيسابور ودخل خراسان فسمع على ابن المرزبان بأصبهان وبالاهواز عبد الواحد بن خلف الجنديسابوري وبفارس أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي وقال ابن النجار قدم بغداد وحدث بها توفي بسجستان في ربيع الاول سنة ٣٩٣ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجي اللخمي) قال ابن بشكوال مولده في صفر سنة ٣٥٦ وسمع عن جده ورحل الى المشرق وقال ابن غلبون في مشيخته انه كان من أهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسائل قائما بها واقفا عليها عاقدا للشروط محسنا لها عارفا وبيتهم بيت علم ونباهة هو وأبوه وجده وكان جميعهم في الفضل والتقدم على درجاتهم في السن وعلى منازلهم في السبق وكانت رحلته مع أبيه وروايتهما واحدة وشاركه في السماع والرواية عن جده وسمع بمصر من أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن حميد بن زريق المخزومي وقال ابن بشكوال كان من أجل الفقهاء عندنا دراية ورواية بصيرا بالعقود ومتقدما على أهل الوثائق عارفا بعللها وألف فيها كتابا حسنا وكتابا في السجلات الى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ والمتأخرين مع ما كان عليه من الطريقة المثلى وتوفية العلم حقه من الوفاء والتصون توفي في المحرم سنة ٤٣٣ لعشرين بقين منه * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عبد العزيز العتبي الاندلسي القرطبي الفقيه المالكي المشهور صاحب العتبية) سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل الى المشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل وهو الذي جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالبا من مالك بن أنس وتعرف بالعتبية وأكثر الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة وكان يؤتى بالمسئلة الغريبة فاذا سمعها أدخلوها في المستخرجة ولذا روى عن ابن وضاح انه كان يقول المستخرجة فيها خطأ كثير كذا قال ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من علماء المالكية كابن رشد وغيره * قال ابن يونس توفي بالاندلس سنة ٢٥٥ والعتبي نسبة الى عتبة بن أبي سفيان بن حرب وقيل الى جد لهم كان يسمى عتبة وقيل الى ولاء عتبة بن يعيش * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكريا المعافري المقري الفرضي الاديب) ولد بالاندلس سنة ٥٩١ ونشأ ببلنسية وأقام بالاسكندرية وقرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل ونظم قصيدة في القراآت على وزن الشاطبية لكن أكثر أبياتا وصرح فيها بأسماء القراء ولم يرمز كما فعل الشاطبي وكانت له يد في الفرائض والعروض مع معرفة القراآت والادب ومن شعره

اذا ما اشترت بنت أباها فعتقه * بنفس الشرا شرعا عليها تأصلا
وميراثه ان مات من غير عاصب * ومن غير ذي فرض لها قد تنزلا
لها النصف بالميراث والنصف بالولا * فان وهب ابنا أو شراه تفضلا
وأعتق شرعا ذلك الابن مالها * سوى الثلث والثلثان للاخ أصلا
وميراثها فيه اذا مات قبلها * كميراثها في الاب من قبل يجتلى
ومولى أبيها ما لها الدهر فيه من * ولاء ولا ارث مع الاب فاعتلى

وهذه المسئلة ذكر الغزالي في الوسيط انه قضى فيها أربعمائة قاض وغلطوا وصورتها ابنة

وللرشيد مع يعفور هذا بعد ذلك أخبار كثيرة قد أتينا على مبسوطها في كتابنا الاوسط وما كان من خبره في ارساله ليحيى بن الشخير حين أمره ان يتطارش على يعفور وما كان من يعفور واخباره ابطارقته أن الرشيد بعث بهذا متصامما وما طالبه ابن الشخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن وما كان من انقياد يعفور بعد ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه عليه ان يحمل اليه ابنتا كان من ماء عين العشيرة وهي عين البذندون وهي في نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه امسكنا طلبا للاختصار (ثم ملك بعد يعفور استراق بن يعفور بن استراق في أيام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك قسطنطين قلفط وكان ملك قسطنطين هذا في خلافة المأمون (ثم ملك بعده) نطرنوفيل وذلك في خلافة المعتصم وهو الذي فتح زبطرة وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخائيل بن نوفيل وذلك في خلافة الواثق والمتوكل المنتصر والمستعين ثم كان بين الروم تنازع في الملك فملكوا عليهم نوفيل بن ميخائيل بن نوفيل (ثم غلب على الملك نسيل)

اشترت أباها فعتق عليها ثم اشترى الاب ابنا فعتق عليه ثم اشترى عبدا فأعتقه ثم مات الاب فورثه الابن والبنت للذكر مثل حظ الانثيين ثم مات العبد المعتق فلمن يكون ولاؤه وفرضها المالكية على غير هذا الوجه وهي مشهورة * (ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل أبو عبد الله الاموى الاندلسي الطليطلي المعروف بالنقاش) نزل مصر وقعد للاقراء بجامع عمرو بن العاصي وأخذ عنه جماعة وتوفي بمصر سنة ٥٢٩ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي القبري القرطبي المؤدب) رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد وأبي قتيبة سالم بن الفضل البغدادي وغيره وكان صالحا خيرا مؤدبا سمع من الناس وتوفي سنة ٣٦٢ والقبري بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة نسبة الى قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا * (ومنهم جمال الدين أبو بكر الوايلي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل فسمع بالاسكندرية من ابن عماد الحراني وبدمشق من مكرم بن أبي الصقر وبحلب من أبي البقاء يعيش بن علي النحوي وسمع باربل وبغداد وأقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة وولي مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط الناصري بالجبل وأقام بدمشق يفتي ويدرس وكان من العلماء الزهاد كثير العبادة والورع والزهد أحد الأئمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه على مذهب الامام مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا في الاشتقاق وشرح ألفية ابن معطي وأخذ عنه الناس وطلب للقضاء بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وبقي المنصب لاجله شاغرا الى أن مات برجب سنة ٦٨٥ ودفن بقاسيون وسحمان بسين مهملة مضمومة ثم حيم ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي المعروف والده بالقنتوري) وكان جد أبيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان أبوه أحمد بن يحيى رجلا صالحا وولد هو سنة ٣٢٨ وكان مسكناه بقرطبة بقرب عين قمت أوربة وسمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ كثيرا ومن ابن دليم والخشني ورحل سنة ٣٣٧ وسمع بمكة من ابن الاعرابي ولزمه حتى مات وسمع بها من جماعة غيره وسمع بجدة وبالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ودخل صنعاء وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة وسمع بمصر من البرقي صاحب احمد البزار وسمع من السيرافي وجماعة كثيرة وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والاسكندرية فبلغت عدة شيوخه الى مائتين وثلاثين شيخا وروى عنه ابو عمرو الطلمنكي وجماعة وكتب تاريخ مصر عن مؤلفه ابي سعيد بن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من اقرانه وعاد الى الاندلس من رحلته سنة ٣٤٥ واتصل بالحكم المستنصر وصارت له عنده مكانة والف له عدة كتب واستقضاه على استجة ثم على المرية ومات برجب سنة ٣٤٨ قال الحميدي هو محدث حافظ جليل صنف كتبا في فقه الحديث وفي فقه التابعين فمنها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات وفقه الزهري في اجزاء كثيرة وسمع مسند ابن الفرضي وحديث قاسم بن اصبغ قال ابن الفرضي وكان عالما بالحديث بصيرا برجاله صحيح النقل حافظا جيد الكتابة على كثرة ما جمع وقال ابن عفيف في حقه انه كان من اعلى الناس بالعلم واحفظهم

الصقلبي ولم يكن من اهل بيت الملك وكان ملكه ايام المعتز والمهتدي وبعض خلافة المعتمد (ثم ملك بعده) ابنه اليون ابن نسيل بقية ايام المعتمد وصدرا من أيام المعتضد (ثم هلك) فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوى ابن اليون بن نسيل الصقلبي وكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر (ثم هلك) وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك ارميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبي بابنته وذلك في بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضي والمتقي الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة ابي اسحق المتقي بن المقتدر وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور ارميوس المتغلب ثم الثاني وهو قسطنطين ابن لاوى بن اليون بن نسيل والملك الثالث ابن لارميوس يخاطب بالملك اسمه اصطفانوس وجعل أرميوس ابنا له آخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذي ياخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقربه الى

للحديث وأبصرهم بالرجال ما رأيت مثله في هذا الفن من أوثق المحدثين بالاندلس وأصحهم كتبا وأشدهم تعبا لروايته وأجودهم ضبطا للكتبه وأكثرهم تصحيحا لم يدع فيها شبهة رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو عبد الله القيسي الوضاحي محمد بن احمد بن موسى) رحل الى المشرق وسمع من السلفي وغيره جملة صالحة ثم عاد الى الاندلس بعد الحج وسكن المرية مدة وبها مات سنة ٥٣٩ وقيل في التي بعدها وكان من أظرف الناس وأحسنهم أدبا فقيها فاضلا ثقة ذا فرائد جمة عفيفا معتنيا بالعلم * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري البلنسي) ولد سنة ٥١٩ وسمع من أبيه وجماعة ورحل حاجا فسمع من السلفي وابن عوف والحضرمي والتنوخي والعثماني وغيرهم ورجع بعد الحج الى الاندلس فحدث وكان غاية في الصلاح والورع وأعمال البر وله حظ من علم العبارة ومشاركة في اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح الاشبيلي) ومولده سنة احدى وثلاثين وستمائة باشبيلية وجال في بلاد المغرب والمشرق وقرأ على الشيوخ الفضلاء وحصل كثيرا في علم القرا آت والادب وله نظم ونثر وكان كثير التلاوة للقرآن جيد الاداء له وأقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ رحمه الله تعالى * (ومنهم محمد بن أسباط المخزومي القرطبي) روى عن يحيى بن يحيى وقدم مصر فسمع من الحرث بن مسكين وكان حافظا للفقه عالما توفي سنة ٢٧٩ * (ومنهم أبو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن السليم قاضي الجماعة بقرطبة) مولده سنة ٣٠٦ روى عن قاسم بن أصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣٢ فسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من الزبير وابن النحاس وغيرهما وعاد الى الا[ندلس] فاقبل على الزهد ودراسة العلم وحدث فسمع منه الناس وكان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف حسن الخط والبلاغة متواضعا وتوفي بجمادى الاولى سنة ٣٦٧ وسليم [بضم] السين مكبرا * (ومنهم موسى بن بهيج المغربي الاندلسي الواعظ الفقيه العالم) من أهل المرية نزل مصر يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والادب وله في الزهد وغيره أشعار رحلت عنه وحدث المرشاني عنه بخمسة في الحج وأعماله كلها ولقيه بمصر وقرأها عليه ولابن بهيج هذا قوله

انما دنياك ساعه * فاجعل الساعة طاعه
واحذر التقصير فيها * واجتهد ما قدر ساعه
واذا أحببت عزا * فالتمس عز القناعه

* (ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر) من أهل مرسية سمع صهره أبا علي ابن سكرة الصدفي وكانت بنته عند أبي علي ولازمه وأكثر عنه وروى عن أبي محمد بن مفوز الشاطبي وأبي الحسن بن شفيع قرأ عليهما الموطأ ورحل وحج وسمع السنن من الطرطوشي وعني بالرواية وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبي علي وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعهما على أبي علي نحو ستين مرة وكتب أيضا الغريبين للهروي وغير ذلك وكان أحد الافاضل الصلحاء والاجواد السمحاء يؤم بالناس في صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤن صهره أبي علي وبما يحتاج اليه

الكنيسة وأمر الروم يدور في وقتنا هذا على ما ذكرنا ٤٢٦ من ملوكهم (قال المسعودي) فالى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك الروم على حسب ما ذكرنا والله أعلم ما يكون من أمرهم في المستقبل من الزمان فعدد سني ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين ابن هلاني وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وأربعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وأرميوس اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا في هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلاني اثنان وأربعون ملكا في مدة هذه السنين المقدم ذكره وقد ذهب جماعة ممن عني بأخبار العالم الى أن من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ستة آلاف سنة ومائتين وتسعة وخمسين سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سني العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى * (ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار من

من دقيق الاشياء وجليلها واليه أوصى عند توجهه الى غزوة كتندة التي فقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة وكانت له مشاركة في علم اللغة والادب وقد حدث عنه ابن أخيه القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سفادة بكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة وبالفصيح لثعلب (ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر الازدي) من أهل وادي آش له رحلة الى المشرق أدى فيها الفريضة وسمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي مقامات الحريري وابن عساكر وغيرهما ثم قفل الى بلده انتهى ملخصا من ابن الابار * وحكى الصفدي أن ابن المستكفي اجتمع بالمتنبي بمصر وروى عنه شيأ من شعره ومما روى عنه انه قال أنشدني المتنبي لنفسه

لاعبت بالخاتم انسانة * كمثل بدر في الدجى الفاحم
وكلما حاولت أخذي له * من البنان المطرف الناعم
ألقته في فيها فقلت انظروا * قد خبت الخاتم في الخاتم

* (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو عبد الله بن مالك) صاحب التسهيل والالفية وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائي الجياني المالكي حين كان بالمغرب الشافعي حين انتقل الى المشرق النحوي نزيل دمشق ولد سنة ستمائة أو في التي بعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح وأبي الحسن بن السخاوي وغيرهم وأخذ العربية عن غير واحد فممن أخذ عنه بجيان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت ابن خيار عرف بابن الطيلسان وأبي رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي من أهل لبلة وأخذ القراآت عن أبي العباس أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله ابن مالك المرشاني وجالس يعيش وتلميذه ابن عمرون وغيره بحلب وتصدر بها لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان اماما في القراآت وعالما بها وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها قال الصفدي أخبرني أبو الثناء محمود وقال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة قال الصفدي وهذا أمر معجز لانه يحتاج الى معرفة جميع ما في الكتابين و[أخـ]برني عنه أنه كان اذا صلى في العادلية لانه كان امام المدرسة يشيعه قاضي القضاة ابن خلكان الى بيته تعظيما له وقد روى عنه الالفية شهاب الدين محمود المذكور ورواها الصفدي خليل عن شهاب الدين محمود قراءة ورواها اجازة عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن غانم بالاجازة عنهما عنه وأما النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشق لجه وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا وكان الائمة الاعلام يتحيرون في أمره و[أما] الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لانه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث وان لم يكن فيه شئ عدل الى أشعار العرب هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا رجزه وطويله وبسيطه وصنف كتاب تسهيل الفوائد قال الصفدي ومدحه

من كتابه فقال عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمرذة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء * فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في شهر أبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وتوت وهو أيلول يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها [كر]واب وتلال مثل [الكو]اكب قد أحاطت [بها ا]لمياه من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا في الزوارق وأما المسكة السوداء فان في شهر بابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثاني وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع الزراعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك وأما الزمرذة الخضراء فان في شهر طوبه وهو كانون الثاني وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو أذار

سعد الدين محمد بن عربى بأبيات مليحة الى الغاية وهى

ان الامام جمال الدين جلله * رب العلا ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم * يزل مفيدا الذى لب تأمله
وكل مسئلة فى النحو يجمعها * ان الفوائد جمع لا نظير له

قال وفى هذه الابيات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من ايراد ذكرته فى كتابى فص الخاتم انتهى قلت أجاب العجيسى عن ذلك بان الابيات ليست فى التسهيل وانما هى فى كتاب له يسمى الفوائد وهو الذى لخصه فى التسهيل فقوله فى اسم التسهيل تسهيل الفوائد معناه تسهيل هذا الكتاب وذكر أيضا أنه مثل التسهيل فى القدر على ما ذكره من وقف عليه وقال واليه يشير سعد الدين محمد بن عربى بقوله ان الامام الى آخره وسعد الدين ابن الشيخ محيى الدين صاحب الفصوص وغيرها ثم قال العجيسى وذكر غير واحد من أصحابنا أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد وضمنها تسهيله فسماه لذلك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد وعلى هذا الاحتمال قول الصفدى ان المدح المذكور فى التسهيل الايراد كاب ضرب من التأويل انتهى كلام العجيسى قلت وذكر غيره أن قوله فى الالفية مقاصد النحو بها محويه اشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محو يه فانه لو كان كما ذكر لقال محوى واجاب بعضهم بانه من باب الاستخدام وفيه تعسف (رجع) ومن تصانيف ابن مالك الموصل فى نظم المفصل وقد حل هذا النظم فسماه سبك المنظوم وفك المختوم ومن قال ان اسمه فك المنظوم وسبك المختوم فقد خالف النقل والعقل ومن كتب ابن مالك كتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهى مختصر الشافية واكمال الاعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ولامية الافعال وشرحها وفعل وأفعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة اللافظ وعدة الحافظ والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد فى الظاء والضاد مجلد واعراب مشكل البخارى وتحفة المودود فى المقصور والممدود وغير ذلك كشرح التسهيل وروى عنه ولده بدر الدين محمد ومحب الدين بن جعوان وشمس الدين بن أبى الفتح وابن العطار وزين الدين أبو بكر المزى والشيخ أبو الحسين اليونينى وأبو عبد الله الصيرفى وقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين بن غانم وناصر الدين بن شافع وخلق كثير سواهم ومن نظمه فى الحلبة

خيل السباق المجلى يقتفيه مصل * والمسلى وتال قبل مرتاح
وعاطف وحظى والمؤمل والـ * لطيم والفسكل السكيت يا صاح

وله من هذه الضوابط شئ كثير وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوه صغيران وناهيك بمن يقول هذا فى حق الزمخشرى وكان الشيخ ركن الدين بن القوبع يقول ان ابن مالك ما خلى للنحو حرمة وحكى عنه أنه كان يوما فى الحمام وقد اعتزل فى مكان يستعمل فيه الموسى فهجم عليه فتى فقال ما تصنع فقال أكنس لك الموضع للقعود قال بعضهم وهذا انما يستبعد على دين ابن مالك والعهدة على ناقله

وبشنس وهو أيار وبؤنه وهو حزيران يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمى كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أنبأنا على جميع ذلك فى الكتاب الاوسط ووصف آخر مصر فقال نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها لمن سلب ومالها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب وحروبهم حرب وهى لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشرع ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش ويطرح الى البحر الرومى فليس للمسلمين عليه من المدن الا المصيصة وكفربيا ودجلة وبينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدأهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومدبهما فيما سلف من هذا الكتاب وأنه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة

ناقله قال الصفدى ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع اهل الاندلس وتوفى ابن مالك بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقال بعضهم من أحسن شعر ابن مالك

اذا رمدت عينى تداويت منكم * بنظرة حسن او بسمع كلام
فان لم اجد ماء تيممت باسمكم * وصليت فرضى والديار امامى
واخلصت تكبيرى عن الغير معرضا * وقابلت أعلام السوى بسلام
ولم ار الا نور ذاك لانها * فهل تدع الشمس امتداد ظلام

وقدم رحمه الله تعالى القاهرة ثم رحل الى دمشق وبها مات كما علم * وقال الشرف الحصنى يرثيه

ياشتات الاسماء والافعال * بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط * منه فى الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم باذن الله من غير شبهة ومحال
عدم النحو والتعطف والتو * كيد مستبدلا من الابدال
ألم اعتراه اسكن منه * حركات كانت بغير اعتلال
يالها سكتة لهمز قضاه * اورثت طول مدة الانفصال
رفعوه فى نعشه فانتصبنا * نصب تمييز كيف سير الجبال
خفضوه عند الصلاة بدل * فاميلت اسراره للدلال
صرفوه باعظم مافعلوه * وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه فى الترب من غير مثل * سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفن وقوفا ضرورة الامتثال
ومددنا الاكف نطلب قصرا * مسكنا للنزيل من ذى الجلال
آخر الآى من سبا الحظ منه * حظه جاء اول الانفال
يابيان الاعراب ياجامع الاعراب يامفهما لكل مقال
ياقريد الزمان فى النظم والنثر وفى نقل مسندات العوالى
كم علوم بثثتها فى اناس * علموا مابثثت عند الزوال

انتهت ملخصة قال الصفدى ومارأيت مرثية فى نحوى أحسن منها على طولها انتهى ودفن ابن مالك بسفح قاسيون بتربة القاضى عزالدين بن الصائغ وقال العينى بتربة ابن جعوان ورثاه الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعى * حمرا يحاكيها النجيع القانى
فلقد جرحت القلب حين نعيت لى * وتدفقت بدمائه اجفانى
لكن يهون ما اجن من الاسى * علمى بنقلته الى رضوان
فسقى ضريحا ضمه صوب الحيا * يهمى به بالروح والريحان

وابن النحاس المذكور احد تلامذة ابن مالك وهو القائل يخاطب رضى الدين الشاطبى الاندلسى وقد كلفه ان يشترى له قطرا

غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادانها من غيضه وغيضه من زياداتها قال البصرى يغيض ان زات له الانهار فى الارض ذات العرض والمقدار

وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وتوالى الامطار وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته ريح الشمال اذا كثرت واتصلت به وقدمته فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع فى النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار فى أخبار الزمان فى الفن الثانى فأغنى ذلك عن اعادتها فى هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون

وقال عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا

ايها الاوحد الرضى الذى طا * ل علاء وطاب فى الناس نشرا
انت بحر لا غرو ان نحن وافيـ ـناك راجين من نداك القطرا

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس وهو بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبى الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ ابى حيان ولم يأخذ أبو حيان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ثلاثين سنة * وقال بعض من عرف بابن مالك انه تصدر بحلب مدة وأم بالسلطانية ثم تحول الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب السبق وصار يضرب به المثل فى دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات وأشعار العرب مع الحفظ والذكاء والورع والديانة وحسن السمت والصيانة والتحرى لما ينقله والتحرير فيه وكان ذا عقل راجح حسن الاخلاق مهذبا ذا رزانة وحياء ووقار وانتصاب للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن المنجى وغيره وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لها العلماء الاعيان وكان حريصا على العلم حتى انه حفظ يوم موته ثمانية شواهد * وقال بعض الحفاظ ممن عرف بابن مالك يقال ان عبد الله فى نسبه مذكور مرتين متواليتين وبعض يقول مرة واحدة وهو الموجود بخطه أول شرح له وهو الذى اعتمده الصفدى وابن خطيب داريا محمد بن أحمد بن سليمان الانصارى وعلى كل حال فهو مشهور بجده فى المشرق والمغرب * وحكى بعضهم أن ولادته سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وعليه عوّل شيخ شيوخنا ابن غازى فى قوله

قد خبع ابن مالك فى خبعا * وهو ابن عه كذا وعى من قد وعى

وقيل كما تقدم ان مولده سنة ستمائة أو بعدها بجيان الحرير مدينة من مدن الاندلس جبرها الله كسرها وهى مفتوحة الجيم وياؤها مشددة تحتانية وتصدر ابن مالك بحماة مدة وانتقد بعضهم على ابن خلكان اسقاطه من تاريخه مع كونه كان يعظمه الى الغاية وقدم رحمه الله تعالى لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه انه أعلم الناس بالعربية والحديث ويكفيه شرفا أن من تلامذته الشيخ النووى والعلم الفارقى والشمس البعلى والزين المزى وغيرهم ممن لا يحصى * وكان رحمه الله تعالى كثير المطالعة سريع المراجعة لا يكتب شيأ من محفوظه حتى يراجعه فى محله وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الاثبات ولا يرى الا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف أو يقرى وكذا كان الشيخ أبو حيان ولكن كان جده فى التصنيف والاقراء * وحكى أنه توجه يوما مع أصحابه للفرجة بدمشق فلما بلغوا الموضع الذى أرادوه غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق وأغرب من هذا فى اعتنائه بالعلم ما مر أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدها بعضهم بثمانية وفى عبارة بعض أو نحوها لقنه ابنه اياها وهذا مما يصدق ماقيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى فجزاه الله خيرا عن هذه الهمة العلية * وذكر أبو حيان فى الجوازم من تذييله وتكميله أنه لم يصحب من له البراعة فى علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشان وينفر من المنازعة والمباحثة والمراجعة قال وهذا شان من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال فحصى وتنقيرى عمن قرأ عليه واستند فى العلم اليه فلم أجد من يذكر لى

شيئا

نيل مصر للكبر واستعباره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذى بدء النيل منه وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق وقد روى عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل قال هى مصر ان لم يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شانها عجيب
ونيلها تجرى به الجنوب

وهى مصر واسمها كمعناها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين وقد قال عمرو بن معدي كرب

ما النيل أصبح واحدا أعدوه
وجرت له ريح الصبا فجرى لها

عوّدت كندة عادة محمودة
فاصبر لها واهاوروا سجالها

(قال المسعودى) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤنه وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلا وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا

شيأ من ذلك ولتد جرى يوما مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبي حرب الفارقي الحنفي فقال ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده جيان وأنه جلس في حلقة الاستاذ أبي على الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة في هذا الشان وانما جلالته وشهرته في اقراء القرآن هذا حاصل ماذكره أبو حيان * قال بعض المحققين وهو العلامة يحيى العجيسي وليس ذلك منه بانصاف ولا يحمل على مثله الا هوى النفس وسرعة الانحراف فنفيه المسند عنه والمثبت شهادة نفي فلا تسمع ولا تسمع ويكفي ماسطر في حقه قوله في أثنائه نظم في هذا العلم كثيرا ونثر وجمع باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب وان منها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة اذ هي مرتبة الا كابر النقاد وأرباب النظر والاجتهاد وقوله في موضع آخر من تذييله لا يكون تحت السماء أنحى ممن عرف ما في تسهيله وقرنه في بحره بمصنف سيبويه فما ينبغي له أن يغمصه ولا أن يحط عليه ولا أن يقع فيما وقع فيه فانه مما يجري على أمثاله الغبي والنبيه والحليم والسفيه وماهذا جزاء السلف من الخلف والدرر من الصدف والجيد من الحشف أوما ينظر الى شيخه أبي عبد الله بن النحاس فانه لا يذكره الا بأحسن ذكر كما هو دأب خيار الناس ومن كلامه في نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول والى تلميذه أبي البقاء الحافظ المصري حيث يقول فيه أعني في أبي حيان

هو الاوحد الفرد الذي تم علمه * وسار مسير الشمس في الشرق والغرب

ومن غاية الاحسان مبدأ فضله * فلا غرو أن يسمو على العجم والعرب

ومن غاية الاحسان في هذا الشان التصانيف التي سارت بها الركبان في جميع الاوطان واعترف بحسنها الحاضر والبادي والداني والقاصي والصديق والعدو فتلقاها بالقبول والاذعان فسامح الله تعالى أبا حيان فان كلامه يحقق قول القائل كما تدين تدان ورحم الله تعالى ابن مالك فلقد أحيا من العلم رسوما دارسة وبين معالم طامسة وجمع من ذلك ما تفرق وحقق مالم يكن منه تبين ولا تحقق ورحم شيخه ثابت بن الخيار وهو ابو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الخيار الكلاعي بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب في الاحاطة وأصله من ابلة ويعد في أهل جيان وتوفي بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان أبو حيان يغض من هذا الكتاب ويقول مافيه من الضوابط والقواعد حائد عن نهج الصواب والسداد وكثيرا ما يشير الى ذلك في شرحه المسمى بنهج السالك ومن غضه منه بالنظم في ملامس الناس من جملتهم شيخه بهاء الدين بن النحاس والاقسرائي بجاريه مقتفياله ومتاسيا في تسويد القرطاس

الفية ابن مالك * مطموسة المسالك

وكم بها مشتغل * أوقع في المهالك

ولا تغتر أنت بهذا الغرر فانه ما كل سحاب أبرق ممطر ولا كل عود أورق مثمر وقيل معارضة للقوم وتنبيها لهم عما فيه من النوم

وفي ذلك كفايتها وري جميع ارضها واذا زاد على السبع عشرة وبلغ ثمان عشرة ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا وقد كان النيل بلغ في زيادته تسع عشرة ذراعا وذلك سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى مافوق يصير الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل مايبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفي نيل تلك السنة يكون الماء قليلا والاذرع التي يستسقى عليها بمصر هي ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهما الذراع الثالثة عشرة والذراع الرابعة عشرة فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعني ثلاث عشرة وأربع عشرة وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر كان الضرر شاملا لكل البلدان الا أن يأذن الله عز وجل في زيادة الماء واذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج

ألفية ابن مالك * مشرّنة المسالك
وكم بها مشتغل * علا على الارائك

وما أحسن قول ابن الوردى فى هذا المعنى

ياعائبا ألفيـة ابن مالك * وغائبا عن حفظها وفهمها
أما تراها قدحوت فضائلا * كثيرة فلا تجـر فى ظلمها
وازجر لمن جادل من يحفظها * برابع وخامس من اسمها

يعنى صه فانه عند الاستقلال بمعنى اسكت انتهى ملخصا وقال أيضا عند ذكره مصنفات ابن مالك وهى كما قيل غزيرة المسائل ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل وهى مع ذلك كثيرة الافادة موسومة بالاجادة وليست هى لمن هو فى هذا الفن فى درجة ابتدائه بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه انتهى * واعلم ان الالفيـة مختصرة الكافية كما تقدم وكثير من أبياتها فيها بلفظها ومتبوعه فيها ابن معطى ونظمه أجمع وأوعب ونظم ابن معطى أسلس وأعذب وذكر الصـفدى عن الذهبى أن ابن مالك صنف الالفية لولده تقى الدين محمد المدعو بالاسد واعترضه العلامة المحبسى بأن الذى صنفه له عن تحقيق المقدمة الاسدية قال وأما هذه يعنى الالفيـة فذكر لى من أثق بقوله أنه صنفها برسم القاضى شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبـد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم بن عفيف الدين هبـة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسان الجهنى الحموى الشافعى الشهير بابن البارزى ويقال ان هذه النسبة الى باب أبرز أحد أبواب بغداد ولكن خفف لكثرة دوره على الالسنة انتهى مختصرا وقال بعض من عرّف بابن مالك هو مقيم أود وقاطع لدد ومزين سماء موهت الاصائل ديباجتها وشعشعت البكر زجاجتها وجاءت أيامه صافية من الكدر وإياليه وما بها شائبة من الكبر قد خلقها العشى بردعه وخلفها الصباح بربعه فكان كم حول مسجده وكل عين فاخرة بمسجده هذا وزمر الطلاب وطلبة الاحلاب لا تزال اليه القلاص وتكثر من سر به الاقتناص كان أوحد وقته فى علم النحو واللغة مع الديانة والصلاح انتهى وقال بعض المغاربة

لقد مزقت قلبى سهام جفونها * كما مزق اللخمى مذهب مالك
وصال على الاوصال بالقدقدها * فأضحت كابيات بتقطيع مالك
وقلدت اذ ذاك الهوى لمرادها * كتقليد أعلام النحاة ابن مالك
وملكتها رقى لرقة لفظها * وان كنت لا أرضاه ملكا لمالك
ونادتها يا منيتى بذل مهجتى * ومالى قليـل فى بديع جمالك

ويعنى بقوله بتقطيع مالك مالك بن المرحل السبتى رحمه الله تعالى ولما سئل ابن مالك عن قول النبى صلى الله عليه وسلم الحور بعد الكور هل هو بالراء أو بالنون أنكر النون فقيل له ان فى الغريبين للهروى رواية بالنون فرجع عن قوله الاول وقال انما هو بالنون انتهى وقد ذكر فى المشارق النون والراء فقال الحور بعد الكور بالراء رواه العذرى وابن الحذاء وللباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل من الفساد

السلطان والترع التى بغيضة مصر أربع امهات اسماؤها ترعة ذنب التمساح وترعة بالقينة وخليج سردوس وخليج ذات الساحل وفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو أول وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر من ماء طوبه وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضى من طوبه وأصفى ما يكون النيل فى ذلك الوقت واهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا الوقت وفيه تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونه وسائر قرايا البحيرة ولليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبه وستة من كانون الثانى ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فاسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى منهم فى الزوارق ومنهم فى الدور الدانية

بعد

بعد الصلاح وقيل من القلة بعد الكثرة كار عمامته اذا لفها على رأسه واجتمعت وحارها اذا نقضها فافترقت ويقال حار اذا رجع عن أمر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل معناها رجع الى الفساد بعد النقص أى بعد أن كان على خير مما رجع اليه وقال عياض فى موضع آخر بعد الكور كذا للعذرى والكون للفارسى والسجزى وابن ماهان وقول عاصم فى تفسيره حار بعدما كار وهى روايته ويقال ان عاصما وهم فيه انتهى والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لان ابن الاثير سال ابن خلكان عنها فقال هو ابن مالك رحم الله تعالى الجميع وقد عرف الحافظ الذهبى بابن مالك فى تاريخ الاسلام وذكر فيه ترجمة لولده بدر الدين محمد وانه كان حاد الذهن ذكيا اماما فى النحو وعلم المعانى والمنطق جيد المشاركة فى الفقه والتدريس وأنه تصدر بعد والده للتدريس ومات شابا قبل الكهولة سنة ٦٨٦ ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده وهو كتاب فى غاية الاغلاق ويقال انه نظير الرضى فى شرح الكافية وللناس عليه حواش كثيرة رحمهم الله تعالى أجمعين

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسى التدمرى ويعرف بالشهيد) كان عظيم القدر جدا بالاندلس بعيد الاثر فى الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع الى الله تعالى وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوى البيوت الرفيعة وبرع بخصاله المحمودة وكان فى نفسه فقيها عالما زاهدا خيرا ناسكا متبتلا نشأ على الاستقامة والصلاح والاقتداء والدعة وطلب العلم فى حداثة سنه ورحل الى قرطبة فروى الحديث وتفقه وناظر وأخذ بحظ وافر من علم المسئلة والجواب وكان أكثر علمه وعمله الورع والتشدد فيه والتحفظ بدينه ومكسبه ورسخ فى علم السنة ثم ارتحل الى المشرق فر بمصر حاجا فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيهما من عمل يده بالنسخ ثم سار الى العراق فلقى أبا بكر الابهرى وأخذ عنه وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم ولبس الصوف وقنع وتورع جدا وأعرض عن الشهوات وكان اذا سئم من النسخ الذى جعل قوته منه آجر نفسه فى الخدمة رياضة لها فأصبح عابدا متقشفا منيبا مخبتا عالما عاملا منقطع القرين قد جرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة ثم عاد الى بلده تدمير سنة ست أو سبع وسبعين وثلثمائة وبها أبوه أبو الحسام طاهر حيا فنزل خارج مدينة مرسية تورعا عن سكناها وعن الصلاة فى جامعها فاتخذ له بيتا سقفه من حطب السدر يأوى اليه واعتمر جنينة بيده يقتات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبى عامر ثم تحول من قريته بعد عامين الى الثغر وواصل الرباط ونزل مدينة طلبيرة وكان يدخل منها فى السرايا الى بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه ويعول على فرس له ارتبطه لذلك وكان له باس وشدة ونجدة وثقافة يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة الى أن استشهد بمقبلا سير مدبر سنة ٣٧٩ أو فى التى قبلها عن اثنتين وأربعين سنة وأبوه حى رحم الله تعالى الجميع

*(ومنهم أبو عبد الله القيجاطى محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور) مولده سنة ٥٩٠ بقيجاطة وكتب عنه الحافظ المنذرى ومن شعره قوله

اذا كنت تهوى من نأت عنك داره * فحسبك ما تلقى من الشوق والبعد
فياويح صب قد تضرم ناره * ووا حر قلب ذاب من شدة الوجد

من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون الحضور ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولاتغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم فى النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودى) وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فانى سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهراء اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بنى الفسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضا ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الاسلام ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا الى أن ولى عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التى تدعى جزيرة الصناعة وهى الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة والمعبر عليها من الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو بين الجانب الغربى من الفسطاط

*(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي) ولد سنة ٤٧٣ ودخل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع بها من أبي عبد الله الرازي وبمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني وأبي الحسن الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي وغيرهم وحدث بدمشق وسمع أيضا بها وببغداد وقدمها سنة ٥٥٦ ودخل خراسان وأقام بها مدة ثم رجع الى الشام وأقام بحلب سنين وسكن دمشق وكان يذكر أنه رأى عجائب في بلاد شتى ونسبه بعض الناس بسبب ذلك الى ما لا يليق وصنف في ذلك كتابا سماه تحفة الالباب وكان حافظا عالما أديبا وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر وزنه بالكذب وقال ابن النجار ما علمته الا أمينا ومن شعره قوله

نكتب العلم ونلقي في سفط * ثم لا نحفظ لا نفلح قط
انما يفلح من يحفظه * بعد فهم وتوق من غلط

وقوله

العلم في القلب ليس العلم في الكتب * فلا تكن مغرما باللهو واللعب
فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به * فالعلم لا يجتنى الا مع التعب

توفي بدمشق في صفر سنة ٥٦٥ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي من ذرية أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) رحل قبل الاربعين ومائتين فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وأبي موسى الزمن ونصر بن علي الجهضمي وأبي حاتم السجستاني والعباس بن أبي الفرج الرياشي وسمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام وبمكة من محمد بن يحيى العدني وبمصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقي وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحا جزل المنطق صارما أنوفا منقبضا عن السلطان أراده على القضاء فأبى وقال ابابة اشفاق لا ابابة عصيان فأعفاه وكان ثقة مأمونا توفي في رمضان سنة ٢٨٦ عن ثمان وستين سنة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي) سمع من محمد بن وضاح وأكثر عنه وأخذ عن محمد الخشني وقاسم بن أصبغ وابراهيم بن قاسم بن هلال ورحل سنة ٢٧٤ فسمع بمصر المطلب بن شعيب والمقدام بن داود الرعيني وأدرك بالعراق اسمعيل القاضي وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال الحميدي حدث بالمغرب وبالمشرق وصنف السنن وممن روى عنه خالد بن سعد وقال لنا أبو محمد بن حزم مصنف ابن أيمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات وتوفي في ذي القعدة سنة ٣٣٠ بقرطبة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمي الرصافي القرطبي الحدادي) سمع بقرطبة من عبد الله ابن يونس وقاسم بن أصبغ وحج سنة ٣٣٩ سنة رد القرامطة الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من ابن الورد وأبي علي بن السكن وعبد الكريم النسائي وغيرهم وسمع باطرابلس والقيروان من جماعة وكان رجلا صالحا عاقلا لا حدث وكتب عنه الناس وعلت سنه وتوفي بشوال سنة ٣٩٤ وولد فيما أظن سنة ٣٠٢ وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب في أشياء قرئت عليه وممن أخذ عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحم الله تعالى الجميع (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجي السعدي القرطبي) روى عن أبي الحسن علي بن

هشام

والجانب الشرقي وهذا المقياس الذي اتخذه أسامة بن زيد التنوخي هو أكثرها استعمالا واتخذ ذلك في أيام سليمان بن عبد الملك ابن مروان وهو المقياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالفسطاط وقد كان من سلف يقيسون بالمقياس الذي عنف ثم ترك استعماله وعمل على مقياس الجزيرة المعمول في أيام سليمان ابن عبد الملك وفي هذه الجزيرة مقياس آخر لأحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان بمصر سبع خلجانات فمنها خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج المنهى وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنانا وذلك أن جنانها كانت متصلة بحافتي النيل من أوله الى آخره من حد أسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا وكان الذي ولي حفر خليج

شام وروى عنه أبو القاسم بن بشكوال وقدم مصر وحدث بها وممن سمع منه بها ابن وردان وأبو الرضا القيسراني في آخرين واستوطن مصر وتوفي سنة ٥٨٨ *(ومنهم أبو بكر بن السراج النحوي) بتشديد الراء وهو محمد بن سعيد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري أحد أئمة العربية المبرزين فيها ويكفيه فخرا انه استاذ ابي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي وحدث عن ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد النفطي وقرأ العربية بالاندلس على ابن ابي العافية وابن الاخضر وقدم مصر سنة ٥١٥ واقام بها وأقرأ الناس العربية ثم انتقل الى اليمن وروى عنه أبو حفص عمر بن اسمعيل وأبو الحسن علي والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الالباب في فضل الاعراب وكتاب في العروض وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه اغلاطه قال السلفي كان من أهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة في جامع مصر لاقراء النحو وكثيرا ما كان يحضر عندي رحمه الله تعالى مدة مقامي بالفسطاط توفي بمصر سنة ٥٤٩ وقيل سنة خمس وأربعين وقيل خمسين وخمسمائة بمضار والاول أثبت *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسي) ويكنى أيضا أبا القاسم الغرناطي سمع من الجلة بمصر والاسكندرية ودمشق وبغداد منهم الحراني أبو عبد الله وأبو محمد عبد الصمد بن داود بدمشق وكتب الحديث وعني بالرواية أتم عناية وفقد باصبهان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن الدفاع) بالدال وقيل بالراء قرطبي سمع عبد الملك بن حبيب ورحل فسمع بمصر من الحرث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفي سنة ٢٨١ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري القرطبي) ولد بقرطبة سنة ٣٥٨ ودخل مصر فسمع من أبي بكر بن المهندس وأبي بكر البصري وروى عن أبي عبد الله بن مفرج وأبي محمد الاصيلي وجماعة ولقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد في رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها وحج من عامه ثم عاد من مصر الى المغرب سنة ٣٨٢ وكان معتنيا بالاخبار والآثار ثقة فيما رواه وعني به خير افاد لادينا متواضعا متصاونا مقبلا على ما يعنيه صاحب حظ من الفقه وبصيرا بالمسائل ودعي الى الشورى بقرطبة فابى ومات سنة ٤٣٩ وعابد جده بالباء الموحدة رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الانصاري البلنسي) أخذ القراآت عن جماعة من أهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٥٦ فجاور بمكة وسمع بها وبالاسكندرية من السلفي وعاد الى بلده سنة ٥٧١ وحدث وكان من أهل الصلاح والفضل والورع كثير البر ومفاداة الاسرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد سنة ٥٠٣ ومات سنة ٥٩٨ بمرسية رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي المالكي الحافظ) ولد سنة ٤٧٩ وأخذ الفقه عن القاضي أبي الوليد بن رشد والحديث عن ابن عتاب وروى الموطأ عن أبي بحر سفيان بن العاص بن سفيان وأخذ الادب عن أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الأموي وعن مالك بن عبد الله العتبي وخرج من قرطبة في الفتنة بعد ما درس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه وأصوله وأقام بالاسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال كاني والله بعرابهم قد وصلت الى الاسكندرية ثم سافر الى مصر

سردوس لفرعون عدو الله هامان فلما ابتدأ في حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يجري عليهم الخليج الى تحت قراهم ويعطوه على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى فرعون فلما وضعها بين يديه سأله عنها فاخبره بما فعل فقال انه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم معروفه ولا يرغب فيما في أيديهم ونحن أحق من فعل هذا بعبيده فاردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم ففعل ذلك هامان ورد على أهل كل قرية ما أخذ منهم فليس في الخلجان التي بأرض مصر أكثر عطوفا وعراقيل من خليج سردوس وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذي حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم وذلك ان الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه في البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلي من أرض مصر وقد أخبر الله بذلك عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قال المسعودي) وقد تنازع أهل الملة في تصرف المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف في أوامرهم ونواهيهم

بعد ماروى عنه السلفى وأقام بها مدة ثم قال والله ما بمصر والاسكندرية عتباء ـ دين ثم سافر الى الصعيد وحدث فى قوص بالموطا ثم قال والله ما يصلون الى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد دعضى الى مكة وأقام بها ثم قال وتصل الى هذه البلاد ولا تحج ما أنا الا هربت منه اليه ثم دخل اليمن فلما رآها قال هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجه الى الهند فأدركته وفاته بها سنة ٥٥١ وقيل بل مات بزبيد من مدن اليمن وكان من جلة العلماء الحفاظ متفننا فى المعارف كلها جامعا لها كثير الرواية واسع المعرفة حافل الادب من كبار فقهاء المالكية يتصرف فى علوم شتى حافظا للآداب عارفا بشعراء الاندلس وكان علمه أوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولاحسن ايراد قال ابن نقطة خبرة بكسر الخاء المعجمة وفتح الباء المنقوطة من تحتها باثنتين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى) قال ابن النجار ولد بمرسية سنة ٥٧٠ وقال غيره فى التى قبلها وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ ودخل مصر وسار الى الحجاز ودخل مع قافلة الحاج الى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالنظامية ثم سافر الى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد الى بلاد بغداد وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقى عن منصور بن عبد المنعم الفراوى وبكتاب غريب الحديث للخطابى وقدم الى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسى وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل فى ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بتل الزعقة وكان من الائمة الفضلاء فى جميع فنون العلم من علوم القرآآت والحديث والفقه والخلاف والاصلين والنحو واللغة وله فهم ثاقب وتدقيق فى المعانى مع النظم والنثر المليح وكان زاهدا متورعا حسن الطريقة متدينا كثير العبادة فقيها مجردا متعففا نزه النفس قليل المخالطة لاوقاته طيب الاخلاق متوددا كريم النفس قال ابن النجار ما رأيت فى فنه مثله وكان شافعى المذهب وله كتاب تفسير القرآن سماه رى الظمآن كبير جدا وكتاب الضوابط الكلية فى النحو وتعليق على الموطا وكان مكثرا شيوخا وسماعا وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب فى البلاد التى ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتبا فى سفره اكتفاء بما له من الكتب فى البلد الذى يسافر اليه وكان كريما قال أبو حيان أخبرنى الشرف الجزائرى بتونس انه كان على رحلة وكان ضعيفا فقال له خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط فرفعت ذلك فوجدت تحته أكثر من أربعين دينارا ذهبا فأخذتها قال الجمال اليعمرى أنشدنى لنفسه بالقاهرة

قالوا فلان قد أزال بهاءه * ذاك العذار وكان بدر تمام
فأجبتهم بل زاد نور بهائه * ولذا تضاعف فيه فرط غرامى
استقصرت ألحاظه فتكاتها * فأتى العذار يمدها بسهام

ومن شعره قوله

من كان يرغب فى النجاة فماله * غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره * سبل الغواية والضلالة والردى

ومنهم من رأى ان ذلك جائز على ما يوجبه أحوال الوقت والاصلح للعمال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وحلجانها من المرتفع والمطأطئ ومطأطئ المطأطئ وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته أرضها بعد كونها خربة ومصفاة لمياه الصعيد وهى جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها فقد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته فى هذا الكتاب وكذلك فى تسمية الفيوم فيوما وان ذلك الفيوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على مازعم أهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض موضع الفسطاط فى وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من اسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينقل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران فاتبع

فاتبع كتاب الله والسنن التي * صحت فذاك اذا اتبعت هو الهدى

ودع السؤال بكم وكيف فانه * باب يجر ذوى البصيرة للعمى

الدين ما قال النبي وصحبه * والتابعون ومن مناهجهم قفا

*(ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله البنتي الاندلسى الانصارى) قدم مصر واقام بالقرافة مدة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجه الى الشام فهلك قال الرشيد العطار كان من فضلاء الاندلسيين ونبهائهم ساح فى الارض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلم بألسنة شتى ومن شعره قوله

اذا قل منك السعى فالعزم ناشد * وكل مكان فى مرائك واحد

توجه بصدق واتق المين واقتصد * تحثك رهينات النجاح المقاصد

والبنتي بضم الباء وسكون النون نسبة الى بنت حصن بالاندلس ويقال بونت بزيادة واو *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولانى الباجى ثم الاشبيلى المعروف بابن القوق) سمع بقرطبة من جماعة ورحل الى المشرق سنة ٢٦٦ فسمع بمكة من على بن عبد العزيز وغيره و بمصر من محمد بن عبد الحكم ومن أخيه سعد وكان فقيها فى الرأى حافظا له عاقدا للشروط قال ابن الفرضى كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان خالد بن سعيد قد رحل اليه وسمع منه وكان يقول اذا حدث عنه كان من معادن الصدق توفى سنة ٣٠٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللوشى الطبيب) اشتغل بالطب وبرع فيه وأقام بمصر مدة و بهامات فى عشر الستين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون العذرى القرطبي) رحل سنة ٣٣٧ فدخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجع الى الاندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيد وله فى التكسير كتاب حسن قال صاعد تمهر فى الطب ونبل فيه وأحكم كثيرا من أصوله وعانى صنعة المنطق معاناة صحيحة وكان شيخه فيه أبو سليمان محمد ابن محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى البغدادى وكان قبل أن يتطبب مؤدبا للحساب والهندسة وأخبرنى أبو عثمان سعيد الطليطلى أنه لم يلق فى قرطبة من يلحق محمد بن عبدون فى صناعة الطب ولا يجاريه فى ضبطها وحسن دربته فيها واحكامه لغوامضها رحمه الله تعالى *(ومن الراحلين الى المشرق من أهل الاندلس أبو مروان عبد الملك بن أبى بكر محمد بن مروان بن زهر الايادى الاندلسى) صاحب البيت الشهير بالاندلس رحل المذكور الى المشرق وتطبب به زمانا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم فى علم الطب حتى فاق أهل زمانه ومات فى مدينة دانية رحمه الله تعالى ووالده محمد بن مروان كان عالما بالرأى حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى متقدما فيها متقنا للعلوم فاضلا جامعا للدراية والرواية وتوفى بطلبيرة سنة ٤٢٢ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من علماء الاندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وأما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفى ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى

الارض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا فى وجهه المسناة الا أن ذلك خفى على ساكنها لان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من اخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والامم التى تداولتها والملوك التى سكنتها من العرب وغيرها الا ما قد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من امر الاسكندر فيها (قال المسعودى) وقد كان احمد بن طولون بمصر بلغه فى سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالى بلاد مصر من ارض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من اهل الملل وانه علامة بمصر وارضها على برها و بحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر فى الارض وتوسط الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه

وكانت بينه وبين ابن الفتح صاحب القلائد عداوة ولذلك ... كتب في شأنه الى أمير المسلمين علي
يوسف بن تاشفين منصورته أطال الله تعالى بقاء الامير الاجل ... الاجل سامعا للنداء داعيا للتطار
والاعتداء ... نضم الله تعالى بلبتك الملك عقدا وجعل ... لك حلالا لاه ووعقدا وأوطار
عتبا وأصار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا الآن ... يكون للبرية حائطا وللعدل فيه
باسطا حتى لا يكون فيهم من تضام ولا ينال أحدهم اهتضام ... ولتقصر يد كل معتد
الصلام وهذا ابن زهر الذي اجرته رسنا وأوضحت له الى الاعتداء ... استطالة سننا لم يتعده
الاضرار الاحيث انتهته ولا عادى على عبده الاحين لم ينهه ... أو نهيته ولما علم أنك

لا تنكر عليه نكرا ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكرا جرى في ميدان اذيته مل عنانه وسرى الى ماشاء بعدوانه ولم يراقب الذي خلقه وأمد في الخطوة عندك طلقه وأنت بذلك مرتهن عند الله تعالى لانه مكنك لئلا يتمكن الجور ولتسكن بك الفلاة والغور فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق وأخفق به كل فريق وقد علمت ان خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور وماتخفى عليه نجواك ولا يستتر عنه تقلبك ومثواك وستقف بين يدي عدل حاكم يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم قد علم كل قضية قضاها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيم تحتج معي لديه اذا وقفت أنا وأنت بين يديه أترى ابن زهر يخيلك في ذلك المقام أو يحميك من الانتقام وقد أوضحت لك الحجة لتقوم عليك الحجة والله سبحانه النصير وهو بكل خلق بصير لا رب غيره والسلام انتهى * وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه في مقدمات بعض اخوانه غريقا

أتاني ورحلي بالعراق عشية * ورحل المطايا قد قطعن بنا نجدا
نعي أطار القلب عن مستقره * وكنت على قصد فأغلطني القصدا

نعوا والله باسق الاخلاق لا يخلف ورموا قلبي بسهم أصاب صميمه فما أخلف لقد سام الردى منه حسنا وجمالا ووسامة وطوى بطيه نجده وتهامه فعطل منه الندى والندى وأثكل فيه الهدى والمدى كم فل السيوف طول قراعه ودل عليه الضيوف موقد ناره ببقاعه وكم تشرف اليه السرير والمنبر وتصرف فيه الثناء والمخبر وكم راع البدر ليلة ابداره وروع العدو في قعر داره وأي فتى غداله البحر ضريحا وأعدى عليه الحين ماء وريحا فبدل من طلل علي ومفاخر بقعر بحر طامي اللجج زاخر وبدل من صهوات الخيل بلهوات اللجج والليل غريق حكى مقلتي في دمعها وأساء نفسي في سمعها وبي حزن لا أستسقي له الغمام فماله قبر تجوده ولا ثرى تروى به تهائمه ونجوده وقد آليت أن لا أودع الريح تحية ولا أوريني هبوبها أريحية فهي التي أثارت من الموج حنقا ومشت عليه خببا وعنقا حتى أعادته كالكثبان وأودعته قضيب بان فيا أسفا الزلال غاص في أجاج واسلسال فاض عليه بحر عجاج وما كان الا جوهرا دأب الى عنصره وبدا فبان عن عين مبصره لقد آن للحسام أن يغمد فلا يشام وللغمام أن تبكيه بكل اراكة وبشام وللعذارى أن لا يحجبهن الخفر والاحتشام نحن في ماذرت الشمس الاضر أو نفع ويبكين من لم يدع فقده في العيش من منتفع فكم نعمنا بدنوه ونسمنا نسيم الانس في رواحه وغدوه واقتنا بروضة موشية

...ـه مكرم وكان قد انفرد ...ن الناس في بنيان هذه وسكر في اعلاه وتدرأى الرابع عشر من ولد ولده فاستمثل بحضرة احمد بن طولون نظر الى رجل دلال الهرم ... ه بينه وشواهد ما في عليه من الدهر ... الخواص ... ليمة والفضية فائدة والعقل صحيح يفهم عن مخاطبه ويحسن البيان بالجواب عن نفسه فاسكنه بعض مقاصيره ومهد له وحمل اليه ... كل والمشارب في ان لا يتوامأ على شيء ان لا يتغذى الا بغذاء كان حمله معه من كعك وغير وقال هذه بنية قوامها بما ترون من هذا الغذاء وهذا الملبس فان انتم سمتموها النقلة عن هذه العادة وتناول ما او ردتموه عليها من المآكل والمشارب والملابس كان ذلك سبب انحلال هذه البنية وتفريق هذه الصورة فترك على ما كان عليه وما جرت به عادته واحضر له احمد بن طولون من حضره من اهل الديار وصرف همته عليه واخلى نفسه له في ليال وايام كثيرة يسمع كلامه وايراداته وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط فقال كانت ارضا لم يكن بمصر ووقفنا

ووقفنا بالمسرات عشية وأدرناها ذهبا سائلة ونظرناها وهي شائلة لم نرم السهر ولم نشم برقا الا الكأس والزهر ولو غير الحمام زحف اليه بجيشه أو غير البحر رجف به لرجاجه وطيشه لفداه من أسرته كل أروع ان عاجله المكروه تثبطه أوجاءه الشر تأبطه ولكنها المنايا لا تردها الصوارم والاسل ولا تفوتها ذئاب الغضا العسل قد فرقت بين مالك وعقيل وأشرقت بعدهما جذيمة بالحسام الصقيل انتهى وقد عرفنا بالفتح في غير هذا الموضع فليراجع

(رجع الى بيت بني زهر رحمهم الله تعالى) وأما أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر المذكور فهو من ذلك البيت وان كانوا كلهم أعيانا علماء رؤساء حكماء وزراء وقد نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في المطرب من أشعار أهل المغرب كان شيخنا الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العلياء عند أصحاب المغرب مع سمو نسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشد من شعره المشهور قوله

وموسدين على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالني
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني
والخمر تعلم كيف تأخذ ثارها * انى أملت اناءها فأمالني

ثم قال ابن دحية وسألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة قال وبلغتني وفاته آخر سنة ٥٩٥ رحمه الله تعالى انتهى وزعم ابن خلكان ان ابن زهر ألم في الابيات المذكورة بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله

عاقرتهم مشمولة لو سالمت * شرابها ما سميت بعقار
ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب الى أبي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها

حيلة البرء صنعت لعليل * يترجى الحياة أو لعليله
فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيله

ومن شعره رحمه الله تعالى يتشوق ولده صغيرا باشبيلية وهو بمراكش

ولي واحد مثل فرخ القطاة * صغير تخلف قلبي لديه
وافردت عنه فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الي ومني اليه

وأخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني الاندلسي الاصل الفاسي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسني صاحب المغرب رضي الله تعالى عنه ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها أمير المؤمنين

مثلها استواء وطيب تربة وثراوة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا احسن من هذه الارض ولا احسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكها الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين ارض الروم وقد كان بين الاندلس في الموضع الذي يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب عبر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة منقطع خلجانات صغار تجري تحت قناطرها

يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين الى اشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شيء ببيته وحارته فاحتار لذلك وظن أنه نائم وأن ذلك احلام فقيل له ادخل البيت الذي يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذي تشوق اليه يلعب في البيت فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه هكذا هكذا والافلا ومن نظم ابن زهر المذكور حيث شاخ وغلب عليه الشيب

اني نظرت الى المرآة قد جليت * فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شويخا لست أعرفه * وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة * ان الذي أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخي وقد * صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أخي فانه * أدنى وأقرب خلة ووصالا

وقال ابن دحية في حقه ايضا والذي انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النبهاء فيه من خوله واتباعه الموشحات وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق انتهى ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله ما للوله من سكره لا يفيق وهذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الآن ويرون انه من احسن الموشحات ومن موشحاته قوله

سلم الامر للقضا * فهو للنفس انفع
واغتنم حين اقبلا * وجهه بدر تهللا * لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى * ليس بالحسن يرجع
واصطبح بابنة الكروم * من يدي شادن رخيم * حين يفتر عن نظيم
فيه برق قد اومضا * ورحيق مشعشع
انا افديه من رشا * اهيف القد والحشا * سقي الحسن فانتشى
مذ تولى واعرضا * ففؤادي يقطع
من لصب غدا مشوق * ظل في دمعه غريق * حين اموا حمى العقيق
واستقلوا بذي الغضا * اسفي يوم ودعوا
ماترى حين اظعنا * وسرى الركب موهنا * وا كتسى الليل بالسنا
نورهم ذا الذي اضا * ام مع الركب يوشع

وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم وقد عقد من كل جانب حجرا الى حجر طاق وهو مبدأ بحر الروم الاخذ من اوقيانوس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلوا ارضا فأرضا في طول على ممر السنين يرى زيادته اهل كل زمان ويتبينه اهل كل عصر ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التي كانت بين الاندلس وبرطانجة وما وصفت فبين ظاهر عند اهل الاندلس واهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة وربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحو اثني عشر ميلا وعرض واسع وسموق بين فلما مضت لدقلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها فما كان من القرى التي في قرارها غرق وأما التي كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسيمود وغير ذلك مما هي باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبرون بهم واحدا فوق واحد وهي الاكوام ورأيت

ورايت مع هذا موشحا آخر لا ادري هل هو لابن زهر ام لا وهو

فتق المسك بكافور الصباح * ووشت بالروض اعراف الرياح

فاسقنيها قبل نور الفلق * وغناء الورق بين الورق * كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها حين لاح * فلك اللهو وشمس الاصطباح

وغزال سامني بالملق * وبرا جسمي واذكى حرقي * اهيف مذ سل سيف الحدق

قصرت عنه انابيب الرماح * وثنى الذعر مشاهير الصفاح

سار بالدل فؤادي كلفا * وجفون ساحرات وطفا * كلما قلت جوى الحب انطفا

أمرض القلب بأجفان صحاح * وسبى العقل بجد ومراح

يوسفي الحسن عذب المبتسم * دري الوجه ليلي اللمم * عنبري الباس علوي الهمم

غصني القد مهضوم الوشاح * مادري الوصل صابي السماح

قد بالقد فؤادي هيفا * وسبا عقلي لما انعطفا * ليته بالوصل أحيا دنفا

مستطار العقل مقصوص الجناح * ما عليه في هواه من جناح

يا علي أنت نور المقل * جد بوصل منك لي يا أملي * كم أغنيك اذا ما حث لي

طرقت والليل ممدود الجناح * مرحبا بالشمس من غير صباح

(ومنهم أبو الحجاج الساحلي يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن علي الفهري الغرناطي)

قال في الاحاطة صدر من صدور حملة القرآن على وتيرة الفضلاء والصالحين حج ولقي الاشياخ بعد أن قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير وطبقته ومن نظمه يخاطب الوزير ابن الحكيم وقد أصابته حمى تركت على شفته بثورا

حاشاك أن تمرض حاشاكا * قد اشتكى قلبي لما اشتكاكا

ان كنت محموما ضعيف القوى * فانني أحسد حماكا

ما رضيت حماك اذ باشرت * جسمك حتى قبلت فاكا

قال أبو الحجاج رحمه الله تعالى وكتب الي شيخنا محمد بن محمد بن رشيق في الاستدعاء الذي أجازني فيه ولمن ذكر معي

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما * رويت عن الاشياخ في سالف الدهر

وما سمعت أذناي من كل عالم * وما جاد من نظم وما راق من نثر

على شرط أصحاب الحديث وضبطهم * بريء عن التصحيف عار عن النكر

كتبت لهم خطي واسمي محمد * أبو القاسم المكي ما فيه من نكر

وجدي رشيق شاع في الغرب ذكره * وفي الشرق أيضا فادر ان كنت لا تدري

ولي مولد من بعد عشرين حجة * ثمان على الست المئين ابتدا عمري

وبالله توفيقي عليه توكلي * له الحمد في الحالين في العسر واليسر

ومولد أبي الحجاج المذكور سنة ٦٦٢ وتوفي سنة ٧٠٢ رحمه الله تعالى انتهى باختصار

(ومن ارتحل من الاندلس الى المشرق شاعر الاندلس يحيى بن حكم البكري الجياني) الملقب بالغزال لجماله وهو في المائة الثالثة من بني بكر بن وائل قال ابن حيان في المقتبس

الثلاثة التي تسمى أبو الكوم وكان استحكام غرق هذه الارض باجمعها وقد مضى لدقلطيانوس الملك ماثتان واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان الملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من اركان الدنيا ومما اتصل بها من الارض خروق وخنادق وحدابات قد حدت من النيل الى البحر تمنع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها ونار يتها فتحولت ذهبا وقد طبخ الذهب الذي يؤتى به من المعدن خالصا صائغ بالملح والزجاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع هذا الامر الا من لا معرفة له بما وصفنا ولا قارب شيئا مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل في أعاليه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وأرضها وهي نحو الارض التي الليل والنهار بها متساويان طول الدهر

كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرافها عمر أربعا وتسعين سنة ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالاندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الامير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ومن شعره

أدركت بالمصر ملوكا أربعه * وخامسا هذا الذي نحن معه

وله على أسلوب ابن أبي حكيمة راشد بن اسحق الكاتب

خرجت اليك وثوبها مقلوب * ولقلبها طربا اليك وجيب
وكأنها في الدار حين تعرضت * ظبي تعلل بالفلاة رعوب
وتبسمت فأتتك حين تبسمت * بجمان در لم يشنه ثقوب
ودعتك داعية الصبا فتطربت * نفس الى داعي الضلال طروب
حسبتك في حال الغرام كعهدها * في الدار اذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما في نفسها فضممتها * فتساقطت بهنانة رعبوب
وقبضت ذاك الشئ قبضة شاهن * فنزا الى لعضه حلبوب
بيدي الشمال ولا شمال لطاقة * ليست لاخرى والاديب أريب
فأصاب كفي منه حين لمسته * بلل كماء الورد حين يسيب
وتحللت نفسي للذة رشحه * حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه ورعا * ناديته خيرا فليس يجيب
وأبى فخفق في الاباء كأنه * جان يقاد الى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنه * كير تقادم عهده مثقوب
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * قبسا وحان من الظلام ذهوب
ساءلتها حلا أمالك حاجة * عندي فقالت ساخر وحروب
قالت حرامك اذ أردت وداعها * قرن وفيه عوارض وشعوب

وذكرها ابن دحية بمخالفة لما سردناه قال عتبة التاجوجهني الامير الحكم وابنه عبد الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون فلقيته بالعراق فسألني عن هذه القصيدة هل أحفظها للغزال قلت نعم فاستنشدنيها فانشدته اياها فسر بها وكتبها قال عتبة وثلث بها حظا عنده والبهنانة المرأة الطيبة النفس والارج كما في الصحاح وقيل اللينة في منطقها وعلمها وقيل الضحاكة المتهالة والرعوب السبطة البيضاء والسبطة الطويلة وقال سامحه الله تعالى

سالت في النوم أبي آدما * فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم * صلى عليك الملك الخالق
فقال لي ان كان مني ومن * نسلي فحوا أمكم طالق

وقال رضي الله تعالى عنه

أرى أهل اليسار اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وفخرا * على الفقراء حتى في القبور

وهي تحت الموضع الذي عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات وضع في حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبني من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع وأكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسة وعلى أي شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أي شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة وقيل له ما بال هذه الكتابة التي على الاهرام والبرابي لا تقرأ فقال دثر الحكماء

فان

فان يكن التفاضل فى ذراها * فان العدل فيها فى القعور
رضيت بمن تانق فى بناء * فبالغ فيه تصريف الدهور
ألما يبصر واماخربته الدهور من المدائن والقصور
لعمر أبيهم لو أبصروهم * لما عرف الغنى من الفقير
ولاعرفوا العبيد من الموالى * ولاعرفوا الاناث من الذكور
ولامن كان يلبس ثوب صوف * من البدن المباشر للحرير
اذا أكل الثرى هذا وهذا * فما فضل الكبير على الحقير

وقال رضى الله تعالى عنه

لاومن أعمل المطايا اليه * كل من يرتجى اليه نصيبا
ماأرى ههنا من الناس الا * ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أوشبيها بالقط ألقى بعينيه الى فارة يريد الوثوبا

وقال رضى الله تعالى عنه

قالت أحبك قلت كاذبة * غرى بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله * الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك ان الريح نعقدها فتنعقد
أوأن تقولى النار باردة * أوأن تقولى الماء يتقد

وحكى أبو الخطاب بن دحية فى كتاب المطرب ان الغزال ارسل الى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مجتمع الاشد فسالته زوجة الملك يوما عن سنه فقال مداعبا لها عشرون سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا ألم ترى قط مهرا ينتج وهو اشهب فاعجبت بقوله فقال فى ذلك واسم الملكة تود

كلفت ياقلبى هوى متعبا * غالبت منه الضيغم الاغلبا
انى تعلقت مجوسية * تابى لشمس الحسن ان تغربا
اقصى بلاد الله فى حيث لا * يلفى اليه ذاهب مذهبا
ياتود ياورد الشباب الذى * تطلع من ازرارها الكوكبا
يابأبى الشخص الذى لاارى * احلى على قلبى ولا اعذبا
ان قلت يوما ان عينى رات * مشبهه لم اعد أن اكذبا
قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعبا
قلت لها مابا له انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا
فاستضحكت عجبا بقولى لها * وانما قلت لكى تعجبا

قال ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت وأمرته بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب وقال

بكرت تحسن لى سواد خضابى * فكأن ذاك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف * الا كشمس جللت بضباب

وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم وتداول أرض مصر الامم فغلب على أهلها القلم الرومى كاشكال احرف القبط والروم باحرفها على حسب ماولدوه من الكتابة بين الرومى والقبطى الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم فقيل له فمن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر بن حام بن نوح وهم فى انساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم فى الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم فى الجبل الشرقى من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يجلون ماعملوا بالرمل بعد النقر فمنها العمد والقواعد والرؤس التى تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل اسوان أخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ماظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل عن مدينة العقاب فقال هى غربى اهرام بوصير الجيزة وهى على خمسة ايام بلياليها للراكب المجد

تحنى قليلا ثم يقشعها الصبا * فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشيب فانما * هو زهرة الافهام والالباب
فلدى ما تهوين من زهو الصبا * وطلاوة الاخلاق والآداب انتهى

وحكى ابن حيان فى المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحكم المروانى وجه شاعره الغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه ان ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا عنده واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فانكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه أنى قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فانى لم أر قط مثلها وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وانها شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسرت الملكة بقوله وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين الى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوه من الفائدة فقال للترجمان عرفها ان فيه أكبر فائدة وذلك ان الغصن اذا زبر قوى واشتد وغلظ ومادام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا فضحكت وفطنت لتعريضه انتهى ومن شعر الغزال قوله

يا راجيا ود الغوانى ضلة * وفؤاده كلف بهن موكل
ان النساء لكالسروج حقيقة * فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل * ذاك المكان وفاعل ما تفعل
أو منزل المجتاز أصبح غاديا * عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالثمار مباحة أغصانها * تدنو لاول من يمر فياكل
أعط الشبيبة لا أبالك حقها * منها فان نعيمها متحول
واذا سلبت ثيابها لم تنتفع * عند النساء بكل ما تستبدل

وقال

قال لى يحيى وصرنا * بين موج كالجبال
وتولتنا رياح * من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتت عرى تلك الحبال
وتمطى ملك المو * ت الينا عن حيال
فرأينا الموت راى الـعين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا * يا رفيقى رأس مال

ومنها

وسليمى ذات زهد * فى زهيد فى وصال
كلما قلت صلينى * حاسبتنى بالخيال
والكرى قد منعته * مقلتى اخرى الليالى
وهى ادرى فلماذا * دافعتنى بمحال

وسميت المسالك اليها والسمت الذى يؤدى نحوها وذكر ما فيهما من عجائب البنيان والجواهر والاموال والعلة التى لها سميت مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غربى اخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة وذكر من شان هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها وبين أخميم من أرض الصعيد مسيرة ستة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم يستعبد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسى عربية وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن وللنوبة أترج كأكبر ما يكون بأرض الاسلام وملوكهم تزعم انها من حمير وملكهم يستولى على مقرا ونوبة وعلوة و وراء علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفى مملكة هذه الامة يفترق النيل فينشعب منه خليج عظيم ثم يخضر الخليج من بعد انفصاله من النيل و ينحدر الاكثر الى بلاد النوبة وهو لا يتغير فاذا

اترى انا اقتضينا * بعد شيأ من نوال

وله

من ظن ان الدهر ليس يصيبه * بالحادثات فانه مغرور

فالق الزمان مهونا لخطوبه * وانجر حيث يجرك المقدور

واذا تقلبت الامور ولم تدم * فسواء المحزون والمسرور

ش الغزال اربعا وتسعين سنة وتوفي في حدود الخمسين والمائتين سامحه الله تعالى وكان
ال اقزع في هجاء علي بن نافع المعروف بابن زرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن فامر بنفيه
ل العراق وذلك بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون
أحد بشعره فجلس يوما مع جماعة منهم فازروا باهل الاندلس واستهجنوا أشعارهم
كهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله

ولما رأيت الشرب اكدت سماؤهم * تابطت زقي واحتبست عنائي

فلما اتيت الحان ناديت ربه * فثاب خفيف الروح نحو ندائي

قليل هجوع العين الا تعلة * على وجل مني ومن نظرائي

فقلت اذقنيها فلما اذاقها * طرحت عليه ريطتي وردائي

وقلت اعرني بذلة استتر بها * بذلت له فيها طلاق نسائي

فوالله ما برت يميني ولا وفت * له غير اني ضامن بوفائي

فابت الى صحبي ولم الك آيبا * فكل يفديني وحق فدائي

وابا الشعر وذهبوا في مدحهم له فلما افرطوا قال لهم خفضوا عليكم فانه لي فانكروا ذلك
دهم قصيدته التي اولها

تداركت في شرب النبيذ خطائي * وفارقت فيه شيمتي وحيائي

م القصيدة بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه *(وحكى) ان يحيي الغزال أراد أن يعارض سورة
والله أحد فلما رام ذلك أخذته هيبة وحالة لم يعرفها فاناب الى الله فعاد الى حاله *(وحكى)
اس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة و يأخذ عنه أدباؤها
عليهم قصيدته التي أولها

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

انتهى القارئ الى قوله

تجاف عن الدنيا فما لمعجز * ولا عاجز الا الذي خط بالقلم

ه الغزال وكان في الحلقة وهو اذ ذاك حدث نظام متادب ذكي القريحة أيها
وما الذي يصنع مفعل مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت أقول فليس لعاجز
زم فقال له عباس والله يا بني لقد طلبها عمك فاوجدها وأنشد يوما قوله من قصيدة

بقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشى * بكفي حتى آب خاويه من بقري

ه بكر بن عيسى الشاعر أما والله يا أبا العلى لئن كنت بقرت الحشى لقد وسخت يديك
وملاتهما بدمه وخبثت نفسك بنتنه وحشمت أنفك بعرفه فاستحيا عباس

في بعض الازمنة انفصل الاكثر من الماء في ذلك الخليج وابيض الاكثر واخضر الاقل فدشق ذلك الخليج أودية وخلجان واعماق مانوسة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك ساحل الزنج ومصبه في بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وبحر اللاهون فذكر كلاما طويلا في امر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلا الفيوم وكانا البدء في عمارتها وعمارة ارضها وانما كان الماء يأتي الفيوم من المنهى أيام جري النيل ولم يكن بحر اللاهون بني وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بني اللاهون على ما هو اليوم عليه و يقال ان يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بناه أيام العزيز ودبر من امر الفيوم ما هو اليوم قائم بين من الخليج المرتفعة المطاطئة وهو خليج فوق خليج فوق خليج وهي القنطرة المعروفة بسفونه واقام العمود الذي في وسط الفيوم وهو غائص في الارض لا يدرك منتهاه منها وهو احد عجائب الدنيا مربع الشكل تدجهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى في الارض حفرا فلم يثبت لهم ذلك وغلبهم الماء وعجزهم ورأس هذا العمود مساو الارض المنهى فاين وأما بحر

وأختم عن جوابه * (ومنهم الشهير بالمغارب والمشارق المحلي بجواهره صدور المهارق أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي) متمم كتاب المغرب في أخبار المغرب قال فيه وأنا أعتذر في ايراد ترجمتي هنا بما اعتذر به ابن الامام في كتاب سمط الجمان وبما اعتذر به الحجاري في كتاب المسهب وابن القطاع في الدرة الخطيرة وغيرهم من العلماء فمن نظمه عند ما ورد الديار المصرية

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى * ما بينها وجهاً لمن أدريه
عودي على بدئي ضلالاً بينهم * حتى كأني من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت ألحاظه * في عالم ليسوا له بشبيه
ان عادلي وطني اعترفت بحقه * ان التغرب ضاع عمري فيه

وله من قصيدة يمدح ملك افريقية أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي جعفر

الافق طلق والنسيم رخاء * والروض وشت برده الانداء
والنهر قد مالت عليه غصونه * فكأنما هو مقلة وطفاء
وبدا نثار الجلنار بصفحه * فكأنما هو حية رقطاء
والشمس قد رقمت طرازاً فوقه * فكأنما هي حلة زرقاء
فأدر كؤوسك كي يتم لك المنى * واسمع الى ما قالت الورقاء
تدعوك حي على الصبوح فلا تنم * فعلى المنام لدى الصباح عفاء

وله

لم جفاني ورمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت قائل
لا شفى الله لحظه من سقام * وأراني عذاره وهو سائل

وله من قصيدة كتب بها الى ملك سبتة الموفق أبي العباس أحمد بن أبي الفضل الينشتي شافعاً لشخص رغب في خدمته

بالعدل قمت وبالسماح فمن وجد * لا فارقتك كفاية وعطاء
ما كل من طلب السعادة نالها * وطلاب ما يأبى القضاء شقاء

ومنها

وقد استطار بأسطري نحو الندى * من أنهضته نحوك العلياء
طلب النباهة في ذراك فناله * الا لديك تأمل ورجاء
وهو الذي بعد التجارب أحمدت * أحواله وجرى عليه ثناء
لا يقرب الدنس المريب كواصل * هجرته خوفاً أن يشان الراء
قد مارس الحرب الزبون زمانه * وجرت عليه شدة ورخاء
وعلاك تقضي أن يسود بأفقها * لا غرو أن يعلى الشهاب بهاء

وقوله من قصيدة

ألف التغرب والتوحش مثل ما * ألف التوحش والنفور ظباء
صحابه ألفوا التجهم والجفا * فهم لكل أخي هدى أعداء

الحجر الذي فيما بين الفرش الى ناحية اللاهون واللاهون هي القرية

اللاهون فان من سطح بعض نهايته فيما من السطح الى القرية ستون ذراعاً وربما قل الماء في المنهى وظهر بعض الدرج وفي حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفيما بين سطح الحجر الذي ما بين القبتين وبين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء الفيوم بدوب الحجر وجهات الاسفالة وهي القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء الحجر أيام سده قبالة تقدير ببناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفي الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذي يبقى على وجه الارض لا يتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة أتقن وفي السعود نصب وقد ذكر كثير من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحي والله أعلم ولم تزل سلوك الارض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا الموضع فتأملته لما قدمني اليها من أخباره وسار في الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه

وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأي اليعقوبية فأمر أحمد بن طولون في مهما

مهما ايرم طلب اليه تبفربا * بعدت بذاك البدرعنه سماء
لكنني مازلت أخدع حاجبا * ومراقبا حتى ألان حباء
والارض لم تظهر مجحد بذتها * حتى حبتها الديمة الوطفاء

يل وهذا معنى لم يسمع من غيره وقوله فى خسوف البدر

شان الخسوف البدر بعد جماله * فكأنه ماء عليه غثاء
أو مثل مرآة تخود قد قضت * نظرا بها فعلا الجلاء غثاء

وله من قصيدة عتاب يقول فيها

ولقد كسبت بكم علا لكنها * صارت باقوال الوشاة هباء
فغدوت مابين الصحابة أجربا * كل يحاذر منى الاعداء
ولقد ارى ان النجوم تقل لى * حجبا واصغر أن أحل سماء
فايهجروا هجر الفطيم لدره * ويساعدوا الزمن الخؤن جفاء
فلقد شكوت لهم احالة ودهم * اذلم أكن أرضى بهم خدماء
ايه فذكرهم أقل واغا * أومى اليك فتفهم الايماء
لولم يكن قيدلما فتكت ظبا * أنت الذى صيرتهم أعداء
ولواننى أرجوار تجاعك لم أطل * شكوى ولم استبعد الاغضاء
لكن رايتك لاتميل محبة * نحوى ولاتتكاف الاصغاء
ان لم يكن عطف فنوابالنوى * ان الكريم اذا اهين تناءى

وقوله

ولكم سرينا فى متون ضوامر * تثنى أعنتها من الخيلاء
من ادهم كالليل جل بالضحى * فنشق غرته عن ابن ذكاء
اواشهب يحكى غدائر اشيب * خلعت عليه الشهب فضل رداء
اواشقر قدغقته بشعلة * كالمزج ثار بصفحة الصهباء
اواصفر قدزينته غرة * حتى بدا كالشمعة الصفراء
طارت ولكن لايهاض جناحها * هبت ولكن لم تكن برخاء

وقوله من ابيات فى اقتضاض بكر

وخريدة ماان رأيت مثالها * حيث من الالحاظ بالايماء
فسالتها سمع الشكاة فأفهمت * ان الرقيب جهينة الانباء
وتبعتها وسالت منها قبلة * فى خلوة من اعين الرقباء
فثنت على قوامها بتعانق * أحيا فؤادا مات بالبرحاء
ووجدتها لما ملكت عنانها * عذراء مثل الدرة العذراء
جاءت الى كوردة محمرة * فتركتها كعرارة صفراء
وسلبتها اما احمر منها صفوه * يجرى مذابا مجمع الرجاءى

وقوله من أبيات

أحبابنا عودوا علينا عودة * مامنكم بعد التفرق مرغب

ض الايام وقد أحضر مجلسه بعض أهل النظر أن يساله عن الدليل على صحة دين النصرانية فساله عن ذلك فقال دليلى على صحتها وجودى اياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها لانظر يقويها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التامل لها والفحص عنها ورأيت مع ذلك أمما كثيرة وملوكا عظيمة ذوى معرفة وحس قد انقادوا اليها وتدينوا بها فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بها مع ماذكرت من تناقضها فى العقل الا لدلائل شاهدوها وآيات علموها ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدين بها قال له السائل وما التضاد الذى فيها فقال وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووصفهم الاقانيم والجوهر ... وهل الافا... قادرة عالمة أم لا وفى اتحاد ربهم القديم بالانسان المحدث وماجرى فى ولادته وقتله وصلبه وهل فى التشنيع أكبر وأفحش من اله صلب وبصق فى وجهه ووضع على رأسه الاكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنباه وطلب الماء فسقى الخل فى بطيخ الحنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا

كذا أداريكم بنفسي جاهدا * وكلما أرضيكم كي تغضبوا
وأزيد بعدا ما اقتربت اليكم * كالسهم أبعد ما يرى اذ يقرب
وأجوب نحوكم المنازل جاهدا * ومع اجتهادي فاتني ما أطلب
كالبدر أقطع منزلا في منزل * فاذا انتهيت الى ذراكم أغرب

وقوله من أبيات

سألتك يا من يستلان فيصعب * ومن يترضى الحياة فيغضب
أما خدك البدر المنير فلم غدت * تحل به ضد القضية عقرب

وقوله وقد داعبه أحد الفقهاء وسرق سكينه من حرز

أيا سارقا ملك المصون ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان يعد الصواب كتاب

وقوله في تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب

أنا لون الشباب والخال أهديت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني أيوب لا زال في المعالي شهابا
جئت ملأى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني أريج عرفي خطابا

وقوله من قصيدة

فالحمد لله على ساعة * قد قربتني من علا الصاحب
وليعذر المولى على انني * قد كنت من علياه في جانب
كمن تنى نافله أولا * ثم أتى من بعد بالواجب

وقوله من أبيات

فان كنت في أرض التغرب غاربا * فسوف تراني طالعا فوق غارب
وصمصام عمرو حين فارق كفه * رموه ولا ذنب لحز المضارب
وما عزة الضرغام الا عرينه * ومن مكة سادت لؤي بن غالب

وقوله في فرس أصفر أغر أحل الحلية

وأجرد تبري أثرت به الثرى * وللفجر في خصر الظلام وشاح
له لون ذي عشق وحسن معشق * لذلك فيه ذلة ومراح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح
يقيد طير اللحظ والوحش عندما * يطير به نحو النجاح جناح

وقوله من أبيات

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظرا * وأكره في الابصار من ظلمة اللحد
تصيح بنوح ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى نحت صح البين وانقطع الرجا * كانك من وشك الفراق على وعد

عن مجادلته لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنه فقال طبيب لابن طولون يهودي قد حضر المجلس أياذن لي الامير في مخاطبته قال شأنك فتبل على القبطي مسائلا له فقال له القبطي وما أنت أيها الرجل وما نحلتك قال له يهودي فقال له مجوسي اذا قال له كيف ذلك وهو يهودي قال لانهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات اذ كان في دينهم ان الاخ يتزوج بنت أخيه وعليهم ان يتزوجوا نساء اخوتهم اذا ماتوا فاذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من ان يتزوجها وهذا من اسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل في المجوسية اشنع من هذا فانكر اليهودي ذلك وجحد ان يكون في دينه او يعرفه احد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد الامر ان اليهودي قد تزوج ... ثم ... ابن طولون فقال أيها الامير هؤلاء يزعمون وأشار الى اليهودي أن الله خلق آدم على صورته وعن نبي من انبيائهم سماه قال في كتابه انه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال اني أنا النار المحرقة والحمى الآخذة وأنا الذي آخذ الابناء بذنوب الآباء ثم في توراتهم ان بنات لوط سقينه الخمر حتى

وقوله

وقوله فى غلام جميل الصورة أهدى تفاحة

تاب ما أهديت عن عر * فوعن ريق وخد
حبذا تفاحة قد * أشبهت أوصاف مهدى
بت منها فى سرور * فكان قد بت عندى

وقوله من [illegible] بدة

هذا الذى يهب الدنيا بأجمعها * وبعد ذلك يلقى وهو يعتذر
ان هزه المدح فالاموال فى بدر * والغصن ما هزالا بدد الثمر
فعلت لما بدا لى حسن منظره * لكنه زاد اشرافا هو القمر
متع لحاظك فى وجه بلا ضرر * ان كان شمسا تراها تحتها مطر

وقوله من أبيات

لى جيرة ضنوا على وجاروا * فنبت بى الاوطان والاوطار
ومن العجائب انى مع جورهم * ماقر لى بعد الفراق قرار

وقوله

أنا شاعر أهوى التخلى دون ما * زوج لكيما تخلص الافكار
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا * فى كل حين رزقها أمتار
دعنى أروح طول التغرب خاطرى * حتى أعود يستقر قرار
كم قائل قد ضاع شرخ شبابه * ماضيعته بطالة وعقار
اذلم أزل فى العلم أجهد دائما * حتى تأتت هذه الابكار
مهما أرم من دون زوج لم أكن * كلا وورقى دائما مدرار
واداحت لفرجة هنيتها * لاصيغة ضاعت ولا تذكار

وقوله من قصيدة

ما كنت أحسب أن أضيع وأنت فى الدنيا وأن أمسى غريبا معسرا
أنا مثل سهم سوف يرجع بعدما * أقصاه راميه الجيد ليخبرا

وقوله سامحه الله تعالى

وافى على انما بسيف * والبين ندحان والوداع
فقال شبه فقلت شمس * قدمد من نورها شعاع

وقوله من قصيدة فى ملك اشبيلية الباجى وقد هزم ابن هود

لله فرسان غدت راياتهم * مثل الطيور على عداك تحلق
السمر تقط ماتسطر بيضهم * والنقع يترب والدماء تخلق

وقال ارتجالا بعض زكى الدين بن أبى الاصبع وجمال الدين بن أبى الحسين الجزار المصرى الشاعر ونجم الدين بن اسرائيل الدمشقى بظاهر القاهرة وقد مشى أحدهم على بسيط نرجس

ياواطئ النرجس ماتستحى * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبى الاصبغ مجيزا

سكروزنى بهن وحملن منه وولدن وأن موسى رد على الله الرسالة مرتين حتى انه قد غضب الله عليه وأن هرون صنع العجل الذى عبده بنو اسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا فى ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لا تنسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا نرى فى قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الاول ان الرب الصغير ويسمونه مطاطرون يقوم فى هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول ويلى اذخربت بيتى وأيتمت بنتى فامتى منكسة لا أرفعها حتى آنى بنتى وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ومناقضات واسعة ولهذا القبطى مجالس كثيرة عن أحمد ابن طولون مع جماعة من الفلاسفة والديصانية والثنوية والصابئة والمجوس وعدة من متكلمى الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراده فى كتابنا فى أخبار الزمان

فقلت دعني لم أزل محرجا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ماحضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر وهي الشهيرة الآن بالروضة

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * مناظرها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا * تفجر صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غاية * كزائر مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمد يمينا نحوها وشمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد اعلاما بذلك دالا

وقوله من أبيات في ملك أفريقية وقد جهز ولده الامير أبا يحيى بعسكر

وقد أرسلته نحو الاعادى * كما جردت من غمد حساما

وقوله في قوس

أنا مثل الهلال في طلب النقع سهامي تنقض مثل النجوم
تقصر القضب والقنا عن مجالى * عند رجمي بها لكل رجيم
قد كستها الطيور لما رأتها * كافلات لها برزق عميم

وقوله من أبيات

وأشقر مثل البرق لونا وسرعة * قصدت عليه عارض الجود فانهمى

(ولنذكر ترجمته من الاحاطة ملخصة) فنقول قال لسان الدين على بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ابن كنانة بن قيس بن الحصين العنسى المدلجى من أهل قلعة يحصب غرناطى قلعى سكن تونس أبو الحسن بن سعيد وهذا الرجل وسطى عقد بيته وعلم أهله ودرة قومه المصنف الاديب الرحالة الطرفة الاخبارى العجيب الشأن في التجول في الاقطار ومداخلة الاعيان المتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية أخذ من اعلام اشبيلية كأبي على الشلوبين وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات والمقتطف من أزاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد تاريخ بيته وبلده والموضوعان الغريبان المتعدد الاسفار وهما المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل الينا فلقد حدثني الوزير أبو بكر بن الحكيم انه تخلف كتابا يسمى المرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لايعلم مافيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر في حد من الشبيبة يعجب منه من مثله فيذكر انه خرج مع أبيه الى اشبيلية وفي صحبته سهل بن مالك فجعل سهل ابن مالك يباحثه عن نظمه الى أن أنشده في صفة نهر والنسيم يردده والغصون تميل عليه

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها
لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليها الغصون تقرؤها

وذكرنا جميع ذلك في كتابنا المقالات في أصول الديانات وكان هذا القبطي على ماغني الينا من خبره وصح عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب وأقام عند ابن طولون نحو سنة فاجازه وأعطاه فأبى قبول شئ من ذلك يرده الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات يدل من كلامه على ماذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما في البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وأنها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لايختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من

فطرب

فطرب وأثنى عليه ثم ناب عن أبيه في أعمال الجزيرة ومازج الادباء ودوّن كثيرا من نظمه
ودخل القاهرة فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها وانتهت بهم الفرجة الى صنو نرجس
وكان فيهم أبو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجله فقال أبو الحسن

يا واطئ النرجس ما تستحي * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبي الاصبغ

فقال دعني لم أزل محنقا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق الى مجلس بضفة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله شمامات نرجس فقال في ذلك

من فضل النرجس فهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يراس
اما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته النرجس

ووافق ذلك مماليك الترك وقوفا في الخدمة على عادة المشارقة فطرب الحاضرون ولقي بمصر أيدمر التركي والبهاء زهيرا وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم ورحل صحبة كمال الدين بن القيم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة أولها

جدلي بما تلقى الخيال من الكرى * لابد للضيف الملم من القرى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف وري بمقصوده من أول كلمة وهي قصيدة طويلة فاستجلبه السلطان وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته وأخبره أنه جمع كتابا في الحلى البلادية والعلى العادية المختصة بالمشرق وأخبره أنه سماه المشرق في حلى المشرق وجمع مثله فسماه المغرب في حلى المغرب فقال نعينك بما عندنا من الخزائن ونوصلك الى ما ليس عندنا كخزائن الموصل وبغداد وتصنف لنا فخدم على عادتهم وقال أمر مولاي بذلك انعام وتأنيس ثم قال له السلطان مداعبا ان شعراءنا ملقبون بأسماء الطيور وقد اخترت لك لقبا يليق بحسن صوتك وايرادك للشعر فان كنت ترضى به والا لم نعلم به أحدا غيرنا وهو البلبل فقال قد رضي المملوك يا خوند فتبسم السلطان وقال له أيضا يداعبه اختر واحدة من ثلاث اما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك واما جائزة القصيدة واما حق الاسم فقال يا خوند المملوك مما لا يختلف بعشر لقم لانه مغربي أكول فكيف بثلاث فطرب السلطان وقال هذا مغربي ظريف ثم أتبعه من الدنانير والخلع والتواقيع بالارزاق ما لا يوصف ولقي بحضرته عون الدين العجمي وهو بحر لا ينزفه الدلاء والشهاب التلعفري والتاج بن شقير وابن نجيم الموصلي والشرف بن سليمان الاربلي وطائفة من بني الصاحب ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحاله الى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستمائة في رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة ودخل أرجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد صنف في رحلته مجموعا سماه بالنفحة المسكية في الرحلة المكية وكان نزوله بساحل مدينة أقليبية من أفريقية في احدى جمادى سنة

الماء في الليل فينتهي الى موضع من ازرع ثم يولي عائدا الى الماء فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك شيأ في مسيره كأنه يحدد مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت وو ردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما في اجوافها في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرح له الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبددا مبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فيربو في جوفه ويزداد في انتفاخه فيشق جوفه فيموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره والذنب بخلاف ذلك والجبهة اوسع (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من الشرعيين ان بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن ارض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر وكان له أولاد أربعة مصر بن بيصر وقوف بن بيصر وساح وباح فنزل بموضع يقال له منف وبذلك يسمى الى وقتنا هذا وكان عددهم ثلاثين فسميت بهم كما سميت

مدينة ثمانين من ارض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان وانما نسبت الى عدد سا كنيها ممن كان مع نوح في السفينة

اثنتين وخمسين وستمائة واتصل بخدمة الامير أبى عبدالله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته حدثنى شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه فى آخر عمره وقد أسن لجراءة تخدمه مالية أسندها اليه وقد كان بلاء منه قبل جفوة أعقبها انتشال وعناية فكتب اليه بنظم من جملته لاترعني بالجفا ثانية فرق له وعاد الى حسن النظر اليه الى ان توفى تحت بر وعناية مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستمائة ووفاته بتونس فى حدود خمسة وثمانين وستمائة انتهى باختصار * وذكرت حكاية اجازة بيته فى النرجس وان تقدمت لاتصال الكلام قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الاسفار ونقلت منه قوله من قصيدة يهنى ابن عمه الرئيس أبا عبدالله بن الحسين بقدومه من حركة هوارة

أما واجب أن لايحول وجيب * وقد بعدت دار وحان حبيب
وليس أليف غير ذكر وحسرة * ودمع على من لا برق صبيب
وخفق فؤاد ان هفا البرق خافقا * وشوق كما شاء الهوى ونحيب
ويعذلنى من ليس يعرف ما الهوى * وعذل مشوق فى البكاء عجيب
الاتعس اللوام فى الحب قد عموا * وصموا ودائى ليس منه طبيب
يرومون أن يثنى الملام صبابتى * ولست الى داعى الملام أجيب
وفائى اذا ما غبت عنكم مجدد * وغيرى ذو غدر أوان يغيب
ولو لم يكن منى الوفاء سجية * لكنت لغير ابن الحسين أنيب
سموأل هذا العصر حاتم جوده * مهلبه ان مارسته حروب
فتى سير الامداح شرقا ومغربا * أبو دلف من دونه وخصيب
اذا رقم القرطاس قلت ابن مقلة * وان نظم الاشعار قلت حبيب
وان نثر الاسجاع قلت سمية * وان سرد التاريخ قلت غريب
وما أحرز الصولى آدابه التى * اذا ما تلاها لم يجبه أديب

ومنها

وأما اذا ما الحرب أخمد نارها * ففيه تلظى مارج ولهيب
فكم قارع الابطال فى كل وجهة * نحاها وكم لفت عليه حروب
وكائن له بالغرب من موقف له * حديث اذا يتلى تطير قلوب
عراكش سل عنه تعلم عناءه * وقد ساءهم يوم هناك عصيب
اذا ما انثنى الرمح الطويل كانه * مدر لغصن الخيزران لعوب
وان جره أبصرت نجما مجررا * ذؤابته منه الكماة تذوب
يهيم به ما ان يزال معانقا * لدرا كعات ما تحوز كعوب
محمد لاتبعد الذى أنت قادر * عليه وخف عينا علاك تصيب
نفوذ سهام العين أودى بمصعب * وطاح به بعد الشبوب شبيب
ألا فهنيأ أن رجعت لتونس * فاطلعت شمسا والسفار غروب

وكان بيصر بن حام قد كبر سنه فاوصى الى الاكبر من ولده وهو مصر واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جلتهم وأخصبت البلاد وملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من أرض الصعيد طولا ومن ايلة وهى تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة أرباعا وعهد الى الاكبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون فى النسب الى أبيهم قبط ابن مصر وأضيفت المواضع الى ساكنيها وعرفت باسمائهم فهم أشمون وقبط وصا وأتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم فى انسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح الى هذه الغاية ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده أشمون بن مصر

كوا كبها تبدو اذا ما تركتها * وقد جعلت مهما حضرت تغيب
اذا سدت في أرض فغيرك تابع * علاك ومهما ساد فهو مريب

ومنها

كفاني أني استظل بظلكم * ومن هاب ذاك المجد فهو مهيب
فاصلك أصلي والفروع تباينت * بعيد على من رامه وقريب
وحسبي فخرا أن أقول محمد * نسيب علي جل عنه نصيب
تركت جميع الاقربين لقصده * على حين حانت فتنة وخطوب
رأيت به جنات عدن فلم أبل * اذا وصلتنا للخلود شعوب
فقبلت كفا الاعاب بلثمها * وأيدى الايادي لثمهن وجوب
وكيف وليس الرأس كالرجل فرقت * شيات لعمري بيننا وضروب
ولو كان قدري مثل قدرك في العلا * لحق بان يعلو الشباب مشيب
ولولا الذي أسمعت من مكر حاسد * أتاك بقول وهو فيه كذوب
لما كنت محتاجا لقولي آنفا * تخليت من ذنب وجئت أتوب
اذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة * فمن أين لي يا ابن الكرام ذنوب
لقد كنت معتادا ببشر فما الذي * تقلدته حتى يزال قطوب
أأن رفع السلطان سعيي بقربكم * أأخلا عن وردكم وأخيب
م فاحسب ذنبي ذنب صخر بدارها * الى البر عند الخابر بن معيب
وحاشاك من جور علي وانما * أخاطب من أصغوله فيشوب
صحاب هم الداء الدفين فليتني * ولم أدن منهم للذئاب صحوب
كلامهم شهد ولكن فعالهم * كسم له بين الضلوع دبيب
سأرحل عنهم والتجارب لم تدع * بقلبي لهم شيأ عليه أنيب
اذا اغترب الانسان عمن يسوءه * فما هو في الابعاد عنه غريب
فدارك برأب منك ما قد خرقته * ليحسن مني مشهد ومغيب
ولا تستمع قول الوشاة فانما * عدوهم بين الانام نجيب
فياليت أني لم أكن متأدبا * ولم يك لي أصل هناك رسوب
وكنت كبعض الجاهلين محببا * فما أنا الفهم المسلم حبيب
وما ان ضربت الدهر زيدا بعمره * ولم يك لي بين الكرام ضريب
أأشكوك أم أشكو اليك فاعدت * عداتي حتى حان منك ونوب
سأشكر ما أولى وأصبر للذي * توالى على أن العزاء سليب
فدم في سرور ما بقيت فانني * وحقك من ذنب الوشاة كئيب

قال وكان سبب التغير بيني وبين ابن عمي الرئيس المذكور أن ملك أفريقية استوزر لاشغال الموحدين أبا العلى ادريس بن علي بن أبي العلى بن جامع فاشتمل علي وأولاني من البر ما قيدني وأمال قلبي اليه مع تأكيد ما بينه وبين ابن عمي من الصحبة فلم يزل ينهض بي ويرفع أمداحي للملك

(ثم ملك بعده) صا ابن مصر وملك بعده أتريب بن مصر (ثم ملك بعده) ماليق بن دارس (ثم ملك بعده) حرايا بن ماليق (ثم ملك بعده) كالى بن حرايا وأقام في الملك نحوا من مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ له يقال له باليا بن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس ابن باليا نحوا من سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حوريا بنت لوطيس نحوا من ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة أخرى يقال لها ماموم وكثر ولد بيصر ابن حام بأرض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى أن هلك (ثم ملك بعده) الريان ابن الوليد العملاقي وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقي (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقي (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى انه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشام ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر

ويوصل اليه رسائلي منبها على ذلك مرشحا الى أن قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرأ بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه فى ذلك فنبه الوزير على وارتهن فى معانى كنت من كتاب الملك فقلدنى قراءة المظالم المذكورة وسفر الى الوزير عنده فى دار الكاتب المؤخر فانعم بها فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول فقالوا وزوروا من الاقاويل المختلقة ما مال بها حيث مالوا وظهر منه مخايل التغيير فجعلت اداريه وأستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى أن سعى فى تاخير والدى عن الكتب للامير ابى سعد أبى يحيى بن ملك افريقية ثم سعى فى تاخيرى فاخرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم فانفردت بالكتابة للوزير المذكور وفوض الى جميع اموره وأولانى من التانيس ما أنسانى تلك الوحشة ومن العز ما أنقذنى من تلك الذلة

فردعلى العيش بعد ذهابه * وآنسنى بعد انفرادى من الاهل
وقالوا اذا ما الوبل فاتك فاقتنع * بما قد تسنى عندك الآن من طل
ووالله ما نعماه طل وانما * تاديه غيث يجود على المحل
رآنى ظمآ فى الهجيرة ضاحيا * فرق وآوانى الى الماء والظل

ولم أزل عنده فى أسر حال ما لها تكدير الا ما يبلغنى من أن ابن عمى لا يزال يسعى فى حقى بما اخشى مغبته وخفت أن يطول ذلك فيسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير المذكور عنى فرغبت له فى أن يرفع للملك أنى راغب فى السراح الى المشرق برسم الحج

ومن بله الغيث فى بطن واد * وبات ملاياه من السيولا

فلم يسعفنى فى ذلك ولامنى على تخوفى وقلة ثقتى بحمايته فرفعت له هذه القصيدة

هل الهجر الا أن يطول التجنب * ويبعد من قد كان منه التقرب
وتقطع رسل بيننا ورسائل * ويمنع لقيانا نوى وتحجب
ولو أننى أدرى لنفسى زلة * جعلت لكم عذرا ولم الك أعتب
ولكنكم لما ملكتم هجرتم * وذنبتم فى الحب من ليس يذنب
الى الله اشكو غدركم وملالكم * وقلبا له ذاك التعذب يعذب
فلو أنه يجزيكم بفعالكم * لكان له عنكم مراد ومطلب
ولكن أبى أن لا يحن لغيركم * وأن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب
فهلا رعيتم أنه فى ذراكم * غريب وليس الموت الا التغرب
لرمتك لما ان رأيتك كاملا * جمالا واجمالا وذاك يحبب
وانى لاخشى أن يطول اشتكاؤه * لمن ان اتى مكرا فليس يثرب
فلم أسع الا الارتياح وراحة * وغيرى وقد آواه غيرك يتعب
فانت الذى آويتنى ورحمتنى * وذوا رحم الدنيا النارى يحطب
فما مر يوم لا يريد مصيبة * عليك وبالتدبير منك يحبب
وهبه نبو تالا يحيل أماترى * بحر حبال فى الحجارة يرسب
وهبه له سدا فكم أنت حاضر * أحاذر خرقا منه أن يتسببوا

ابن يدمر وكان يعرف بطاما وند أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين خرج فى طلب بنى اسرائيل حين اخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا فى البحر يبسا وانما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشى من بقى بارض مصر من الدرارى والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأى وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاده سورا محيطا بجميع البلاد وجعلت عليه المحارس والاجراس والرجال متصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض واثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاورأرضهم من الملوك والبوادى فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل فى ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابى والصور واحكمت آلات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت ما يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت فى هذه البرابى وما

 والحيوان من الحادية والبادية وجعلت ذلك فى أوقات حركات فلكيـة واتصالها بالمؤثرات العلويه وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى فى البرابى من الابل وغيرها فتعور ما فى ذلك الجيش ويقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ما وردمن جيوش الغرب وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الروم اقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له

ومالى أرى الا الفرار مخلصا * وما راغب فى الضيم من عنه يرغب
فأنهى الى الامر العلى شكيتى * وأن خطوب الدهر نحوى تحطب
ولا تطمعونى فى الذى لست نائلا * فلا أنا مرقوب ولا أنا أشعب
ألا فاقتنـوا بالسراح فانه * لراحة من يشقى لديكم وينصب
سلوا الكاس عن اقندار فاننى * لا تركها هما ودمعى أشرب
ولا أسمع الالحان حين تهزنى * ولو كان نوحا كنت أصبى وأطرب
فديتكم كم ذا اهون بارضكم * أهـذا جزاء للذى يتغرب
أبخل على أن ما سواك يصيح لى * فهل لى مما كدر العيش مهرب
تفلص عنى كل ظل ولم أجد * كما كنت ألفى من أود وأصحب
أود وطمع فى العيش يبقى وحوله * مدى الدهر أفعى لا تزال وعقرب
أجزنى أنجـز بالفرار فانه * وحقك من نعماك عندى يحسب
فلا زلت بالخير الكرام مهنأ * فعيشى منه الموت أشهى وأطيب
وصابك من قد صنت فى حقه دمى * وغيرك من ثوب المروءة يسلب

ولم يزل الوزير لا أزال الله عنه رضاه يحمى جانبى الى أن اصابتنى فيه العين فاصابه الحين

وطيب نفسى أنه مات عندما * تناهى ولم يشمت به كل حاسد
ويحكم فيه كل من كان حاكما * عليه ويعطى الثار كل معاند

وقلت أرثيه

بكت لك حتى الماطلات السواكب * وشقت جيوبا فيك حتى السحائب
فكيف بمن دافعت عنه ومن به * أحاطت وقد بوعدت عنه المصائب
أرى فانظروا دمعى فاكثره دم * ولا تذهبوا عنى فانى ذاهب
وقولوا لمن قد ظل يندب بعده * وفاؤك لو قامت عليك النوائب
لعمرك مالى الارض واف بذمة * أيصمت ادريس وشلى يخاطب
دعونك يا من لا أقوم بشكره * فهل أنت لى بعد الدعاء مجاوب
أيا سيدا قد حال بينى وبينه * تراب حوت ذكراك منه الترائب
لمن أشتكى ان جار بعدك ظالم * على وان نابت جنابى النوائب
لمن أرتجى عند الامير بمنطق * تحف به حولى المنى والمواهب

وهى طويلة ومنها قبيل الختم

وقد كنت أختار الترحل قبل أن * يصيبك سهم للمنية صائب
ولكن قضاء الله من ذا يرده * فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

ومنها وهو آخرها

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * اذا لم تكن فيه على مثالب
وان لم يثب من كنت أرجو انتصاره * عليك فلطف الله نحوى آيب

قال رحمه الله تعالى ولما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثارت تذكرا ما كنت أعهد بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب بردا قشيبا فقلت

هذه مصر فأين المغرب * مذ نأى عني فعيني تسكب
فارقته النفس جهلا إنما * يعرف الشيء إذا ما يذهب
أين حمص أين أيامي بها * بعدها لم ألق شيئا يعجب
كم بعيش لي بها من لذة * حيث للنهر خرير مطرب
وحمام الأيك تشدو حولنا * والمثاني في ذراها تصخب
أي عيش قد قطعناه بها * ذكره من كل نعمى أطيب
ولكم بالمرج لي من لذة * بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواعير التي تذكارها * بالنوى عن مهجتي لا تسلب
ولكم في شنتبوس من منى * قد قضيناه ولا من يعتب
حيث هاتيك الشراجيب التي * كم بها من حسن بدر معصب
وغناء كل ذي فقر له * سامع غصبا ولا من يغضب
بلدة طابت ورب غافر * ليتني ما زلت فيها أذنب
أين حسن النيل من نهر بها * كل نغمات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله * قمر ساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على * شم زهر وكؤوس تشرب
كم ركبناها فلم تجمع بنا * ولكم من جامح إذ يركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد * تعبا منها إذا ما نتعب
قد أثارت عثيرا يشبهه * نثر مسك فوق بسط ينهب
كم أرسلناها أجنحة * من قلاع ظللت منها تعجب
كطيور لم تجدد بالها * فبدا للعين منها مشرب
بل على الخضراء لا تنفك من * زفرة في كل حين تلهب
حث للبحر زئيرا ولها * تبصر الاغصان منه ترهب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا * بحبيب ومدام يسكب
وكأن البحر ثوب أزرق * فيه للبدر طراز مذهب
وإلى الحوز حنيني دائما * وعلى شنيل دمعي صيب
حيث سل النهر عضبا وانثنت * فوقها القضب وغنى الربرب
وتشفت أعين العشاق من * حور عين بالمواضي تحجب
ملعب للهو مذ فارقته * ما ثناني نحوله وملعب
وإلى مالقة يهفو هوى * قلب صب بالنوى لا يقلب
أين أبراج بها قد طالما * حث كاسي في ذراها كوكب

ووضعت من أجله على حسب قولهم في الطباع ٤٥٦ التام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودي) وأخبرني غير واحد من بلاد إخميم من صعيد مصر عن أبي الفيض ذي النون بن ابراهيم المصري الاخميمي الزاهد وكان حكيما وكان له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابي ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فإذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فإذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم انه رأى في آخره كتابة وتبينها في ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب النجم يفعل ما يريد

وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون في الارض ولم يقطع بأن ذلك الطوفان ما هو أنار تأتي على الارض فتحرق ما عليها أو ماء فيغرقها أو سيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها فاتخذت هذه البرابي واحدها بربي ورسمت

حفت الاشجار بشقا حولنا * تارة تنأى وطورا تقرب
جاءت الريح بها ثم انثنت * أتراها حذرت من ترقب
وعلى مرسية أبكى دما * منزل فيه نعيم معشب
مع شمس طلعت فى ناظرى * ثم صارت فى فؤادى تغرب
هذه حالى وأما حالتى * فى ذرى مصر ففكر متعب
سمعت اذنى محالا ليتها * لم تصدق ويحها من يكذب
وكذا الشئ اذا غاب انتهوا * فيه وصفا كى يميل الغيب
ها أنا فيها فريد مهمل * وكلامى ولسانى معرب
وأرى الالحاظ تنبو عندما * أكتب الطرس أفيه عقرب
واذا أحسب فى الديوان لم * يدر كتابهم ما أحسب
وأنادى مغربيا ليتنى * لم أكن للغرب يوما أنسب
نسب يشرك فيه خامل * ونبيه أين منه المهرب
أتراني ليس لى جد له * شهرة أوليس يدرى لى أب
سوف أثنى راجعا لا غربى * بعد ما جربت برق خلب

وقال بقرمونة متشوقا الى غرناطة

أغثنى اذا غنى الحمام المطرب * بكاس بها وسواس فكرى يذهب
وملْ ميلة حتى أعانق أيكة * وألثم ثغرا فيه للصب مشرب
ولم أر مرجانا ودرا خلافه * يطيف به ورد من الشهد اعذب
فديتك من غصن تحمله نقا * تطلع أعلاه صباح وغيهب
وجنته جنات عدن وفى لظى * فؤادى ومالى من ذنوب تعذب
ويعذلنى العذال فيه واننى * لاعصى عليه من يلوم ويعتب
لقد جهلوا اهل عن حياتى أننى * اذا عنفوا أقوالهم وتألبوا
يقولون لى قد صار ذكرك مخلقا * وأصبح كل فى هواه يؤنب
وعرضك مبذول وعقلك تالف * وجسمك مسلوب ومالك ينهب
نقلت لهم عرضى وعقلى والعلا * وفخرى لا أرضى بها حين يغضب
جفون أبت أن لا تلين لعازم * بسحر بآيات الرقى ليس يذهب
فقالوا ألا قد خان عهدك قلت لم * يخن من اذا قربته يتقرب
وكم دونه من صارم ومثقف * فيا من رأى بدرا بهذين يحجب
على أنه يستسهل الصعب عندما * يزور فلا يجدى حمى مترقب
وكم حيلة تترى على اثر حالة * وذو الود من يحتال أو يتسبب
على انه لوخان عهدى لم أزل * له راعيا والرعى للصب أوجب
فأين زمان لم يخنى ساعة * به وهو منى فى التنعم أرغب
ولا فيه من بخل ولا بى قناعة * كلانا بلذات التواصل معجب

فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجرا وفرزت ما يبنى بالطين ما يبنى بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما يبنى من الطين وانحرق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما يبنى بالطين ويبقى ما يبنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين ما هو بالطين وما هو بالحجر وهذا ما قيل والله أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها وملك ينزل عليها فاباد أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض فى كهوف وغيران ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدرى من أى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد فى تلك الروابى

ويارب يوم لا أقوم بشكره * على أنني مازلت أثني وأطنب
على نهر شنيل والقصب حولنا * منابر مازالت بها الطير تخطب
وقد قرعت منه سنابك فضة * خلال رياض بالاصيل تذهب
شربنا عليها قهوة ذهبية * غدت تشرب الالباب أيان تشرب
كأن ياسمينا وسط در تفتحت * أزاهره أيان في الكاس تسكب
اذا ما شربناها النيل مسرة * تبسم عن درلها فتقطب
أتت دونها الاحقاب حتى تخالها * سرابا بآفاق الزجاجة يلعب
نعمنا بها واليوم قد رق برده * الى أن رأينا الشمس عنا تغرب
فقالوا ألا هاتوا السراج فكل من * درى قدر ما في الكاس أقبل يعجب
وقال ألا تدرون ما في كؤسكم * فلا كاس الا وهو في الليل كوكب
كواكب أمست بين شرب ولم نخل * بان النجوم الزهر تدنو وتغرب
ظللنا عليها عاكفين وليلنا * نهار الى أن صاح بالايك مطرب
فلم نثن عن دين الصبوح عناننا * الى أن عدا من ليس يعرف يندب
صرعنا فامسى يحسب السكر قد قضى * علينا وذاك السكر أشهى وأعجب
وكم ليلة في اثر يوم وعذلي * وعذل من يصغي لقولي خيب
فيا ليت ما ولى معاد نعيمه * وأي نعيم عند من يتغرب

قال وقلت باشبيلية ذاكرا الوادي الطلح وهو بشرق اشبيلية ملتف الاشجار كثير مترنم الاطيار وكان المعتمد بن عباد كثيرا ما ينتابه مع رميكته وأولى أنسه ومسرته

سائل بوادي الطلح ريح الصبا * هل سحرت لي في زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * ان نأمن الرسل ولن نكتبا
ياقاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا عنهم مذهبا
ياقاتل الله الذي لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والهم لا يعرف ما طعمه * الا الذي وافى لأن يشربا
فدعني من ذكر الوشاة الالى * لما يزل فكرى بهم ملهبا
واذكر بوادي الطلح عهدا لنا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * وليس الا معجبا مطربا
وخانني من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يعجبا
قد أترع الكاس وحيا بها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذي شئته * يابدر تم مهديا كوكبا
لكنني آليت أسقى بها * أو تودعنها ثغرك الاشنبا
فعج لي في الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا

ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا المتخذة باخميم من صعيد مصر

والجبال من حايهم والبرابي وهو أحدا موص وفين منها والبربا التي ببلاد أخميم والبربا التي ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الداثرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها في الجو نحو من أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعدا دق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم ما ذكرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك وبلوغنا في القدرة وانتهائنا من السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم أيسر من البناء والتفريق أيسر من التأليف وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيره لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام والغرض في كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها لا عن تفصيلها وبسطها

وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حسا في مطافات الارض والممالك وما نمى الينا خبرا من الخواص وأسرار

فقال

فقال ها التى تقولا ولا * تشم الا عرفى الاطيبا
فاقطف بخدى الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أشفقته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهى وذا امرة * حتى تبدى فخلت الحببا
ولم اصن عرضى فى حبه * ولم أطع فيه الذى أنبا
حتى اذا ما قال لى حاسدى * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعرى سحراله * ييسر المرغب والمطلبا
وقال حرفه بانى ساحر تال فاجتنب المكتبا
فزاد فى شوقى له وعده * ولم ازل معتقدا مرقبا
امد طرفى ثم اثنيه من * خوف اخى التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحر لن يكذبا
انى ومن سحره بعدما * ايأس بطأ كاد أن يغضبا
قبلت فى الترب ولم استطع * من حصر الله اسوى مرحبا
هنات ربى اذ غدا هاله * وقلت يامن لم يضع اشعبا
بالله مل معتنقا لاثما * فمال كالغصن ثنته الصبا
وقال ماترغب قلت انشد * ادركت اذكلمتنى المرغبا
فقال لام غب عن ذكرما * ترغبه قلت اذا مركبا
فكان ماكان فوالله ما * ذكرته دهرى أو أغلبا

قال وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حمص ان اكتب بالذهب على تفاحة عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية

انا لون الشباب والخال اهديت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بنى ايوب لا زال فى المعالى مهابا
جئت ملأى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفانى اريج عرفى خطابا

قال ولما انشد ابو عبد الله بن الابار كاتب ملك افريقية لنفسه

لله دولاب يدور كانه * فلك ولكن ما ارتقاه كوكب
هامت به الاحداق لما نادمت * منه الحديقة ساقيا لا يشرب
نصبته فوق النهر أيد قدرت * ترويحه الارواح ساعة ينصب
فكانه وهو الطليق مقيد * وكانه وهو الحبيس مسيب
للماء فيه تصعد وتحدر * كالمزن يستقى البحار ويسكب

حلف أبو عبد الله بن أبى الحسين ابن عمى أن يصنع فى ذلك شيأ فقال

ومحنية الاضلاع تحنو على الثرى * وتسقى نبات الترب در الترائب
تعد من الافلاك أن مياهها * نجوم لرجم المحل ذات ذوائب

بكتاب القضايا والتجارب ولا تمانع بين ذوى الفهم ان فى مواضع من الارض مدنا وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد انطاكية اذا اخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق على يده من ذلك شئ الى أن كسر عمود من الرخام فى بعض المواضع بها فاصيب فى أعلاه حق من نحاس فى داخله بق مصور من نحاس نحو كف فامضت أيام أو على الفور من ذلك حتى صار البق فى وقتنا هذا يعم الا كثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شئ ويدنى منها حجر المغناطيس فيحدث فيها حركة تباعد منه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله فى الحديد واذا غسل بشئ من الخل أو ناله شئ من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وللمغناطيس فى الحديد خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالحجر الماص للدم والله عزوجل قد استأثر بعلم الاشياء وأظهر للعباد ماشاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر

وأعجبها رقص الغصون ذوابلا * تداورن بأمثال السيوف القواضب
ونحن بها والروض ساق وقينة * فما برحا ما بين شاد وشارب
وما حلتها تشكو بتحنانها الصدا * ومن فوق متنيها اطراد المذانب
تخذ من مجاريها ودهمة لونها * بياض العطايا في سواد المطالب

ثم كلفت في أن أقول في ذلك وأنا أعتذر بأن هذين لم يتركا لي ما أقول

وذات حنين لا تزال مطيقة * تئن وتبكي بالدموع السواكب
كأن اليفا بان عنها فأصبحت * بمربعه كالصب بعد الحبائب
اذا ابتسمت فيها الرياض شماتة * ترعها بأمثال القسي القواضب
فكم رقصت أغصانها فرمت لها * نثارا كما بدرت حلى الكواعب
لقد سخطت منها الثغور وأرضت الـ * ـقدود ولم تحفل بتثريب عاتب
شربت على تحنانها ذهبية * ذخيرة كسرى في العصور الذواهب
فهاجت لي الكاس ادكار مغاضب * فهاجيتها وجدا بذاك المغاضب
فلا تدع التبريز في كثرة الهوى * فلولاي كانت فيه احدى العجائب

قال وقلت بغرناطة

باكر اللهو ومن شاء عتب * لا يلذ العيش الا بالطرب
ما تواني من رأى الزهر زها * والصبا تمرح في الروض خبب
وشذاه صانه حتى اغتدى * بين أيدي الريح غصنا ينتهب
يا نسيما عطر الأرجاء هل * بعثوا ضمنك ما يشفي الكرب
هم أعلوه وهم يشفونه * لا شفاه الله من ذاك الوصب
خلع الروض عليه زهره * حين وافى من ذرا كم فعل صب
فأبى الاشذاه فانثنى * حاملا من عرفه ما قد غصب
است ذا نكران يشبهكم * من بعثتم غير ذا منه العجب
غالب الأغصان في بدأته * ثم لما زاد أعلته الغلب
فبكى الطل عليها رحمة * أو بكى من وعظ طير قد خطب
كل هذا قد دعاني للتي * ملكت رقي على مر الحقب
قهوة أبسم من عجب لها * عند ما تبسم عجبا عن حبب
حاكت الجمر فلما شعشعت * قلت ما للجمر بالماء التهب
وبدت من كاسها الى فضة * ملئت اذ جمدت ذوب الذهب
استقنيها من يدي مشبهها * بالذي يحويه طرف وشنب
لا جعلت الدهر نقلي غيرما * لذلي من ريق ثغر كالضرب
لا جعلت الدهر ريحاني سوى * ما بخديه من الورد انتقب
لم أزل أقطع دهري هكذا * وكذا أقطع منه المرتقب
حبذا عيش قطعناه لدى * معطف الخابور ما فيه نصب

ولا تقف العقول على كنهها وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها معنى هو

بعضها لم يظهرها لخالقه غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلي عند الصبغ والسبك لذلك وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك وهو المرداسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضا واذا مزج ماء القلي بماء الزاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا في النتاج بين الفرس الانثى والحمار فتحدث بغلا ولو نتج دابة على اتان لخرج منها بغل افطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد مصر مما يلي الحبشة وما كان ينتج من الثيران على الاتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولا بقر كالبغل الذي ليس بدابة ولا حمار وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والاشجار وما تولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب في أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الاشياء ومعرفتها والطلسمات

مع من لم يدر يوما ما الجفا * من أراح الصب فيه من تعب
كل ما يصدر منه حسن * لم يذقني في الهوى مر الغضب
اي عيش سمع الدهر به * كل نعمى ذهبت لما ذهب

قال ودخلت بتونس مع أبي العباس الغساني حماما فنظرنا الى غلمان في نهاية الحسن ونعومة الابدان فقلت مخاطباله

دخلت حماما وقصدي به * تنعيم جسم فغدا الى عذاب
قلت لظلي فاعترضت حوره * وقلت عدن فيها اني النهاب
وأنت في الفضل امام ثكن * في الحكم ممن حاز فصل الخطاب

فقال

لا تأمن الحمام في فعله * فليس ما يأتيه عندي صواب
فما أرى أخدع منه ولا * أكذب الآن يكون السراب
يبدي لك الغيد كحور الدمى * ويلبس الشيخ برود الشباب
ظن به النار فلا جنة * للحسن الا ما حوته الثياب

(ومن فوائده) أعني ابن سعيد رحمه الله تعالى في كتابه المحلى بالاشعار نقلا عن القرطبي قضية بناء الهودج بروضة مصر وهو من منتزهات الخلفاء الفاطميين العظيمة العجيبة البناء البديعة وذلك أنه يقال ان الباني له الخليفة الآمر باحكام الله للبدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه وما زال منتزها للخلفاء من بعده * وقد أكثر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشان كحديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر قد كان بلي بعشق الجواري العربيات وصارت له عيون في البوادي فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزي بداة الاعراب وكان يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك وتحيل حتى عاينها هنالك فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت اليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حيي طليقا آمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصد * لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كأغصان النقا * حيث لا نخشى علينا دركا

فاجابها فقال

بنت عمي والتي غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا

وعجائبها وهو باب كبير في ذكر بعضه نيابة عن بعض والجزء منه يوهمك الكل واليسير منه يدلك على الكثير ويكفي والله أعلم أن تكون هذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة في العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة والجاذبة والفاعلة في الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب كانت دلالة لبعض الانبياء في الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبي دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتنبيه من غيره ليؤدي عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلقه في ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك الشئ وبقيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا في أيدي الناس وأصل ذلك الهي كما وصفنا اذ كان ما ذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع في القدرة (قال المسعودي) فلنرجع الى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز دركوش بن ملوطش (ثم ملك بعده) نورش بن دركوش (ثم ملك بعده) لمس بن نورش نحوا من خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسا بن نورش نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكاكيل وكانت له حروب ومسير في الارض وهو فرعون الاعرج الذي غزا بني اسرائيل وخرب

بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدى ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا

قال ولهذا الناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طيء فى عصر الآمر مراد بن مهلهل فقال وقد بلغته هذه الابيات

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحى حول الرحال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله فطلب فى أحياء العرب فلم يوجد فقيل ما أخسر صفقة طراد باع عدة أبيات بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسين بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة ومدحه ظافر الحداد وأمية أبو الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يرى فى نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة فى عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الآمر فى حمل الجرن اليها فارسل الى ابن حديد فى احضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بحمله فى الهودج فقلق ابن حديد وصارت فى قلبه حرارة من أخذ الجرن فاخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بانواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قيل له عنها هذا القول قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها فى عز غير رد السقية التى قلعت من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه فقيل له قد حصلت فى حد أن خبر تلك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله تعالى أملها وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها فى أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظيم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحى لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليها الاعمال البحرية ووصل الى الثغر وصف له الطبيب دهن الشمع بحضرة القاضى المذكور فأمر فى الحال بعض غلمانه بالمضى الى داره لاحضار دهن الشمع فما كان من أكثر من مسافة الطريق الا وقد أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته فعندما شاهدا القاضى ذلك بالغ فى شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه وكان من جواب المؤتمن وقد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا نظر فى قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر ان قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله تعالى

بن ... (ثم ملك بعده) مرينوس وكانت له حروب كثيرة بالمغرب (ثم ملك بعده) نفاس بن مرينوس ثمانين سنة (ثم ملك بعده) قومس بن نفاس عشرين سنة (ثم ملك بعده) كامل وكانت له حروب مع ملوك المغرب وفى زمانه البختنصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب أرضه وقتل رجاله وسار البختنصر الى المغرب وقد أتينا على أخباره فى كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه باخبار مسير الملوك للارض واخبار مقاماتهم دون ما ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان ومازال أمر البختنصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى ان ملك كسرى أنوشروان فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر فملكوها وغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشام لامر حدث فى دار مملكتهم فغلب الروم على مصر والشام وأشهروا النصرانية فشمل ذلك من بالشام ومصر الى ان أتى الله بالاسلام وكان من أمر

الى

الى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد اكثر الناس يحتاج اليه فاذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة وما نسبة اعيان الدولة وان عظمت احوالهم الى امر الخلافة وابهتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى ان ركب يوم الثلاثاء رابع القعدة سنة ٥٢٤ يريد الهودج وقد كمن له عدة من النزارية على راس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه واثخنوه بالجراحة وحمل فى العشارى الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل ان يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور نقل ذلك كله الحافظ المقريزى رحمه الله تعالى قال النور بن سعيد ومن خطه نقلت لما نزلنا بتل اعفر حين خرجنا من سنجار الى الموصل سالت احد شيوخنا عن والد الشهاب الدين التلعفرى فقال انا ادركته وكان كثير التجول وانشدنى لنفسه فى عيد ادركه فى غير بلده

يبتهج الناس اذا عيدوا * وعند سرائهم أكمد
لانى ابصر احبابهم * ومقلتى محبوبها تفقد

قال وخرج ابنه الشهاب اجول منه شخصا وشعرا واصدق فيما قاله وانشد ابن سعيد للشهاب التلعفرى

لك ثغر كلؤلؤ فى عقيق * ورضاب كالشهد او كالرحيق
وجفون لم يمتشق سيفها الا مغرى بقدك الممشوق
تهت عجبا بكل فن من الحسن جليل وكل معنى دقيق
وتفردت بالجمال الذى خلاك مستوحشا بغير رفيق
بالحاظ التى لها لم تزل تر * شق قلبى و بالقوام الرشيق
لا تغر بالغوير اذ تنثنى * فيه اعطاف كل غصن وريق
وائن محمر وردخديك واستر * وآلا ينشق قلب الشقيق

قال ابن سعيد وحظى الشهاب التلعفرى بمنادمة الملوك وكونهم يقدمونه ويقبلون على شعره وعهدى به لا ينشد احد قبله فى مجلس الملك الناصر على كثرة الشعراء وكثرة من يعتنى بهم ولما جمعت للملك الناصر كتاب ملوك الشعر جعلت ملك شعراء الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشده ويترنم به والتشنى من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له مكان بكتاب الغرة الطالعة فى فضلاء المائة السابعة وهو الآن عند الملك المنصور صاحب حماة قد علت سنه وما فارقه غرامه ودنه انتهى ولما اجرى ابن سعيد فى بعض مصنفاته ذكر الملك العادل بن ايوب قال ما نصه وكان من اعظم السلاطين دهاء وحزما وكان يضرب به المثل فى افساد القلوب على اعدائه واصلاح احواله ويحكى انه بشره شخص بان اميرا من امراء الافضل بن صلاح الدين فسد عليه فاعطاه مالا جزيلا وارسل مستخفيا الى المذكور يزيده بصيرة فى الانحراف عن الافضل و يعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ويجود فى مواضع الجود حتى يوصف بالسماح وكان صلاح

ومن كان معه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهو قصبة مصر فى هذا الوقت وكان ملك مصر وهو المقوقس صاحب القبط ينزل اسكندرية فى بعض فصول السنة وفى بعضها مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة الفسطاط ولعمرو بن العاص فى فتح مصر اخبار وما كان بينه و بين المقوقس ونحوه لقصر الشمع وغير ذلك من اخبار مصر والاسكندرية وما كان من حروب المسلمين فى ذلك ودخول عمرو ابن العاص الى مصر والاسكندرية فى الجاهلية وما كان من خبره مع الراهب والكرة الذهب التى كانوا يظهرونها للناس فى اعيادهم ووقوعها فى حجر عمرو بن العاص وذلك قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم فقد اتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى اخبار الزمان والكتاب الاوسط (قال المسعودى) والذى اتفقت عليه اهل التواريخ من تباين ما فيها ان عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا ومن ملوك بابل ممن ملك على مصر خمسة ومن ملوك بابل وهم العماليق

الدين وهو السلطان يأخذ برأيه وقدم له احد المصنفين كتابا مصورا فى مكايد الحروب ومنازلة المدن وهو حينئذ على عكا محاصر الفرنج فقال له ما نحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر وكان كثير المداراة والحزم ومن حكاياته فى ذلك ان احد الاشياخ من خواصه قال له يوما وهو على سماطه يأكل يا خوند ما وفيت معى ولا رعيت سابق خدمتى وكلمه بدالة السن وقدم الصحبة قبل الملك فقال لمماليكه انظروا وسطه فحلوا الهميان وقال خذوا الصرة التى فيه فوجدوا صرة فقال افتحوها ففتحوها فاذا فيها ذرور فقال العادل كل من هذا الذرور فتوقف وعلم أنه مطلع على انه سم فقال كيف نسبتنى الى قلة الوفاء وأنا منذ سنين اعلم أنك تريد أن تسمنى بهذا السم وقد جعل لك الملك الفلانى على ذلك عشرة آلاف دينار فلا أنا مكنتك من نفسى ولا أشعرتك انه لا يكون فى ذلك ما لا اخفاء به وتركتك على حالك وأنا مع هذا لا أغير عليك نعمة ثم قال ردوا سمه اليه مكرا انه لا أبقى الله تعالى عليه ان قدر وأبقى على فجعل يقبل الارض ويقول هكذا والله كان وأنا تائب لله تعالى ثم ان الشيخ جدد توبة واستأنف أدبا آخر وخدمة أخرى وكانت هذه الفعلة من احدى عجائب العادل قال وكان كثير المصانعات حتى انه يصوغ الحلى الذى يصلح لنساء الفرنج ويوجهه فى الخفية اليهن حتى يسكن أزواجهن عن الحركة وله فى ذلك مع ملوك الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن أخيه المعز اسمعيل بن طغتكين باليمن وخطب لنفسه بالخلافة وكتب له أن يبايعه ويخطب له فى بلاده كان فى الجماعة من أشار الى النظر فى توجيه عسكر له فى البر والبحر وانفاق الاموال قبل أن يتفاقم أمره فضحك وقال من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه الى كبير مؤنة أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله فى بلاده فضلا عن أن يتطرق فساده لبلادى ثم انه وجه فى السر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم أنتم تعلمون بعقولكم أن هذا لا يسوغ لى فكيف يسوغ له وقد أدخل نفسه فى أمر لا يخرج منه الا بهلاكه فاحذروا ان تهلكوا معه واتعظوا بالآية ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لهذا عقل يدبر به نفسه فكيف يفضل عن تدبير خاصته اليكم ولتعلمن نبأه بعد حين فعند ما وعت أسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه وعادت البلاد للعادل وقال للمشيرين عليه فى أول الامر بتجهيز العسكر قد كفينا مؤنته بأيسر شئ من المال ولو حاولناه بما اشرتم به لم تقم خزائن ملكنا بالبلوغ الى غايته وكان على ما بلغه من عظمة السلطان واتساع الممالك يحكى ما جرى له من زمان خلوه من ذلك ويحب الاستماع لنوادر أنذال العالم واشتهر فى خدمته مساخر أشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة دمشق ومن نوادره الحاضرة منه انه سمعه يوما وهو يقول فى وضوئه اللهم حاسبنى حسابا يسيرا ولا تحاسبنى حسابا عسيرا فقال له يا خوند على أى شئ يحاسبك حسابا عسيرا اذا قال لك أين أموال الخلق التى أخذتها فقل له تراها يا مانتها فى الكرك وكان قد صنع بهذا المعقل الحسرات سميت بذلك لان من رآها يتحسر اذا نظرها ولا يستطيع على شئ منها بحيلة وهى خراب مفروغة من ذهب وفضة تركت بمرأى من الناظرين ليشتهر ذلك فى الآفاق وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم ممن ذكر فى كتاب الاستعداد فى حكايات الاجواد انما هذا كذب مختلق من الوراقين

ومن

الذين ظهروا اليها من بلاد الشام أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام وملكها أناس من الفرس من قبل الاكاسرة وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة وثلثمائة سنة (قال المسعودى) وسألت جماعة من اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبرونى عن معنى ذلك ولا تحصل لى فى لغتهم فيمكن والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة الملوك تلك الاعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغيير الفهلوية وهى الفارسية الاولى الى الفارسية الثانية وكاليونانية الى الرومية وتغير الحميرية وغير ذلك من اللغات ولمصر أخبار عجيبة من الدقائق وما وجد من الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا من جميع أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك ابن مروان فاتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الـ[illegible] فيه كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا

ومن المؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا هم الملوك والاكابر للسخاء وتبذير الاموال فقال خضير ياخوند ولاي شيء ما يكذبون عليك قال ابن سعيد من وقف على حكايات ابي العيناء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية قال ابن سعيد ووجدت الشهاب القوصي قد ذكر السلطان العادل في كتاب المعاجم وابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه وخرج عنه الحديث النبوي عن الحافظ السلفي وتمثل فيه عند وفاته

ألام على بكائي خير ملك * وقل له بكائي بالنجيع
به كان الشباب جميع عمري * ودهري كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤون * له شغف بتفريق الجميع

قال ابن سعيد ودفن العادل بمدرسة العادلية بدمشق وكان انشاها للشافعية وهي في نهاية الحسن وبها خزانة كتب فيها تاريخ ابن عساكر وذيل هذا التاريخ واختصره ابو شامة سمعت عليه منه هنالك ما تيسر ايام اقامتي بدمشق واولاد العادل ملوك البلاد في صدر هذه المائة السابعة منهم الكامل والمعظم والاشرف وهؤلاء الثلاثة اشهر وابا الفضل وحب الفضلاء وقول الشعراء انتهى وقال ابن سعيد في ترجمة الرئيس صفي الدين احمد بن سعيد المردعاني وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق ان من شعره قوله

كيف طابت نفوسكم بفراقي * وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتي وصبابا * تي ووجدي وزفرتي واحتراقي
لرثيتم للمستهام المعنى * ووفيتم بالعهد والميثاق

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس في كتاب تاج المعاجم ووجدت صاحبه الشهاب القوصي قد قال أخبرني بدمشق أنه قد كان عزم على السفر منها الى مصر لامر ضاق به صدره فهتف به هاتف في النوم وأنشده

يا أحمد اقنع بالذي أعطيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
ودع التكاثر في الغنى لمعاشر * أضحوا على جمع الدراهم ولها
واعلم بأن الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فانثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما أمله دون سفر وقال ابن سعيد في ترجمة المنتخب أحمد بن عبد الكريم الدمشقي المعروف بدفترخوان وهو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والاكابر انه كان يقرأ الدفاتر بين يدي العادل بن أيوب وكان يكتب له بالاشعار في المواسم والفصول فينال من خيره وكتب له مرة وقد أظل الشتاء في دمشق فقال

مولاي جاء الشتاء * والكيس منه خلاء
لازال يجري بما تر * تضي علاك القضاء
وكل كاف اليه * يحتاج فيه الثواء

فقال له العادل هذا الضمير الذي في البيت الاول على ماذا يعود فقال بحسب مكارم السلطان ان شئت على الدراهم وان شئت على الدنانير فضحك وقال هات كيسك فاخرج له كيسا يسع قدر مائة دينار فملأه له وقال أظنه كان معدا عندك فقال مثل السلطان من يكون جوده

بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهي بنا الحفر الى قاع باب من الصفر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان ساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لاجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفرة عظيمة في الارض والدلائل المتقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع في النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بانواع من الاحجار والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الاحجار قد اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقيد ذلك بأعمدة الذهب فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فاسرع بعضهم

ووضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس ٤٦٦ تنتهي الى ما هنالك فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان

مضمونا وكتب اليه مرة وقد أملق

انظر الى بعين جودك مرة * فلعل محروم المطالب يرزق

طير الرجاء على علاك محلق * وأظنه سيعود وهو مخلق

فاعطاه جملة دنانير وقال له اشتر بهذه ما تخلق به طير رجائك انتهى وأنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة وهو أبو الحسن علي بن مروان الرباطي الكاتب

أنس أخي الفضل كتاب أنيق * أو صاحب يعني بود وثيق

فان تعيره دون رهن به * تخسره أو تخسر وداد الصديق

وربما تخسر هذا وذا * فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

قال وأجابه المخاطب بهذه الابيات وهو ابن الربيب بنثر نصه مثلك بفيد تجربة قد نفق عليها عمره وضل عن فوائدها غرّ غمر وقد أنفذت رهنا الاسمع باخراجه الا الديك فتفضل بتوجيه الجزء الاول فانا اعلم أنه عندك مثل ولدك قال فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا أخي ان عرضت بولدي فكذلك كنت مع والدي وقد توارثنا العقوق كابرا عن كابر فلئن شاكرا فاني صابر ثم قال ابن سعيد وتعاقم أم ولده فقيده بقيد حديد وقال فيه

لي ولد يا ليته * لم يك عندي يخلق

يجهد في كل الذي * يرغم وهو يعشق

وان أكن قيدته * دمعي عليه مطلق

وذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور كان كثيرا ما يستعير الكتب فاذا طلبت منه فكأنها ما كانت فذكر لبعض أصحابه وهو ابن الربيب المؤرخ أن عنده نسخة جليلة من تاريخ غريب الذي لخص فيه تاريخ الطبري واستدرك عليه ما هو من شرطه وذيل ما حدث بعده فأرسل اليه في استعارتها فكتب اليه يا أخي سدد الله آراءك وجعل عقلك أمامك لا وراءك ما يلزمني من كونك مضيعا أن أكون كذلك والنسخة التي رمت اعارتها هي مونسي اذا وحشني الناس وكاتم سري اذا خانوني فما أعيرها الا بشئ اعلم أنك تتأذى بفقده اذا فقدته من النسخة وأنا الذي أقول

أنس أخي الفضل كتاب انيق * الى آخره وأنشد للكاتب أبي الحسن المذكور

ان ذاك العذار قام بعذري * وفشا بيه للعواذل سري

ما رأينا من قبل ذلك مسكا * صاغ منه الاله هالة بدر

أي آس من حول جنة ورد * ليس منه آس مدى الدهر يبري

ولما اشتد مرضه بين تلمسان وفاس قال هذه الابيات وأوصى أن تكتب على قبره

الا رحم الله حيا دعا * لميت قضى بالفلا نحبه

تمر السوافي على قبره * فتهدي لاحبابه تربه

وليس له عمل يرتجى * ولكنه يرتجي ربه انتهى

*(رجع الى نظم ابن سعيد المترجم به) فنقول وقال لما سار المعظم من حصن كيفا وآل أمره الى الملك ثم القتل والهلك

عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جرآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا سمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا ما وقع على بعض تلك الدرج شئ أو ما سها تهافت من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفيرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحرك وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبر الهم (قال المسعودي) وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض

بلاد مصر وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من ليث

ليت المعظم لم يسر من حصنه * يوما ولا وافى الى أملاكه
ان العناصر اذ رأته مكملا * حسدته فاجتمعت على اهلاكه

* ومما نقلته من ديوانه الذى رتبه على حروف المعجم قوله رحمه الله تعالى وقلت بالقاهرة على على لسان من كلفنى ذلك

شرف الدين أين لى ما السبب * فى انقلاب الدهر لى عند الغضب
فالتدم غضبان أظفر بالمنى * ليس لى فى غيره ذا من أرب
انما ظهرك عندى قبلة * ووضوئى الدهر من ذاك الذنب

وأستغفر الله من قول الكذب قال وقلت باشبيلية

قد جاء نصر الله والفتح * والصبح لما رضيت صبح
فهنئونى بارتجاع المنى * لولا الرضا ما برح البرح
يا أورفا يا غصنا يا نقا * يا ظبية يا الليل يا صبح
يصحو جميع الناس من سكرهم * ولست من سكر كم أصحو
بلغت فيه غاية لم يبن * غايتها التفسير والشرح
وينصح العذال من لى بأن * يعذلنى عن غيك النصح

وقلت باشبيلية

وضح الصبح فأين القدح * يعرف اللذات من يصطبح
ماترى الليل كطرف أدهم * وضياء الفجر فيه وضح
والثرى ديجه در الندى * وعلى الاغصان منه وشح
ومدير الراح لم يعد المنى * كل ما يأتى به مقترح
فى بطاح المرج قد نادمنى * رشا من سكره ينبطح
جعل المسواك ستر اللمى * فكأن قبل فاه قزح
كلما شئت الذى قد شاءه * فتح لى كاسه أفتتح
ما أبالى ان رآنى كاشح * أم رآنى من لديه نصح
هكذا العيش ودع عيش الذى * خاف من نقد اذا يفتضح

وقلت بشريش

طاب الشراب لمعشر * سلبوا المروءة فاستراحوا
لا يعرفون تسترا * السكر عندهم مباح
متهتكون لدى المنى * وفسادهم فيها صلاح
ساقيهم متبذل * هل يمنع الماء القراح
غصن يميل به الصبا * ردته طوع الراح راح
طوع الامانى كل ما * يأتى به فهو اقتراح
ما ان يبالى ان بدا * أن لا يلوح لنا الصباح
مازلت أرشف ثغره * وعليه من عضدى وشاح

بعض الاهرام المهدم ذكرها بان فيه مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فأذن لهم فى حفره وأباحهم استعمال الحيلة فى اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج وأقباء وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرذ والفيروزج والزبرجد ومنها ما وجوهها ذهب ووضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا فى أجوافها رمم بالية وأجسام فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرانى وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب وما بقى من الطلاء متروك فى ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف فى نوع من الانواع التى للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر

والقلب يهفو طائرا * ولعا ولا يخشى افتضاح
ولو اننا نخشاه كا * ن لنا من الظلما جناح
لكننا في عصبة * ما في تهتكهم جناح
لا ينكرون سوى ثقيـل لا يميل به مزاح
أفني الذي قد جمعو * ه الكاس والحدق الملاح

وقلت بمراكش

قم هاتها لاح الصباح * ما العيش الا الاصطباح
مع فتية ما ذنبهم * الا المروءة والسماح
جربتهم فوجدتهم * ما للمنى عنهم براح
تثنيهم نحو الصبا * نقر المثاني والمراح
ما داموا اتخذوا فكا * ن لهم بخدمته اسراح
بل يعرفون مكانه * فله اذا شاء انفساح
هم يتعبون وضيفهم * ما دام عندهم يراح
سالوا يسلون النزيـل وبالرضا منه السراح
يدعونه بأجل ما * يدعى به الحر الصراح
حتى اذا ما بان كدر عيشهم منه انتزاح
بعلى مثالهم يبا * ح لي المدامع والنواح
كرها فقدتهم فما * لي بعد بعدهم ارتياح
لله شوقي ان هفت * من نحو أرضهم الرياح
فهناك قلبي طائر * لهم ومن شوقي جناح

قال وقالت بمدينة ابن السليم في وصف كلب صيد أسود في عنقه بياض

وأدهم دون حلي ظل حالي * كأن ليلا يقلده صباح
يطير وماله ريش ولكن * متى يهفو فاربعه جناح
تكل الطير مهما نازعته * وتحسده اذا مر الرياح
له الالحاظ مهما جاء سلك * ومهما سار فهي له وشاح

وقالت في نيل مصر

يا نيل مصر أين حمص ونهرها * حيث المناظر أنجم تلتاح
في كل شط للنواظر مسرح * تدعو اليه مسارح وبطاح
واذا سبحت فلست أسمع خائفا * ما فيه تياح ولا تمساح

قال وقالت وقد حضرت مع اخوان لي بموضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية وقد مالت الشمس للغروب

رق الأصيل فواصل الاقداحا * واشرب الى وقت الصباح صباحا
وانظر لشمس الافق طائرة وقد * ألقت على صفح الخليج جناحا

الهرم أو من الرخام الاخضر على هيئة الدنم على حسب عباداتهم للتماثيل والصور وعليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من اهل الملة وزعم قوم من ذوي الدراية منهم أن لذلك العلم من حين فقد من الارض اعني أرض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا بنصارى ولم يؤدهم الحفر الا الى ما ذكرنا من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أخبار عجيبة فيما استخرج في أيامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما أصيب في هذه المطالب من القبور والخزائن وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب)

ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو

فاطفر

فاظفر بصفو الافق قبل غروبها * واستنطق المثنى وأحث الراحا
متع جفونك فى الحديقة قبل أن * يكسو الظلام جمالها أمساحا

وقلت برسية

أقلقه وجده فباحا * وزاد تبريحه فناحا
ورام يثنى الدموع لما * جرت فزادت له جماحا
يامن جفا فارفقن عليه * مستعبد الايرى السراحا
يكاد ذا الموت كل حين * لو أنه مات لاستراحا
ينزو اذا ما الرياح هبت * كانه يعشق الرياحا
يسائل الماعن ربوع حمص * لمن نما عرفها وفاحا
كم قد بكى للحمام كيما * يعيره نحوها جناحا

قال وخرجت مرة مع أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الى مرج الفضة بنهر اشبيلية فشاركنا فى هذا الشعر

غيرى يميل الى كلام اللاحى * ويمد راحته لغير الراح
لاسيما والغصن يزهر زهره * ويميل عطف الشارب المرتاح
وتدا ستطار القلب ساجع ايكه * من كل ما أشكوه ليس بصاحى
قد بان عنه جناحه وعياله * من جانح للعجز حلف جناح
بين الرياض وقد غدا فى مأتم * وتخاله قد ظل فى افراح
الغصن يمرح تحته والنهر فى * قصف ترجيه يد الارواح
وكأنما الانسام فوق جنانه * أعلام خز فوق سمر رماح
لا غرو أن قامت عليه أسطر * لما رأته مدرع الكفاح
فاذا تتابع موجه لدفاعه * مالت عليه فظل حلف صياح

قال وقلت بمالقة منشوقا الى الجزيرة الخضراء

يانسيما من نحو تلك النواحى * كيف بالله نور تلك البطاح
اسقتها الغمام ريا فلاحت * فى رداء ومئزر ووشاح
أم جفته فصيرته هشيما * تركته تذروه هوج الرياح
يازمانى بالحاجبية انى * لست من سكر ما سقيت بصاحى
آه مما لقيت بعدك من هم وشوق وغربة وانتزاح
أين قوم ألفتهم فيك لما * قرب الدهر آذنوا بالرواح
تركونى أسير وجد وشوق * مالقلبى من الجوى من سراح
أسلمونى للويل حتى تولوا * وأصاخوا ظلما لقول اللواحى
أعرضوا ثم عرضونى لشوق * ترك القلب مثخنا بجراح
أسهر الليل لست أغفا الصبح * أترى النوم ذاهبا بالصباح
قد بدا يظهر النجوم حليا * وهو من لبسة الصبا فى براح

عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت أن ابنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابنى ما أعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تاخذ منك ما تعطى وتسترجع ما تولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر بتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد أفريقية واقريطش واقاصى بحر

الروم ... على ... بمصر أونيانوس وحمل اليه أيضا من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة

مسبلا ستره منعم بال * وجفوني من سهده في كفاح
أيها الليل لا تؤمل خلودا * عن قريب يمحو ظلامك ماحي
ويلوح الصباح مشرق نور * فيه للمستهام بدء نجاح
ان يوم الفراق بدد شملي * طائر البين بغيم جناح
حالك اللون شبه لونك فاعرف * عن عياني ياشبه طير التراح
واذا مابدا الصباح فمايشبه الالون الخدود الملاح

وقلت بالجزيرة الخضراء

قد رفعت راية الصباح * تدعو الندامى للاصطباح
فبادروا للصبوح اني * قد بعت في غيه صلاحي
ولا تميلوا عن رشف ثغر * وسمع شدو وشرب راح
وأنت يامن يروم نصحي * قد يئس القوم من فلاحي
لست أصغي الى نصيح * ما نهضت بالكؤس راحي

قال وقلت أمدح ملك افريقية وأهنيه بقتل ثائر من زناتة يدعي أنه من نسل يعقوب المنصور

برح بي من ليس عنه براح * ومن رأى قتلي حلالا مباح
من صرح الدمع بحبي له * وما لقلبي عن هواه سراح
ظبي عدمت الصبح مذ صدني * وكيف لا يعدم وهو الصباح
مورد الخد شهي اللمى * منعم الردف جديب الوشاح
تظنه من قلبه جلمدا * ومنه للماء بجفني انسياح
لردفه أضعف من صبه * ولم أزل من لحظه في كفاح
نشوان من ريقته عربدت * أجفانه بالمرهفات الصفاح
فهاأنني خافت مثلما * أنا أسير مثخن بالجراح
ياقاتلي صدا أما تستحي * أن تلزم البخل بارض السماح
من ذا الذي يبخل في تونس * والملح فيها صار عذبا قراح
واصبحت ارجاؤها جنة * مبيضة الابراج خضراء البطاح
لولا ندى يحيي وتدبيره * مابرحت تعبر منها النواح
لكن يداه سحب كلما * حلت بارض حل فيها النجاح
هذا وقد آمن من حلها * وحقها من غربة وانتزاح
كم شتتوا من قبل تدبيره * وحكمت فيهم عوالي الرماح
ياسائرا يرجو بلوغ المنى * با كر ذرى يحيي وقل لا رواح
وحيه بالمدح فهو الذي * يهتز كالهندي حين امتداح
بالشرق والغرب غدا ذكره * يحث من حمد وشكر جناح
ساعده السعد وانحت له الآمال تجري بغير اقتراح

للاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي أول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة في وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة دار صناعة الروم وبها تنشأ المراكب الحربية وبها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبي وأمر الاسكندر الفعلة والصناع ان يديروا بمقاديرهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا على ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد فخفق الاسكندر برأسه وأخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود المأخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل

و يسر الله له ملكه * من غير أن يشهر فيه السلاح
وكل من كان على غيره * ذا منعة أمسى به مستباح
وكم جموح عندما قام بالامر رأى * القهر فخلى الجماح
كف بكف الندى والردى * بها معان وهي خرس فصاح
حتى لقد أحسن من سعده * تجري على ما ترتضيه الرياح
ذو لو اليعقوب فماذا جنى * وابن أبي حمزة ماذا استباح
قد أصبحا من فوق جذعين لا * يؤنسهم غير هبوب الرياح
واسأل عن الداعي الدعي الذي * حاول امرا كان عنه الصراح
أكان من صيره والدا * برعمه أمل فيه فلاح
شكرا لسعد لم يدع فرقة * قد صير الملك كضرب القداح
راموا بلا جاه ولا محتد * ما حزت بالحق فكان افتضاح
زبانة يهنيكم فعلكم * عاجلكم ثائركم باجتياح
كفى ما قدمتم آخرا * والخبر لن يبرح للشر ماح
عهدي به في موكب الملك ما * بينكم نشوان من غير راح
يحسب أن الارض ملك له * وروحه ملك لسمر الرماح
غدا بعز الملك لكنه * أهون مملوك على الارض راح
جاؤا به يمرح في عزه * وهم أزالوا عنه ذاك المراح
توقعوا في القرب منه الردى * من صحبة الاجرب يخشى الصحاح
فأسرعوا نحوك يبغون ما * عودتهم من عطفة والتماح
فغادروه جانبا غدره * لطائر البين عليه نياح
فالحمد لله على كل ما * سنى لك السعد برغم اللواح
مثلك لا ينقد ما شاءه * فلست تأتي الدهر إلا الصلاح
لا زلت في عز وفي سكنة * وفي سرور دائم وانفساح

قال وقلت ببنيونش موضع الفرجة بسبتة

اشرب على بنيونش * بين السواني والبطاح
مع فتية مثل النجو * م لهم اذا مروا جماح
ساقيهم متبذل * لا يمنع الماء القراح
كل يمد يمينه * ما في الذي يأتي جناح
هبوا عليه كما * هبت على الروض الرياح
طوع الاماني كل ما * يأتي به فهو اقتراح
عانقته حتى تركـ * ـت بخصره أثر الوشاح

وقلت باشبيلية

أوجه صبح أم الصباح * ولحظها أم ظبا الصفاح

الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فعجب وقال أردت أمرا وأراد الله غيره ويأبى الله إلا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما أحكم بنيانها وأثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم و يوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان وقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى فأقبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة ينفع في دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع

وبليلة الاسرا حباك وسمى الصديق من اضحى بقولك يسعد
وحباك بالخلق العظيم ومعجز الكلم الذي يهدى به اذ يورد
وبعثت بالقرآن غير معارض * فيه وامسى من نحاه يعدد
فتوالت الاحقاب وهو مبرأ * من ان يكون له مثال يوجد
والكلم بالبديع جال فصل خطابه * والسرج في ضوء الغزالة تهمد
ووطئت لك الارض التي لا زال يو * م الحشر ربك في ذراها يعبد
ونصرت بالرعب الذي لما نزل * يرى كأن ما بين شخصك تفقد
فتى تعرض طامس او جاحد * حرم الهداية فالحسام مجرد
يا من تحير من ذؤابة هاشم * نعم النجار لها ونعم المحتد
لسناك حين بدا بآدم اقبلت * رعيا الاخراه الملائك تسجد
لم استطع حصرا لما اعطيته * فذكرت بعضا واعتذاري منشد
ماذا اقول اذا وصفت محمدا * نفد الكلام ووصفه لا ينفد
فعليك يا خير الخلائق كلها * مني التحية والسلام السرمد

قال وقلت باشبيلية

هل يمنع النهود * ما ابدت الخدود
نعم وكم طعين * بطعنها شهيد
يا ربة الخيا * حفت به السعود
لم تسر الخيا * بل ربقك البرود
لله يا عدولى * ما تكتم البرود
ما زلت فيه أفني * والوجد مستزيد
يا هل ترى زمانا * مضى لنا يعود
لدى الغروس سقت * جنابها العهود
حيث الغصون مالت * كأنها قدود
وزهرها نظيم * كأنه عقود
حمامها تغنى * اعطافها تميد
وبالنسيم شقت * لنهرها برود
فروعه سيوف * وسوره بنود
هناك لم دعتني * الى الورود رود
فنلت كل سؤل * يفنى به الحسود
قضيت فيه عيشا * ما بعده مزيد
اضحى به وامسى * مرنحا اميد
كأنني يزيد * كأنني الوليد
يجري الزمان طوعى * بكل ما أريد

الخمر

رب كل شئ ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤل اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها شئ من المطر وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل

الخمر مملكتي * والخلق لي عبيد
يحق لي اذا ما * أبصرتها تجود
فها انا اذا ما * فقدتها فقيد
يا من يلوم بغيا * العذل لا يفيد
اذا عدمت كاسي * فليس لي وجود

قال وقلت باشبيلية

أوما نظرت الى الحمامة تنشد * والغصن من طرب بها يتأود
ونثاره تلقاه جائزة لها * لما تزل بيد النسيم تبدد
ألتي عليها الطل بردا سابغا * فتناوه طول الزمان يردد
أترى الحمامة من محب مخلص * أولى بشكر حين تغمره يد
فلاثنين عليك ما أثنى باعلى الغصن جنان الهذيل مغرد
كم نعمة لي في جنابك لم أكا * بد جهدها أيان برك يجهد

وقال

أرى العين مني تحسد الاذن كلما * جرت مدحة للعلم والفضل والمجد
أحقق أنباء ولم أر صورة * كتخبيري الاخبار عن جنة الخلد
فمن لي على عيني بلقياك انني * أخذت لها أمنا بدالك من السهد

قال وقلت أمدح ابن عمي وأشكره على ما أذكره

آه مما تكن فيك الجوانح * ودموعي على نوالك سوافح
واشتفاء من العدو مبين * كدر العيش اي عيش لنازح
يا أتم الانام حسنا أما تحسن حتى يتم اطراء مادح
يا زمان الوصال عودا فاني * طوحت بي لما غدرت الطوائح
أين عيش العروس اذ بطح البكر حبيبي ما بين تلك الاباطح
والاماني تترى ولا أحد ينصح اذ لا يصغى الى قول ناصح
وزمان السرور سمع مطيع * ورسول الحبيب غاد ورائح
ولكم ليلة أتاني بلا طيب ولكن بزري بأذكى الروائح
هو طيب وليس يحتاج طيبا * قد كفاه عرف من المسك فائح
مثل عليا محمد لم تكن كسبا ومالا يكون في الطبع فاضح
يا كريما أتى من الجود مالا * كان يدري فوحدته المدائح
وعلا كل ذي علاء وأضحى * نحو ما لا يرومه الناس طامح
قد أتاني احسانك الغمر في اثر سواه فكنت أكمل مادح
فاض بحر النوال منك ولا سا * حل يبدو ولم أزل فيه سابح
حال مثل ما كسوتك في المد * ح تميت العدا ومال وسائح
أورد الورد منطقي كل شهر * حين أضحى طوع البنان مسامح

واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا
على عمد من نحاس وجعل
تحتها صورا وأشكالا
وكتابة وذلك عند انخفاض
درجة من درج الفلك
وقربها من هذا العالم
وعند أصحاب الطلسمات
المنجمين والفلكيين أنه اذا
ارتفع من الفلك درجة
وانخفض أخرى في مدة
يذكرونها من السنين
نحو ستمائة سنة تأتي في
هذا العالم فعل الطلسمات
النافعة المانعة والدافعة
وقد ذكر هذا جماعة من
أصحاب الزيجات والنجوم
وغيرهم من مصنفي الكتب
في هذا المعنى ولهم في ذلك
سر من أسرار الفلك ليس
كتابنا هذا موضعا له
ولغيرهم ممن ذهب الى
أن ذلك للطف قوى
الطبائع التام وغير ذلك
مما قاله الناس ومما ذكرنا
من درج الفلك موجود
في كتب من تأخر من علماء
المنجمين والفلكيين
كأبي معشر البلخي
والخوارزمي ومحمد بن
كثير الفرغاني وما شاء الله
وحبش والمرثدي ومحمد
ابن جابر البتاني في زيجه
الكبير وثابت بن قرة
وغير هؤلاء ممن تكلم في
علوم هيآت الفلك
والنجوم (قال المسعودي)
فاما منارة الاسكندرية فقد ذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عني باخبار بلدهم الى أن الاسكندر بن

لون خد الحبيب حين كسوه * حلة الحسن بالعيون اللوامح
شفق سال بين عينيه صبح * حسنه قيد اللحاظ السوارح
لم أجد فيه من جناح ولكن ثنائى عليك مازال جامح
لك يا ابن الحسين ذكر جميل * صير الكل نحو بابك جانح
قد هدى نحوك الثناء كما يهدى الى الروض باسمات النوافح
فاعذر الناس ان أتوا لك أفوا * جا فكل بقصد فضلك رابح
ماهدتهم اليك الا الامانى * لم تخلهم الا عليك القرائح
قل لذى المفخر الحديث تأخر * ليس مهر فى شأوه مثل قارح
أى أصل وأى فرع أقاما * شرفا ظل للنجوم يناطح
قد حوت مذ جم من الفخر لما * كنت منها ما ليس يحويه شارح
أفق مجد قد زانه منك بدر * فى ظلام الخطوب مازال لائح
بدر تم حفت به هالة من * بيت مجد علا وها الدهر واضح
باسماك أعكه العلم الاعلى بدا بين أنجم الملك رامح
رفع الله للكتابة قدرا * بعدما كابدت توالى الفضائح
يا أعز الانام نفسا وأعلا * همما لا زال أمرك راجح
أين أعداؤك الذين رعى سيفك فيهم فاشبهوا قوم صالح
أفسد الدهر حالهم ليرى حا * لك رغما بمن يناويك طائح
دمت فى عزة وسعد مدى الدهـ * ـر ولازال طائر منك سانح

وابن عمه المذكور قال فى حقه فى المغرب ما ملخصه انه الرئيس الاعلى ذو الفضائل الجمة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس فى سعيد بن خلف وهو الآن قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها وقدمه فى مهماته تقديم الصعدة لسنانها وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صيرهم الملك المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلائد فقد جاء آخرهم محددا مفاخرهم ومن نظمه وقد نزل على من قدم له مشروبا أسود اللون غليظا وخروبا وزبيبا أسود وزبيبا كثير الغصون جاءت به عجوز فى طبق

ويوم نزلنا بعبد العزيز * فلا قدس الله عبد العزيز
سقانا شرابا كلون الهناء * ونقلنا بقرون العنوز
وجاءت عجوز فأهدت لنا * زبيبا كغيلان خد العجوز

انتهى

ونزل السلطان أبو يحيى فى بعض حركاته لموضع فيه نهر وعلى شطه نوار فقال الرئيس أبو عبد الله بن الحسين يصفه أو أمر بذلك

ونهر يرف الزهر فى جنباته * ويثنى النسيم قضبه ويتنطر
يسيل كما عن الصباح بأفقه * والا كما شيم الحسام المجوهر

فيلبش المقدونى هو الذى بناها على حسب ما قدمنا فى بناء المدينة ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هى التى بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته بالاستيلاء على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فاصبعه مشيرة نحوها فاذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على

عليه

عليه ليحيى قبة هل سمعتم * بترصيعة شمس حل فيها غضنفر
فان قلت هذى قبة لعفاتها * فقل ذلك الوادى الذى سال كوثر

وقال أبو عمرو أحمد بن مالك بن سعيد المير اللخمى الشالبى فى ذلك

وأرض من الحصباء بيضاء قد جرت * جداول ماء دونها تتفجر
كما سبحت تبغى الحياة أراقم * على روضة فيها الأقاح المنور
والا كما شقت سبائك فضة * بساطا على حافاته الدر ينثر

وقال أبو على يونس

انظر الى منظر يسبيك منظره * ويزدهيك باذن الله مخبره
ومعجب معجب لاشئ يشبهه * خريرماء غدير تم منهره
كانما فرشت بالدر صفحته * فالماء ينظمه طورا وينثره
كأن حليانه قدت على قدر * بمائها قسم تجرى مقعره
أحل سيدنا المامون قيمته * بجوزه فغدا يزدان جعفره

*(رجع) الى ما كنا فيه من أخبار الرئيس بن الحسين فنقول رأيت بالمغرب آخر كتاب روح السحر من نسخة ملوكية كتبت له أبياتا علق بحفظى منها الآن مانصه

تم روح السحر نسخا فأتى * معجبا باليمن والفخر المعيد
لابى عبد الاله المرتضى * فى ذرا المجد الرئيس بن سعيد

ولم احفظ تمام الأبيات وقال أبو الحسين على بن سعيد كتبت اليه من أبيات بحضرة تونس وقد نقل اليه بعض الحساد ما أوجب تغيره

ومن بعد هذا قد أتيت بزلة * أما حسن أن لا تضيق به صدرا
وعلمك حسبى بالامور فانني * عهدتك تدرى سر أمرى والجهرا
وقد أصلح الله الامور بسعيكم * ونيتكم صلحا على البشر والبشرى
ولم يبق لى الا رضاك فان به * كتبت ولو حرفا أطبت به العمرا
فبقيت كهفا للجميع وموئلا * ولا زلت ما دام الزمان لنا ستر

فكتب الى هذه الابيات وكان متمرضا وبعث الى بما يذكر

أكف الصبا حفت جنى زهر الربا * سؤالك عن مضنى يسامى بك الزهرا
بعثت بمثل الزهر فى مثل صفحة * لذلك ما قلدتها الشذر والدرا
معان لها أعنو وأعنى بها فكم * وقفت عليها العين والسمع والفكرا
فلو عرضت للبحر لم يلفظ الدرا * ولو عارضت هاروت لم ينفث السحرا
أباحسن هنيت ما قد منحته * ضروبا من الآداب تحلى بها الدهرا
ودونك بحرا من ودادى تلاطمت * به زاخرات المد لا يعرف الجزرا
فان خطرت فى جانب منك هفوة * فلا تحسبن أنى أضيق بها صدرا
يزل جواد عند ما يبلغ المدى * ويعثر بالرمث النسيم اذا اسرى
فدع ذا وخذها شائبات قرونها * عروبا بالعروبا جائرا حكمها بكرا

نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم فى مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة فوصل الى الوليد فاخبره أنه من خواص الملك وأنه اراد قتله بموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وانه استوحش منه ورغب فى الاسلام فاسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه ونصح اليه فى دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام

ولوعادرت أوصافها متردما * لشنفت من أشعارها اذن الشعرا
ألا فاحجبها عن صديق معمم * فان قصارى العمر أن يبكي العمرا
ومن كان ذا حر وسل ورقة * فلا يخلون الا على الجمرة الحمرا
قرنت بها صفراء لم يعرف الهوى * ولا ألفت وصلا ولا عرفت هجرا
ولا ضمخت نفح العبير وان غدت * تؤخره لونا وتفضحه نشرا
فان حانها بنت الظليم أطلها * فقد فرش الاذخر من تحتها تبرا
لها نسب بين الثريا أو الثرى * وسل بركاها المزن والغصن النضرا
فشربادها قاوانتشاقاولا ترم * عن البيت فنرا أو تقيم به شهرا

وله فى الخشكلان

هوا لاهلة لكن * تدعونه خشكلانا
فان تفاءلت صحف * تجد حبيبك لانا

انتهى باختصار

وحظى المذكور جدا عند السلطان ملك افريقية أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ولما مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته واختلاف ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر أبى عبد الله المستنصر ممدوح حازم بالمقصورة وقاتل ابن الابار القضاعى سخط على الرئيس بن الحسين المذكور وقبض على دياره وأمواله وصيره كالمحبوس فكتب اليه رقعة يطلب الاجتماع به فى مصلحة للدولة فأحضره وسأله فأخبره بان أباه صنع دارا عظيمة تحت الارض وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه ولم يترك على وجه الارض من له علم بهذا الموضع الذى أودعه نفائس أمواله غيرى وأوصانى أنه اذا انتقل الى جوار ربه اذ توقع أن تقع فتنة بين أقاربه انه اذا انقضت سنة واستقر الامر لاحد من ولدى أو من يتيقن انه يصلح لامور المسلمين فأطلعه على هذه الذخائر فرعما فنيت الاموال بالفتنة فلا يجد القائم بالامر ما يصلح به الدولة اذا تفرغ للتدبير والسياسة ففرح السلطان وبادر الى تلك الدار فرأى ما ملأ عينه وسر قلبه وخرج الرئيس بن الحسين والخيل تجنب أمامه وبدر الاموال بين يديه وأعاده الى أحسن أحواله وجعله وزيرا لديه كما كان أبوه مفوضا أموره اليه وقال السلطان ان من أوجب شكر الله على ان افتتح المال بان أؤدى منه للرعية الذين نهبت دورهم واحترقت فى الفتنة التى كانت بينى وبين أقاربى ما خسروه وأمر بالنداء فيهم وأحضرهم وكل من حلف على شئ قبضه وانصرف وكان السلطان المستنصر المذكور فى بعض متصيداته فكتب لابى عبد الله الرئيس المذكور يأمره باحضار الاجناد لاخذ أرزاقهم بقوله

ليحضر كل ليث ذى سنان * زكا فرعا لاسداء النوال
غدا يوم الخميس فاشغلنا * باسد الوحش عن أسد الرجال

وحكى ان السلطان المذكور عرض مرة أجناده وقيل بل سلم عليه الموحدون يوم عيد بتونس وفيهم شاب وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان عن اسمه وأعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه وازداد حسنا فقال السلطان هذا المصراع * كأنه فكأنما صفحة خده * وسال

دى بها ... راج تحت الارض ونضد لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها الملك الذخائر من العين والورق والجواهر ... فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها فى الهواء ألف ذراع والمرآة على علوها والديادبة جلوس حولها فاذا انظروا الى العدو فى البحر فى ضوء ... المرآة صوتوا بمن قرب منهم وصاحوا ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المرآة فضج الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا انها مكيدة وحيلة فى أمرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينمى الى الوليد وأنه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب فى الليل فى مركب كان قد أعده وواطأ قوما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية فى البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر منه الكركهن والادرك والاشباه ... وقال ان ذلك من الآلات التى كان اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها من

من الحاضرين الاجازة فلم ياتوا بشئ فقال السلطان مجيزا شطره
فتفتحت فيها شقائق جده وهذا من البديع مع ما فيه من التورية والتجنيس ومما نسبه له أبو حيان بسنده اليه

مالى عليك سوى الدموع معين * ان كنت تغدر فى الهوى وتخون
من منجدى غير الدموع وانها * لمغيثة مهما استغاث حزين
الله يعلم أن ما حملتنى * صعب ولكن فى رضاك يهون

وكان للسلطان المذكور سعد يضرب به المثل حتى انه كتب له السلطان صاحب مكة البيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف كما ذكر ذلك ابن خلدون فى تاريخه الكبير وذكر نصها وهى من الغرائب ومن سعده أن الفرنسيس الذى كان أسر بمصر وجعل فى دار ابن لقمان والطواشى صبيح يحرسه لما سرح جاء من أمم النصرانية الى بلاد المسلمين بعالم لم يجتمع قط مثله حتى قيل انهم كانوا ألف ألف فكتب اليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التى منها

قل للفرنسيس اذا جئته * مقالة من ذى لسان فصيح

الى أن قال

دار ابن لقمان على حالها * ومصر مصر والطواشى صبيح

والقصيدة مشهورة فلذلك لم أسردها فصرف الفرنسيس جيوشه الى تونس فكتب اليه بعض أدباء دولة المستنصر

افرنسيس تونس أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فقضى الله سبحانه وتعالى انه مات فى حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلها قط ويقال انه دس اليه سيفا مسموما من سله أثر فيه سمه وقلده رسولا اليه بعد أن جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم ير مثله عند غيره وقال للرسول ان الفرنسيس رجل كثير الطمع ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره وانه سيرى السيف ويكثر النظر اليه فاذا رأيته فعل ذلك فانزعه من عنقك وقبله وقل له هذا هدية منى اليك لان من آدابنا معاملو كنا أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر اليه بالقصد فلابد أن يكون له ويحرم علينا أن نمسكه لان ما أحبه المولى على العبيد حرام وتكرار النظر اليه دليل على حبه له ففرح النصرانى بذلك وأسرع الرسول العود الى سلطانه فسل النصرانى السيف فتمكن فيه السم بالنظر فمات فى الحين وفرج الله تعالى عن المسلمين *(رجع) الى أخبار أبى الحسن على بن سعيد قال ابن العديم فى تاريخ حلب أنشدنى شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشى بالقاهرة فى أبى الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى يشير الى كتاب أبى الحسن الذى جمعه فى محاسن المغرب وسماه المغرب

سعد الغرب وازدهى الشرق عجبا * وابتهاجا بمغرب ابن سعيد
طلعت شمسه من الغرب تجلى * فأقامت قيامة التقييد

أمه ورمت بها فى تلك المواضع من البحر ومنهم من راى ان الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجوهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل عصر فى معدنه برا كان أو بحرا فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معمورا والاكثر مما يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاشياء جشم وقد رأيت كثيرا من أصحاب التلويحات يوصون عنى باعمال الجواهر المشبهة بالمعدنية بحمل هذه الجواهر المعروفة بالاشباد جشم وتتخذ منه الفصوص وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بالباقلمون هى ترى ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون فى المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون من ذلك على حسب الجوهر فى صفائه واختلاف نظر البصر فى ادراكه وتلون هذا النوع من الجوهر أعنى الباقلمون نحو تلون ريش صدور الطواويس فانها تتلون ألوانا مختلفة اذ نابها واجنحتها أعنى الذكور دون الاناث وقد رأيت منها بأرض الهند ألوانا تظهر بحس البصر عند تأملها لا تدرك ولا تحصى ولا تشبه بلون من الالوان لما يتراءى من تموج الالوان فى ريشها ويتأتى ذلك منها لعظم خلقتها وكبر أجسامها وسعة

لم يدع للمؤرخين مقالا * لولا الرواة بيت نشيد
ان تلاه على الحمام تغنت * ما على ذا فى حسنه من مزيد

وأنشد أبو العباس التيفاشي لنفسه فيه

ياطيب الاصل والفرع الزكى كما * يبدو جنى ثمر من أطيب الشجر
ومن خلائقه مثل النسيم اذا * يهفو على الزهر حول النهر فى السحر
ومن محياه والله الشهيد اذا * يبدو الى بصرى أبهى من القمر
أثقلت ظهرى ببر لا أقوم به * لو كنت أتلوه قرآ نام مع السور
أهديت للغرب مجموعا بعالمه * فى قاب قوسين بين السمع والبصر
كأننى الآن قد شاهدت أجمعه * بكل من فيه من بدو ومن حضر
نعم ولاقيت أهل الفضل كلهم * فى مدتى هذه والاعصر الاخر
ان كنت لم أرهم فى الصدر من عمرى * فقد رددت على الصدر من عمرى
وكنت لى واحدا فيهم جميعهم * ما يعجز الله جمع الخلق فى بشر
جزيت أفضل ما يجزى به بشر * مفيد عمر جديد الفضل مبتكر انتهى

ومن نظم أبى الحسن بن سعيد قوله

وعشية بلغت بنا أيدى النوى * منها محاسن جامعات للنخب
فحدائق ما بينهن جداول * وبلابل فوق الغصون لها طرب
والنخل أمثال العرائس لبسها * خز وحليتها قلائد من ذهب

ومن نظمه رحمه الله تعالى فى حلب قوله

حادى العيس كم تنيخ المطايا * سق فروحى من بعدهم فى سياق
حلب انها مقر غرامى * ومرامى وقبلة الاشواق
لا خلا جوسق وبطياس والسعـ * ـدى من كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه يسقى المنى بكاس دهاق
وتغنى طيوره لارتياح * وتثنى غصونه للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * أنجم الافق حولها كالنطاق

وقوله أيضا فى حماة

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل * وتزهى مبان تمنع الواصف الوصفا
يلومون أن أعصى التصون والنهى * بها وأطيع الكاس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاكيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك النواعير شدوها * وأغلبها رقصا وأشبهها عرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها * تهيم بمرآها وتسألها العطفا

وقوله فى وداع ابن عمه وكتب بهما اليه

وداع كما ودعت فصل ربيع * يفض ضلوعى أو يفيض دموعى

ريشها الان للطواويس بارض الهند شانا عجيبا والذى يحمل منها الى أرض الاسلام ويخرج عن أرض الهند فيبيض ويفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لا تختطف أنوار الابصار بادرا كها وانما تشبه بالهندية بالشبه اليسير هذا فى الذكور منها دون الاناث وذلك نحو النارنج والاترج المدور حمل من أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وانطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية الطيبة واللون الحسن الذى يوجد فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة فى أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد فى البحر من عدوهم الان من يدخلها يتيه فيها الا ان يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممارقها وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا

لئن قيل فى بعض يفارق بعضه * فانى قد فارقت منك جميعى

قال فارسل الى احسانا واعتذر ولسان الحال ينشد عنه

أحبك فى البتول وفى أبيها * ولكنى أحبك من بعيد

وقوله وقد أفلت المركب الذى كان فيه من العدو

انظر الى مركبنا منقذا * من العدا من بعد احراز

أفلت منهم بعدما طائرا * كطائر أفلت من بازى

وقال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود افريقية

ومتى جاوزنا حدود مواطن * صحبنا بها الايام طلقا محياها

وما ان تركناها لجهل بقدرها * ولكن ثنت عنا أعنة سعياها

سرينا نحث السير عنها لغيرها * الى أن يمن الله يوما بلقياها

وكان وصوله الاسكندرية فى السابع والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وستمائة * وقال رحمه الله تعالى أخذت مع والدى يوما فى اختلاف مذاهب الناس وانهم لا يسلمون لاحد فى اختياره فقال متى أردت أن يسلم لك أحد فى هذا التأليف أعنى المغرب ولا يعترض أتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك وأنا أضرب لك مثلا يحكى ان رجلا من عقلاء الناس كان له ولد فقال له يوما يا أبى ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ولو سعيت فى مجانبتها سلمت من نقدهم فقال يا بنى انك غر لم تجرب الامور وان رضا الناس غاية لا تدرك وأنا أوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وأنا أتبعك ماشيا فبينما هو كذلك اذ قال رجل انظر ما أقل هذا الغلام بأدب يركب ويمشى ابوه وانظر ما أشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا فقال له انزل أركب أنا وامش انت خلفى فقال شخص آخر انظر هذا الشخص ما أقل شفقته ركب وترك ابنه يمشى فقال له اركب معى فقال شخص أشقاهما الله تعالى انظر كيف ركبا على الحمار وكان فى واحد منهما كفاية فقال له انزل بنا وقدماه وليس عليه راكب فقال شخص لا خفف الله تعالى عنهما انظر كيف تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بنى سمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم من اعتراض الناس على اى حالة كان اعتراضهم انتهى وقال فى اثناء خطبة المغرب ما نصه والحمد لله الذى جعل الادب افضل ما اكتسب وافضل ما انتخب اذ هو ذخر لا يخاف كساده وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر نفاده ولله در القائل

رأيت جميع الكسب يفقده الفتى * ويبقى له اخلاقه والتأدب

اذا حل فى ارض اقام لنفسه * بآدابه قدرا به يتكسب

واوصل نحوه ولعله * الى غيرها عن للنباهة ينسب

وقال فى اثناء الكلام لبعض المغاربة

فأثبت فى كل المواطن همة * الى طلب العلم الذى كان مطرح

وصيرت من قد كان بالنظم جاهلا * يحاوله ثم يجود لك المدح

وقال ايضا فى الخطبة وبعد فهذا كتاب راحة قد تعبت فى جمعه الاسماع والابصار

الى المنارة تاهوا فيها وفيها طرق تؤول الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج وفيها مخارق الى البحر فتهور دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان فى كرسى بها فدا بها ونحن بعد فى هذا الوقت برابط فيه فى الصيف منتوحة المصريين وغيرهم ولبلاد مصر والاسكندرية وبلاد الاندلس ورومية وما فى الشرق واليمن والمغرب اخبار كثيرة فى عجائب البلدان والابنية والآثار وخواص البقاع وما يؤثر فى ساكنيها وقطانها أعرضنا عن ذكرها كما قد أتينا على الاخبار بها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم دوابه وبره وبحره فاغنى ذلك عن اعادة ذكره ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهياكل المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما لم نعلمها بل نذكرها فى الموضع المستحق بها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* ذكر السودان وأنسابهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم وتباينهم فى ديارهم وأخبار ملوكهم * (قال المسعودى) لما تفرق ولد نوح فى الارض سار

والآخر وكل منهم يكمل ما أهمله من قبله اذا انجح القصد وابتدى فيه من سنة ثلاثين وخمسمائة
وانتهى الى غرة سنة احدى واربعين وستمائة قال واول من كان السبب في ابتداء هذا
الكتاب جد والدي عبد الملك بن سعيد وهو اذ ذاك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة
علي بن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ملك البربر الى ان استبد بها سنة تسع وثلاثين
وخمسمائة وقصده في سنة ثلاثين وخمسمائة حافظ الاندلس أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن
الحجاري وصنف له كتاب المسهب في غرائب المغرب في نحو ستة أسفار وابتدأ فيه من
دخول الاندلس الى التاريخ الذي ابتدأه فيه وهو سنة ثلاثين وخمسمائة ثم ثار في خاطر عبد
الملك أن يضيف اليه ما أغفله الحجاري ولعبد الملك ابنان أبو جعفر ومحمد فأضافا اليه
ما تهيأ ولم يزل يزيد الى أن انتهت نوبته لمحمد فاعتنى به أيضا ثم استبد به والدي وكان
[illegible] هذا الشأن و[illegible] من اجتهاده في هذا الكتاب أني أذكره يوما وقد نوه به ابن هود
وهو ملك الاندلس وولاه الجزيرة الخضراء اذ أعلمه شخص ان عند أحد المتقدمين الى [illegible]
بباهة كراريس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تجري عليهم دولة بني عبد
المؤمن فأرسل اليه راغبا في استعارتها فأبى وقال علي يمين أن لا تخرج عن منزلي وقال ان
كانت له حاجة أتى الي برأسه وكان جاهلا فلما سمع والدي ذلك قال لي سر معي اليه فقلت
له ومن يكون هذا حتى تمشي اليه على هذه الصورة فقال اني لا أمشي اليه ولكن أمشي للفضلاء
الذين ضمنت تلك الكراريس أشعارهم وأخبارهم أتراهم لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أنفت
أن أمشي اليهم قلت لا قال فان الاثر ينوب عن العين فمشينا الى منزل الرجل فوالله
ما انفصلنا الا بها بعد ما ضمنا منها الغرض وصرفها اليه والدي وشكره وقال هذه فائدة لم أجدها
عند غيرك فجزاك الله تعالى خيرا ثم انفصل وقال لي المعلم يا بني اني سررت بهذه الفائدة
أكثر من الولاية وان هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها والقلعة التي كان بها بنو سعيد
يعرف بهم فيقال لها قلعة بني سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة استطبرو وعين لها وقال الملاحي
في تاريخه انها تعرف بقلعة يحصب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كان مصنف
الحجاري كتاب المسهب اتصاله بعبد الملك بن سعيد في بني سعيد يقول الحجاري

قوم لهم في فخرهم ۞ شرف الحديث مع القديم
ورثوا الندى والبأس والعليا كريما عن كريم
من كل وضاح به ۞ يجلى دجى الليل البهيم

وكان اول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعيد بن
عمار وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه واخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب
الاندلس آخر دولة بني اميه بالمشرق كتب اليه ان يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني
الداخل للاندلس وكان اذ ذاك اميرا على اليمانية من جند دمشق واعتذر اليه في
محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني اميه من الثار بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر
معاوية رضي الله تعالى عنه وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى عنهما وقال الحجاري
انشدني بكر بن محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين لنفسه فيما يليق بجنسه

ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى صعدوا النيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب
وهم النوبة والحبشة والزنج
وسارت فرقة منهم نحو المغرب
وهم أنواع كثيرة نحو
[illegible]
وكوكو وانجى و[illegible] وغير
ذلك من أنواع الاحباش
[illegible] ثم [illegible]
قصدوا بين المشرق والمغرب
[illegible]
والمذكورون وبربر وغيرهم
من أنواع الزنج وقد
[illegible]
[illegible] بالبحر الحبشي والحبش
البربري وغيرهم من أنواع
السودان واتصالهم في
ديارهم الى بلاد الدهلك
والزنج وغيرهم وهؤلاء
القوم هم أصحاب جلود
النمور والحمير وهي
لباسهم ومن أرضهم تحمل
الى بلاد الاسلام وهي
أكبر ما يكون من
جلود النمور وأحسنها
للسروج وبجزائرهم والاحباش
هو من بين بحر الهند
وان كانت فيه بها
متصلة ومن أرضهم تحمل
الذبل من ظهور السلاحف
وهو الذي يتخذ منه
الأمشاط كالقرون وأكثر
ما يكون الدابة المعروفة
بالزرافة في أرضهم وان
كانت عامة توجد في
أرض النوبة دون سائر
بلاد الاحباش ويذكر [illegible] أن هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة فمنهم من رأى أن نتاج

ان

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
وكل ما أبتغيه دوني * ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذاك من عقله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

ومن نظمه قوله أيضا

الله يعلم أني * أحب كسب المعالي
وانما أتوانى * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واصطفاف الرجال
دع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
فحالهم بانعكاس * فيها وحالي حالي

ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الكاتب الرئيس المجيد أبي العباس أحمد الغساني كاتب ملك افريقية قال بماذا أصفه ولو أن النجوم تصير لي نثرا لما كنت أنصفه وكفاك أني اختبرت الفضلاء من البحر المحيط الى حضرة القاهرة فما رأيت أحسن ولا أفضل عشرة منه ولما فارقته لم أشعر الا برسالته قد وافتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة فريدة منها

ايه أبا الحسن استمع شدوي فقد * يصغي الحمام اذا الحمام ترنما

ثم سرد بعضا من القصيدة وسيأتي قريبا ان شاء الله تعالى بزيادة على ما ذكرته هنا في المغرب *(رجع) وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب المغرب ما نصه أجزت الشيخ القاضي الاجل أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاشي أن يروي عني مصنفي هذا وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من شاء بفهمه واستنامة الى علمه وكذلك أجزت لفتاه النبيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن حطلخ الفارسي الارموي أن يرويه عني ويرويه من شاء وكتبه مصنفه علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد في تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهى وقال في وسيم من أبناء العجم صحبه في الطريق من حلب الى بغداد وكان ظريفا أديبا

لهفي على غصن ذوى * أوقدته لما استوى
ريان من ماء الصبا * ومن المدامع ما ارتوى
لا تعذلوني ان صرفـ * ـت الدهر فيه عن الهوى
لم ضل صاحبه بسحـ * ـر اللحظ منه ولم غوى
أنا لا أفني الدهر فيـ * ـه من الصبابة والجوى
ان الهوى حيا وميـ * ـتا لا يزال به سوى
كم قد نويت به النعيـ * ـم فقدر الله النوى
دار السلام حويت من * كل المحاسن قد حوى
مجموع حسن قد توى * في جنة وبها ثوى

وولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان عام

نتاجها من الابل ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الابل والزرافة وأن النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر وأن الذي أدى الى هذا كتبديل البغال المولدة من الخيل والحمير وتسمى الزرافة بالفارسية اشتركا وقد كانت تهدى الى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بني العباس وولاة مصر وهي دابة طويلة البدن والرقبة قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها وانما الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها وأن في أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى شرائع المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفة في الصور والاشكال منها الزرافة ذات الاظلاف وهي دابة محنية الى خلفها مصبوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في نتاجها وان النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وأن الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم وان ذلك لاتساع أرحام القلاص العربية لحوائج الزمان

عشرة وستمائة وهو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه وقال في المغرب لما عرف بوالده الكاتب الشهير أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما نخصه لولا أنه والدي لاطنبت في ذكره ووفيته من الوصف حق قدره لكن كفاه وصفا ما أثبت له في هذه الترجمة وما له ويجري في أثناء هذا الكتاب وكونه كل من اشتغل بهذا التأليف نهرا وهو بحر واشتهاره في حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا اطناب وله من النظم والنثر ما تضيق الاقلام من كثرته ويستمد القطر من درته ومما شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعا وستين سنة ولم أره يوما تخلى عن مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده حتى ان أيام الاعياد لا يخليها من ذلك ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له يا سيدي أفي هذا اليوم لا تستريح فنظر الي كالمغضب وقال أظنك لا تفلح أبدا أترى الراحة في غير هذا والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب المغرب على غرضي قال فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا أتلذذ بنعيم غير ما أتلذذ به من هذا الشأن ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف الى ما تراه وكان أولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع وفي تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

يا مفنيا عمره في الكأس والوتر * وراعيا في الدجى للانجم الزهر
يبكي حبيبا جفاه أو ينادم من * يهوى لديه كغصن باسم الزهر
منعما بين لذات يحققها * ولا يخلد من خبر ولا سير
وعاذلا لي فيما ظلت أكتبه * يبدي التعجب من صبري ومن فكري
يقول ما لك قد أفنيت عمرك في * حبر وطرس عن الاغصان والحبر
وظلت تسهر طول الليل في تعب * ولا تني أمد الايام في ضجر
أقصر فاني أدرى بالذي طمحت * لأفقه همتي واسأل عن الاثر
واسمع لقول الذي تتلى محاسنه * من بعد ما صار مثل الترب كالسور
جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير انتهى

وولد أبو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة وتوفي بثغر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين وستمائة وولد أبو محمد بن عبد الملك صاحب أعمال غرناطة وأعمال اشبيلية عام أربعة عشر وخمسمائة وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا بعيد الصيت عالي الذكر رفيع الهمة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه تاريخ الموحدين ونبه على مكانته منهم في الحظوة والاخذ في أمور الناس وأثنى عليه وذكره السهيلي في شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وان محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش مكرما مفتخرا به والقصة مشهورة ومدحه الرصافي بقصيدة أولها

وغيرها من ابل خراسان فيضربونها ويتولد منهما الجمال البخت والجماريات ولا ينتج بين بختي وبختية واعرابية هذا النوع من الابل بين نواتج الابل وهي ذات السنامين وبين قلاص الابل وهي النوق العربية وكنتاج البخت بين الحاوية والمهرية وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من أعضاء سائر الحيوان وقد أتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل في الفيافي وتوددها الى أهلها وهي كالفيلة منها وحشية ومنها مستأنسة أهلية مع من قدمنا ذكره من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين عبروا عين النيل ولحقوا بأسافل البحر الحبشي وقطعت الزنج دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب الى بحر الزنج فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليه يقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في بحر الزنج كما أن أقاصي بحر الصين متصل ببلاد السيلي وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد ذهبنا

دهنا يفيض وخاطرا متوقدا * ماذا عسى شيء على علم الندى

ولما أنشده قصيدته فيه التي أولها

لجلالك الترفيع والتعظيم * ولوجهك التقديس والتكريم

حلف لا سمعها وقال على إجازتك ولكن طباعي لا تحتمل مثل هذا فقال له الرصافي ومن ذلك يستحق هذا في الوقت غيرك فقال له دعني من خداعك أنا وما أعلمه من قلبي وأنشد له في الطالع السعيد

فلا تظهرن ما كان في الصدر كامنا * ولا تركبن بالغيظ في مركب وعر

ولا تبحثن في عذر من جاء تائبا * فليس كريما من يباحث في العذر

وولي للموحدين أعمالا كثيرة بمراكش وسلا وإشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على أعمال غرناطة وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقد أن في داره من الحلي وأصنافه ما لا يكون إلا في دار الملك وأنه إذا ركب في صلاة الصبح شوش عليه نبح الكلاب فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين سنة ٥٩٣ ثم رضي عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ منه فصرفه عليه ولم ينقص منه شيئا وغرم له ما فات منه وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدره وحسبه من الفخر مدح أديب الأندلس وشاعرها أبي عبد الله الرصافي له وهو ممن يمدح الخلفاء في ذلك العصر رحمه الله تعالى وولد أبوه عبد الملك بن سعيد عام ستة وتسعين وأربعمائة وتوفي بحضرة مراكش عام اثنين وستين وخمسمائة قال الحجاري لما مات يحيى بن غانية الملثم ملك الأندلس بحضرة غرناطة وكان وزيره ومدبر دولته عبد الملك بن سعيد بادر الفرار لغرناطة عندما سمع بموته إلى قلعته وثار بها وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة بن العنبر فوجده قد فات ه وقد قدمنا أن عبد الملك هذا هو السبب في تأليف كتاب المغرب في أخبار المغرب ثم تممه ابنه محمد بن عبد الملك ثم تمم ما بقي منه ابنه موسى بن محمد ثم أربى على الكل في إتمامه أبو الحسن علي بن موسى الذي قصدناه بالترجمة في هذا الكتاب وقد ذكرنا من أحواله جملة كافية * ومن فوائد ابن سعيد أبي الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب الكمائم وهو قال ما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الإسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وهو الذي عليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسب المدينة إليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سرير السلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب إليها وقصروا أمانيهم عليها إلى أن رسخت بها دولة بني طولون فبنوا إلى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن إلى جانب القاهرة وهي مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحط في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد وبها منزهات وهي في الإقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر إلا في النادر وترابها يثير الأرجل وهو قبيح اللون تستكدر منه أرجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة إلا أنها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة

الواق واق وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب خصبة حارة

ويتخذ الزنج دار مملكة وملكوا عليهم ملكا سموه لوقليمن وهي سمة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار على ما قدمنا آنفا ويركب لوقليمن وهو ملك ملوك سائر الزنوج في ثلثمائة ألف فارس ودوابهم البقر وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا إبل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ولا غيرهم من الأحابش ومنهم أجناس محددة الأسنان يأكل بعضهم بعضا ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل إلى بلاد سفالة والواق واق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطعهم في الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال والفيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لا تستعمل منها شيئا في حروب ولا غيرها بل تقتلها وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم في الماء ويختفي رجال الزنج فترد الفيلة لشربها وإذا وردت وشربت من ذلك الماء أسكرها فتقع ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا فيخرجون إليها بأعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لأجل الأحد

وسميت القاهرة ... مدينة الفسطاط وفرط في الاعتناء بها بعد الافراط وبينهما نحو ... وأنشد فيها الشريف العقيلي

أحن الى الفسطاط شوقا وانني * لادعو لها أن لا يحل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال ... كتاب ... والفسطاط هو قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزمرد وقال ... كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة عظيمة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة ومقدارها نحو ... في غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر ... ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفي الفسطاط ... وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها أقل من ذلك وهي سبخة الارض غير نقية التربة وتكون الدار بها سبع طبقات وخمسا وستا وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بني أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناه ابن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده وتعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي اليها أحد أصحاب القرية فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب فأخبرني أنه غير معيب على أعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت وعند ما استويت راكبا أشار الى المكاري الى الحمار فطار بي وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقلة رفق المكاري وقعت في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار * ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفي مكار يفوق الريا * ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوي * الى ان سجدت سجود العثار
وقد مد فوقي رواق الثرى * وألحد فيها ضياء النهار

فدفعت الى المكاري أجرته وقلت له احسانك أن تتركني أمشي على رجلي ومشيت الى أن بلغتها وقدرت في الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفضي الى خراب معمور بمبان مشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الاسود والازبال ما ينقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب

ثلث

... وأ كثر من ذلك فيجهز الى ... منها من بلاد ... الى أرض الصين والهند ولولا انها ... من بلاد الزنج الى ... وسائر ... الى الحبشة ... كثيرا ولولا ذلك لكثر ... تلك أرض الاسلام كثيرا وأهل الصين ... ملوكها وقوادها وأكابرها الا ... العاج ولا يدخل ... دها ولا أحد ... من حواشيها على ملوكها شيء من الحديد بل ... بالات الاعمدة المتخذة من العاج ورسمهم فيما استعملوا من ... الديباج ... لانه ... الاعمدة ... على ... كما ... يستعمل العاج في دخن بيوت أصنامهم وابخرتهم ... كلها كاستعمال النصارى في الكنائس ... المعروف بدخنة مريم وغيرها من الابخرة وأهل الصين لا يتخذون الفيلة في أرضهم ويتطيرون من اقتنائها ... والحرب ... والخبر ... لهم ... قصص ... في بعض حروبهم ... كثيرة الا ... بما يجهز اليهم من العاج في نصب الخناجر وفي الحرازي ... وفي قوائم ... نوبها

وهي السراطل واحدها ... وهي ... والأغلب في استعمال الهند العاج اتخاذها منه

تلك الحال الى أن صرت فى أسواقها الضيقة ونسيت من ازدحام الناس فيها وحوانيت السوق والزوايا التى على الجمال مالا يفى به الامشاهدته ومعاينته الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الأسواق التى حوله ماذكرت ضده فى جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بوطئه أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وماسوى ذلك والناس يأكلون فى عدة أماكن منه غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا وفضلات ما كلوه مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوب بالفحم والحمرة بخطوط دنية مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع ذلك على الجامع المذكور من الروح وحسن القبول وانبساط النفس مالا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه ولقد تأملت ماوجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أن ذلك سر مودع من وقوف الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته من حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن وسألت من أين أرزاقهم فأخبرت انها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ثم أخبرت أن اقتضاءها صعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التى تصل من جميع أقطار النيل ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعة قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لأن هذين الجسرين قد احتجر ما لحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان وتمنيت ليلة ذلك اليوم بصيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل ✻ بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة ✻ كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى ✻ ويطرب أحيانا ويلعب بالنرد
حلا ماؤه كالريق ممن أحبه ✻ فمدت عليه حلة من حلى الخد
وقد كان مثل البرمن قبل مده ✻ فأصبح لما زاده المد كالورد

وقلت هذا لانى لم أذق فى المياه أحلى من مائه وانه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على

الشطرنج والنرد والشطرنج دون ورواشكال على صور الحيوان من الناطقين ونحوهم كل ذلك ... الشطرنج كالشطرنج ... ذلك ... الى الاكمه فاذا العموا بهوقتا يعمم الواحد ... فى بيوتها والاعداب عليهم فى لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على النساء والجواهر وربما انتهى الى أحدهم ما معه ... فى دفع أعضائه من ... ان جعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس ... على نار ... لهم ... على ذلك الدهن المدمل للجروح والمانع لسيلان الدم ... فى اصبع من أصابعه ... قطعها ... الخنجر ... المدمل ... فى ذلك الدهن ... ثم عاد الى اللعب فاذا توجه عليه اللعب أبان اصبعا ثانية وربما توجه عليه اللعب فى قطع أعضائه كلها من الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكى بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من ... طوعقاقير بأرض الهند عجيب المعنى والذى ذكرناه عنهم ... من فعلهم ... العيلة فى بلادها ... فى أرضها ليس فيها وحشية وانما هى حربية ومستعملة كاستعمال البقر والابل وأكثرها يأوى الى المروج ...

أقطاره أبيض فلما كان عباب النيل صار أحمر وأنشدني علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة في مدح الفسطاط

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت أولادها دار الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج أهليها صفا
لطفوا فالمزن لا ناالفهم * خجلا لما رأتهم ألطفا

ولم أر في أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط حتى انهم ألطف من أهل القاهرة وبينهما نحو ميلين والحال ان أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة ورعاية قدر الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما يوصف وبه مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها يجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زي الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب في الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة باعتبار انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر انتهى قال المقريزي يعني ابن سعيد ما بني على شقة مصر من جهة النيل انتهى وقال ابن سعيد المذكور في المغرب من حلى المغرب ما ملخصه الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الملك الصالح ابن الملك الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم تر عيني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الخليفة الآمر لزوجته البدوية التي هام في حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح بن قادوس الدمياطي

أرى سرج الجزيرة من بعيد * كأحداق تغازل في المغازل
كأن مجرة الجوزاء حطت * وأثبتت المنازل في المنازل

قال وكنت أبيت بعض الليالي بالفسطاط فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين في البناء وأبصرت بهذه الجزيرة ايوانا للجلوس لم تر عيني مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه من صحائف الذهب والرخام الآبنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة في بعضها حاظر حصر فيه أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها أحسن منظر قال وقد تفرجت كثيرا في طرق هذه الجزيرة مما يلي أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مذهبات لم تزل لاحزان

تقدمنا لا ترعى في موضع
يشم فيه رائحة الكركدن
ويعمر الفيل بأرض الهند
نحوا من أربعمائة سنة
كذلك يذكر ابن عمر لانها
تعرف في دهرها وأوزنها
وأهل العلم بما يأتي
في [illegible] ومنها الاسود
والابيض والازرق والاحمر
وفي أرض الهند منها
ما يعمر المائة سنة والمائتين
ويضع حمله في كل سبع
سنين ويوجد بأرض الهند
آبة عظيمة من نوع من
الحيوان يعرف بالزرافة
وهي دابة أصغر من الفهد
أحمر وزغب وعينين
براقتين عظيمة سريعة
الوثبة يبلغ في وثبته الثلاثين
والاربعين والخمسين
ذراعا وأكثر من ذلك واذا
أشرف على الفيل رشش
عليه بوله بذنبه فيحرقها
وربما لحق الانسان وثب
عليه وفي الهند من اذا
أشرفت عليه هذه الدابة
تعلق بأكبر ما يكون من
الساج وهي أكبر من النخل
وأكبر من شجر الجوز تكن
الشجرة منه ظلال الكثير
من الناس وغيرهم من
الحيوان على حسب ما تحمل
الى البصرة والعراق
ومصر من خشب الساج في

طوله فاذا علا الانسان أعلى تلك الشجرة وقصد هذا الحيوان عن ادراكه لصق بالارض ووثب

الغربة مذهبات واذ زاد النيل وصل برها عن بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر تكون فيه امرا كب انتهى وأورد الصفدى فى تذكرته لابن سعيد المذكور فى هذه الجزيرة

انظر الى سور الجزيرة فى الدجى * والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تتضاحك الانوار فى جنباته * فتريك فوق النيل أمرا معجبا
بينا تراه معضضا فى جانب * أبصرت منه فى سواه مذهبا
لله أى ماواه ناظر * الا جعلت له الايام مطربا

وقال فى المغرب نقلا عن بعضهم ما صورته وأما مدينة القاهرة فهى الخالدة الباهرة التى تفنن فى بنائها الفاطميون وأبدعوا فى بنائها واتخذوها قطبا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط

وسارت مسير الشمس فى كل بلدة * وهبت هبوب الريح فى البر والبحر

لاسيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينة المنصورية الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان

وتهمم من بعده الخلفاء المصريون فى الزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بنى قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيها خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى أنهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف بالقاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان مما يضيق به الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الامراء وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه حمل تبن على حمارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسالك الهواء والضوء بينها ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ منها حالا فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى وتدركنى وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين

صياحا عظيما فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته وأى موضع من الشجر سقط عليه بوله احرقه وان أصاب الانسان شئ من بوله أتلفه وكذلك سائر الحيوان وملوك الهند فى حرائبهم اراده هذه الدابة ومداواته ومواضع من أعصابه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ومقدار كبر هذه الدابة كقدر كبر كلب الماء الذى يخرج منه الجندبادستر وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة وغيرهم وهو اسم فارسى معرب وانما هو كند وتفسير ذلك الخصية عرب فقيل جند بادستر والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزبرقان لا تأوى الى موضع يكون فيه النوشان وهو الكركدن وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضا والفيل يهرب من السنانير وهى القطاط ولا يقف لها البتة اذا أبصرها وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت تقوى الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها ومراعاة حيل الاعداء عند الحرب

 بتعلية السنانير عليها وكذلك أفعال ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكر أن الخناز يرر عا

المصريين ومن عيوب القاهرة انها في أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوّها لا يبرح كدرا مما تثيره الارض من التراب الاسود وقد قلت فيها حين أكثر على رفاقي من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالي بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثير بها أرجل سائره

وعندما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر انسه وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطبالة لاسيما أرض القرط والكتان وقلت

سقى الله أرضا كلما زرت روضها * كساها وحلاها بزهرته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي

مازالت الامحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت في نوار الكتان على جانبي الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق
وأصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فلم تزرها ووجه الارض مصطبح * أو عند صفوته ان كنت تغتبق

وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم فيكون لها بذلك منظر عجيب وفي ذلك قيل

انظر الى بركة الفيل التي اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هي والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدوة فقلت

انظر الى بركة الفيل التي نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * يهيم وجدا وحبا في بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط والمراكب التي تصل بالخيرات تحط هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه بعد عن المدينة والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديارا لسكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التي تتزين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببناء قلعة الجزيرة التي امام

تهرب منها الفيلة وقد كان شاعرا شجاعا ذا رياسة في قومه ومنعة بأرض السند مما يلي أرض المولتان وكان في حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة فبرز هرون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم الفيلة وقد خبأ تحت ثوبه سنورا فلما دنا في حملة من الفيل خلى القط عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بذلك الهر وكان ذلك سبب هزيمة الجيش وقتل الملك وغلبت المسلمون عليهم ولهرون ابن موسى قصيدة يصف فيها ماذكرناه وهي

أليس عجيبا بأن تلقه
له فطن الاسد في جرم فيل
وأطرف من قشه زونه
بحلم يجل عن الخنشليل
أليس عجيبا بأن بعضا
غليظ الدوائر لطيف التحويل
وأوقص مختلف خلقه
طويل الغيوب قصير النصيل
ويخضع لليث ليث العرين
بأن ناشب الهر من رأس ميل
ويلقى العدو بناب عظيم
وجوف رحيب وصوت ضئيل

الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة نقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك الى أن قال وهى الآن عظيمة آهلة تجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بجملته وتفسيره الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف طلب زكاة ولا ترسيما ولا عذابا ولا يطالب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مال فربما سجن فى شأنه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماع والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما يذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص فى وسط السوق أو تجريد وسكر من حشيشة أو صحبة مرداء وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يتعرضون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجىء وقت الاسطول وفى القاهرة أزاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشأن فى الديار المصرية يفضل كثيرا من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها أقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز أما التفاح والاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال لكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرابه عندهم فى غاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من الحنطة حتى ان الحنطة يطلع سعرها بسبب ذلك فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والمخالفة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر فى الليل وفى ذلك أقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
وقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
يا سيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

ويعصف بالنمر بعد النمور * كما يعصف الريح بالعندبيل وشخص يرى يده أنفه فان وصلوه فسيف صقيل
وأقبل كالطود هادى الخميس
بصوت شديد أمام الرعيل
فمن سيل كسيل الأتى
بخطم خفيف وجرم ثقيل
فان شمته زاد فى هوله
بشاعة أذنين فى رأس غول
وقد كنت أعددت هر اله
قليل التهيب للزندبيل
فلما أحس به فى العجاج
أتانا الاله بفتح جليل
وطار وراغم تمثاله
بقلب نخيب وجسم ثقيل
فسبحان خالقه وحده
اله الانام ورب الفيول
العندبيل طائر صغير يكون بأرض السند والهند يذكره الشعراء فى أشعارها مثلا به لصغره والزندبيل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزندبيل هو اسم لما اشتد فى الحرب من أنياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزندبيل عند ذكره الفيل فقال
ذاك الذى مشفره طويل
وهو من الافيال زندبيل
وقال آخر
وفيله ذو الطول زندبيل
وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشبيل وتفسيره قول الانصارى فى سفه الحل

والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منهاد نانير لا ترام
وهو قد امتد والمبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الاثام

قال المقريزى وفيه تحامل كثير انتهى ومن نظر بعين الانصاف علم ان التحامل فى نسبة التحامل اليه والله تعالى الموفق * (قال ابن سعيد) ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلاث من الدراهم الناصرية وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء ومخاصمة بين الفريقين وكان بها قديما الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الآن مقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهواؤها ردىء لاسيما اذا هب المريسى من جهة القبلة وأبصار بدا العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الطب والخراج والنصارى بها يمتازون بالزنار فى أوساطهم واليهود بعمائم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ويأكل اهل القاهرة البطارخ ولا تصنع حلاوة القمح الابها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ولهن فى الطبخ صنائع عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمواضع التى يصنع بها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام ابى الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى وقال رحمه الله

لم ذا تقيم بمصر * معذبا بذويها
وكيف ترجوندا هم * والسحب نبخل فيها

وقال رحمه الله تعالى

لابن الزبير مكارم أضحت بها * طير المدائح فى البلاد تغرد
ان قيدوه وبالعوالى عصره * فالكرم بعصر والجواد يقيد

ولنذكر بعض اخبار والده فانه ممن رحل الى المشرق وتوفى باسكندرية وقد ذكر ابنه ابو الحسن فى المغرب وغيره من أخباره العجائب ولا باس بان نلم بشئ من ذلك سوى ما تقدم فنقول من اخباره أنه لما اجتاز بمالقة ومشرفها اذ ذاك ابو على بن بقى وجه اليه من نقل اسبابه الى داره وأقبل عليه منشدا

أكذا يجوز القطر لا يثنى على * ارض توالى جدبها من بعده
أللّه يعلم انها ما انبتت * زهرا ولا ثمرا بعدة فقده
عرج عليها ساعة يا من له * حسب يفوق العالمين بمجده
وانثر عليها من ازاهرك التى * تشفى المتيم من لواعج وجده
والله ما ذا كرت فكرك ساعة * الاوأقبس خاطرى من زنده

قال موسى فارتجلت للعين

انت الذى تعرف كيف العلا * وتقتدى فى سبل المجد

فان وهذا غير نوادر قد علمت جارية عطبول أنى بن صل السيف خنشبيل والفيلة لا تتبع ولا تتولد الا بارض الزنج والهند ولا تعيش الا بها بارض السند والهند على حسب معيشتهم بارض الزنج وارض تتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا تخفى ذلك فى المنعة بشئ من الدرق الصينى والتبتى والاطى والبجاوى ولا ما يقع من اللين وغير ذلك من أنواع الدرق وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شئ من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه وقد كان المنصور عنى بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة اياها واقتنائها لها واعدادها للحروب والزينة فى الاعياد وغيرها فانها أوطأ مراكب الملوك وأسهدها وأخبرنى بعض الكتاب ممن يرجع الى أدب وعقل ومعرفة بايام الناس بمدينة السلام

بدأت بالفضل المنير الذى * اكمل بدر الشكر والحمد
والله ما ابصرتكم ساعة * الا بدا لى طالع السعد

وانصرفت معه الى منزله قال

فلم ازل فى كرامه * ليست كظل غمامه

ولما كان ابو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء مقدما على اعمالها من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضى ابى عبد الله محمد بن عسكر قاضى مالقة مع احد الادباء منه

افاتح من قلبى بعلياه واثق * وان كانت الابصار لم تنتج الودا
وثمت معالى من نظام تشعبى * بآل سعيد وابتغيت به السعدا
وبالحب يدنو كل من اقصت النوى * برغم حجاب للنوى بيننا امدا

ياسيدى الذى حلانى ما امال اسماعى من الثناء عليه ان اهجم على مفاتحته شاء بعاقى موصلها اليه واثقا بالفرع لعلم الاصل مؤملا للافضال بتحقق الفضل ان لم تقض باجتماع بيننا الايام فلا تحرى بالمشافهة بيننا الا ألسن الاقلام ويوحى بعضنا الى بعض بسور الوداد والحمد لله الذى اطلعك فى ذلك الافق بدرا وادناك من هذه الدار فيسر لنا القرب من بردعنك لا نعدم لك ذكرا فكل يثنى بالذى علمت سعد وبصف من خلالك ما يقتضى ذلك المجد ولما كان احسانك يبشر به الصادر والوارد ويحرص عليه الغائب والشاهد مد أمله نحوك موصل هذه الفاتحة وليس له وسيلة ولا بضاعة الا الادب وهى عند بيتك الكريم رابحة وهو ممن شتتت خطوب هذا الزمان شمله وأبانت نوائبه صبره وفضله وما اطمع بصره الا الى أفقك ولا وجه رجاءه الا نحو طرقك والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه وأعتقت من الجهد ركائبه دمت غرة فى الزمن البهيم مخصوصا بافضل التحية والتسليم انتهى * وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر فى العلوم وله كتاب فى أنساب بنى سعيد أصحاب هذه الترجمة ومن شعره

أهواك يا بدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
وكل ميدى شبها منكم * وكل من يلفظ باسم الحبيب

*(رجع) قال ابنه على لما أردت النهوض من ثغر الاسكندرية الى القاهرة أول وصولى الى الاسكندرية رأى أن يكتب لى وصية أجعلها اماما فى الغربة تبقى فيها اياما الى ان كتبها عنه وهى هذه وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم

اودعك الرحمن فى غربتك * مرتقبا رحماه فى اوبتك
وما اختيارى كان طوع النوى * لكننى أجرى على بغيتك
فلا تطل حبل النوى اننى * والله أشتاق الى طلعتك
من كان مفتونا بأبنائه * فاننى امعنت فى خبرتك
فاختصر التوديع اخذا فما * لى ناظر يقوى على فرقتك

البخت أو العراب من العمالة أو غيرها فى الطريق نفرت وشبت وكان يلقى منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هى عليه من الفراهة والحسن وأنه لا يجد له غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان فى بعض الايام اجتازت بباب الطاق وذلك فى أيام المقتدر وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث بن على الصفار وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم أسره بالادفارس حين خرج على السلطان قال فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل تحمز فى مشيتها الاسيل لمن عليها أن يحبسها لما قد لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت عنى عقبها ورمت بى الارض فوقعت بجلد نور منفرج ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة حين رمت بى ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على اثر ذلك فلما نظرت البغلة الى الفيلة وعظم خلقتها لحقت بالجمال ودخلت بينها كانها لم تزل معها وذلت كذلك الجمال اذ رآنى جماعة من الناس فرفعونى ودخل الغلام فأخرج البغلة وما استطاع اخراجها حتى مضت الفيلة وأخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك

... ولقد ألفت الجمال ... ... لاستعظام صورة الجمل عندما شاهدت صورة الفيل وكل حيوان

ذي لسان ... لسانه الى
داخل ... لى ...
الا الفيل فان طرف لسانه
الى داخل وأصله الى
خارج و... ولولا
ان لسانه مقلوب ...
... والهند
... وفضله على
سائر الحيوان لما اجتمع
فيه من الخصال المحمودة
من عظم ...
صورة ... منتشرة
واتساع صهوته ...
... وكبر
... مع ...
... جسمه
و... كبر ... وضع
... مع كبر هذا
الجسم ... هذه الصورة
... الانسان فلا تحس
... ولا تشعر به
...
وقد وصف ...
... الفيل في كتاب
... في صفته
وأكثر في ...
معاني كثيرة في صفة
... وما هو عليه
من عجيب التركيب
وغريب التأليف والمعاني
... والاحساسات
... قبولها التأديب
و... الى
... وساق

واجعل ... عين ولا * تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التي حنكت * في ساعة زفت الى فطنتك
فللتجارب امور اذا * طالعتها تشحذ من غفلتك
لا تنم عن وعيها ساعة * فانها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته في النوى * اياك أن يكسر من همتك
فليس يدري اصل ذي غربة * وانما تعرف من شيمتك
وكل ما يفضي لعذر فلا * تجعله في الغربة من اربتك
ولا تجالس من فشا جهله * واقصد لمن يرغب في صنعتك
ولا تجادل ابدا حاسدا * فانه ادعى الى هيبتك
وامش الهوينى مظهرا عفة * وابغ رضا الاعين عن هيئتك
أفش التحيات الى اهلها * ونبه الناس على رتبتك
وانطق بحيث العي مستقبح * واصمت بحيث الخير في سكتتك
ولا ترل مجتمعا طالبا * من دهرك الفرصة في وثبتك
وكلما ابصرتها اهكمت * ثب واثقا بالله في مكنتك
وسع على رزقك من بابه * واقصد له ما عشت في بكرتك
وأس من الود لدى حاسد * ضد ونافسه على خطتك
ووفر الجهد من قصده * فصدك لا تعنيه في بغضتك
ووف كلا حقه ولتكن * يكسر عند الفخر من حدتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة * فانه انفع في غربتك
وحيثما حيت فاقصد الى * صحبة من ترجوه في نصرتك
... رايا ونبه مالها * الا الذي يدخر من عدتك
ولا تقل أسلم لي وحدتي * فقد تقاسي الذل في وحدتك
والحرم الاحوال وزنا ولا * ترجع الى ما قام في شهوتك
واجعل العقل محكا وخذ * كلا بما يظهر في نقدتك
واعتبر الناس بالفاظهم * واصحب اخا يرغب في صحبتك
بعد اختبار منك يفضي بما * يحسن في الآخذ من خلطتك
كم من صديق مظهر نصحه * وفكره وقف على عثرتك
اياك ان تغتر به انه * عون مع الدهر على كربتك
واقنع اذا ما لم تجد مطمعا * واطمع اذا أنعشت من عسرتك
وانم عن النبت قد زاره * غب الندى واسم الى قدرتك
وان نبا دهر فوطن له * جاشك وانظره الى مدتك
وكل ذي امر له دولة * فوف ما وافاك في دولتك
ولا تضيع زمنا ممكنا * تذكاره يذكي لظى حسرتك

أيديهما من الاعتضاد ... والاجزاء الشريفة ولم مقدار منافعها ومبلغ مضارها وبكم فضيلة تلك ... والشر

والشر مهما اسطعت لا تأته * فانه حوز على مهجتك

يا بنى الذى لا ناصح له مثلى ولا منصوح لى مثله قد قدمت لك فى هذا النظم ما ان اخطرته بخاطرك فى كل أوان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله تعالى وان احق مما للحفظ واعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الاول

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فمهن حسن الادب
وثانية حسن اخلاقه * وثالثة اجتناب الريب

واذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها فى الغربة رأيتها جامعة نافعة لا يلحقك ان شاء الله تعالى مع استعمالها ندم ولا يفارقك بر ولا كرم ولله در القائل

لمد مع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب
اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل فى بلدة بغريب

وما قصر القائل حيث قال

واصبر على خلق من تعاشره * وداره فاللبيب من دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا * ومثل الارض كلها دارا

واصغ يا بنى الى البيت الذى هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر

ولو أن أوطان الديار نبت بكم * لسكنتم الاخلاق والآدابا

ان حسن الخلق أكرم نزيل والادب أرحب منزل ولتكن كما قال بعضهم فى أديب متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد واليه قصد عد مسر بـ بدهره ولا منكر شيأ من أمره واذا دعاك قلبك الى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب فى روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك وأغلق سمعك ولا ترخص فى جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعته أو حسود له يغار لتجمله بصحبتك ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تتمهد بدوام رفدته فقد ينبهه الزمان ويغير منه القلب واللسان ولذا قيل اذا أحببت فاحبب هونا ما ففى الممكن أن يقلب الصديق عدوا والعدو صديقا وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله وجعل نصب ناظره قول أبى الطيب

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام

وفى أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ بامثله من جرب واستمع الى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال فانها خلاصة عمرهم وزبدة تجاربهم ولا تتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم يربحك ويقع عليك رخيصا وان رأيت من له مروءة وعقل وتجربة فاستفد منه ولا تضيع قوله ولا فعله فان فيما تلقاه تلقيحا لعقلك وحثا لك واهتداء واياك أن تعمل بهذا البيت فى كل موضع * والحر يخدع بالكلام الطيب * فقد قال احدهم ما قيل أضر من هذا البيت على اهل العمل وليس كل ما تسمع من اقوال الشعراء يحسن بك ان تتبعه حتى تتدبره فان كان

الاحساس فاقت تلك الاجناس ومافيها من الآيات والبرهانات والة للامثال ... حلاها العيون خلقه وفرق بينها وبين ... عليهم ... لهم ونريدهم ... الحجة ... النعمة وقد ذكرالله فى الكتاب الناطق والحكم الصادق وفى الآثار المعروفة والامثال السائرة فى ... التى ... قالت الشعراء فيه ... به الفصحاء ومدحه العلماء وخصت ... وحاطها عند الملوك وموضعها عند الحروب ... فى العيون وجلالها فى الصدور وفى طول أعمارها وقوة أبدانها وفى اعرامها ... واحقادها ... ا كبرائها وطلبها بضواتنها وارتفاعها عن ... السقاط واقتناء ... والارادن وعن ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخسف وابتذالها وازالتها عن امتناع طباعها ومنع عزائزها ان تصلح أبدانها وتنبت أنيابها وتعظم جوارحها وتتساعد وتتلاقح الا فى معادنها وبلادها ومغارس اعراقها مع التماس الملوك ذلك ... وطمع القوم عليها بالتدبير ... بذلك منها حتى ... الحيل وأخرجت عن حد الطمع وعن الاختيار عن حملها ووضعها ووضع أحمالها والذى ... فيه الاشكال الا ...

التي تحيط بالجميع مما يستدل ... او يقوم او يمشي او يطير وجميع ما ينتقل عن أوّلية خلقه وما يبنى على الطبع

موافقا لعقلك مصلحا لحالك فراع ذلك عندك والا فانبذه نبذ النواة فليس لكل أحد يتبسم ولا كل شخص يتكلم ولا الجود مما يعم به ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل احد ولله در القائل

ومالي لا أوفي البرية قسطها * على قدر ما يعطي وعقلي ميزان

واياك ان تعطي من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون معاملة الكفء ولا الكفء بمعاملة الاعلى ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ويشيبك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة واسمع قول الاول * وبع آجلا منك بالعاجل * واقلل من زيارة الناس ما استطعت ولا تجفهم بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يخفى منه ملل ولا ضجر ولا جفاء ولا تقل ايضا أقعد في كسر بيتي ولا ارى احدا واستتر بجمع الناس فان ذلك كسل داع الى الذل والمهانة واذا علم عدوّك او صديق منك ذلك عاملاك بحسبه فازدراك الصديق وجسر عليك العدو واياك ان يغرك صاحب واحد عن ان تدخر غيره للزمان وتطيعه في عداوة سواه فمن الممكن أن يتغير عليك فتطلب اعانة عليه او استغناء عنه فلا تجد ذخيرة قدمتها وكان هو في أوسع حال واعلى رأي بما ذر به حيلته في انقطاعك عن غيره فلو اتفق لك ان تصحب من كل صناعة وكل رياسة من يكون لك عدة لكان ذلك اولى واصوب وسلني فاني خبير طال والله ما صحبت الشخص اكثر عمري لا اعتمد على سواه ولا اعتد الا اياه مخدعا بسرابه موثوقا في حبائل خطابه الى ان لا يحصل لي منه غير العض على البنان وقول لو كان ولو كان ولا يحملك ايضا هذا القول ان تظنه في كل احد وتجهل المكافأة وليكن حسن الظن بمقدار ما واصبر بمقدار ما والفطن لا تخفى عليه مخايل الاحوال وفي الوجوه دلالات وعلامات واصغ الى القائل

ليس ذا وجه من يضيف ولا يقري ولا يدفع الاذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه فرد وجهك عنه قبل ان ترضاها ولتحرص جهدك على أن لا تصحب وتخدم الا رب حشمة ونعمة ومن نشأ في رفاهية ومروءة فانك تنام معه في مهاد العافية وان الجياد على أعراقها تجري وأهل الاحساب والمروآت يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان أشرب مصعب الخمر فقال عبد الملك وهو عدوّ له محارب له على الملك لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ما شربه * والفضل ما شهدت به الاعداء * يابني وقد علمت ان الدنيا دار مفارقة وتغير وقد قيل أصحب من شئت فانك مفارقه فمتى فارقت احدا فعلى حسنى في القول والفعل فانك لا تدري هل انت راجع اليه فلذلك قال الاول * ولما مضى سلم بكيت على سلم * واياك والبيت السائر

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على ما جمع قول القائل ثلاثة تبقي لك الود في صدر اخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجالس وتدعوه باحب الاسماء اليه واحذر كل ما بينه لك القائل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فانك اذا غرسته يقلعك وقول الآخر ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن

الاول من صورته وجمعا ينتزعه من شبه الحيوان وما يخالف فيه جميع الحيوان ... في شدة قلبه وأسره وفي حذقه على ما هو أعظم بدنا وأشد قلبا وأحد ظفرا وأدرب لسانا ... به مما هو أصغر جسما وأكل حدا وأضعف أسرا وأجل ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المراتب الكثيرة التي تعمى ايرادها فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما أسلفه من القول في هذه المعاني التي قدمها أورد جوامع متفرقة والعاعنها منسقة في القبلة وغيرها واعرض عن ايراد خواص أعضائها واكثر منافعها وعجيب خصالها وذكر من أسرار الطبيعة ومنافاته فلاسفة الهند في بدنها وما آثرته من تقدم من حكمائها في تداولها وعلة تكونها في أرض الزنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها في غيرها والتفاد الذي بينها وبين السرطان مع عظم جثتها وفرارها من السنور مع صغر حجم جسمه ولطافته

وقول

وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف اسد مع القوه واياك ان تثبت على صحبة احد قبل أن تطيل اختباره فيحكى ان ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجاوبه ان الصحبة رق ولا اضع رقى فى يدك حتى اعرف كيف ملكتك واستمل من عين من تعاشره وتفقد فى لقاءات الأنس وصفحات الاوجه ولا تحملك الحياء على السكوت عما يضرك ان لا تبينه فان الكلام سلاح السلم وبالانين يعرف الم الجرح واجعل لكل امر اخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك وآكد ما اوصيك به ان تطرح الافكار وتسلم للاقدار واقبل من الدهر ما آتاك بمن قرعينا بعيشه نفعه ... دالافكار بجلب الهموم وتضاعف الغموم وملازمة القطوب عنوان المصائب والخطوب ... به الصاحب ويشمت العدو والمحاسب ولا تصر بالوساوس الا نفسك لانك تضرّ بها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنت للاحزان عونا * عليك مع الزمان فمن تلوم

مع انه لا يرد عليك الفائت الحزن ولا يرعوى بطول عتبك الزمن ولقد شاهدت بعرباطة شخصا اقذ الفته الهموم وعشقته الغموم من صغره الى كبره لا تراه ابدا خليا من فكره حتى لقب بصدر الهم ومن اعجب ما رأيته منه انه ينكد فى الشدة ولا يتعلل بان يكون بعدها فرج ويتنكد فى الرخاء خوفا من أن لا يدوم ويتشد * توقع زوالا اذا قيل تم * ويتشد * وعند التناهى يقصر المتطاول * وله من الحكايات فى هذا الشان عجائب ومثل هذا عمره محسور بر ضياعا ومتى دفعك الزمان الى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسدا لك وقصدا لتصغير قدرك عندك وتزهيدا لك فيه ولا يحملك ذلك على ان تزهد فى علمك وتركن الى العلم الذى يمدحونه فتكون مثل الغراب الذى اعجبه مشى الحجلة فرام ان يتعلمه فصعب عليه ثم اراد ان يرجع الى مشيه فنسيه فبقى مخبل المشى كما قيل

حسد القطا وأراد يمشى مشيها * فأصابه ضرب من العقال

فأضل مشيته وأخطأ مشيها * فلذاك سموه أبا مرقال

ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ويقول ما بقى فى الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يرتاح فيه فان الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان واستخفت طلعته للهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الوقوع فى الناس واقامة الاعذار لانفسهم بقطع أسبابهم وتعذر أمورهم ولا تزل هذين البيتين من فكرك

ان اذا ما نلت عزا * فاخو العز يلين

فاذا نابك دهر * فكما كنت تكون

وقول الآخر

تهوا وتمع ان قيل أدبر وانخفض ان قيل اثرى

كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا ويعلو ما تعرى

ولا قول الآخر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

منظره وعن كثرة الطرب الذى يوجد فى الفيل دون غيره من الحيوان وقد ولها الرياضة والدراية والمعرفة عند اخساوره والدهاء والخبث والتمييز وقد ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقة مالم يسلكها من تقدم من حكماء الهند من أن العالم عادية من الاجسام على جهات ثلاث متفق ومختلف ومتضاد وان ذلك فى الجملة هو جماد ونام واخراجهم عن العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الاجسام السماويه وليست بجماد ولا نام وانها أحياء ناطقة (قال المسعودى) ولنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا فى صدر هذا الباب من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الاحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها لعاجها غير منتفعة بشئ من ذلك فى آلاتها وانما تحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة وما ذكرنا من دوابهم انها بقر وأنهم عليها يتقاتلون بدلا من الابل والخيل وهى بقر تجرى كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالرى نوعا من هذا البقر يبول كما تبول الخيل ويثور بحمله كما تثور الابل اذا استقلت باحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والابل والحمير

واستعدى الناس ما قاله القائل

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقريب منه قول القائل

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه
وكن في مكان اذا ما سقطت * تقوم ورجلاك في عافيه

ويحفظ مما يضمنه قول الآخر

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

ولله در القائل

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافي

والاشتغال بصر بها الذي اللب الحكيم وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم والفطن يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله سبحانه خليفتي عليك لا رب سواه * نجزت الوصية ويكميك عنوانا على طبقته في النثر قوله رسالة كتب بها الى ملك المغرب أبي محمد عبد الواحد ابن أبي يعقوب بن عبد المؤمن مهنئا له بالخلافة حين بويع بها بمراكش وكان اذ ذاك باشبيلية وكان قبل ذلك كاتبا له ومختصا به الحضرة العلية السامية السنية الطاهرة القدسية حضرة الامامة وجهة دار الاقامة مد الله على الاسلام ظلالها وأعلى في سماء السعادة معالمها وكمالها وهنأ المؤمنين باستقبال امارتها وأدام لهم بركة خلافتها عبد آبائها وخديم نادبها المتوسل بقديم الخدمة المتوصل بعميم النعمة وكريم الحرمة المنشد بلسان المسرة حين أطلع الزمان هذه الغرة

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لا زال هذا الامر العلي محمودا سعيدا ولا برح يستزيد ترقيا وصعودا

يا نعمة الله زيدي * ان كان فيك مزيدي

سلام الله الكريم يخص حضرة الاجلال والتعظيم والتقديس والتفخيم ورحمته وبركاته وبعد حمد الله الذي بلغ الاسلام بهذه الخلافة آماله وحلى بهذه الولاية السعيدة أحواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي أدحض الله تعالى به الكفر وضلاله وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا أقواله وامتثلوا افعاله والرضا عن الامام المهدي المعلوم الذي أفاء الله به على الدين الحنيفي ظلاله وأذهب عنه طواغيته وضلاله والدعاء للمقام العالي الكريم بالسعد المتوالي والنصر الجسيم وكتب العبد وقد ملأت هذه البشرى المسرة أفقه ووسعت عليه هذه المرتبة العلية طرقه

فهذه رتبة ما زلت أرقبها * فاليوم أبسط آمالي وأحتكم

ولا أقنع مني ان اقتصرت على السماء دارا والهلال للبشير سوارا والنجوم عقدا والصباح بندا حتى اسر كل احد بشكله وأقابل كل شخص بمثله

الخوص من دنه وهم خارج الري في قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم فاذا مات بالري

والعروم لا كها نوع من أو قرو بن شئ عماد كرنا من البهائم ورد الواحد منهم مع ثور قرد فانا خذه يحمل عليه ذلك الجيفة ويسار بها الى قريته فيأكلهم منها ويدنانه من غنمها ويجمعون من بمائها الحر به لك أمرهم فأكثر أكلهم وأكل نيرهم من ذلك الطعام رطب ويابس وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة الحدق وسائر البقر تفزع وتهرب من هذا البقر ورأيت باصبهان وثم منها ما في أنوفها حلق الحديد وأشعر قد حرمت فيها الحلق وحصمت بها كما يفعل بالجمال البخت وكذلك بالري رأيت ثورا منها قد عدا الثور من غير هذا النوع لما رآه قصده فقام فزعا من هذا الجنس وليس في سائر أنواع البقر ما ياوي الماء والجزائر والغدران الا البقر المعروف بالجاموس التي تكون ببلاد مصر وأعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار واما الجواميس فانها بالثغر الشامي في بحر أكبر ما يكون من الحلق في أنوفها حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا من البقر وكذلك منها ببلاد

انطاكية وما كثر من ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر أكبر من قرون هذه

ومن

ومن خدم الاقوام يرجون نيلهم * فاني لم اخدمك الا لاخدما

وما بعد الخلافة رتبة ودون ثبير تنحط كل هضبة فالحمد لله رب العالمين وهنيأ لعباده المؤمنين حيث نظر لهم نظر رحمة فابدل عليهم بستر هذه النعمة

ولقد علمت بان ذلك معصم * ما كان يتركه بغير سوار

والله اعلم حيث يجعل رسالاته والى من يشير بآياته فلله صباح ذلك اليوم السعيد وليلته لقد سفر عن وجه من البشرى اضاءت الآفاق شرقا وغربا غرته ولقد اجتمعت آراء السداد حتى أتت الاسلام بالمراد فاخذ القوس باريها وحل بالدار بانيها هنيأ زادك الرحمن اصفاء وخيرا ولا زالت المسرات تسير اليك سيرا وهل جاء النور الا لكامل وهل يليق بالحسن الا الحالي فالآن مهد الله البرين وافاض العدل على العدوتين وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ولا يختص بحفظه انسان دون انسان خليفة له النفس العمرية والآراء العمريه والفراسة الاياسية ولا ينبئك مثل خبير ولقد شاهد العبد ما لا يحصره تفسير ولعمري لقد صار الصباح في اشراق النهار ولم يخف عنا ما زاد الدنيا من البهجات والمسار وشملت الناس هذه البشائر وعمت كل باد وحاضر وأصاخوا لتاليها اصاخة المجدبين لرعادهم وأهطعوا اليها مهللين ومكبرين اهطاع الناس لاعيادهم وأما العبد فقد أخذته حتى خاف أن تغلب السرور على قلبه ولحظه (ومن فرح النفس ما يقتل) وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ويحسد عليها الهلال والنجم بل سلمان لما استحقته من المراتب وبخضعان اليها خضوع المفترض الواجب أقر الله بها عيون المسلمين وأفاض سعدها على الناس أجمعين وحفظها بعينه التي لا تنام ووقف على خدمتها الليالي والايام * ولما قدم من الاندلس على تونس مدح سلطانها أبا زكريا بقوله

بشرى ويسرى قد أنار المظلم * نجما وقد وضح الصباح المعلم
ورنت عيون الامن وهي قريرة * وبدت ثغور السعد وهي تبسم
فارحل لتونس واعتقد أعلام من * قوي الضعيف به وأثرى المعدم
حيث المعالي والمعاني والندى * والفضل والقوم الذين هم هم
أجروا الى الغايات مل عنانهم * سبقا وبذهم الجواد المنعم
ساد الامام الملك يحيى سادة * أعطى الورى لهم القياد وسلموا
ان الامارة مذ غدا يقتادها * يقظى وأجفان الحوادث نوم
لله منك مبارك ذو فطنة * برئت فاحجم عندها من يقدم
يقظان لا وان ولا متقاعس * كالدهر يبني ما يشاء ويهدم
ان صال فالليث الهصور المقدم * أو سال فالغيث المغيث المسجم
أعلى منار الحق حين أماله * قوم تبرأت المنابر منهم
أعلى الاله مكانه وزمانه * والنصر يقدم والسعادة تخدم

*(وقال يخاطب ملك المغرب مامون بني عبد المؤمن حين أخذ البيعة لنفسه باشبيلية وكان

الجواميس التي بأرض الاسلام وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين ولذلك الجواميس كثيرة بأرض العراق مما يلي صقوف الكوفة والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقاء في الحمامات وغيرها ولم أجد أحدا في هذه الممالك من شاهدته أو نمى الى خبره ذكر أنه رآها ولست أدري كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى أخبار الزنج وأخبار ملوكها فاما تفسير اسم ملك الزنج الذي هو وقليمن فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل فيهم فمتى جار الملك عليهم في حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ويزعمون انه اذا فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذي هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز وجل مكلنجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج ألو فصاحة في ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم فيقف الرجل منهم الزاهد فيخطب على الخلق الكثير منهم ويرغبهم في القرب من باريهم ويبعثهم على طاعته ويرهبهم من عقابه وصولته ويذكرهم من مضى من ملوكهم وأسلافهم وليس لهم شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعاياهم وأكلهم الزرو هو

المذكور بأنشر ولبني سعيد بهذا الملك اختصاص قديم)

الحزم والعزم موجودان والنظر * واليمن والسعد مضمونان والظفر
والنور فاض على أرجاء أندلس * والزور ليس له عين ولا أثر
حث الركاب الى هذا الجناب فقد * ضلوا فما تنفع الآيات والنذر
واعزم كما عزم المأمون اذ نشرت * أرض العراق فزال البؤس والضرر

* (ولما قدم العادل القائم بمرسية المتولي على مملكة البرين الى اشبيلية كان في جملة من خرج للقائه ورفع له قصيدة منها)

لتمائمه للصبر والشكر مجمع * الى يومه كنا نخب ونوضع
لتدبير الرحمن صعب مرامه * فابصرت أضعاف الذي كنت أسمع

وله

يا منعما قد جاءني بره * من غير ان أجرى له ذكرا
ان أحب الخير ما جاءني * عفوا ولم أعمل به فكرا

وله في غلام واعظ وهو من حسناته

وشادن ظل للوعظ تاليا بين جمع
متعت طرفي برآ * ه في خفارة سمعي

وله من أبيات

ومن عجب أن الليالي تغيرت * ولكنها ما غيرت مني العهدا

ومن الفضلاء الذين أدركهم وأخذ عنهم الحافظ أبو بكر بن الجد وأبو بكر بن زهر وغيرهما وحضر حصار طليطلة مع منصور بن عبد المؤمن وكتب لملك البرين أبي محمد عبد الواحد وكتب أيضا عن مامون بني عبد المؤمن وكتب أخيرا عن ملك بجاية والغرب الاوسط الامير ابي يحيى ابن ملك افريقية رحم الله تعالى الجميع * (رجع الى أبي الحسن بن سعيد) قال رحمه الله تعالى حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك افريقية أبي العباس أحمد الغساني فاحتاجت الشمعة أن تقط فتناول قطها غلام ببنانه فقلت

ورخص البنان تعدى لأن * يقط السراج بمثل العنم
فقال ولم يهب النار في لمسه * ولا احتاج في قطه للعلم
فقلت وماذاك الا سكناه في * فؤادي على ما حوى من ضرم
فقال تعود حر لهيب به * فليس به من أوار ألم

وأنشد في المغرب للغساني المذكور في خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كأن البدر لما أن علاه * خسوف لم يكن يعتاد غيره
مخجل غادة قلبته لما * أراها شبهها حسدا وغيره

وخاطبه المذكور برسالة يقول في آخرها وعند حامل هذه الاحرف سلمه الله تعالى كنه خبري واستيعاب ما قصر عنه قلمي فضاقت بحمله أسطري لتعلم ما اجده وأفقده من تشوقي وتصبري واني لا أزال أنشد حيث تذكري وتفكري

بلادهم كثير وكذلك بأرض الهند والغالب على أقوات الزنج الذرة ونبت يقال له الكلاري يقلع من الارض كالكمأة والراسن ومنه ما هو كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ويشبه هذا الكلاري القلقاس الذي يكون بالشام ومصر ومن غذائهم أيضا العسل واللحم ومن هوى منهم شيأ من نبات أو حيوان او جماد عبده وجزائرهم في البحر لا تحصى كثرة وفيها النارجيل يعم أكله سائر الزنج ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين فيها خلائق من المسلمين يقال لهم قنبلو ويتوارثها المسلمون على حسب ما ذكرنا من أمرها في هذا الكتاب وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوه وبنوا مدينة عظيمة وسموها سربه (قال المسعودي) وانتهيت في تصنيفي الى هذا الموضع من كتابنا هذا في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

يا نائيا قد نأى عني بمصطبري * وثاويا في سواد القلب والبصر
اذا تناسيت عهدا من أخي ثقة * فاذكر عهودي ها الخليك من فكري
واردد علي تحياتي بأحسنها * ترددها لي حياتي آخر العمر

ولنمسك العنان عن الجري في ميدان اخبار ابن سعيد فانها الا يشق غبارها ومنها قوله رحمه الله تعالى سمعت كثيرا من السماع المشرقي فلم يهزني مثل قول الشرف الشمسي المكي

مثقل بالدمع غرقى * وفؤاد طار خفقا
وتجن وتثن * شق جيب الصبر شقا
يا ثقاتي خبروني * عن حديث اليوم حقا
اكذا كل محب * فارق الاحباب يشقى
لا وعيش قد تقضى * ومرام قد تبقى
ونعيم في ذاركم * قد صفا دهرا ورقا
ونسيم من حماكم * حمل الوجد فرقا
برسالات صبايا * تحلى المشتاق ملقى
وغصون ناعمات * بمياه الدن تسقى
ووجوه تقسن حسنا * ملأن الارض عشقا
لو رضيتم لي عبيدا * ما رضيت الدهر عتقا

وقال ما سمعت ولا وقفت على شئ أبدع من قول الجزار وقد تردد الى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به

أسأل الله أن يديم لك العز ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقيا * ك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أنني أشتكيه * لك اذ نلتقي فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الاحسان وكتب في حقه الى ولاة الصعيد كتبا أغنته مدة عن شكوى الزمان انتهى * وقال أيضا ولم أسمع في وضع الشئ موضعه أحسن من قول المتنبي

وأصبح شعري منهما في مكانه * وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم اسمع في وضع الشئ غير موضعه أحسن من قول أبي الفرج

ومدحي ضائعا في لؤمه * كضياع السيف في كف الجبان

ومن تآليف النور بن سعيد كتاب عدة المستنجز وعقلة المستوفز وذكر فيه انه ارتحل من تونس الى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٦٦ وأورد في هذا الكتاب غرائب وبدائع وذكر فيه أنه لما دخل الاسكندرية لم يكن عنده آكد من السؤال عن الملك الناصر فاخبر بحاله وما جرى له مع الططر حتى قتلوه بعد الامان ثم ساق فيه دخول هولاكو حلب فقال بعد كلام كثير وارتكب في أهل حلب الططر والمرتدون ونصارى الارمن ما تصم عنه الاسماع وكان فيمن قتل بتلك الكائنة البدر بن العديم الذي صدر عنه من الطبقة العالية في الشعر مثل قوله

وإها العقرب صدغه * لو لم تكن للماء تحمي

فاخبرت أن الملك في مدينة دنقلة الى النوبة ليرني بن ... دروه وهو ملك ابن ملك ١٠٠ ابن ملك فصاعدا ومملكته يحتوي على أمم

... رية وعلوه والبلد المتصل بمملكته بارض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان وأما البجه فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا افرقا وملكوا عليهم ملوكا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجه الى أن قوي الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار حلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجه فقويت البجه بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعه بالبجه على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحق وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجه

ولعقل خط عذاره * لوبت أعجمه بالشمى

وابن عمه الافتخار بن العديم الذى وقع له مثل قوله

والغصن فيه الماء مطرد * والماء فيه الغصن منعكس

ثم قال لما ذكر أحوال الناصر بعد استيلاء الططر على بلاده حلب والشام وما يليهما ما نصه
قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل بميدان دمشق قبلت يده وجعلت أدعوله وأظهر
تعزيته على ما جرى من تلك المصائب العظيمة فأضرب عن ذلك وقال لى فيم تتغزل اليوم
ثم أنشدنى قوله فى مملوك فقده فى هذه الكائنة

والله ما أبكى لملك مضى * ولا لحال ظاعن أو مقيم
وانما أبكى وقد حق لى * لفقد من كنت به فى نعيم
يطلع بدرا ينثنى بانه * يرشف ماء ريقه كالنسيم
فى خاطرى أبصره خاطرا * فألتوى مثل التواء السقيم
يا عاذلى دعنى وما حل بى * فما سوى الله بحالى عليم
ان مت من حزن له أسترح * وان أعش عشت بهم عظيم

قال ثم انه سار نحو هولاكو فلما مر بحلب ونظر الى معاهده على غير ما يعهد قال

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت * لحاظى الى الدار التى رحلوا عنها
ولو كان عندى ألف عين ورقت فى * معالمها عمرى لما شبعت منها

وصنع فى نعتها أشعارا يغنى بها المسمعون ثم رحل الى صحراء موش فى جهة طريق أرمينية
فوجد هولاكو هنالك فى تلك المروج المشهورة بالخصب فأنزله وأقام يشرب معه الى أن
وصل الخبر بوقعة عين جالوت على الططر للملك المظفر قطز صاحب مصر سنة ٦٥٨ فقتلوه
وخلعوا نظم كتفه وجعلوه فى أحد الاعلام على عادته فى أكتاف الملوك انتهى باختصار
*(رجع) ومن الوافدين من الاندلس الى المشرق الاديب الحسيب عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الملك بن سعيد) وكان صعب الخلق شديد الانفة جرى بينه وبين أقاربه ما أوجب خروجه
الى أقصى المشرق وفى ذلك يقول وكتب به اليهم

من لصب يرعى النجوم صبابه * ضيع الصبر فى الهموم شبابه
زدت بعدا فزدت فيه اقترابا * بودادى كذلك حكم القرابه
منزلى الآن سمرقند وبالقلعة ربع وطئت طفلا ترابه
شد ما أبعد الفراق انتزاحى * هكذا الليث ليس يدرى اغترابه
لا ولا أرتجى الاياب لامر * ان يكن يرتجى غريب ايابه

وكتب لهم من بخارى

اذا هبت رياح الغرب طارت * اليها مهجتى نحو التلاقى
وأحسب من تركت به يلاقى * اذا هبت صباها ما ألاقى
فياليت التفرق كان عدلا * فحمل ما يطيق من اشتياقى
وليت العمر لم يبرح وصالا * ولم يختم علينا بالفراق

بجميع الشنوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر الحبشة والدار حلاس من الحبشة كفار يعبدون صنما
لهم وأما الحبشة فاسم دار
مملكتهم كعمى وهى مدينة
ضخمة وهى دار مملكة
النجاشى وللحبشة مدن
كثيرة وعمائر واسعة
تتصل ملك النجاشى بالبحر
الحبشى ولهم ساحل لهم
فيه مدن كثيرة وهو مقابل
لبلاد اليمن من مدن
الحبشة على الساحل
الزيلع والدهلك وناصع
وهذه مدن فيها أناس من
المسلمين الا أنهم فى ذمة
الحبشة وبين ساحل
الحبشة ومدينة علافقة
وهى ساحل زبيد من أرض
اليمن ثلاثة أيام عرض
البحر بين الساحلين ومن
هذا الموضع عبرت الحبشة
البحر حين ملكت اليمن
فى أيام ذى نواس وهو
صاحب الاخدود المذكور
فى القرآن وصاحب زبيد
فى وقتنا هذا ابراهيم بن
زياد صاحب الحرملى
ومراكبه تختلف الى ساحل
الحبشة ويركب فيها
التجار بالامتعة وبينهم
مهادنة وهذا الموضع من
البحر بين هذين الشطين
أعنى ساحل اليمن وساحل
الحبشة أقل المواضع فيه
عرضا وهنالك جزائر بين
هذين الساحلين منها
جزيرة العقل يقال ان فيها ماء يعرف بماء العقل تستقى منه أرباب المراكب ويعمل فى القرائح والذكاء

اذا كان الشوق فوق كل صفة فكيف نعبر عنه الشفة لكن العنوان دليل على بعض ما في الصحيفة والحاجب قد ينوب في بعض الامور مناب الخليفة وما ظنكم بشوق طرح في يد الاشواق طائح يقطع مسافات الآفاق يتقلب تقلب الافياء ويتلون تلون الحرباء حتى كأنه يختبر مساحات الارض ذات الطول والعرض ويجوب أهوية الاقاليم السبع خارجا عما أدخله فيه اللجاج عن السمع فكأنه خليفة الاسكندر لكن ما يجيش من هموم الغربة بفكري قائمة مقام الجيش والعسكر جزت الى بر العدوة من الغرب الاقصى ثم اشوقت نفسي وطمحت الى مشاهدة الغرب الاوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة ومن المشاق ما لا يحصى ثم اشوقت الى افريقية درب بلاد الشرق فاستشعرت من هنالك ما بينها وبين بلادي من الفرق واختطفت من عيني تلك الطلاوة وانتزعت من قلبي تلك الحلاوة

فلله عين لم تر العين مثلها * ولا تلتقي الاجفان رضوان

ثم نازعتني النفس التواقة الى الديار المصرية فكابدت في البحر ما لا يفي بوصفه الا المشاهدة الى أن أبصرت منار الاسكندرية فيالك من استئناف عمر جديد بعد اليأس من الحياة عما لقينا من الهول والتنكيد ثم صعدت الى القاهرة قاعدة الديار المصرية لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الازلية وعاينت القاهرة المعزية وما فيها من الهمم العلية الملوكية غير أني أنكرت مبانيها الواهية على ما حوت من أولي الهمم العالية وكونها حاضرة العسكر الجرار وكرسي الملك العظيم المقدار وقلت أصداف فيها جواهر وشوك محدق بأزاهر ثم ركبت النيل وعاينت تماسيحه وجزت بحر جدة وذقت تباريحه وقضيت الحج والزيارة وملت الى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمارة فهنالك بعت الزيارة بالازورار وآلت تلك التجارة الى ما حكمت به الاقدار اذ هي كما قال أحد من عاينها

أما دمشق فجنات معجلة * للطالبين بها الولدان والحور

فلله ما تضمن داخلها من الحور والولدان وما زين به خارجها من الانهار والجنان وبالجملة فانها جنة تتقاصر عن ادراكها أعناق الفصاحة وتقصر عن مناولتها في ميدان الاوصاف كل راحة ولم أزل أسمع عن حلب أنها دار الكرم والادب فاردت أن يحظى بصري بما حظي به سمعي ورحلت اليها وألفيت جابرا للمذاكرة والمطابقة صدعي ثم رحلت الى الموصل فالفيت مدينة عليها رونق الاندلس وفيها الطلاقة وفي مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفي به الكتب ولو أن البحر مداد ثم تغلغلت الى بلاد العجم بلدا بلدا غير مقتنع بغاية ولا قاصد أمدا الى أن حللت بخارى قبة الاسلام ومجمع الانام فالقيت بها عصا التسيار وعكفت على طلب العلم واصلا في اجتهاده سواد الليل ببياض النهار انتهى * وكتب اليهم أيضا من هذه الرسالة كنت وقد حصلتني السعادة وحظ الامل والارادة بحضرة بخارى قبة الاسلام

* وأجابه أهله من الغرب بكلام من جملته وان كنت قد تحصنت بقبة الاسلام فقد عجلت لنا ولك الفقد قبل وقت الحمام وأتبعوا ذلك بما دعاه لان خاطبهم بشعر منه

عتبتم على حتى المعنى وقلتم * عجلت فقدا قبل وقت حمام

فملاجيلا وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وما له من خواص وذكر علة ذلك وقد أنبأنا على الحجري كتابه في اخبار الزمان عند ذكر الاحجار الطبيين في تجاربهم وما كان من تصاباهم في علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام وبعده ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد علم ان هذا دليل على هذه الجزيرة وله في هذا الوقت رجال مرتبون ... من أصحابه وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة واليها يضاف الصبر السقطري ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاطاليس بن عرياخين كتب الى الاسكندر بن فيلبس حين سار الى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطري الذي يقع في الايارجات وغيرها فسير الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن عرياخين وهي مدينة اسطاغورى المراكب باهليهم في بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم في أخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى الاسكندر

ادالم يكن حالى مهمالديكم * سواء عليكم رحلتى ومقامى

وقتل المذكور ببخارى حين دخلها الططر وهو عم على بن سعيد الشهير وكان لعبد الرحمن المذكور أخ يسمى يحيى قد عانى الجندية فلما بلغه أن أبا القاسم عبد الرحمن قتل ببخارى قال لا اله الا الله كان أبدا يسفه رأيى فى الجندية ويقول لو اتبعت طريق النجاة كما صنعت أنا لكان خيرا لك فها هو رب قلم قد قتل شر قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه وأنا ما زلت أغازى فى عباد الصليب وأخلص فما يقدر أحد أن يحسن لنفسه عاقبة انتهى * قال أبو الحسن على بن سعيد ثم ان يحيى المذكور بعد خوضه فى الحروب صرعه فى طريقه غلام كان يخدمه فذبحه على بردس المال أخذه فانظر الى تقلب الاحوال كيف تجرى فى أنواع الامور لا على قدر ولا احتياط انتهى * ومن شعر أبى القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به نقيب الاشراف ببخارى وقد أهدى اليه فاختا مع زوجه

أيا سيد الاشراف لازلت عاليا * معاليك تنبو الدهر عن كل ناعت
من الفضل اقبال على ما بعثته * لمغناك من شاد دعوه بفاخت
ألا حبذا من فاخت ساد جنسه * وأصبح منسوبا بست الفواخت
لئن فاتنى منه الانيس فكل ما * يحل الى علياك ليس بفائت

انتهى

(ومنهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن على بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبى الانصارى المعروف بابن العائد) نزيل رباط الصاحب الصفى بن شكر قال بعض المشارقة عنه انما سميت الخمر بالعجوز لانها بنت ثمانين يعنى عدد حدها وأنشد له

عذلنا ولانا على فعله * ولمنا فى شربه للعجوز
فقال دعونى من أجلها * أنال أنا وأخى والعجوز

(ومنهم الشيخ الفاضل المتقن أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصارى) الشاطبى الاصل البلنسى المولد فى أحد ربيعى سنة احدى وستمائة ولقبه المشارقة برضى الدين وتوفى بالقاهرة فى جمادى الاولى سنة ٦٨٤ رحمه الله تعالى ومن نظمه لما حضر أجله وقد أمر خادمه أن ينظف له بيته وأن يغلق عليه الباب ويتفقده بعد زمان ففعل ذلك ولما دخل عليه وجده ميتا وقد كتب فى رقعة

حان الرحيل فودع الدار التى * ما كان ساكنها بها بمخلد
واضرع الى الملك الجواد وقل له * عبد ببابك الجود أصبح يجتدى
لم يرض غير الله معبودا ولا * دينا سوى دين النبى محمد

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أقول لنفسى حين قابلها الردى * فرامت فرارا منه يسرى الى يمنى
قرى تحملى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

أنشده له تلميذه أبو حيان امام عصره فى اللغة حدث عن ابن المنير وغيره واشتغل الناس عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ أبى الربيع بن سالم و كتب على صحاح الجوهرى وغيره حواشى فى مجلدات وأثنى عليه تلميذه أبو حيان رحم الله تعالى الجميع

فظهر المدنع د مصر من كان بها الى هذا الوقت وليس فى الدنيا والله أعلم موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون انسابهم ثم يذكرونهم فى أنسابهم روم ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة وهم فى هذا الوقت تأوى اليهم بوارج لهذا الدين يعبثون على المسلمين فى هذه البوارج وهى المراكب على من أراد الصين والهند وبهذا ما يقطع الروم فى الشوانى على المسلمين فى البحر الرومى من ساحل الشام ومصر وتحمل من جزيرة سقطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة اخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا واما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن فى المغرب مثل ارغاوة والكركر والعراقروم ريدة والمروبين والهدبين واللالة والعرماطن وزو يله والعرمد فلكل واحد منهم من هولاء وغيرهم من أنواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد اتينا على ذكر جميع اجناس السودان وانواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ولاية علة تفلفلت شعورهم واسودت الوانهم وغير ذلك من اخبارهم واخبار ملوكهم وبلغ ... برهم ... شعبهم فى انسابهم فى كتابنا فى اخبار الزمان فى الفن الاول

ومن

ومن فوائده قوله نقلت من خط أبي الوليد بن خيرة الحافظ القرطبي في فهرست أبي بكر بن مفوز وقد أدركته بسني ولم آخذ عنه واجتمعت به أنشدني له أبو القاسم بن الابرش يخاطب بعض أكابر أصحاب محمد بن حزم والاشارة لابن حزم الظاهري

يا من تعنى أمورا لن يعانيها * خل التعالي وأعط القوس باريها
تروي الاحاديث عن كل مسامحة * وانما لمعانيها معانيها

وقد سبق في ترجمة القاضي أبي الوليد الباجي ذكر هذين البيتين عند ما جرى ما ذكر ابن حزم قال وانما قال هذا الشعر في ذكر رواية ادعيت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم ان خالدا قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله وصحح رواية من روى أعبده جمع عبد وعلل رواية من روى أعتده بالتاء مثناة باثنتين من فوق جمع عتد وهو الفرس قال ابن خيرة الاحاطة ممتنعة وهذه الرواية قد رواها جماعة من الاثبات والعلماء المحدثين فهو انكار غير معروف والله تعالى أعلم * ومن فوائده ما نقله تلميذه أبو حيان النحوي عنه قال أنشدنا المعري ونقلته من خطه

اذا ما شئت معرفة * لما جاز الورى فيه
فخذ حسا لاربعة * ودع للثوب راثيه

وهو لغزفي ورد قال وأنشدنا لبعضهم

لا رعى الله عزمة ضمنت لي * سلوة الصبر والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبي تقول لا بد منه

قال وأنشدنا لغيره

وكان غريب الحسن قبل التحائه * فلما التحى صار الغريب المصنفا

وأنشدنا لغيره

طب على الوحدة نفسا * وارض بالوحشة انسا
ما عليها من يساوي * حين يستخبر فلسا

وقرأ الرضي بلده على ابن صاحب الصلاة آخر أصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للداني وسمع بمصر من ابن المقير وجماعة وروى عنه الحافظ المزي واليونيني والظاهري وآخرون وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها وكان يقول أحرف اللغة على قسمين قسم أعرف معناه وشواهده وقسم أعرف كيف أنطق به فقط رحمه الله تعالى * ومن فوائد الرضي الشاطبي المذكور ما ذكره أبو حيان في البحر قال وهو من غريب ما أنشدنا الامام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزينب بنت اسحق النصراني الرسعني

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم * بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه * اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم اني لأحسب حبهم * سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

من جملة الثلاثين فنأتي فيما بعد من هذا الكتاب مما لم نذكره في كتابنا أخبار الزمان مما لا ينبغي ترك ايراده فيه ولا تعريته منه (قال المسعودي) وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر كتب اليه بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر وولي عبد الله بن سعد فصالحهم على رؤس من السبي معلومة مما يسبي هذا الملك الذي ورد ذكره من غيرهم من ممالك النوبة المتقدم ذكرها فيما سلف من هذا الباب المدعو بمريس وغيرها من أرض النوبة فصار ما قبض منهم من السبي سنة جارية في كل سنة الى هذه الغاية يحمل الى صاحب مصر ويدعى هذا السبي في العربية بأرض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا وأراه وضع على عدد أيام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللأمير غير ما ذكرنا من عدد السبي أربعون رأسا ولخليفته المقيم ببلاد أسوان المجاوره لأرض النوبة وهو المتولي لقبض هذا البقط وهو السبي عشرون رأسا غير الاربعين وللعامل المقيم

ومن نظم الرضي المذكور

منغص العيش لا يأوي الى دعة * من كان في بلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى بلاد ولا سكنى الى احد

وله

لولا بنياتي وسيئاتي * لطرت شوقا الى الممات

لانني في جوار قوم * بغضني قربهم حياتي

وقرأ عليه ابو حيان كتاب التيسير وأثنى عليه ولما توفي انشد ارتجالا

نعى لي الرضي فقلت لقد * نعى لي شيخ العلا والادب

فمن للغات ومن للثقات * ومن للنحاة ومن للنسب

لقد كان للعلم بحرا فغار * وان غؤور البحار العجب

فقدس من عالم عامل * اثار اشجوى لما ذهب

وتحاكم الى رضي الدين المذكور الجزار والسراج الوراق ايهما أشعر وارسل اليه الجزار شيأ فقال هذا شعر جزل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فارسل اليه شيأ فقال هذا شعر سلس وآخر الامر قال ما أحكم بينكما رحمه الله تعالى * قلت رأيت بخطه كتبا كثيرة بمصر وحواشي مفيدة في اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله تعالى * (ومنهم حميد الزاهد وهو الاديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن أبي محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الانصاري القرطبي نزيل مالقة) قال الرضي الشاطبي المذكور قريبا أنشدني حميد بالقاهرة لابيه أبي محمد وقد تأخر شيبه مع علو سنه

وهل نافعي أن أخطأ الشيب مفرقي * وقد شاب أترابي وشاب لداتي

اذا كان خط الشيب يوجد عندهم * بترتيبه فمعناه يقوم بذاتي

واللدات من ولد معه في زمان واحد انتهى وفي ذكرى أنه قال هذين البيتين لما قال له القاضي عياض شبنا ولم تشب وقال الرضي أيضا انشدني حميد لابيه فيمن يكتب في الورق بالقص وهو غريب

وكاتب وشي طرسه حبره * لم يشمها حبره ولا قلمه

لكن بمقراضه ينمنمها * نمنمة الروض جاده رهمه

يوجد بالقطع أحرفا عدمت * فاعجب لشيء وجوده عدمه

والرهم المطر قال وتوفي حميد الزاهد هذا بمصر قبيل الظهر من يوم الثلاثاء وصلي عليه خارج مصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ودفن بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد أبي بكر محمد الخزرجي الذي يدفن الرصاص حذاء رجليه في الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ومولده سنة ست وستمائة انتهى * (ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقي) من اهل بلنسية واصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة يكنى أبا يحيى كتب لبعض الامراء بشرقي الاندلس وله تاليف سماه المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

قبض البقط خمسة ارؤس غير العشرين التي يقبضها الامير باسوان الذي يحضره مع أمير اسوان ولاثني عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأسا من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في بدء الصلح المعقود بين المسلمين والنوبة والموضع الذي يسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هذه مدينة في الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وهذه المدينة في هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التي في الجزائر بين رحبة مالك بن طوق وبين الرقة وناوسة وعانة والحديثة وفي مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير في كلا الشطين وهذه المدينة النهاية تنتهي سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من الحجاز وعمر البلد كثير النخل خصب كثير الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة بالديار

بالديار المصرية بعد أن رحل اليها من الاندلس سنة ستين وخمسمائة وبها توفى يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم محمد بن عبد الرحمن ابن على بن محمد التجيبى يكنى أبا عبد الله من أهل اشبيلية) تجول فى بلاد الاندلس طالبا للعلم ثم حج ولقى الحافظ السلفى وغيره واستوطن تلمسان وبها توفى فى جمادى الاولى سنة عشر وستمائة وله تواليف كثيرة (ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمى الباجى) من أهل اشبيلية ولى القضاء بها وأصله من باجة افريقية دخل المشرق لاداء الفرض فحج وتوفى بمصر بعد ما دخل الشام فى اليوم الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وستمائة ومولده عام أربعة وستين وخمسمائة وكانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة (ومنهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمرى) من أهل سرقسطة يكنى أبا العباس له كتاب سماه الوجازة فى صحة القول بالاجازة وله رحلة لقى فيها ألف شيخ محدث وفقيه توفى بالدينور سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة يروى عنه أبو ذر الهروى وعبد الغنى الحافظ وكفاه فخرا بهذين الامامين العظيمين رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعينى الرندى يكنى أبا محمد) استوطن مالقة ورحل الى المشرق وحج ولقى جماعة من العلماء وقفل الى المغرب أواخر عام واحد وثلاثين وستمائة وولى الامامة بالمسجد الجامع بمالقة وبها توفى فى ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولقب فى المشرق برشيد الدين وولد فى ربيع الاول سنة احدى وثمانين وخمسمائة بقرية من قرى الاندلس يقال لها بلماطين من كورة بشتغير ذكر ذلك ابن المستوفى فى تاريخ اربل * (ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد اليمنى) من أهل الاندلس استوطن المشرق ومدح الملك الكامل ومن شعره رحمه الله تعالى قوله

لولا تحدثه بآية سحره * ما كنت ممتثلا شريعة أمره
رشأ أصدقه وكاذب وعده * يبدى لعاشقه أدلة غدره
ظهرت نبوة حسنه فى فترة * من جفنه وضلالة من شعره

(ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبى) رحل حاجا فلقى ببجاية عبد الحق الاشبيلى وبالاسكندرية أبا الطاهر بن عوف ولقى غير واحد فى رحلته كالغزنوى وأبى الثناء الحرانى وأبى الحسين الحريثى وللعريثى أحاديث ساوى بها البخارى ومسلما ولقى جماعة ممن شارك السلفى فى شيوخه (ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى صاحب الرحلة) وهو من ولد ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة أندلسى شاطبى بلنسى مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل فى مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبى عبد الله الاصيلى وأبى الحسن بن أبى العيش وأخذ عنه القراآت وعنى بالادب فبلغ الغاية فيه وتقدم فى صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصنا نضرا من أحد بساتينها فذوى فى يده

لا تغترب عن وطن * واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا * ما فارق الاصل ذوى

ويؤكل من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ولا غيرهما من أرض النخل لان النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من الثال والفسيل وهو النخل الصغير وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح وليس باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بارض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة واشتريت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما ملكهم على هذه الضياع ملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة بأنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا لملكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الجندى

يا من حواه الدين فى عصره * صدرا يحل العلم منه فؤاد
ما دار بى سيدنا المرتضى * فى زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغى منه سوى أحرف * يعتدها أشرف ذخر يفاد
ترسمها أنامل مثل ما * شق زهر الروض كف العهاد
فى رقعة كالصبح أهدى لها * يد المعالى مسك ليل المداد
اجازة يورثنيها العلا * جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر جديد الها * والشكر للامجاد أسنى عتاد

فاجابه الصدر الجندى

لك الله من خاطب خاطبنى * ومن قابس يجتدى سقط زندى
اجزت له ما أجازوه لى * وما حدثوه وما صح عندى
وكاتب هذى السطور التى * تراهن عبد اللطيف الجندى

وراثق ابن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعى وأصله من أندة من عمل بلنسية رحل معه فأديا الفريضة وسمعا بدمشق من أبى الطاهر الخشوعى وأجازلهما أبو محمد بن أبى عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجولا مدة ثم قفلا جميعا الى المغرب فسمع كل منهما بعض ما كان عندهما وكان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم ومنهم السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن وجده لامه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية وتوفى أبو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الخمسين فى سنه رحمه الله تعالى (رجع الى ابن جبير) قال لسان الدين فى حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة فى الآداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت فى السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب له قصيدتان احداهما أولها

أطلت على أفقك الزاهر * سعود من الفلك الدائر

ومنها

رفعت مغارم مكس الحجاز * بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد * فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة * على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد * وكم لك بالغرب من شاكر

والاخرى منهما فى الشكوى من ابن شكر الذى كان أخذ المكس من الناس فى الحجاز

وما نال الحجاز بكم صلاحا * وقد نالته مصر والشآم

ومن شعره

احلاء هذا الزمان الخؤن * توالت عليهم حروف العلل
تقضيت التعجب من بابهم * فصرت أطالع باب البدل

وقوله

تمييد المملكة وأموالكم لدفعهم كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوهموه عليه من هذا المعنى فى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضيع بارض النوبة من بلاد مريس وديار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهى بلاد مريس ومعدن الزمرد فى عمل الصعيد الاعلى من أعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذى فيه الزمرد يعرف بالخربة مفازة وجبال والخربة تسمى هذا المكان المعروف بالخربة واليها يؤدى الخفارات من برد الى حفر الزمرد والزمرد الذى يستخرج من هذا المعدن يتنوع أربعة أنواع النوع الاول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته باشد ما يكون من السلق خضرة وهذا اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثانى يدعى بالبحرى ومعناهم فى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزنج والصين ترغب فى هذا النوع من

وقوله

غريب تذكر أوطانه * فهيج بالذكر أشجانه
يحل عرا صبره بالاسى * ويعقد بالنجم أجفانه   انتهى

وقال رحمه الله تعالى لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا ومهابة وتعظيما

بدت لى أعلام بيت الهدى * بمكة والنور باد عليه
فأحرمت شوقا له بالهوى * وأهديت قلبى هديا اليه

وقوله يخاطب من أهدى اليه موزا

يا مهدى الموز تبقى * ودم سليما للشفاء
وزاده عن قريب * لمن يعاديك ناء

وقال رحمه الله تعالى

قد ظهرت فى عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدى فى الدين الا بما * سن ابن سينا وأبو نصر

وقال

يا وحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه

وقال

ضلت بافعالها الشنيعه * طائفة عن هدى الشريعه
ليست ترى فاعلا حكيما * يفعل شيأ سوى الطبيعه

وكان انفصاله رحمه الله تعالى من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ووصل اسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذى القعدة الحرام من السنة م وكانت اقامته على متن البحر من الاندلس الى الاسكندرية ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندرانى فى الحادى والثلاثين وحج رحمه الله تعالى وتجول فى البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمه الله تعالى كما قال ابن الرقيق من أعلام العلماء العارفين بالله كتب فى أول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد يده اليه بكاس فاظهر الانقباض وقال يا سيدى ما شربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا فلما رأى العزيمة شرب سبعا فملأ له السيد الكاس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره فحمله الى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب الى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج فى تلك السنة فاسعفه وباع ملكا له تزوّد به وأنفق تلك الدنانير فى سبيل البر

ومن شعره فى جارية تركها بغرناطة

طول اغتراب وبرح شوق * لا صبر والله لى عليه
اليك أشكو الذى الاقى * يا خير من يشتكى اليه
ولى بغرناطة حبيب * قد غلق الرهن فى يديه

فسمى البحرى لما ذكرنا وهو ثانى المرتبى فى الجودة وتشبه خضرته بالاول والماء كقداح ورق الآس الذى يظهر فى أوائل أغصان الآس وأطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربى ومعناهم فى هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو أن ملوك المغرب من الافرنجة والتوكير والاندلس والجلالقة والنوسكنس والصقالبة والروس وان كان أكثر هؤلاء الامم متصلين بالجربى وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرناه من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون فى هذا النوع من الزمرذ كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والسند فى النوع المعروف بالبحرى والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع وأقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته وهذا النوع متفاوت فى اللون من الخضرة والقلة ويجمله الوصف بهذه الانواع الاربعة فى الجودة والمبالغة فى الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة وغير ذلك من الالوان مع تعرى هذا الجوهر من النموشة فاذا سلم مما ذكرناه كان فى نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف وقيمته ما يبلغ

ودعته وهو بارتحاض * يظهر لي بعض ما لديه
فلو نرى طل نرجسيه * ينهل في ورد وجنتيه
أبصرت در الحلي عقيق * من دمعه فوق صفحتيه

وله رحلة مشهورة بايدي الناس ولما وصل بغداد تذكر بلاده فقال

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * ورد الى الاوطان كل غريب انتهى

وقال في رحلته في حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه المونق المشرق هي خاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها وعروس المدن التي اجتليناها التي قد تحلت بازاهر الرياحين وتجلت في حلل سندسية وحلت من موضع الحسن بمكان مكين وتزينت في منصتها أجمل تزيين وشرفت بان آوى الله تعالى المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت بها البساتين احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظة بجهاتها الاربع نظرته اليانعة قيد النظر ولله صدق القائلين فيها ان كانت الجنة في الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها

* قال العلامة ابن جابر الوادي آشي بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق ما نصه ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها اقامة فيعرب عنها بحقيقة علامة وما وصف ذهبات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا ازمان فصولها المنوعات ولا أوقات سرورها المهنآت ولقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين انتهى *(رجع الى كلام ابن جبير)*

فنقول ثم ذكر في وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه ومن عجيب شأنه أنه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف ثم مد النفس في وصف الجامع وما به من العجائب ثم قال بعد عدة أوراق ما نصه وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازين مصورين من صفر قائمين على طاسين صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاسان منقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين في الطاسين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا تزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل

تتمة ما قيل في الوزن الى أن ينتهي الى حد العدسة في المقدار فيدخل ذلك في النظم من المخانق وغيرها وآفات هذا الجوهر المنوع [illegible] الرسم والمجرة [illegible] روق [illegible] وفي هذا الجوهر ونوجد فيه ولا [illegible] كر [illegible] دوي الدراية هذا الجوهر و[illegible] معرفته أن الحيات والافاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين و[illegible] رها اذا أبصرت الزمرد الخالص [illegible] احداقها وأن الملسوع اذا سقي من الزمرد الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من سريان السم في جسده ولا يوجد شئ من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه و[illegible] بجر اين رخو [illegible] كاس اذا ورد على الماس و[illegible] كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شان هذا الجوهر وتفضله على غيره من [illegible] الجواهر لما تجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة وخفته في الوزن دون سائر الجواهر المعدنية وأكثر ما يوجد من هذه الانواع [illegible] في الارض وهو المتنافس فيه اذا سلم من الاعوجاج والنقب واستقام سلكه واستطال ما استدار وأدناه ما تحمل في معادنه من التراب ولتقط من الطين وقد يوجد على ظهر الارض في هذا المعدن في وهاده وجباله

تدبير

تدبيراً آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله خلف منها الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسميها الناس المنجانة انتهى المقصود منه قلت كل ما ذكر رحمه الله تعالى في وصف دمشق الشام وأهلها فهو في نفس الامر يسير ومن دار بها ومن دخلها انى اذا رجع البصر فيها انقلب وهو حسير وقد أطنب الناس فيها وما بقي أكثر مما ذكروه وقد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع وثلاثين والف للهجرة واقمت بها الى أوائل شوال من السنة وارتحلت عنها الى مصر وقد تركت القلب فيها رهنا وملكت هواها مني فكرا وذهنا فكأنها بلدي التي بها ربيت وقراري الذي لي به اهل وبيت لان اهلها عاملوني بما ليس لي بشكره يدان وها أنا الى هذا التاريخ لا ارتاح لغيرها من البلدان ولا يشوقني ذكر أرض بابل ولا بغدان فالله سبحانه وتعالى يعطر منها بالعافية الاردان *وقد عن لي أن أذكر جملة مما قيل فيها من الامداح الرائقة وأسرد ما خاطبني به اهلها من القصائد الفائقة فاقول قال البدر بن حبيب

يمم دمشق ومل الى غربيها * والمح محاسن حسن جامع بلبغا
من قال من حسد رأيت نظيره * بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال في كتاب شنف السامع بوصف الجامع

لله ما أحلى محاسن جلق * وجهاتها اللاتي تروق وتعذب
بيزيد ربوتها الفرات وجنكها * ياصاح كم كنا نخوض ونلعب

وقال فيه أيضا

لله ما أجمل وصف جلق * وما حوى جامعها المنفرد
قد أطرب الناس بصوت صيته * وكيف لا يطرب وهو معبد

وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

يا راغبا في غير جامع جلق * هل يستوي الممنوع والممنوح
أقصر عناك وفي غلوك لا ترد * ان الزيادة بابها مفتوح

وقال في منارته المعروفة بالعروس

معبد الشام يجمع الناس طرا * واليه شوقا تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت * فيه تجلى على الدوام العروس

ومنه في ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد دعا بنا * في صرفه المال وبذل جهده
لكنه أحرز ملك معبد * لا ينبغي لأحد من بعده

الهند من بلاد سفدان وبحر كنبايت من مملكة البلهرا صاحب المانكور المتقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوع من الزمرد يلحق بوصف ما ذكرناه من النور والخضرة والشعاع الا أنه [illegible] ما وصفناه أولا من المعادن ولا فرق بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الانواع الاربعة المتقدم ذكرها الا ذو دراية فطن أو ماهر ظريف وهذا النوع الهندي يعرفه اصحاب الجوهر بالمكي لانه يحمل من أرض الهند الى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ويؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفنا وبهذا النعت لما ذكرنا وقد أتينا على مبسوط اخبار الجواهر الشفافة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح في كتابنا في اخبار الزمان ووجدت جماعة بصعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر الذي هو الزمرد يخبرون أن هذا الزمرد يكثر ويقل في فصول من السنة وفي زمن من مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الاربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النوري في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر ولذلك احتاج من…

ومن أبيات في آخره

بجامع جلق رب الزعامه * أقم تلق العنايه والكرامه
ويمم نحوه في كل وقت * وصل به تصل دارا لاقامه
مصلى فيه للرحمن ذكر * ومثوى للقبول به علامه
محل كمل البارى حلاه * وبيت أبدع البارى نظامه
دمشق لم تزل للشام وجها * ومسجدها الوجه الشام شامه
وبين معابد الآفاق طرا * له أمر الاماره والامامه
ادام الله بهجته وأبقى * محاسنه الى يوم القيامه   انتهى

ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه ومن قصيدة القاضي المهذب بن الزبير

بالله يا ريح الشمال اذا اشتملت الربد بردا
وحملت من عرف الحزا مى ما اغتدى للند ندا
ونسجت ما بين الغصو ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من أجيادها للزهر عقدا
وجلات صفحته ووجهه حتى اكتسى آسا وورد
وكأنما ألقيت فيه منه ما صدعا وخدا
مرى على بردى عسا * ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كمصقول الصفائح كسرته الازهار حمدا
وقلته أنفاس النسيم فزهرن وليس بصدا

ومنها

أحبابنا ما بالكم * فيما من الاعداء أعدى
وحياة حبكم وحر * مة أصلكم ما خنت عهدا

وقال الكمال الشريشي

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * ما للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا مضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيربين ضحى * والغيم يبكى ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتى التى ذهبت * لى فيه فهى لعمرى عندى العمر
سقاك بالسفح سفح الدمع منهمرا * وقل ذلك له ان أعوز المطر

*(وحكى ابن سعيد وغيره) أن غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والاشجار وقد أطل عليها جبل الثلج

أنواع الكبريت يكثر في معدنه في السنة التي يكثر برقها وتشتد سوا عدها على حسب ما اخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن الكهور من بلاد قيصورة وغيرها من أرض الهند انه يكثر في السنة التي يكثر بها الصواعق والرعود والبروق ولأن المكثار لخاطب نيل والايجاز لحة دالة روحي صرح عن ضمير والبلاغة ايضاح بالاختصار لاسهاب في هذا الباب وبين هذا الموضع المعروف بالخزبة الذي فيه معدن هذا النوع من الجوهر وهو الزمرذ وبين ما اتصل به من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة للنيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين والمدينتين قفط وقوص أخبار عجيبة في بدء عمرانهما وما كان في أيام الانبساط من أخبارهما الآن مدينة قفط في هذا الوقت متداعية للخراب وقوص أعمر والناس فيها أكثر وبوادي البجة المسالكة لهذا المعدن معدن الزمرذ وتتصل ديارها بالعلاقي وهي معدن الذهب على حسب ما قدمنا في هذا الباب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وماء أهل العلاقي ما انهل

الثلج وفى ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يا دمشق الغرب هاتيك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجرى * وهى تنصب اليها

قال ابن سعيد أشار ابن جبير الى ان غرناطة فى مكان مشرف وغوطتها تحتها تجرى فيها الانهار ودمشق فى وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى فى وصف الجنة تجرى من تحتها الانهار انتهى * وقال الصفدى فى تذكرته أنشدنى المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخياط بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى لنفسه فى شعبان المكرم سنة ٧٢٣

قصدت مصر من بلادى حاجا * نهر به تجرى بحر بر
فلم أر الطرة حتى جرت * دموع عينى المزيريب

وأنشد لنفسه أيضا

خلفت بالشام حبيبى وقد * يممت مصرا لعنا طارق
والارض قد طالت فلا تبعدى * بالله يا مصر على العاشق

وأنشد لنفسه أيضا

يا أهل مصر أنتم للعلا * كواكب الاحسان والفضل
لولم تكونوا الى سعود المنا * وافيتكم أضرب فى الرمل

انتهى

وقد كرته برمته لحسن مغزاه وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الظهير الحنفى الاربلى

لعل سنى برق الحمى يتألق * على النأى أو طيف الاسماء يطرق
فلا نارها تبدو لمرتقب ولا * وعود الامانى الكواذب تصدق
لعل الرياح الهوج تدنى لنازح * من الشام عرفا كاللطيمة تعبق
ديار قضينا العيش فيها منعما * وأيامنا تحنو علينا وتشفق
سحبنا بها برد الشباب وشربنا * لديها كما شاء الندامى مروّق
مواطن فيها السهم سهمى وظله * تحف مطايا اللهو فيه وتعنق
جنى الاجانية معلم متجعد * من الماء فى اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت متنه فهو مذهب * وان حجبها دوحه فهو أزرق
وان فرح الاوراق جادت بنورها * فرقم اجادته الاكف منمق
يظل عليه فالسيون كانه * غمام معلى أو نعام معلق
سافر عنه الشمس قبل غروبها * وترجع احيالا له حين تشرق
وتصفر من قبل الاصيل كانها * محب من البين المشتت مشفق
وفى النيرب الميمون للب سالب * من المنظر الزاهى وللطرف مونق
بدائع من صنع القديم رصائع * تأنق فيها المحدث المتأنق
رياض كوشى البرود يشقها * جداولها فالنور بالماء يشرق

من السماء ولهم معين يسيل فى وسط العلاقى وأقرب العمارة اليه مدينة اسوان

ومنها يتمد العلاقى والنوبة حملة تجارتهما وفوا لهما مدينة اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودى) واما بلاد الواحات وهى بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الحبشة من النوبة وبينهم مدد كثيرة من أخبارها وكيفية العمران بها والخواص فى أرضها بما سلف من كتبنا ولها أرض شبة وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك ابن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مروانى المذهب ويركب فى ألوف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الحبشة نحو من ستة أيام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفى أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بباب الاخشيد

محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من أخبار بلادهم وما احتجب ان أعامه من

خواص أرضهم وكذلك كان يعلى مع غيره فى سائر الاوقات من لم أصل الى بلادهم وأخبرنى هذا

من نرجس يخشى فراق نريفه * ترى الدمع فى أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مغنم وزائر * يصافح رياه الرياض فتعبق
كأن قدود السرو فيه مواشيا * قدود عذارى ميلها مترفق
اذا ما تبدلت للشقائق صدها * عيون من النور المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه * الى النسر نسر فى السماء معلق
وكم جدول جار يطارد جدولا * وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة [illegible] * وكم [illegible]
وكم [illegible] * [illegible]
وفى الربوة الفيحاء للعاشقين [illegible] * ولاهم مسلاة وللعين مرمق
عروس جلاها الدهر فوق منصة * من الدهر والا صار يرمى ويرمق
يهيم بها الوادى وفاضت عيونه * فكل قرار منه بالدمع مشرق
فكل من دون الجداول شربها * تريد تصفيه لها وتروق

وقال أبو تمام فى دمشق

لولا حدائقها وأنى لا أرى * عرشا هنالك ظننتها بلقيسا
وأرى الزمان غدا اليك بوجهه * جذلان بساما وكان عبوسا
قد بورك الظعون وقدست * تلك الظهور وقدست تقديسا

وقال البحترى

أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا أردت ملأت العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على أجبالها فرقا * ويصبح النور فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد جيئته * أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وفى دمشق يقول بعضهم

ذرت دمشق نزارى أوطانها * من كل ناحية بوجه أزهر
لو أن انسانا يخلد أن يرى * معنى حلا من حسنه لم يقدر

وقال العيراطى فى قصيدته التى أولها: للصب بعدك حالة لا تعجب

لله أيام [illegible] قطعته * بالوصل لا أخشى به ما يرهب
ركبته الى العلى أدهما * من قبل أن يبدو اصبح أشهب
أيام لا ماء الخدود يشوبه * كدر العذار ولا عذار أشيب
[illegible] فى خال اللهو لى من جولة * أضحت بروض بالشباب وتطرب
وأتت للمدامة سوق خلاعة * تجبى المجون الى فيه وتجلب
وذكرت فى معنى دمشق معشرا * أم الزمان بمثلهم لا تنجب
لا يسأل القصاد عن نادبهم * لكن يدلهم الثناء الطيب

الرجل مما بأرضهم [illegible]
الشب وأنواع الراح وما
يحمل من بلادهم [illegible]
بأرضهم من أنواع [illegible]
[illegible] ودير ذلك من
[illegible] الصعوم وقد
[illegible]
[illegible] المواضع [illegible]
[illegible] ماؤها
[illegible] الخل [illegible]
الموضع [illegible]
[illegible] المرة وان قوة
[illegible] المرارة لا [illegible]
شيئا [illegible] العلة فى
اختلاف هذه الطعوم فى
المياه ان الارضين اختلفه
مثل موضع الشب
والمواضع [illegible] والرمادية
وذكر الاطعمة التى بلاد
[illegible] ذكرها اذا
خالطت الماء [illegible]
طعوما [illegible]
[illegible] وأعداد طعومها
وأعداد الطعوم ثمانيه
[illegible] والملح والدسم
والحلو والحامض والمر
والقابض والحريف وقد
[illegible] الناس [illegible]
[illegible] أعدادها
[illegible] ومنهم من ذهب الى
[illegible] وأكثر من قال فى
أعدادها [illegible]
[illegible] وقد قال من سلف
[illegible] المياه [illegible]
[illegible] ذلك ان العد [illegible] وان كان [illegible] من داخل او من خارج فانه يبقى الجسد

قوم بحسن صفاتهم وفعالهم ⁂ قد جاء يعتذر الزمان المذنب
يا من لحران الفؤاد وطرفه ⁂ بدمشق أدمعه غدت تنسكب
اشتاق في وادي دمشق معهدا ⁂ كل الجمال الى حماه ينسب
ساقيه الا روضة أرجوه ... ⁂ أو جدول أو بلبل أو ربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم ⁂ بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته ⁂ في الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت ⁂ بغنائها من عاب عنه المطرب
فالورق تنشد والنسيم مشبب ⁂ والنهر يسقي والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم ⁂ أضحى له من بين روض مطلب
وحلت بقلبي من عساكر حسنه ⁂ ...الا رباب الخلاعة ملعب
ولكم رقصت على السماع بجنكها ⁂ وغدا ربوها اللسان يشبب
... أرور معالما أبوابها ⁂ ... كتب السماع ...وب

وقال الصفي الحلي عند نزوله بدمشق مسمطا لقصيدة السموأل بالحماسة

تهجع من خافت عن الرزق أرضه ⁂ وبعيل الملا رحب له وعرضه
ولم يبل سربال الدجى فيه ركضه ⁂ اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

اذا المرء لم يحجب عن العين نومها ⁂ ويغل من النفس النفيسة سومها
أضيع ولم يأمن معاليه لومها ⁂ وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل

رفعنا على هام السماك محلنا ⁂ فلا ملك الا تغشاه ظلنا
لقد هاب جيش الاكثرين أقلنا ⁂ ولا قل من كانت بقاياه مثلنا
شباب تسامى للعلا وكهول

يوازي الجبال الراسيات وقارنا ⁂ ويبني على هام المجرة دارنا
ويأمن من صرف الزمان جوارنا ⁂ وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

ولما حللنا الشام تمت أموره ⁂ لنا وحبانا مالكه ووزيره
وبالنيرب الاعلى الذي عز طوره ⁂ لنا جبل تحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

يريك الثريا من خلال شعابه ⁂ وتحدق شهب الافق حول هضابه
ويقصر خطو السحب دون ارتكابه ⁂ رسا أصله تحت الثرى وسما به
الى النجم فرع لا ينال طويل

وقصر على الشقراء قد فاض نهره ⁂ وفاق على فخر الكواكب فخره
وقد شاع ما بين البرية شكره ⁂ هو الابلق الفرد الذي سار ذكره

وان استعمل اكثر مما يحتاج اليه فانه يرخي الاعضاء ويضعفها وان
الماء البارد يشد الاعضاء
ويقطع العطش وان الزيادة
منه تبرد الجسد وتميته
وان الماء الاجاجي ينفع
من سدد الكبد والطحال
وان الماء الكبريتي ينفع
الجراحات والقروح العتيقة
والحكة والزوفى نافع
للحكة والجرب وان ماء
الصفار نافع من اوجاع
الصلب والعصب وماء
الحديد نافع من الاسترخاء
في الاحشاء ويابطن من
الاوعية وماء النحاس نافع
من الرطوبة والبلة
الكائنة في الجسد والرأس
وماء الجص يشبع المعدة
ويقبضها ويركبها وماء
الزاج يحبس الدم وماء
البحر نافع من البرص وقد
ذكر جماعة انه ينفع من
الاخلاط الفاسدة اذا
شرب منه اليسير مع دهن
اللوز وله في البصر ايعاب
قطيع وان ادمج المياه
للاجساد الابيض البراق
الذي يخرج من جبال
الصين من مشرق الشمس
نحو سعر بها الشابل
بسرعة ما برد اليه من الحـ.
والبرد للماس فهما ذكرنا
كلام كثير في أنواع المياه
وأوصافها ومنافعها
ومضارها لئن كتابنا
هذا موضوعا له ولانا تعلل
بما الكلام الى ذكرها
وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ماذكرنا من بلاد الاحابش ما كان من غربي اليمن وحده والحار مما يليه.

يعز على من رامه و يطول

اذا ما غضبنا فى رضا المجد غضبة ✻ لندرك ثارا أو لنبلغ رتبة
نزيد غداة الكر فى الموت رغبة ✻ وانا القوم لا نرى الموت سبة
اذا ما رأته عامر وسلول

وكتب الشيخ محب الدين الحموى ترجمة للشيخ اسمعيل النابلسى شيخ الاسلام من مصر

لواء التهانى بالمسرة يخفق ✻ وشمس المعالى فى سما الفضل تشرق
وسعد واقبال ومجد مخيم ✻ وأيام عز بالوفا تتخلق
فيا أيها المولى الذى جل قدره ✻ ويا أيها الحبر اللبيب المدقق
أرى الشام مذ فارقتها زال نورها ✻ وثوب بهاها والنضارة يخلق
اذا غبت عنها غاب عنها جمالها ✻ ونفس بدون الروح لا تتحقق
وان عدت فيها عاد فيها كمالها ✻ وصار عليها من بهائك رونق
فيا ساكنى وادى دمشق مزاركم ✻ بعيد وباب الوصل دونى مغلق
وليس على هذا النوى لى طاقة ✻ فهل من قيود البين والبعد أطلق
وانى الى أخباركم متشوف ✻ وانى الى لقيا كم متشوق
أو اذا هب النسيم نحوكم ✻ بأنى فى أذياله أتعلق
وأصبو لذكراكم اذا هبت الصبا ✻ لعلى من أخباركم أتنشق
ولى أنة أودت بجسمى ولوعة ✻ ونار جوى من حرها أتقلق
تحنوا على المضنى الذى ثوب صبره ✻ اذا مسه ذيل الهوى يتمزق
غريب باقصى مصر أضحت دياره ✻ ولكن قلبى بالشآم معلق
وقد نسج التبريح جسمى فهل الى ✻ غبار ثرى اعتاب وصل يحقق
فيا ليت شعرى هل أفوز بروضة ✻ وفيها عيون النرجس الغض تحدق
وأنظر واديها وأدنو لربوة ✻ وماء معين حولنا يتدفق
ويحلو لى العيش الذى مر صفوه ✻ وهل عائد ذاك النعيم المروق
وأنظر ذاك الجامع الفرد مرة ✻ وفى صحنه تلك الحلاوة تشرق
وأصحابنا فيه نجوم زواهر ✻ ونور محيا وجههم يتألق
فلا برحوا فى نعمة وسعادة ✻ وعز ومجد شاؤه ليس يلحق

وقال ابن عنين

ماذا على طيف الاحبة لو سرى ✻ وعليهم لو ساعدونى بالكرى
جنحوا الى قول الوشاة وأعرضوا ✻ والله يعلم أن ذلك مفترى
يا معرضا عنى بغير جناية ✻ الا ما تقول العذول وزورا
هبنى أسأت كما تقول وتفترى ✻ وأتيت فى حبك شيأ منكرا
ما بعد بعدك والصدود عقوبة ✻ يا هاجرى ما آن لى أن تغفرا
لا تجمعن على عتبك والنوى ✻ حسب المحب عقوبة أن يهجرا

القلزم فبلاد قشفة لاخير فى أرضها ولا شئ يحمل من ساحلها الا ما وصفنا من الذبل والنمور وغيرهما وكذلك ما عليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضرموت الى عدن فبلاد لاخصب لاهله فيه ولا يحمل من ارضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهندوان كان الماء متصلا وليس فى البحار وما ذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشى اصعب ولا اكثر جبالا ولا اسهك رائحة ولا اقحط ولا اقل خيرا فى بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشى تقطعه المراكب فى ابان سيرها فيه بالليل والنهار الا بحر القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل ارست فى مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمنافذ المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره فى شئ وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين فى قعره اللؤلؤ وفى جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعى وفى افواه دوابه العاج وفى منابته الآبنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود واحجار الكافور والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر

عبء الصدود أخف من عبء النوى * لو كان لي في الحب أن أتخيرا
فسقى دمشق وواديها والحمى * متواصل الإرهام منفصم العرا
حتى يرى وجه الرياض بعارض * أحوى وفود الدوح أزهر نيرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج * ورمال كاظمة ولا وادي القرى
أرض إذا مرت بها ريح الصبا * حملت على الأغصان مسكا أذفرا
فارقتها لا عن رضا وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا

وابن عنين المذكور كان هجاء وهو صاحب مقراض الأعراض تجاوز الله تعالى عنه فمن ذلك قوله

أرح من برح ماء البئر يوما * وقد أوصى إلى نعم وثق
مر القاضي يوضع يديه فيه * وقد أضحى كراس زبرجي

يعني أقرع وسبب قوله البيتين أن المعظم أمر برح ما ... دمشق فأعياهم ذلك ومن هجوه قوله

شكا شعري إلي وقال تهجو * فقلت عرض ذا الكلب اللئيم
فقلت له تسل فرب نجم * هوى في إثر شيطان رجيم

وقال فيمن خرج حاجا فسقط عن الهجين وتخلف

إذا ما دم فعل السوق يوما * فإني شاكر فعل السياق
أراد الله بالحجاج خيرا * فنط عنهم أهل النفاق

وقال

وراحل سرت في ركب أودعه * تبارك الله ما أحلى تلاجينا
جئنا إلى بابه لا حين نسأله * وليتنا عاقنا موت ولا جينا
راجين نسأل ميتا لا حراك به * مثل النصارى إلى الأصنام لاجينا

وقال

وصلات ملك رقعة ابن أمتي * صيرت صبري الجميل قليلا
كنهار المصيف حرا وكربا * وليل الشتاء بردا وطولا

وأول مقراض الأعراض قوله

أضالع تنطوي على كرب * ومقلة مسبلة الغرب
شوقا إلى ساكني دمشق فلا * عدت رباها مواطر السحب
مواطن ما دعا توطنها * الأولى بداعها الى

ثم ذكر من الهجو ما تصم عنه الآذان وهو القائل في دمشق

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وظلك يا مقرى علي ظليل
وهل أرين بعد ما شطت النوى * ولي في دراريض هناك مقيل

ومنها

وطيور الببغاء البيض والحمر واحدها ببغة ثم الطواويس وأنواعها في صورها إذا أسد الاهتمام السعر والكمه ... يكون دنعامه كبرا وحمرا أرض الهند الريف كاسا بر كسيرة بأرض الإسلام ... كالنسور وأكثر ما يكون من حروبها الطب ... من أين الرماد وهو نوع من الطيب ... بالصهر ... ومن السنة من ... الهند ... من العرق ... والهندر على ظهورها الطب في ... من الزمان الذي ... يأخذونه على ... أدهانها الطيبة ... أهل ... المستطرف عنده والذي تستعمله ملوكها ... لسرور من ... حيث الرائحة والتدهين ... فاق على سائر الطيب وما يؤثر في الإنسان ... من طهور ... من الرجال والنساء والطلب للباه والاحتلام والطرب والنشاط والأريحية وكثير من قتال الهند ... يستعمل هذا ... الإقدام والحرب ... ذلك عند ... القلب ... ويبعثها على الإقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال ... لأنها

دمشق بي شوق اليك مبرح * وان لج واش او الح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد تقدم التمثيل بهذه الابيات الثلاثة فى خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة

وكيف اخاف الفقر او احرم الغنى * ورأى ظهير الدين فى جميل

من القوم اما احنف فسفيه * لديهم واما حاتم فبخيل

فتى ابخد أذ اجاره فممنع * عزيز وام ضده فذليل

واما عطايا كفه فمباحة * حلال واما ماله فطليل

وظهير الدين الممدوح هو طغتكين بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين وكان ملك اليمن واحسن الى ابن عنين احسانا كثيرا وافرا وخرج ابن عنين من اليمن بمال جم وطغتكين بضم الطاء المهملة وبعدها غين معجمة ثم تاء مثناة من فوقها مكسورة ثم كاف مكسورة ثم ياء ساكنة ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده الى مصر ايام العزيز بن عثمان بن صلاح الدين والزم ارباب الديوان ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التى وصلت صحبته

ما كل من يسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيزين بون فى فعالهما * هذاك يعطى وهذا ياخذ الصدقه

ومن هجو ابن عنين قوله فى فقيهين يلقب احدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس فى حاليهما * قد اصبحا مثلا لكل مناظر

قعدا عشية يومنا فتناظرا * هذا بقرنيه وذا بالحافر

ما احكما غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر

جلفان ما لهما شبيه ثالث * الا الرقاعة مدلويه الشاعر

اعطوا طويلا تحت معنى قاصر * كالغل فى عبد اللطيف الساطر

(رجع الى دمشق) وقال العز الموصلى

الى حياض حمامات مصر * ولا تشكرى عندى بعين

حياض الشام احلى منك ماء * واطهر وهى دون القلتين

وهذان البيتان جواب منه عن قول ابن نباتة

أحواض حمام الشآم الا اسمعى لى كلمتين

لا تذكرى احواض مصر فانت دون القلتين

وأما قول الوداعى سامحه الله تعالى

مصر قالت دمشق لا * تفخرى قط باسمها

لو رأت قوس روضتى * منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ومنه قول الوداعى

دو بمصر وبسكانها * شوقى وجد عهدى الخالى

... وصف ... الاودية والحسان والعياض ... من ... وصف ... هو ... الى ... ولا يكون ... الا فى الغرب من ... وسوق شرا ... والاسد ... كرمان ... المسك ... بلاد ... وبه ... فى ... النوع من الطيب ... من الفيلة والغرب ... سائر انواع الدواب ... من العين من الجرع ... ورده المياه من الغدران والانهار للشرب اذا كان الماء صافيا ... ويكدره ... من ... ذلك

... وان ذلك بوجد فى اكثر الخيل اذا وردت الماء وكان صافيا ضربته بايديها

واروليا ياسعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال
فهو مرادى لا بريد ولا * تنور ران رقى ورقى لى

ومن ذلك النمط قول الشهاب الحجازى

فالوادمشق قدرهت لزهرها * ومضوشه قد دورها ولورها
جعلت لأندلس لدى بها * ولست أرضى زهرها ولورها

وقول الحماحى قاضى مصر وان لم يكن فى ذلك المعنى ولكن فى الاطلاع

دون العلا من حور ... طاه ... الجلال أمرها
طمرا ... كالزردى الأ ... طارها

وقول الآخر

بدمشق وادى حاوى للنيل اذ * كسروه عين حصين لك ترجع
فاجاب بحر النيل لما أن طغى * عندى مقابل كل عين اصبع

وقد ذكرت هذا قول بعضهم

ماذا يفيد المعنى * من الأذى للتناع
مصردات الأيادى * وبالهادى الاصابع

وقد شرح الخلاف قديما وحديثا فى المفاضلة بين مصر والشام وقال بعضهم

فى حلب وشامنا * ومصرطال اللغط
وقلت قول منصف * خير الامور الوسط

وأما قول بعضهم

حب دمشق ولا ماها * وان راقك جامع الجامع
فسوق الفسوق بها قائم * وفيها الفجور بها طالع

فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ هو مجرد دعوى خاليه عن الدليل فهى من نزعات بعض المهاجين الذين يعمدون الى تقبيح الحسن الجميل ومراد الأشراف الثناء والمدح ولا يعادل ألف مثل عدل بفاسق يقدح

وفى عيب من يحسد الشمس نورها * وأمل ان يأتى لها بضريب

وأحسن من هذا قول بعض الاندلسيين وهو الكاتب أبو محمد بن قاسم

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبهم يؤول الى الحروب
ترى أنهارهم ذات ابتسام * وأوجههم تولع بالقطوب
أحب ديارهم حسنا وطيبا * فلم أظفر بها بفتى أديب

والجوا واحد ولا يضر الحق الثابت انكار الجاحد وأحسن من الجميع قول العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

جلق جنة من تاه وباهى * ورباها أرب لولا وباها
قال صحابى برداكوثرها * قلت عانى بردا ها برداها

وفي مصر وفيها وطري * ولنفسي مشتهاها مشتهاها
ولعيني غيرها ان سكنت * يا خليلي سلاها ما سلاها

وأحسن منه قول ابن عبد الظاهر

لا تلوموا دمشق ان جئتموها * وهي قد أوضحت لكم ما لديها
انها في الوجوه تضحك بالزهـ * ـر لمن جاء في الربيع اليها
ويراها بالثلج تبصق في لحـ * ـيته من يزرها في الشتاء عليها

وقول ابن نباته وهو بالشام يشوق الى المقياس والنيل

أرق له بالشام جفن دامع * يجريه ذكر منازل المقياس
مصر المصرة سار لا معموره * يجوم أفق أو طباء كناس
وطن شهرت له وشاب لمتي * وأم على عيني هواه وراسي
من لي به والحال ليس بآيس * كدر وعطف الدهر ليس بقاسي
والطرف يشكو لي عن الا آسا * بالنيل لم يعتد على بايناس

*(رجع الى مدح دمشق) وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا غابت عيناي أعلام جلق * وبان من القصر المشيد قبابه
تيقنت أن البين قد بان والنوى * نأى شخصه والعيش عاد شبابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى

يا راكبا من أعالي الشام يجذبه * الى العراقين ادلاج واسحار
حدثني عن ربوع طالما قضيت * للنفس فيها لبانات وأوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته * وزانها زهر غض ونوار
شح الندى أن يسقيها بحاجته * فجادها مفعم الشؤبوب مدرار
بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة * وراحت الريح فيها وهي معطار
يا حسنها حين زانتها أجاوسقها * وأينعت في أعالي الدوح أثمار
فهي السماء اخضرارا في جوانبها * كواكب زهر تبدو وأقمار
حدثني وأنا الظامي الى نبا * لا فض فوك فعندي الري عثار
فهو الزلال الذي طابت مشاربه * وفارقته غشاآت وأكدار
كرر على يا رح شط المزار به * حديثك العذب لا شطت بك الدار
وعلل النفس عنهم بالحديث بهم * ان الحديث عن الاحباب اسمار

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو ممن أدركته الحرفة الادبية ومنع حقه بالحمية والعصبية وانهزت حقوقه وأظهر عقوده حتى قضى نحبه ولقي ربه *(رجع) وقال سيف الدين المشد رحمه الله تعالى

بشرى لاهل الهوى عاشوا به سعدا * وان يموتوا فهم من جملة الشهدا
شعارهم رقة الشكوى ومذهبهم * أن الصلالة فيهم في الغرام هدى
عيونهم في ظلام الليل ساهرة * عبرى وأنفاسهم تحت الدجى صعدا

اراجناس الصقالبة وبه تلحق في أنسابها هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عني بهذا الشأن ومساكنهم بالجربي الى أن تتصل بالمغرب وهم أجناس شتى وبينهم حروب ولهم ملوك فمنهم من ينقاد الى دين النصرانية على رأي اليعقوبية ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد لشريعة وهم جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع وهؤلاء أجناس فمنهم جنس كان الملك فيهم قديما في صدر الزمان وكان ملكهم يدعى ماجك وهذا الجنس يدعى ولينانا وكان يتبع هذا الجنس في القديم سائر أجناس الصقالبة لكون الملك فيهم وانقياد سائر ملوكهم اليهم ثم يلي هذا الجنس من أجناس الصقالبة اصطبرانه وملكهم في هذا الوقت يدعى بصقلايح وجنس يقال له دلاونه وملكهم يدعى وانج سلاف وجنس يقال لهم باخشو وملكهم يدعى غرانه وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس وجنس يدعى ماين وملكهم يدعى رتيمر ثم جنس عند الصقالبة من أعالي طول بلادها وأوصاف بأكثر شرحها ونفر منهم من ملوكهم ينقادون اليهم جنس

تجرعوا كاس خمر الحب مترعة * ظلوا سكارى وظلوا غيهم رشدا
وعاسل القد معسول مقبله * كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا
رقيم عارضه كهف لعاشقه * يأوي اليه وكم في حبه شهدا
نادمته وثغور البرق باسمة * والغيث ينزل منحلا ومنعقدا
كأن جلق حياها الله ساكنها * أهدت الى الغور من أزهارها مددا
فاسترسل الجو منها لا يزيد على * ثوري ويعقد محلول الندى بردا

وقال أيضا

فؤادي الى بانات جلق مائل * ودمعي على أنهارها متحدر
يرنحني لوران كلاب مزهرا * ويهزني أغصانه وهو مثمر
واني الى زهر السفرجل شيق * اذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
غياض يفيض الماء في عرصاتها * فنرجسها الاعداد ك ورهر
ترى بردى فيها يجول كأنه * وحصباءه سيف صقيل مجوهر
وبي أحور لاح العذار بخده * يسامح قلبي في هواه ويغدر
يحاورني فيه على الصبر صاحبي * وكيف أطيق الصبر والطرف أحور
اذا اشتغفت وادي السرين خده * فأنظر معناه وهو أنضر
حوى الشرف الاعلى من الحسن خده * على أن ميدان العوارض أخضر

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

وادبه حي الحبيب نزول * حياه عاهده الحيا والنيل
وادي فوح المسك من جنباته * وصحيح فيه النسيم عليل
يشتاقه ويود لثم ترابه * شوقا ولكن ما اليه سبيل
متقلقل الاحشاء مسلوب الكرى * طلق الدموع فؤاده متبول
يصبو الى الاثلات من وادي الغضى * ويحن ان خطرت هناك شمول
قالوا تبدل ملت يا أهل الهوى * والناس فيهم عاذر وجهول
هل بعد قطع الاربعين مسافة * للعمر فيها يحسن التبديل
ولقد هفا لي في دمشق مهفهف * يسبي العقول رضابه المعسول
يهتز ان مر النسيم بقده * ويميل بي نحو الصبا وأميل
أبدى لنا بردى تبسم ثغرها * واذا انثنى فقوامه الجدول
لزم التسلسل مدمعي وعذاره * فانظر الى المهجات كيف تسيل
وسقمت من سقم الجفون لانها * هي علة وفؤادي المعلول
لا تعجبوا ان راعني بذوائب * فالليل هول والمحب ذليل
ما صح لي أن الذؤابة حية * حتى سعت في الارض وهي تجول

وقال ناظر الجيش عون الدين بن العجمي

يا سائقا يقطع البيداء معتسفا * بضامر لم يكن في سيره واني

يقال له مرارة ثم جنس يقال له جرواس ثم جنس يقال له صاصين ثم جنس يقال له حانين وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فسمة معروفة لملكهم والجنس الذي سميناه المعروف بسربيق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبق والخزر وأن في بلاد الخزر مع الخزر جماعة من الصقالبة والروس وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويبعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدير وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يقصدون دار ملكه بأنواع التجارات ثم يلي هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرنج وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ويحارب الروم والافرنج والنوكبرد وغير هؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلي هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن الصقالبة صورة وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا والصقالبة أجناس كثيرة وأنواع واسعة

ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا * تعدل بلغت المنى عن دير مران
واقصد أعالى تلاليه فان بها * ماتشتهى النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا * ماست فواخجل المران والبان
وكل أسمر قد دان الجمال له * وكل الحسن فيه فرط احسان
ورب صدغ بدا فى خد مرسله * فى فترة فتنت من سحر أجفان
فليت ريقته وردى ووجنته * وردى ومن صدغه آسى وريحانى
وعج على دير متى ثم حى بدا الربان بطرس فالربان رباني
فهمت منه اشارات فهمت بها * وصنت منشورها فى طى كتمان
وادخل بدير حنين وانتهز فرص الـ * لذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحا بها تحيا النفوس اذا * دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت * بشهبها من هموى كل شيطان
كم رحت فى الليل أسقيها وأشربها * حتى انقضى وندبى غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها * أجاب رمزا ولم يسمح بتبيان
وقال أخبرنى شمعون ينقله * عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بأنها سفرت بالطور مشرقة * أنوارها فكنوا عنها بنيران
وهى المدام التى كانت معتقة * من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهى التى عبدتها فارس فكنى * عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سكرت منها فلا صحو وجدت بها * على الندامى وليس الشح من شانى
وسوف أمنحها أهلا وأنشده * ما قيل فيها بترجيع وألحان
حتى تميل لها أعطافه طربا * ويثنى الكون من أوصاف نشوان

وهذه وان لم تكن فى دمشق على الخصوص فلا تخرج عما نحن بصدده والاعمال بالنيات وديباجة هذه القصيدة على نسج طائفة من الصوفية وممن حاك هذه البرود الشيخ الاكبر رحمه الله تعالى وقيل انه الشيخ شعبان النحوى *(رجع) وقال بعضهم

شوقى يزيد ولب الصب ما بردا * وبان يأسى من المعشوق حين غدا
ومدمعى قنوات والعذول حكى * ثورى يلوم الفتى فى عشقه حسدا
على معنية بالجنك جاوبها * شبابة كم بها من عاشق سهدا
فالبدر جبهتها والردف ربوتها * وخلها مات فى حلخالها كمدا

ولنذكر نبذة مما خوطبت به من علماء الشام وأدبائه حفظ الله تعالى كمالهم وبلغ آمالهم
*(فمن ذلك قول شيخ الاسلام سيدى الامام مفتى الانام سيدى الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى حفظه الله تعالى وكتبه لى بخطه)

شمس هدى أطلعها المغرب * وطار عنقاء بها مغرب
فأشرقت فى الشام أنوارها * ولينها فى الدهر لاتغرب
أعنى الامام العالم المقرى * أحمد من يكتب أو يخطب

وصف أجناسهم وتفريع أنواعهم وقد قدمنا الاخبار عن الملك الذى
لامالى كتابنا هذا الى
كان ينقاد اليه ملوكهم فى
قديم الزمان وهو ماجل
وليناما وهذا الجنس أصل
من أصول الصقالبة معظم
فى أجناسهم وله قدم فيهم
ثم اختلفت الكلمة بين
أجناسهم فزال نظامهم
وتحزبت أجناسهم وملك
كل جنس منهم ملكا على
حسب ما ذكرنا من ملوكهم
لامور يطول ذكرها وقد
اتينا على جمل من شرحها
وكثير من مبسوطها فى
كتابينا أخبار الزمان من
الامم الماضية والاجيال
الخالية والممالك الداثرة
*(ذكر الافرنجة والجلالقة
وملوكها)*
الافرنجة والصقالبة
والنوكبرد والاسبان
وياجوج وماجوج والترك
والخزر وبرجان واللان
والجلالقة وغير من ذكرنا
ممن حل الجربا وهو الشمال
لاخلاف بين أهل البحث
والنظر من الشرعيين أن
جميع من ذكرنا من هؤلاء
الامم من ولد يافث بن نوح
والافرنجة أشد هؤلاء
الاجناس باسا وامنعهم
هيبة وأكثرهم عدة
وأوسعهم ملكا وأكثرهم
مدنا وأحسنهم نظاما
وانقيادا لملوكهم
وأكثرهم طاعة الا ان الجلالقة اشد من الافرنجة باسا واعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم

شهاب علم ثاقب فضله * ينظم عقدا وهو لا يثقب
فرع علوم بالهدى مثمر * وروض فضل بالندى معشب
قد ارتدى ثوب علا وامتطى * غارب مجد وزها المركب
درس غريب كل يوم له * يملى ولكن حفظه أغرب
محاضرات مسكر لفظها * بكاس سمع راحها تشرب
رياض آداب سقاها الحيا * ففاح مسكا نشرها الاطيب
فضائل عمت وطمت فقد * قدمر فيها كل من يطنب
قلوبنا قد جذبت نحوه * والحب من عادته يجذب
ان بعدت عن غربه شرقنا * فالفضل فيما نسب أقرب
كم طلبت تشريفه شامنا * بشرى لها فليهنها المطلب
قد سبقت لى معه صحبة * فى حرم يؤمن من يرهب
اخوة فى الله من زمزم * رضاعها طاب لها المشرب
أنهلنى ثم ودادا فلى * بالشام منه علل أعذب
أهديت ذا النظم امتثالا له * وقد هجرت الشعر مذ أحقب
نشط قلبى لطفه فانثنى * والقلب فى أهل الهوى قلب
ضاء دجى العلم به للورى * ما لاح فى جنح الدجى كوكب
تحية الفقير الداعى عبد الرحمن العمادى انتهى وأجبته بما نصه
ما ابرراح كاسها مذهب * ما اللهى عن حسنها مذهب
تستدفع الاكدار من صفوها * وتنهل الافراح أو تسهب
تسعى بها هيفاء من ثغرها * أو شعرها النور أو الغيهب
فتانة الاعطاف نفاثة * سحرا بألباب الورى يلعب
فى روضة قد كللت بالندى * والزهر راس الغصن اذ يعصب
برودها بالنور قد نمنمت * كالوشى من صنعاء بل أعجب
والماء يجرى تحت جناتها * والنارمن نارنجها تلهب
والظل ضاف والنسيم انبرى * والجوذاكى العرف مستعذب
والطير للعشاق بالعود قد * غنت فهاجت شوق مر يطرب
أبهى ولا أبهج فى منظر * من نظم من نقدبه الاصوب
مفتى دمشق الشام صدر الورى * من فى العلا تم به المطلب
علامة الدهر ولا مرية * وملجأ الفضل ولا مهرب
لله ما امتاز به من حلى * بغير من الله لا تكسب
أبدى به الرحمن فى عبده * مظاهر المجد التى تحسب
جود بلا من وعلم بلا * دعوى به التحقيق يستجلب
وبيت مجد مسند ركنه * الى عماد الدين اذ ينسب

ذلك ولا تحزب واسم دار مملكتهم فى وقتنا هذا نومره وهى مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان أوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام فى البحر جزيرة رودس وهى الجزيرة التى ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وأن فيها دار صناعة المراكب فى وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطش وقد كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد افريقية وجزيرة صقلية للافرنجة أيضا وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان وهى الاطمة التى يخرج منها أجسام من النار كأجساد الناس بلا رؤس فتعلو فى الهواء بالليل ثم تسقط فى البحر تطفو على الماء وهى الحجارة التى تمسح بها الكتابة من الدفاتر وهى خفاف بيض على هيئة الشهد وأكوار الزنابير الصغار وهى الاطمة المعروفة باطمة صقلية وفيها هلك فرفوريوس الحكيم الذى صنف كتاب ايساغوجى وهو المدخل الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض كأطمة وادى برهوت

فبرقه الشامي من شامه * نال مراما والسوى خلب
وما عسى أبديه في مدحه * أو وصف أبناءه أنجبوا
تسابقوا للمجد حتى حووا * سبقا لما في مثله يرغب
أعيذهم بالله من شر ما * يخشى من الاغيار أو يرهب
وأسأل الله لهم عزة * بادية الاضواء لا تحجب

ولما حللت دمشق المحروسة وطلبت موضعا للسكنى يكون قريبا من الجامع الاموي الذي يعجز البليغ وصفه وإن ملا طروسه أرسل الى أديب الشام فرد الموالي المدرسين ساحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهيني حفظه الله تعالى بمفتاح المدرسة الجقمقية وكتب لي معه ما نصه

كنف المقري شيخي مقري * واليه من الزمان مفري
كنفه مثل صدره في اتساع * وعلوم كالدر في ضمن بحر
أي بدر قد أطلع الغرب منه * ملأ الشرق نوره أي بدر
أحمد سيدي وشيخي وذخري * وسميي وفوق ذالك فخري
لو بغير الاقدام يسعى مشوق * جئته زائرا على وجه شكري

العبد الحقير المعترف الخاص أحمد بن شاهين انتهى فأجبته بقولي

أي نظم في حسنه حار فكري * وتجلى بدره صدر ذكري
طائر الصيت لابن شاهين ينمى * من بروض الندى له خير وكر
أحمد المعتلين ذروة مجد * لعوان من المعالي وبكر
حل مفتاح فضله باب وصل * من معاني تعريفه دون نكر
يا بديع الزمان دم في ازدياد * بالعلا وازدياد تجنيس شكر

وكتب الي لما وقف على كتابي فتح المتعال في مدح النعال بما نصه لكاتبه الحقير أحمد بن شاهين الشامي في تقريظ تأليف سيدي ومولاي وتاجي ومعتقدي شيخ الدنيا والدين وبركة الاسلام والمسلمين حفظ الله تعالى وجوده آمين

أأحمد فخرا يا ابن شاهين ساميا * بأحمد ذا المقري المسدد
بمن راح خداما لنعل محمد * وناهيك في العليا بأرفع سودد
فإن أنا أخدم نعله طالما * غدا خادما نعل النبي الممجد
بتأليفه في وصف نعل تكرمت * كتابا حوى اجلال كل موحد
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى * خدوما لخدام لنعل محمد
فقلت له طوبى بخدمة أحمد * فقال كذا طوبى بخدمة أحمد
فلا زال يرقى للمعالي مكرما * ويعتقل العيوق في رغم فرقد

فأجبته بقولي

أأحمد وصف بالعوارف يرتدي * وأشرف مولى للمعارف يهتدي
فهو ملك إذ أنت الخليل توقدت * فأني أجاريها بنحو المبرد
أتاني نظام منك حبر فكرتي * على أنه أعلى مرامي ومقصدي

الشحر وأطمة بلاد الزنج من بحر الصين وأطمة بلاد أسك وهي ما بين من بلاد حضرموت وبلاد بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا وهي مشهورة بأرض الاسلام وتفسير أطمة هي عين النار التي تعرض من الارض ولم تعرض في هذا الكتاب لذكر الخاصة الكبريتية والزاجية ولا الحمامات التي تظهر من مائها النار كالخاصة التي ببلاد ماسبذان من أرض أذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه الخاصة في قرية من قرى أذربيجان يقال لها القومان وهي أطمة تظهر من وسط مائها النار وهي أطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن أطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطانها وهي احدى عجائب العالم إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناه أو لمع أوضحنا بها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الواحات من بلاد مصر وإن كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

(ذكر النوبرد وملوكها)

قد تقدم ذكرنا للنوبرد وأنهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومحلهم بالجرا ولهم فانت

فانت ابن شاهين الذى طار صيته * بجو العلا والصيد ضل بفرقد
فسبرك موصول وشانيك منكر * وقدرك مرفوع على رغم حسد
وعنك حديث الفضل أسند عاليا * بشام فهم يروون مسند أحمد
فوجهك عن بشرو يمناك عن عطا * وفكرك يروى فى الهدى عن مسدد
فلا زلت ترقى أوج سعد ورفعة * ودمت بتوفيق وعز مخلد

ولما خاطبته بقولى

بصيد ابن شاهين بجو بلاغه * سواجع فى وكر الدوائح تفرخ
وما كان ديك الجن مدرك نيلها * اذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ
ولو جاد فكر البحترى بمثلها * لكان على الطائى بالانف يشمخ
ولو أن نظم ابن الحسين أتى بها * لماز بسبق حكمه ليس ينسخ
فلا زال ملحوظا بعين عناية * وكتب النهانى عن علاه تؤرخ

أجابنى بما نصه

أأنفاس عيسى مابروحى ينفخ * أم الطرس أضحى بالعبير يضمخ
وهذى قواف أم هى الشمس انى * أراها على الجوزاء بالانف تشمخ
بلى هى نص من ودادك محكم * تزول الرواسى وهى لم تك تنسخ
أتتنى بمدح مخجل فكأنها * لفرط حيائى قد أتتنى توبخ
وهل انا الاخادم نعل سيدى * وبينى وبين المدح فى الحق برزخ
وماهى الاغرة حزت فخرها * وانى بها بادى المحاسن أشدخ
فلا در درى وانحرفت عن العلا * اذا كان ودى عن معاليك يفسخ
وحبك مهما طار شرقا ومغربا * بوكر ابن شاهين الوفى يفرخ
وانى وان ارخت مجد الماجد * فانى باسم المقرى أؤرخ
سميى ومولاى الذى راح مدحه * لرأس الاعادى بالمهار يض يرضخ
ودم يانظير البدر ترقى باوجه * ولازلت فى طرفى وقلبى ترسخ

وكنت يوما أروم الصعود لموضع عال فوقعت وانفكت رجلى وألمت فكتب الى

لا ألمت رجلك ياسيدى * وصانها الله من الشين
ماهى الاقدم للعلا * لا احتاج ذاك النعل للقين
زانت دمشق الشام فى حلها * فلا رأت فيها سوى الزين
بانت عن الاهل لتشريفنا * لاجمعت أينا الى بين
عجبت من راسخة فى العلا * والعلم اذ زاغت من العين
انى أعاف المين بين الورى * ولست والله أخا مين
للمقرى المجتبى أحمد * دين الهوى والمدح كالدين
وأحمد الله على أننى * رأيته حاز الفريقين
فلا أراه الله فى عمره * بينا يؤديه الى أين

جزائر كثيرة فيها أمم من الناس وهم ذوو باس شديد ومنعة ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد وأسماء ملوكهم فى سائر الاعصار أركس والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هى تبت ويخترقها نهر عظيم وهى حانان وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال له سانيط قد ذكره جماعة ممن عنى بهذا المعنى ممن تقدم وكان المسلمون ممن جاورهم من بلاد الاندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة ناربونة (قال المسعودى) وجدت فى كتاب وقع الى بالفسطاط بمصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة اهداه عرمازار الاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت فى عهده ياأمير المؤمنين ان أول ملوك افرنجة قلوزويه وكان مجوسيا فنصره هو وابنه لذريق وابنه دقشرت ثم ولى بعده ابنه لذريق ثم ولى بعده قرلمان بن دقشرت ثم ولى بعده ابنه تنين ثم ولى

ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم وملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى طرطوشة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى نهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة اشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة اعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برثة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح الجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغربرة اربع سنين ثم ملك بعد نازلة اخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

تحرير العبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يانجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يامن به ريشت من الـ * ـمجد الخوافى والقوادم
يامن دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
ياأحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * مننا لها تعنو الاعاظم
فمتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر باد أن بعثـ * ـت اليك من جنس الرتائم
بسبحة الذكر التى * جاءت بتحقيق ملائم
وبخاتم صاد الى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذاد عائم
واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار العى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

ياسيدا شعرى له * ما ان يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يامن رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يامن بنفحة خلقه * و بلطفه السامى الملائم
أضحى يرينى معجزيـ * ـن من النواسم والمباسم
مازلت أبصر منهما * حسن النعامى والنعائم
بهما زمانى حاسدا * أضحى و بالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بينها * م فى الثناء له وهائم
حبى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الا هوى فى القلب دائم
قد جاء ماشرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لاأحسب الـ * ـعيوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

واستولت مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى)

هى آلة لذكر الـ ـكن ليس ذكرى فى الحيازم

فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرتائم
ماذى رتائم سيدى * بل انها عنـدى تمائم
لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم
لكنها قد زينت * كفى وأزرت بالخواتم
يامن يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم
ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم
هذى نوافل ياما * م الدهر ليست باللوازم
العذر منها مخجل * عبد المليك جد خادم
لا انت فوق العذر قد * أصبحت للشعرى ىمادم
لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم
يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم
مالا يساوم مثله * ذو الحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه ومولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيزا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى
ولديك قلبى لايزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين
قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذكان فى الاشواق دينك دينى
وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين
واطاع أمرك فى الوداد فلوانشا * منه وحاشا سلوة يعصينى
ماكنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردنا طقا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون
ويفيد سمعى معجزابهر النهى * ويرى عيونى آية التكوين
يامن غدا يحيى القلوب بلفظه * ويردد الانفاس عن جبرين
أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جذم يمين
هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بعيون
قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين
لولم تكن بدر السما أحزت ما * قد خص فى الانوار بالتلوين

واشد ما على الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كان الافرنجة حرب لهم غير ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها سبرين فلما انتهى اليه ما فعل باخيه عصى على عبد الرحمن فصار فى حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض متنزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس بثورة مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها واسوارها فى باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذي كان فى هذا

الشهر ثلاثة أيام وكانت للمسلمين عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وأوجعوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين

حققت ما قد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هي عادة حليتها فتزينت * ما كان أحوجها الى التزيين
مولاي أحمد ياسليل بني العلا * يافوق مدحي فيك أو تحسيني
اغني وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغني به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس في أوراقهم * وعلومه في صدره المشحون
فبعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارغب عن حلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستعمت اقبلتي * أدعو واشكر واردات شؤوني
ألفيت قطرك يمنتي فافادني * فضل اليمين على اليسار يقيني
تسقي الحيا الاقرى أخي العلا * بلدا باقصى الغرب جد هتون
بلد ادانيت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيوني
لولا هلال الغرب نور شرقنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
ياراحلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانني * مستودع منه أجل أمين
أني اودع يوم بينك مهجتي * وشبيبتي وتصبري وسكوني
وأعود من توديع وجهك عودة * خلطت يقيني في الهوى بظنون
حتى كأني قد فقدت متمما * نقضي على نحب له المحزون
وتود نفسي انها لو حرمت * ابدا سكوني للهوى وركوني
اوشكت أقتل بين معترك الهوى * نفسي ومعترك الهوى بيميني
ولقد وددت بانني متحمل * تلك الخطا بمحاجري وجفوني
كيف السبيل الى الحياة ومهجتي * في قبضة الاشواق كالمسجون
ما أنت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهديني
والله ياشيخ دهري غادة * غنيت عن التحسين والتزيين
جاءتك تعرض في الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها يكفيني
هي بنت لحظتك التي تؤوي النهى * لابنت ليلتي التي تؤويني
ما الفخر في دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضيني
حسبي اباالعباس منك اصاخة * تقضي بعون غداي أو تحييني
بالهف نفسي كيف أبلغ مدحة * أضمرتها في سري المكنون
فلسان حبي بالغ اقصى المدى * ولسان مدحي في القصور يليني
ما الشعر يستوفي حقوقكم ولو * أهديت من نظمي عقود سنيني
حاقت أصطاد النجوم وانها * تزهو بعقد في علاك ثمين
فرأيت في العيوق طبعك سيدي * نسرا أسف لعجزه شاهيني

بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن اسحق وخوّفه الكمين ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استأمن الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قبله على الملك اردون الفرس والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة ضاريه ومدينة سبرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان ثم ان الروم أنابوا ورجعوا

على من كان في تلك المدن من المسلمين فاخرجوهم عنها بعد حروب طويلة وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا قد

قد خف شعري من قصور طبيعتي * وبما قد كان جد ركين
يكفيك أحمد يا ابن شاهين بأن * أحرزت خصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن الفرائض جاهدا * فاذأب عساك تفوز بالمسنون
هو قبلتي فلأغتدي متمسكا * منه بحبل في النجاة متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أفدي مواطئ نعله بجبيني
وكذاك عمري في هواك مقسم * بين الدعاء الجد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى في ذلك

حنانيك ان الدمع بالود معرب * واني في شرق وأنت مغرب
ورحماك بي اني قتيل صبابة * بمن هو أوفى في الفؤاد وأقرب
ووعدك لي بالعود اني معلل * به مهجة قد أوشكت تتصوب
وهبتك قلبي ما حييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا هذه صده * فكيف بشيخ لم يكن مثله أب
وانا بحمد الله لما خصصتنا * بزورة ذي ود دعاه التحبب
فرشنا له منا الخدود مواطئا * وعدنا به شوقا نجيء ونذهب
وقلنا دمشق أنت فيها تحكم * وأشرافها ودوا وجدوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد زنت شرقا مثل ما ازدان مغرب
ونخرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا ولكرنا نسر السماء فيه يرغب
فنحن ونحن الناس خدام نعله * فلا غرو أن يقلي الغضنفر أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * ليأكل فيما قدروه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد من غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
هو المقري العالم العلم الذي * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أزمع رحلة * وانا الى ليل اذا هي تغرب
أو الغيث قد وافى وأمرعت الربى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء في الطير مغرب
وانك للخل الوفي وانه * هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
وانك بالتحقيق في كل حالة * لأسنى وأندى ثم أوفى وأعرب
رعى الله وجها أنت ترعب نحوه * وأي أخي جد له أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهي بالمجد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أني كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت حوانح واله * مشوق فأمسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ علي أدام الله تعالى عزته وحرس حوزته عقيدتي المسماة باضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة سألني أن أجيزه فيها وفي غيرها فكتبت اليه ما نصه

أحمد من أطار في جو العلا * صيت ابن شاهين الذي زان الحلى

وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في أيدي النوبرد (قال المسعودي) وما ذكرناه من الجلالقة والافرنجة والصقالبة والنوبرد وغيرها من الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس في هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من نسبه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس في أول دولة بني العباس وله أخبار كثيرة في كيفية وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور في أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرها من الامم وصاحب الاندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوي العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح في عاد الاولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى فانه ينبئ على تقدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة

التي دعى على مر الدهور العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه

وراش منه للمعالي أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذي سناه
ونتحفي ثم صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
مبادلا لاصل التوحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقي * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن صحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم * للرب باستغنائه والقدم
وبعد فالعلوم والعوارف * من أمها أوى لظل وارف
وروضة أزهارها تضوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها انبل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ما ينفعه * دنيا وفي أخرى الاجور يرفعه
وان في علم أصول الدين * هدى وخير اجل عن تبيين
لانه أصل لعم النفع * به وكل ماسواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
فهو الذي لا تقبل الاعمال * الا به ونجح الآمال
واني كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن اقرأتها بمصر * ومكة بعضا من اهل العصر
درستها بالمادخات الشاما * بجامع في الحسن لا يسامى
وكان في المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالي * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيي القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلي بحسن الظن * اجازة فيما رواه عني
بحرت في أمرين قد تناقضا * بالنفي والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفي بالخطل * وبالخطا والجيد مني ذو عطل
وكم رائض يعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا يجازى البر بالعقوق

اياهم أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين
وعاد أول من ملك في
الارض من هذه الطائفة
بعد أن أهلك الله عزوجل
الكفار من قوم نوح
وذلك لقوله تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم في الخلق بسطة
وذلك أن هؤلاء القوم
كانوا في هيآت النخل
طولا وكانوا في اتصال
الاعمار وطولها بحسب
ذلك من التقدير وكانت
نفوسهم قوية وأكبادهم
غليظة ولم يكن في الارض
أمة هي أشد بطشا وأكثر
آثارا وأذوى عقولا وأكثر
أحلاما من قوم عاد ولم
يكن الهلاك يعرض
في أجسامهم لقوة آثار
الطبيعة فيها وما أوتوه من
الزيادة الى تمام البنية
وكمال الهيئة على حسب
ما أخبر الله عزوجل وكان
عاد جلد الاعمار اعظم
الخلقة وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح
وكان عاد يعبد القمر
وذكروا أنه رأى من
صلبه أربعة آلاف ولد
وأنه تزوج ألف امرأة
وكانت بلاده ممتدة له باليمن وهي بلاد الاحقاف وبلاد سنجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وبعد ماتم من النبرداد * أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه الاهل لأن يجبرا * لأن مجاز ادحوى التبرزا
ومن رأى عيبى بعين للرضا * لم يقتف منهج من غدا معترضا
فليروعنى كل ما أسمعته * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ماألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والنحو وفى * أسرار وفق وهو بالقصد وفى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز فى غير فن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طالت وفى كتبى قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
عمى سعيد عن سقين وهو عن * القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * بصح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والعى عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ماطال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرتها التى سالنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الانام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النا فى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أتيح القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد مفند
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين ممن عنى باخبار العرب أن عادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الامر بحر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها وفى اى بلاد هى وهذه عاد الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش ولشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة أعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاءنا بالجامع الصحيح من * كلامه الهادى الى نهج أمن
من فضله ماشك فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة نتحيها معلما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدرى كمن لا يدرى
ولم نزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدى
ومنه علم السنة الشريفه * لانه ظلاله وريفه
فن درى الاخبار والشمائل * لم يك عن صوب الهدى بمائل
وكم سعيد لاجله رفض * أوطانه وثوب ترحال نفض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز فى الابداء والاعاده
وانني لما انتحيت المشرقا * سمما بدرا هتداء مشرقا
ألقيت فى مصر عصا التسيار * بعد بلوغى أشرف الديار
وبعد ذا جئت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
فشاهدت عيناى فيها ماملا * قلبى سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فياضة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها يجل عن تعبير
وجل أهليها بحبى دانوا * مع أن مثلى منهم يزدان
فلاحظوا بالاعين الكليله * عبدا غدا تقصيره دليله
وقابلوا عيبى بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتى الورى فى مذهب النعمان * بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعيى القلم * أوصافه اللاتى كنور فى علم
حاوى طراف المجد والتلاد * نال المنى فى النفس والاولاد
وكنت فى مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسوددا وحلما
مع التواضع الذى قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
فحث من فى الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عنى * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أننى والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه

عددذكرناتفرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا فى ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد ونبيها هود فيما تنازع الناس من سلف وخلف فى العلة التى بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد اتينا على ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السبعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة فى الجبال ورممهم باقية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم

وصنوه

وكان ملك الملك الاول من ملوكهم مائتي سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده)

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذي قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * في ذاك لي مختصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلي ساد لاصحابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ رويته
وكل ما صنفت في الفنون * مؤمل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر معرب
ولي أسانيد بطول شرحها * شيء على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مرويانى * لطال القول في الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعي به مملول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخاري * عن عمي الحائز للفخار
المقري سعيد الامام عن * محمد بن يحيى بن فاجن عن
التونسي الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادري المرتضى * عن الحجازي عن الحبر الرضا
نجل ابي المجد عن الحجاري * عن الزبيدي بنقل جاري
عن مسند الاسلام عبد الاول * عن الشهير الداودي المعتلي
عن السرخسي عن الفربري * عن البخاري الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدأ الى الكمال * عن علم الدين أخي الجلال
منسوب بلقين عن التنوخي * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقي قد روى عن مكي * عن مسلم نافي دياجي الشك
فليخبروا عني بذا والباقي * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمي ذي الثناء الاجمل
والطبراني وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذي أجازه
فلتقبلوها وهي من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب مني أستقل
ومن أسانيدي عن القصار * مفتي الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقي الدرج * عن الشريف الغطغطائي فرج
قال سمعت المصطفى في النوم * صلى عليه الله كل يوم

جندع بن عمرو بن الدال ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتي سنة وتسعين سنة وهلك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبي صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة ثم تولى ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة ودعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم انذاره وابداره ووعده ووعيده سألوه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم بحضر عيد لهم وقد ظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسألوه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم

يا صالح ان كنت صادقا في قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء وجاء الكلام

وناصيـة وشـعر ووبر فاستغاث بربه فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها

يقول من أصحح يعـني آمنا * فى سربه الحديث فاعرف كامنا
ولنمسك العنان فى هذا الارب * مصليا على الذى زان العرب
وآله وصحبـه الاعـلام * ومن تلا من أنجم الاسـلام
وخط هـذا المقرى العاصى * أجير يوم الاخـذ بالنواصى
سـنة سبع وثـلاثين تلت * ألفا لهجـرة بياسـين علت
عليـه أزكى صـلوات تستنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقرى * الالمعى اللوذعى العبقرى
عـلامـة العصر بلا مفترى * وواحـد الدهر بلا ممـترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخـبر عن منظـر
جامع عـلم بث املاءه * بالشام ملء الجامع الاكبر
يقرى فيقترى السمع أنفاسـه * أنفس ما يقرى وما قد قرى
مـولاى يا من درألفاظـه * صحاحها تزرى على الجوهرى
اجازة نرفـل من فضلها * فى ثوب عـز وردا مفخـر
سـبلة الذيل على أكبر * وأوسط الاخوة والاصـغر
أطـل لنا انشاءها بل أطب * وانظـم لنا من درها وانثر
لازلت فى نفع الورى دائبـا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعى ابراهيم العمادى انتهى ومن الاجازات التى قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدى يحيى المحاسنى حفظه الله تعالى

أحمـد من زين بالمحاسـن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بأفقها السامى مدى الاحيان
فكـل أيامهـم مواسم * من الصـفا ثغورهـا بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ قطرهـم به الـكمال يحيى
وبشرهم حديثه لا ينكـر * ومسـند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذى ارتحل * اليهـم صحيح ماله انتحـل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروى واللسان عن حسن
فحـل مـن أتاحهـم آلاءه * حـتى أبان نورهـم لألاءه
نحمـده سبحانه أن أسـدى * من الامان ما أنال القصـدا
ونقتفى صوب صلاة باهره * الى الرسول ذى السجايا الطاهره
أجـل من خاف الاله واتقى * محمد الهادى الرسول المنتقى
صلى عليـه الله طول الابد * مـع آله وصحبـه والمقتـدى
وبعـد فالعلم أساس الخـير * وكيف لا وهو مزيح الضير
وهو الموصـل الى منهاج * هدى ورشـد ماله من هاجى

بسائه اللون ذات عرف خنين واذين ثم انصدعت من بعد مخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحوها فى الوصف فأمعنا فى رعى الكلا وطلب المرعى فآمن جندع بن عمرو وزعيمهم الذى سأله وهو جندع بن عمرو وأقامت الناقة يحلبون من لبنها ما يعم شربه ثمودا كلها وضايقتهم فى الكلا والماء وكان فى ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال فزارهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع ابن مفرج والمرأتان عنيزة بنت غنم وصدوف بنت المحيا فقالت صدوف لو كان لنا فى هذا اليوم ماء لاسقيتنا الخمر وهذا يوم الناقة وورودها ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزة لى والله لو ان لنا رجالا لكفونا اياها وهل هى الا بعير من الابل فقال قدار يا صدوف ان انا كفيتك أمر الناقة فمالى عندك قالت نفسى وهل حائل دونها عنك فاجابت الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا سيلا علينا بالخمر فشربا حتى توسطا السكر ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم وما

وما بغير العلم يبدو العلم * وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
وانني عند دخول الشام * لقيت من بها من الاعلام
وشاهدت عيناي من انصافهم * ما حقق المحكي عن اوصافهم
وان من جلتهم أوج الذكا * والنير المزري سناه بذكا
ابن المحاسن الذي قد طابقا * منه مسمى الاسم اذ سابقا
الالوذعي الالمعي يحيى * لا زال رسم المجد منه يحيا
وهو الذي أغراه حسن الظن * على انتمائه لاخذ عني
وكان قارئ الحديث النبوي * لدي في الجامع أعني الاموي
بمحضر الجمع الغزير الوافر * ممن وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذلك استطمر الاجازه * من نوء وعدي واقتضى انجازه
فلم أجد بدا من الاجابه * مع أنني لست بذي النجابه
وان اكن أجبت أمره تمثل * منه ففي ذلك تصديق المثل
فيمن درى شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى اصنعا وشيا
فليروعني كل ما يصح لي * بشرط طه الذي يزين كالحلي
وقد أخذت جامع البخاري * عن عمي الامام ذي الفخار
سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسي
أعني أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقي عن امام يدعى * بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التي * على علو قدره قد دلت
وليروعني ما انتمى للنووي * بذا الى السابق ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي * عن شيخه يحيى الرضي المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكين * النووي الشيخ محيي الدين
وخطه ذا أحمد البادي الوجل * المقري المالكي على خجل
في عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادي وسبعة تلت
ألبسه الله البرود الضافيه * من منه وعفوه والعافيه
بجاه سيد البرايا طرا * ملجا من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * حسن الختام ببلوغ القصد انتهى

وسألني بعض ساكني دمشق المحروسة أن أقرظ له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ آرسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خصص بالاسرار * قدما من الصوفية الابرار

في كتابه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وقصدوا الطريق الناقة في حال صدورها فضرب قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها وأتبع صاحبه الآخر العرقوب الآخر فخرت الناقة لوجهها ووجد أقدار ابنتها فنحروها ولاذ السقب بصخرة فلحقه بعضهم فعقره وورد صالح فنظر الى ما فعلوه فوعدهم العذاب وكان ذلك في يوم الاربعاء فقالوا له مستهزئين يا صالح متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ربك فقال تصبح وجوهكم يوم مونس وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة ويوم شيار مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والايام بلغتهم فهم التسعة بقتل صالح وقالوا ان كان صادقا كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا لاغتيال الملائكة بينهم وبينه وأمطرتهم الحجارة ومنعه الله منهم فلما أصبحوا نظروا الى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورس قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام وتيقن القوم صدق الوعيد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح في ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل

زهو يد المحب لعبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يانجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يامن به ريشت من الــمجد الخوافى والقوادم
يامن دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
ياأحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * مننا لها تعنو الاعاظم
فتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر باد أن بعثت اليك من جنس الرتائم
بسبحة الذكر التى * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتم صادالى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذاد عائم
واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار العى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

ياسيد اشعرى له * مالن يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يامن رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يامن بنفعته خلقه * وبلفظه السامى الملائم
أضحى يريك مجزيــن من النواسم والمباسم
مازلت أبصر منهما * حسن النعامى والنعائم
مازمانى حاسدا * أضحى وبالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بين ها * م فى الثناء له وهائم
حى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الا هوى فى القلب دائم
قد جاء ماشرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لا أحسب العيوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

عدد نازلة بن ثمنين وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وكان فى أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع أولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى طرطوشة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى مهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة أعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برتة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صانع المجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغربرة أربع سنين ثم ملك بعده نازلة أخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستوثقت مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى)

هى آلة للذكر لكن ليس ذكرى فى الحيازم
فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرتائم
ماذى رتائم سيدى * بل انها عندى تمائم
لوانها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم
لكنها قد زينت * كفى وأزرت بالخواتم
يامن يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم
ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم
هذى نوافل ياما * م الدهر ليست باللوازم
العذر منها مخجل * عبد العلاء جد خادم
لا انه فوق العذر قد * أصبحت للشعرى منادم
لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم
يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم
مالا يساوم مثله * ذو الحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه مولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيرا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى
ولديك قلبى لا يزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين
قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك دينى
وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين
واطاع أمرك فى الوداد فلو اشا * منه وحاشا سلوة يعصينى
ما كنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردنا طفا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون
ويفيد سمعى مجزا بهر النهى * ويرى عيونى آية التكوين
يامن غدا يحيى القلوب بلفظه * ويرد الانفاس عن جبرين
أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جد مبين
هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بمعين
قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين
لو لم تكن بدر المنا أحرزتما * قد خص فى الانوار بالتلوين

واشد ما على الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كما ان الافرنجة حرب لهم غير ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من بنى امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها شنترين فلما بلغه مافعل باخيه عصى على عبد الرحمن وصار فى حيز ردمير ملك الجلالقة واعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض متنزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سمورة مملكة الجلالقة المتقدم صفة بنيانها واسوارها فى باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا

السهر ثلاثة أيام وكانت بلد لمسلمين عليهم ثم أبانوا عند أن حوصروا وأولجوا الى المدينة وقتلوا من المسلمين

حققت ما قد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هي عادة حليتها فتزينت * ما كان أحوجها الى التزيين
مولاى أحمد يا سليل بني العلا * يا فوق مدحي فيك أو تحسيني
اغني وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغني به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس في أوراقهم * وعلومه في صدره المشحون
وعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارسى عن حلم احنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستعمت العلا * أدعو واشكر واردات شؤوني
ألفيت قطرك عنتي فوادني * فضل اليمين على اليسار يقيني
في الحي الامري أخي العلا * بلدا باقصى الغرب حد هتون
بلد اداء بيت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيوني
لولاه لال العرب نور شرفنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا لارحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم واني * مستودع منه أجل أمين
أني اودع يوم بينك مهجتي * وشبيبتي وتصبري وسكوني
واعود من توديع وجهك عوده * خلطت يقيني في الهوى بظنون
حتى كاني قد فقدت متيما * نفضي على كحل الاجفون
وترد نفسي انها لو حرمت * ابدا اسكوني للهوى وركوني
اوشك أفضل بين معترك الهوى * نفسي ومعترك الهوى بيميني
ولقد وددت باني متحمل * تلك الخطا بمحاجري وجفوني
كيف السبيل الى الحياة ومهجتي * في قبضة الاشواق كالمسجون
مالت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهديني
والله ما اشعرت دهري عادة * غنيت عن التحسين والتزيين
حاشاك تعرض في الوداد كأنها * واذا لحظت جمالها يكفيني
هي بنت لحظك التي تؤوي النهى * لا بنت لبانتي التي تؤويني
ما الفخر في دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضيني
يا أبا العباس منك اصاحة * تقضي بعوز عداى أو تحييني
بالله نفسي كيف أبلغ مدحه * أضمرتها في سرى المكنون
ولسان حي بالغ اقصى المدى * ولسان مدحي في القصور يليني
ما للشعر يستوفي حقوقكم ولو * أهديت من نظمي عقود سنيني
حاقت أسطار النجوم وانها * نرهو بعقدي في علاك ثمين
فرأت في العيون ما بعلك سيدي * نمرا أسف لعجزه شاهيني

بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذي منع ردمه بر من طالب من بجامس المسلمين أمية بن اسحق وجود وه الكمين ورتبه فيما كان في معتز المسلمين من الاموال والعدد لخزائن ولا دلك لاني على جمع المسلمين بن أمية بعد ذلك السامر الى عبد الرحمن وبجاس من ردمه برد قبله عبد الرحمن أحسن قبول وبذكان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عسكر مع عدة من قواده لحي الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هيئت من ذلك لانه فضع ماكان من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت بلد لمسلمين عليهم الى هذا الغاية وردهم ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو بنفاقتين ثلاثين ... وقد كان بعد على الم اردوني العدرس والجلالقة والافرنجة بدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) وبعد قضا ... سبعين وغيرهما من منهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان ثم ان الروم نابوا ورجعوا عليها من كان في ذلك المدن المسلمين فاخرجوهم عنها بعد حرب طويل وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا قد

قد حف شعرى من قصور طبيعتى * ولربما قد كان جدركين
بكميك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت حصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن العرائص جاهدا * فاذأب عندك موزبالمسنون
هو قبلتى ولأعتدى متمسكا * منه بحبل فى الخطاء متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أوفى مواطئ نعله تحيى
وكذاك عمرى فى هواك مقسم * بين لدعاء الحمد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى فى ذلك

حنانيك ان الدمع بالود معرب * وانى فى شرق وأنت مغرب
ورحماك بى انى قتيل عتابه * ع هو أوفى فى الهوى وأعذب
ووعدك لى بالعود انى معلل * به مهجة قد أرمضتها تصوب
وهبتك قلبى ما حييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا فقد صدقه * فكيف بشئ لم يكن قبله أب
وانا بحمد الله لما حصنتما * بزوره ذى ود دعاه المحب
قرشناه منا الخدود مواطئا * ود دنا به شوقا نجى ونذهب
وقلنا دمشق أنت منها تحكم * وأشرافها ودوا وحدوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقدرت شرفا مثل ما راد ان معرب
وجرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا وكرما تمر السما فيه ترعب
فنحن ونحن الناس خدام نعله * ولاء وان على الغضنفر أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * ألا كل فيما قد دروه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد غدت * دمشق ومن فيها بعليائه تطب
هو المقرى العالم العلم الذى * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أزمع رحله * فما بالى ليل اذا هى تغرب
أو العيش قد ولى وأمرعت النوى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * وأغرب والعنقاء فى الطير مغرب
وانك للفضل الوفى وانه * هو الواحد المألوف ان عز مطلب
وانك بالتحقيق فى كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفى وأدرب
رعى الله وجها أنت ترعب نحوه * وأى أخى حذله أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهى بالحمد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أنى كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت جوانح واله * مشوق فأمسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ على أدام الله تعالى عزه وحرس حوزته عقيدتى المسماة باضاءة الدجنه فى عقائد أهل السنة سالنى أن أجيزه فيها وفى غيرها فكتبت اليه ما نصه

أحمد من أطارفى جو العلا * صيت ابن شاهين الذى زان الحلى

وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى أيدى البرد (قال المسعودى) وما ذكرناه من ٢٩ الجلالقة والافرنجة والصقالبة والبرد وغيرهم من الامم وديارهم مجاورة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس فى هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما ذكرنا من اسمه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس فى أول دولة بنى العباس وله أخبار كثيرة فى كيفية مسيره الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور فى أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرهم من الامم وصاحب الاندلس فى هذا الوقت يركب فى مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوى العناية بأخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى بانه يدل على

بعدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن هلاكهم وطول شدة بطشهم وسائر من الامم الما ...

وراش منه للمعالى أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسلك البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذى سناه
ونختم مع صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
ممهدا لأصل التوحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقى * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم * للرب باستغنائه وبالعدم
وبعد فالعلوم والمعارف * من أمها أوى لظل وارف
وروضة أزهارها تضوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها نبيل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ماينفعه * دنيا وفى أوج الاجور يرفعه
وان فى علم أصول الدين * هدى وخيرا جل عن تبيين
لانه أصل عميم النفع * به وكل ماسواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
وهو الذى لا تقبل الاعمال * الا به ونجح الآمال
وانى كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
ضمنها أصافه الدحفه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن اقرأتها بمصر * ومكة بعضا من اهل العصر
درسها الماذخات الشاما * بجامع فى الحسن لا يسامى
وكان فى المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيى القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من نجل جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى تحسين الظن * اجازة فيما رواه عنى
فحرت فى أمرين قد تناقضا * بالنفى والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفى بالخطل * وبالخطا والجهد منى ذو عطل
وكم رائض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا نجازى البر بالعقوق

التى تدعى على مر الدهور العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه
اياهم أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين
وعاد أول من ملك فى
الارض من هذه الامة
بعد أن أهلك الله عز وجل
الكفار من قوم نوح
وذلك قوله تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم فى الخلق بسطة
وذلك أن هؤلاء القوم
كانوا فى هيآت النخل
طولا وكانوا فى اصل
الاحجار وطوقا بحسب
ذلك من القدر وكانت
جسومهم قوية وكبدهم
غليظة ولم يكن فى الارض
أمة هى أشد بطشا وأكثر
آثارا وأذكى عقولا وأكثر
أحلاما من قوم عاد ولم
يكن فى الملك يعرض
فى أجسامهم القوة آثار
الضعف فيما اوما أو توهمه من
ارادة الى عالم البنية
وكمال الهيئة على حسب
ما أخبر الله عز وجل وكان
عاد رجلا جبارا عظيم
الخلقة وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح
وكان عاد يعبد القمر
وذكروا أنه رأى من
صلبه أربعة آلاف ولد
وأنه تزوج ألف امرأة
وكانت بلاده منه له باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد تجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وابعد

وبعد مامر من البرداد * أسعفته بعقد ذي الوداد
وسرت في طرق من التساهل * معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه الاهل لان يجيزا * لا ان يجاز اذ حوى التبريزا
ومن رأى عيبي بعين للرضا * لم يقتف منهج من غدا معترضا
فليروعني كل ما أسمعه * اياه بالشرط وما أجمعه
مع القصور راجيا للاجر * من العيون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت في عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والصوفي * أسرار وفق وهو بالقصد وفي
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز في غير من
وما أخذت في بلاد المغرب * عن كل فذ في العلوم مغرب
ولي أسانيد اذا سردتها * طالت وفي كتبي قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
عمي سعيد عن سقين وهو عن * القلقشندي عن الواعي السنن
العسقلاني الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالي * صح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقري الخطا * والسهو عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت في السنين عدها
وكان ذا في رمضان السامي * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كي نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ماطال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وقد كتبت بهذه الاجازة نظيرها التي سألني فيها مولانا عين الاعيان مفتي الانام في مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادي مفتي الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثه وكتب لي اصغرهم هذا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامي العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النافي دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالي الثمن
نحمده سبحانه أن عرفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أبيح القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد مفند
كهف الضعيف والقوي المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين ممن عني باخبار العرب أن عادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشديد الملك واستقامة الامر عم احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتي سنة ثم مات وكان الملك بعده في الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استوى على سائر ممالك العالم وهو الذي بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس في كيفيتها وماهيتها واي بلاد هي وهذه هي الثانية التي ذكرها الله تعالى فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش واشداد بن عاد سير في الارض وطواف في البلاد عظيم في ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا في ذلك على ما بسطناه من اخبارهم في كتاب

من جاء بالجامع الصحيح من * كلامه الهادى الى نهج أمن
من فضله ماشئ فيه مسلم * من جمعه بكل خير معلم
المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة نشتهيها علما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدرى كمن لا يدرى
ولم تزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدى
ومنه علم السنة الشريفه * لانه ظلاله وريفه
من درى الاخبار والشمائل * لم يك عن صوب الهدى بمائل
وكم سعيد دع لاجله روض * أوطانه وثوب ترحال نقض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز فى الابداء والاعاده
وانى لما انتحيت المشرقا * مممما بدرا هنداء مشرقا
ألقيت فى مصر عصا التسيار * بعد بلوغى أشرف الديار
وبعد ما حثت دمشق الشام * مسكن من يردان باحتشام
شاهدت عيناى فيها ما ملا * قلبى سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فياضة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها جل عن تعبير
وجل أهلها نجبى دانوا * مع أن مثلى منهم يزدان
ولاحظوا بالاعين الكليله * عبداء ذا تقصيره دليله
وقابلوا عبى بما انتساه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتى الورى فى مذهب النعمان * نبها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعيى العلم * أوصافه اللاتى كنور فى علم
حاوى طراف المجد والتلاد * نال المنى فى النفس والاولاد
وكنت فى مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسوددا وحلما
مع التواضع الذى قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
حدث من فى الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عنى * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أننى والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه

اخبار الرمن من الامم الماديه في الاجيال الخالية والممالك الدائرة وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب
عند ذكرنا تفرق الناس
قبائل وشعب الانساب
وما قيل فى ذلك من الاشعار
جملا من اخبار عاد وثمود
هود ومن سار ع الناس
ممن سلف وخالف فى الغابة
التى بها عظمت اجسامهم
وطالت اعمارهم فقد تقدم على
ذكر ذلك فى كتابنا المترجم
بكتاب الروس البديعية
من السياسة الملوكية
وكذلك فى كتابنا المترجم
بكتاب الرلف
(ذكر ثمود وملوكها وصالح)
قد ذكرنا فيما سلف ذكر
ثمود فى غير هذا الكتاب
وكان ملك ثمود بن عابر
ابن ارم بن سام بن نوح بين
الشام والحجاز الى ساحل
البحر الحبشى وديارهم بفج
الناقة وبيوتهم الى وقتنا
هذا بادية منحوتة فى
الجبال ورسومهم بادية
وآثارهم بادية وذلك فى
طريق الحاج لمن ورد من
الشام بالقرب من وادى
القرى وبيوتهم منحوتة فى
الصخر بابواب صغار
ومساكنهم على قدر مساكن
أهل عصرنا وهذا يدل على ان
أجسامهم على قدر اجسامنا
دون ما يخبر به القصاص
من بعد اجسامهم وليس
هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ... لكنهم بنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذاك لى مهتصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوّغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى سادلا حجابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ روّيته
وكل ما صنفت فى الفنون * مؤمّل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر مغرب
ولى أسانيد يطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتى * هنا لطال القول فى الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعنى به مفلول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد يدعى خروف اجيز عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الحجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاوّل * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدأ الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التنوخى * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقى قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فليخبروا عنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها وهى من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف الطنطنائى فرج
قال سمعت المصطفى فى النوم * صلى عليه الله كل يوم

وكان ملك الملك الاوّل من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الديل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم اعذاره وانذاره ووعده ووعيده سألوه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم فحضر عيد لهم وقد اظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسألوه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء وجاحالكة

يقول من أصبح يعني آمنا * في سربه الحديث فاعرف كامنا
ولمسك الختام في هذا الارب * مصليا على الذي زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن بلامن أنجم الاسلام
وخط هذا المقرى العاصي * أجير يوم الاخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين التي * الهاجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقرى * الالمعي اللوذعي العبقري
علامة العصر بلامفترى * وواحد الدهر بلامرى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخبر عن منظر
جامع علم اث املاءه * بالشام ملء الجامع الاكبر
يفري فتفري السمع أنفاسه * أنفس ما يفري وما قد فرى
مولاي يامن درألفاظه * سحابها ارزى على الجوهري
اجازة ترفل من فضلها * في ثوب عز زوردا مفخر
سبله اديل على أكثر * وأوسط الاخوة والاصغر
أفضل لنا انشاءها بل أطب * وانظم لنا من درها وانثر
لازلت في نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعي ابراهيم العمادي انتهى ومن الاجارات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدي يحيى المحاسني حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامي مدى الاحيان
وكل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ فطرهم به الكمال يحيي
ونشرهم حديثه لاينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذي ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروي واللسان عن حسن
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونتبعن صوب صلاة باهره * الى الرسول ذي السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادي الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدي
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو بديع الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجي

بالحجر فشرب حتى توسطا الخ ثم خرجا فاستغو ياسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم وما

نساء الله الرزوا الى عرب غير وبين ما اصدعت من بعد عقد صرشد يد تعرض المرآة حسن انهارة وضع وسهارته على ما ظلوه من اسية ثم الاهين الدهر سب لها نحوه في الوصف أمه الى رغبة كلام وطلب المرتجي في حلق ممن حضره ورتبه مهد الذي الدوهو بدع بن عمرو وأو سب السامد ما يلون من منهما اما ثم شربه غودا ما وضا في الكلا وثمانو كان في ثمود امرأ ان قوالحسن وجمال دراهما وحلال من ثمود وهما ادار من سف ومصدع ابن مهرج ابن امرأتان عنيزه بنت غنم بن مجلز أف بنت احيا فقالت لصدوف لو كانت لنا في هذا اليوم ما لاعصا بما جزموها يوم انسا وورودها ولا نبيل لنا الى الشرب فقالت نعم تزوج لي والله ان لسنا رجالا لكنه يا ما هو هل هي الاعين الابل فقال لها مدار يا صدوف ان اما كفيتك أمر الناقة فقالت معدك فقالت نفسي وهل حائل دونها عنك فاجابت الاخرى صاحبها بمثل ذلك وقالا سيلا علينا

وما غير العلم بعد العلم * وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
واني عند دخول الشام * لقيت من هاماتهم الاعلام
وشاهدت عيناي من اتصافهم * ما حقق الحاكي عن اوصافهم
وان من جلتهم أوحد كا * والد بدر المقري سماه بد كا
ابن المحاسن الذي قد طابا * ... في الاسم ... ابا
الاسودي الاملي ... * لازال ... الحمد ... حيا
وهو الذي أغراه حسن الظن * على انتمائه لاحد ...
وكان قارئ الحديث النبوي * لدى في الجامع أعني الاموي
بمحضر الجمع الغزير الوافر * من وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذاك استمر الاجازة * من بوء وعدى واقتضى اجازة
فلم أجد بدا من الاجابة * مع أنني لست بذي الاصابة
وان اكن أجبت أمرا يمتثل * منه وفي ذلك تصدق المثل
فيمن درى شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى اليه او شيا
فليروعني كل ما تحلى * بشرطه الذي يرى كالحلي
وقد أخذت جامع البخاري * عن محيي الامام ... المعمار
سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسي
أعني أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقي عن امام يدعى * بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التي * على علو قدره قد دلت
وليروعني ما انتمى للنووي * بدا الى السابق ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي * عن شيخه يحيى الرضي المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكن * النووي الشيخ محيي الدين
وخطه ذا أحمد البادي الوجل * المقري المالكي على عجل
في عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادي وسبعة تلت
الحمد لله المرود الشافيه * من منه وعفوه والعافيه
تجاه سيد الورى ايا طرا * ملتجئا من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * حسن الختام مسك الختام ... اني

وسألني بعض سادات دمشق المحروسة أن أخط له في شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ آرسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خص بالاسرار * قدماء الصوفية الابرار

في كتابه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون

وقصدوا طرق
له فقتل حال صدورها
فضربوه بالسيف
بالسيف ... و ...
صاحبه الآخر العرقوب
الآخر ... الماء
لوجهها ... فقدار ...
... ولد السقب
... فلما ...
... صالح ... الى
... وعدهم العذاب
وكان ذلك في يوم الاربعاء
فقالوا له ... يا صالح
متى يكون ما وعدتنا به
من العذاب ...
قال ... يوم
مؤنس وهو يوم الخميس
مصفرة ويوم العروبة
محمرة ويوم ...
ثم ... العذاب يوم أول
وسنذكر فيما يرد من هذا
الكتاب أسماء الشهور
والايام ... الله
... وقالوا ان كان
... عاجله
قبل ان يعاجلنا وان
كان كاذبا كما قد أخذنا
... فاتوه ليلا فدفعت
الملائكة ...
واعترتهم الحجارة
الله ...
... والى ... كما
وعدهم صفراء كأنها
الورس قد حالت الالوان
وتغيرت الاجسام ...
اليوم صدق الوعد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح في ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من حضر من المؤمنين ... [illegible]

أتاحهم عوارف المعارف * والحكم السابغة المطارف
بهم تستمطر الانواء * وتظهر الانوار والاضواء
ومن أجلهم سناء وسنى * من دادعن عين المعالى الوسنا
شيخ الشيوخ العارف الكبير * الشيخ آرسلان الشهير
كم اشارات له أتانا * بها علوما من حلاها ازدانا
كم عبارات بلا آياتها * تعيا الفحول عن مدى غاياتها
ومن رأى رسالة التوحيد * له انتحى مناهج التسديد
نهى ينادى من أبى أن سلكا * يامعرضا تركك حق كلكا
ومن أصل القصد فى مهامه * هديه للخروج عن أوهامه
وكم بها من باب معنى مغلق * عمن يريد الوجد المطلق
فيا بعير الفخر يدرى الباطن * ووارد الفيض له مواطن
وقد رأيت فى دمشق الشام * شرحالها أبان عن الهام
له كاشفى ذى الوفا بالوعد * شمس العلا محمد بن سعد
لازال فى أوج المعالى صاعدا * وعون ربه له مساعدا
وقد أجلت ناظرى فى حسنه * ألفيته مستندا على فنه
ومن ما أبداه من معانى * على شهود بالهدى معانى
لانه أجاد فى تقرير * ما اعتاص بالاتقان والتحرير
وأبرز الابكار من خدور * أفكاره حالية الصدور
فالله يجزيه الجزاء الاوفى * فى يوم تبدى الانبياء الخوفا
وحط هذا المعترى من وجل * مرتجيا من ربه عزوجل
كشف كروب عقد صبرحلت * منه وغفران ذنوب جلت
بجاه طه الهاشمى أحمدا * عليه أزكى صلوات سرمدا
عاطرة النشر بلا اكتتام * تأرجت بالمسك فى الختام

وقال صاحبى السرى الحسيب الماجد فخر المدرسين الاعيان مولانا الشمس محمد ابن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم لدين الدمشقى حفظه الله تعالى بقوله

شمس المحاسن شرقى أو غربى * سعد منازلنا بشمس المغرب
شمس لنا منها شموس فضائل * وسنى هدى قدراح غير محجب
لمقرى العالم الفذ الذى * لسوى اسمه درج الجمالم يكتب
بدر ولم يبد البدر ويشرق * الا بدت من قبل ذلك بمغرب
لسوى اكتساب سناه لم تغرب ذكا * فلو انها شعرت به لم تغرب
علامة ملأ البلاد بفضله * وأفاده للمشرق والمغرب
بحرى هو البحر المحيط فضائلا * ان دست بالعذب الذى لم يعذب
مولى له سعد قرى فى العلا * عن الجد ودروى العلا وعن الاب

اسلام
ر كيا رحال ى عقد
كأن وجوههم طليت بزعفران
ويوم عروبة احمر ... وغ
... ويادى ابن ...
ويوم ... ود ... وجوه
من ... شمس
... أمس ...
...
... ابن عمرو
وثار ... لهم من
...
...
... في ...
من حار
لا يرهبون من اعداء حولهم
... ولا يرعا
ابرار
...
...
... دار
... السعب
...
هل لثمود وهل لسعب
من ...
... الخالق عن ناقته
وأحقروا العهد هديا أى
احقار
... من ربه
حرسا
... شدحا
باحار
(وقد ذكر) ...
... ثمود جلاوما كان من أمر الناس بارض بابل

نسب له المجد المؤثل في الورى * والمجد مكتسب اذا لم يوهب
هو في جبين الفضل أضحى غرة * يجلى بها للجهل ظلمة غيهب
آمالنا قطعت بشرح جميله * أن لا ترى للدهر وجه مقطب
بدر به زهيت دمشق وأهلها * أحبب بيدر حيث حل محبب
طود الفضائل بل كريم أرجاءه * ديم الحيا وغدا كروض مخصب
بحر الهدى والعلم الا انه * صفو من الاكدار عذب المشرب
هو قطب دائرة الفضائل في الورى * فيكاد يجبر ما بكل معصب
في الفضل ما حاولت يوما مثله * كلا ولا قست البدور بكوكب
أني يجاري في الفضائل من له انقاد الزمان بأدهم وأشهب
من لمدح الغير سقط عندما * فله العلا تعصي بقرص أوحب
ما روضة حلي أزاهرها الحيا * وافتر فيها كل ثغر أشنب
ومشت بها جود الصبا فتعطرت * أذيالها من كل عرف طيب
للنور فيها جدول أحدقت به * شهب المجرة حيرة المتعجب
باتت تناشدني بها ذكر الهوى * ورق الاراك بكل صوت مطرب
تشكو الي بمثل ما أشكو لها * شكوى المعذب في الهوى لمعذب
وعلمت ما قد حل من وجدها * وجهلن وهو الفرق ما قد حل بي
لم تلق فيها من عليل يشتكي * الا النسيم وذا الهوى ان طلب
أغض حسنا من ربا آداب من * حياربا من جاه الطف صيب
طبع أرق من النسيم ومنطق * مستعذب وكذاك كل مهذب
لو جاد صوب جاه قفر اجدبا * لنعمت منه بكل روض معشب
مولاي عذرا فالزمان بعوقني * عن مطلبي والآن مدحك مطلبي
عفوا اذا أخرت مدحك سيدي * فعوائق الايام عذر المذنب
وكذاك يفعل بالاديب زمانه * فلذا يصول على الزمان تعتبي
لم آل يوما من يديه مهربا * الا اليك وجيد دا من مهرب
لولاك ما حال القريض بخاطري * فالدهر يوجب للقريض تجنبي
لولاك لم ينهض جواد قريحتي * في كل واد للصبابة متعب
فاسمع ولست بآمر ظما غدا * في عقد مدحك اولوا اللؤلؤ ينعب
كالراح يلعب بالعقول لانه * لكن بغير مسامع لم يشرب
من كل قافية غدت من حسنها * مثلا لغيرك في العلا لم يضرب
حور فان دين شاك قلائدا * بكرا لغيرك في الورى لم تخطب
غنيت بمدحك لثريته ولربما * يغني الجمال عن الوشاح المذهب
هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت * كالبحر غرف ذنابا وله لم ينضب
جاءتك تسأل القبول وحسبها * فخرا قبولك وهو جل المطلب

على شرح دلائل على الكمال يمد بعدهم لناس كتابا اخبار الزمان والله الموفق

*(ذكر مكة واخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها وما لحق بهذا الباب)

ولما أسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكة مع امه هاجر وامسودعه حالفه على حسب ما أمر الله عنه انه أسكنه بواد غير ذي زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون لهما مسكنا وكان من طلما اسمعيل وهاجر ما كان الى أن أنبع الله لهما زمزم واتخذ الشجر واليمن تفرق العماليق وجرهم في البلاد ومن هنالك من بقايا عاد فبعثت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصبة وعليهم السميدع بن هود ابن لاي بن قطورا بن كركر بن حيدان فلما امعنت بنو كركر في المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد أنشد السميدع بن هود يحثهم على السير في شعر له وشجعهم عادهم (له) وهو

سيروا بني الكركر في البلاد * اني أرى ذا الدهر في فساد قد سار من قحطان ذي الرشاد جرهم لما شاهدها العادي

ونروم منك اجازة فانت بها * ترويه بالسند القوى عن النبى
حتى الاجازة منك جائزة ولم * أك قبل غير الفضل بالمتطلب
لابدع والايجاز اطنابا غدا * فى مدحه ان لم أطل أو أسهب
هيهات لا تحصى ما ثر فضله * بالمدح ان أطنب وان لم أطنب

خدمة الداعى محمد بن يوسف الكريمى انتهى فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع شمس الدين * فى أفق الرواية المبين
وخص فضلا منه بالاسناد * أمة طه منهب العباد
ولم يكن عصر من الاعصار * الا وفيه أهل الاستبصار
يحمون عن حوزة دين الله ما * يروم من عليه رشد أبهما
وأنتحى سبل صلاة كامله * على الذى له العطايا الشامله
محمد المرسل بالشرع الحسن * ذو المعجز المفحم أرباب اللسن
مع حزبه من صحبه وعترته * ومن تلا مؤملا لاثرته
وبعد فالعلم أجل ما اعتمد * موفق من فيض مولاه استمد
خصوصا الحديث عن خير الورى * صلى عليه الله ما رند ورى
ولم يزل ذوو النهى يسعون فى * تحصيله اذ فضله غير خفى
وان مولانا الشهير السامى * الماجد المولى نديمه الشامى
سالك نهج السنة القويم * محمد بن يوسف الكريمى
لازال فى عز وفى أمان * مبلغا من قصده الامانى
وجه لى الماحلات الشاما * وبرق حسن الظن منى شاما
قصيده بليغة مستعذبه * غريبة فى فنها مهذبه
سأل من مثلى بها الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
مستمسكا بعروة الصواب * ولم أجد بدا من الجواب
فاجزته فى ما سمعت كله * وما جمعت فى الفنون جمله
على شروط قررت فى الفن * مرتجيا حصول كل من
وصفوه الاكمل قد أجزته * ذلك على الوجه الذى شرحته
وان أكن فيما ابتغى مقصرا * فذو الرضا ليس لعيب مبصرا
ولى أسانيد أتى وقتى عن * تفصيلها المانع من الرحلة عن
والعذر باد والكريم يقبل * والصفح نهج مقتفيه الانبل
وخط هذا المغربى الجانى * أمنه الله من الاشجان
فى عام ألف وثلاثين قفا * سبعا لهجرة النبى المصطفى
عليه أزكى صلوات تغتنم * نزكو بها مفتتح ومختتم

وكتب الى الفاضل الخطيب الفهامة الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوى الالسن سيدى الشمس محمد المحاسنى سبط شيخ الاسلام مولانا البورينى حسن حفظه الله تعالى

المتقدمون لطلب الماء على الوادى فنظروا الطير ترتفع وتنخفض فهبطوا الوادى فشرف رواده وهم وغدوا الى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وقد زمت حول الماء بالاحجار ومنعته من الجريان وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ام هاجر لولا أنها عجلت ومنعت ماء زمزم من أن يجرى لكان عينا معينا وليس الا حجار تجرى الماء على وجه الارض ثم ان الرواد عليها واستاذنوها فى نزولهم وشربهم من الماء فانست اليهم وأذنت لهم فى النزول فتلقوا من كان وراءهم من أهليهم وأخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما أضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام ونكاح اسمعيل العربية خلاف لغة أبيه وقد ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس فى ذلك من قحطان ونزار وتزوج اسمعيل بالجداء بنت سعد العملاقى وقد كان ابراهيم استاذن سارة فى زيارة اسمعيل فاذنت له فوافى مكة واسمعيل فى الصيد ومعه أمه هاجر فسلم على الجداء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال هل من منزل فقالت لاها الله قال فاين بعلك قالت فى الصيد قال فهل من قرى قالت لا قال فاذا ورد

تعالى

ياسيدي ومولادي * وعالم الثقلين
ومن غدا بكمال * علا على النيرين
أجزت بالدرس يوما * فاقوا به الفرقدين
قرين العبد أيضا * من مثل ذاك قرين
وان يكن في ختام * فذاك قرة عيني

فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع من محاسن * دمشق ما أربى على المحاسن
وزانها بالجلة الاعيان * الراقين في حلى التبيان
الراغبين في الحديث النبوي * السالكين في الهدى النهج السوي
وبعد فالعلم أجل زينه * وسبله في الرشد مستبينه
وان علم السنة الشريفه * ظلاله ضافية ورفيفه
لذاك كان باعتناء أجدرا * من كل ما عليه من تصدرا
وان ذا الفضل الاديب البارع * سابق ميدان الذكا المسارع
الماجد المسدد السامي الحسب * محمد من للمحاسن انتسب
ابن الشهير الصدر تاج الدين * لازال في عز وفي تمكين
وجده لامه الشيخ الحسن * وذاك بوريني معطي اللسن
سالني اجازة بكل ما * أرويه عنوانا بحالي معلما
وها أنا أجبته غير بطل * مستغفرا من خطأ ومن خطل
فليرو عني كل ما يصح * على شروط عندها يسح
وهي عن الشروط لن تريما * وليس يخفى علمه الكريما
وكل ما ألفت أو جمعت * نظما ونثرا مثل ما سمعت
ولي أسانيد يضيق الوقت * عن سردها وبعضها قد سقت
في غير هذا فيحقق ذلك * مقتفيا لاوضح المسالك
وقد أخذت جامع البخاري * ومسلم عن حائز الفخار
عمي سعيد وهو عمن يدعى * بالتنسي قد أفاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضا أبيه * عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المبجل العراقي * وقد سما في سلم المراقي
وماله من الروايات علم * من كتبه التي حوت خير الكلم
وخط هذا المقري عن عجل * مؤملا من ربه عز وجل
غفران ما جنى من الذنوب * والصفح عن معرة العيوب
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله دأبا سرمدا
وآله وصحبه الاخيار * ومن تلالا حرا لا نصار

فاخبريه أن ابراهيم يقول لك بعد مسئلته عنك وعن اهلك استبدل عتبة بيتك غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادي قد أشرق وأنار والاغنام تتنسم الآثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدي من خبر قالت نعم شيخ ورد علي وأخبرته بالقصة فقال ذاك أبي خليل الرحمن وقد أمرني بتخليتك فالحقي باهلك فلا خير فيك وتسامعت جرهم بني كركر ونزولهم الوادي وما هم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم في حال قحط فبادروا نحو مكة وعليهم الحرث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الريث ابن طائم بن نخالة بن هي ابن نبت بن جرهم حتى أتوا الوادي ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بني كركر وقد قيل في كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر انه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهي سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هي بن نبت واستاذن ابراهيم سارة في زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل من ركابه وقد تنازع الناس على أي شيء كان ركوبه فمنهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم من قال على اتان وقيل غير ذلك

وثناساني فى الاجازة الفاضل الاديب سيدى محمد بن على ابن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الاسلام سيدى ومولاى الشيخ عمر القارى حفظه الله تعالى وأنا مستوفز للسفر كتبت له عن عجل ماصورته

أحمد من زين بالآثار * جيدا من الراوى البديه القارى
وشاد للعلياء فى أوج السند * منازلا لم يبلها طول الامد
ومنح الواعين للحديث * بالفضل فى القديم والحديث
وزان منهم سماء الدين * فاشرقت بالحفظ والتبيين
فهم بها للمهتدى نجوم * وانها للمعتدى رجوم
فكم أزاحوا عن حديث المجتبى * صلى عليه الله ماهبت صبا
تحريف ذى غل مضل غالى * شان لمنهاج الرشاد قالى
وبعد فالاسناد للروايه * وسيلة تزحزح الغوايه
والله قد خصص هذى الامه * به امتنانا وأزاح الغمه
هذا ولولا ذاك قال من شا * ماشاءه فهو بحق منشا
فلم يزل أهل النهى كل زمن * يسعون فى تحصيله عن مؤتمن
وان ممن حمله من تحرى * تحملا من العلوم غزرا
الفاضل المسدد النجيب * الواصل المسدد الاريب
محمد سليل ذى المجد على * ابن الامام العالم الحبر الولى
عمر الشيخ الشهير القارى * طود السكون هضبة الوقار
شيخ الشيوخ فى دمشق الشام * لازال محفوفا بعز سامى
فكان من حمله منى روى * بعض الصحيح ظافرا بما نوى
وبعد ذاك اقترح الاجازه * منى ووعدها اقتضى انجازه
فانجمت نفسى عن الاجابه * اذ لست فى ذا الامر دا نجابه
مع أننى مقصر ذو عى * فى مثل هذا المطلب المرعى
وخفت أن آتيها شنعاء * بحملى الوشى الى صنعاء
وبعد ذا أحببت قصد الاجر * مرتجيا بذاك ربح التجر
وقد أجبته وانى اعلم * أنى من خوف الخطا لا أسلم
فليروها ببالغ التمنى * جميع ما يصح لى وعنى
من ذلك الجامع للبخارى * عن عمى الشهير ذى الفخار
سعيد الآخذ عن سفين * عن قلقشندى مزيح المين
عن حافظ الاسلام أعنى ابن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وبعضها فى صدر فتح البارى * مبين لطالب الاخبار
ولى أسانيد يطول شرحها * والروضة الغناء يكفى نفحها
ومن رواياتى عن القصار * مفتى البرايا بهجة الاعصار

من الحيوان دلها أبى ابراهيم الوادى سلم على زوجة اسمعيل الجرهمية فسلمت عليه ورحبت به
واكرمته باحسن الغذاء
وسالها عن اسمعيل وهاجر
فاخبرته بخبرهما وانهما
فى رعيهما وعرضت عليه
النزول فابى قيل ان هاجر
كانت ندمت وقهامن
الدن عشرين سنة والحت
الجرهمية على ابراهيم فى
النزول فابى فقدمت اليه
لبنا وشرائح من لحم الصيد
فدعا فيه بالبركة وجاءته
بحجر كان فى البيت ومال
عن ركابه وجعلته تحت
قدمه اليمنى ثم رجلت
شعره ودهنته ثم حولت
الحجر الى شماله فوضع رجله
اليسرى عليه أيضا ومال
براسه نحوها فرجلته
ودهنته فأثرت قدماه فى
الحجر على ماوصفناه من
جانب اليمين والشمال
فلما رات الجرهمية ذلك
اكبرت ماشاهدته وهذا
الحجر هو مقام ابراهيم
فقال لها ابراهيم ارفعيه
فسيكون له شأن وساعد
حين ثم قال لها اذا جاءك
اسمعيل فقولى له ان ابراهيم
يقرأ عليك السلام ويقول
لك احتفظ بعتبة بيتك
فنعمت العتبة هى وسار
ابراهيم راجعا نحو الشام
وقيل انما سمى اسمعيل
لان الله سمع دعاء هاجر
ورجها حين هربت من سيدتها سارة أم اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل

حدثنا

حدثنا خروف الذاكي الارج * عن الشريف الطيطاني نرج
سمعت في المنام طه يملي * حديث من أصبح وفي النقل
أي آمنا في سربه معافى * في جسمه مع قوت يوم وافى
وكل ما ألفت في الفنون * أرجوبه التحقيق للظنون
فليروه عني بشرط معتبر * وربما يصدق الخبر الخبر
ولي تآليف على العشرينا * زادت ثمانيا حوت تفننا
فليروها ان شا بلا استثناء * والله أرجو نيل قصد داني
بجاه من شرف بالادناء * صلى عليه الله في الآناء
أحمد خير المرسلين الهادي * غوث البرايا ملجأ الاشهاد
عليه أسنى صلوات زاكيه * مع صحبه ذوي المزايا الزاكيه
ومن تلا ممن أطاب عمله * فنال من رجاته ما أمله
وثم من عرف قبول أرجا * فنال من حسن الختام ما رجا

وخاطبني من أهلها أيضا خادم الشيخ الاكبر بن عربي محيي الدين وهو الشيخ الاكرمي سيدي ابراهيم سلك الله بي وبه سبل المهتدين بقوله

فكرت في فضل الاما * م المقري الحبر حينا
فوجدته بكر الزما * ن وواحد الدنيا يقينا
ما ان رأيت ولا سمعـ * ـت بمثله في العالمينا
وافى دمشق زائرا * ألوانه أضحى قطينا
وأتى عجيب الاتفا * ق بفطر شهر الصائمينا
فكأن غرته الهلا * ل ونحن كنا ناذرينا
والعلم قال مؤرخا * أدى بها فضلا مبينا

وخاطبني أيضا منهم الفقيه النبيه سيدي مصطفى بن محب الدين حفظه الله تعالى بقوله

فضائل قطب الغرب في العلم والفصل * هو المقري الاصل حائزة الخصل
حوى كل علم كل عن بعضه السوى * فلا غرو أن أضحى فريدا بلا مثل
وحاز فنونا من ضروب معارف * ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
توخى دمشق الشام فافتر ثغرها * سرورا به وازينت من حلى الفضل
وشرف مصر قبلها فاكتست به * ملابس خز زانها كرم الاصل
لقد أشرقت من أفق غرب شموسه * وناهيك أفقا نوره قدره يعلي
فاسته فيها تنا فت الورى * بما قد غدا من در ألفاظه يملي
مليء من التحقيق ان عن مشكل * تكفل بالتبيان والشرح والحل
اذا ما أدار الدر من كاس لفظه * سقانا عقار الفضل علا على نهل
نظام له يحكي قلائد عسجد * وثغر مليح فائق الحسن والدل
وأسجاعه ان حاك وشي نسيجها * حكت حبرا حيكت غارق من غزل

وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن في المسجد الحرام حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود * وولد لاسمعيل اثنا عشر ولدا ذكراوهم نابت وقيذار واربل ومبسم ومسمع ودوما ودوام ومثى وحداد ونيم وبطور ونابس وكل هؤلاء قد أنسل وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه وكان اسمعيل يأتي بالحجر من ذي طوى فبناه وجعل طوله ثلاثين ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وسمكه تسعة أذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه وألصق المقام بالبيت وذلك قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الآية وأمر الله تعالى ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن اسمعيل ثم قام من بعده اناس من جرهم لغلبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحرث بن مضاض وهو أول من ولي البيت وكان ينزل هنالك في الموضع المعروف بقعيقعان في هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها عليه وذلك في أعلى مكة وملك العماليق السميدع بن هود بن حد بن مازن بن لاهي بن قنطورا وكان ينزل أجيادا من اسفل

إذا العلم العالي بشرق ومغرب * له الموضع الأسمى على الكل في الكل
فيا سيداً حاز المفاخر والعلا * ووافت حلى الآداب منه على الحلى
إليك من العبد الحقير تحية * لقد نشأت عن خالص الود من خل
ومال إلى الحب والقرب منكم * بظاهر غيب لا يحيد عن الوصل
فلا زلت محفوفاً بسابغ نعمة * وفضل عميم وافر وارف الظل
ودمت لدى الأيام في خير أوبة * وجمع لشمل بالمواطن والأهل

وخاطبني أيضاً الشيخ سيدي محمد بن سعد الكلشني بقوله

شهر شعبان جاءنا بالتهاني * بقدوم الأستاذ كنز الفضائل
بهجة الكون روض علم وحلم * وهو مغني اللبيب إن جا سائل
بمصابيح فضله قد أضاءت * ساحة الجامع الكبير لآمل
ومختار نقطه صار يروى * بحديث مسلسل عن أفاضل
ومن الغرب حين وافى لشرق * فاق بدراً لتمام وسط المنازل
حل منا في القلب والطرف لما * لاح سعد السعود لي غير آفل
وبدا بالأمان والسعد أرخ * أحمد المقري في الشام قائل

وقال أيضاً نشر الله تعالى بيته وأدام أمنيته

أتاك دمشق الشام أكرم وارد * فتزهى به عجباً وللحسن شاهد
وهزت دلالاً في أزاهر روضه * معاطف لين كالغصون الأمالد
لك البشر يا عيني ظفرت بماجد * رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله * فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
من العلم الفرد المفيد الذي له * أياد سمت بالجود تولى لقاصد
وذاك أبو العباس أحمد من صفت * مناهله دوماً إلى كل وارد
تراه إذا وافيته متهللاً * ويبسم حباً في وجوه الأماجد
إمام سما قدراً على النجم رفعة * أرى وصفه في بيت نظم مشاهد
لديه ارتفاع المشتري وسعوده * وسطوة بهرام وظرف عطارد
شهدت بأن الله أولاه نعمة * بنقل حديث في جميع المساجد
ومذ حل في وادي دمشق ركابه * وسودده وافى بأعدل شاهد
حوى كل أفضال وكل فضيلة * بها يهتدي حقاً لنيل المقاصد
وما داعني في مدحه أنا قائل * ولو جئت فيه مطنباً بالقصائد
إذا رمت أن ألقى نظيراً لمثله * عجزت ورب الناس عن عد واحد
فكم من معان حازها ببيانه * وفكرته قد قيدت للشوارد
ومنطقه حاوي الثنا بجواهر * صحاح بها يزدان عقد القلائد
من الغرب وافى نحو شرق فأشرقت * شموس علوم أسفرت عن محامد
فناديته يا سيدي من بفضله * تواترت الأخبار عن غير واحد

[illegible] [illegible] والدرق فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرنا وخرج السميدع [illegible] العماليق ومعه الجياد من الخيل فعرف الموضع بأجياد الى هذا الوقت [illegible] الى [illegible] واقتتلوا [illegible] الموضع فاضحا الى هذا الوقت ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وطبخوا فسمي الموضع مطابخ الى الآن وصارت ولاية البيت الى العماليق ثم صارت لجرهم فأقاموا ولاية البيت نحو ثلثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحرث ابن مضاض الاصغر ابن عمرو بن الحرث بن مضاض الاكبر وبنوا في بناء البيت ورفعوه على ما كان عليه من بناء ابراهيم عليه السلام وبغت جرهم في الحرم وبغت حتى فسق رجل منهم في الحرم بامرأة وكان الرجل يدعى اساف والمرأة نائلة فمسخهما الله [illegible] حجرين [illegible] بعد ذلك وثنين وعبدا تقربا بهما الى الله تعالى وقيل ان هذا جرى [illegible] وسميا باسميهما فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل ونحو ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوي

عسى عطفة منكم على بنظرة * فانت لموصول الحداجى عائد
وأنت على ريب الزمان مساعدى * وأنت يمينى للجحود وعدى
ولازلت تولى كل من هو آمل * لبغيته من صادر ثم وارد
وتبقى مدى الايام فى المجد اولا * بثوب الهنا تكسى شريد المحامد
وهاك عروسا تجتلى فى حليها * اليك أتت فى زى عذراء ناهد
هى بعيد الفطر من بعدصومكم * تجىء بجيل من لذيذ الموائد
وترجو جميل السمر ان هى مثلث * بحضرتك العلياء باحسن ماجد
وعش فى أمان الله بالعز دائما * مدى الدهر بالحيا الحافى المداهد
وما دارت الافلاك من نحو قبها * وما بزغت شمس الضحى للشاهد

وقال أيضا زاده الله تعالى من فضله

ظبى بوسط الفؤاد قائل * أعز بالوصف كل قائل
ظبى باجفانه سبانى * وسحرها ينمى لبابل
يرمى بسهم اللحاظ ما * يرنو فيصمى الفؤاد عاجل
تدهش العقل مذ محنى * على حتى غدوت ذاهل
له قوام كخوط بان * أو كالقنا السمهرى عادل
بدر بدا كامل المعانى * فى القلب والطرف عاد نازل
قد أسر القلب فى هواه * بقيد حسن ودرع سابل
ومابقى منه لى خلاص * سوى مديحى رضا الافاضل
أعنى به المقرى من قد * سما على البدر فى المنازل
أحمد مولى له أياد * كالغيث يغنى لكل سائل
علامة حاز كل فضل * سبقا ومن بالعلوم عامل
من قد نشا فى العلوم طرا * وحاز علم البيان كامل
طويل باع بسيط فضل * مديد جود لكل آمل
ووافر العقل راح يهدى * سريع فضل لكل فاضل
وجامع العلم فى ابتهاج * ينطق فى الاصول حاول
وهكذا فى الكلام مهما * أفاد فى الدروس شامل
يروى صحيح الحديث دأبا * بالسند الواصل الدلائل
وكم علوم أفاد من قد * أتاه فى مشكل المسائل
وحل ابهام كل شكل * من من وهى الى الوسائل
وغاص فى لجة المعانى * واستخرج الدر فى المحافل
وفى فنون البديع أضحى * جناسه قد حوى رسائل
وكم دليل أقام لما * برهانه أبهت المعارل
ان كان وافى لنا أخيرا * فهو الذى فاق الاوائل

فانهم فى بعض الامالى السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باسمه وقد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فى شعره فقال
وجرهم دمنوا تهامة فى الدهر فسالت بجمعهم اضم
(وفى ذلك) يقول الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وكان الاسمعيل تسهرا وصلة
ولما بدر ساعد ساعدا الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ملكنا بهادارا الدهر ربها الذئب يعوى والعدو المخادر
ومما ذكرنا من أخبارهم يقول عمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
وكنا ولاة البيت والقاطن الذى
اليه تؤدى نذره كل شرم
سكناها قبل النبط وراءه
فسعوا الى الحرام بعد ذاهم

لهاعن بنى هى بن نبت بن جرهم وفى ذلك يقول لهم ماجرهم وأية كهف ، وولاة لبيته والحجاب

بحر محيط فيض منه * على رياض بكل ساحل
وانى من الغرب نحو شرق * يجوب من فوق متن بازل
فى مهمه مصحح سهول * وحزنه كم به عوامل
وحش فيه المسير حتى * حلمه من وراء كاهل
وجاء بالبمن فى أمن * وصحة الجسم والشمائل
وحل فى الشام عند قوم * من أكرم الناس فى القبائل
دالث ابن شاهين ذو المعالى * رب الندى للالوف باذل
كانه الشمس حاء يهدى * والبدر نورا وليس آفل
لو كان عينا لهم وكانوا * روضا أريصا الشكر وابل
تجلوه وعظموه * وادخروا عاجلا لآجل
جزاهم الله كل خير * وصانهم من جدال جاهل
وأحمد دام فى أمان * المقرى الرضا المعامل
لربه فى دجى الليالى * ويرشد الناس فى الاصائل
لازال فى نعمة وخير * وفى أمان يعود عاجل

وخاطبنى الاديب الفاضل الشيخ أبو بكر العمرى شيخ الادباء بدمشق حفظه الله تعالى بقوله

باهت بمسار على مدن الدنى * بعالم فى العالمين محمد
المقرى أحمد رب الحجا * الكامل البحر الخضم المزبد
مالك هذا العصر شافعيه * أحمده نعمانه المسدد
مذ حل مصر ادعت أعلامها * لفضله وبجلوا وجددوا
وفى دمشق الشام دام سعدها * كان لها المقام الاسعد
العلماء أجمعوا جميعهم * على معاليه التى لا تجحد
أقام شهرا أو يزيد واثنى * وفى الحشا منه المقيم المقعد
سالت على فراقه دموعنا * وفى القلوب وجده لا تخمد
لو قيل من تحمدنى ماريحه * ما قلت الا المعرى أحمد
لا برحت أوقاته سعيدة * ما لاح نوق عوده معرد

قلت وقد كرر الكلام أعيان دمشق حفظهم الله تعالى ومدحهم لى ليس علم الله لاعتقادى فى نفسى فضلا بل أثبت به دلالة على فضلهم اذ اهر حيث عاملوا مثلى من القاصر بن بهذه المعاملة وكسوه حال تلك المحامد مع كونى لست فى الحقيقة اهل لما اضافوه من الحجا والخطل والجهل ولقد خاطبت من مصر مفتى الشام صدر الاكابر وارث المجد كابرا عن كابر صاحب أذيال الكمال صاحب الجلال المبلغ الا مال مولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى بكتاب لم يحضرنى منه الآن غير بيتين فى أوله وهما

وكان ... حروب ... شبه ... بين مصر و ... اياد وكانت لمضر ... الى اياد و ... من مكة الى العراق و ... مدة ... الامين ... مكة وولد نزار وخزاعة ... (وال المعرى) و ... على ... الا ... هذا ... من ... جرهم ... وجدت فى ... من الروايات ان أول ... من ملوك جرهم بمكة مضاض بن عمرو بن سعد ابن ... هى ... بن جرهم ... ابنه ... بعده ابنه عمرو بن مضاض ... بعده الحرث بن عمرو ... دون ذلك ثم ... بعده عمرو بن الحرث ... دون ذلك ثم ... مضاض بن عمرو الاصغر ابن الحرث بن عمرو بن ... بن ... بن جرهم بن قحطان أربعين سنة واعترضت العرب العاربة من عاد ... وطسم ... العماليق وأبادوا جرهم ولم ... من العرب الا ... من عدنان وقحطان ودخل من بقى ممن ذكرناه العرب

ياحادى الاظعان نحو الشآم * بلغ تحياتى لتلك القثام
وابد اعقتها العمادى الرضا * دام به شمل الهنا فى التمام

فاجابنى بما نصه

الى أهالى مصر أهدى السلام * مبتدئا بالمقرى الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه * ولم يضع منه الوفا للذمام

أهدى تحف التحية الى حضرته العلية وذاته ذات الفضائل الدنية الاحمدية التى من صحيحها لم يزل موصولا بطرائف الصلات والعوائد الاوحدية الجامعة التى لها من ابتدائها شواهد

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

فيامن جذب قلوب أهل عصره الى مصره وأعجز عن وصف فضله كل بليغ ولو وصل الى النثرة بنثره أو الى الشعرى بشعره ومن زرع حب حبه فى القلوب فاستوى على سوقه وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه وظهرت شمس فضله من الجانب العربى فبهرت بالشروق وأصبح كل صب وهو الى بهجتها مشوق زار الشام ثم ما سلم حتى ودع بعد أن فرغ بروضها افنان الفنون فابدع وأسهم لكل من أهلها نصيبا من وداده فكان أوفرهم سهما هذا المحب الذى رفع بمحبته سمك عماده وعلق بمحبته شغاف فؤاده فانه دنا من قلبه فتدلى وفاز من حبه بالسهم المعلى أدام الله تعالى لك البقا وأحسن لنا بك الملتقى ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا آمين بمنه وكرمه هذا وقد وصل من ذلك الجناب الوفى كتاب كريم هو اللطف الخفى بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفى جاء به البشير ذو الفضل السنى الخل الاعز الاجل التاج المحاسنى مشتملا على عقود الجواهر بل النجوم الزواهر بل الآيات البواهر تكاد تقصر البلاغة من حواشيه وتشهد بالوصول الى طرفها الاعلى لموشيه فليت شعرى باى لسان أثنى على فصوله الحسان العالية الشان الغالية الاثمان التى هى أنفس من قلائد العقيان وأبدع من مقامات بديع الزمان فطفقت أرتع من معانيها فى أمتع رياض وأقطع بان فى منشئها اعتياضا لهذا العصر عن عياض

ليت الكواكب تدنو لى فانظمها * عقود مدح فلا أرضى لها كلمى

ولاسيما فصل التعزية والتسلية المشتمل على عقد التخلية بل عقود التحلية التلميذ كم الولد ابراهيم فانه كان له كرقية السليم بمدان كادبهم بحماة والله درة فى أحسن المحال ووقع الموقع حتى كأن الولد نشط ببركته من عقال

واذا الشئ أتى فى وقته * زاد فى العين جمال الاجمال

فجزاكم الله تعالى عنا احسن الجزاء ثم احسن لكم جميل العزاء فيمن ذكرتم من كريمى الاصل والفرع وأبقى منكم ما كنا فى الارض من به للناس اعم النفع واما مصيبة من كان وليى وسميى ومنجدى الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشدى فانها وان اصابت منا ومنكم الاحوين فقد عمت الحرمين بل طمت الثقلين ولقد عد

فسلط الله عليهم ملوك الارض فافنها وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الروم وانسابها من لحق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبهم الى غير هذا النسب وهو الاشهر فى الناس وقد رثاهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم * خطير ولا ذو نخوة متشاوس
عتوا فأدال الله منهم وحكمه * على الناس هذا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتفانت فى نحو من سبعين سنة فى البرارى بما كان بينهم من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق لهم باقية فضربت بهم العرب المثل وضربت بهم الشعراء الامثال فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم فى قوله

فمن يلى من بعدهم رئيس * من الالى او طسم او جديس

بيوم كانوا انالمذاكى * وباليوم الاحم العيطموس

واما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا وهم قوم حنظلة ابن صفوان العبسى بعثه الله اليهم فكذبوه وقد ذكرنا من خبره لمعاوية وقد قيل فى أصحاب الرس أوجه كثيرة غير ما ذكرنا فى هذا

دد ابه فى الاسلام ثلمه وفقدبه فى حرم الله تعالى من كان يدعى للملمه ولم يبق بعده الامن يدعى انتحاس الجيس واسـق ان ينشد فى حقه وان لم يقس به قيس

وما كان قيس هلكه هلك واحـد * ولكـنه بنيان قوم تهدّما

ئالله تعالى يرفع درجاته فى عليين و سى وجودكم للاسلام والمسلمين وتلامـذتكم الاولاد يرجون من بركات دعـكم أعظم الامـداد ويهدون أكمل التحية الى حضرتكم العليـه وامعكم دعاء صاحب لسـعاده أدام الله تعالى اسعادكم واسعاده ونحن من محبتـه الشهـه فى رياض دون أدنـة أيهاه المعات محاصره فى دكرشمائلكم الجليله تنوّر المجالس وأيامها ساعات محاورة بدشر فضائلكم الجليـله تعمر المجالس وسلام جملـه الاحباب من أهـل الشـام وعامـة الخواص والعوام والدعاء على الدوام المخلص الداعى عبد الرحمن العمادى مفتى الحنفية بدمشق المحمية (ووردت) على مع المكتوب المذكور مكتبات مجاعه من اعيان الشام حفظهم الله تعالى وهامن الصديق الحميم الرذل فى حلل الحد الصميم الخطيب الاديب سيدى الشيخ الخاسنى يحيى أسمى الله تعالى قدره فى الدين والدنيا كتابان نص أولهما باسمه سبحانه

لئن حكمت أيدى النوى أو تعرضت * عوارض بين بيننا وتفـرق

فقلبى الى رؤياكـم متشـوّف * وقلبى الى لقياكم متشـوّق

يقبل الارض لشريعـة لازالت مركز الدائرة المعالى ووسط الفلك تجرى المجرة على مجرته على الدقائق والثوانى ولا برحت ألسن البلاغة عن عـبر براعة براعه حامى حماها معربة او بلابل الآداب على الاغصان فى رياض فضـله عن اثنى الثناء صادحه وبالحان سجعها مطربه

أرض بها فلك المعالى دائر : والشمس تشرق والبدور نجوم

وبها من ازهر المضـد انجم : ولهـا عـلى افق السماء نجوم

عمر الله تعالى بالمسرات محلها وعم بالخيرات من حلها و تتـدى بسلام يحرع عن صحيح ودّه السالم ومريد حرام فى كعبـه الذى هو للولاء حارم و يبعث شوقا تحرك ماسكن صميم الصمير من صـدق حب سلم جمعه من التكسير و تؤكد اللام سوابع المدح والثناء و يعرب عن محبة مشيدة البناء و يهدى ان السبب فى سـلام ها والباعث عـلى تحريرها أشواق اضرمت نارها فى الفؤاد وخدمه لم تحسن مت الا ذت البلاد

شوقى لذاتك شوق لا ازال ارى * اجـدّه يا امام العصر ادمـه

ولى دم كاد ذكر الشـوق يحرقه * لو كان من قال نار أحرقت دمه

هذا وان تفضل المولى بالسؤال عن حال هـذا العبد فهو باق على ماشهدته الذات اللطيفـه العليه من صـدق المحبه ورق العبودية ولم يزل يزين افق المجالس بذكركم ولا يقتطف بعد الخاصرة الامن زهركم ولم ينس حلاوة العيش فى تلك الاوقات التى مضت فى خدمتكم المحروسه بعناية الملك المتعـال واياى الانس التى قيل فيها وكانت بالعراق لنا ليال

وها ها من ليال هل تعودكما * كانت واى ليال عاد ماضيها

الكتاب وقد ذكرت هذه القبائل فى التوراة وكل ٥٤٦ يرجع الى ولد سام بن نوح من بنى ارم بن سام ومن ولده عوص بن ارم ومن ولده عابر بن ارم ومن ولده ماش بن ارم فولد عوص عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر وولد ماش بن ارم نبيه بن ماش فدر الصد وبلد كثاير حتى الى ... مسر وحل عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح وولده الاحقاف من بلاد حضر موت وحل ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وولده الحجر ووادى القرى وحل جديس بن عابر بلاد جو وهى بلاد اليمامة ما بين البحرين والحجاز وهذا البلد فى هذا الوقت وهو سنة ثلثين وثلاثين وثلثمائة يد قوم الاخيضر العلوى وهو من ولد الحسن بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهما وهو يجاور بلاد البحرين ومن قرب الى هذا الوقت وحل طسم بن لوذ بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بنى جديس وحل عمليق بن لاذ بن سام بن نوح الحجاز وورد ذكر اولاد سام فيما تقدم من هـذا الكتاب أنهم حلوا الاهواز وفارس وهو عيلام بن سام بن نوح وحل نبيط بن ماش بن ارم ابن سام بن نوح بابل وغلبوا على العراق وهم النبط منهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وانهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا

لم

أشر ملوك الارض فادال منهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ماهم عليه من الذل فى هذا الوقت بالعراق وغيرها وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف فى الدنيا الا وقد أعراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبى عليه السلام منهم أكبر من النبى صلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبى صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودى) ولما لم يسأل من قدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم افتخر من قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبى صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التى احتج بها النبط فتقول قد صرنا بعد أفضل من النبط لما

لم أنسها مذ بانت عنى بهجتها * واى انس من الايام يدنيها

ونسأل الله تعالى ان يمن بالتلاق ويفصل منعة الجمع بذى شعب العراق ان ذلك على الله يسير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وبعد فالمعروض على مسامع سيدى الكريمة لا زالت من كل سوء سليمة انه وصل لما كتوبكم الكريم صحبة العم الحب القديم فحصل لهذا العبد به جبر عظيم وانس جسيم كما شهد بذلك السميع العليم فعزمت على ترك الاجابة لعدم الاجادة ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة ما بلغته الالفاظ المقربة وأين يصل صاحب الرم كما قيل الى الدفات الحليلية ولكننى خشيت من ترك الاجابة توهم نقض ما أبنيه من رق العبودية وصحة الوداد ومن انقطاع برق شيخى الذى هو لبيت شرفى العمدة والعماد فلزم من ذلك أن كتبت لجنابه الشريف الجواب وان كان خطؤه أكثر من الصواب وأرسلته قبل ذلك بعشرة أيام ومكتوب هذا العبد صحبته مكتوبان أحدهما من محبكم شيخ الاسلام المفتى العمادى والآخر من محبكم أحمد افندى الشاهينى وهما وبقية أكابر البلدة وأعيانها يبلغونكم السلام التام ولا تؤاخذونا فى هذا المكتوب فانى كتبته عجلا ومن جنابكم خجلا دام خيركم على الدوام الى قيام الساعة وساعة القيام وحرر يوم الاثنين ١١ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ الفقير الداعى يحيى المحاسنى انتهى * (ونص الكتاب الثانى من المذكور أسماه الله) باسمه سبحانه مخلصك الذى محض لك وداده ومحبك الذى أسلم لمحبتك قياده بل عبدك الذى لا يروم الخروج عن رقك وتلميذك الذى لم يزل مغترفا من فيض علومك معترفا بحقك من أسكنك لبه وأخلص لك حبه واتخذك من بين الانام ذخرا نافعا وكهفا مانعا ومولى رفيعا وشهابا ساطعا وتشبث بأسباب علومك ونعمك يهدى اليك سلاما كأنما تعطر بمسك ثنائك ونعمك واكتسب من لطف طبعك الرقة واستعار من سنى وجهك حلة مستحقة وتحية لم يكن مناه الا أن تكون بالمواجهة والمحاضرة والمشافهة على أن فؤاده لم يبرح لك سكنا واحشاءه لك موطنا ويبدى دعوات بحق الفضل انهاس القصايا المنتجة وأن أبواب القبول لها غير مرتجة مقبلا أياديك التى وكفت بوابل جودها وكفت المهم بنتائج سعودها وحاكت الوشى المرقوم وسلكت الدر المنظوم فهذا يرفل فى حللها وهذا يتحلى بعقودها

فهى التى تعنو الرياض لرقها * ويغار منها الدر فى تنضيدها
وبحار أرباب البيان لنظمها * فهم بحضرتها كبعض عبيدها

متمسكا من ولائك بوثيق العرا متمسكا من ثنائك الذى لا يزال الكون منه معنبرا متشوقا للقائك الذى بالمهج يستام وبالنفوس يشترى متشوقا الى ما يرد من أنبائك التى تسر خبرا وتحمد أثرا أعنى بذلك المولى الذى أقام بفناء الفسطاط مخيما وانتجع جاه رائد الفضل مميما وشدت لفضائله الرحال ووقفت عندها بل دونها فحول الرجال وطلعت شموس علومه فى سماء القاهرة فاختفت نجوم فضلائها والاشعة باهرة

هو الشمس علما والجميع كواكب * اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

فهو العالم الذى سرى ذكره فى الآفاق مسير الصبا جاذبا ذيلها النسيم الخفاق الذى أطلع

شمس [illegible] من أفق بيانه وأظهر بدر التدقيق من تبيانه فلهذا انعقدت عليه الخناصر [illegible] عصره وانضعت إليه الاواصر من فضلاء مصره فلا يضاهيه أحد في زمانه ويسبق [illegible] ومرحانه فهو المعوّل عليه في مشكلات العلوم معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم الذي لم [illegible] الازمان والعصور ولم يأت بنظيره تتابع الاعصار والدهور من [illegible] العلم عن التصريح باسمه الشريف في هذا الرقم لا زالت المدارس مشرقة بالتفهيم فيها الدروس ولا برحت الربوع عامرة بوجوده بعد الدروس ما سطرت آيات الاشواق في الصحائف والطروس وأرسلت من تلميذ الى أستاذ بسبب نسبته اليه فحصل على المطلوب من شرف النفوس هذا والذي يبدي لحضرتكم وينهى لطلعتكم أن الراقم لهذه الصحيفة المشرفة ببعض أوصاف [illegible] اللطيفة المرسلة لساحة فضائلكم المنيفة هو تلميذكم من تشرف بدروسكم وافتخر باجازتكم بيدى [illegible] لنيران أشواقه التي التهبت [illegible] على الايام السالفة مذهبة في خدمتكم لا ذهبت وتوجعه لهذه الازمان التي استرجعت [illegible] من ذمته ما وهبت وتطلعه الى ما يشنف به الاسماع من فضائله التي سلبت العقول وانتهبت فلم يزل يسال الرواة عنها ليلتقط منها وقد تحقق ان فرائدها لا تلتقي لها نظير ولا يدرك كنهها وكيف لا وهي ما يتعلم الفاضل اللبيب واليها يفتقر السعيد و[illegible] الحبيب وعليها يعتمد ابن العميد ولم تنفك راقية في درج المزيد وعبد الحميد عبد الحميد وعلم شيخي محيط بصدق محبتي واخلاصها وشدة حرصي على تحصيل فوائد مولانا واقتناصها واني لا أزل ذاكرا لمحاسنه التي ليست في غيره مجموعة ومتطفلا على ثمار أفكاره التي هي لا مقطوعة ولا ممنوعة وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك فلا يحتاج هذا العبد الى بينة لدى مولانا الاستاذ المالك وحقيق على من فارق تلك الاخلاق الغر والشمائل الزهر والعشرة المعشوقة والسجايا الموموقة والفضائل الموفورة والمآثر المشهورة أن يشق جيب الصبر ويجعل النار حشو الصدر

وانى لتعروني لذكراك هزة ؛ كما انتفض العصفور بلله القطر

ولو ملكت مرادي لما أحضر الا في ذراء مرادي بل لو دار الفلك على اختياري لما فنوت الاعداد ليلي ونهاري

وموقعي الخيار لما افترقنا * ولكن لا اختيار مع الزمان

وتحت ضلوعي لوعة لو كتمتها * لخفت على الاحشاء أن تتضرما

ولو نحت في كتبي عما في جوانحي * لانطقتها نارا وأبكيتها دما

وأنا لا أقترح على الدهر الا انقياد ولا أطمع حاضر الوقت الا بذكراه وما أعد أيامي التي سعدت فيها بلقائه الا سفاتج السرور ومطالع السعود والحبور ولست أعيبها الا بقلة البقاء وسرعة الانقضاء وكذلك عمر السرور قصير والدهر بتفريق الاحبة بصير وربما نضر العود بعد الذبول وطلع النجم بعد الافول وأديل الوصال من الفراق وعاد العيش المترحل والمذاق

وما أنا من أن يجمع الله شملنا * كاحسن ما كنا عليه بآيس

اه [illegible] من [illegible] جعل الله [illegible] من الفضل في شدة امتحانهم بسلب النبي صلى الله عليه وسلم عنهم والنبط أيضا [illegible] العرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم كما جعله الله لهم [illegible] الفضائل [illegible] [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ليس للنبط [illegible] العرب أيضا خيرا من النبط [illegible] لا [illegible] الاكثر [illegible] والكلام متوجه [illegible] فيما قالوه ومكان [illegible] فيما أوردوه من تفضيل النبط على العرب [illegible] ذكرنا تنازع الناس في الانساب والتفضيل بها وبالاعمال دون الانساب ومن قال ان العمل دون النسب ومقالة الشعوبية وغيرها في كتابنا المقالات في أصول الديانات وقد ذكر أبو الحسن أحمد ابن يحيى في كتابه في الرد على الشعوبية [illegible] كثيرة وذكر [illegible] اختصه الله تعالى من عباده واصطفاه من خلقه [illegible] ذلك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل قال فان زعم زاعم أن ذلك ثواب [illegible] معقول كلام العرب [illegible] خطابها لانه لا يقال لمن أعطى الاجير أجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص فلان فلانا بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها

فاما

فام الآن ولا أرجى الوقت الابقاب شديد الاضطراب وجوانح لا تفيق من
والالتهاب وكيف لا وحال حالي من ودع صبر الجماد يوم وداعه وانقطع من الانس ساعة
انقطاعه وطوى الشوق جوانحه على غليل وحل أضلاعه على تكدر جليل وأعرانى
فلم منى ولزمته وأعدى وبين الوجد لهى واله فلا أسلك للعزاء سبيلا الا وجدته
مسدودا ولا أقصد للصبر بابا الا ألفيته موصودا ولا أعد اليوم بعد والى ساعدى الا شهرا
والشهر دون لقائه الا دهرا ولست بناس أيامنا التى هى تاريخ زمانى وعنوان الامانى اذ
ماء الاجتماع عذب وغصن الاردياد رطب وأعين الحواسد راقده وأسواق سروف
الدهر كاسده وما كانت الاعجة الطرف ووسنه الطرف ولمع البرق الخاطف نزورة
الخيال الطائف وما ذكرتك الايام فى أكناف فضائله وسمرتها برياض علومه فى من
وخصرتها الا أوجب على عينه أن تدمع وأثنى على كمده حشية أن ينصدع ثم لما ورد
على عبدكم مكتوبكم الكريم صحبة حضرة العم انجب القديم فكان كالماء للصب
السقيم كما يشهد لك سميع العليم ووقف له منتصبا وحفف عنه برؤيته وصبا
وذكر أيام الجمع بهام وجدا بها وصبا فاستقبله العجاب طربا وشاهد صدوره وقال هكذا
تكون الرياض وعاين لطفه فقال هكذا تكون الصبا وقبل كل حرف منه ووضعه على
الراس وحصل له بعد ترقبه عادة اخباره والاستئناس فعند ذلك أنشد قول بعض الناس

ورد الكتاب فكان عند وروده ٭ عيدا ولكن هيج الاشواقا
نوناته قد عانقت صاداته ٭ كعناق مشتاق يخاف فراقا
فكأنما النونات فيه أهله ٭ وكأنما صاداته أحداقا
فعسى الاله كما قضى بفراقنا ٭ يقضى لنا يوما بأن نتلاقى

فجعلته نصب عينى أتسلى به عند استيلاء الشوق على قلبى وأطفئ بتأمله نار وجدى اذا
التهبت فى صدرى وسررت به سرور من وجد ضالة عمره وأدرك جميع أمانيه من دهره
وأنست بتصفحه أنس الرياض بانهلال القطر والسارى بطلوع البدر والمسافر بتعريسة
الفجر وكيف لا وقد أصبح فى وجه الامانى خدا بل فى خدها وردا وصار حسنة من
حسنات دهرى لا تعدو مرور الايام موضعها من صدرى وطلعت طوالع السرور وكانت
آفله واهتزت غصون الفرح وكانت ذابله لا سيما ما تضمن من البشارة السارة بصحة
المولى وسلامته وحلوله فى منازل عزه وكرامته وموعده الكريم بعوده الى دمشق الشام
كساها ثوب الفخار مرة ثانيه ويتم افتخارها على غيرها ولا تزال مفاخرة مباهية سأل الله
تعالى أن يحقق ذلك وان يسلك بسيدى أحسن المسالك انه سبحانه وتعالى سامع
الاصوات ومجيب الدعوات فان عودكم يا سيدى والله مرة أخرى هو الحياة الثانيه
والامنية التى ترتجى النفس بلوغها قبل المنية وما أنا من الله بآيس من أن يتيح سببا يعيد
المزار قريبا والشمل مجتمعا وحبل البين منقطعا ثم ليعرض على مسامع سيدى المعزة
لا زالت من كل سوء سليمة أنا أوصلنا مكاتيبكم كما أمرتم لاربابها لاسيما مكتوب شيخ الاسلام
سيدى عبد الرحمن افندى المفتى بالشام ومكتوب المولى الاعظم والامام الافخم احمد افندى

...يره بغير جرم وان زعموا انه يتصل فلنا الهم فاذا جاز أن يصرف ... الله عز وجل ... الى ...
... ولا
تجوز ان يشرعه باسمائهم
وان لم يكن الاسماء
أعمالهم وان قالوا ليس من
العدل أن يشرفه بغير
أعمالهم لما لهم أراد
ان عارضكم معارض فرد
أنه ليس من العدل ان ...
... دون غيره ...
... كان ...
... كانت من غيره ...
... كون الفضل ...
... الشهر ...
وقد أخبر الله عن ... اصطفاء
من ... فقال ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على
العالمين ذرية بعضها من
بعض والله سميع عليم
والواجب على ذى اللب
... الرفيع
أن لا يجعل ذلك سلما الى
... عن الاعمال
المؤدية لسببه والاتكال
على آبائه فان شرف
الانساب يحض على شرف
الاعمال والشرف به ...
أولى ادراك الشرف
يدعو الى الشرف ولا يثبط
عنه كما ان الحسن يدعو
الى الحسن ويحرك عليه
وأكثر الممدوحين انما
مدحوا بانتسابهم ...
... وهذا ...

اشعار الناس منثور وكلامهم ... قد قال ... هاشم ... وامام ...

 ورجال مكة مستون عفاف فدحه بعمله ولم يذكر نسبه وان كان شريفا رفيعا

[illegible] أعزه الله تعالى فانه وقع عنده الموقع العظيم وحصل به السرور المقيم كما يدل على [illegible] الكريم المحفوف بالتعظيم والتكريم غير انه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله تعالى الذى يعم فى الميت والأم [illegible] الله تعالى فى عمر سيدى البركة وكان له فى السكون والحركة وهذا الذى أريد ذكر كتابكم فى أمر التعزية ويقرر ومثلكم من يستفاد مثله [illegible] والاستاذ أدرى بصروف الدهر وتقلبها وأحوال الزمان وتلونها وعرف بأن الدنيا دار [illegible] وان الحياة ثوب مستعار ونعيم الدنيا وبؤسها ما لواحد منهما قرار وأن لكل طالع أفولا ولكل ناضر ذبولا ووراء كل ضياء ظلاما ولكل عروة [illegible] فهو محل لا [illegible] قوى فى العزاء عزائمه ويصغر فى عينه نوائب الدهر [illegible] ويغنيه عن عظة تحداه مقالا وتحل عن عقله عقالا وهو بأنفى المصائب [illegible] وهمم صائب وصبر يقصر عنه الطود الاشم وعزم ينفلق دونه الحجر الاصم وحلم [illegible] اذا طاشت الاحلام وقدم تثبت اذا زلت الاقدام وسد المقال فى ضرب الامثال الى جنابكم الشريف نوع من [illegible] وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه المصيبة خاتمة ولا يريه بعدها الادولة فائقة ونعمة دائمة وأن يحرسه من غير الليل والنهار ويجعله وارث الاعمار بجاه نبينا محمد المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الاطهار بمنه وكرمه ثم انه [illegible] سيدى أطال الله عمره [illegible] صدره وشرح بالخير ذكره السلام التام المقرون بانفس [illegible] وأكرام من أهل البلدة جميعا الاسيما من مفتيها العمادى حرس الله ذاته التى هى منهل للصادى والعادى وأولاده الكرام المستحقين للاعزاز والاكرام ومن كبيرها ومدبرها ومشيرها أحمد افندى الشاهينى أعزه الله تعالى بعزه وجعله تحت كنفه وحرزه ومن حصينها مولانا الشيخ أحمد المهمندى ونقيب أشرافها مولانا السيد كمال الدين وجميع [illegible] الداعين لدولتكم الجليلة والمتمسكين بتراب تلكم الاعتاب ومن الولد والعم والله يا سيدى انه [illegible] الثناء والخاص وداع لذلك الجناب الكاسب للمفاخر والمحامد وحضرة شيخنا شيخ الاسلام وبركة الشام مولانا وسيدنا الشيخ عمر القارى أبقى الله تعالى وجوده [illegible] علينا احسانه وجوده وأولاده يسلمون عليكم السلام الوافر ويبثون اليكم الشوق المتكاثر فى ٢ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ المحب الداعى يحيى المحاسنى انتهى

وكتب الى عمه الفاضل الاسمى مصورته باسمه سبحانه وتعالى

وانى لمشتاق الى وجهك الذى ... بهالله أهدى السناء الى البدر

وأخلاقك الغر اللواتى كأنها * تساقط انداء الغمام على الزهر

سيدى الذى عبوديتى اليه مصروفة ودواعى محبتى لديه موفورة وعليه موقوفة علم الله سبحانه انى لا أزجى أوقاتى الا بذكراه ولا أرجى اليس من ساعاتى الاستنشاق نسيم رياه وانى الى طلعته أشوق من الصادى الى ماء صداء ومن كثير عزة الى نوء تيماء

يرنحنى اليك الشوق حتى :: أميل من اليمين الى الشمال

ويأخذنى لذكراك اهتزاز * كما نشط الاسير من العقال

ولى على صدق هذه الدعوى من نزاهة لبه شاهد معدل ومن نزاهة قلبه منزل غير ملوم

عمرو الذى [illegible] الثريد لقومه [illegible] [illegible] ان [illegible] نوا [illegible] اخوهم [illegible] [illegible] [illegible] تمام وفى [illegible] [illegible] الى [illegible] ولا [illegible] وارض [illegible] [illegible] أوثانا [illegible] على الاحساب [illegible] [illegible] أوثانا [illegible] فعلوا (الى [illegible]) ولما [illegible] الشرع [illegible] ربيعة [illegible] خزاعة [illegible] أياد [illegible] على أياد [illegible] لا [illegible] فى بعض المواضع [illegible] ذلك امر [illegible] شرطوا على [illegible] ان ردوا الحجر جعلوا [illegible] البيت [illegible] ذلك وولت خزاعة أمر البيت وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحى وابو لحى حارثة [illegible] عمرو [illegible] من ابراهيم وبدله وبعث العرب على عبادة التماثيل [illegible] ولا

ولا معدل كيف لا ومطالع البيان مشرقها من أفلاك فهومه وجواهر التبيان مقذفها من بحار علومه وهو بحر العلم الذى لا تقتحم بسفن الافكار رجل الحلم الذى رسخ بالهيبة والوقار

لو قسمت أخلاقه الغر لم تجد * معيبا ولا اخلاقه الناس عائبا

وماذا عسى أصف به مولانا وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف وحار فى بث فضائله أرباب المعارف والعوارف

فلو نظمت الثريا والشعريين قريضا
وكاهل الارض ضربا وشعب رضوى عروضا
وصغت للروض مدحا وللهواء نقيضا

ولكننى فول الثناء مختص أبى سلاك والسخى جوده بما ملك وان لم يكن غمرا فطل وان لم يصبها وابل فطل هذا وقد أوصلنا مكاتبكم الشريفة لاربابها فكانت لديهم أكرم قادم وأشرف منادم وقد تداولها الافاضل وشهدوا انها من بنات الافكار التى تنكشف عنها الغر سيدى حجب الاستتار وقد وجدنا كلامهم ملتهبا بجمرات الشوق مخبرا عن زائد الصبابة والتوق ليس لهم شغل الا ذكر أوصافكم الحميدة وبث ما أبديتموه من دروسكم المفيدة ومامنهم الا ويرجو بل الصدى ونقع الظما برؤية ذلك المحيا والتملى بتلك الطلعة العليا وان سأل سيدى عن أخبار دمشق المحروسة دامت ربوعها المأنوسة فهى ولله الحمد منتظمة الاحوال أمنها الله من الشرور وواهى الاهوال ولم يتجدد من الاخبار ما يعلم به ذلكم الجناب لا زال ملحوظا بعين عناية رب الارباب وأنا أسأل الله تعالى أن يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان وأن يحمى تلك الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

* وهذا دعاء للبرية شامل * العبد الداعى بجميع البواعث والدواعى تاج الدين المحاسنى عفا الله تعالى عنه انتهى وبالهامش ما صورته وكاتب الاحرف العبد الداعى محمد المحاسنى يقبل يدكم الشريفة ويخصكم بالسلام الوافر ويبث لديكم الشوق المتكاثر غير انه قد نازعته نفسه فى تلك المعاتبة لسيده الذى لم يسعد عبده بما يكتبه على انها مكتوبه بحكم عقد العبودية ولا تخرج رقبته من طوق الرقيه وانطلب أن يخصه سيده بدعواته المستطابة التى لا شك أنها مستجابة كما هو عليه فى سائر أوقاته وحسبان ساعاته ودمتم فى رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ انتهى * وكتب سيدى التاج المذكور لى ضمن رسالة من بعض الاصحاب ما صورته

يا فاضل العصر يا من * للشرق والغرب شرف
يا أوحد الناس طرا * فى كل ما ينصرف
يهدى اليك محب * دموعه تتذرف
شوقا ووداقديما * منكرا تعرف

ولنختم مخاطبات أهل دمشق لى بما كتبه لى أوحد الموالى الكرام السرى عين الاعيان صدر

فأعطوه منها صاحبه على الكعبة وتوليت خزاعة وهم الناس ظلم عمرو بن لحى وفى ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
... ...
وكان ... ...
... العماليق الذ ...
... لهم بها كان السوام
وفيما كتب عمرو بن لحى من نصب الاصنام حول الكعبة وحمل على العرب عبادتها واستقسام بعض منهم بالازلام قال فى ذلك ... من ولد الجرهمى
يا عمرو ... ...
... ...
أنصابا
وكان للبيت ... ...
أربابا
فقد جعلت ... ...
أربابا
لتعرفن بأن الله فى مهل
سيصطفى دون ... ...
حجابا
وبعد عمرو بن لحى فقد ... وهم ... ...
وكانت ولاية البيت فى خزاعة وفى مضر ثلاث خصال الاجازة بالناس من عرفة والافاضة ... الناس

فى ذلك حتى أدركه الاسلام فكانت العرب تمثل به فتقول أصح من عير أبى سيارة وفى أبى سيارة يقول قائلهم

أرباب البلاغة والبيان مولانا أحمد الشاهينى السابق الذكر فى هذا التأليف مرات ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسرات آمين ليكون مسك الختام اذ محاسنه ليس بها خفاء ولا فيها اكتتام ونص محل الحاجة منه هو الفياض

يا سيدا أحرز خصل العلا * بالباس والرأى الشديد السديد
ومن على أهل النهى قد علا * بطبعه السامى المجيد المجيد
ومن بزهر الزاهر منه حلى * قول نظيم كالفريد النضيد
ومن صدا فكرى منه جلا * نظم له القلب عميد حميد
ومن له من يوم قالوا بلى * فى مهجتى حب جديد مزيد
ومن غدا بين جميع الملا * بالعلم والحلم الوحيد الفريد
أفديك بالنفس مع الاهل لا * بالمال والمال عتيد عديد

أقسم بالله الذى عمت كلمته وعمت رحمته وسخرت القلوب والعقول رأفته ومحبته وجعل الارواح جنودا مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اننى أشوق الى تقبيل أقدامه شوق الظمآن للماء ومن السارى لطلعة ذكاء وليس تقبيل الاقدام بما يذهب عن المشوق الاوام وقد كانت الحال هذه وليس بينى وبينه حاجز الا الجدار اذ كان حفظه الله تعالى جار الدار فكيف الآن بالغرام وهو حفظه الله تعالى بمصر وأنا بالشام وليس غيبة مولانا الاستاذ عنا الاغيبة العافية عن الجسم المضنى بل غيبة الروح عن الجسد البالى فما مثلى الا كما قال بديع الزمن عيشة الحوت فى البر والثلج فى الحر وليس الشوق اليه بشوق وانما هو العظم الكسير والنزع العسير والسم يسرى ويسير وليس الصبر عنه بصبر وانما هو الصاب والمصاب والكمد فى يد القصاب والنفس رهينة الاوصاب والجفن الخائن وأين يصاب ولا أعرف كيف أصف شرف الوقت الذى ورد فيه كتاب شيخى بخطه مرينا بضبطه بلى قد كان شرف عطارد حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندى كل شارد وأما خطه فكما قال الصاحب ابن عباد أهذا خط قابوس أم جناح الطاوس أو كما قال أبو الطيب

من خطه فى كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

وأما قوله فما أبدع وأبرع وفى هذا الباب أنق وأجمع بل هو حظ أمان من الزمان والمعتصم من طوارق الحدثان والحرز الحريز والكلام الحر الابريز والجوهر النفيس العزيز وأما الكتاب نفسه فقد حسدنى عليه اخوانى واستبشر به أهلى وخلانى وكان تقبيلى لا ماليه أكثر من نظرى فيه شوقا الى تقبيل يد وشته ووحشته واعتدادا للثم أنامل جسته ومسته وأما البراعة فلاشك انها ينبوع البراعة حتى جرى من سحر البلاغة منها مجرى خاءا الكتاب كسحر العيون * بما راح يسبى عقول الورى وينساب باحراز حصل السبق من الثريا الى الثرى ولم أر كتابا قبل تكون محاسنه متداخلة مترادفة ولطائفه وبدائعه متضاعفة متراصفة وذلك لانه سرد من غرر درره الاحاسن وورد على يد رأس أحبابنا ماج بنى شماس

حتى دعا داعى أبى سياره
حتى أتى ضيح بحاره
مستقبل القبلة يدعو
جاره
وليس فالشهور الحرم
وكانت النسأة فى ذلك
الى كنانة وكان أولهم
القلمس حذيفة بن عبد
ثم ولده قولع بن حذيفة
وورد الاسلام وآخرهم
أبو ثمامة وذلك أن العرب
كانت اذا فرغت من الحج
وأرادت الصدر اجتمعت
اليه فيقوم فيهم فيقول
اللهم انى قد أحللت أحد
الصفرين الصفر الاول
وأنسأت الآخر للعام
المقبل وجاء الاسلام
وقد عادت الشهور الحرم
الى بدئها على ما كانت
عليه فى أصلها وذلك قول
النبى صلى الله عليه وسلم ألا
ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وما
ذكر عليه السلام فى هذا
الحديث الى آخره فخبر الله
عزوجل عنهم بذلك بقوله
تعالى انما النسئ زيادة
فى الكفر الآية وقد فخر
بذلك عمرو بن قيس
الفراسى فقال
ألسنا الناسئين الى معد
شهور الحل نجعلها حراما
وقد كان قصى بن كلاب ... مرة برزى ابنه ما بك وما بك هو آخر من ولى البيت من خزاعة

اولئك

أوائك قوم أحرزوا الحسن كله * فـمامنهم الا فتى فاق فى الحسن

وكما قلت فيهم أيضا

فبنو المحاسن بيننا * كبنى المنجم فى الحابه
فهم القرابة ان عده * ـت من الانام هوى القرابه
فيهـم محاسن جمة * منها الخطابه والكتابه

ثم لم يكتف سيدى وشيخى بما أنعم به وأحسن بكتبه من كتابه المزين بخطه المبين بصطه المسمى بين أهل الوفاء كتاب الاكتفاء والاصطفاء حتى أضاف اليه كتاب الشفاء فى بديع الاكتفاء كانه لم يرض طبعه الشريف المفرد المستغنى الآن تكون حسـ ـانه لدى أحبابه مثنى حتى كان مراده تضعيف هذا الاكرام والاحسان بعجز العبد عن أداء خدمة الحمد بحصر البيان وعقد اللسان اذ لست ذا لسانين حتى أؤدى شكر احسانين وغاية البليغ فى هذا المضمار الخطير أن يعترف بالقصور ويلتزم بالتقصير ومن فصول هذا الكتاب ما نصه ومن باب ادخال السرور على سيدى وشيخى وبركتى حبر المدرسة الداخلية التى تصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد الحكيم صدر الموالى ورونق الايام والليالى سيدى وسندى وعمادى ومعتمدى الفهامة شيخى أفندى المعروف بالعلامة حفظه الله ووقاه وأبقاه الذى صدق عليه وعلى قول الاول

ولى صديق ما مسنى عدم * مذ وقعت عينه على عدمى
أغنى وأقنى وما يكلفنى * تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمرى لما قعدت به * ونمت عن حاجتى ولم ينم

وقول الثانى

صديق لى له أدب * صداقة مثله نسب
رعى لى فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

ولعمرى انه كذلك قد تصدى لحاجتى فقضاها ولجنى فامضاها ولم يكن لى فى الروم سواه وسواها وما أصنع بالروم اذا تخلف عنى ما أروم أبى الله الا أن ينفعنى ذلك الحر الكريم بنهيه وأمره وأن يكون لسانى وبنانى مرتبطين بحمده وشكره وهذه حاجة فى نفسى قضيتها وأمنية رضيت بها وأرضيتها ولله الحمد ولست أحصى ولا استقصى ياسيدى ومولاى شوق أخيكم سيدى ومولاى المفتى العمادى حفظه الله تعالى واياكم وقد بلغ به شوقه وغرامه وتعطشه وهيامه وأوامه أن أترد لجناب مولانا كتابا يستجلب منه خبرا وجوابا اذ الشام كما رأيتم عبارة عن وجوده الشريف والسلام وكذلك أولاده الكرام تلامذتكم يقبلون الاقدام وأما محبكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الاسلام مولانا عمر القارى فقد بلغته سلام سيدى وكان جوابه الدعاء والثناء مع العزيمة على أن أبالغ لجنابكم الكريم فى تادية سلامه وتبليغ ما يتضمنه من المحبة الخالصة فصيح كلامه وأما الكريمان ولدكم محمد أفندى وأخوه سيدى أكمل الدين فهما لتقبيل أقدامكم من المستعدين وكذلك

وقد كان عمرو بن لحى حين عمر ما ذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف ٣٥٠ ونساخ رمليكا الوفاة وهو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ما ذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته زوج قصى بن كلاب فقال انها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها وفتح الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بابى غبشان الخزاعى ساعة ابوغبشان ... وزق خمر فارسلت العرب ذلك مثلا الاصفقات احسر من صفقة ابى غبشان فى بيعه ولاية البيت بزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصى بن كلاب وفى ذلك قول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى
وأظلم من بنى فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا فى شراه
ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال فى ذلك آخر

اذا افتخرت خزاعة فى قديم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا
بزق بئس مفتخر الفخور

وقدكانت ولاية البيت فى خزاعه ثلثمائة سنة واستقام أمر قصى وعشر على من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها فى النسب بمكة وبنو الابطح

لم أحص ماعليه من الدعاء والثناء لجنابكم الكريم العالى تلميذا لكم بل عبدا لكم ولدنا الشيخ يحيي ابن سيدى أبى الصفاء وولدنا الشيخ محمد ابن سيدى تاج الدين المحاسنيان وأما عبدا لكم وتلميذا لكم ولداى الشيخان الداعيان الاخوان الشيخ عبد السلام والقاضى نعمان فليس لهما وظيفة الا الدعاء والثناء فى كل صباح ومساء لان كلا منهما خليفتى والاشتغال بالدعاء لسيدى وظيفتى ولا يقنعان بتقبيل اليدين الكريمتين ولابد من تقبيل القدمين المباركتين وبعد فلا ينقضى عجبى من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب أخيكم المفتى العمادى حفظكم الله تعالى واياه ولا كان من يشنأك ويشناه وعجبه أعظم وأكبر اذ وحفظه الله بفهم كلام سيدى أحق وأجدر فلا عدمنا تلك الانفاس الملكية الفلكية من كل ما يكدرها هى والله البغية والامنية كما قلت

ليس فخرى ولا اعتدادى بدهر ＊ غير دهر أراه كما من بنيه

اللهم اختم هذا الكلام للقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ＊ ومن فصول هذا الكتاب ما صورته أطال الله يا سيدى بقاءك ولا كان من يكره لقاءك ورعاك بعين عنايته ووقاك وأدامك وأبقاك وضمن لك أجزاء الصبر وعوضك عن مصابك الخير والاجر ولقد كنت عزمت على أن أجعل فى مصاب سيدى بامه متعه الله تعالى بعمره وعلمه ودفع عنه سورة همه وغمه قصيدة تكون مرثية تتضمن تعزية وتسلية فنظرت فى مرثية أبى الطيب المتنبى لامه واكتفيت بنظمها ونثرها وعقدها وحلها وانتخبت قوله منها

لك الله من مفجوعة بحبيبها ＊ قتيلة شوق غير ملحقها وصما
ولو لم تكونى بنت أكرم والد ＊ لكان أباك الضخم كونك لى أما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها ＊ لقد ولدت منى لانفهم رغما

فقلت هذه حالة مولانا الراغم لانوف الاعدا المجدد للاسلام مجدا ونجدا القائل بشوقه لا حظا ولا جدا ثم لما رأيت قوله فى مرثية أخت سيف الدولة

ان يكن صبر ذى الرزية فضلا ＊ تكن الافضل الاعز الاجلا
انت يا فوق أن تعزى عن الاحباب فوق الذى يعزيك عقلا
وبالفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذى له قلت قبلا
قد بلوت الخطوب حلوا ومرا ＊ وسلكت الايام حزنا وسهلا
وقتلت الزمان علما فما يغرب قولا وما يجدد فعلا

قلت هذه والله حلى مولانا الاستاذ الذى عرف للزمان فعله وفهم قوله قد استعارها أبو الطيب وحلى بها مخدومه سيف الدولة وكيف استطيع ارشاد شيخى لطريق الصبر وأذكره بالثواب والاجر وكيف وأنا الذى استقيت من ديمه واهتديت الى سبيل المعروف بشيمه وسلكت جادة البراعة بهداية ألفاظه وارتقيت الى سماء البلاغة برعاية ألحاظه وهل يكون التلميذ معلما وهل يرشد الفرخ قشعما وكيف يعضد الشبل الاسد وهو ضعيف المنة والمدد ومن يعلم الثغر الابتسام والصدر الالتزام ويختبر الحسام وهو

من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهرى ظاهرا وقريش البطاح هى قبائل بنى عبد مناف وبنى عبد الدار وبنى عبد العزى ابنى قصى وزهرة ومخزوم وتيم بن مرة وجمح وسهم وعدى وهم لعقة الدم وبنو عتيك بن عامر بن لؤى وقريش الظواهر بنو محارب والحرث بن فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤى وفى ذلك يقول ذكوان مولى عبد الدار للضحاك ابن قيس الفهرى

تطاولت للضحاك حتى رددته
الى نسب فى قومه متقاصر
فلو شاهدتنى من قريش عصابة
قريش بطاح لا قريش الظواهر
ولكنهم غابوا وأصبحت شاهدا
فبعدت من حامى ذمار وناصر

فريقان منهم ساكن بطن يثرب ومنهم فريق ساكن بالمشاعر والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصى وسهم وجمح وعدى ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لؤى وفى ذلك يقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى امرأة

مجرب

مجرب صمصام وهل تفتقر الشمس فى الهداية الى مصباح وهل يحتاج البدر فى سراه الى دلالة الصباح ذلك مثل شيخى ومثل من يرشده الى فلاح أو نجاح وانما أخذ عنه ماورد فى ذلك من الكتاب والسنه ونحذو حذوه فى الطريق الموصلة الى الجنة ثم لما وصلت فى هذه القصيدة الى قول أبى الطيب

ان خير الدموع عينا الدمع * بعثته رعاية فاستهلا

رأيته قد أبدع فيه كل الابداع ونظم ما يكاد يجرى الدمع من طريق السماع فقلت انا لله وأكثرت الاسترجاع وقلت فى نفسى ان ذلك الدمع الذى بعثته رعاية الحقوق هو دمع شيخى الذى حمى الله قلبه الشفوق من العقوق للمصيبة فى الام التى حزنها يعم ومصابها يعم وكيف لا يعم مصابها وقد كل للمصيبة كفاها الله عو تها انصابها هذا مع الفقد للسليلة الجليلة والكريمة الخليلة وأى دمع لم تبعثه تلك الرعاية وأى نفس لا تتمنى أن تكون لسيدنا من كل ما يكره وقاية وأى كبد قاسية لم تكن لاحبابها مواسية وأنى يتسنى للعبد المعنى تسلية شيخه وهو الصبور الشكور العارف بالامور العالم بتصاريف الدهور وما ظننت أن بيانى يساعدنى على تحرير بيانى لتعزية شيخى حفظه الله تعالى فى أصله وفرعه وضرعه وزرعه وقرعه ونبته وأمه وبنته أما الوالدة الماجدة فانى ان أمسكت عن بيان كرم أصلها سموها كرم فرعها ونسلها فرحم الله تعالى سلفها وأبقى خلفها ولا حرم سيدى ثمرة رضاها ورضى عنها وأرضاها وأما المخدرة الصغيرة فالمصيبة بها كبيرة اذا العمومة منزية والخؤلة وفائية فهى ذات النجار ين وجائزة الفخار ين كأن سيدى أعزه الله تعالى لم يرض لها كفؤا ومهرا فاختار القبر أن يكون له صهرا وخطبة الحمام لا يمكن ردها وسطوة الايام لا يستطاع صدها كما قال أبو الطيب المتنبى أيضا

خطبة للحمام ليس لها رد وان كانت المسماة ثكلا

واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر أرادت الموت بعلا

أسال الله تعالى أن تكون هذه الخطبة قافية الخطوب وهذا الندب المبرح آخر المندوب وأن يعوض سيدى عن حبيبه المبرقع المقنع حبيبا معمما تحرى النجابة منه المصنع وأن يبدله عن ذات الخمار والخضاب بمن يصول بالحراب ويسطو بالبراع ويشتغل بالكتاب

شعر

وما التانيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال

اللهم يا أرحم الراحمين انى أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين أن تأخذ بيد عبدك شيخى المقرى فى كل وقت وحين آمين * ومن فصول هذا الكتاب ما صورته ولما وصلنى سيدى بهديته التى أحسن بها من كتاب الاكتفاء داخل طبعى الصفاء ونشطت الى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم أر مثله وهو أن يكون اللفظ المكتفى به بمعنى اللفظ المكتفى منه فان الاكتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء كما أفاده شيخى فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حد سواء اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لاغنى عنه لفظ الاكتفاء

ولها فى المطيبين جدود * ثم نالت ذوائب الاحلاف ٥٥٥ انها بين عامر بن لؤى * حين ندعى و بين عبد مناف

وأخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتقرشت والتقريش التجمع ومنه قول ابن حلزة اليشكرى

اخوة قرشوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرنا وقديم

ورحلت قريش حين أخذلها الايلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق وفى ذلك يقول مطرف الخزاعى

ياأيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاقها * والراحلين برحلة الايلاف

ولقريش أخبار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معد قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعانيه بها على ما سلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

* (ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وحنين النفوس للاوطان) *

(ذكر) ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر

اما أناس عرب وندفع الله عنا البلاد وسريد أن نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لى المدن وأهويتها وما كنها وما تؤثره التربة والاهوية فى سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد قسم الارض قساما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهى فى التشريق هو موضع الاحتراق وحرارته وحدته واحراقه لمن دخل فيه وما تناهى مغربا أيضا أضر سكانه لموازاته ما أوغل فى التشريق وهكذا ما تناهى فى الشمال أضر ببرده وقره وثلوجه وآفاته الاجسام فاورثها الآلام وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بحرارته ما اتصل به من الحيوان ولذلك صار المسكون من الارض جزأ يسيرا بسبب الاعتدال واحذ بحظه من حسن التسمية وسأصف لك يا امير المؤمنين القطع المسكونة من الارض (اما الشام) فسحب وآكام وريح وغمام وشدق ركام ترطب الاجسام وتبلد الاحلام وتصفى الالوان لا سيما ارض حمص فانها تحسن الجسم وتصفى اللون وتبلد الفهم وتنزح غوره وتجفى الطبع وتذهب بماء القريحة وتنقص العقول والشام يا امير المؤمنين وان كانت على ما وصفت لك فهى مسرح خصب وحرور

مع تسمية النوع فيهما وهما

ان احتفال المرء بالمرء لا * أحبه الا مع الاكتفا

مبالغات الناس مذمومة * فاسلك سبيل القصد فى الاحتفا

ولقد انقطع الثلج أيام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدى حفظه الله تعالى عن دمشق فقد كرت شغف شيخى به فزاد على فقده غرامى وفاض عليه تعطشى وأوامى فجعلت فى ذلك عدة مقاطيع وأحببت عرضها على سيدى أولها

ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات * أنت عندى من أعظم الحسنات

ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض بدا بوجه الحياة

ثانيها

قد قلت لما ضل عنى رشدى * وما رأت الثلج يوما عندى

لا تقطع اللهم عن ذا العبد * أعظم أسباب الثنا والحمد

ثالثها

ثلج يا ثلج أنت ماء الحياة * ضل من قال ضرذا الكهانى

ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض قد لاح فى المرآة

قد رأى الناس وجههم فى المرايا * وأنا فيك شمت وجه حياتى

وما عللت سيدى هذا التعليل الا لاشوقه الى نسيم دمشق الذى خلفه سيدى حفظه الله عليلا وهو على الصحة غير عليل ولم يشف أعزه الله تعالى منه الغليل ولسيدى الدعاء بطول البقاء والارتقاء وهذه أبيات أحدثها العبد فى وصف القهوة طالبا من سيده أن يغفر خطأه فيها وسهوه

وقهوة كالعنبر السحيق * سوداء مثل مقلة المعشوق

أتت كمسك فائح فتيق * شبهتها فى الطعم بالرحيق

تدنى الصديق من هوى الصديق * وتربط الود مع الرفيق

ولا عدمت مزجها بريق

وما زالت ألهج بما أفادنيه شيخى من أماليه وأتصفح الدهر الذى جمعته فيه من أسافله الى أعاليه وأبثث كل على الاحباب والاصحاب فى اثناء المسامرة ما أفادنيه سيدى من تسمية المرحوم القاضى التنوخى كتابه نشوار المحاضرة حتى ظفرت بأصلها فى القاموس فى مادة نشر فاذا هى عربية محضة فانه قال ونشورت الدابة نشوارا أبقت من علفها ولقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسهولتها وأحببت عرضها على شيخى حفظه الله تعالى ليفرح لى بين تلامذته كما فرح طبنى به حفظه الله تعالى بين أساتذته وليعلم أنى لم أنس ما أفادنيه فى خلال المحاورة أيام المؤانسة والمجاورة فوالله انه سمرى فى ضميرى وكلمى ما بين عظمى وأدمى

يدير ونى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

الطرس طما وما منت قصتنا * لا ذنب لنا حديثنا لذ فطال

وحرر يوم السبت المبارك غرة جمادى الآخرة من شهور سنة ثمان وثلاثين بعد الالف أحسن الله ختامها بحرمة محمد وآله الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وحده عبده الفقير الحقير المشتاق المذنب المقصر لسيده عن اللحاق الذى لم يبرح عن العهد المتين أحمد الشامى بن شاهين انتهى ولو تتبعت ماله حفظه الله تعالى من النظم والنثر اللذين غلب فيهما بلغاء أهل العصر بالشام ومصر وغيرهما من الاقطار لازال مقامه مقضى الاوطار لاستوعبت الاسفار * وفى الاشارات ما يغنى عن الكلام وقد تقدم فى خطبة هذا التاليف ذكر شئ من نظمه ونثره وأنه هو السبب الداعى الى جمع هذا التصنيف والله سبحانه يديم جنابه السرى الشريف ويبوئه من العز الظل الوريف فلقد أوفى من الحقوق ما لا تؤدى بعضه فضلا عن كله وناهيك بما جاءنا من كلامه دليلا على شرفه وفضله ورسالته هذه التى كانت جوابا عن مكتوب كتبته اليه من جملته

يا من له طائر صيت علا * فى الجو فاصطاد الشريد الشديد
يا نجل شاهين البديع الحلى * نمل بالعز الطويل المديد
وفز بخصل السبق بين الملا * وسر بمنهج للمعالى سديد
وردم الاحباب عدبا حلا * سظما سن الامانى السديد
وارفل على طول المدى فى ملا * مسرة راقت وعمر جديد
والوالد المحروس بالله لا * بعدت الخلق ولا بالعديد

ومن نثرها سيدى الذى فى الاجياد من عوارفه أطواق وفى البلاد من معارفه ما شهدت به الفطر السليمة والاذواق وتشتد الى مجده المطنب الذى لا تحط له رواق الاشواق وتعمر بفوائده وفرائده من الآداب الاسواق وتنقطع دون نداه السحب السواكب وتقصر عن مداه فى السمو الكواكب والله سبحانه لهواق المولى الذى ألقت اليه البلاغة أفلاذها واتخذت البراعة طاعته عصمتها وملاذها ابدأ أفرادها وأفذاذها وأمطرت سماء أفكاره على كل محب أو كاره طائر فى جو أو مستقر فى أوكاره صيبها ورذاذها وفاخرت دمشق بعلاه وحلاه أقطار البسيطة وبغدادها * ومنها أبقاه الله تعالى وحقيقة وعوده ينعشها النجاز وحقيقة سعوده لا تطرقها المجاز * ومنها فانت الذى نفست عن غمنا وأصفيت مشربى وكان مرنقا وكاثرت بعابه آثرت وما استأثرت رمل النقا فلو رآك المأمون ابن الرشيد لعلم أنك المتمنى ببيتى الغناء الذى غنى به والنشيد

وانى لمشتاق الى قرب صاحب * يروق ويصفو ان كدرت لديه
عذيرى من الانسان لا ان جفوته * صفالى ولا ان كنت طوع يديه

ولم يقل أعطنى هذا الصديق وخذ منى الخلافه وأنا أقول قد ظفرنا به بحمد الله ولم أجد أحدا فى دهره وافق الغرض فلم ير خلافه * ومنها هذه يا ابن شاهين أياديك البيض تفرح لك الشكر وتبيض فلا دليل على ولائى كاملائى ولا شاهد لما فى أحنائى كثنائى ولا حجة على ودادى كتكرارى ذكرك وترددى * وهى طويلة لا يحضرنى الآن منها سوى

ووابل سكب كثرت اشجاره واطردت انهاره وعمرت اعشاره وبه منازل الانبياء ٥٥٧ والقدس الذى وفيه جل اشراف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجباله مساكن المتهجدين والمتفردين (وأما أرض مصر) فأرض قورا ونوراء ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة تحمد فضل نيلها ودنياها أكثر من حمدها هواؤها راكد وحرها زائد وشرها وارد تكدر الالوان وتجلب الفطس وتكثر الاحن وهى معدن الذهب والجوهر والزمرد والاموال ومغارس الغلات غير انها تسمن الابدان وتسود الابشار وتنمو بها الاعمار وفى اهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها (وأما اليمن) فيضعف الاجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة فى اهلها هم كبار ولهم احساب واخطار ومعايشهم حسنة واطرافهم جدبة وفى هوائها علاب وفى سكانه اختيال وبهم قطعة من الحسن وشعبة من المروءة وتقرزهم من الفصاحة (وأما الحجاز) فحاجز بين الشام واليمن والهائم هواؤه مزدر وليله مشهور تخف الاجسام وتجف الادمغة وتشجع القلوب وتبسط الهمم وتبعث على الاحن وهو بلد محل قحط جدب ضنك (وأما المغرب) فقسى القلب

مباركة به والمقتصر من مكاتبات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا المقدار فنسأل الله تعالى أن يجمعهم جميعا في الإيراد والإصدار * وفي تاريخ ورود هذه المكاتيب الشامية السابق ذكرها على إثر ورود كتب من المغرب وجهها جماعة من أعيانه إلى فمن ذلك كتاب كتبه لي الاستاذ الاوحد الاديب الفهامة معلم الملوك سيدي الشيخ محمد بن يوسف المراكشي التاملي نصه الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى من أخلص الإخلاص المشتاق إلى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق وطلعت شموس معارفه في غاية الإشراق وجازت له في ميدان الكمال حسن الاستباق الصدر الكامل والعالم العامل الفقيه سيدي المفتي الفقهاء بعلمه المليح الذي يهدي الملغز ببراعته وقلمه ناشر ألوية المعارف ومبدي أنواع العوارف العلامة إمام العصر بجميع أدوات الحصر سيدي أحمد بن محمد المقري قدس الله السلف كما بارك في الخلف سلام من النسيم أرق وألطف من الزهر الأعبق وبعد فإن أخباركم دائما ترد علينا ويصل إلينا بما يسر الخاطر ويقر الناظر مع كل وارد وصادر والعبد يحمد الله تعالى على ذلك ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك ويرحم الله عبدا قال آمينا * كتبته إليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية مع كثرة أشواق لا تسعها أوراق كتبكم الله سبحانه فيمن عنده كما جعلكم ممن أخلص في موالاة الحق قصده وودي إليكم غض الحدائق مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق لا يحيله عن مركز الثبوت عائق وحقيق بمودة ارتبطت في الحق ولله في معاقدها وأسست على المحبة في الله قواعدها أن يزيد عقدها على مر الأيام شدة وعهدها وإن شط المزار جدة وإن تذخر للأخرى عدة وإني ويعلم الله تعالى لمن يعتقد محبتكم وموالاتكم من الأفاضل المحبين من الله تعالى وبراف اليه ويعتمدهما وزرا يعول في الآخرة يوم لا ظل إلا ظله بنيتكم والنية فأخلصتم في الولا وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق الصحبة على الولا معرضين في الكم الآخرة عن عرض الدنيا وعرضها موفين بشروط نقلها ومفترضها إلى أن قضى الله تعالى بافتراقنا وحفوفكم المتأكدة دين علينا والأيام تطل بقضائها عنا وتوجه الملام اليه فلا تونة أقف فأقرع السن على التقصير ندما وآونة أستنيم إلى فضلكم فأقدم قدما وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق إلا وقد كر عليه منكم آخر له لاحق حتى وقفت موقف العجز وضاقت على العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس وكذلك لا آل كلم الإبابر احلالا لكم الرفيع واشفاقا من التقصير المطيع وقد كنت كتبت أعزكم الله على إليكم بل هذا الكتاب أربعة أو خمسة فما ادري هل وصلت كالقصائد لا كالفريد من الكلام ذكالامكم السلس المكثر الفوائد بعد أن كان أحرس من سمكة وأشد تحجبا من طائر في شبكة فلا أعرف أوصل شيء من ذلك أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك وما رأيت غير رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لي الشيخ الإمام المقري يسأل عنك وقد أرسل معي كتابا إليك فوقع في التحريع جملة ما وقع فقلت له لا عراية في ذلك قد رجع إلى أهله ومن طلبة التجار سيخرج الدرر وقد جاءني كتاب من بعض الأخلاء الصديس وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى وذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى

ر حشرا ع ويبش البـ وهو ... دارهم شائلة وهمهمه ... ومدارهم في آمرال ... لارض قلب اليه ... الآن ... واطوع ...

بمناسبة الهواء وكأنما من محاسن الله في مهانه وسوء بصيرتاته والأخلاق والصور بأمير المؤمنين

بلقائكم وأخبرني بسؤالكم عن كثير والى الآن يا نعم السيد اعاء رفته عنا ندبته لسيادتكم تعريف تذكر لا تعريف منه فانصفوا في الحكم عليكم في عدم الجواب عما ألقته الادباء شريعة وسنة وبالجملة ففؤادي لجدكم صحيح لا سقيم واعتدادي بودكم متين غير عقيم والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم وبه سؤال منظوم لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المعري الحبر صدر الأئمة * من المخلص الوداد أزكى تحية
فدلك يا صدر الصدور بحاله * لتسمع بالجواب عما أكتب
فتى قد رأى عند العذالى فتية * محرمة عند الزوال خالب
وعادت حراما عند عصر فعندما * عشاء أتى عادت حلالا تلت
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرما * وزالت زوالا منه من غير ريبة
وفي ظهره حلت فطابت قريرة * وفي عصره محرما قد تبدت
وعند العشاء بالضرورة حلت * وذلك بعد غرم مال كفدية
وفي صبحه عادت حراما ترى به * بروق سيوف لامعات بسنة
وكان يضيق حسرة وتأسفا * وحلت له وقت العشاء وتمت
وعن أمة أيضا بموت سريها * قد اولدها في ملكه بعد وطأة
وعادت لمملوك السري حليلة * بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فجاءت ببنت هل لهامن تزوج * بنجل السري بنوا الى فدتى
فان السيوري مانع من تزوج * له بابنة منها بتلك القضية
وما الفرق بينها وبين التي أتى * بها ابن أبي زيد باوضح حجة
وعن مشتر مملوكة غير محرم * ومسلمة شرا صحيحا بشرعة
وليس بملكه لها وطؤها يرى * جوازا على التأبيد من حين حلت
وما طالق من عدة خرجت ولا * يجوز على التأبيد في خدمة له
نكاح لها من واحد ومطلق * له غير معتد وم ترى في الشريعة
وتمت بحمد الله مبديه لكم * سلاما كما أبدته في صدر طالعة

وتقرير السؤال الثاني أمة أولدها سيدها فصارت حرة فاتت عنها السيد ثم تزوجها عبد سيدها فاتت ببنت أما الولد سيدها أن يتزوج هذه البنت فان الرجل له أن يتزوج بنت زوجة أبيه من رجل غيره وهذه سرية أبيه فان الامام السيوري يمنع هذه المسئلة وما الفرق بينهما وتصلكم ان شاء الله تعالى عجالة رجزية في مآثركم السنية ضمنتها أشطارا من الالفية فتفضلوا بالاغضاء وحسن الدعاء أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن المشرفة ثم المأمول من سيدنا ومولانا أن يتفضل علينا بكتاب طبقات القراء للامام الحافظ الداني اذ ليس عندنا منه نسخة وأما تاليفكم الكثير الفوائد المسمى بازهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فقد انتشر في هذه الانظار المراكشية وانتسخت منه

تناسب البلد ومحاذيه وتقارنه وتوازيه وتوافقه وتشابهه ومن المـ... ـل هواؤ ومـا
ئه ولطف غذاؤه كانت
صوراهـ... وحلا ...
تناسب البلد وتحاسيه
وتشا كل ماتنا... تركيبه
وما أسس عليه بنيانه وكل
بلد يزول عن الاعتدال
انتسب أهله الى ...
الحال ...
... الـ... م و...
الاجسام ولطف الالام
ولا ذهانها نحول وهم ...
ر... م ... وص و ...
وراته تقدر (وأما البلد
فرس) خصب الهواء
رحب أهوا ...
... بالاخبار ...
الثمار وفي ...
... و... ارهـ...
وهمهم ...
... ـداع (وأما ...
حوز ... ـتان) ...
الاهواء ...
وبلد الافهام و...
الهمم و... تأصل ...
ساق أهله ... الا... م
وهم ... الصمام (وأما
أرض الجزيرة) ...
... الهواء الا...
حصب وسرح ولاهـ...
بأس ... والبر ...
الموسى أفضل قطع الارض
وأسناها وأشهرها أعلاها
... والاعتدال ...
الهواء الاعتدال ...
ودعه الآفات غير قطاته وسماحة المثوى وهذب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار وذهاب الاصرار وأعلم الماء المزن ...

نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدي أحمد بن عبد العزيز ابن الولي سيدي أبي عمرو وكسا الله سبحانه تاليفكم المذكور جلباب القبول فما رآه أحد الا نسخه وعندي النسخة التي كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن وعلى هامشها في بعض الاماكن خطكم الرائق وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق وأعلمونا بتاليفكم الذي سميتموه قطف المهتصر من أفنان المختصر هل خرج من المبيضة أم لا وودنا لو اتصلنا منه بنسخة وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه قاضي القضاة محبكم سيدي عيسى وغيره من أخلاء خليل في كل محفل جليل الى أن قال وأنا أتمثل بكلام مولانا علي كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به

رضيت بما قسم الله لي * وفوضت أمري الى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي

ولي حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين وذلك أنه نزلت بي شدة لا يمكن الخلاص منها عادة فادرجت من تحت سهم الاوجاه الفرج في الحين ونصه

اذا أزمة نزلت قبلي * وضقت وضاقت بها حيلي
تذكرت بيت الامام علي * رضيت بما قسم الله لي
وفوضت أمري الى خالقي
لان الاله اللطيف قضى * على خلقه حكمه المرتضى
فسلم وقل قول من فوضا * كما أحسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقي

فعذرا أعزكم الله سبحانه ونفع بأمثالكم عن انتياب المراسلة بالمكاتبة عذرا وصبرا على بعد اللقاء صبرا فان يقدر في هذه الدار فذلك منتهى ما أتمنى والا فلن نعدم بفضل الله جزاء الحسنى ولقاء لا يبيد ولا يفنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ايقانا بالوعد وتحقيقا فمن أوجب له محبته أدخله جنته واحضره مادبته وكل له أمنيته جعلنا الله من المتحابين في جلاله بكرمه وافضاله وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بودكم المشرف لعهدكم المنوه بقدركم ومجدكم العبد الفقير الحقير المشفق على نفسه من التقصير والذنب الكبير محمد بن يوسف التاملي غفر الله ذنبه وستر عيبه وجبر قلبه وجمعه بمن أحبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمانية وثلاثين وألف انتهى وبجنبة هذا المكتوب ورقة نصها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لله در العالم الجياني * كأنما ينظر بالعيان
لأن يرى العالم المفضال * منتظرا بأحسن المثال
وعالم بأنني من بعده * أشير في نظامنا لقصده
وها أنا بالله أستعين * مصمنا وربنا المعين
بالشطر من ألفية ابن مالك * أيدنا الله انسج ذلك
قال محمد عبيد المالك * وسالك الاحسن من مسالك

أن الله تبارك وتعالى قسم الارض أقساما فضل بعضها على بعض فافضل أقسامها العراق فهو سيد الارض فاق وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال (وأما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بي الى وصفها لانك لا شاهدتها ولا شاسعة وبلاد ان ماتية كافرة طاغية وفي الذي ذكرته لك ما أشوق بك الى ما شمرت الى علمه وكل ما وصفته في هذه البلدان فهو الاعم من امور اهلها والاغلب على احوالهم فان وجد فيهم أحد بخلاف ذلك فهو نادر يا أمير المؤمنين والحكم للاغلب (قال المسعودي) وذكر جماعة من اهل العلم بالسير والاخبار ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما اراد النهوض الى العراق حين بلغه ما عليه الاعاجم من التجمع ببلادهم سأل كعب الاحبار عن العراق فقال يا أمير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شيء بشيء فقال العقل انا لاحق بالعراق فقال العلم وانا معك فقال المال وانا لاحق بالشام فقالت الفتن وانا معك فقال الخصب وانا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك فقال الفقر وانا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وانا معك فقال الشقاء وانا لاحق بالبوادي فقالت الصحة وانا معك

نشير بالتضمين للتحرير * المقرى الفاضل الشهير
ذاك الامام ذو العلا والهمم * كعلم الاشخاص لفظا وهو عم
فلن ترى في علمه مثيلا * مستوجبا ثنائي الجميلا
ومدحه عندى لازم أبى * في النظم والنثر الصحيح مثبتا
أوصاف سيدى بهذا الرجز * تقرب الاقصى بلفظ موجز
فهو الذى له المعالي تعترى * وتبسط البذل بوعد منجز
رتبته فوق العلا نامت بهم * كلامها العظمة قد كاسبهم
وكم أفاد دهره من تحف * مبدى تأول بلا تكلف
لعدوه على المقام الطاهر * كطاهر القلب جميل الظاهر
وفضله للطالبين وجدا * على الذى في رفعه قد عهدا
قد حصل العلم وحرر السير * وما بالا أو باعنا انحصر
في كل فن ماهر منه ولا * يكون الاعانة الذى الا
سيرته جرت على نهج الهدى * وذا يلى الاختيار أبدا
وعلمه وفضله لا ينكر * عما به عنه مبينا يخبر
يقول داعيا بصدر انشرح * اعرف بها فانما تملا المنح
يقول مرحبا لقاصديه من * يصل اليها يستعن بها نعن
صدق مقالاتي وكن متبعا * ولم يكن تصريفه ممتنعا
وانهض اليه فهو بالمشاهده * الخبر الجزء المتم الفائده
والزم جنابه واياك الملل * ان يستطل وصل وان لم يستطل
واقصد جنابه ترى مآثره * والله يقضى بهبات وافره
وانسب له فانه ابن معطى * ويقتضى رضا بغير سخط
واجعله نصب العين والقلب ولا * تعدل به فهو يضاهي المثلا
قد خط ما افاد علم مالك * أحمد ربى الله خير مالك
وحاسد له ومبغض رمى * وها لك وميت به قمن
وليس يشفى مبغضه أحد * عماوني مثل هراوة جعل
يقول عبد ربه محمد * في نحو خير القول انى أحمد
وهو بدهره عظيم الامل * مروع القلب قليل الحيل
فادع له وساده قد حضرا * وافعل أوافق تغتبط اذ تشكرا
واجبره بالدعا عساه يغتنم * جبره وعم عينه العدم
انشدت فيكم داوقال قائل * في نحوهم ما يقول الفاضل
أدعو لكم بالنصر في كل زمن * لكونه بمضمر الرفع اقترن
مآثر لكم كثيرة سوى * ما مر فاقبل منه ما عدل روى
قد انتهى تعريف ذا المعرف * ودو عام ما رفع يكتفي

مسافتنا عنه وولدت في قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عظيما وكانت عنايتهم اليه مصروفة وكانوا يشتون العراق وأكثرهم يصيفون بالجبال وينتقلون في الفصول الى الصرود من الارض والجروم وقد كان أهل المروآت في الاسلام كابي دلف القاسم بن علي العجلي وغيره يشتون في الجروم وهو العراق ويصيفون في الصرود وهي الجبال وفي ذلك يقول أبو دلف
وأني امرؤ كسروي الفعال * أصيف الجبال وأشتو العراقا

ولما خص به هذا الاقليم من كثرة انهاره واعتدال أرضه وغضارة عيشه ومادة الوافدين اليه وهي دجلة والفرات وعموم الامن فيه وبعده عن الثغور وتوسطه الاقاليم السبعة كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان ارضه من اقليم بابل الذي تشعبت آراء أهله بحكمة الامور كما يقع ذلك عن القلب وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة

لا زم تاج الائمة الاول * وما يجمعه عنيت فيه كل
فالله يبقيكم لدنيا وكفى * مصليا على الرسول المصطفى
ترى عليه دائما منعما * وآله المستكملين الشرفا انتهى

ومن ذلك ما كتبه لي بعض الاصحاب ممن كان يقرأ علي بالمغرب وصورته سيدنا وسيد أهل الاسلام حامل راية علوم الامة الاحمدية على صاحبها الصلاة والسلام آية الله في المعاني والمعالي وحسنة الايام والليالي وواسطة عقود الجواهر واللآلي امام مذهب مالك والاشعري والبخاري والواقدي والخليل العلامة القدوة السيد الكبير الشهير الجليل ذو الاخلاق العذبة المذاق والشمائل المنتجة من طيب الاصول والاعراق كبير زمانه دون منازع وعالم أوانه من غير مزاحم ولا مدافع شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ ابو العباس أحمد بن محمد المقري المغربي التلمساني نزيل فاس ثم الديار المصرية حفظه الله تعالى في مواطن استقراره ورفع درجة اشاده فخاره على مناره عن شوق يود له الكاتب أن لو كان في طي كتابه وتوق الى مشاهدتكم هو الغاية في بابه بعد اهداء السلام المحفوف بانواع التحيات والكرامات والبركات الدائم ما دامت في الوجود السكنات والحركات لمقامكم الاكبر ومحلكم الاشهر ومن تعلق باذيالكم أو كان مستمطر النوالكم أو صبت عليه شآبيب احسانكم من أهل وصحب وصاحب وخديم هذا وانه ينهي الى الوداد القديم أن اهل الغرب الادنى والاقصى حاضرة وبادية كلهم يتفكهون بل يموتون بذكركم ويشتاقون لرؤية وجهكم ويتأسفون عن طيب اخباركم وان كان المغرب الآن في تفاقم احوال وتراكم اهوال في الغاية مدائن وبوادي لاسيما مدينة فاس فهي في شر عظيم واميرها مولاي عبد الملك مات في السنة السابعة والثلاثين بل في ذي الحجة قبلها وفي المحرم من سنة سبع وثلاثين توفي ملك المغرب السلطان ابو المعالي زيدان وبويع من بعده ابنه مولاي عبد الملك وتقاتل مع اخويه الامين الوليد واحمد وهزمهما والى الله عاقبة الامور واهل داركم بفاس بخير وعافية ونعم وافيه سوى ما أدركهم من طول الغيبة نسأل الله تعالى أن يعجل قدومكم الغيبة ومحبكم الاكبر ووليكم الاصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربي في سلوك أهل الحقيقة العارف بالله الشيخ الرباني ذو الكرامات والمقامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي يحييكم ويعظم قدركم ولسانه لكم ذاكر شاكر وهو على خير وقد اجتمعت من بركتكم في مدينة الدلاء على جماعة من طلاب العلم وفتح الله تعالى علي بتآليف عديدة منها كفاية الطالب النبيل في حل الفاظ مختصر خليل ومنها شرح على المنهج المنتخب للزقاق في قواعد مالك ومنظومة في أكثر من ألف بيت في السير والشمائل ومنها في رجال البخاري ولا كتب الكلاباذي ومنها خطب وغير ذلك والكل من بركتكم ونسبته اليكم في صحيح كم والسلام من ولدكم المغرم بمصالحكم تراب نعالكم علي بن عبد الواحد الانصاري لطف الله تعالى به وحامله كبير كبراء قومه ممن يحبكم ويعزكم وما تفعلوا معه من خير ان نشكروه والسلام انتهى * ومنها كتاب وافاني من عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الاكابر ووارث المجد كابرا عن كابر المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله نصه بسم الله الرحمن الرحيم

رغلظ البر ومن حقامر الامم واجتمعت فيه محاسن جميع الاقطار وكما اعتدلوا في الجبلة كذلك اعتدلوا في القضاء والتمسك بمحاسن الامور واشرف هذا الاقليم مدينة السلام ويعز علي ما اضطرتني اليه الاقدار من فراق هذا المصر الذي عن بغيته فضلا عن فيه تفتحه الكرم ازمان الذي من فيه التشتيت والدهر الذي من شروطه الامانة ونعم ما احسن أبو دلف العجلي حيث يقول

اذا كنت في الدهر التي صحبت به
أدنى سباق فرقها والمغارب
في باتي يهرق بها طارق الذي
ايها تاهت راجعات المصائب

وقد ذكر الحكماء وما ترجمنا اليه من هذا المعنى ان من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه وبكاءه على ما مضى من زمانه وان من علامة الرشد أن تكون النفس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة ولا في الولادة وضع الرجل بنسه اصله رضيعه وقال ابن الزبير ليس الناس بشيء من أقسامهم مع منهم باوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمة بلدك

الرحيم وصلى الله على من أنزل عليه فى القرآن وإنك لعلى خلق عظيم وآله وصحبه وسلم أفضل
التسليم من مدنس الازار المتسربل بسرابيل الخطايا والاوزار الراجى التفضل منه رحمة
العزيز الغفار عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون أصلح الله بالتقوى حاله وبلغه
من متابعة السنة النبوية آماله الى الشيخ الشهير الصدر الكبير ذى الفهم الثاقب
والحفظ الغزير الاحب فى الله المؤاخى من أجله سيدى أبى العباس أحمد المقرى أحمد الله
عاقبتى وعاقبته وأسبل على الجميع عافيته أما بعد فانى أحمد الله اليك وأصلى على نبيه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم ولا زائد الاصلاح الدعاء وطلبه منكم فانى احوج الناس اليه واشدهم
فى طى الحاجة عليه لما تحققت من أحوال نفسى الامارة واستبطنت من دخيلاتها المثابرة
على حب الدنيا الغرارة كأنها عميت من الاهوال التى أشابت رؤس الاطفال وقطعت
أعناق كمل الرجال فتراه فى لجج هواها خائضة وفى ميدان شهواتها راكضة طعت
فى غيها وما لانت وجمحت فما انقادت ولا استقامت فويلى ثم ويلى من يوم تبرز فيه الهباء
وتنشر الفضائح وموادى العدل قائم بين العالمين وان كان مثقال حبة من خردل
أتينا بها وكفى بنا حاسبين فالله أسال حسن الالطاف والستر عما ارتكبناه من التعدى
والاسراف وان يجعلنا من اهل الحمى العظيم وممن يحشر تحت لواء صاحبه الكريم
سيدنا ومولانا وشفيعنا النبى الرؤف الرحيم وانكف من القلم عنانه لما أرجو من أجله
ثواب الله سبحانه وقد اتصل بيدى جوابكم أطال الله فى العلم بقاءكم فرأيت من عذوبة
ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء عقولها وينيلها الذى اشتهت لسماعه سؤلها
ومأمولها بيد ما فيه من أوصاف من امره قاصر وعن الطاعة والاجتهاد فاتر واصدق
قول فيه عند مخبره ومرآه أن تسمع بالمعيدى خير من ان تراه لكن شعاركم المولى
تحسين النية البلوغ فى تحبيب الجنان غاية الامنية وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل من
أن أوصف بمثلها على أنى غير قائم بفرضها ونفلها والله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم من
اهل مناجاته فى حضرته ويسقينا من كاسات القرب ما نتمتع به بلذيذ منادمته وقد ساعد
البنان الجنان فى اجابتكم بوزنها وقافيتها والعذر لى أنى لست من أهل هذا الشان
والاعتراف بانى جبان وأى جبان والكمال لكم فى الرضا والقبول والكريم يغضى عن
عورات الاحمق الجهول وظننا حققه الله تعالى أن تحمل على مقتضى كمالكم الكلامية يعنى
اضاءة الدجنة تقييدا أرجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدرى لا على قدركم وعلى
مثل فكرى القاصر لا على عظيم فكركم وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان
فآتى به ان شاء الله الاجل معى لانى بالاشواق الى حضرتكم راكب البراق ومخترق السبع
الطباق وكنت عازما على أن أبعث لكم من الابيات أكثر من الواقع الا أن الرفقة أعجلت
وصادفتنى أيام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الا ما ذكر وعلى الله قصد السبيل وهو
حسبي ونعم الوكيل

يا نخبة الدهر فى الدرايه * علما تعاضده الروايه
لا زلت بحرا بكل فن * يروى به الطالبون غايه

عليك كحرمة والديك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك وقال أحر أولى البلدان بصيانتك بلد رضعت ماءه وطعمت غذاءه وقال آخر ميلك الى مسقط رأسك ومولدك من كرم محتدك وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها وقال أفلاطون غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الحبة ببلل القطر وللعموس فى علة حنينها الى الاوطان كلام ابسر هذا موضعه وقد ذكرناه فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب طب النفوس ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر لبطل أكثر العلم وضاع آخره اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستثار والفصاحة منها تستفاد وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ وامثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس وكل غريبة منها تعرف وكل عجيبة منها تستطرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بمكانه وينزع

لقد تصدرت في المعالي * كما تعاليت في العنايه
من فلك تنتظم المعاني * بلغت في حسنها النهايه
رقاك مولاك كل مرقى * تحوى به القرب والولايه
اعجوبة ما لها نظير * في الحفظ والفهم والهدايه
يا أحمد المقرى دامت * بشراك تصحبها الرعايه
بجاه خير العباد طرا * والآل والصحب والنقابه
صلى عليه الاله تترى * نكفى بها الشر والغوايه

وأختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع او ثامن رجب من عام ثمانية وثلاثين وألف للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام انتهى والمذكور علم المغرب الاوسط غير مدافع وله سلف علماء ذوو شهرة ولهم في الادب الباع المديد غير أن المذكور مائل الى التصوف ونعم ما فعل تقبل الله تعالى عملى وعمله وبلغ كلا منا أمله ولا شهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن على بن عمر الفكون القسمطيني احد اشياخ العبدرى صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب وهي من در النظم وحر الكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسمطينة الى مراكش وأولها

الا قل للسرى بن السرى * ابى البدر الجواد الاريحى

ومنها

وكنت اظن ان الناس طرا * سوى زيد وعمرو غير شى
فلما جئت بجاية خير دار * امالتنى بكل رشا ابى
وكم اورت ظباء بنى أوار * اوار الشوق بالرشق الشهى
وجئت بجاية فجلت بدورا * يضيق بوصفها حرف الروى
وفى ارض الجزائر هام قلبى * بمعسول المراشف كوثرى
وفى مليانة قد ذبت شوقا * بلين العطف والقلب القسى
وفى تنس نسيت جميل صبرى * وهمت بكل ذى وجه وضى
وفى مازونة ما زلت صبا * بوسنان المحاجر لوذعى
وفى وهران قد امسيت رهنا * بظامى الخصر ذى ردف ورى
وابدت لى تلمسان بدورا * جلبن الشوق للقلب الخلى
ولما جئت وجدة همت وجدا * بمخضوب المعاطف معنوى
وحل رشا الرباط رشا رباطى * وتيمنى بطرف بابلى
وأطلع قطر فاس لى شموسا * مغاربهن فى قلب الشجى
وما مكناسة الا كناس * لاحوى الطرف ذى حسن سنى
وان تسأل عن ارض سلا ففيها * ظباء كاسرات للكمى
وفى مراكش يا ويح قلبى * اتى الوادى فطم على القرى

بدور

اليه الخاصي والعامي ويميل الى روايته العربي والعجمي وبعد فانه يوصل به كل كلام ويتزين به في كل مقام ويتجمل به في كل مشهد ويحتاج اليه في كل محفل وتحصيله علم الاخبار بينة على كل علم وشرف منزلته يحتج في كل فهم فلا يحصر على فهمه ويبين ... واصداره الانسان وتحرد له وفهم معناه وذاق ثمرته واستفسر من غرره ونال من سرره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس ونعم الذخر ان شئت الهتك نوادره واضحكتك بوادره وان شئت اشجتك مواعظه وان شئت تعجبت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والبادي والحاضر والشكل وخلافه والجنس وضده وهو ميت ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق الا بما تهوى ولا نعلم جارا ابر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية واقل خيانة ولا ابدى مللا ولا احمد اخلاقا ولا ادوم سرورا ولا اسكت غيبة ولا احسن موافاة ولا اعجل مجدواه ولا اخف مؤنة منه ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وابدى فهمك واكثر

بدور بل شموس بل صباح * بدى فى بدى فى بدى
أبحن مصارع العشاق لما * سعين به فكم ميت وحى
بقامة كل أسمر سمهرى * ومقلة كل ابيض مشرفى
اذا أنسينى حسنا فانى * اسيهم هوى غيلان مى
وها انا قد تخذت الغرب دارا . وادعى اليوم بالمرا كشى
على أن اشتياقى نحو زيد * كشوقك نحو عمرو بالسوى
تقسمنى الهوى شرقا وغربا * فيا للمشرقى المغربى
فلى قلب بارض الشرق عان * وجسم حل بالغرب القصى
فهذا بالغدو يهيم غربا * وذاك يهيم شرقا بالعشى
فلولا الله مت هوى وشوقا * وكم لله من لطف خفى

وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول وذلك منا استرسال مع جاذب الادب فلنمسك العنان والله المستعان وما عددناه من القصائد والمقطعات فى مدح دمشق الشام هو نقص من فيض وفى نيتى ان اجمع فى ذلك كتابا حافلا اسميه نشق عرف دمشق او مشق قلم المدح لدمشق ولسان حالى الآن ينشد قول بعض الاكابر

نحن فى مصر رهن شوق اليكم * هل لديكم بالشام شوق الينا
نحن زاعمون ان تروا بالديكم * وابيتم عن ان تروا كم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهـ * ـد ووفى به كما قد وفينا

وقول ابن الصائغ

وددت لو أن عينى * مكان كتبى اليكم
حتى اراكم وأملى * أخبار شوقى عليكم

*(رجع الى ابن جبير) رحمه الله تعالى ومن شعره قوله

اياك والشهرة فى ملبس * والبس من الاثواب أسمالها
تواضع الانسان فى نفسه * أشرف للنفس وأسمى لها

وقال

تنزه عن العوراء مهما سمعتها * صيانة نفس فهو بالحر أشبه
اذا أنت حاوت السفيه مشافها * فمن يتلقى الشتم بالشتم أسفه

وقال

اقول وقد حان الوداع واسلمت * قلوب الى حكم الاسى ومدامع
أيارب أهلى فى يديك وديعة * وما عدمت صونا لديك الودائع

وقال أبو عبدالله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور

لابى الحسين مكارم لو أنها * عدت لما فرغت ليوم المحشر
وله على فضائل قد قصرت * عن بعض نعماها عظام الابحر

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

علمك وتعرف منه فى شهر مالا تأخذه من افواه الرجال فى دهر ويغنيك عن كد الطلب وعن الخضوع لمن انت اثبت منه اصلا واسمح فرعا وهو المعلم الذى لا يجفوك وان قطعت عنه المائدة لم تنقطع عنك الفائدة وهو الذى يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار ويطيعك فى السفر كطاعته لك فى الحضر وقد قال الله تبارك وتعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم كاخباره عن نفسه بالكرم وفى ذلك يقول بعض اهل الادب

لما علمت بانى لست اعزهم
دونا ولا هو ريا ندمت أحتجب
قصرت بالبيت مسرورا به جذلا
حاوى البراءة لا شكوى ولا شغب
فرداه يدنى حبنا ونفى لى
عن علم ماغاب عنى منهم الكتب
المؤنسون هم اللائى عنيت بهم
وليس لى فى جليس غيرهم ارب
لله در جليس لا جليسهم
فداعشيرهم للسوء يرتقب وقد كان عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب لايجالس الناس ويراول مقبره

ياوفود الله فزتم بالمنى * فهنيئا لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات بعدكم * فلهذا برح الشوق بنا
نحن فى الغرب ويجرى ذكركم * بغروب الدمع يجرى ههنا

ومنها

فينادبه على شحط النوى * من لنا يوما فقلت ملنا
سر بنا يا حادى الركب عسى * أن نلاقى يوم جمع سربنا
ما دعا داعى النوى لما دعا * غير صب شفه برح العنا
ثم لنا البرق اذا لاح وقل * جمع الله بجمع شملنا
علنا ان لم نفز خيالا بكم * بالذيذ الذكر وهنا علنا
لو حنى الدهر علينا لقضى * باجتماع بكم بالمنحنى
لاح برق موهنا من نحوكم * فلعمرى ما هنا العيش هنا
أنتم الاحباب نشكو بعدكم * هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة مطولة أولها

لعل بشير الرضا والقبول * يعلل بالوصل قلب الخليل

وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة وهى ثلاثة وثلاثون بيتا أنس الغر أولها

أقول وآنست بالليل نارا * لعل سراج الهدى قد أنارا
والا فما بال أفق الدجى * كأن سنى البرق فيه استطارا
ونحن من الليل فى حندس * فما باله قد تجلى نهارا

* وكان أبو الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وقال صاحب الملتمس فى حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيرا ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبوه أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره أبو اليسع فى تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بغرناطة فسكن بها قال ومما أنشدنيه لنفسه وله يخاطب أبا عمران الزاهد باشبيلية

أبا عمران قد خلفت قلبى * لديك وأنت أهل للوديعه
صحبت بك الزمان أخا وفاء * فها هو قد تنمر للقطيعه

قال وكان من أهل المروآت عاشقا فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان والمبادرة لايناس الغرباء وفى ذلك يقول

يحسب الناس بأنى متعب * فى الشفاعات وتكليف الورى
والذى يعهم من ذاك لى * راحة فى غيرها آن أفكرا
وبودى لو أفضى العمر فى * خدمة الطلاب حتى فى الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته

طال شوقى الى بقاع ثلاث * لاتشد الرحال الا اليها
ان للنفس فى سماء الامانى * طائرا لايحوم الا عليها

وكان لايرى الاوفى بدء كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم ار واعظا أوعظ من قبر ولا ممتعا أمتع من كتاب ولا شأ أسلم من الوحدة فقيل له قد جاء فى الوحدة ما جاء فى ذلك افسدها الجاهل وقد قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب ولا يعلم ما فيها
وما يدرى ...
... يبيدها الا كعلم الاباعر لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا ...
بأوساقه أو راح ما فى الغرائر

(ذكر تنازع الناس فى المعنى الذى من أجله سمى اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا): تنازع الناس فى اليمن وتسميته فمنهم من زعم أنه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة وسمى الشام شاما لانه عن شمال الكعبة وسمى الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام نحو ما أخبر الله عز وجل من الفرق الذى بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بين البحرين حاجزا وانما سمى العراق عراقا لمصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وأصله مأخوذ من عراقى الدلو وعراقى القربة ومنهم من زعم أن اليمن انما سمى يمنا ليمنه والشام شاما لشؤمه وهذا قول يعزى الى قطرب النحوى فى آخرين من الناس ومنهم

من رأى أنه إنما سمي شاما لأن الناس حين تفرقت لغاتهم مال تيامن بعضهم عن الشمس وهو اليمن

قص منه الجناح فهو مهيض * كل يوم يرجو له قوع لديها

وقال

إذا بلغ العبد أرض الحجاز ... فقد نال أفضل مأموله
فإن زار قبر نبي الهدى ... فقد أكمل الله مأموله

وعاد رحمه الله تعالى إلى الأندلس بعد رحلته الأولى التي حل فيها دمشق والموصل وبغداد وركب إلى المغرب من عكا مع الإفرنج وعطب في جزيرة صقلية الصغرى وقاسى شدائد إلى أن وصل الأندلس سنة ٥٨١ ثم أعاد الرحلة إلى المشرق بعد مدة إلى أن مات بالإسكندرية كما تقدم ومن شعره أيضا

لي صديق خسرت فيه ودادي ... حين صارت بلا مسمى ودادا
حسن القول سيء الفعل كالجزار يسمي وأسبغ الفعل ذبحا

وحدث رحمه الله تعالى بكتاب الشفاء عن أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي وتوفي ابن جبير بالإسكندرية يوم الأربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرفيق رحمه الله تعالى وقال ابن الرقيق في السنة بعدها وقال أبو الربيع بن سالم أنشدني أبو محمد عبد الله بن التميمي الحاجي ويعرف بابن الحطب لأبي الحسين ابن جبير وقال وهو مما كتب به إلي من الديار المصرية في رحلته الأخيرة إذ بلغه ولايتي قضاء سبتة وكان أبو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفيت هنالك زوجته بنت أبي جعفر الوقشي فدفنها بها

بسبتة لي سكن في الثرى ... وخل كريم إليها أتى
فلو أستطيع ركبت الهوا ... فزرت بها الحي والميتا

وأنشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الأولى إلى غرناطة أو في طريقها قوله

لي نحو أرض المنى من شرق أندلس ... شوق يؤلف بين الماء والقبس

إلى آخرها ومن شعره قوله

يا خير مولى دعاه عبد ... أخل في الباطل اجتهاده
هب لي ما قد علمت مني ... يا عالم الغيب والشهادة

وقال رحمه الله تعالى

وإني لأوثر من أصطفي ... وأغضي عن زلة العاثر
وأهوى الزيارة ممن أحب ... لأعتقد الفضل للزائر

وقال رحمه الله تعالى

عجبت للمرء في دنياه تطمعه ... في العيش والأجل المحتوم يقطعه
يمسي ويصبح في عشواء يخبطها ... أعمى البصيرة والآمال تخدعه
يغتر بالدهر مسرورا بصحبته ... وقد تيقن أن الدهر يصرعه

وبعضهم تشاءم فسموا به هذا الاسم وسنذكر فرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا المربع وغيرهم قالوا في ذلك من الشعر عند تفرقهم في الأرض واختيارهم البقاع وقيل إنما سمي الشام شاما لأنها شامات في أرضه بيض وسود وذلك في الترب والبقاع وأنواع النبات والأشجار وهذا قول الكلبي وقال الشرقي ابن القطامي إنما سمي الشام شاما بسام بن نوح لأنه أول من نزله فلما نكلمته العرب تغيرت من أن تقول سام فقالت شام ثم قيل إن سام إنما سمي سام بذلك إضافة إلى [illegible] وقيل إن أول من سكنها من ولد [illegible] العاص سماها بهذا الاسم وإنها برود لمن رآها وذكر أسماء هذه المدن والبقاع والأمصار [illegible] غير ما ذكرنا [illegible] مما ألف من كتبنا

(ذكر اليمن وأنسابها وما قاله الناس في ذلك)

اختلف الناس في أنساب قحطان فذهب هشام بن الكلبي عن أبيه والشرقي ابن القطامي إلى أنهما كانا يذهبان إلى أن قحطان ابن الهميسع بن تيمن وهو نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل وشاهدان لذلك بوجوه من الأخبار

وتجمع المال حرصا لا يفارقه * وقد درى أنه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درهمه * وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيرا لعاقبة * من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال

صبرت على غدر الزمان وحقده * وشاب لي السم الذعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم أجد * صديقا جميل الغيب في حال بعده
وكم صاحب عاشرته وألفته * فما دام لي يوما على حسن عهده
وكم غرني تحسين ظني به فلم * يضئ لي على طول اقتداحي لزنده
وأغرب من عنقاء في الدهر مغرب * أخو ثقة يسعيك صافي وده
بنفسك صادم كل أمر تريده * فليس مضاء السيف الا بحده
وعزمك جرد عند كل مهمة * فما نافع كون الحسام بغمده
وشاهدت في الاسفار كل عجيبة * فلم أر من قد نال جدا بجده
فكن ذا اقتصاد في امورك كلها * فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما حرم الانسان رزقا لعجزه * كما لا ينال الرزق يوما بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة * جرت بقضاء لا سبيل لرده

وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر * وفوق افواهها شئ من العسل
تغر ذائقها حتى اذا كشفت * له تبين ما تحويه من دخل

وقال

تغير اخوان هذا الزمان * وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة * فقد داخلهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

وقد تقدم البيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمة المذكور ورأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر وهو قوله

تشكلت أخلاق هذا الزمان * فعندي مما جنوه خلل
قضيت التعجب من شأنهم * فصرت أطالع باب البدل   انتهى

ولابن جبير رحمه الله تعالى

من الله فاسأل كل أمر تريده * فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم * من الكبر في حال تموج بهم سكرا
واياك أن ترضى بتقبيل راحة * فقد قيل عنها انها السجدة الصغرى

وهو نحو قول القائل

قل لنصر والمرء في دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

منها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ورواه الهيثم عن الكلبي عن أبي صالح ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة ثم رمى القوم بأيديهم وقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد نضل فقال ارموا وانا معكم جميعا (قال المسعودي) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره وقد ثبت أن قحطان هو يقظن واعاربته فقيل له قحطان (وحكى ابن الكلبي) أن اسم يقظن في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح والواضح من أنساب اليمن وما يدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير والذي وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وسيرها سائر الامم وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح في نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قينان

وقال

وقال ابن جبير رحمه الله تعالى

أيها المستطيل بالبغي اقصر * ربما طأطأ الزمان الرؤسا
وتذكر قول الإله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

وقال وقد شهد العيد بطندتة من قرى مصر

شهدنا صلاة العيد في ارض غربة * باحواز مصر والاحبة قد نأوا
فقلت لخلي في الهوى جد بدمع * فليس أساة المدامع دربان

وقال

قد احدث الناس امورا فلا * تعمل بها ان امرة بان
فما جاع الخير الا الذي * كان عليه السلف الصالح

وقال

رب ان لم تؤتني سعة * فاطو عني فضلة العمر
لا أحب العيش في زمن * حاجتي فيه الى البشر
فهو كسر لا جبير * ما له جبر لمنكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله تعالى الى مكة ١١ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التي أولها

بلغت المنى وحللت الحرم * فعاد شبابك بعد الهرم
فاهلا لأعكة أهلا بها * وشكرا لمن شكره ملتزم

وهي طويلة وسيأتي بعضها وقال رحمه الله تعالى عند تركه للرحلة الحجازية

أقول وقد دعا للخير داع * حننت له حنين المستهام
حرام أن يلذ لي اغتماض * ولم أرحل الى البيت الحرام
ولا طابت لي الآمال ان لم * أطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياتي لي اذا لم * أزر في طيبة خير الانام
وأهديه السلام وأقتضيه * رضا يدني الى دار السلام

وقال

هنيئا لمن حج بيت الهدى * وحط عن النفس أوزارها
وان السعادة مضمونة * لمن حج طيبة أو زارها

واختم ترجمته بقوله

أحب النبي المصطفى وابن عمه * عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم * وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم * وحبهم أسنى الذخائر للاخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض * فانى أرى البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده * وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم * لدى الملا الاعلى وأكرم به ذكرا

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح وقد كان لعابر ثلاثة أولاد فالغ وقحطان وملكان والخضر عليه السلام من ولد ملكان في قول كثير من الناس، وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكرا وأمهم حبى بنت روق بن زارد ابن سعد بن سويد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فولد قحطان يعرب ابن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب ولدين أحدهما عبد شمس وهو سبأ بن يشجب وانما سمي سبأ لسبيه السبايا فولد سبأ حمير وكهلان ابني سبأ والثاني لم يعقب وانما العقب من ولده ذين وهما حمير وكهلان وهذا المتفق عليه عند أهل الخبرة بهما ولم يتبق لهم وقال الهيثم بن عدى الطائي يقول اسمعيل لم يتعلم العربية الا من جرهم لان اسمعيل كان سرياني اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرنا وتصاهر جرهم وتعلم لغتهم ونطق بكلامها وزرار يأبى أن يكون اسمعيل نشأ على لغة جرهم ويقولون ان الله عز وجل أنطقه بهذه اللغة وذلك ان ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر واسمعيل ابن سبع عشرة سنة وقيل ابن أربع عشرة سنة في واد غير ذي زرع ولا أنيس يحفظهما الله تعالى واتبع لهما جرهم ولم يتعلم اسمعيل هذه

وقوله فى آخر الميمية

نبى شفاعته عصمة * فيوم التنادى به يعتصم
عسى أن تجاب لنا دعوة * لديه فنكفى بها ما أهم
ويرعى لزواره فى غد * ذماما فما زال يرعى الذمم
عليه السلام وطوبى لمن * ألم بتربته فاستلم
أخى كم تتابع أهواءنا * ونخبط عشواء فى الظلم
رويدك جرت فعج واقتصد * أمامك نهج الطريق الاعم
وتب قبل عض بنان الاسى * ومن قبل قرعك سن الندم

ومنها

وقل رب هب رحمة فى غد * لعبد بسيما العصاة اتسم
جرى فى ميادين عصيانه * مسيئا ودان بكفر النعم
فيارب صفحك عما جنى * ويارب عفوك عما اجترم

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس الاديب أبو عامر بن عيشون) قال الفتح رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدر خلفى البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة فى سماط وأخرى بين درانك وأنماط ويوما فى ناووس وأخرى فى مجلس مانوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بأنامل نحلته وارتد على عقبه وارتد من حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق فى الادب وتدفق طبع اذا امدح أو سب وقد أثبت له ما تعلم حقيقة نفاده وترى سرعة وخده فى طرق الاحسان واغذاذه ثم قال وأخبرنى انه دخل مصر وهو سارى ظلم البؤس عار من كل لبوس قد خلا من النقد كيسه وتخلى عنه الا عذره وتنكيسه فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الا نكده ولا يتوسد الا عضده وبات بليلة ابن عبدل تهب عليه صرصر لا ينفع منها نبر ولا مندل فلما كان من الغد دخل عليه ابن الطوفان فاشفق لحاله وفرط امحاله وأعلمه أن الافضل بن أمير الجيوش استدعاه ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيه اله لاخصب مرعاه فصنع له فى حينه

قل للملوك وان كانت لهم همم * تأوى اليها الامانى غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لى سببا * فلن أبالى بمن منهم نفضت يدى
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان ذا رمد

فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه انه غناه وجود الاظهار للفظه ومعناه وكرره حتى أثبته فى سمعه وقرره فسأله عن قائله فأعلمه بقلته وكلمه فى رفع خلته فأمر له بذلك وله أيضا رحمه الله تعالى

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الود واجب
فالفيت بابا سهل الله اذنه * ولكن عليه من عبوسك حاجب
مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى أن خلت أنك عاتب

اللغة العربية قالوا ولغة جرهم غير هذه اللغة ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد فهذا يقضى بابطال قول من قال ان اسمعيل أعرف بلغة جرهم ولو وجب أن يكون اسمعيل عربى اللسان لاجل جرهم لوجب أن يكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل مكة وقد وجدنا قحطان عربى اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم وعطاه فضيلة اللسان العربى التى أعطيها يعرب ابن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأبى دونها كتابنا هذا فى التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك مما دأبنا على ذكر حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية فى كتابنا أخبار الزمان *وزعم الهيثم بن عدى ان جرهم بن عابر بن سبا بن يقطن هو قحطان وتأول الهيثم قول النبى صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا يابنى اسمعيل أنه عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما نالهم من الولايات من ولد

فلا

ولا تتكلف للعيوش مشقة * سأرضيك بالهجران إذ أنت عاتب

فلا الأرض تدمير ولا أنت أهلها * ولا الرزق إن أعرضت عني جانب

وله يستعفي

كتبت ولو وفيت برك حقه * لما اقتصرت كفي على رقم قرطاس

ونابت عن الخط الخطا وتبادرت * فطورا على عيني وطورا على راسي

سل الكاس عني هل أديرت فلم أصغ * لمدحك ألحانا تسوغ بها كاسي

وهل نافح الآس الندامى فلم أدع * ثنائي أذكى من منافحة الآس

*(ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو مروان الطبني وهو عبد الملك بن زيادة الله) قال في الذخيرة كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام وحملة ألوية الأقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر أراهم طرؤوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة وانتثار شمل الطاعة وأناخوا في ظلها ولحقوا بسروات أهلها وأبو مضر أبوه زيادة الله بن علي التميمي الطبني هو أول من نبه بيت شرفهم ورفع في الأندلس صوته ونباهة سلفهم قال أبو حيان وكان أبو مضر نديم محمد بن أبي عامر أمتع الناس حديثا ومشاهدة وأنصفهم طرفا وأحذقهم بأبواب الشحذ والملاطفة وآخذهم بقلوب الملوك والجلة وأضمهم لشمل إفادة وجمعة انتهى المقصود منه ثم قال في الذخيرة فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل إلى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة انتهى وقد ذكر قصة قتله المستشنعة واتهم باغتياله ابنه ومن نظم أبي مروان الطبني المذكور ما وجده صاحب الذخيرة في بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد ابن أبي عامر على الحدلمي في مجلسه وضربه ضربا موجعا وأقر بذلك أعين مطالبيه قال أبو مروان الطبني فيه

شكرت للعامري ما صنعا * ولم أقل للحدلمي لعا

ليث عرين عدا بعزته * مفترسا في وجاره ضبعا

لا برحت كفه ممكنة * من الأماني فنعم ما صنعا

وددت لو كنت شاهدا لهما * حتى ترى العين بل ما خضعا

إن طال منه سجوده فلقد * طال لغير السجود ما ركعا

قال ابن بسام وابن رشيق القائل قبله

كم ركعة ركع الصفعان تحت يدي * ولم يقل سمع الله لمن حمده

ثم قال ابن بسام في الذخيرة ما نصه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة إذا كنوا عن عهر الخلوة ومن ملح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته

قلت التشيع حب أصلع هاشم * فترفضي إن شئت أو تتشيعي

قالت أصلع هاشم ونفست * بأبي وأمي كل شيء أصلع

ولما صنفت كتابي هذا من شين الهجاء وكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء أجريت ههنا

اسمعيل لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرى نسبا قد ثبت ولا نثبت نسب قوم إلى غير آبائهم وقد بان ذلك قولا وعملا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلا سأله من مراد عن سبا أرجلا كان أو امرأة أو واديا أو جبلا فقال له كان رجلا ولد له عشرة فتشاءم أربعة وتيامن ستة فالذين تشاءموا لخم وجذام وعاملة وغسان والذين تيامنوا حمير والأزد ومذحج وكنانة والأشعريون وأنمار الذين هم بجيلة وخثعم وقال ابن المدبر هو أنمار بن إراش ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (قال المسعودي) وقد تنوزع في نسب أنمار فذهب الأكثر إلى أن أنمارا وإيادا وربيعة ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان وأن أنمار دخلوا في اليمن فانضموا إليه وما ذكرناه عن النبي صلى الله عليه وسلم يمنع من ... الأخبار الآحاد وليس يجيئه في الإسعاف ما يصح بها العدد ويثبت بها الحكم وللناس في هؤلاء كلام كثير وقد ذكر هشام بن ... الكلبي قال كان يقال لسائر ولد سبا السبئيون ولم يكن لهم قبائل تجمعهم دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران الكاهن وهو

صار من مليح التعريض في ايجاز القريض مع الأدب على قائله ولا وصمة عظمى على من قيل فيه والهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجو الاشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقذعا ولا هجوا مستبشعا وهو طأطأ قديما من الاوائل وثل عرش القبائل انما هو توبيخ وتعيير وتقديم وتأخير كقول النجاشي في بني عجلان وشهرة شعره مغنية عن ذكره واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأنشدوه قول النجاشي فيهم فدرأ الحد بالشبهات وفعل ذلك بالزبرقان حين شكا بالحطيئة وسأله أن ينشد ما قال فيه فانشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ، واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال والله ما أود بما قال له حر النعم وقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل الشبرم ففهم عمر رضي الله تعالى عنه بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور ، وقال عبد الملك بن مروان يوما احسابكم يا بني أمية فما أود أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وان الاعشى قال في

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ، وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل هذا بجاراتنا ودعا عليه فاطلك شيء يبكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس وقد كان الراعي يقول هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما تستحيي العذراء أن تنشده في خدرها ولما قال جرير

فغض الطرف انك من نمير ، فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أطفأ مصباحه ونام وقد كان بات ليلته يتململ لانه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه قال الراعي فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب الا وسمعنا البيت قد سبقنا اليه حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج الينا النساء والصبيان يقولون قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير أيضا وطبقته وكان يقول اذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة وهو الذي صاه هذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه فان أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانه اسمه وبقي عليه اثمه ، ومن مليح التعريض لاهل أوقاتنا قول بعضهم في غلام كان يتهم رجلا يسمى بالبعوضة

أقول لشادنكم قولة ، ولكنها رمزة غامضة

لزوم البعوض له دائما ، يدل على انها حامضة

وأنشدت في مثله قول بعض أهل الوقت

بيني وبينك سر لا أبوح به ، الكل يعلمه والله غافره

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال عاتبت بعض الاخوان عتابا شديدا عن أمر أوجع فيه قلبي وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت

واني على ما هاج صدري وغاظني ، ليأمنني من كان عندي له سر

من مأرب ومن نحو عمان وشنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الارض

(ذكر اليمن وملوكها وغير ذلك)

أول من بعد من ملوك اليمن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لأية علة سمي سبا على ما قيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده حمير بن سبا ابن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس في وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن ثم ملك بعده أخوه كهلان ابن سبا فطال عمره وكبر سنه واستقامت له الامور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان الى ولد حمير لا خبار يطول ذكرها وتنازع في الملك ولد حمير وكهلان ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبا واتصل ملكه وعمر الناس عدله وشملهم احسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل ان أول من ملك وكان

ذ كان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ولم يزل يعلو به حتى بكى الى منه بالدموع وهذا الباب ممتد الاطناب ويكفي ما مر وعرمه في أضعاف هذا الكتاب انتهى كلام ابن بسام في الذخيرة بلفظه ولا خفاء انه عارض بالذخيرة يتيمة الثعالبي ولذا قال في خطبة الذخيرة أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله فان ثمرة هذا الادب العالي الرتب رسالة تنثر وترسل وأبيات تنظم وتفصل تتهادى تهادي الانوار على صفحات الازهار وتتصل هذه اتصال القلائد على نحور الخرائد وما زال في أفقنا هذا الاندلسي القصي الى وقتنا هذا من فرسان الفنين وأئمة النوعين قوم هم ما هم طيب مكاسر وصفاء جواهر وعذوبة موارد ومصادر لعبوا باطراف الكلام المشقق لعب الدجى بجفون المؤرق وحدوا بفنون السحر المبين حداء الاعشى ببنات المحلق وصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى والاصائل بعجائب الاشعار والرسائل نثر لو رآه البديع لنسي اسمه أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح الا أن أهل هذا الافق أبوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما وأخبارهم الباهرة وأشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد فغاظني منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري غيرة لهذا الافق الغريب أن تعود بدوره أهلة وتصبح بحوره ثمادا مضمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه وقديما ضيعوا العلم وأهله ورب محسن مات احسانه قبله وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان وخص أهل المشرق بالاحسان وقد كتبت لارباب هذا الشان من أهل الوقت والزمان محاسن تبهر الالباب وتسحر الشعراء والكتاب ولم أعرض لشيء من أشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية اذ كان ابن فرج الجياني قد رأى رأيي في النصفة وذهب مذهبي من الانفة فأملى في محاسن أهل زمانه كتاب الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للاصبهاني فأضربت أنا عما ألف ولم أعرض لشيء مما صنف ولا تعديت أهل عصري ممن شاهدته بعمري أو لحقه أهل دهري اذ كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول وقد مجته الاسماع

يا دارمية بالعلياء فالسند

الى أن قال بعد ذكره أنه سوى جملة من المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضي عبد الوهاب والوزير ابن المغربي وغيرهم ممن يطول ما صورته وانما ذكرت هؤلاء ائتساء بأبي منصور في تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر انتهى المقصود منه قلت وتذكرت بما أنشده في الهجاء قول البائعة الشاعر المشهور أبي العباس أحمد الغفجومي الشهير بالجراوي وعامة الغرب يقولون الجراوي ... وقومه بني غفجوم وهم بربر تادلا متوصلا بذلك الى هجو أصلاء فاس بني الملجوم ومستطرد الى ذلك ما هو في اطراده كالماء السجوم وهو

بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذي سدد ثم ملك جبار بن غالب بن الحرث بن صيفي بن ... سبأ وكان ملكه مائة سنة وخمسا وأربعين سنة ويقال ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذي المنار ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن ملطاط وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة ثم ملك بعده ابرهة ابن الرائش وهو ذو المنار وكان ملكه مائة وثمانين سنة ثم ملك بعده أخوه المعد ابن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده الهدهاد ابن شرحبيل بن عمرو بن الرائش ولم يذكر مقدار ملكه ومنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ومنهم من ذكر ... ومنهم من قال ... ثم ملك تبع الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما قدمناه ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر طويل يقدم ذكره فيما روى أنه تصور لابيها في بعض قنصه حيتان سوداء وبيضاء فأمر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن وان الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا فأتت منه ببلقيس ونقض تلك الشروط المذكورة عليه ا

يا ابن السبيل اذا مررت بتادلا * لا تنزلن على بنى يفجوم

أرض أغار بها العدو فلن ترى * الا مجاوبة الصدى للبوم

قوم طووا ذكر السماحة بينهم * لكنهم نشروا لواء اللوم

لاحظ فى أموالهم ونوالهم * للسائل العافى ولا المحروم

لا يملكون اذا استبيح حريمهم * الا الصراخ بدعوة المظلوم

يا ليتنى من غيرهم ولو انتى * من أرض فاس من بنى الملجوم

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ان أحد بنى الملجوم قضاة فاس وأصلائها بيعت أوراق كتبه التى هى غير مجلدة بل متفرقة بستة آلاف دينار ويكفيك ذلك فى معرفة قدر القوم ومع ذلك هجاهم بهذا والله سبحانه يغفر الزلات * (رجع) الى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علماء الاندلس الى البلاد المشرقية المحروسة فنقول * (ومنهم حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل الى الاندلس ابن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان) من أهل قرطبة ويعرف بدحون رحل الى المشرق وكان فقيها عالما أديبا شاعرا محسنا ورحل الى المشرق أيام عبد الرحمن بن الحكم وحج ولقى أهل الحديث فكتب عنهم وقدم بعلم كثير وكانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها وهو يلبس الوشى الشامى الى أن أوصى اليه الامير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه وتوفى بعد المائتين ومن شعره قوله

قال العذول وأين قلبك كلما * رمت اهتداءك لم يزل متحيرا

قلت اشتدد فالقلب أول خائن * لما تغير من هويت تغيرا

وناى فبان الصبر عنى جملة * وبقيت مسلوب العزاء كما ترى

ومن ولده سعيد بن هشام وكان أديبا عالما فقيها رحم الله تعالى الجميع ودخل دمشق وهى يومئذ للمعتصم بن الرشيد وعاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرخجى فوافق دخوله اياها غلاء شديدا ومجاعة أشكت أهلها فضجوا الى الرخجى أن يخرج عنهم من عندهم من الغرباء القادمين عليهم من البلاد وأمر بالنداء فى المدينة على كل من بها من طارئ وابن سبيل ليخرجوا عنها وضرب لهم أجلا ثلاثة أيام أوعد من تخلف منهم بعدها بالعقاب فابتدر الغرباء الخروج عنها وأقام دحون لم يتحرك فجىء به الى الرخجى بعد الاجل فقال له ما بالك عصيت أمرى أو ما سمعت ندائى فقال له دحون ذلك النداء الذى وقفنى فقال له وكيف فانتسب له فقال له الرخجى صدقت والله انك لاحق بالاقامة فيها فأقم ما أحببت وانصرف اذا شئت وكان لدحون هذا ابن يقال له بشر بن حبيب ويعرف بالحبيبى وهو من المشهورين بقرطبة وأمه المدنية الراوية عن مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وبنته عبدة بنت بشر مشهورة ولها رواية عنه رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بهلول بن فتح) من أهل اقليش له رحلة حج فيها وكان رجلا صالحا خيرا حكى عن نفسه انه رأى فى منامه بعد قدومه من الحج كأنه بمكة وقائل يقول انطلق بنا نصل مع النبى صلى الله عليه وسلم قال فكنت أقول لرجل من جيرانى باقليش يا أبا فلان انطلق بنا نصل مع النبى صلى الله عليه وسلم فيقول لى لست أجد الى ذلك سبيلا فكنت أتوجه وأصلى مع الناس والنبى صلى الله عليه وسلم امامنا فلما سلم من الصلاة

دعابت عنه فى جر طريف وهو موجود فى كتب التبابعة وانما نحكى هذه الاخبار على حسب ما وجدناه فى كتب الاخبار ينزوعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لما والمس صدنا من ذلك وصف اوائل اصحاب التقدم لانهم يروون هذا ونحوه وانما نحكى فى هذا الكتاب اقاويل اصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق والمخبر الشيطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبى المرسل وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الخليقة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من امرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل فى كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرها على لسان اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم ناشر النعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده شمر بن يرعش وكان ملكه ثلاثا وستة وعشرين سنة وسكن نحو مشرق الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسمرقند ثم ملك بعده ... ان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك فى ملكه تنازع

رجع الي وقال لي من ابن انت قلت له من الاندلس فكان يقول من اى موضع فكنت اقول من مدينة اقليش فيقول لي اتعرف ابا اسحق البوابي فكنت اقول هو جاري وكيف لا اعرفه فيقول لي أقرئه مني السلام (ومنهم ابو الحسن ثابت بن احمد بن عبد الولي الشاطبي) روى عن ابي زيد عبد الرحمن بن يعيش المهروي ورحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الحسن بن المفضل المقدسي وحدث عنه بالحديث المسلسل في الاخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن أبي محمد عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد بن خلف الانصاري عن أبي الحسن طاهر بن مفوز وعليه مداره بالاندلس عن نصر السمرقندي باسناده ومنه عند قال الحافظ ابن الابار وقد رويته مسلسلا من طرق بعضها عن ابن المفضل وأنا أبي سليمان أبي حمزة عن أبي بحر الاندلسي عن نصر السمرقندي فصار ابن المفضل بمنزلة من سمعه من [illegible] واحمد لله تعالى انتهى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن ... بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن ميمون ...) سكن شاطبة وأصله من أنشيان عملها ويكنى أبا الفضل أيضا حج وسمع أبا طاهر بن عوف والحافظ السلفي وأبا عبد الله بن الحضرمي وأبا الثناء الحراني وبدر بن عبد الله الحبشي والحسن بن المفضل وغيرهم وكان من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة حسن الخط جيد الضبط سماه التجيبي في معجم مشيخته وهو في عداد أصحابه لاشتراكهما في السماع باسكندرية وتركه هنالك ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة في أضحى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحكى مما أفاده عن ابن المفضل أن أبا عبد الله الكراني وكان شاعرا جيدا أتته امرأة ماتت ولدها فسألته أن يرثيه فقال

بكى عليه بشجو ✽ فقلت لا تندبيه
هذا زمان عجيب ✽ قد عاش من مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع بن سالم وقال انه توفي بعد التسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه الخزاعي العابد) من أهل قسطنطانية عمل دانية أخذ القراآت عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة ببلنسية ورحل حاجا فأدى الفرض ودخل الاسكندرية مرارا ولم يسمع من السلفي ولم يسمع منه شيأ قال ابن الابار فيما علمت وقفل الى بلده مائلا الى الزهد والاعراض عن الدنيا وكان شيخ المتصوفة في وقته وعلا ذكره وبعد صيته في العبادة الا انه كانت فيه غفلة قال ابن الابار رأيته اذ قدم بلنسية لاحياء ليلة النصف من شعبان سنة احدى عشرة وستمائة وتوفي عن سن عالية تقارب المائة منتصف ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى وانتاب الناس قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان يشاركهم من المسلمين ببلاد شرق الاندلس التي تغلبوا عليها وذلك في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة (ومنهم ابو جعفر النحوي) أندلسي نزل مصر وكان من رؤساء اهل العلم بالنحو ومن له حال جليلة ذكره الطبني فيما حكاه ابن الابار (ومنهم ابو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله الخزرجي القرطبي) وكناه بعضهم ابا الفضل سمع ببلده من ابي محمد بن عتاب وغيره ورحل حاجا فأدى الفريضة وكان اديبا شاعرا كتب عنه ابو محمد العثماني بالاسكندرية بعض شعره (ومنهم ابو الحسن

وخلاف وكان ملكه الى أن قتل خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده عمرو بن تبع وهو القاتل لأخيه حسان الملك الماضي وكان ملكه أربعا وستين سنة ويقال له ذو الاعواد لما كان من فعله في قتل أخيه ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك السائر من اليمن الى الحجاز وكان له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود وكساها النطع اليماني وسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على اليمن دين اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة ثم ملك عمرو بن تبع بعده عمرو وتنازع كان بينهم في الملك ثم خلع عن الملك وملكوا بعده مرثد بن كلال وكان في اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده وكيعة بن مرثد وكان ملكه بضعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ابن وكيعة بن مرثد وهو الذي يدعى شيبة الحمد وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وقيل أقل من ذلك وكان علامة وله سير مدونة ثم ملك بعده عمرو بن ذي يعان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده دوشناتر ولم يكن من أهل بيت الملك فغري بالاحداث من أبناء الملوك ويطالبهم بما طالب به الدوار وأطهر

جهور بن خلف بن ابى عمر بن قاسم بن ثابت المعافرى) رحل حاجا الى المشرق فادى الفريضة وسمع بالاسكندرية من ابى طاهر السلفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وسمع ايضا من غيره وطال مكثه هنالك وهو فيما رجحه بعضهم من اهل غرب الاندلس * (ومنهم ابو على الحسن بن حفص بن الحسن البهرانى الاندلسى) رحل وتجول ببلاد المشرق فسمع ابا محمد عبد الله بن حمويه وابا حامد احمد بن محمد بن رجاء بسرخس وابا محمد بن أبى شريح بهراة وابا عبد الله الحسين بن عبد الله المفلحى بالاهواز وأبا بكر أحمد بن جعفر البغدادى وأبا حامد أحمد بن الخليل وابا حاتم حامد بن العباس وابا محمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق فروى عنه من اهلها تمام بن محمد وبنسا ابو احمد بن منصور بن خلف المغربى وغيره وذكره ابن عساكر وقال اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن احمد بن على بن فطيمة وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالا انا ابو بكر احمد بن منصور انا ابو على الحسن بن جعفر القضاعى انا الحسن بن رشيق بمصر انا المفضل بن محمد الجندى أنا ابو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى قال سمعت مالك بن أنس يقول لايحمل العلم عن أهل البدع كلهم ولايحمل العلم عمن لم يعرف بالطلب ومجالسة أهل العلم ولايحمل عمن يكذب فى حديث الناس وان كان فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا فالان الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذى سمعه وبين الله تبارك وتعالى وانما قال فيه القضاعى لان بهران من قضاعة * (ومنهم أبو على الحسن ابن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الاموى) من أهل دانية ويعرف بابن برنجال سمع من أبى بكر بن صاحب الاحباس وأبى عثمان طاهر بن هشام وغيرهما وله رحلة حج فيها وسمع من أبى اسحق ابراهيم بن صالح القروى وببيت المقدس من أبى الفتح نصر بن ابراهيم سنة خمس وستين وأربعمائة وبعسقلان من أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبى واخذ عنه كتاب الوقف والابتداء لابن الانبارى بسماعة من عبد العزيز الشعيرى عن مؤلفه وكان فقيها على مذهب مالك وولى الاحكام ببلده وحدث وأخذ عنه وسمع الناس منه باسكندرية سنة تسع وستين ثم بدانية سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وتوفى فى نحو الخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو على الحسن بن ابراهيم بن محمد بن بقى الجذامى المالقى) روى بقرطبة عن أبى محمد بن عات وعن أبى بكر الصدفى بمرسية سنة ثمان وخمسمائة وصحب أبا مروان بن مرة وكان من أهل الرواية والتقييد وكانت له رحلة سمع فيها من أبى الطاهر السلفى مجالسه التى أملاها بسلماس برجب سنة خمس عشرة وخمسمائة حسبما ألفى بخط السلفى وفى رحلته لقيه أبو على الحسن بن على البطليوسى نزيل مكة وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتنوخى من أهل الاسكندرية بكتاب الاستيعاب لابن عبد البر أجازله اجازة عامة فى السنة السابقة وقال ابن عساكر فى تاريخه وذكر أبا ذر الهروى سمعت أبا الحسن على بن سليمان المرادى الحافظ الاندلسى بنيسابور يقول سمعت أبا على الحسن بن على الانصارى البطليوسى قال ابن عساكر وقد لقيته ولم أسمعها منه قال سمعت أبا على الحسن بن ابراهيم بن بقى الجذامى المالقى يقول سمعت بعض الشيوخ يقول قيل لابى ذر الهروى أنت من هراة فمن أين تمذهبت لمالك والاشعرى

الفسق باليمن واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وأنصف المظلوم وكان ملكه ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وقتله يوسف ذونواس وكان من أبناء الملوك خوفا على نفسه وانفة أن يفسق به ثم ملك بعده يوسف ذونواس بن زرعة بن تبع الاصغر بن حسان بن كليكرب وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الموضع من كتبنا وما كان من أمره مع أصحاب الاخدود وتحريقه اياهم بالنار وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه فقال قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود ولما عبرت الحبشة من بلاد ناصع والزيلع وهو ساحل الحبشة على حسب ماذكرنا الى بلاد زبيد من أرض اليمن فغرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة وقيل أقل من ذلك وذلك أن النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس بأتباع المسيح عليه السلام وما يعذبهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث اليه الحبشة وعليهم ارباط بن اصحمة فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم بن يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ ذلك من فعله الى النجاشى غضب عليه وحلف بالمسيح أن يخرب ناحيته ويريق دمه ويطأ تربته يعنى أرض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فقال

فقال

فقال اني قدمت بغداد أطلب الحديث فلزمت الدارقطني فلما كان في بعض الايام كنت معه فاجتاز به القاضي أبو بكر بن الطيب فاظهر الدارقطني من اكرامه ما تعجبت منه فلما فارقه قلت أيها الشيخ الامام من هذا الذي أظهرت من اكرامه ما رايت فقال أوما تعرفه قلت لا فقال هذا سيف السنة أبو بكر الاشعري فلزمت القاضي منذ ذلك واقتديت به في مذهبه انتهى (ومنهم أبو علي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر الانصاري البطليوسي) رحل الى المشرق فادى الفريضة وتجول هنالك ولقي أبا الحسن بن الفرج الصقلي وأبا عبد الله الفراوي فسمع منهما الصحيحين بعلو وسمع من ابي الفتح ناصر بن أبي علي العلوي سنن أبي داود وحدث بالموطأ عن أبي بكر الطرطوشي وله أيضا رواية عن زاهر بن طاهر الشحامي وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيري وأبي محمد الحريري سمع منه مقاماته الحسين بن بستانة من بغداد ونزل بمكة وجاور بها وحدث فيها وفي غيرها واسن وكان ثقة مسندا روى عنه أبو عبد الله بن أبي الصيف اليمني وابو حفص بن شراحيل الاندلسي وابو عبد الله محمد ابراهيم الاربلي وسمع منه في صفر سنة ست وستين وخمسمائة وقد لقيه أبو القاسم بن عساكر الحافظ وروى عنه * (ومنهم أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الانصاري) من أهل المرية عمل بلنسية ويعرف بابن الرهبيل سمع من أبي الحسن بن النعمة كثيرا واختص به وعنه أخذ القرا آت وسمع من ابن هذيل أيضا ثم رحل حاجا فلقي بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أبا طاهر السلفي وابا عبد الله بن الحضرمي وسمع منهما وجاور بمكة واخذ بها عن ابي الحسن علي بن حميد الطرابلسي صحيح البخاري وكان يرويه عن ابي مكتوم عيسى بن ابي ذر الهروي عن ابيه وسمع ايضا من ابي محمد المبارك بن الطباخ البغدادي واجاز له ابو المفاخر سعيد بن الحسين الهاشمي وابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي ببجاية عند صدره في ربيع الاول سنة سبع وسبعين وقفل الى بلده فلزم الانقطاع والانقباض عن الناس والاقبال على ما يعنيه وكان قد خطب به قبل رحلته وحكى التجيبي ان طلبة الاسكندرية راجعوا عليه لسماع التيسير لابي عمرو المقرى منه بروايته عن ابن هذيل سماعا في سنة ثلاث وخمسين وصار له بذلك عندهم وجاهة وبعد قفوله اصابه خدر منعه من التصرف وكان الصلاح غالبا عليه وتوفي غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى *(ومنهم الحسين بن احمد بن الحسين بن حي التجيبي القرطبي) اخذ علم العدد والهندسة عن ابي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث وكان كلفا بصناعة التعديل وله زيج مختصر ذكره القاضي صاعد ونسبه وحكى انه خرج من الاندلس في سنة اثنتين واربعين واربعمائة بعد ان نالته بها وبالبحر محن شداد ولحق بمصر ثم رحل عنها الى اليمن واتصل باميرها فحظي عنده وبعثه رسولا الى القائم بأمر الله الخليفة ببغداد ونال هناك دنيا عريضة وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين واربعمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو يوسف حماد بن الوليد الكلاعي) اخذ بقرطبة عن ابي المطرف القنازعي وغيره ورحل الى المشرق وحدث بالاسكندرية فسمع منه بها يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تاليفه ورسالة ذم الحرص وقصر

(قال المسعودي) رحمه الله وقيل ان أبا رغال وجهه صالح النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات فخز ناصيته وجعلها في حق من العاج وجعل دمه في قارورة وجعل من تراب اليمن في جراب وانفذ ذلك الى النجاشي ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه وقد انفذت الى الملك ناصيتي فليجزها بيده وبدمي في قارورة فليرقه وبجراب من تربة بلادي فليطأه بقدميه وليطفئ الملك غضبه فقد أبررت يمينه وهو ولي سر برسالته لما وصل ذلك الى النجاشي استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه *وأبرهة بن يكسوم هو الذي سار باصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بابي رغال ادله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال في الطريق بموضع قال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره بعد ذلك وفي ذلك يقول جرير بن الخطفي في الفرزدق

اذا مات الفرزدق فارجموه
كما ترجمون قبر ابي رغال

الاهل والحث على العمل وذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ولقيه هنالك أبو مروان الطبني فسمع منه بعض فوائده * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير) من أهل طرطوشة يعرف بالجبيري وهو والد أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه وكانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من أهل العلم والنزاهة وعليه نزل القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية قال ابو عبيد نزل القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة فانزله في بيته الذي كان يسكنه فكان اذا تفرغ نظر في كتب أبي فوقع بيده كتاب فيه ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب

أوما علي لا برحت ملعنا * يا ابن الخبيثة عندكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد * داني الولاء مقدم الاسلام

قال ابو عبيد والابيات بخطه في حاشية كتاب ابي الى الساعة وكانت ولاية منذر للثغور مع الاشراف على العمال بها والنظر في اختلاف من بلاد الافرنج اليها سنة ثلاثين وثلثمائة (ومنهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطي) له رحلة روى فيها بالاسكندرية عن مهدي بن يوسف الوراق وحدث عنه أبو العباس بن عيسى الدالي بالتلقين للقاضي عبد الوهاب * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن خلون القنطري) من نفطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروية رحل حاجا فادى الفريضة ولقي بمكة رزين ابن معاوية الاندلسي فحمل عنه كتابه في تجريد الصحاح سنة خمس وخمسمائة وفيها حج وقفل الى بلده بعد ذلك وكان فقيها مشاورا حدث عنه ابن خير في كتابه اليه من بطليوس في نحو الثلاثين وخمسمائة (ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسي) رحل حاجا الى المشرق وسمع بمصر أبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلثمائة وأبا بكر مسرة بن مسلم الصدفي حدث وأخذ عنه (ومنهم طاهر الاندلسي من أهل مالقة يكنى أبا الحسين) رحل الى قرطبة وخرج منها لما دخلها البرابر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة فلم يزل بمكة الى حدود الخمسين وأربعمائة وكان من أصحاب أبي عمر الطلمنكي وملازميه لقراءة القرآن وطلب العلم مع أبي محمد الشنتجالي وأبي أيوب الزاهد امام مسجد الكوائين بقرطبة وجاور بمكة طويلا وأدراعلى مقربة من باب الصفا وكان الشيبيون يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام ذكره الطبني قال ابن الابار وأحسبه المذكور في برنامج الحرلاني والذي قرأ لهم أكثر المدونة على أبي عمر أحمد بن محمد الريات انتهى * (ومنهم أبو الطاهر الاندلسي من أهل لبلة) نزل مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص وكان رحمه الله تعالى نحويا له شعر وترسيل وتعلق بالملوك للتاديب بالنحو ثم ترك ذلك * (ومنهم أبو محمد طارق بن موسى بن يعيش المنصفي المخزومي) والمنصفي نسبة الى قرية بغربي بلنسية ويكنى أيضا أبا الحسن رحل قبل العشرين وخمسمائة فادى الفريضة وجاور بمكة وسمع بها من أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري ومن

الاموال فخالف أمره واساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسي بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم فقتال غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال

نحن قسي وقسا أبونا

وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي

قوما عن أرضهم عدنان طرا
وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس ابا رغال
بمكة اذ يسوق بها الوضينا

وفي ذلك يقول جرير بن زرارة العبدي

برأني ان ضعفت جبال قيس
وخالفت المرور على تميم
لأعظم من فجار أبي رغال
وأجور في الحكومة من سذوم

وقال مسكين الدارمي

وأرجم قبره في كل عام
كرجم الناس قبر أبي رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم في ذلك قال وفي طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهذيد نحو الثمامية موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال وللعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان وفي كتاب حدائق

الشريف

الشريف أبي محمد عبد الباقي الزهري المعروف بشقران أخذ عنه كتاب الاحياء للغزالي لمؤلفه وسمع بالاسكندرية من أبي بكر الطرطوشي وأبي الحسن بن مشرف وأبي عبد الله الرازي وأبي طاهر السلفي وغيرهم ثم قفل الى بلاده فحدث وأخذ الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا فاضلا عالي الرواية ثقة قال ابن عباد لم أر أفضل منه وكان مجاب الدعوة وحدث عنه بالسماع والاجازة جماعة منهم أبو الحسن بن هذيل وأبو محمد القلني وأبو مروان بن الصيقل وأبو العباس الاقليشي وأبو بكر بن جمرة وابن سعد الخير وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي وأبو بكر ابن جزي وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق مع صهره أبي العباس الاقليشي وأبي الوليد بن خيرة الحافظ سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وقد نيف على السبعين فأقام بمكة مجاورا الى أن توفي بها عن سن عالية رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وخمسمائة: (ومنهم محمد بن ابراهيم ابن مزين الاودي) من أهل اكشونبة غربي الاندلس يكنى أبا مصر ولاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة وذلك في المحرم سنة سبعين ومائة وأقام أشهرا ثم استعفى فأعفاه ورحل حاجا فأدى الفريضة وسمع في رحلته امامنا مالك بن أنس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين ومائة وذكره ابن شعبان في الرواة عن مالك وحكى انه روى عنه من قطع لسانه استرق به عاما وأن مالكا قال له قد بلغني أن بالاندلس من يقطع لسانه فان لم يمت أقيد منه؟ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد حياز الشاطبي الاوسي) قدم مصر وكان أخذ عن ابن برطله وابن البراء وغيرهما وعمل فهرست شيوخه على حروف المعجم وحج وعاد الى بلده ومات يوم الجمعة حادي عشر رجب سنة ثماني عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى وغفر له (ومنهم القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الاندلسي الاشبيلي) قال أبو شامة هو من بيت كبير بالاندلس يعرف ببني الباجي مشهور كثير العلماء والفضلاء وأصلهم من باجة القيروان وليس منهم القاضي أبو الوليد الباجي الفقيه فانه من بيت آخر من باجة الاندلس وقدم أبو مروان حاجا من بلاده في البحر الى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية وجده الاعلى أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي قدم الى الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد أخو عبد الملك ويعرف بصاحب الوثائق وسمع بها من جماعة من العلماء وذكر أبو عبد الله الحميدي أحمد بن عبد الله هذا في المقتبس وكناه أبا عمر وذكر انه من كبراء اشبيلية وأثنى عليه كثيرا وقال مات في حدود الاربعمائة وروى عنه ابن عبد البر وغيره وأبوه عبد الله بن محمد ابن علي يعرف بالرواية ذكره الحميدي أيضا وذكر ابن بشكوال في الصلة عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان هذا الشيخ أبو مروان حسن الاخلاق فاضلا متواضعا خاشعا وسمعته يقول وقد سئل اعارة شئ فبادر اليه ثم قال عندي في قوله تعالى ويمنعون الماعون هو كل شئ واستفدنا من هذا الشيخ فائدة جليلة وهي معاينة نعل مولانا النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى وعاينت بذلك المثال الذي بدمشق حينئذ

الاذهان وفي أخبار أهل البيت رضي الله عنهم فكان ملك ابرهة على اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدد وسنذكر بعد هذا في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جوامع تاريخ العالم وتاريخ الانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى (ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده يكسوم) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة (ثم ملك بعده مسروق ابن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه في الاذى وكانت أمه من آل ذي يزن وكان سيف بن ذي يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فأقام ببابه سبع سنين وأبى أن ينجده وقال أنتم يهود والحبشة نصارى وليس في الديانة أن ينصر المخالف على الموافق فمضى الى كسرى أنوشروان فاستنجده ومت اليه بالقرابة وسأله النصرة فقال له كسرى وسائل

وهو الكيل الكبير فوجد مدنا سع صاعين الا يسيرا ووجدته ممسوحا يسع صاعا ونصفا وشيأ فيكون مدان ممسوحان ثلاثة آصع زائدة وقرأت فى كتاب المحلى لابن حزم قال أبو محمد وخرج لى يد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن على الباجى وهو عند أكثرهم لا يفارق داره أخرجه الى ثقتى الذى كلفته ذلك على بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن على المذكور وذكر انه مد أبيه وان جده أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد وأخبره أحمد بن خالد انه خرطه على مد يحيى بن يحيى على مد مالك قال أبو محمد ولا شك ان أحمد بن خالد صححه أيضا على مد محمد بن وضاح الذى صححه بن وضاح بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام قال ابو محمد ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحدا ونصف رطل بالفلفلى لا يزيد حبة وكلته بالشعير الا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصف أوقية وسألت عن الرطل الفلفلى فقيل لى هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفى تقدير ابن حزم نظر وتوفى هذا الشيخ بالقاهرة سنة خمس وثلاثين وستمائة بعد رجوعه من الحج رحمه الله تعالى انتهى كلام أبى شامة وبعضه بالمعنى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الواعظ الاشبيلى ثم المصرى) فاضل شرح الصدور بلفظه ومتكلم أحيا القلوب بوعظه أحواله مشهورة ومجالسه بالذكر معمورة وله معرفة بالادب وخبرة بالشعر والخطب وكلام وجيه حسن ونظم بما أربه على كثير من أرباب اللسن قاله ابن حبيب الحلبى قال وهو القائل

من أنت محبوبه من ذا يغيره * ومن صفوت له من ذا يكدره
هيهات عنك ملاح الكون تشغلنى * والكل أعراض حسن أنت جوهره

وقال

اكشف البرقع عن بكر العقار * واجل لى ليلك مع شمس النهار
وانهب العيش ودع منغلطا * ينقضى ما بين هتك واستتار
ان تكن شيخ خلاعات الصبا * فالبس الصبوة فى خلع العذار
وارض بالعار وقل قد آن لى * فى هوى خمار كاسى لبس عار

وقال

حثوا الى نجد نياق الهوى * فثم واد جوه معشب
وانتظروا حتى يلوح الحمى * فالعيش فيه طيب طيب

وتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبها حصل لى شك هل هو ممن ارتحل بنفسه من الاندلس أو ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه والله تعالى أعلم وكذا ذكر آخر يقول فى سنة سبع وثمانين وستمائة وبها توفى الامام زكى الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن على الاشبيلى المالكى محدث عالم زاهد فيما ليس بدائم كثير الخير جزيل الميز كان حسن المناهج فاضيا للعوائج محسنا الى الصامت والمعرب مقصدا لمن يرد من الحجاز والمغرب سمع بمصر ودمشق وحلب وأفتى ودرس مفيدا لذوى الطلب ولم يبرح يعين باياديه ويغيث وهو أول من باشر بظاهرية دمشق مشيخة الحديث وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين سنة انتهى * (ومنهم اللاحق بالسبق والتقدم تقى بن

هذه القرابة التى أدليت بها الى فقال أيها الملك الجليل وهى الجلدة البيضاء اذ كنت أقرب اليك منهم فوعده أنوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذى يزن فاتى ابنه معديكرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سئل عن حاله قال لى قبل الملك ميراث فوقف بين يدى أنوشروان فسأله عن ميراثه فقال أنا ابن الشيخ الذى وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهرز الاصبهبذ الديلمى فى أهل السجون فقال ان نجوا فلنا وان هلكوا فلنا كلا الوجهين فحملوا فى السفن ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم حتى أتوا ابلة البصرة وهى برج البحر ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا الى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب فخرجوا من السفن وقد كان أصحب معهم فى البحر ما هم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلموا انه الموت ولا وجه يولون الدبر اليه فيجهدون أنفسهم وفى ذلك يقول رجل من حضرموت

أصبح من مثوب ألف فى الجنن * من رهط ساسان ورهط مهرين ليخرجوا السودان من أرض اليمن * دلهم قصد السبيل ذو يزن

مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي الحافظ أحد الاعلام وصاحب التفسير والمسند) أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقي الكبار وسمع بالحجاز مصعبا الزهري وابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة وبدمشق ابراهيم بن هشام الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة وببغداد أحمد بن حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحماني ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبا بكر بن أبي شيبة وطائفة وبالبصرة أصحاب حماد بن زيد وعني بالاثر عناية عظيمة لامزيد عليها وعدد شيوخه مائتان وأربعة وثلاثون رجلا وكان اماما زاهدا صوّاما صادقا كثير التهجد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يفتي بالاثر ولد في رمضان سنة احدى ومائتين وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين قال ابن حزم أقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقي بن مخلد الاندلس بمصنف ابن أبي شيبة وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأي مافيه من الخلاف واستبشعوه وقام جماعة من العامة عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير محمد واياهم وتصفح الكتاب جزأ جزأ حتى أتى على آخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا وقال لبقي انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له قال ابن حزم مسند بقي روى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ممن دونهم أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور ثم ذكر تفسيره فقال فصارت تصانيف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان جاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي وذكر القشيري أن امرأة جاءته فقالت له ان ابني قد أسرته الفرنج واني لا أنام الليل من شوقي اليه ولي دويرة أريد أن أبيعها لافتكه بها فان رأيت ان تشير الى من يأخذها ويسعى في فكاكه فليس لي ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار فقال نعم انصرفي حتى ننظر في ذلك ان شاء الله تعالى وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت اسمع خبره يرحمك الله تعالى فقال كيف كان أمرك فقال اني كنت فيمن يخدم الملك ونحن في القيود فبينما انا ذات يوم أمشي اذ سقط القيد من رجلي فأقبل على الموكل بي فشتمني وقال فككت القيد من رجليك فقلت لا والله ولكن سقط ولم أشعر فجاؤا بالحداد فأعاده وسمر مسماره وأبده ثم قمت فسقط أيضا فسألوا رهبانهم فقالوا ألك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤها لك فأطلقوه فأطلقوني وخفروني الى أن وصلت الى بلاد الاسلام فسأله بقي عن الساعة التي سقط القيد من رجليه فيها فاذا هي الساعة التي دعا له فيها فرحمه الله تعالى :: (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الازدي المعروف بالمغامي) من أهل قرطبة وأصله من طليطلة وهو من ذرية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وروى عن عبد الملك

في شعر له طويل وتماخبرهم الى ملك اليمن مسروق بن ابرهة فاتاهم في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس وتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقوهم الحرب واستشعروا الصبر ثم نظر الى ملكهم وقد نزل عن الفيل وركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لاصحاب السفن فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل من كبير الى صغير وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة في ناجه بعلاق من الذهب تضيء كالنار فرمى وهرز ورمى القوم وقال وهرز لاصحابه قد رميت ابن الحمارة فانظروا ان كان القوم يجتمعون عليه ويتفرقون عنه فقد هلك فنظروا اليهم يجتمعون ويتفرقون عنه فاخبروه بذلك فقال احملوا على القوم واصدقوهم فانكشفت الحبشة واخذهم السيف ورفع رأس مسروق ورؤس خواص الحبشة ورؤسائهم وقتل منهم نحو ثلاثين ألفا وقد كان انوشروان اشترط على معديكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفي ذلك يقول الشاعر

ابن حبيب مصنفاته وارتحل الى مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسي وعاد الى الاندلس وكان فقيها نبيلا فصيحا بصيرا بالعربية ثم بعد عوده من مصر أقام بقرطبة أعواما ثم عاد الى مصر وأقام بها وسمع الناس منه وعظم أمره بالبلاد المشرقية ثم انه عاد الى المغرب وتوفى بالقيروان سنة ثمان وثمانين ومائتين وبين عصر الواضحة لابن حبيب وصنف شيأ فى الرد على الشافعية فى عشرة أجزاء وألف كتاب فضائل مالك رضى الله تعالى عنه والذى يرتضى أن من قلد اماما من المجتهدين لا ينبغى له أن يغض من قدر غيره وان كان ولا بد من الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الائمة رضى الله تعالى عنهم فانهم على هدى من ربهم وقد حمل بعض الناس حمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز فى حق العلماء الذين هم نجوم الهدى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد حكى أبو عبد الله الوادى آشى حسبما رأيته بخطه أن القاضى عبد الوهاب بن نصر البغدادى المالكى ألف كتابا النصرة لمذهب مالك على غيره من المذاهب فى مائة جزء وسماه النصرة لمذهب امام دار الهجرة فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر فغرقه فى النيل فقضى الله تعالى أن السلطان فرج بن برقوق سافر الى الشام ومعه القضاة الاربعة وغيرهم من الاعيان لدفع تيمورلنك عن البلاد فلم يستطع شيأ وهزم الى مصر وتفرقت العساكر وأخذ القضاة والعلماء أسارى ومن جملتهم ذلك القاضى فبقى فى أسر تيمورلنك الى أن ارتحل عن الشام فأخذه معه أسيرا الى أن وصل الى الفرات فغرق فيه أعنى القاضى فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب تغريقه الكتاب المذكور والجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم وقد نجى الله تعالى من هذه الورطة قاضى القضاة أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المالكى صاحب كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر فانه كان من جملة القضاة الحاضرين فى الهزيمة فلما أدخلوا على تيمورلنك قال لهم ابن خلدون قدمونى للكلام تنجوا ان شاء الله تعالى والا فأنتم أخبر فقدموه وعليه زى المغاربة فلما رآه تيمورلنك قال له ما أنت من هذه البلاد وتكلم معه بحليه ابن خلدون بلسانه وكان آية الله الباهرة ثم قال لتيمورلنك انى ألفت كتابا فى تاريخ العالم وحليته بذكرك أو كما قال ونقل ان تيمورلنك هو الذى قال له بلغنى انك ألفت كتابا فى تاريخ العالم ثم قال له تيمورلنك كيف ساغ لك أن تذكرنى فيه وتذكر بختنصر مع أنا خربنا العالم فقال له ابن خلدون أفعالكما العظيمة ألحقتكما بالذكر مع ذوى المراتب الجسيمة أو نحو هذا من العبارات فأعجبه ذلك وقيل انه لما أنس بابن خلدون قال له ياخوندما أسنى الاعلى كتاب ألفته فى التاريخ وأنفقت فيه أيام عمرى وقد تركته بمصر وان عمرى الماضى ذهب ضياعا حيث لم يكن فى خدمتك وتحت ظل دولتك والآن أذهب فآتى بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت فى خدمتك ونحو هذا من الكلام فاذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلماء انه لم ينج من يد ذلك الجبار أحد من العلماء غير ابن خلدون ورجل آخر وقد ذكر ذلك ابن عرب شاه فى عجائب المقدور وقد طال عهدى به فليراجع وحكى غير واحد أن تيمورلنك لما أخذ حلب على الوجه المشهور فى كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته فى التعنت قتل

لى ان ينتهوا النسوان منهم * وان لا ننتهوا فى الفارسينا فتوج وهرز معديكرب بتاج كان معه وتفازات من الدرة ألبسه اياها ورده فى ملكه على اليمن وكتب الى انوشروان بالفتح وخلف هنالك جماعة من أصحابه وكان جميع ما ملك الحبشة اليمن اثنين وسبعين سنة وكان ملك مسروق بن ابرهة الى ان قتل ثلاث سنين وملك خمس وار بعين حلت من ملك انوشروان واتت سعد بعرب الوفود من العرب تهنئه بالملك وبامر عبد المطلب وجد امية بن ابى الصلت وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفوده على ابن ذى يزن فى هذا الكتاب فيما بعد وساقيل من الشعر فى مسير الفرس الى اليمن ونصرهم على الحبشة قول بعض اولاد فارس نحن خضنا البحار حتى فككنا حميرا من بلية السودان بالليوث من آل ساسان شوس يمنعون الحريم بالمران وسمر بواتر تتلالا كسنى البرق فى ذرا الابدان وقتلنا مسروق اذ ناه لما أن تداعت قبائل الحبشان ودلفنا بالقوم بين عديه يدشابه الفتى الساسانى وهرز الديلمى لما رآه * رابط الجأش ثابت الاركان سنا

منا ومنكم جماعة فمن الذى فى الجنة قتلانا أو قتلاكم وكان مراده ان يتسبب لقتلهم لانهم ان قالوا أحد الامرين هلكوا فقال بعض العلماء وأظنه ابن الشحنة دعونى اجيبه والا هلكتم فتركوه فقال له يا خوندهذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فغضب وقال كيف يمكن أن نجيب عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لم نكن فى زمانه أو كلاما هذا معناه فقال العالم المذكور روينا فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليذكر ويرى مكانه من الذى فى الجنة فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الذى فى الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم فعجب تيمورلنك من هذا الجواب المفحم الذى سكت دحواه أن يجيب منه فان هذه الاجوبة التى يعمل نظيرها ويها الخلاص على كل حال بالانصاف وندعو الله تعالى هذا العالم الجليل حتى تخلص على يده أولئك الاقوام من الطاغية الجبار العنيد الذى جعل الله تعالى فتنته فى الاسلام وفتنة جنكزخان وأولاده من أعظم الفتن التى دهى بها المسلمون وذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على تيمورلنك قال له دعنى أقبل يدك فقال ولم فقال له لانها مفاتيح الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة أقاليم وأصابع يده خمسة لكل أصبع اقليم وهذا أيضا من دهاء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود فى هذه الترجمة لمصرف العنان والله سبحانه المستعان * (ومن الراحلين من الاندلس الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله تعالى) قال الفتح شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبى صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله تعالى لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه فى كل علم وافر النصيب ياسر المعلى والرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لابس برد من العمر الغض فروى وقيد ولقى العلماء واسند وأبقى تلك الماسر وخلد نشأ فى بيئة كريمة وأرومة من الشرف غير مرومة لم تزل فيها على وجه الزمان أعلام علم وأرباب مجد صخم قد قيدت مآثرهم الكتب واطلعتهم التواريخ كالشهب وما زال الفقيه ابو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها و يقيد شوارد المعانى وغرائبها لا يتصلاعه بالادب الذى احكم اصوله وفروعه وعمر بره من شبيبته ربوعه و رزقه تبريز الجواد المستولى على الامد وجلى من نفسه كما جلى الصقال عن النصل البرد وشاهد ذلك ما ثبت من نظمه الذى يروق جملة وتفصيلا ويقوم على قوة العارضة دليلا فمن ذلك قوله يحذر من خطار الزمان ويحث على التحفظ من الانسان

كن بذئب صائده متأنسا * واذا ابصرت انسانا ففر
انما الانسان بحر ماله * ساحل فاحذره اياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد * ثم كن من ذلك الشخص حذر

وله فى الزهد

ايها المطرود من باب الرضا * كم يراك الله تلهو معرضا
كم الى كم انت فى جهل الصبا * قد مضى عمر الصبا وانقرض
فاذا الليل دجت ظلمته * واستلذ الجفن ان يغتمضا

وحوينا بلاد قحطان قسرا * ثم سرنا الى ذرا غمدان فنعمنا به بكل سرور * ومنا على بنى قحطان

وفى ذلك يقول [illegible] عدح ابناء العجم ويذكر فضل الفرس على العرب لانه من قحطان

فكم لكم من يدير كوا شئنا بها
[illegible] على الزمن
ان [illegible]
[illegible]

ولابد كانوا حكموا على اليمن
ايام حلى انوشروان حكمهم
[illegible] الذل عن سيف بن ذى يزن
اذ لاثر الحرون الفرس داهيه
بالسيف والقعص عن سحنا وعن عدن
[illegible] والمعم [illegible]
وكم [illegible]
من فارس لم يفصل الطول والمن

(قال المسعودى) وأتت معد بن عدنان وفود العرب تهنيه بعود الملك اليه وأشراف العرب وزعماؤها وفيهم عبد المطلب ابن هاشم [illegible]
[illegible]
[illegible] بن قصى ووفد امية بن ابى الصلت الثقفى وقيل ابو الصلت [illegible] فدخلوا اليه وهو فى اعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان وهو متضمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفه بين يديه وعلى يمينه ويساره الملوك وابناء

فصح الجدع على الارض ونخ * واقرع السن على ما قد مضى

وله في هذا المعنى

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعى فلا اجيب
كم اعادى على ضلال * لا أرعوى لا ولا أنيب
ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيري ولا أتوب
واسوء كيف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب
لو كنت ادنو لكنت أشكو * ما أنا من بابه قريب
أبعدني منه سوء فعلي * وهكذا يبعد المريب
مالي قدر ولا قدر * لمن أحلت به الذنوب

وله في هذا المعنى أيضا

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بانك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

وله في مثل ذلك

اذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي اذا من صومي الجوع والظما * وان قلت انى صمت يوما فما صمت

وله في المعنى الأول

رجوت أناسا كنت آلف وصلهم * وما في الجماعة الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولا شيء أشفى للنفوس من الياس
فلا تعذلوني في انقباضي فانني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس

وله يعاتب بعض اخوانه

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم تستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل

وأما شعره الذي اتسع فيه من مرح الشباب وعقاره وكلامه الذي وشحه بمآرب الغزل وأوطاره فانه نسي الى ما ناساه وتركه حين كساه العلم والورع من ملابسهما ما كساه فما وقع من ذلك قوله

كيف السلو ولي حبيب هاجر * قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى أن الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله أيضا

يا من عهودي له تراعى * أما على عهدك الوثيق
ان شئت أن تسمعي غرامي * من مخبر عالم صدوق
فاستخبري قلبك المعنى * يخبرك عن قلبي المشوق

انتهى كلام الفتح وأبو بكر بن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية

المعاول وتكلمت الخطباء وسمت الزعماء وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم فقال عبد المطلب ان الله
جل جلاله قد أحلك أيها
الملك محلا رفيعا صعبا
منيعا شامخا باذخا وأنبتك
منبتا طابت ارومته
وعزت جرثومته وثبت
اصله وبسق فرعه في
أكرم معدن وأطيب
موضع وموطن فانت أبيت
اللعن رأس العرب وربيعها
الذي يخصب له وانت أيها
الملك ذروة العرب الذي
له ينقاد وعمودها الذي
عليه العماد ومعقلها الذي
يلتجئ اليه العباد سلفك
خير سلف وانت لنا منهم
خير خلف فلن يخمد ذكر
من انت سلفه ولن يهلك
من انت خلفه ايها الملك
نحن اهل الله وسدنة بيته
أشخصنا اليك الذي ابهجنا
من كشف الكرب فرحا
ونحن وفد التهنئة لا وفد
الرزية فقال له الملك وأيهم
انت أيها المتكلم قال انا
عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف فقال الملك
معد يكرب بن سيف ابن
اختنا قال نعم قال أدنوه مني
فادناه ثم اقبل عليه وعلى
الوفد فقال لهم مرحبا واهلا
وناقة ورحلا ومستناخا
سهلا وملكا ربحلا يعطي
عطاء جزلا قد سمع الملك
مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم

صاحب

صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى الجميع قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه الشيخ الامام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب حسن التقييد له نظم ونثر ولي قضاء المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمم بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة روى عن أبيه وأبوي علي الغساني والصدفي وطبقتهما وألف كتابه الوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع وطار بحسن نيته كل مطار وبرنامجا ضمنه مروياته وأسماء شيوخه حرر وأجاد ومن نظمه يندب عهد شبابه

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في * ريعانه وليالي العيش أسحار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض في تضمير شرتها * طرفا له في زمان اللهو احضار
عهدا كريما لبسنا فيه أردية * كانت عيانا ومحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسى * كوني سلاما وبردا فيه يا نار
أبعد أن نعمت نفسي وأصبح لي * ليل الشباب لصبح الليل اسفار
وقارعتني الليالي فانثنت كسرا * عن ضيغم ما له ناب وأظفار
الاسلاح خلال أخلصت فلها * في منزل المجد ايراد واصدار
أصبو الى روض عيش روضه خضل * أو ينثني بي عن العلياء اقصار
اذا فعلت فلا كفي من شباب علم * آثاره في رياض العلم أزهار

مولده سنة احدى وثمانين وأربعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بلورقة قصد مورقة يتولى قضاءها فصد عن دخولها وصرف منها الى لورقة فتوفي بها رحمه الله تعالى انتهى وقال الفتح في حقه ما نصه وفتى العمر كهل العلاء حديث السن قديم السناء لبس الجلالة بردا ضافيا وورد ماء الاصالة صافيا وأوضح للفضل رسما عافيا وثنى من ذهنه للاغراض فنا وصدا وجعل فهمه شهابا رصدا سما الى رتب الكهول صغيرا وشن كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا فبناها معنى وفصلا وحواها فرعا وأصلا وله أدب يسيل رضراضا ويحيل الفاظا مبتدعة وأغراضا وقال فيه أيضا نبعة دوح العلاء وحرز لابس الثناء بدا الجلالة وواحد العصر والاصالة وقار كما رسا الهضب وأدب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض وتبادر الظن به الى شرف الاغراض سابق الامجاد فاستولى على الامد بعبابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعب في السودد جاهدا فتى تناول الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله أثره في كل معرفة علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو منار وقد أثبت من نظمه المستبدع ما ينفح عبيرا ويتضح منيرا فمن ذلك قوله من قصيدة

وليلة جبت فيها الجذع مرتديا * بالسيف أسحب أذيالا من الظلم

والحباء اذا ظعنتم ثم قام أبو زمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقفي فانشأ يقول
ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن
في لجة البحر اجوالا وأحوالا
حتى أتى ببني الاحرار يحملهم
تخالهم في سواد الليل أجبالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسلت اسدا على سود الكلاب فقد
أمسى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا
في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
ولمعديكرب بن سيف بن ذي يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن أخبره بها من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشربه عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحباهم جميع الوفد وانصرفوا وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان فاغنى عن اعادته ووصفه (قال المسعودي) وأقام معديكرب بن سيف بن ذي يزن ملكا

والنجم حيران في بحر الدجى غرق * والبرق في طيلسان الليل كالعلم

كأنما الليل زنجي بكاهله * جرح فيثعب أحيانا له بدم

انتهى المقصود منه وهو اعنى ابابكر احد مشايخ عياض حسبما المعت به في ازهار الرياض *(ومنهم شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح) بالحاء المهملة ابن احمد بن محمد الامام الحافظ الزاهد بقية السلف اللخمي الاشبيلي الشافعي أسره الافرنج سنة ست واربعين وستمائة وخلص وقدم مصر سنة بضع وخمسين وقيل انه تمذهب للشافعي وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصاري الحموي والمعين أحمد بن زين الدين واسمعيل بن عزوز والنجيب بن الصيقل وابن علاق وبدمشق من ابن عبد الدائم وحلق وعني بالحديث واتقن ألفاظه وعرف رواته وحفاظه وفهم معانيه وانتقى لبابه ومبانيه قال الصفدي وكان من كبار أئمة هذا الشان وممن يجري فيه وهو طلق اللسان هذا الى مافيه من ديانة وورع وصيانة وكانت له حلقة اشتغال بكرة بالجامع الاموي يلازمها ويحوم عليه من الطلاب حوائمها سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه وروى في تصانيفه عنه وعرضت عليه مشيخة دار الحديث النورية فاباها ولم يقبل حباها وكان بزي الصوفية ومعه فقاهة بالشافعية ولم يزل على حاله حتى أحزن الناس ابن فرح وتقدم الى الله وسرح وشيع الخلق جنازته وتولوا وضعه في القبر وحيازته وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وستمائة ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة وله قصيدة غزلية في ألقاب الحديث سمعها منه الدمياطي واليونيني وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنابلسي وأبو محمد بن الوليد ومات بتربة أم الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة هي

غرامي صحيح والرجا فيك معضل * وحزني ودمعي مطلق ومسلسل
وصبري عنكم يشهد العقل أنه * ضعيف ومتروك وذلي أجمل
ولا حسن الاسماع حدثكم * مشافهة يملى على فانقل
وأمري موقوف عليك وليس لي * على أحد الاعليك المعول
ولو كان مرفوعا اليك لكنت لي * على رغم عذالي ترق وتعدل
وعذل عذولي منكر لا أسيغه * وزور وتدليس يرد ويهمل
أقضي زماني فيك متصل الاسى * ومنقطعا عما به أتوصل
وها أنا في أكفان هجرك مدرج * تكلفني مالا أطيق فأحمل
وأجريت دمعي بالدماء مدبجا * وماهو الا مهجتي تتحلل
فمتفق سهدي وجفني وعبرتي * ومفترق صبري وقلبي المبلبل
ومؤتلف شجوي ووجدي ولوعتي * ومختلف حظي ومامنك آمل
خذ الوجد عني مسندا ومعنعنا * فغيري موضوع الهوى يتحيل
وذي نبذ من مبهم الحب فاعتبر * وغامضه ان رمت شرحا أطول
عزيز بكم صب ذليل لغيركم * ومشهور أوصاف المحب التذلل

على اليمن واصطنع عبيدا من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب في بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء ولما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وسبعين سنة (قال المسعودي) وأما عبيد بن شرية الجرهمي حين وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتوارخ سنيها فانه ذكر ان أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده الحرث ابن شداد بن ملطاط بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الرائش وهو ابرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ملك بعده افريقس ابن ابرهة مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل ابن عمرو وهو ذو الصرح سنة ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ماقدمنا من أمر بلقيس ثم ملك بعده رحبعم بن

غرب

غريب يقاسي البعد عنك وماله * وحق الهوى عن داره متحوّل
فرفقا بمقطوع الوسائل ماله * اليك سبيل لا ولا عنك معدل
فلازلت في عز منيع ورفعة * ومازلت تعلو بالتجني فأنزل
أورى بسعدى والرباب وزينب * وأنت الذى تعنى وأنت المؤمل
فخذ أولا من آخر ثم أولا * من النصف منه فهو فيه مكمل
ابرإذا أقسمت أنى بحبه * اهيم وقلبى بالصبابة يشعل

وقد ذكرت شرحها فى الجزء الثلاثين من تذكرتى انتهى كلام الصفدى وظاهر كلامه انه ابن فرح بفتح الراء والذى تلقيناه عن شيوخنا انه بسكون الراء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وهى وحدها دالة على تمكن الرجل رحمه الله تعالى * (ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الاصبغ الاموى الاندلسى) سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرها وحدث عن سليمان بن أحمد بن يحيى بسنده الى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل بنى أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحدث عن أبى العباس أحمد بن محمد البرذعى بسنده الى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله قد رأيت منك عجبا قال نعم أنا صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وولد أبو الاصبغ المذكور بقرطبة وتوفى ببخارى سنة ٣٦٥ قال الحاكم أبو عبد الله رأيت أبا الاصبغ فى المنام فى بستان فيه خضرة وماء وجارية وفرش كثيرة وكانى أقول انه له فقلت يا أبا الاصبغ بماذا وصلت اليه أبالحديث فقال اى والله وهل نجوت الا بالحديث قال ورأيته أيضا وهو فى شئ يرى أحسن ما يكون فقلت أنت أبو الاصبغ فقال نعم قلت ادع الله تعالى ان يجمعنى واياك فى الجنة فقال ان أمام الجنة أهوالا ثم رفع يديه وقال اللهم اجعله معى فى الجنة بعد عمر طويل انتهى * (ومنهم القاضى أبو البقاء خالد البلوى الاندلسى رحمه الله تعالى) وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أبى خالد البلوى ووصفه الشاطبى بانه الشيخ الفقيه القاضى الاعدل انتهى وهو صاحب الرحلة المسماة تاج المفرق فى تحلية أهل المشرق ومما أنشده رحمه الله تعالى فيها لنفسه

ولقد جرى يوم النوى دمعى دما * حتى أشاع الناس أنك فانى
والله ان عاد الزمان بقربنا * لكففت عن ذكر النوى وكفانى

وهذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والآداب مالا يتجاوزه الرائد وقد قال رحمه الله تعالى فيها فى ترجمة الولى نجم الدين الحجازى رضى الله تعالى عنه مانصه وذكر لى رضى الله تعالى عنه قال مما وصى به الجد الاكبر أبو الحجاج يوسف المذكور يعنى سيدى أبا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الاقصرى القطب الغوث رضى الله

بن يعفر بن عمرو وذى الاذعار خمسا وثلاثين سنة وقد قيل فى تسميته ذا الاذعار خبر تاباه العقول وتنكره النفوس كون مثله فى العالم ويجوز كون ذلك فى المقدور وانه انما سمى ذا الاذعار لانه وصل الى قوم فى اقاصى مفاوز اليمن وحضرموت مشوهى الخلقة بخبى الصورة وجوههم فى صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك ادعرهم ماشاهدوا من ذلك وجزعت منه نفوسهم فسمى ذا الاذعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته * ثم ملك بعده عمرو ابن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة ثم ملك بعده من ولده كليكرب ابن تبع وهو تبع أبو كرب أسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده كلال بن سويب أربعا وسبعين سنة ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع ثم ملك بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ثلاثا وسبعين سنة ثم ملك بعده ذوشناتر بن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة ثم ملك بعده حنيفة ويعرف بذى الشناتر أربعا وثمانين سنة فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شرية

تعالى عنه وعادت الناس بركاته وخواصه وأصدقائه قال اذا أدركتم الضرورة والفاقة فقولوا احسبي الله ربي الله يعلم انني في ضيق قال وذكرلي أيضا رضي الله تعالى عنه قال رأى هذا الحمد بوسف المذكور النبي صلى الله عليه وسلم في النوم بعد ان سأل الله تعالى ذلك وقد كان اصابته فاقة فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يارب يارحيم يارب يارحيم الطف بي في قضائك ولا تولِ أمري أحدا سواك حتى الفاك فلما قالها اذهب الله تعالى عنه فاقته قال وكان رحمه الله تعالى يوصي بها أصحابه وأحبابه انتهى ونسب بعضهم القاضي خالدا المذكور الى انتحال كمال العماد في البرق الشامي لان خالدا أكثر في رحلته من الاسجاع التي للعماد فلذا قال لسان الدين بن الخطيب فيه

خليلي ان بقض اجتماع بخالد * فقولا له قولا وان تعدوا الحقا
سرقت العماد الاصبهاني برته * وكيف ترى في شاعر سرق البرقا

وأظن أن لسان الدين كان منحرفا عنه ولذلك قال في كتابه خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف عند ماجرى ذكر قتورية وقاضيها خالد المذكور ماصورته لم تخلف ولده عن والد وركب قاضيها ابن أبي خالد وقد شهرته النزعة الحجازية ولبس من خشن الحجازية وأرخى من البياض طيلسانا وتشبه بالمشارقة شكلا ولسانا والبداوة تسمه على الخرطوم وضبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم انتهى ومن نظم أبي البقاء خالد البلوي المذكور قوله

اتى العيد واعتاد الاحبة بعضهم * ببعض وأحباب المتيم قد بانوا
وضحى وقد ضحوا بقرباهم وما * لديه سوى جمر المدامع قربان

وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهة على تونس في عيد النحر من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ومن نظمه أيضا قوله رحمه الله تعالى

ومستنكر شيبي وماذهب الصبا * ولاجف اينا ع الشبيبة من غصني
فقلت فراقي للاحبة مؤذن * بشيبي وان كنت ابن عشرين من سني

ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وفي الرحلة منها جملة (ومنهم برهان الدين أبو اسحق ابن الحاج ابراهيم النميري الغرناطي) وهو أيضا مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يغني عن تكرر اسمه هنا وقال رحمه الله تعالى في رحلته أخبرني شيخنا يعني الشيخ الامام الصالح أبا عبد الله محمد المعروف بخليل التوزري امام المالكية بالحرم الشريف رضي الله تعالى عنه قال اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كما الشرني عن الناس خصوصا أذى الغيبة نحو خمسين ليلة أردت أن أدعو لطائفة من أصحابي بمطالب مختلفة كل بحسب ظني فيه يومئذ فادركتني حيرة في التمييز والتخصيص فالهمت أن قلت بديهة

شهدنا بتقصير ألبابنا * فحسن اختيارك أولى بنا
وأنت البصير باعدائنا * وأنت البصير باحبابنا

قال ثم أردفته بدعاء وهو اللهم يامن لا يعلم خيره الا هو أنت أعلم باعدائنا وأودائنا فافعل بكل

قتلت الحبشة معديكرب ابن سيف بن ذي يزن على حسب ماقدمنا في ترجمته بقصر ابهم كان بصنعاء خليه نه لوهرز في جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معديكرب فركب واتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من أرض فارس فاعلم وهرز بذلك الملك فسيره في البر في أربعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن وأن لا يبقى على احد من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط قد شرك السودان في نسبه فاتى وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن الى أن هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان ثم ملك بعده حوراد الشهر ثم ملك بعده ابن سيحان ثم ملك بعده المرزبان حرجسوا وكان من أهل بيت مملكة فارس ثم ملك بعده حرجس وكان مولده باليمن ثم ملك بعده باذان بن ساسان (قال المسعودي) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن

منهم ما يناسب حسن اختيارك لما حسبه اعلمه مني وكفى بك عليما وكفى بك قديرا وكفى بك بصيرا وكفى بك لطيفا وكفى بك خبيرا وكفى بك نصيرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا كثيرا * وقال ابن الحاج المذكور في الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف كهيعص حمعسق وليعقد بكل حرف منها اصبعا يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام يده اليسرى فاذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم فليكررها وكلما كررها ضم اصبعا من اصابعه المعقوده تجاه العدو فيكررها عشر مرات ويفتح جميع اصابعه فاذا فعل ذلك امن من شره ان شاء الله تعالى وهو مجرب انتهى ومن بديع نظم ابي اسحق بن الحاج النميري المذكور قوله

يارب كاس لم يسع شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من أشكالها * جئنا لانسبناه الى الزجاج

وله فيما اظن

لا شفقة اضاعوا الثغر فيها * بلثم حين سدت ثغر بدري
فما اشهى البي ما اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

وهو تضمين حسن * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق امام النحاة اثير الدين ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الاثري الغرناطي) قال ابن مرزوق الخطيب في حقه هو شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورة انتهت اليه رياسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث سمعت عليه وقرأت وانشدني الكثير واذا انشدني شيأ ولم اقيده استعاده مني فلم احفظه[٣] وانشدني وكنت اظنه لنفسه ارتجالا الى ان اخبرني أحد اصحابنا عنه انه اخبره انهما لابي الحسن التجاني انشدهما له ببيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى

ان الذي يروي ولكنه * يحفظ ما يروي ولا يكتب
كصخرة تنبع امواجها * تسقي الاراضي وهي لا تشرب

قال ورويت عنه تآليف ابن أبي الاحوص منها التبيان في أحكام القرآن والمعرب المفهم في شرح مسلم ولم أقف عليه والوسامة في أحكام القسامة والمشرع السلسل في الحديث المسلسل وغير ذلك وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر والكرخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب عن ابي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود وبسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن أبي حميد الدوسي عن ابي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي وبالموطأ عن ابي جعفر بن الطباع بسنده وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاية العداة فانشدني لنفسه

عداتي لهم فضل علي ومنة * فلا أذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها * وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وأنشدني أيضا من مداعباته وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله

رجل من ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وهو بعده من ملوك اليمن واسمه هينية بن أميم بن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم في اليمن وطالت أيامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال

وهينية الذي زادت قواه
على زيدان اذ حان الزوال
[illegible] فاغاوي طريقا
الى زيدان [illegible] لا [illegible]

ويقال انه عتبة بن اميم بن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار منهم آل ذي شعر وآل ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن الا الاسير منهم فانهم نزلوا ادرها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر اسود

يوم شيدت ظفار قيل لمن
أنت فقالت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي لفارس التجار
وقليلا ما يلبث القوم فيها
منذ شيدت مشيدها للبوار

من اسود يلقيهم البحر فيها

[٣] قوله فلم احفظه هكذا بالاصل ولعله محرف والاصل حتى احفظه اولا احفظه او نحو ذلك تامل

عاقته سحى اللون فادحه * ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا
قد صاغه من سواد العين خالقه * فكل عين اليه تدمن النظرا

وأنشدني في جاهل لبس صوفا وزهي فيه

أيا كاسيا من جيد الصوف نفسه * ويا عاريا من كل فضل ومن كيس
أتزهى بصوف وهو بالامس مصبح * على نعجة واليوم أمسى على تيس

انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب بن مرزوق وأنشد الرحالة بن جابر الوادي آشي لابي حيان قوله

وقصر آمالي مآلي الى الردى * وأني وان طال المدى سوف أهلك
فصنت بماء الوجه نفسا أبية * وجادت يميني بالذي كنت أملك

ووقفت على أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي فوجدت فيه ترجمة أبي حيان واسعة فرأيت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد وهي الشيخ الامام العالم العلامة الفريد الكامل حجة العرب مالك أزمة الادب أثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني بالجيم والياء آخر الحروف مشددة وبعد الالف نون كان أمير المؤمنين في النحو والشمس السافرة شتاء في اليوم الصحو والمتصرف في هذا العلم فاليه الاثبات والمحو لو عاصر أئمة البصرة لبصرهم او أهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد وحذرهم نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد ان كان طريدا وأصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيدا وجعل سرحة شرحه جنة رافت النواظر توريدا ملأ الزمان تصانيف وأمال عنق الايام بالتآليف تخرج به أئمة في هذا الفن وروق لهم في عصره منه سلافة الدن فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير حبيب او عيسى بن عمر لاصبح من تقصيره وهو محدب او الخليل لكان بعينه فداه او سيبويه لما تردى من مسئلة الزنبورية برداه او الكسائي لاعراه حلة جاهه عند الرشيد واناسه او الفراء لفرسه ولم يغتنم ولدا المأمون تقديم مداسه او اليزيدي لما ظهر نقده من مكامنه او الاخفش لاخفى جملة من محاسنه او أبو عبيدة لما تركه يعصب لشعب الشعوبية او أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلق بعربية او السكري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا او المازني لما زانه قوله ان مصابكم رجلا او قطرب لما دب في العربية ولا درج او ثعلب لا استكن بمكره في وكره ولما خرج او المبرد لاصبحت كوامه مغترة او الزجاج لانست قواريره مكسرة او ابن الوزان لعدم نقده او الثمانيني لما تم اوزنده او ابن باب لعلم ان قياسه ما اطرد او ابن دريد ما بلع ريقه ولا ازدرد او ابن قتيبة لاضاع رحله او ابن السراج لمشى اذ رأى وحله او ابن الخشاب لاضرم فيه نارا ولم يجد معه نورا او ابن الخباز لما سجر له تنورا او ابن القواس لما أغرق في نزعه او ابن يعيش لا وقعه في نزعه او ابن خروف لما وجد له مرعى او ابن اياز لما وجد لاوازه وقعا او ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا او الدباج لكان من حلته الرائعة عريا وعلى الجملة فكان امام النحاة في عصره شرقا وغربا وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا وفيه قلت

سلطان علم النحو استاذنا الشيخ اثير الدين حبر الانام

شعل النار في اعالي الديار وهذا الخبر عن ملوك تداولوها اخبروا عن ملكهم قبل كونه فتداولتها الملوك على حسب ما وصفنا وينتظر في المستقبل من الزمان ما ذكرناه من وقود النيران في اعالي الديار وعند اهل اليمن ان ديارهم سيغلب عليها الاحابش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن واحداث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عمال كسرى ثم جاء الاسلام فسر بحمد الله وقد اتينا على اخبار من ذكرناه من الملوك وسيرهم ومصافاتهم في البلاد وحروبهم وابنيتهم في سائر مصنفاتهم في الكتاب الاوسط فغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب وبلاد اليمن طويل عرضه حده يلي دلة الموضع المعروف بجدة المنسوب مراحل الى صنعاء ومن صنعاء الى عدن وهو آخر عمل اليمن مراحل ولمرحلة من خمسة اميال الى ستة والحد الثاني من حكم درجة الى ما بين مفاوز حضرموت وثمان عشرون مرحلة ويلي الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرناه انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة واسماء ملوك اليمن كذي يزن وذي نواس وذي منار وغير ذلك مضافة الى

فلا

فلا تقل زيد وعمرو فما * فى الحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشعبة الافانين ولم يزل على حاله الى ان دخل فى خبر كان وتبدلت حركاته بالاسكان وتوفى رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة فى يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس واربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلى عليه بالجامع الاموى بدمشق صلاة الغائب فى شهر ربيع الآخر ومولده بمدينة مطخشارش فى اخريات شوال سنة اربع وخمسين وستمائة وقال ابو الربيع يرثيه رحمه الله تعالى

مات أثير الدين شيخ الورى * فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا * واعتل فى الاسحار لما سرى
وصادحات الايك فى نوحها * رثته فى السجع على حرف را
يا عين جودى بالدموع التى * يروى بها ما ضمه من ثرى
واجرى دما فالخطب فى شانه * قد اقتضى أكثر مما جرى
مات امام كان فى فنه * يرى اماما والورى من ورا
أمسى منادى للبلى مفردا * فضمه القبر على ما ترى
يا أسفا كان هدى ظاهرا * فعاد فى تربته مضمرا
وكان جمع الفضل فى عصره * صح فلما أن قضى كسرا
وعرف الفضل به برهة * والآن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا * يطرق من وافاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه * وبين من أعرفه فى الورى
لا بدل عن نعته بالتقى * ففعله كان له مصدرا
لم يدغم فى اللحد الا وقد * فك من الصبر وثيق العرا
بكى له زيد وعمرو فمن * أمثلة النحو ومن ذا درا
ما أعقد التسهيل من بعده * فكم له من عسرة يسرا
وجسر الناس على خوضه * اذ كان فى النحو قد اسبحرا
من بعده قد حال غيره * وحظه قد رجع القهقرى
شارك من قد ساد فى فنه * وكم له فن به استاثرا
دأب بنى الآداب أن يغسلوا * بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه * والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده * يلحى الذى فى ضبطها قصرا
تفسيره البحر المحيط الذى * يهدى الى وراده الجوهرا
فوائد من فضله جمة * عليه فيها نفد الخنصرا
وكان ثبتا نقله حجة * مثل ضياء الصبح ان أسفرا
ورحلة فى سنة المصطفى * أصدق من يسمع ان أخبرا

غيرهم وتبيين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم واذ قد ذكرنا جوامع من اخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم للحوقهم بالين ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم)

ولما ماتت جذيمة الوضاح ات عليه الزباء بنت عمرو ابن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر وقد كان ملك من مشارق الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيق بين بلاد الخابور فهو قرقيسيا وقد كانت الزباء غلبت بعد ابيها واسمعت جذيمة فى نفسها الى ان قتلته واقام جذيمة ما كان من ملوك الطوائف خمسا وستين سنة وفى ملك أردشير بابك وسابور الجنود ابن اردشير ثلاثا وعشرين سنة فكان ملكه مائة سنة وثمان عشرة سنة وكان يكنى بابى مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سويد بن كاهل اليشكرى

ان اذى حتفى فقبلى ذاقه * طسم عاد وجديس ذوو السبع
وابو مالك القيل الذى * قتلته بنت عمرو بالخدع

له الاسانيد التي قد علت * فاستفلت عنها سوامي الذرا
ساوى بها الاحفاد اجدادهم * فاعجب لماض فاته من طرا
وشاعرا في نظمه مفلقا * كم حرر اللفظ وكم حبرا
لها معان كلما خطها * نستر مارقم في تسترا
أفديه من ماض لام الردى * مستقبلا من ربه بالقرى
مامات في أبيض أكفانه * الا وأضحى سندسا أخضرا
تصافح الحور له راحة * كم تعبت في كل ماسطرا
ان مات فالذكر له خالد * يحيابه من قبل أن ينشرا
جاد ثرى واراه غيث اذا * مساه بالسقى له بكرا
وخصه من ربه رحمة * توردة في حشره الكوثرا

وكان قد قرأ القراآت على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحوا من عشرين ختمة افرادا وجمعا ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر احمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة ثم قرأ السبعة الى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ ابي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن ابي الاحوص بمالقة ثم انه قدم الاسكندرية وقرأ القراآت على عبد النصير بن علي بن يحيى المربوطي ثم قدم مصر فقرأ بها القراآت على ابي الطاهر اسمعيل بن هبة الله المليجي وسمع الكثير على الجم الغفير بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية والاسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل الاجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه لاني لم أره قط الا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك وله اقبال على الطلبة الاذكياء وعنده تعظيم لهم ونظم ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لالفاظها وأما النحو والصرف فهو امام الناس كلهم فيهما لم يذكر معه في أقطار الارض غيره في حياته وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتفخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج وأسماؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيده وحرره وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلق بذلك وأجابه عنها وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت وقرئت ودريت ونسخت وما فسخت أخملت كتب الاقدمين وألهت المقيمين بمصر والقادمين وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء وكان التزم أن لا يقرئ أحدا الا ان كان في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك أو في تصانيفه ولما قدم من بلاده لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى كثيرا وأخذ عنه كتب الادب وكان شيخا حسن العمة مليح الوجه ظاهر اللون مشرب الحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها لم تكن كثة عبارته فصيحة بلغة الاندلس يعقد

اباه وهو اول من ملك الحيرة والله اعلم وكان يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الازد بن العوف ابن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق فبقي على مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحرث ابن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودارا لملكه واليه ينسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة وكان ملك عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودي) وقد ذكر غير واحد ممن عني باخبار العرب وايامها ان جذيمة اول من ملك من قضاعة وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لي عن غلام من اياد له ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسي والقيام على راسي لكان الراي قالوا الراي ماراى الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من انت قال انا عدي بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه

القاف قريبا من الكاف على انه لا ينطق بها في القرآن الا فصيحة وسمعته يقول ما في هذه البلاد من يقدح في القاف وكانت له خصوصية بالامير سيف الدين أرغون كافل الممالك ينبسط معه ويبيت عنده في قلعة الجبل ولما توفيت ابنته نضار طلع الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقوقية فأذن له في ذلك وكان أولا يرى رأي الظاهرية ثم انه تمذهب للشافعي رضي الله تعالى عنه بحث على الشيخ علم الدين العراقي المحرر للرافعي ومختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج الا يسيرا وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر بن الزبير بحث عليه من الاشارة للباجي ومن المستصفى للغزالي وعلى الخطيب أبي الحسن بن فضيلة وعلى الشيخ علم الدين العراقي وعلى الشيخ شمس الدين الاصبهاني وعلى الشيخ علاء الدين الباجي وقرأ شيأ من أصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ عليه شيأ من المنطق وقرأ أشياء من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي وقرأ عليه شيئا من الارشاد للعميدي في الخلاف ولكنه برع في النحو وانتهت اليه الرياسة والمشيخة فيه وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجسيم وكان أولا يعتقد في الشيخ شمس الدين بن تيمية وامتدحه بقصيدة ثم انه انحرف عنه لما وقف على كتاب العرش له قال الفاضل كمال الدين الادفوي وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصبه للامام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه التعصب المتين قال حكى لي انه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ان عليا رضي الله تعالى عنه عهد اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق أتراه ما صدق في هذا فقال صدق قال فالذين سلوا السيوف في وجهه يقاتلونه أو يحبونه وغير ذلك قال وكان يسيء الظن بالناس كافة فاذا نقل له عن أحد خبر لا يكيف به ويمشي عنه حتى عمن هو عنده مجروح فيقع في دم من هو بألسنة العالم ممدوح وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كبير منه ألم كثير انتهى قلت أنا لم أسمع منه في حق أحد من الاحياء والاموات الا خيرا وما كنت أنقم عليه شيئا الا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد على أني أنا ما سمعت في حقه شيئا نعم كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما يا سيدي وكيف تعمل في الشيخ أبي مدين فقال هو رجل مسلم دين والا من كان يطير في الهواء ولا صلى الصلوات الخمس في مكة كما يدعي فيه هؤلاء الاغمار وكان فيه رحمه الله تعالى خشوع يبكي اذا سمع القرآن ويجري دمعه عند سماع الاشعار الغزلية وقال كمال الدين الاذفوي وقال لي اذا قرأت اشعار العشق أميل اليها وكذلك اشعار الشجاعة تستميلني وغيرهما الا الاشعار الزهد ما تؤثر في انتهى قلت كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول لي أوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل ولا تحتج الى السفل وأنشدني من لفظه لنفسه

رجاؤك فلسا قد عدا في حبائلي * فنيصا رجاء للنتاج من العقم
أأتعب في تحصيله وأضيعه * اذن كنت معتاضا من البرء بالسقم

قلت والذي أراه فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه وتعب حتى حصل المناصب تعبا كثيرا وكان قد جرب الناس وحلب اشطر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل

فعشقته رقاش ابنة مالك اخت الملك فقالت يا عدى اذا سقيت القوم فامزج لهم وغرق للملك فاذا اخذت الخمر منه فاخطبني منه فانه يزوجك فأشهد القوم ان فعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فاشهد عليه وانصرف الغلام اليها فانباها فقالت عرس باهلك ففعل فلما أصبح غدا متضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ما هذه الآثار يا عدي قال آثار العرس قال أي عرس قال عرس رقاش فنخر وأكب على الارض ورفع عدي جراميزه وهرب وأسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدثيني رقاش لا تكذبيني
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد
أم بدون فأنت أهل لدون

فاجابته رقاش تقول

أنت زوجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والجنون

ونقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره واشتملت على حمل وولدت غلاما اسمته عمرا ووشحته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ثم ازارته خاله فأعجب به وألقيت عليه محبته ومودته حتى اذا خرج الملك ...

الحزم وسمعته غير مرة يقول يكفي الفقير في مصر اربعة أفلس يشتري له باثنة بفلسين وبفلس زيتا وبفلس كوز ماء ويشتري ثاني يوم ليمونا بفلس ياكل به الخبز وكان يعيب على مشتري الكتب ويقول الله يرزقك عقلا تعيش به انا اي كتاب اردته استعرته من خزائن الاوقاف واذا اردت من احد ان يعيرني دراهم ما اجد ذلك وانشدني له اجازة

ان الدراهم والنساء كلاهما * لا تأمنن عليهما انسانا
ينزعن ذا اللب المتين عن التقى * فترى اساءة فعله احسانا

وانشدني له من ابيات

أني بشفيع ليس يمكن رده * دراهم بيض للجروح مراهم
تصير صعب الامر اهون ما يرى * وتقضي لبانات الفتى وهو نائم

ومن حزمه قوله عداني لهم فضل البيتين وقد مدحه كثير من الشعراء والكبار الفضلاء فمنهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بقوله

قد قلت لما ان سمعت مباحثا * في الذات قررها اجل مفيد
هذا ابو حيان قلت صدقتم * وبرزتم هذا هو التوحيدي

وكان قد جاء يوما الى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده فكتب بالجص على مصراع الباب فلما راى ابن الوكيل ذلك قال

قالوا ابو حيان غير مدافع * ملك النحاة فقلت بالاجماع
اسم الملوك على النقود وانني * شاهدت كنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها

اليك أبا حيان أعملت أينقي * وملت الى حيث الركائب تلتقي
دعاني اليك الفضل فانقدت طائعا * ولبيت أحدوها بلفظي المصدق

ومدحه نجم الدين اسحق بن ألمي التركي وسأله تكملة شرح التسهيل وأرسلها اليه من دمشق وأولها

تبدي فقلنا وجهه تلو الصبح * وكمله باليمن فيه وبالنجح
وسهلت تسهيل الفوائد محسنا * فكن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن المليسي بقصيدة أولها

يا شيخ أهل الادب الباهر * من ناظم يلقى ومن ناثر

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندري بقصيدة أولها

ضيف ألم بنا من أبرع الناس * لا ناقض عهد أيامي ولا ناسي
عار من الكبر والادناس ذو شرف * لكنه من سرابيل العلا كاسي

ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين اول الاولى

أتراه بعد هجران يصل * ويرى في ثوب وصل مبتذل
عمر جار على أحلامنا * اذ تولاها بقد معتدل

وأول الثانية

اصابها عمرو خبأها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم وهو يقول هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه فالتزمه جذيمة وحباه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة في الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر فكف عنه اذا اقبل رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت قدرا واصلحت لهما طعاما فبينما هما يأكلان اذ اقبل رجل اشعث اغبر الرأس قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب ومد يده فناولته القينة طعاما فأكل فلم يغن عنه شيئا فمد يده فقالت القينة ان يعط العبد كراعا طلب ذراعا فارسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكت زقها فقال عمرو بن عدي

صددت الكاس عنا ام عمرو
وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

فقال له الرجلان من أنت فقال ان تنكراني فلن تنكرا حسبي أنا عمرو بن عدي فقاما اليه فلثماه

اعذروه

اعذروه فكريم من عذر * قرته ذات وجه كالقمر

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة أولها

ان الاثير أباحيان أحيانا * بنشره طي علم مات احيانا

ومدحه القاضي ناصر الدين بن شافع بقصيدة أولها

فضضت عن العذب النمير ختامها * وتحت عن زهر الرياض كمامها

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم وكتبت أنا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩

لو كنت أملك من دهري جناحين * لطرت لكنه فيكم جنى حيني
ياسادة نلت في مصر بهم شرفا * أرقى به شرفا ينأى عن العين
وان جرى لسماك وان ذكر لا * احلني منهم فوق السماكين
وليس غير أثير الدين آمله * فسادماشادلى حقا بلا مين
حبر ولو قلت ان الباء رتبتها * من قبل صدقك الاقوام في ذين
احيا علوما أمات الدهر اكثرها * منذ جلدت خلدت ما بين دفين
ياواحدا لعصر ماقولي بعتهم * ولا احاشي امرأ بين الفريقين
هذي العلوم بدت من سيبويه كما * قالوا وفيك انتهت يا ثاني اثنين
قدم لها وبودي لو أكون فدى * لما ينالك في الايام من شين
ياسيبويه الورى في الدهر لاعجب * اذا الخليل غدا يفديك بالعين

يقبل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بألمها واجرت الدموع دما وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها وارتسمت بها على السحائب واين دوام هذه من ديمها وفرقت الاوصال على التتم لوجود عدمها

فياشوق ما أبقي ويالي من النوى * ويادمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

ويذكر ولاءه الذي نسجع به في الارض الحمائم وتسير تحت لوائه سير الرياح بين الغمائم وثناءه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ويتسنم تسنم هامات الربا اذا لبست من الربيع ملونات العمائم ويشهد الله على ما قد قلته والله سبحانه نعم الشهيد فيكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني وأنشدته يوما لنفسي

قلت للكاتب الذي ما اراه * قط الا ونقط الدمع شكله
ان تخط الدموع في الخط شيأ * ما يسمى فقال خط ابن مقله

وانشدني هو من لفظه لنفسه

سبق الدمع بالمسير المطايا * اذنوى من احب عني نقله
واجاد الخطوط في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

وأنشدني في مليح نوتي

كلفت بنوتي كأن قوامه * اذا ينثني خوط من البان ناعم
مجاذفه في كل قلب مجاذب * وهزاته للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا لنفسي

وغسلا رأسه وقلما أظفاره وقصرا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا

ما لما لم ... هدى الى الملك

هدية هي أنفس عنده ولا هو عليها أحرص من ابن أخته قد رده الله اليه فخرجا به حتى اذا وقفا على باب الملك بشراه به فسر به الى امه وقال لهما احكما فقالا حكمنا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عني متمم بن نويرة اليربوعي في مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أبو خراشة الهذلي

الم تعلمي ان قد تفرق قبلنا
خليلا صفاء مالك وعقيل

وان ام عمرو عمدت اليه فبعثت معه حفدة يقومون عليه في الحمام حتى اذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها فامرته بزيارة خاله فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق واقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة امره وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن

ابن سميدع بن هوبر ملكة الشام والجزيرة من أهل بيت عاملة من العماليق كانوا في سليح وقال بعضهم بل

ان نوتى مركب نحن فيــه * هام فيه صب الفؤاد جريحه
أقلع القلب عن سلوى لما * أن بدا ثغره وقد طاب ريحه

وأنشدته لنفسي أيضا

نوتينا حسنه بديع * وفيه بدر السماء مغرى
ما حاك برا الا وقلنا * ياليت أنا نحك برا

فاعجباه رحمه الله تعالى وزهزه لهما وأنشدني هو لنفسه في مليح احدب

تعشقته احدبا كيسا * يحاكي نحيبا حنين النعام
اذا كدت اسقط من فوقه * تعلقت من ظهره بالسنام

فانشدته لنفسي

واحدب رحت به مغرما * اذ لم تشاهد مثله عيني
لا غرو ان هام فؤادي به * وخصره ما بين دفين

وانشدني من لفظه لنفسه في اعمى

ما ضر حسن الذي اهواه أن سنى * كريمتيه بلا شين قد احتجبا
قد كانتا زهرتي روض وقد ذوتا * لكن حسنهما الفتان ما ذهبا
كالسيف قد زال عنه صقله فغدا * انكى وآلم في قلب الذي ضربا

وانشدته لنفسي في ذلك

ورب اعمى وجهه روضة * تنزهي فيها كثير الديون
في خده ورد غنى شانه * عن نرجس ما فقدته العيون

وانشدته ايضا لنفسي في ذلك

فيا حسن اعمى لم يخف حد طرفه * محب غدا سكران فيه وما صحا
اذا ما دخلنا بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

وكتبت اليه استدعاء هو المسؤل من احسان سيدنا الامام العالم العلامة لسان العرب ترجمان الادب جامع الفضائل عمدة وسائل السائل حجة المقلدين زين المقلدين قطب المؤملين أفضل الآخرين وارث علوم الاولين صاحب اليد الطولى في كل مكان ضيق والمصانيف التي تأخذ بمجامع القلب فكل ذي لب اليها شيق والمباحث التي أثارت الادلة الراجحة من مكامن أماكنها وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها كشاف معضلات الاوائل سباق غايات قصر عن شأوها سحبان وائل فارع هضبات البلاغة في اجتلاء أجتلابها وهي في مرتقى مرقدها سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضابها من فوق مرقدها حتى أبرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول اليها حاجبان وأتى ببراهين وجوه حورها لم يطمثهن انس قبله ولا جان وأبدع خمائل نظم ونثر لا تصل الى أفنان فنونها يد جان أثير الدين أبي حيان لا زال ميت العلم يحييه وهل عجيب ذلك من أبي حيان

حتى ينال بنو العلوم مرامهم * ويحلهم دار المنى بامان

اجازة كاتب هذه الاحرف ما رواه فسح الله تعالى في مدته من المسانيد والمصنفات والسنن

كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي وهي اليوم خراب وكانت فيما ذكر قد سكرت الفرات وجعلت من فوقه ابنية رومية وجعلته أنفاقا بين مدائنها وكانت تغدو بالجنود فطمع بها جذيمة الابرش فكتبت اليه اني فاعلة ومثلك من رغب فيه وادا شئت فاشخص الي وكانت بنو الحمع عند ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فاشاروا عليه بالمضي وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فامره أن لا يفعل ويكتب اليها فان كانت صادقة فلتأت البك والا لم تقع في حبالها فعصاه وأطاعهم حتى اذا كان ببقة من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فامروه بالشخوص اليها فلما علموا من رأيه في ذلك وقال قصير تقصر في ودملك في وجهك فقال جذيمة ببقة قضي الامر فارسلها مثلا وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم لا يطاع لقصير امر فارسلها مثلا وطمع جذيمة حتى اذا عاين مدينتها وهي عكار دون الحانوتة ونظر الى الكتائب دونها هاله ما رأى فقال أي قصير ما الرأي فقال قصير اني

والجاميع الحديثية والتصانيف الادبية نظما ونثرا الى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها مما تلقاه ببلاد الاندلس وافريقية والاسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان بقراءة أو سماع أو مناولة أو اجازة خاصة أو عامة كيفما تأدى ذلك اليه واجازة ماله ادام الله افادته من التصانيف فى تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والادبية وغيرها وماله من نظم ونثر اجازة خاصة وأن يثبت بخطه تصانيفه الى حين هذا التاريخ وأن يجيزه اجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأى من يراه ويجوزه منعما متفضلا ان شاء الله تعالى (فكتب الجواب رحمه الله تعالى) أعزك الله ظننت بانسان جميلا فغاليت وأبديت من الاحسان جزيلا وما باليت وصفت من هو القتام يظنه الناس سماء والسراب يحسبه الظمآن ماء يا ابن الكرام وأنت ابصر من يشيم امع الروض النضير يرعى الهشيم أما اغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة من دأما وتربة من يهما لقد تبلجت المهارق من نور صفعاتك ونارجت الاكوان من أريج نفعاتك ولانت اعرف من يقصد للدراية وانقد من يعتمد عليه فى الرواية لكنك اردت ان تكسو من مطارفك وتتفضل من تالدك وطارفك وتجلو الخامل فى منصة النباهة وتنقذه من لكن الفهاهة فتشيد له ذكرا وتعلى له قدرا ولم يمكنه الا اسعافك فيما طلبت واجابتك فيما اليه ندبت فان المالك لا يعصى والمتفضل المحسن لا يقصى وقد أجزت لك أيدك الله تعالى جميع ما رويته عن أشياخى بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة او سماع او مناولة واجازة بمشافهة وكتابة ووجادة وجميع ما أجيز لى أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعته وأنشأته نظما ونثرا وجميع ما سألت فى هذا الاستدعاء من مروياتى الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من اعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر اسمعيل بن هبة الله بن على بن هبة الله المصرى المليجى آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبى الجود والكتب الستة والموطأ ومسند عبد بن حميد ومسند الدارمى ومسند الشافعى ومسند الطيالسى والمعجم الكبير للطبرانى والمعجم الصغير له وسنن الدارقطنى وغير ذلك وأما الاجزاء فكثيرة جدا ومن كتب النحو والآداب وما روى بالقراءة كتاب سيبويه والايضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجى وغير ذلك والاشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبى والمعرى وأما شيوخى الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير وأذكر الآن منهم جماعة فمنهم القاضى أبو على الحسن بن عبد العزيز بن أبى الاحوص القرشى والمقرى أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الانصارى واسحق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك ابن درباس وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب القوّاس البغدادى وصفى الدين الحسين ابن أبى منصور بن ظافر الخزرجى وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الازدى بن الدهان وقطب الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد بن القسطلانى ورضى الدين محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى اللغوى ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمذانى ومكى بن محمد بن أبى القاسم بن حامد

تركت الراى ببقة فقال عند ذلك أشر على فقال ان لقيتك الكتائب فحيتك تحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة وان هم أخذوا بجنبيك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا يسبق بعنى فرسا كانت لجذيمة فاستقبله القوم فأحاطوا به فلم يركب العصا وركبها قصير فركبها وجعل يرمى والتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به فقال جذيمة ما ضل من تجرى به العصا فادخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كبعثائها (أى عانتها) وقد ضفرت شعرها وقالت يا جذيمة أى متاع عروس ترى قال أرى متاع أمة الكعاء غير ذات خفر فقالت أما والله ما ذاك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكن شيمة ما أناس ثم أجلسته على نطع ودعت له بطست من ذهب فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة فى غير طست طلب بدمه فقالت أى جذيم لا تضيعن من دمك شيأ فانى انما بعثت اليك لانه بلغنى أن دمك شفاء من الخبل فقال جذيمة وما يغنيك من دم

المعيث * من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المجنة والخبل

الاصبهاني الصفار ومحمد بن عمر بن محمد بن على السعدى الضرير بن الفارض وزين الدين أبو بكر محمد بن اسمعيل بن عبد الله الانماطى ومحمد بن ابراهيم بن ترحم بن حازم المازنى ومحمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم الدارمى بن الخليلى ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الانصارى بن الخيمى ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسى عرف بابن التين وعبد الله ابن محمد بن هرون بن عبد العزيز الطائى القرطبى وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان ابن فتيان بن كامل الحزمى وعبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن فارس التميمى وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى المصرى السكرى وعبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصيقل الحرانى وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسمعيل الغيالى الصالحى الكتانى وعبد المعطى بن عبد الكريم ابن أبى المكارم بن منجى الخزرجى وعلى بن صالح بن أبى على بن يحيى بن اسمعيل الحسينى البهنسى انجاورو غازى بن أبى الفضل بن عبد الوهاب الحلاوى والفضل بن على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجى ويوسف بن اسحق بن أبى بكر الطبرى المكى والبسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن البسر القشيرى ومؤنسة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى وشامية بنت الحافظ أبى على الحسن بن محمد بن محمد التيمية وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادى وممن كتبت عنه من مشاهير الادباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن على بن الفرج المالقى بن المرحل وأبو الحسن بن حازم بن محمد بن حازم الانصارى القرطاجنى وأبو عبد الله بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلى التطيلى وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن زنون المالقى وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجليانى العكى المالقى وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصارى الجزار وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولوا القرشى وأبو حفص عمر بن محمد بن أبى على الحسن المصرى الوراق وأبو الربيع سليمان بن على بن عبد الله بن ياسين الكومى التلمسانى وأبو العباس أحمد بن أبى الفتح نصر الله بن باتكين القاهرى وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن حماد بن محسن الصنهاجى البوصيرى وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم الغرزى * وممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشنى الابذى وأبو الحسن على بن محمد بن على بن يوسف الكتامى بن الضائع وأبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفى وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن على بن يوسف الفهرى اللبلى وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبى بن النحاس وممن لقيته من الظاهرية أبو العباس أحمد بن على بن خالص الانصارى الاشبيلى الزاهد وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهرى الشنتمرى وجملة الذين سمعت منهم نحو من اربعمائة شخص وخمسين وأما الذين أجازونى فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار افريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام وأما ما صنفته فمن ذلك البحر المحيط فى تفسير القرآن العظيم اتحاف الاديب بما فى القرآن من الغريب كتاب الاسفار الملخص من كتاب الصفار شرح الكتاب سيبويه كتاب التجريد لاحكام سيبويه كتاب التذييل والتكميل

أضاعه أهله وفى ذلك يقول

واستصفت دمه وجعلته فى برنية وقال بعضهم دخل عليها جذيمة فى قصر لها ليس فيه الا الجوارى وهى على سرير لها فقالت للاماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هى قد عقدت شعر استها من وراء فقالت أشوار عروس ترى فقال بل شوار أمة بظرا فقالت أما والله ما ذلك من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس ثم أمرت برواهشه فقطعت وجعلت دمه يشخب فى النطع كراهية أن يفسد مجلسها وقال جذيمة لا يحزنك دم أراقه أهله وهرب قصير وورد الخبر على عمرو بن عدى التنوخى بالحيرة واشتغل بذلك فقال له قصير اطلب بثار ابن عمك والا سبتك العرب فلم يحفل بذلك أن عنده خبرا فخرج قصير الى عمرو بن عدى فقال له هل لك الى أن أصرف الجنود اليك على أن تطلب ثار خالك فجعل له ذلك فصرف وجوه الجنود اليه ومناهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى هو والتنوخى فلما خافوا القتل بايعه التنوخى وتم الامر لعمرو بن عدى فقال له قصير انظر ما وعدتنى به

فى شرح التسهيل كتاب التحيل الملخص من شرح التسهيل كتاب التذكرة كتاب المبدع فى التصريف كتاب الموفور كتاب التقريب كتاب التدريب كتاب غاية الاحسان كتاب النكت الحسان كتاب الشذا فى مسألة كذا كتاب الفضل فى أحكام الفصل كتاب اللمحة كتاب الشذرة كتاب الارتضاء فى الفرق بين الضاد والظاء كتاب عقد اللآلى كتاب نكت الامالى كتاب النافع فى قراءة نافع الاثير فى قراءة ابن كثير المورد الغمر فى قراءة أبى عمرو الروض الباسم فى قراءة عاصم المزن الهامر فى قراءة ابن عامر الرمزة فى قراءة حمزه تقريب النائى فى قراءة الكسائى غاية المطلوب فى قراءة يعقوب قصيدة النير الجلى فى قراءة زيد بن على الوهاج فى اختصار المنهاج الانور الاجلى فى اختصار المحلى الحلل الحاليه فى أسانيد القرآن العالية كتاب الاعلام بأركان الاسلام نثر الزهر ونظم الزهر نظر الحسى فى جواب أسئلة الذهبى فهرست مسموعاتى نوافث السحر فى دمائث الشعر تحفة الندس فى نحاة الاندلس الابيات الوافية فى علم القافية جزء فى الحديث مشيخة ابن أبى المنصور كتاب الادراك للسان الاتراك زهو الملك فى نحو الترك نفحة المسك فى سيرة الترك كتاب الافعال فى لسان الترك منطق الخرس فى لسان الفرس وممالم يكمل تصنيفه كتاب مسلك الرشد فى تجريد مسائل نهاية ابن رشد كتاب منهج السالك فى الكلام على ألفية ابن مالك نهاية الاعراب فى علمى التصريف والاعراب رجز مبانى الهصر فى آداب وتواريخ لاهل العصر خلاصة التبيان فى علمى البديع والبيان رجز نور الغبش فى لسان الحبش المحبور فى لسان اليحمور قال وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن على ابن يوسف بن حيان وأنشدنى الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه فى صفات الحروف

اناها ولم تطيل أعين * كلما اشتد صار الفس رخوه
أهمس القول وهو يجهر سى * واذا ما انخفضت أطبق علوه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا * بصفير والقلب قلقل شجوه
لان دهرا ثم انتدى ذا انحراف * وفشا السر مذ تكرر نخوه

وأنشدنى أيضا لنفسه

يقول لى العذول ولم أطعه * تسل فقد بدا اللعب لحيه
تخيل أنها شانت حبيبى * وعندى أنها زين وحليه

وأنشدنى لنفسه أيضا

شوقى لذاك المحيا الزاهر الزاهى * شوق شديد وجسمى الواهن الواهى
أسهرت طرفى وولهت الفؤاد هوى * فالطرف والقلب منى الساهر الساهى
نهبت قلبى ونهى أن أبوح بما * يلقاه واشوقه للناهب الناهى
بهرت كل مليح بالبهاء فما * فى البدر شبيه الباهر الباهى
لهجت بالحب لما ان لهوت به * عن كل شئ ووشى اللاهج اللاهى

وأنشدنى من لفظه لنفسه

فى الزباء فقال عمرو كيف لنا بها وهى أمنع من عقاب الجو فقال أما اذا أبيت فانى جادع أنفى واذنى ومحتال لقتلها فجهدى فانى وخلاك ذم فقال له عمرو وأنت ابصر فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من انت قال انا قصير لا ورب الناس ما كان على وجه الارض بشر كان أنصح لجذيمة ولا أغش لك منى حتى جدع عمرو انفى واذنى وعرفت انى لا أكون مع احد هو أثقل عليه منى معك فقالت أى قصير نقبل منك ونصرفك فى بضاعة فاعطته مالا للتجارة فى الشام فأتى بيت مال الحيرة فاستخرج منه بأمر عمرو بن عدى وانصرف به الى الزباء فلما رأت ما جاء به فرحت بذلك وزادته مالا الى ما جاء به فقال انه ليس من ملك الا وهو يتخذ نفقا فى مدائنهم اذا ما تكون لهم عدد اغتيالات فقالت اما انى قد فعلت ذلك فنفقت سربا وبنيته من تحت سريرى هذا آخذ فى حرج من تحت الفرات الى سرير اختى فى دجلة ففرح بذلك قصير ثم ظعن حتى اتى عمرا فركب عمرو فى الفى رجل على الف بعير فى الغرائر حتى صار اليها فتقدم قصير وسبق الابعرة فقال لها اصعدى حائط مدينتك وانظرى الى مالك وتقدمى الى بوابك لا يعرض

راض حبيبي عارض قد بدا * يا حسنه من عارض رائض
وظن قوم ان قلبي سلا * والاصل لا يعتد بالعارض

وأنشدني من لفظه لنفسه

تعشقته شيئا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخا العقل يدري ما مراد من الهوى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
ألا انني لو كنت اصبو لامرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا * فاحببت ان أبقى بأبيضهم وحدي

وانشدني من لفظه لنفسه

الآن الحافظا بقلبي عوابثا * أظن بها هاروت أصبح نافثا
اذا رام ذو وجد سلوا معنه * وكن على دين التصابي بواعثا
وقيدن من أضحى عن الحب مطلقا * وأسرعن للبلوى بمن كان رائثا
بروحي رشا من آل خاقان راحل * وان كان ما بين الجوانح لابثا
غدا واحدا في الحسن للفضل ثانيا * وللبدر والشمس المنيرة ثالثا

وأنشدني لنفسه ومن خطه نقلت

أسحر لتلك العين في القلب أم وخز * ولين لذاك الجسم في اللمس أم خز
وأسود ذاك القد أم أسمر غدا * له أبدا في قلب عاشقه هز
وتاة كساها الحسن أخضر حلة * فصار عليها من محاسنها طرز
وأهدى اليها الغصن لين قوامه * فماس كأن الغصن خامره العز
يضوع أديم الارض من نشر طيبها * ويخضر من آثارها تربه الجرز
وتختال في برد الشباب اذا مضت * فينهضها تدويق عدها عجز
أصابت فؤاد الصب منها بنظرة * فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز

وأنشدني اجازة في مليح أبرص ومن خطه نقلت

وقالوا الذي قد صرت طوع جماله * ونفسك لاقت في هواه نزاعها
به وضح تاباه نفس أولي النهى * وأقطع داء ما ينافي طباعها
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه * ولا علة فيه يروم دفاعها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت * محاسنه ألقت عليه شعاعها

وأنشدني من لفظه لنفسه في حمام

وعلقته مسود عين ووفرة * وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم في وجناته * لطاخة مسك في جنى من الورد

وأنشدني اجازة ومن خطه نقلت

سال البدر هل تبدى أخوه * قلت يا بدر لن تطيق طلوعا
كيف يبدو وأنت يا بدر باد * أو بدران يطلعان جميعا

شي من امور الزباء قد جئت ... بمال صامت وكانت قد امنته فلم تكن تخافه وصعدت وفعلت ما امرها
فلما نظرت الى ثقل مشي
الجمال قالت
ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا
ودخلت الابل المدينة
حتى اذا بقي آخرها جملا
قيل صبر البواب فطعن
بنخسة كانت في يده خاصرة
رجل ضرط فقال البواب
بشتا بشتا بالنبطية اي في
الجوالق شر وثار الرجال
من الجوالق ضربا باسيافهم
وخرجت الزباء هاربة الى
سربها فابصرت قصيرا عند
نفقها مصلتا سيفه
فانصرفت راجعة ولقاها
عمرو بن عدي فضربها وقال
بعضهم مصت خاتمها
وكان فيه سم ساعة وقالت
بيدي لا بيد عمرو وخربت
المدينة وسبيت الدراري
فقالت الشعراء في امرها
وامر قصير فاكثرت فمن ذلك
قول المتلمس
ومن طلب الاوتار ما جذ
انفه
قصير ورام الموت بالسيف
بيهس
تعاميت لما صرع القوم
رهطه
تبين في اثوابه كيف يلبس
ومن ذلك قول عدي بن
زيد التميمي يصف ذلك من امرهم الا يا ايها المثلث المرجي * الم تسمع بخطب الاولينا

وانشدني

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني

عادلي في الاهيف الآنس * لو رآه الآن قد عذرا

وشا قد زانه الحور

غصن من فوقه قمر

فمن سحبه الشعر

ثغرمن فيه أم درر

حال بين الدر واللعس * خمره من ذاقها سكرا

رحه بالردف أم كسل

ريقه بالثغر أم عسل

ورده بالخد أم خجل

كحل بالعين أم كحل

يا لها من أعين نعس * جلبت لناظري سهرا

مذناى عن مقلتي سنى

ما أذاقني لذة الوسن

طال ما ألقاه من شجن

عجبا ضدان في بدن

بفؤادي جذوة القبس * وبعيني الماء منفجرا

قد أتاني الله بالفرج

اذ دنا مني أبو الفرج

فرد حل في المهج

كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي * طمعه من حره شررا

نصب العينين لي شركا

فانثني والقلب قد ملكا

ضاحكا أن ملكا

قال لي يوما وقد ضحكا

أتجي من أرض اندلس * نحو مصر تعشق القمرا

وأما موشحة ابن التلمساني فهي

قمر يجلو دجى الغلس * بهر الابصار مذ ظهرا

أمن من شنفة الكاف

ذبت من حبيه بالكاف

لم يزل يسعى الى تلفي

بركاب الذل والصلف

وكان يقول لو وقع اليقين بخطئه التي غدرت وخانت وهي ذوات عائلة الحيا مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الزباء لا تأتي حصنا الا ضفرت شعر رأسها من حاله ثم تعاقب وتعلمه حتى تم لها ذلك فاراد حصن دومة الجندل والا لي حصن تيماء الفرد حصين منيعين قالت تمرد مارد وعز الابلق وهما الحصنان اللذان يذكرهما العرب في أشعارها فان الاعشى في ذلك

بالابلق الفرد من تيماء منزله

حصن حصين وجار غير غدار

وجدته لوضاح الذي يقول فيه

ماست مودته الحديث وعندهم وفائر

أن ناء أحور دور عين لناوأحوى دوأباعر

والملك كان لذي نوا س حوله من ذي يحائر

بالسابغات وبالقنا والبيض تبرق والمغافر

أرماث عملاق وقومهم مومباد وحاضر

واعاسمي جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص

فكني به اعظاما له (قال المسعودي) هذا بدؤ خبر بني عدي وقد قدمنا من قد ما كان سبقه

آه لولا أعين الحرس * نلت منه الوصل مقتدرا
يا أميرا جار مذ وليا
كيف لا ترثي لمن بليا
فبثغر منك قد جليا
قد حلا طعما وقد حليا
وبما أوتيت من كيس * جد فما أبقيت مصطبرا
بدر تم في الجمال سني
ولهذا القبوه سني
دس بالي لذة الوسن
عجبا باهر حسن
هو خشي وهو مفترسي * فاروعن أعجوبتي خبرا
لك خد يا أبا الفرج
زين بالتوريد والضرج
وحديث عاطر الارج
كم سبي قلبا بلا حرج
لو رآك الغصن لم يمس * أو رآك البدر لاستترا
يا مذيبا مهجتي كمدا
فقت في الحسن البدور مدى
يا كحيلا كحله اعتمدا
عجبا أن تبرى الرمدا
وبسقم الناظرين كسي * جفنك السحار وانكسرا
وأنشدني من لفظه لنفسه ايضا
ان كان ليل داج * وخاننا الاصباح * فنورها الوهاج * يغني عن المصباح
سلافة تبدو * كالكوكب الازهر
مزاجها شهد * وعرفها عنبر
وحبذا الورد * منها وان اسكر
ذاتي بها قد هاج * فما تراني صاح * عن ذلك المنهاج * وعن هوى يا صاح
وبي رشا أهيف * قد جمع في بعدي
بدر فلا يخسف * منه سنى الخد
بلحظه المرهف * يسطو على الاسد
كسطوة الحجاج * في الناس والسفاح * فما ترى من ناج * من لحظه السفاح
عال بالمسك * قلب رشا أحور
منعم المسك * ذي مبسم أعطر

وملك بعده ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ستين سنة وملك بعده عمرو بن امرئ القيس وهو محرق العرب خمسا وعشرين سنة وكانت امه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة وكانت أمه الهجانه بنت سلول من مراد ويقال من اياد وملك المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذي بنى الخورنق وكردس الكرادس خمسا وثلاثين سنه وكانت أمه هند بنت الهجانة من آل بكر وملك المنذر بن الاسود ابن النعمان بن المنذر أربعا وثلاثين سنة وكانت امه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن أقصى بن دعمي بن خويلد بن أسد بن ربيعة ابن نزار وانما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها ثم ملك بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه اخت عمرو بن قابوس من آل نصر ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية ابن معديكرب وملك النعمان بن المنذر وهو الذي يقال له أبيت اللعن اثنتين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب (وذكر عدة من الاخباريين) أن النابغة

رباه

رياه كالمسك * وريقه كوثر

غصن على رجراج * طاعت له الارواح * فحبذا الاراج * ان هبت الارواح

مهلاً أبا القاسم * على ابى حيان
ما ان له عاصم * من لحظك الفتان
وهجرك الدائم * قد طال بالهجران

فدمعه أمواج * وسره قد باح * لكنه ما عاج * ولا أطاع اللاح

يارب ذى بهتان * يعذل فى الراح
وفى هوى غزلان * دافعت بالراح
وقلت لا سلوان * عن ذاك يالاح

سبح الوجوه والتاج * هى منية الافراح * فاختر لى يازجاج * فعال وزوج اقداح

وأنشدنى من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التى نظمها فى مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه واولها

هو العلم لا كالعلم شئ تراوده * لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهى قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت وحكى لى أن الشيخ أثير الدين رحمه الله تعالى ضعف فتوجه اليه جماعة يعودونه وفيهم شمس الدين بن دانيال فأنشدهم الشيخ رحمه الله تعالى القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة اخبركم ان الشيخ قد عوفى ومابقى عليه باس لانه لم يبق عنده فضلة قوموا باسم الله وأنشدنى من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى قصيدته السينية التى أولها

أهاجك ربع حائل الرسم دارسه * كوحى كتاب أضعف الخط دارسه انتهى

نص الصفدى وماذكره رحمه الله تعالى فى موضع ولادة أبى حيان غير مخالف لماذكره فى الوافى انه ولد بغرناطة الان قوله بمدينة مطخشارش فيه نظر لانه يقتضى انها مدينة وليس كذلك وانما هى موضع بغرناطة ولذا قال الرعينى ان مولد أبى حيان بمطخشارش من غرناطة ونحوه لابن جماعة انتهى وهو صريح فى المراد وصاحب البيت ادرى بالذى فيه على انه يمكن ان يرد كلام الصفدى لذلك والله تعالى اعلم وذكر فى الوافى انه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والاقراء بالجامع الاقمر قال الصفدى وقال لى لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك وكان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريرية بمصر جماعة انتهى وما وقع فى كلام كثير من أهل المغرب ان اباحيان توفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة غير ظاهر لان اهل المشرق أعرف بذلك اذ توفى عندهم وقد تقدم انه توفى سنة خمس واربعين وسبعمائة فعلى كلام اهل المشرق فى هذا المعول والله اعلم وكانت نضار بنت ابى حيان حجت وسمعت بقراءة العلم البرزالى على بعض الشيوخ وحدث بشئ من مروياتها وحضرت على الدمياطى وسمعت على جماعة وهى بضم النون وتخفيف الضاد وأجازها من المغرب أبو جعفر ابن الزبير وحفظت مقدمة فى النحو ولما توفيت عمل والدها فيها كتابا سماه النضار فى المسلاة عن نضار وكان والدها يثنى عليها كثيرا وكانت تكتب وتقرأ قال الصفدى

استاذن على النعمان يوما فقال له الحاجب ان الملك على شرابه قال فهو وقت الملق بته الافئدة وهو جذل للرحيق فان تلج تلق انجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ماأفدت قال له الحاجب ماتفى عنا تى بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ماطلبت رهبة التعدى قال النابغة ومن عنده قال الحاجب خالد بن جعفر الكلابى نديمه فقال النابغة هل لك الى ان تؤدى الى خالد عنى ما اقول لك قال وماهو قال تقول ان من يدرك وفاء الدرك بك وتاديتى من الشكر ماقد علمت فلما صار خالد الى بعض ماتبعثه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك التمام حادث النعيم قال وماذاك فاخبره الخبر وكان خالد رفيقا ياتى الاشياء بلطف وحسن بصيرة فدخل متبسما وهو يقول

الا الملك أو من أنت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد

واللات لكانى انظر الى ذى رعين وقد مدت لهم تضبات المجد الى معالم احسابكم ومناقب أنسابكم فى حلبة أنت أبدت اللعن غرتها فجئت سابقا منهملا وجاؤا لم يلم لهم سعى قال النعمان لانت فى وصفك أبلغ احسانا من النابغة فى نظام قافيته فقال خالد ما أبلغ فيك حسنا

قال لى والدها انها خرجت جزأ لنفسها وأنها تعرب جيدا وأظنه قال لى انها تنظم الشعر وكن يقول دائما ليت أخاها حيان كان مثلها وتوفيت رحمها الله تعالى فى جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ فى حياة والدها فوجد عليها وجدا عظيما ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقوقية ولازمه سنة ومولدها فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال الصفدى وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة أولها

بكينا باللجين على نضار * فسيل الدمع فى الخدين جارى
فيا لله جارية تولت * فبكيها بأدمعنا الجوارى انتهى

وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعد الرعينى الاندلسى فى برنامجه عند ذكره شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه ما ملخصه ان أبا حيان قال سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية ابن خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس وبعيذاب من بلاد السودان وبينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة ثم فصل من لقيه فى كل بلد الى أن قال وبمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر الى أن قال فهذه نبذة من شيوخى وجملة من سمعت منهم نحو خمسمائة والمجيزون أكثر من ألف وعدد كتب القراآت التى أخذت تسعة عشر كتابا وقال فى حق المليجى انه أعلى شيوخى فى القراآت وأن آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذرى اللخمى واجازته منه سنة ٦٠٤ قال وقرأت البخارى على جماعة أقدمهم اسنادا فيه أبو العز الحرانى قرأته عليه بلفظى الا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الى قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى سورة النور فسمعته بقراءة غيرى قال أنبأنا به أبو المعالى أحمد بن يحيى بن عبيد الله الخازن البيع سماعا عليه سنة ستمائة ببغداد أنبأنا أبو الوقت بسنده وكمل له رحمه الله تعالى جامع الترمذى بين قراءة وسماع على ابن الزبير بغرناطة وسمعه على محمد بن ترحم أنبأنا ابن البناء أنبأنا الكروخى بسنده وقرأ السنن لابى داود بغرناطة على أبى زيد عبد الرحمن الربعى عرف بالتونسى أنبأنا به سهل بن مالك وقرأه بالقاهرة على أبى الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن أبى حفص بن طبرزد عن أبى بدر الكروخى ومفلح الرومى عن أبى بكر بن ثابت الخطيب أنبأنا أبو عمر الهاشمى أنبأنا اللؤلؤى أنبأنا أبو داود وقرأ الموطا على أبى جعفر ابن الطباع عن أبى القاسم بن بقى عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا أعلى سند يوجد عن يونس بن مغيث فى عصره وسمع أبو حيان الاجزاء الخلعيات والغيلانيات والقطيعيات والنهروانيات والمحامليات والثقفيات وسداسيات الرازى بعلو وقرأها على صفى الدين عبد الوهاب بن الفرات عن أبى الطاهر اسمعيل بن ياسين الجيلى وهو آخر من حدث عنه عن أبى عبد الله الرازى سماعا وقرأ جزء الانصارى على أبى بكر بن الانماطى بسماعه حضورا فى الرابعة على أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار سنة ٥٣٢ أنبأنا ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكى قراءة عليه فى رجب سنة ٤٤٥ أنبأنا عبد الله بن ابراهيم بن ماسى أنبأنا أبو مسلم الكشى البصرى أنبأنا محمد بن عبد الله

الا وهو دون قدرك استخفافا للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضر القتال وقلنا قام النعمان بادخاله فخرج لحاجب وقال قد أذن بفتح الباب ورفع الحجاب ادخل فدخل ثم انتصب بين يديه وحياه بتحية الملك وقال أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائد العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أعز من يومه ولقفالك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولوعدك أصلح من رفده ولعبيدك أكثر من قومه ولاسمك أشهر من قدره ولنفسك أكبر من جده وليومك أشهر من دهره ثم قال

أخلاق مجدك جلت مالها خطر
فى الجود والناس بين العلم والخبر
متوج بالمعالى فوق مفرقه
وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر فحشى فوه جوهرا ثم قال بمثل هذا فلتمدح الملوك وقد كان النعمان قتل عدى بن زيد التميمى وكان يكتب لكسرى ابرويز ترجمانا اذا وفد عليه زعماء العرب لموجدة وجدها عليه النعمان فى خبر طويل الشرح ولما قتل صار زيد بن عدى مكان أبيه فذكر لابرويز جمال نساء آل المنذر ووصفهن له فكتب

الانصارى وقرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء بن النحاس المشهور بالنحو فى مصر والشام بقراءته على علم الدين أبى محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بقراءته على التاج أبى اليمن الكندى أنبانا أبو محمد عبد الله بن على بن أحمد البغدادى مؤلف كتاب المبهج أنبانا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عرف بابن الدباس أنبانا أبو القاسم عبد الواحد ابن على بن عمر بن برهان الاسدى أنبانا القاسم على بن عبيد الله الرقى أنبانا على بن عيسى بن عبد الله الرمانى أنبانا أبو بكر بن السراج أنبانا أبو العباس المبرد أنبانا أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى قالا أنبانا أبو الحسن الاخفش أنبانا سيبويه قال الشيخ أبو حيان ولا أعلم راويا له بمصر والشام والعراق واليمن والمشرق غيرى ورويته عن الاساتيذ أبوى على بن الضائع وابن أبى الاحوص وأبى جعفر اللبلى عن أبى على الشلوبين وسنده مشهور بالمغرب ووقع لابى حيان تساعيات كثيرة وأغرب ماوقع له ثلاثة أحاديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثمانية أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمدانى بقراءته عليه والجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى قراءة عليه وهو يسمع قالا أنبانا أبو الفخر اسعد بن سعيد بن روح فى كتابه أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية أنبانا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الضبى الاصبهانى أنبانا الحافظ أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطر اللخمى الطبرانى أنبانا عبيد الله بن رماحس القيسى برمادة الرملة سنة ٢٧٤ أنبانا أبو عمر زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون ومائة سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن اتيته فقلت

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر * مشتت شملها فى دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها * يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها * واذ يزينك ما تأتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما انت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله قال أبو القاسم الطبرانى لا يروى عن زهير الا بهذا الاسناد وتفرد به عبيد الله بن رماحس وبالاسناد الى

الى النعمان يامره أن يبعث اليه باخته فلما اقرأ النعمان كتابه قال للرسول وهو زيد بن عدى يا زيد أما لكسرى فى مها السواد كفاية حتى يتخطى الى العربيات فقال زيد انما أراد الملك اكرامك أبيت اللعن بصهرك ولو علم ان ذلك يشق عليك لما فعله وساحسن ذلك عنده واعذرك بما يقبله فقال النعمان وافعل فقد تعرف ما على العرب فى تزوج العجم من الغضاضة والشناعة فادى اليه قوله فى مها السواد على اقبح الوجوه واوحده عليه وقال سل المها فقال البقر فاخذ عليه وقال رب عبد قد صار فى الطغيان الى اكثر من هذا فلما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طيئ لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بنى رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فجزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبى سلمى

الم تر للنعمان كان بنجوة * من الدهر لو ان امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة * من الدهر يوما واحدا كان غاويا * فلم ار مسلوبا له مثل ملكه * اقل صديقا معطيا ومواسيا

لا ابن ... يا من رواحة حافظوا * وكانوا أناسا ... فوس المحاربا ٦٠٦ يسيرون حتى جيشوا عند ثاره * هجان المطايا والعتاق المذاكيا

الطبراني أنبأنا عمر بن محمد بن عبد الكريم بن فروخ بن درنج بن بلال بن سعد بن بلال بن سعد الانصاري الدمشقي قال حدثني جدي لامي عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدني قال أراني أنس بن مالك الوضوء أخذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح برأسه وأخذ ماء جديدا لصماخيه فقلت له قد مسحت أذنيك فقال يا غلام هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك فقلت قد كفاني وقد فهمت قال فهكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ قال الطبراني لم يرو عمر بن أبان عن أنس حديثا غير هذا وبالاسناد الى الطبراني حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص المصري أنبأنا دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك حدثني أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني وآمن بي ومن رأى من رآني وآمن بي ومن رأى من رأى من رآني ثم قال الرعيني وتصانيف أبي حيان تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير ثم قال الرعيني وخرج أبو حيان من الاندلس مفتتح سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجه وأنشد لشيخه أبي الحسن الدباج

رضيت كفافا في رتبة ومعيشة * فلست أسامي موسرا ووجيها
ومن جر أثواب الزمان طويلة * فلا بد يوما أن سيعثر فيها

وأنشد بإسناده لموسى بن أبي تليد

حالي مع الدهر في تقلبه * كطائر ضم رجله شرك
وهمه في خلاص مهجته * يروم تخليصها فتشتبك

ثم أورد الرعيني جملة من نظم أبي حيان منها قوله

أريد من الدنيا ثلاثا وإنها * لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة * وإكثار أعمال عليها أواظب

وقوله

أرحت روحي من الايناس بالناس * لما غنيت عن الاكياس بالياس
وصرت في البيت وحدي لا أرى أحدا * بنات فكري وكتبي هن جلاسي

وقوله

وزهدني في جمع المال أنه * إذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحه يوما أراح من العنا * ولم يكتسب حمدا ولم يدخر أجرا

وقوله

يظن الغمر أن الكتب تهدي * أخا فهم لادراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها * غوامض حيرت عقل الفهيم
اذا رمت العلوم بغير شيخ * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى * تصير أضل من توما الحكيم

وله لغز في قيراط زاعما أنه لا ينفك

وما اسم خماسي اذا ما فككته * يصير لنا فعلين أمرا وماضيا

... زاهد ... وإني عليهم
وودتهم ... توديع أن لا
...

والسبب ... النعمان حتى أتى
المدائن ... فأمر به كسرى
... جاريته ...
... من ... فلما صار
النعمان ... ولم ... فما
... عن ... السواد
فعلم النعمان أنه غير ناج منه
ونبيه زيد بن عدي وقال له
النعمان أنت فعلت هذا
بي لئن تخلصت لاسقينك
كأس ... فقال له زيد
... أخية لا يقطعها المهر الأرن
... كسرى النعمان فحبس
... بساباط المدائن ثم
أمر به فرمي تحت أرجل الفيلة
وقال بعضهم بل مات في
محبسه بساباط وقد ذكرت
تلك الشعراء فأكثرت
... من ذلك قول الاعشى
... وإساد
ولا الملك النعمان يوما
...
يعطيه ... يعطي ...
ورد ...
... المسلمون
...
تجري ... في أنهارها
والخورنق

بعكس

بعكس وهو كل وجزء وجمعه * بابدال عين حار فيه الا اهيا
ومع كونه فردا وجمعا فأوّل * وآخره أضحى لشخص معاديا
وفى عكسه صوت فتبنيه صيغة * وبنى بمعناه وما أنت بانيا
فكم فيه من معنى خفى وانما * عنيت بذكرى للذى ليس خافيا

ثم قال الرعينى وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيد الكلام حسن الالقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان ذو لمة وافرة [illegible] فاخرة له وجه مستدير وقامة معتدلة التقدير ليس بالطويل ولا بالقصير انتهى ما لخصته من كلام الرعينى * ولما قدم الاستاذ أبو حيان الى مصر أوصى أهله بقوله ينبغى للعاقل أن يعامل كل أحد فى الظاهر معاملة الصديق وفى الباطن معاملة العدو فى التحفظ منه والتحرز وليكن فى التحرز من صديقه أشدّ فى التحرز من عدوه وأن يعتقد أن احسان شخص الى آخر وتودده اليه انما ولغرض قام له فيه يتعلق به بعينه على ذلك لا لذات ذلك الشخص وينبغى أن يترك الانسان الكلام فى ستة أشياء فى ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفى التعرض لما جرى بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وفى التعرض أيضا لائمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وفى الطعن على صالحى الامة نفع الله بهم وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه وأن لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى الا على حسب الدفع عن نفسه وأن يعذر الناس فى مباحثهم وادراكاتهم فان ذلك على حسب عقولهم وأن يصون نفسه عن المراء والاستهزاء والاستخفاف بأبناء زمانه وأن لا يبحث الا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث وأن لا يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه وأن يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد وأن لا يقدم على تخطئة أحد بادى الرأى وأن يترك الخوض فى علوم الاوائل وأن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ولا ينكر على الفقراء وليسلم لهم أحوالهم وينبغى للعاقل أن يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى وأن يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر وأن لا يتكبر على أحد وأن يقل من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه وأن يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا خرم مروءة وأن يأخذ نفسه باجتناب ما هو قبيح عند الجمهور وأن لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعالى وان لا يعرض بذكر أهله ولا يجرى ذكرهم بحضرة جليسه وأن لا يطلع أحدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعالى وأن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ وجميل التغاضى وأن لا يركن الى أحد الا الى الله تعالى وأن يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى أعلم انتهت وصية أبى حيان الجامعة النافعة وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة أبى الطيب بن علوان التونسى المالكى الشهير بالمصرى وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبى حيان رحمه الله تعالى قلت ويعلم من هذه الوصية من نهيه عن الطعن فى صالحى الامة نفع الله تعالى بهم وأمره بالتسليم لاحوالهم وعدم الانكار عليهم علم أن ما نقله الصفدى عنه فيما تقدم من قوله ان الشيخ أبا مدين الى آخره كلام فيه نظر لان

ويقسم امر الناس يوما وليلة * وهم ساكتون والمنية تنطق فذلك وما أنجى من الموت ربه * ساباط حتى مات وهو محرق

وقال هانى بن مسعود الشيبانى
ان ذا التاج لا أبالك أضحى
فى الورى راسه [illegible]
[illegible]
ان كسرى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
حرقاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
(وقد كان النعمان
[illegible] كسرى
مستسلما [illegible]
[illegible]
عند هانى بن مسعود
[illegible]
كسرى على النعمان [illegible]
الى هانى بن مسعود
[illegible]
[illegible]
ذلك [illegible] أهل
[illegible]
ذلك فيما [illegible]
الكتاب [illegible]
[illegible]
بنت النعمان بن المنذر
خرجت الى [illegible]
[illegible]
معنى [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] منزلها لما هلك النعمان لكنها الزمان فانزلها من الرفعة الى الذلة ولما وفد سعد بن أبى وقاص [illegible] الله

أباه ان رضي الله تعالى عنه لا ينكر كرامات الاولياء كيف وقد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيرا فمن ذلك ما حكي عنه تلميذه الرعيني بسنده الى الفقيه المقرى الصالح أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة الخزاعي حدث انه زار قبر أبي الحسن بن جالوت ولم يكن زاره قبل فانتبه عليه فتركه فسمع النداء من قبر معين يا غالب أتمشي وما زرتني فزار ذلك القبر وقعد عنده ثم جاء ابن أبي الحسن المذكور فسأله عن القبر فقال هو الذي قعدت عنده وغالب هذا وابن جالوت هما من أصحاب الشيخ أبي احمد بن سيد بونة الخزاعي وهو من اصحاب الشيخ ابي مدين انتهى فكيف ينكر ابو حيان كرامات الصالحين وهو ينهى عن الطعن فيهم ويحكي كراماتهم نعم قول الصفدي قبل ذلك الكلام انه كان ينكر على فقراء الوقت كلام صحيح في الجملة لكثرة الدعاوى الباطلة ممن ليس من اهل الصلاح واما انكار الكرامات مطلقا فمقام ابي حيان يجل عن ذلك والله تعالى اعلم وقد اورد ابن جماعة له من قطعة قوله في اهل عصره

ومن يك يدعي منهم صلاحا * فزنديق تغلغل في الضلال

واول هذه القطعة

حلبت الدهر اشطره زمانا * واغناني العيان عن السؤال
فما ابصرت من خل وفي * ولا الفيت مشكور الخلال
ذئاب في ثياب قد تبدت * لرائيها باشكال الرجال
ومن يك يدعي منهم صلاحا * فزنديق تغلغل في الضلال
ترى الجهال تتبعه وترضى * مشاركة بأهل أو بمال
فينهب مالهم ويصيب منهم * نساءهم بمقبوح الفعال
ويأخذ حاله زورا فيرمي * عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس * تقرمط في العقيدة والمقال

اي اعتقدوا راي القرامطة ومذهبهم مشهور فلا نطيل به فظهر بما ذكر ان ابا حيان انما انكر على اهل الدعاوى لا على غيرهم والله تعالى أعلم وقد اورد قاضي القضاة بن جماعة للشيخ ابي حيان من النظم غير ما قدمناه ذكره قوله

اما انه لولا ثلاث احبها * تمنيت أني لا اعد من الاحيا
فمنها رجائي ان افوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أنترك نصا للرسول وتقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقوله

سال في الخد للحبيب عذار * وهو لا شك سائل مرحوم
وسألت التثامه فتجنى * فأنا اليوم سائل محروم

وقوله

الفرس وقتل رستم فاتت خرقاء بنت النعمان في حفدة من قومها وجواريها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيكن خرقاء قالت ها أناذه قال أنت خرقاء قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال تنتقل بأهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان الدولة فلما أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم انشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدي ابن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

قال فبينما هي واقفة بين يدي سعد اذ دخل عمرو بن معديكرب وكان زوارا لابيها في الجاهلية

أمدعيا

أمدعيا علما ولست بقارئ * كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أتزعم أن الذهن يوضح مشكلا * بلا موضح كلا لقد كذب الذهن
وان الذى تبغيه دون معلم * كموقد مصباح وليس له دهن

وقوله عدا فى البيتين قال وأخذ هذا المعنى من قول الطغرائى

من خص بالود الصحاب فاننى * أحبو بخالص ودى الاعداء
جعلوا التنافس فى المعالى ديدنى * حتى وطئت بأخمصى الجوزاء
ونعوا الى مثالبى فحذرتها * ونفيت عن أخلاقى الاقذاء
ولربما انتفع الفتى بعدوه * كالسم أحيانا يكون دواء

ومن نظم أبى حيان

يا من غدى الطرف فى ميدان لذته * وما ثنى الطرف بين الراح والرود
تستشرب الروح راح الوقت كارهة * ويذهب الجسم بين الترب فى الدود

وله رحمه الله تعالى قصيدة سماها بالمورد العذب فى معارضة قصيدة كعب وقصيدة فى مدح الامام الشافعى مطلعها * غذيت بعلم النحو اذ در لى ثديا * وله رحمه الله تعالى من قصيدة فى مدح أم ولده حيان

جننت بها سوداء لون وناظر * ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان يكن * فؤادى منها فى جحيم ولأواء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا * فأعجب لمعنى صار جوهر أشياء
أطاعنة من قدها بمثقف * أدبت وما أغنى الفتى لبس حصداء
لقد طعنت والقلب ساه وسادرى * أبالقد منها أم بصعدة سمراء

ثم غير البيت الاول وأنشد

جننت بها سوداء شعر وناظر * وسمراء لون تزدرى كل بيضاء

وقال يهنى قال ابن جماعة خاطبنى به ارتجالا عند ولادة ابنى عمر بعد بنتين

حييت بريحانتى روضة * وبعدهما جاء نجل اغر
وسميته باسم امام اذا * رآه ابو مرة منه فر
ولا عجب منك عبد العزيز * اذا كان نجلك سمى عمر
تفرعتما من امام الهدى * وبدر الدجى ورئيس البشر
فلا زال يوضح سبل الهدى * ولا زلتما تقفوان الاثر

وقال

لقد زادنى بالناس علما تجاربى * ومن جرب الايام مثلى تعلما
وانى وتطلابى من الناس راحة * لكالمبتغى وسط الجحيم تنعما
سازهد حتى لا أرى لى صاحبا * وأنجد حتى لا ألاقى منهما

قال ابن جماعة وقال فى املاك على بن قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى وكان جميل الصورة على أختى شقيقتى فاطمة

فلما نظر اليها قال أنت خرقاء قالت نعم قال فما دهمك فأذهب بجودات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا مروان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فأكرمها سعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حى أحييك بتحية ملوك كان بعضهم لبعض لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها اليه ثم خرجت من عنده ولقيها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم (قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى) فهؤلاء ملوك الحيرة الى أن ظهر الاسلام فأظهره الله وأذل الكافرين فجميع من سمينا من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الابرص على حسب ما قدمنا آنفا فى صدر هذا الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائى فكان ملكه تسع سنين وثمانية أشهر مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد

وعشرين ملكا من بني
نصر وغيرهم من العرب
والفرس وكان مدة ملكهم
ستمائة سنة واثنتين
وعشرين سنة وثمانية
أشهر ومدة ما بين عمران
الحيرة وبدئه الى أن خربت
في وقت بناء الكوفة كان
خمسمائة سنة وبضعا
وثلاثين سنة (قال
المسعودي) ولم يزل عمرانها
يتناقص من الوقت الذي
ذكرنا الى صدر من أيام
المعتضد فانه استولى عليها
الخراب وقد كان جماعة
من خلفاء بني العباس
كالسفاح والمنصور
والرشيد وغيرهم ينزلونها
ويطيلون المقام بها لطيب
هوائها وصفاء جوهرها
وصحة تربتها وصلابتها
وقرب الخورنق والنجف
منها وقد كان فيها ديارات
كثيرة فيها رهبان فلحقوا
بغيرها من البلاد لتداعي
الخراب اليها واقفرت في
هذا الوقت ليس بها الا
الصدى والبوم وعند كثير
من أهل الدراية بما يحدث
في المستقبل من الزمان أن
سعدها سيعود بالعمران
وأن هذا النحس عنها سيزول
وكذلك الكوفة (قال
المسعودي) ولمن سميناه
من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها في كتابنا أخبار الزمان

هي أبيات أليف غريب نظامه * لقد حار في أوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة * تزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول والمرتضى * علي ونجلا الأكرمين الغطارف
فدام علي عالي الجد سيدا * ولا زال في ظل من العيش وارف

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أغب زيارته

أعين حياتي والذي ببقائه * بقائي لقد أصبحت نحوك شيقا
أهم بلقياك غير أن لقائي * برؤيتك الحظ الذي يذهب الشقا
وما كان ظني أن الدهر تاركي * ولو أنني أصبحت بين الورى لقا
لطائف معنى في العيان ولم تكن * لتدرك الا بالتزاور واللقا

وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد أعيد الى منصب القضاء وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذوو العلم في الدنيا نجوم زواهر * وأنت فيها الشمس حقا بلا لبس
اذا لحت أخفى نورهم كل نير * ألم تر أن النجم يخفى مع الشمس

وقال

لم أرو عمن أحب كتابي * القلب فيه أو لترك هواه
غير أني اذا كتبت كتابا * غالب الدمع مقلتي فمحاه

وقال

تذكري للبلى في قعر مظلمة * أصارني زاهدا في المال والرتب
أني أسير بحال سوف أسلبها * عما قريب وأبقى رمة الترب

وقال

أتيت وما أدعى وأقبلت سامعا * فوائد مولى سيد ماجد ندب
وأحضر جمعا أنت فيه جماله * أشنف سمعي منك باللؤلؤ الرطب

وقال

لنا غرام شديد في هوى السود * نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به أشرقت أبصارنا وحكى * في اللون والعرف نفح المسك والعود
لا شيء أحسن من آس تركبه * في آبنوس ولا أشفى لمبرود
لأنهن بيضاء لون الجص واسم الى * سوداء حسناء لون الأعين السود
في جيدها غيد في قدها ميد * في خدها صيد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبي بنار جوى * من هجرها وابتلت عيني بتسهيد

وقال في عكسه

اذا مال الفتى للسود يوما * فلا رأي لديه ولا رشاد
أيهوى خنفساء كأن زفتا * كسا جلدا لها وهو السواد
وما السوداء الا قدر فرن * وكانون وفحم أو مداد

وما البيضاء الا الشمس لاحت * تنير العين منها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد * يلذ السهد معها والرقاد
وبين البيض والسودان فرق * لذى عقل به انفسح المراد
وجوه المؤمنين لها ابيضاض * ووجه الكافرين به اسوداد

وقال رحمه الله تعالى

أعاذل ذرني وانفرادي عن الورى * فلست أرى فيهم صديقا مصافيا
ندامى كتب أستفيد علومها * أحباي تغني عن لقائي الاعاديا
وآنسها القرآن فهو الذي به * نجاتي اذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت في غرب البلاد وشرقها * أنقب عمن كان لله داعيا
فلم أر الا طالبا لرياسة * وجماع أموال وشيخا مرائيا
قبضت يدي عنهم وآثرت عزلة * عن الناس واستغنيت بالله كافيا

قال العز بن جماعة وخاطب والدي وقد أبل من ضعف أشيع فيه موته مهنئا له

أدام الاله لك العافيه * وصير دور العدا عافيه
اذا لاح من بدركم نوره * فكل النجوم به خافيه
تجددت كلام الاله الدوا * فآياته كانت الشافيه
تشوق ناس لمنصبكم * ورتبتهم للعلا نافيه
فاين العلوم وأين الحلوم * وخلق موارده صافيه
هم عصبة لا تنال العلا * ولو أنها قد سعت حافيه
اذا كان خرق تداركته * وليست لما مزقت رافيه
فان عن خطب نبت له * وآراؤهم عنده هافيه
سجاياك لين ورفق بنا * وأخلاقهم كلها جافيه
تصلى على سبعة منهم * وثامنهم نفسه طافيه
يقيمون في تربهم همدا * وتسفي على قبرهم سافيه
فلازلت في صحة دائما * تجر ذيول السنى ضافيه
ويوردك الله عين الحياة * فتحيا بها مائة وافيه
فان زاد عشرا فذلك المنى * وعشرون أيضا هي الكافيه
وهذي القوافي أتت كلا * فلم تبق لي بعدها قافيه

وقال رحمه الله تعالى أيضا

خلق الانسان في كبد * بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نافعه * غير عضو ضر للابد
منتج ذلا وفقد غنى * وفراخا جمة العدد
من يمت منهم يذقه أسى * او يعش ألفاه في نكد
عاش في أمن فتى عزب * مستريح الفكر والجسد

(ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها من الملوك)

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور ثم ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه وما اقتص من أمره ثم غلبت الروم على ديارها فتفرقوا في البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ثم ملك بعده الحوارى بن النعمان ولم يملك من تنوخ الا من ذكرنا وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الاسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع في قضاعة أمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تأبى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا وقد قيل في نسب قضاعة واتصالها غير ما ذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشام فغلبت على تنوخ وتنصرت فملكتها الروم على العرب الذين بالشام وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة

وقال رحمه الله تعالى أيضا

جن غيري بعارض فترجى * أهله أن يفيق عما قريب
وفؤادي بعارضين مصاب * فهو داء أعيا دواء الطبيب

وقال

سعت حية من شعره نحو صدغه * وما انفصلت من خده ان ذا عجب
وأعجب من ذا أن سلسال ريقه * برود ولكن شب في قلبي اللهب

وقال

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجد خطوبا تسلي عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بها كم قد تفتت كبد
عزل ونهب وضرب بالسياط وحبـ * ـس ثم قتل وتشريد لمن ولدوا
واذ وقيت بحمد الله شرهم * فلتحمد الله في العقبى كمن حمدوا

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخاري وكتابه الصحيح

أسامع أخبار الرسول لك البشرى * لقد سدت في الدنيا وقد فزت في الأخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر * تود الغواني لو تقلده النحرا
جواهر كم حلت نفوسا نفيسة * فحلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته أكابر * لنا نقلوا الاخبار عن طيب خبرا
وأدوا أحاديث الرسول مصونة * عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا
وان البخاري الامام لجامع * بجامعه منها اليواقيت والدرا
على مفرق الاسلام تاج مرصع * أضاء به شمسا ونار به بدرا
وبحر علوم يلفظ الدر لا الحصا * فأنفس بها درا وأعظم به بحرا
تصانيفه نور ونور لناظر * فقد أشرقت زهرا وقد أينعت زهرا
محاسنة المختار ينظم شتها * يلخصها جمعا ويخلصها تبرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا * فجاز لها بحرا وجاب لها برا
فطورا عراقيا وطورا يمانيا * وطورا حجازيا وطورا أتى مصرا
الى أن حوى منها الصحيح بجيده * فوافى كتابا قد غدا الآية الكبرى
كتاب له من شرع أحمد شرعة * مطهرة تعلو السماكين والنسرا

قلت وتتصل روايتي عن الامام أبي حيان من طرق عديدة منها عن عمي وولي الله العارف به شيخ الاسلام مفتي الانام الخطيب الامام ملحق الاحفاد بالاجداد سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الاموي عن عالم الدنيا أبي عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق عن الاثير أبي حيان بكل مروياته فمنها أن أبا حيان قال حدثنا ابن أبي الاحوص عن قاضي الجماعة أبي القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي

ابن

عمرو بن عامر بن سبا فسارت غسان الى الشام من ولد مازن وذلك أن الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك (وفي ذلك) يقول حسان بن ثابت الانصاري

اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر سيل العرم وتفرقهم في البلاد وخبر الماء المعروف بغسان وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكا وغلبت غسان على من بالشام من العرب وملكها الروم على العرب فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الازد بن الغوث ثم ملك بعده الحرث ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ابن عامر بن حارثة وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو وذكر أنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة

ابن مخلد بن يزيد القرطبي عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن
أبيه عن أبيه الامام بقي بن مخلد عن أبي بكر المقدمي عن عمر بن علي وعبد الله بن يزيد عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم
مر بمجلسين احدهما يدعون الله ويدعون اليه والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال كل
المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر اما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل
واما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وانما بعثت معلما ثم
جلس معهم قال ابو حيان قلت لا اعرف حديثا اجتمعت فيه رواية الابناء عن الآباء بأكثر عدد
ما اجتمع في هذا الاسناد اخبرنا به ابو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن منبه قراءة عليه انبأنا ابو
المعالي الابرقوهي انبأنا ابو بكر بن عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي انبأنا ابو المبارك عبد العزيز
ابن محمد بن منصور الشيرازي انبأنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي قال سمعت ابي
ابا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت ابي ابا الحسن عبد العزيز يقول سمعت ابي ابا بكر
الحرث يقول سمعت ابي اسدا يقول سمعت ابي الليث يقول سمعت ابي سليمان يقول سمعت
ابي ابا الاسود يقول سمعت أبي سفيان يقول سمعت ابي يزيد يقول سمعت ابي اكينة يقول
سمعت ابي الهيثم يقول سمعت ابي عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما اجتمع قوم على ذكر الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة انتهى قلت قال الحافظ ابن حجر
في فوائده ما اجتمع حديث فيه من عدد الآباء اكثر من هذا انتهى ورأيت بخط الحفاظ على
قول ابي اكينة ما صورته صوابه اكينة انتهى فليحرر ومنها ان اباحيان قال انبأنا
الاستاذ ابو جعفر الزبير صاحب الصلة انبأنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد
الازدي انبأنا ابو عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح قال ابو حيان وانبأنا الاصولي ابو
الحسين بن القاضي ابي عامر بن ربيع الاشعري عن ابي الحسن احمد بن علي الغافقي قال
انبأنا عياض ح وكتب لنا الخطيب ابو الحجاج يوسف بن ابي ركانة عن القاضي ابي
القاسم احمد بن عبد الودود بن سمعون بن عبد الله بن عطية قال هو وعياض انبأنا القاضي
ابو بكر بن العربي انبأنا ابو محمد هبة الله الاكفاني انبأنا الحافظ عبد العزيز الكتاني
الدمشقي انبأنا ابو عصمة نوح بن الفرغاني قال سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله
ابن قبث الخزرجي وابا بكر محمد بن عيسى البخاري قالا سمعنا ابا ذر عمار بن
محمد بن مخلد التميمي يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخاري يقول
لما عزل أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن يزيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى سنة ٢١٨
لتجديد مودة كانت بينه وبين أبي الفضل البلعمي فنزل في جوارنا فحملني معلمي أبو ابراهيم
اسحق بن ابراهيم الختلي اليه فقال له أسألك أن تحدث هذا الصبي ما سمعته من مشايخك فقال
مالي سماع فقال وكيف وأنت فقيه فما هذا قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي لي
طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسمعيل البخاري ببخارى صاحب
التاريخ والمنظور اليه في علم الحديث وأعلمته مرادي وسألته الاقبال على ذلك فقال لي
يا بني لا تدخل في أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره فقلت عرفني رحمك الله

وهي التي ذكرتها الشعراء في أشعارها ونسب جماعة من ملوك غسان اليها وملك
بعده النعمان بن الحرث
ابن ثعلبة بن جبلة بن جفنة
ابن عمرو ثم ملك بعده
عوف بن أبي شمر وكان
ملكه حين بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ثم ملك جبلة بن الايهم بن
جبلة بن الحرث بن ثعلبة
ابن مازن وهو غسان بن الازد
ابن غوث وهو الملك
الذي امتدحه حسان بن
ثابت الانصاري حيث
يقول في شعر طويل
أشهرها من ملك بالشا
م الى الروم فخر كل يماني
(وفيه يقول أيضا)
لمن الدار أقفرت بمعان
بين أعلى اليرموك
والصمان
من قريان من ثلاثين
عدت
بالكماشة بالقصور
الدواني
قد دنا الفصح والولائد
ينظمن سراعا أكلة المرجان
ذاك مغنى لآل جفنة في
الدهر
وحق لتصرف الازمان
صلوات المسيح في ذلك الدير
دعاء القسيس والرهبان
وهذه مواضع وقرى من
غوطة دمشق وأعمالها
بين الجولان واليرموك
(وذكر) عدة من الاخبار بين أن حسان بن ثابت الانصاري زار الحرث بن أبي شمر الغساني وكان النعمان بن المنذر

تعالى حدوده وما قصد تك له ومقادير ما سألتك عنه فقال لي اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كأربع مثل اربع في اربع عند اربع بأربع على اربع عن اربع لاربع وكل هذه الرباعيات لا تتم الا بأربع مع اربع فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلي باربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله تعالى في الدنيا باربع واثابه في الآخرة باربع قلت له فسر لي رحمك الله تعالى ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلبا للاجر الواف فقال نعم اما الاربع التي تحتاج الى كتبها فهي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة رضي الله تعالى عنهم ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطب والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاحجار والاخزاف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن أنه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عز وجل منها ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتاليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم له هذه الاشياء الا باربع هي من كسب العبد اعني معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هي من اعطاء الله تعالى اعني القدرة والصحة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشياء كلها هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلي باربع بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله جل وعلا في الدنيا باربع بعز القناعة وبهيبة النفس وبلذة العلم وبحياة الابد واثابه في الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله وبسقي من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في اعلى عليين في الجنة فقد اعلمتك يا بني بمجملات جميع ما سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له اودع فهالني قوله فسكت متفكرا واطرقت متأدبا فلما راى ذلك مني قال وان لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه يمكنك تعلمه وانت في بيتك فارسا كن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار وهو ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث في الآخرة ولا عزه باقل من عز المحدث فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى ان صرت فيه متقدما ووقفت منه على معرفة ما امكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته فلذلك لم يكن عندي ما أمليه لهذا الصبي يا أبا ابراهيم فقال له ابو ابراهيم ان هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك انتهى وجاء أبو حيان الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما أتينا تقي الدين لاح لنا * داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الالى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر

فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولأمك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أمرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف أفضله عليك واعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع الا في شعر فقال

نبئت أن ابا منذر
يساميك للحدث الاصغر
قفاك أحسن من وجهه
وامك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها
كيمنى يديه على المعسر

(و) [illegible] ديار ملوك غسان) باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق واعمالها ومنهم من نزل الاردن من ارض الشام وجبلة بن الايهم هو الذي اسلم وارتد من دينه خوف العار والسود من اللطمة وخبره واضح مشهور وقد أتينا على ذكره فيما سلف من

حبر تسربل منه دهره حبرا * بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا * مقام سيد تيم اذ عصت مضر
فأظهر الحق اذ آثاره درست * واخمد الشر اذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجىء فها * انت الامام الذى قد كان ينتظر

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ومات وهو على انحرافه ولذلك أسباب منها انه قال له يوما كذا قال سيبويه فقال يكذب سيبويه فانحرف عنه رحمه الله تعالى اجمع

وحضر الشيخ ابو حيان مع ابن بنت الاعزى الى روضة تكتب الى ابى حيان ووجهه مع بعض غلمانه

حييت أثير الدين شيخ الادبا * أقصى له حبا كما قد وجبا
حييت بتى بناق آس نضر * كالقد بدا املت منه طربا

قال فانشدته

أهدى لنا غصنا من ناضر الآس * أقضى القضاة حليف الجود والباس
لما رأى سقمى أهداه معترشا * حلو التثنى فكان الشافى الآسى

ولما أنشد الشيخ ابو حيان قول نور الدين القصرى فى روضة مصر

ذات وجهين فيهما قسم الحسن فأضحت بها القلوب تهيم
ذا الى مصر فهو مصر وهذا * يتولى وسيم فهو وسيم
قد أعادت عصر التصابى صباها * وأبادت فيها الهموم الغيوم

زاد فيها بيتا وهو

وبلى التجار يسجنون * وبهج الغمار يسعهم

قال أبو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس فعبر علينا صبى يدعى شهريه شجاعان وكان مصارعا فقال البهاء لينظم كل منا فيه ثم قال

مصارع تصرع الآساد شهرته * تهيم فيه كل مليح وجهه سمج
لما غدا راجيا الحسن قلت لهم * عن حسنه حدثوا عنه ولا حرج

فنظمت أنا

سبانى جمال من مليح مصارع * عليه دليل للملاحة واضح
لئن عزمنه المثل فالكل دونه * وان خف منه الخصر فالردف راجح

وسمع العزازى نظمنا فقال وأنشدنيه

هل حكم ينصفنى فى هوى * مصارع يصرع أسد الشرى
مذ نزعنى الصبر فى حبه * حكى عليه مدمعى ما جرى
أباح قتلى فى الهوى عامدا * وقال كم لى عاشق فى الورى
رميته فى أسر حبى ومن * أجفان عينيه أخذت الكرى

وقال لسان الدين فى الاحاطة كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده فى ثقوب الذهن وصحة الادراك والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية امام النحاة فى زمانه غير مدافع

ونــدا ساعلى حبره وما كان من اسلامه واخباره مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كتب اخبار الزمان فيما بعد (وفى اسه) قول النابغة
هذا غلام حسن وجهه
... ل الخير سريع التمام
الحرث الاكبر والحرث الاصغر والحرث ... الانام
ثم هند وهند وهند
اسرع فى الخيرات منه مم
وجفنة اباؤهم او هم
اكرم من يشرب صوب الغمام
لجميع من ملك من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكا وقد كان بالشام ملوك ببلاد مآرب من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك مدائن وم لوطس ارض الاردن و... كانت خمس مدن ... كانت ... المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم وكانت بيد كل ملك عامل لها فارعاز ... ان تلك ... المدائن ... هذه التى اعرضنا ... ان كان فيه خروج عن شرط الاختصار ... الكندة وغيرها من العرب من بعد ... ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها اذ كان لا أسماء لهم نعهم وتشهرهم كمولنا الخليفة وقيصر وكسرى ... الا ... طول

نشأ ببلده غرناطة مشارا اليه في التبريز بميدان الادراك وتعبير السوابق في مضمار
التحصيل وبالآنه ... حتى ... بها بالمشرق واستقر ... فنال بها ماشاء من عز وشهرة وتأثل
وامر وحظوة واضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة وكان شديد البسط مهيبا
جهوريا مع الدعابة والغزل وطرح التسمت شاعرا مكثرا مليح الحديث لا يمل وان أطال
وأسر جدا افاده معه قال لي بعض أصحابنا دخلت عليه وهو يتوضأ وقد استمر على احدى
رجليه ليغسل الاخرى كما يفعل الترك والاوز فقال لي وكنت اليوم حاوشا ... لهذا
العمر في هذا البلد ثم قال لي بعد كلام حدثنا جماعة الجلة الاثبة من أصحابنا كالحاج أبي
يزيد خالد بن عيسى والمقرى الخطيب أبي جعفر الشقوري والشريف أبي عبد الله بن راجح
وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق قال حدثنا شيخنا أبو حيان في الجملة سنة ٧٣٥
بالمدرسة الصالحية بين القصرين بعمرانه حدثنا الاستاذ أبو جعفر بن الزبير سماعا من لفظه
وكتبه من خطه بغرناطة عن الكاتب أبي اسحق بن عامر الهمذاني الطوسي بفتح الطاء
حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي وهو آخر من حدث عنه انبأنا أبو على الحسن بن
محمد الحافظ الجياني أنا أبا حكم بن محمد أنبأنا أبو بكر بن المهندس أنا أبا عبد الله بن محمد
أنا ابا صاوت بن عباد بن نصال بن جعفر سمعت أبا امامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اكفلوا لي بست اكفل لكم بالجنة اذا احدث أحدكم فلا يكذب واذا
ائتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضوا ابصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم ثم
قال ابن الخطيب ان أباه ان حملته حدة الشبيبة على التعرض للاستاذ أبي جعفر الطباع
وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه وتصدى للتأليف في الرد عليه
وتكذيب روايته مع أمره للسلطان فامتعض له وبعد الامر بتنكيله فاختفى ثم أجاز البحر
مختفيا ولحق بالمشرق يلعن حاله ثم قال وشعره كثير يتصف بالاجادة وبعدها من
مقولاته قوله

لا تعذلاه فما ذوالحب معذول * العقل مختبل والقلب متبول
هز ... أسمرا من حوره فامنها * فانثنى الصب الاوهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها * فكم لها جمل منه وتفصيل
فللنحر مرده والثغر ... * والشعر جوهره والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج * والخصر مخطف والمتن مجدول
هيفاء ... في الخصر الوشاح لها * درماء تخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتي غداهن النعيم بما * يشقين آباؤها الصيد البهاليل

الى أن قال وقوله

نور بخدك أم توقد نار * وضنى بجفنك أم فتور عقار
وشذا بريقك أم أريج مسكة * وسنى بثغرك أم شعاع درارى
جمعت معاني الحسن فيك فقد غدت * قيد القلوب وفتنة الابصار
متصاون خفر اذا ناطقته * أغضى حياء في سكون وقار

سائر الامم الخالية والممالك السابقة من البيضان والسودان ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الاخبار عنه واعادة ذكرنا في هذا الكتاب من الملوك المشهور ملكه وعرفت كلمتهم الا الى الاختصار وصالا للاخبار بما لمن ... من أخبارهم في كتابنا المتقدم ذكرها من ... والله المرشد

(ذكر ارض وادي ... العرب و... هؤلاء الامم وعليه ... ووجه من أهل العرب و... ذلك ... فصل بهذا المعنى)

وقد تقدم ذكر قولهم قحطان وأنه من عداهم من العرب العاربة دون من عاد وثمود وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار وسائر من تقدم أوان من بني ممن ذكرنا دخلوا في العرب البائدة الى هذا الوقت وهم قحطان ومعد ولا علم أن قبيلا في انتشاره في الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والاذواء وشيد البنيان في الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كاشريعش ... أفريقية وما في المغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية

في وجهه زهرات روض تجتلى * من نرجس مع وردة وبهار
خاف اقتطاف الورد من وجناتها * فادار من آس سياج عذار
وتسللت نمل العذار بخده * ليردن شهد رضابه المعطار
وبخده نار حمته ورودها * فوقفن بين الورد والاصدار
كم ذا أواري في هواه محبتي * ولعدو شيء في فيه فرط أواري

وقال ابن رشيد حدثنا أبو حيان قال حدثنا التاجر ابو عبد الله الرجوني عند عوده من بلاد السودان وبرجونة قرية من قرى دار السلام قال كنت جالسا لوقف لاذ الملك وبعدا رجل معرفي اسمه يونس فقال لي انشدك لما سمعته فقلت افعل قال علي رضي الله تعالى عنه اذا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيرا واذا وضع في اللئيم أثمر شرا كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم فما راعني الا ويونس المعرفي قد أنشد نفسه

صنائع المعروف ان أودعت * عند كريم زكت النعما
وان تكن عند لئيم غدت * مكفورة موجبة اثما
كالغيث في الاصداف در وفي * فم الافاعي يثمر السما

قال أبو حيان فلما سمعت هذه الابيات نظمت معناها في بيتين وهما

اذا وضع الاحسان في الخب لم يفد * سوى كفره والحر يجزي به شكرا
كغيث سقى أفعى فجاءت بسمها * وصادف أصدافا فأثمرت الدرا

قال أبو حيان وأنشدنا الامير بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن رماح الهمداني لنفسه بالقاهرة

فلا تعجب لحسن المدح مني * فمعنى ما لك أظهرت ذا الوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصا * وتسمعك الصدى مانادى منادي

وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص آخر وفيه عندي نظر لا يخفى والذي أعتقده ولا أرتاب فيه انه أبو حيان النحوي وقال ابن رشيد وأنشدني أبو حيان لنفسه

اذا غاب عن عيني أقول سلوته * وان لاح حال اللون فاضطرب القلب
يحيي غيماه والمبسم الذي * به المسك مظلوم به اللؤلؤ الرطب

وقال الشريف بن راجح رأيت ان ما وضعه الشيخ أبو حيان في تقديم الاراك تضييع لعمره وقلت

نفائس الاعمار أفنيتها * أنا وأمثالي على غير شي
شيوخ سوء ليس يرضى بما * ترضى به من الجواري صبي

ومن نظم أبي حيان قوله

ان عشت ما تغربت فيه زماني * بادلاويه طارقي و لادي
لجدير بان يكون عزيزا * ومصونا الا على الاجواد

وبناه سمرقند ومن خلف هنالك من حمير بها وبلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف (وقد افتخر) دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد بها على الكميت ويفتخر بمن سلف من ملوكهم وغيرهم في الارض وأن لهم من الفضل ما ليس لعدنان فقال في شعره

هم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند
وهم غرسوا هناك التبتينا

(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ممن تقدم وتأخر منهم حتى يبلغ الى ملك اهل الشحر وحضرموت فحينئذ يستحق ان يسمى تبعا فمن تخلف عن ملكه ممن ذكرنا سمي ملكا ولم يتلق له اسم تبع وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها بقومها وعددها أهم خير أم قوم تبع الآية حين حضرت الحرم وبعث الله عليه الظلمة والماء الاسود تبعا عن عقله

وكذلك حكي عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أبو كرب سار في الارض ووطئ الممالك وذللها

وقوله

وما للمال والانعاب نفسا شريفة * وتكليفها في الدهر ماليس يعذب
أردهافعن قريب تلاقي حمامها * فتنعم في دار البقا أو تعذب

واستشكل هذان البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع واجيب بان مراده أمر الرزق لا أمر التكليف وأفاد غير واحد ان سبب رحلة الشيخ أبي حيان عن الاندلس انه نشأ شر بينه وبين شيخه احمد بن علي بن الطباع فالف أبو حيان كتابا سماه الالماع في افساد اجازة الطباع فرفع ابن الطباع أمره للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك وذكر أبو حيان انه لم يعهم بفاس الا ثلاثة أيام وادرك فيها ابا القاسم المزياتي وخرج ابو حيان من الاندلس سنة تسع وسبعين وستمائة وكان جماعة من اعلام الاندلس رحلوا منها فلما وصلوا الى العدوة اقاموا بها ولم يذهبوا الى البلاد المشرقية منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر ابو الحسن حازم بن محمد القرطاجني وهو القائل يمدح امير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس

أمن بارق اورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حل الاجارع فالسقطا
وبان ولكن لم يبن عنك ذكره * وشط ولكن طيفه عنك ما شطا
حبيب لوان البدر جاراه في مدى * من الحسن لا ستدنى مدى البدر واستبطا
اذا انتجعت مرعى خصيبا ركابه * غدا الحنا عيني يشتكي الجدب والقحطا
عدا اسرعت عن الملى بشادن * تسرع في قتل النفوس وما أبطا
ظننت القلادار ابن ذي يزن بها * وخلت المحاريب الهوادج والغبطا
فكم دمية للحسن فيها وصورة * تروق وتمثال من الحسن قد خطا
حمائل لاحت كالخمائل بهجة * سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
توسد غزلان الاوانس والمها * به الوشي والديباج لا السدر والارطى
ولم يسب قلبي غيرابهرها سنى * واطولها جيدا واحفقها قرطا
ايا ربة الاحداج سيري فتعلمي * وما بك جهل أن سهمك ما احطا
تري تستبيني ما بعينيك من عنا * بجسمي وعنوان الهوى فيه مختطا
فلم أر أعدى منك لحظا وناظرا * لقلبي ولا اعدى عليه ولا اسطا
سقى الله عيشا قد سعلنا من الهوى * كؤسا بمعسول اللمى خلطت خلطا
وكم جنة قد وردت في ظل كافر * فلم أجرما اولاه كفرا ولا غمطا
وكم ليلة قاسمتها بعيسة * الى أن بدت شيبا ذوائبها شمطا
وبت اظن الشهب مثلي لها هوى * واغبطها في طول الفتها غبطا
على انها مثلي لعزيرة مطلب * ومن ذا الذي ما شاء من دهره يعطى
كأن الثريا كاعب ازمعت نوى * وامت باقصى الغرب منزلة شحطى
كأن نجوم الهقعة الزهر هودج * لها عن ذرا الحرف المناخة قد حطا
كأن رشاء الدلو رشوة خاطب * لها جعل الاشراط في مهرها شرطا

ووطئ ارض العراق في من الطوائف يقال له قتادو ليس بقتاد بن فيروز من السامانية فانهزم قتاد وأتى تبع أبو كرب على ملكه وملك العراق والشام والحجاز وكثيرا من المشرق وفي ذلك يقول تبع وقد ذكر ماصنع

وردا الملك تبع وبنوه ورثوهم جدودهم والجدودا
ادجينا جيادنا من ظفار ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستبحنا بالخيل ملك قتاد وابن اقلود قائما مصفودا
وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معصبا وبرودا
واقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا وسجدنا عند المقام سجودا

(وقال أيضا فيه)

لست بالتبع اليماني ان لم تركض الخيل في سواد العراق
أو تؤدي ربيعة الخرج قسرا او تعقني عوائق العواق

(وقد كانت) لنزار بن معد مع وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وانمار وتداعت بجدها نزار ونواهبت ما كان بينها من الدماء والثار فكانت لهم غلبة وفي ذلك يقول ابو دواد الايادي

ضربنا على تبع حربه * جبال البرود وخرج الذهب وولى ابو كرب هاربا *

كأن السها قد دق من فرط شوقه * اليها كما تد دقق الكاتب النقطا
كأن سهيلا اذ تناءت وأنجدت * غدا يائسا منها فانهم وانحطا
كأن خفوق القلب قلب متيم * تعدى عليه الدهر في البين واشتطا
كأن كلا النسرين قد ريع اذ رأى * هلال الدجى يهوى له مخلبا سلطا
كأن الذى ضم القوادم منهما * هوى واقعا للارض أوقص او قطا
كأن أخاه رام فوتا أمامه * فلم يعد أن مد الجناح وأن مطا
كأن بياض الصبح معصم غادة * جنت يدها أزهار زهر الدجى لقطا
كأن ضياء الشمس وجه امامنا * اذا ازداد بشرا في الوغى واذا أعطى
محمد الهادى الذى أنطق الورى * ثناء بما أسدى اليهم وما أعطى
امام غدا شمس المعالى وبدرها * وقد أصبحت زهر النجوم له رهطا
جميل المحيا مجمل طيب ذكره * يعاطى سرورا كأسها ويستعطى
اذا ما الزمان الجهد أبدى تجهما * أرانا الحياء الطلق والخلق السبطا
كلا أبوى حفص عماه الى العلا * فاصبح عن مرقاته النجم منحطا
بسيماه تدرى أن كعبا جدوده * وان هو لم يذكر رزاحا ولا قرطا
اذا قبض الروع الوجوه فوجهه * يزيد لكون النصر متصلا به بسطا
به تترك الابطال صرعى لدى الوغى * كأن قد سقوا من خمر بابل اسفنطا
تراه اذا يعطى الرغائب باسما * له جذل يربى على جذل المعطى
وكم عنق قد قلدت بنواله * فريدا وقد كانت قلائدها لطا
متى ما تقس جود الكرام بجوده * فبالبحر قايست الوقيعة والوقطا
يشف له عن كل غيب حجابه * فتحسبه دون الحجب مالطا
تطيع الليالى أمره في عصاته * وتردى أعاديه اساودها نشطا
وتمضى عليهم سيفه وسنانه * فتبرى الكلى طعنا وتفرى الطلى قطا
فكيف ترجت غرة منه فرقة * غدا عزها ذلا ورفعتها هبطا
وكم بالنهى والحلم غطى عليهم * الى ان جنوا ذنبا على الحلم قد غطى
فأمطاهم دهم الحديد وطالما * أنالهم دهم الجياد وما امطى
ورام لهم هديا ولكنهم أبوا * بغيهم الا الضلالة والخبطا
وكان لهم يبغى المثوبة والرضا * ولكن أبوا الا العقوبة والسخطا
ولو قوبلت بالشكر منه مآرب * لما اعتاض منها أهلها الاثل والخمطا
هو الناصر المنصور والملك الذى * أعاد شباب الدهر من بعد ما اشمطا
أصاخت له الايام سمعا وطاعة * وأحكمت الدنيا له عهدها ربطا
فلا بد من أن يملك الارض كلها * وان تملأ الدنيا اياته قسطا
ويغزو في آفاق اندلس العدا * بجيش يخط الارض من قبله خطا
وكل جواد خف سنبكه فما * يمس الثرى الا تحلة قرطا

وكان بهما ما كثير الرهب وأتبعته فهوى للجبين وكان العز بزبها من غلب

(وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق النسب الى نزار بن معد بن عدنان فنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى الجرهمى ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب مع علة سكنى البوادى من العرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والاودية وسائر البرارى والقفار

(ذكر) عدة من أخباريي العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد ايادا وبه كان يكنى وأنمارا وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل اذ كان فيما ذكرنا تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزار الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد مضر فادخله قبة له حمراء من أدم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد ربيعة وقال له هذا الفرس الادهم والخباء الاسود وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ

يؤم بها الاعداء ملك أمامه * من الرعب جيش يسرع السير ان ابطا
ويرمى جبال الفتح من شد سبتة * بها فتوافى سبقا ذلك الشطا
بحيث التقى بالخضر موسى وطارق * وموسى به رحل الغزو العدا حطا
وسعيك ينسى ذكر سعيهما به * ويوسع سعى المشركين به حبطا
ويوقع فى الاعداء أعظم وقعة * بها تملأ الاسماع طيرا ملا لغطا
تجاوب صحم الطير فيه وشبهها * كما راطن الزنج النبيط أو القبطا
وتنكرفيها الجو والارض أعين * ترى الجو نارا والصعيد دما عبطا
تخضب منهم من أشابت بخوفها * نصول ترى منها بفود الدجى وخطا
ويحسم أدواء العدا كل صارم * حسام اذا لاقى الطلى حده قطا
وكل كمى كلما خط صفحة * بسيف غدا بالرمح ينقط ما خطا
شجاع اذا التف الرماحان مثل ما * تقلقل فى أسنان مشط بدمشطا
اذا ما رجت منه أعاديه غرة * رأت دون ما ترجوا القتادة والخرطا
يجدع آناف العداة بسيفه * وينشقها بالرمح ريح الردى قسطا
يبيد الاعادى سطوة ومكيدة * فيحكى الاسود الغلب والاذؤب المطا
سرى فى طلاب المعلوات فلم يزل * يمد يدا مبسوطة وندى بسطا
ولو نازعت يمناه جذبا شماله * لبوسا من الماذى لانفق وانعطا
يصول بخطى لكل مرشة * به أثر يعزوه للحية الرقطا
حتى تبصر الآكام فرعا كواسيا * بهن وقد أبصرن عاربة مرطا
اذا نسبت للخط أو لردينة * نسبن الى العليا ردينة والخطا
كماة حماة ما يزال الى الوغى * حنين لهم ما حن نضو وما أطا
عليهم نسيج السابغات كانها * جلود عن الحيات قد كشطت كشطا
اذا لمع للشمس لاحت عليهم * رأيت صلالا ألبست حللا رقطا
ترجرج كالزاروق لينا ومثله * ترى نقطة من بعدما طرحت خطا
جيوش اذا غطى البلاد عبابها * وأمواجها غطت نفوس العدا غطا
فكم قد حكت فى حصر حصن ومعقل * وشاحا على خصر فاسعفه ضغطا
وخيل كامثال النعام تخالها * لافراط لوك اللجم تبغى لها سرطا
تميلها قفزا اذا ارتعت وان * سبحن بماء خلتها خفة بطا
فينعق منها مارط كل عجاجة * سوارع لا يسأمن مرا ولا مرطا
وكم خالطت سمر الرماح وأوردت * مياها غدت حمر الدماء لها خلطا
يجرونها ليل السرى فاذا دعوا * نزال امتطوا منهن أفضل ما يمطى
فكم جنبوها خلف معتادة السرى * عوارف لم تسمع لها أذن نحطا
وقد وسمت أعناقهن أزمة * بطول السرى حتى تظن لها علطا
اذا أوقدت نارا بقذف الحصا حكت * وبحر الدجى طام سفينا رمت نفطا

بيد أغمار وقال له هذه البدرة والمجالس وما أشبهها من مالي فلك فان أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الأفعى بن الأفعى الجرهمي وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزار الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الأفعى حتى اذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران وهم فى مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذى ترون أثره أعور فقال أنمار وانه لأبتر فقال ربيعة وانه لأزور قال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا ان رفع اليهم راكب يوضع بين راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال فى وجوهكم قال اياد بعيرك أعور قال فانه لأعور قال أنمار بعيرك أبتر قال فانه لأبتر قال ربيعة بعيرك أزور قال فانه لأزور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم فأين بعيري دلوني عليه قالوا والله ما حسسنا لك ببعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئا قالوا ما رأينا بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الأفعى استأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيري ثم حلفوا أنهم ما رأوه فدعا به الأفعى فقال ما تقول

امام

امام الهدى أعليت للدين معلما * وسمت العدا من بعد رفعتهم حطا
وألحقتهم عقم المنى عن خيالها * فما ولدت عقما ولا نتجت سقطا
وصيرتم في عقلة سارح العدا * وسرحتم الآمال من عقلها نشطا
ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا * بعدلك لا يعدى عليه ولا يسطى
ففى كل حال تؤثر القسط جاريا * على سنن التقوى وتجتنب القسطا
فبوركت سبطا جده عمر الرضا * وبورك من جد غدوت له سبطا
تلوت الامام العدل يحيى فلم تزل * تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
فزدتم وضوحا بعده واستقامة * وتوطئة نهج السبيل الذى وطا
وما كان أبقى غاية غير أنه * حبيت بما لم يحب خلق ولم يعطا
اذا درر الأملاك فى الفخر نظمت * على نسق سعدا فدولتك الوسطى

وله أيضا فيه

فى كل أفق من صباح دجاكم * نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما * كسيت من حبر المديح وربطه

وله رحمه الله تعالى عدة تآليف وولد سنة ٦٠٨ وتوفى ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة بتونس وممن أخذ عنه الحافظ بن رشيد الفهرى وذكره فى رحلته وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدرى فى رحلته فقال حازم وما أدراك ما حازم وقد عرفت به فى أزهار الرياض بما يغنى عن الاعادة وكان هو والحافظ أبو عبد الله بن الابار فرسى رهان غير أن ابن الابار كان أكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى الاندلسى البلنسى كتب ببلنسية عن السيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ثم عن ابنه السيد أبى زيد ثم كتب عن الامير أبى مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الامير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص وفى ضمن ذلك استصرخه لدفع عادية العدو فأنشد السلطان قصيدته السينية التى مطلعها

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع ثم لما كان من أمر بلنسية ما كان رجع بأهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته فى صدور مكتوباته فكتبها مدة ثم أراد السلطان صرفها لأبى العباس الغسانى لكونه يحسن كتابتها بالخط المشرقى وكان آثر عند السلطان من المغربى فسخط ابن الابار أنفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه وأن يبقى موضع العلامة منه لكاتبها فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وأنفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وأنشد متمثلا

اطلب العز فى لظى وذر الذل ولو كان فى جنان الخلود

فقال أيها الملك هؤلاء ذهبوا ببعيرى وهم أصحابه فقال لهم الأفعى ما تقولون قالوا رأينا فى سفرنا هذا فى الكلأ أثر بعير فقال اياد انه لأعور فقال وما يدريك أنه أعور قال رأيته مجتهدا فى رعى الكلأ من شق واحد والشق الآخر وافر كثير الالتفاف لم يمسه فعلمت انه أعور وقال أنمار رأيته يرمى ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه ازور وقال مضر رأيته يرعى الشقة من الأرض ثم يتعداها فيمر بالكلأ الملتف الغض فلا ينهش منه حتى يأتى ما هو أرق منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الأفعى صدقتم قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه التمس بعيرك ثم قال الأفعى للقوم من أنتم فأخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الأفعى وكيف تحتاجون الى وأنتم على ما أرى قالوا أمرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم فأنزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن اليهم ويكرم مثواهم وألطافهم بأفضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفا أديبا فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأتنى بها فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بترص من

فبعى ذلك الى السلطان فامر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتآليف رفعه اليه عدفيه من تب من الكتاب وأعتبه وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عثرته واعاده الى الكتابة ولما توفى السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له أمور معه كان آخرها انه تقبض عليه وبعث الى داره فرفعت اليه كتبه أجمع وألفى أثناءها فيما زعموا رقعة بأبيات أولها

طغى بتونس خلف * سموه ظلما خليفه

فاستشاط السلطان لها وأمر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فاحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥ وقال فى حقه ابن سعيد فى المغرب ما ملخصه حامل راية الاحسان المشار اليه فى هذا الاوان ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقة ياسمين لا * تهيم بغيرها الحدق
اذا جفن الغمام بكى * تبسم ثغرها اليقق
فاطراف الاهلة سا * ل فى أثنائها الشفق

وكتب الى الوزير أبى عبد الله بن أبى الحسين بن سعيد يستدعى منه منثورا

لك الخير أتحفنى بخيرى روضة * لانفاسه عند الهجوم هبوب
ألبس أديب الروض يجعل ليله * نهارا فيذكو نفحه ويطيب
وطوى مع الاصباح منشور نشره * كما بان عن ربع المحب حبيب
أهيم به من نسبة أدبية * ولا غرو أن يهوى الاديب أديب

وقوله فى الخسوف

نظرت الى البدر عند الخسوف * وقد شين منظره الازين
كما سفرت صفحة للحبيب * بحجبها برقع أدكن

وقوله فى المعنى

ألم تر للخسوف وكيف أبدى * ببدر التم لماع الضياء
كمرآة جلاها القين حتى * أنارت ثم ردت فى غشاء

وقوله

والثريا بجانب البدر تحكى * راحة أومأت لتلطم خدا

وقوله

من عاذرى من بابلى طرفه * ولعمره ما حل يوما بابلا
أعتده خوطا لعيشى ناعما * فيعود خطيا لقتلى ذابلا

وهو حافظ متقن له فى الحديث والادب تصانيف وله كتاب فى مختير الاشعار سماه قطع الرياض وتكملة الصلة لابن بشكوال وهداية المعترف فى المؤتلف والمختلف وكتاب التاريخ وبسببه قتله صاحب افريقية وأحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه الله تعالى وله تحفة القادم فى شعر الاندلس والحلة السيراء فى أشعار الامراء ومن شعره قوله

فهذا فأكلوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال يا د صدقتم لولا أن نحله فى همة جبار فوعاها الاعلام فلما حضر غداؤهم وجىء بالشواء فاذا شاة مشوية فاكلوها وقالوا ما رأينا شواء أجود [illegible] ولا أرخص [illegible] ولا [illegible] من منه [illegible] صدقتم لولا انه غذى بلبن [illegible] ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا ما رأينا خمرا أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمه نبت على قبر ثم قالوا ما رأينا ملكا أكرم قرى ولا أخصب رحلا من هذا الملك فقال مضر صدقتم لولا أنه لغير أبيه فذهب الاعلام الى الافعى فخبره بما كان منهم فدخل الافعى على امه فقال اقسمت عليك الا ما اخبرتنى من أنا ومن ابى فقالت يابنى ومادعاك الى هذا انت ابن الافعى الملك الاكبر فقال حقا لتصدقينى فالح عليها فقالت يابنى ان اباك الافعى الذى تدعى له كان شيخا قد ثمل فخشيت ان يخرج هذا الملك عنا اهل البيت وقد كان قدم الينا شاب من ابناء الملوك فدعوته الى نفسى فعلقت بك منه ثم بعث الى القهرمان فقال اخبرنى عن الشهد الذى بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه فقال انا اخبر بامد برفى طنف

أمرى عجيب فى الامور * بين التوارى والظهور
مستعمل عند المغيب * ومهمل عند الحضور

وسبب هذا أن ملك تونس كان اذا أشكل عليه شئ أو ورد عليه لغز أو معمى أو مترجم بعث به اليه فيحله واذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت اليه ووجد فى تعاليقه ما يشين دولة صاحب تونس فامر بضربه فضرب حتى مات وأحرقت كتبه رحمه الله تعالى وكان أعداؤه يلقبونه بالفار وحصلت بينه وبين أبى الحسن على بن شلبون المعافرى البلنسى مهاجاة فقال فيه

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع الناس صادرة عن الابار
أوليس فارا حقه وخلقة * والفار مجبول على الاضرار

فأجابه ابن الابار

قل لابن شلبون مقال تنزه * غيرى يجاريك الهجاء فجار
انا قسما خطتيا بيننا * فحملت برة واحتملت فجار

وهذا مضمن من شعر النابغة الذبيانى انتهى ما لخصناه من كلام أبى سعيد فى حقه ومن شعر ابن الابار أيضا

لو عن لى عون من المقدار * هجرت للدار الكريمة دارى
وحللت أطيب طيبة من طيبة * جارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للابصار * لما استنار حقائق الانصار
يا زائرين القبر قبر محمد * بشرى لكم بالسبق فى الزوار
أوضعتم لخلاصكم ووضعتم * ما قادكم من فادح الاوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى * حملتم شوقا الى المختار
أدوا السلام سلمتم وبرده * أرجو الاجارة من ورود النار

اللهم أجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم واختم ترجمته بقوله

رجوت الله فى اللأواء لما * بلوت الناس من ساه ولاهى
فمن يك سائلا عنى فانى * غنيت بالافتقار الى الهى

وقد جودت ترجمته فى ازهار الرياض فى اخبار عياض فليراجع ذلك فيه من شاء (رجع الى ما كنا فيه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق) (ومنهم الحافظ ابو المكارم جمال الدين بن مسدى وهو ابو بكر محمد ويقال ابو المكارم ابن ابى احمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن مسدى المهلبى الازدى الاندلسى) شيخ السنة وحامل راياتها وفريد الفنون ومحكم آياتها عرف الاحاديث ومميز بين مشهورها وغريبها وكان المتلقى لراية السنة بيمين عرابتها طلع بمغربه شمسا فبل بزوغه بافق المشرق وملأ جزيرته الخضراء من بحر علومه المتدفق وأدعمها بسوقه المشرق وطاف البلاد الاسلامية المغربية والمشرقية فعقدت على كماله الخناصر وجعله أرباب الدراية لمقلة الدين الباصر ولقى اعيان الشيوخ فى القطرين وأخذ عنهم ما تقر به العين ويدفع به عن القلب الرين مع فصاحة لسان وطلاوة بيان وبنان وخلال حسان وبلاغة سحب ذيلها على سحبان وظهر أزهار بان

فبعثت اليه من يشوره فاخبرونى انهم هجموا على عظام نخرة منكرة فى تلك الطرف فاذا الجمل قد رعت فى جمجمة من تلك العظام فاتوا بعسل لم ار مثله فقدمته الى القوم فحمدوه ثم بعث الى صاحب مائدته فقال ماهذه الشاة التى شويتها لهؤلاء القوم قال انى بعثت الى الراعى أن ابعث الى باحسن شئ عندك فبعث بها الى وما سألته عنها فبعث الى الراعى أن أعلمنى خبر هذه الشاة قال انها اول ما ولدت من غنمى عام اول فماتت امها فبقيت وكانت كلبة لى قد وضعت فانست السخلة بجراء الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم اجد فى غنمى مثلها فبعثت بها اليك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ماهذا الخمر الذى سقيت هؤلاء القوم قال من حبلة كرم غرستها على قبر ابيك فليس فى العرب مثل شرابها فقال الافعى ما هؤلاء القوم ان هم الا شياطين ثم احضرهم فقال ما خطبكم قصوا على قصتكم فقال اياد ان ابى جعل لى خادمه شمطاء وما اشبهها من ماله فقال ان اباك ترك غنما سودا فهى لك ورعاؤها مع الخادم فقال انمار ان ابى جعل لى بدرة ومجلسه وما اشبههما من ماله قال ذلك ما ترك ابوك من الرثة والحرثى والارض فقال ربيعة ان ابى جعل لى فرسا ادهم بيتا

وفوضت اليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال هذا السوار لمثل هذا المعصم فكم وشى بها من مطارف للبلاغة وكم غنم حتى يظن الرائي عود منبره من وعظه مائسا ولئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الامام يابسا وترجم على من لقي من الاعيان بصدر البيان وفصل أحوالهم باحسن تبيان وعدتهم أربعة آلاف شيخ وناهيك بهذه مرتبة نفاد لها الفضائل في أرسان وأرى تحقيق قول القائل جمع الله تعالى العالم في انسان وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر وله مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتأخرين وهو أشهر من نار على علم وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هذا بعد نادر اتوفي شهيدا مطعونا من اناس كانوا يحسدونه فختم الله تعالى له بالشهادة وبوّئ بها دار السعادة وتوفي سنة ٦٦٣ بمكة ومولده سنة ٥٩٨ رحمه الله تعالى ونفعنا بأمثاله * (ومنهم الكاتب أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري) بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح التاء ثالثة الحروف وسكون الواو بعدها راء الاشبيلي المولد والمنشا ولد في شوال سنة ٦١٥ وقرأ على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه والسبع وله باع مديد في الترسل مع التقوى والخير وله اجازة من الرضى بن برهان والنجيب بن الصيقل وكتب لامير سبتة وحدث بتونس عن العراقي وجاور زمانا وتوفي بالمدينة سنة ٧٠٤ وحج مرتين قال أبو حيان قدم القاهرة مرتين وحج في الاولى وأنشد من لفظه لنفسه

أسيلي الدمع يا عيني ولكن * دما ويقل ذلك لي أسيلي
فكم لي في التراب من طرف كحيل * لترب لي ومن خد أسيل

وقال

ماذا جنيت على نفسي بما كتبت * كفي فيا ويح نفسي من أذى كفي
ولو يشاء الذي أجرى علي بذا * قضاءه الكف عني كنت ذا كف

وقال

واحسرتا لأمور ليس يبلغها * مالي وهن منى نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لا جدوى لديّ وما * ألوت جهدا ولكن جدي الآلي

وقال العلامة فتح الدين بن سيد الناس انه انشده لنفسه بالحرم الشريف النبوي سنة ثلاث وسبعمائة

رجوتك يا رحمن انك خير من * رجاه لغفران الجرائم مرتجي
فرحمتك العظمى التي ليس بابها * وحاشاك في وجه المسيء بمرتج

وقد أنشد له أبو حيان كثيرا من نظمه رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل الاموي الاشبيلي النباتي المعروف بابن الرومية) كان عارفا بالعشب والنبات صنف كتابا حسنا كثير الفائدة في الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها وقال البرزالي في حقه انه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الحرستاني وابن ملاعب

الفرس فغاز مضر ان ابي جعل لي قبة حمراء من ادم وما اشبهها من ماله فقال ان اباك ترك ابلا حمراء فهي لك وما اشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمي مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوتهم جرهم بمكة فاصابتهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها ويصل اخوته وذهب ما كان لانمار من شاء في تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها انفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بابلهم فتشعبوا الابل وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي يد انمار عظم يتعرقه قد جاءه في ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب في عنق مضر فتأوه مضر وصاح عيني عيني وشاغل به اخوته فركب انمار بعد ان اكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان في عقبه ما ذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الاربعة اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا مضر الحمراء لما ذكرنا من امر القبة وكذلك تفتخر مضر في كلامها المنثور

وابن

وابن العطار وغيرهم وقال بعضهم اجتمعت به وتفاوضت معه في ذكر الحشائش فقلت له قصب الذريرة قد ذكر في كتب الطب وذكروا انه يستعمل منه شئ كثير وهذا يدل على انه كان موجودا كثيرا واما الآن فلا يوجد ولا يخبر عنه بخبر فقال هو موجود وانما لا يعلمون أين يطلبونه فقلت له واين هو فقال بالاهواز منه شئ كثير انتهى واجاز البحر بعد سنة ٥٨٠ للقاء ابن عبيد الله بسبتة فلم يتهيأ له ذلك وحج رحمه الله تعالى في رحلته الاولى ولقي كثيرا وروى عن عدد من الرجال والنساء ضمنهم التذكرة وله مختصر كتاب الكامل لاحمد بن عدي في رجال الحديث وله كتاب المعلم بزيادات البخاري على كتاب مسلم ويعرف بالنباتي لمعرفته بالنبات ومولده في نحو سنة ٥٦١ وتوفي رحمه الله تعالى باشبيلية منسلخ ربيع الثاني سنة ٦٣٧ وحدث اناس من تلامذته والف بعضهم في التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجد وابن عفير وغير واحد كابي ذر الخشني وسمع ببغداد من جماعة وحدث بمصر أحاديث من حفظه ويقال له الحزمي بفتح الحاء نسبة الى مذهب ابن حزم لانه كان ظاهري المذهب وكان زاهدا صالحا وحكى بعضهم انه كان جالسا في دكانه باشبيلية يبيع الحشائش وينسخ فاجتاز به الامير أبو عبد الله بن هود سلطان الاندلس فسلم عليه فرد عليه السلام واشتغل بنسخه ولم يرفع اليه رأسه فبقي واقفا منتظرا أن يرفع اليه رأسه ساعة طويلة فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان حسنان في علم الحديث أحدهما يقال له الحافل في تكملة الكامل لابن عدي وهو كتاب كبير قال ابن الابار سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يثني عليه ويستحسنه والثاني اختصر فيه الكامل لابي أحمد بن عدي كما سبق في مجلدين وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من اصحاب الحافظ أبي الوقت السجزي وابي الفتح بن البطي وأبي عبد الله الغراوي وغيرهم من الائمة وله فهرسة حافلة أفرد فيها روايته بالاندلس من روايته بالمشرق وكان متعصبا لابن حزم بعد أن تفقه في المذهب المالكي على ابن زرقون أبي الحسين وطالت صحبته له وكان بصيرا بالحديث ورجاله كثير العناية به واختصر كتاب الدارقطني في غريب حديث مالك وغيره أضبط منه وفاق أهل زمانه في معرفة النبات وقعد في دكان لبيعه قال ابن الابار وهنالك رأيته ولقيته غير مرة ولم آخذ عنه ولم أستجزه وسمع منه جل أصحابنا ومولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧ وتوفي باشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٨ وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الاول وحكى ذلك عن والده أبي المنصور محمد بن أحمد انتهى *(ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الاشبيلي الشهير بالمسيلي) رحل حاجا وقفل الى بلده وحدث عنه أبو بكر بن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب وروى عن أبي محمد بن أبي السعادات المروزي الخراساني وأنه أنشده بثغر الاسكندرية عند وداعه اياه قال أنشدني أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم

السم من ألسن الافاعي * أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم والدموع تجري * لما دعا للوداع داعي

*(ومنهم أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد ويعرف

والنجدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس واياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه وأعاروقد بينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله النسابون في عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر حلوله من الديار وتشعب أنسابها وتسلسلها الى الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا السير من مبسوطها ما منعنا ذلك من اعادته في هذا الكتاب (ولنذكر) الآن الغرض من هذا الباب الذي به ترجمنا اليه نسب من سكن من حل البدو من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والكرد والخزر والبربر ومن تفرق بالبراري وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم *تباين الناس في السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول ممن سكن الارض سكنوا حينا من الزمان لم يبنوا بناء ولا شيدوا امدارا وكان سكناهم في شبه الاكواخ والمظال ثم ان نفرا منهم أخذوا في ابتناء المساكن وخلف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة منهم على سجيتها الاولى في البيوت والاطلال

بابن الاقليشي) صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم عارض
به كتاب القضاعي وأصل ابيه من اقليش وضبطها بعضهم بضم الهمزة وسكن دانية وبها ولد
ونشأ وسمع أباه وأبا بكر وأبا العباس بن عيسى وتلمذ له ورحل الى بلنسية فأخذ العربية والآداب
عن أبي محمد البطليوسي وسمع الحديث من صهره أبي الحسن طارق بن يعيش والحافظ أبي
بكر بن العربي وأبي الوليد بن خيرة وابن الدباغ ولقي بالمرية أبا القاسم بن ورد وأبا محمد
عبد الحق بن عطية وولي الله سيدي أبا العباس بن العريف ورحل الى المشرق سنة اثنتين
وأربعين وخمسمائة وجاور بمكة سنين وسمع من أبي الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط أم
الخليفة العباسي سنة سبع وأربعين ثم كر راجعا الى المغرب فقبض في طريقه وحدث
بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع التقدم في الصلاح والزهد
والعزوف عن الدنيا وأهلها والاقبال على العلم والعبادة وله تصانيف منها كتاب الغرر
من كلام سيد البشر وكتاب ضياء الاولياء وهو أسفار عدة وحمل الناس عنه معشراته
في الزهد وكتبها الناس وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارئ فيبكي حتى يعجب الناس
من بكائه وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وقد وصف غير واحد
امامته وعلمه وورعه وزهده وروى عنه أبو الحسن بن كوثر وابن بيش وغيرهما
ومن شعره قوله

أسير الخطايا عند بابك واقف * له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة * ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوه وهو يزداد ضلة * فها هو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب والقلب مظلم * فما طاف منه من سنى الحق طائف
ثلاثون عاما قد تولت كأنها * حلوم تقضت او بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء أنه * اذا رحلت عنه الشبيبة تالف
فيا أحمد الخوان قد أدبر الصبا * وناداك من سن الكهولة هاتف
فهل أرق الطرف الزمان الذي مضى * وأبكاه ذنب قد تقدم سالف
فجد بالدموع الحمر حزنا وحسرة * فدمعك ينبي أن قلبك آسف

وقد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد بن الفرضي أو أخذه منه نقلا وتوفي في صدوره
عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الخمسين وخمسمائة ودفن عند الجيزة التي
في المقبرة التالية لسوق العرب وقال ابن عياد انه توفي سنة خمسين أو احدى وخمسين بعدها
رحمه الله تعالى وقد نيف عن الستين * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر المعافري المرسي)
وأصله من طلبيرة ويعرف بابن افرند روى عن أبي الحسين الصدفي وغيره كالقاضي
الحافظ أبي بكر بن العربي وأبي محمد الرشاطي وأبي اسحق بن حبيش وغيرهم وله رحلة حج فيها
ولقي أبا الفتح بن الرندانقاني ببلد بين سرخس ومرو من أصحاب أبي حامد الغزالي وأنشد عنه
مما قاله في وداع اخوانه بالبيت المقدس

لئن كان لي من بعد عود اليكم * قضيت لبانات الفؤاد لديكم

يتبعون الاماكن الرفهة الخصبة ويتنقلون عنها اذا أجدبت فمضت هذه الطائفة على نهج الاقدمين

(وذكرت) طائفة أن أول
ذلك أن الناس لما نضب
عنهم الطوفان الذي
أهلك الله به الارض من
زمن نوح على نبينا وعليه
السلام تفرق من نجا في
طلب البقاع الخصبة
المنفردة وانفرد من انفرد
بانتجاع الارضين وحلول
البيداء وآخرون بقاعا
تخيروها سكن ابناء اقليم
بابل من النبط ومن سلم
من ولد حام بن نوح عليه
السلام مع نمروذ بن كنعان
ابن سنجارب بن نمروذ
الاول ابن كوش بن سام بن
نوح وذلك حين تملك على
اقليم بابل من قبل الضحاك
وهو بيوراسب وسكن حل
بلاد مصر من ولد حام على
حسب ما ذكرنا في باب
مصر وأخبارها في هذا
الكتاب وسكن عمر الشام
من الكنعانيين وسكن حل
بوادي البربر وهم هوارة
وزناته وضريسة ومغيلة
وزرجولة ونفزة وكتامة
ولواته ومراتة ورلوبه ونفوسه
ولمطه وصدسة ومعموره
وعفارة وفاطه وورانه
واسمه وبنو اسحين وارلته
وهي مورمانه وبنو وكلان
وبنو نصران وبنو
ووعس وبنو ومنهم وسا
وصنهاجة ومن سكن من أنواع الاجناس من الاحابش وغيرهم الغابة المعروفة بغابة المبرابرية يسمون
وان

وان تسكن الاخرى ولم تك اوبة * وحان حمامي فالسلام عليكم

وقد روى هذين البيتين أبو عمر بن عياد وابنه محمد عن ابن اثرمده هذا وكان صالحا زاهدا متصوفا رحمه الله تعالى (ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي) من أهل لورقة رحل حاجا وكان منقبضا زاهدا صواما قواما واقرأ القرآن وأسمع الحديث وممن حدث عنه الحافظان أبو سليمان وأبو محمد ابنا حوط الله ولقيه أبو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥ وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٥٧٧ وقد قارب المائة * (ومنهم أبو عمر بن عات وهو أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي) من أهل شاطبة سمع أباه وأبا الحسن بن هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وابن حبيش وغير واحد وطائفة كثيرة ورحل الى المشرق فأدى الفريضة وسمع أبا الطاهر السلفي وأبا الطاهر بن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره وأجازله ابو الفرج بن الجوزي وغيره ممن أخذ عنه وسمع منه وقد ضمن ذكر أشياخه وجملة صالحة من مروياته عنهم برنامجيه اللذين سمى أحدهما بالنزهة في التعريف بشيوخ الوجهة وهو كتاب حافل جامع والآخر بريحانة النفس وراحة الانفس في ذكر شيوخ الاندلس قال ابن عبد الملك المراكشي في الصلة حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي بن القطان وكان من أكابر المحدثين وجلة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة يسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شئ منها متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل اذلم يعن بذلك عنايته بغيره فكان اهل شاطبة يفاخرون بابوي عمر بن عبد البر وابن عات وكان على سنن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين واكل الخشن ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من أعمال البر كالاذان والامامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين وحكي انه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب او القارئ بكتابه فقال ابو عمر انا اقرأ لكم فقرأ لهم من حفظه وقال ابو عمر عامر بن نذير لازمته مدة ستة اشهر فلم ار احفظ منه وحضرت اسماع الموطا وصحيح البخاري منه فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر اوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف في شئ من ذلك انتهى وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لايخل بحفظ شئ منها موصوفا بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن ويا كل الخشن وربما اذن في المساجد وله تآليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر وشهد وقعة العقاب التي افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها ففقد حينئذ ولم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قال ابن الابار وهو ممن أجازله المذكور فيما رواه أو ألفه رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن حنون البهراني) من ساكني اشبيلية وأصله من لبلة روى عن أبيه وابن الجد وابن زرقون وابن جهور وغيرهم من أعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن طبرزذ وبخراسان من المؤيد الطوسي وبهراة من أبي روح عبد المعز

ورعوين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير الغابة واتسع في هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلوبيه فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومغيلة وضريسه الجبال من تلك الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهي بلاد طرابلس المغرب الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومي فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البربر ببلاد افريقية واقاصي ديار المغرب في نحو من مسافة الفي ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس واطراف البراري والقفار (ومن بحر أفريقية) وصقليه يخرج المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر اقيانس وغير

وعمر ومن عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعانى ومن جماعة غير هؤلاء وسمع أيضا بدمشق من ابى الفضل الخرستانى وسواه وبها توفى قبل العشرين وستمائة فيما نقل ابن الابار عن ابن نقطة وقال غيره انه مات سنة خمس وعشرين وستمائة ※ (ومنهم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم ابن محمد بن أحمد المخزومى) من أهل قرطبة ويعرف أبوه بكوزان روى عن أبيه وغيره من مشيخة بلده ورحل حاجا فلقى بالاسكندرية أبا الحسن بن المقدسى وسمع منه وأنشد من لفظه بعض أصحاب الآثار قال أنشدنى شرف الدين أبو الحسن على بن المفضل المقدسى قال انشدتنى نقية بنت غيث بن على الارمنازى لنفسها

لا خير فى الخمر على انها ※ مذكورة فى صفة الجنه
لانها ان خامرت عاقلا ※ خامره فى عقله جنه
يخاف أن تقذفه من علا ※ فلا تقى مهجته جنه

※ (ومنهم أبو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن عياش الكنانى المرسى) سمع من ابن بشكوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقعنبى وابن بكير بقراءة محمد بن حوط الله ورحل الى المشرق سنة تسع وسبعين وخمسمائة فحج سنة ثمانين بعدها وأقام بالحجاز والشام مدة ولقى أبا الطاهر الخشوعى بدمشق فسمع منه مقامات الحريرى وأخذها الناس عنه ومما أفاد زاد فى قول الحريرى ※ اذا ما حويت جنى نخلة ※ الابيات قوله

ولا تأسفن على خارج ※ اذا ما أخت سنى الداخل
ولا تكثر الصمت فى معشر ※ وان زدت عيا على باقل

وسمع من أبى القاسم بن عساكر السنن للبيهقى ومن ابى حفص الميانشى جامع الترمذى وقفل الى الاندلس فى سنة سبع وتسعين وحدث بيسير وكان يحسن عبارة الرؤيا وكف بصره سنة ثمان وعشرين وستمائة أو نحوها وتوفى على اثر ذلك ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى ※ (ومنهم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم الغافقى) ويقال فيه ابراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن اندلسى سكن دمشق وولى الحسبة بها ويكنى أبا اسحق سمع ببغداد من ابى بكر بن مالك القطيعى وطبقته وبدمشق من عبد الوهاب الكلابى ويوسف بن القاسم الميانجى وبمصر من أبى طاهر الذهلى وأبى أحمد العطريفى وله أيضا سماع بالرملة واطرابلس والدينور وغيرها من البلدان وحدث بيسير روى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الجيانى من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكتانى وكان مالكيا وقيل انه يذهب الى الاعتزال وكان صارما فى الحسبة ووليها سنة خمس وتسعين وثلثمائة فى أيام الحاكم العبيدى وتوفى بدمشق فى ذى الحجة سنة أربع وأربعمائة قيل ثانى عيد الاضحى وقيل غير ذلك ذكره ابن عساكر رحمه الله تعالى قلت ما سمعت بمالكى معتزلى غير هذا ولعله كان مالكيا بالمغرب فلما دخل فى خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال فالله تعالى أعلم ※ (ومنهم أبو أمية ابراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد الغافقى) من أهل المرية ونزل مرسية سمع ببلده من ابن شفيع وأخذ عنه القراآت ومن الحافظ ابن سكرة وابن رغيبة وعبد القادر بن الحناط وبقرطبة من ابن عتاب وابن

هؤلاء من ذكرنا من الامم من سكن قطع الارض وابتنى المدائن شرقا وغربا (ورأت العرب) ان جولان الا... بقاعها على الايام اشبه بالعز واليق بذى الانفة وقالوا الآن نكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء اصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من اجل ذلك (وذكر آخرون) ان القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الاخطار ونيل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من العرة والهرب من العار بدأت الفكر فى المنازل والتقدير للمواطن فتاملوا شأن المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا وقال ذو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخيير المواضع بحسب احوالها من الصلاح اذ الهواء ربما قوى واضر باجسام سكانه واحال امزجة ابدانه وقال ذو الآراء منهم ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف فى الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة وزعموا ايضا ان الابنية والاظلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسد سروحه عن المرور ونداه عن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة

وابن طريف وأبى بحر الاسدى وأبى مغيث وغيرهم ورحل حاجا فسمع بمكة من أبى على بن
العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور وغيرها فى شعبان سنة ست وعشرين وسمع أيضا من أبى
الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسى وقفل الى بلده وانتقل بعد الحادثة عليه الى مرسية وولى
القضاء والخطبة هنالك وحدث وأخذ عنه وكان فقيها مشاورا وقيل ان ابن حبيش سمع منه
الاحاديث النسطورية وأسمع صحيح البخارى آخر الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان
يحدث به عن سلطان بن ابراهيم عن كريمة المروزية وحكى رحمه الله تعالى عن أبى ذر
الهروى أنه قال عند موته عليكم بكريمة فانها تحمل كتاب البخارى من طريق أبى الهيثم رحم
الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو القاسم بن فورتش وهو اسمعيل بن يحيى بن عبد الرحمن
السرقسطى) وأخوه ... يحيى وكانا جميعا زاهدين لهما رحلة سمعا فيها من ابى ذر
الهروى بمكة وعادا ... محمد منهما القضاء وقد لقيهما القاضى الحافظ أبو على بن
سكرة ولم يسمع منهم ... عن أبى عمر الطلمنكى وأبى الحزم بن درهم وتوفى أبو القاسم
فى نحو الخمسمائة *(ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن أحمد بن عمر القرشى العلرى الاشبيلى)
رحل حاجا ودخل العراق والموصل وبلاد الكثير ورواه وسمع من أبى حفص الميانشى بمكة
... الحسن على بن هابيل الانصارى عن ابى الوليد الباجى
... انه كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال أبو الصبر كان اذا فى
... دته ينقص منه رجل واحد فاستربت فى الرواية عنه
... رلان ابن هابيل وغيره من شيوخه مجهولون وأبو الصبر
... عمر روى عن المذكور وهو ابو الصبر السبتى والله تعالى أعلم بحقيقة حال الرجل *(ومنهم
أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن خليل
النقرى الحميرى التاكرنى) قال فى تاريخ اربل كان شابا متادبا فاضلا قدم مصر وله شعر
حسن وقال الحافظ عبد العظيم المنذرى انشدنا المذكور لنفسه

... * أوما يقربك الزمان قرار
... * ولكل عهد سالف نذكار

... لم ترع فى البيد الا الشمس والقمرا
... هى الغداة كزنجى اذا كفرا
... هى من قطر قرطبة وتوفى بأرزن من ديار بكر
... من بديع شعره

... * أبدى لعينيك أزهارا وأشجارا
وان ... * بث السبرية آجالا واعمارا

وتاكرنا بضم الكاف والراء وتخفيفها وشد النون وورد المذكور اربل سنة سبع وعشرين
وستمائة وله ابيات اجاز فيها ابيات شرف الدين عمر بن الفارض فى غلام اسمه بركات قال
الاسدى الدمشقى ومن خطه نقلت كنت حاضرا هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الازهر اذ قال

فى هذه المواطن وعناء
القرائح فى التعقل ...
المساكن مع صحة الامزجة
وقوة الفطنة وصفاء
الالوان وصيانة الاجسام
فان العقول والآراء تتولد
من حيث تولد الهواء
وطبع الهواء الفضاء ...
هذا الامن من العاهات
والاسقام والعلل والآلام
فأكثر ... بسكان
البوادى والحلول فى
البيداء فهم اقوى الناس
هما وأشدهم أحلاما
وأصحهم أجساما وأعزهم
جارا وأحماهم ... را
وأفضلهم جوارا وأجودهم
... لما كسبهم ... ء
الجو ونقاء ... لان
الابدان تحتوى اجزاؤها
على ... كدار
وعناء الاقذار ...
اليه ويتلاطم فى عرصاته
وأفته من جميع المستعملات
والمستنقعات من المياه فى
اكنافه جميع ما ...
اليه ولذلك ترا كم ...
الاقذاء والادواء والعاهات
فى أهل المدن وتركبت فى
أجسا ...
أشعا ...
... نفذ ...
ماعد ...
المعتبر ...
تخيره ...
الموطن (قال المسعودى) ولذلك جانبوا فظاظه الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيرهم

ابن الفارض

بركاته يحكي البدر عند تمامه * حاشاه بل شمس الضحى تحكيه

فقال أبو الروح وانشدني ذلك

هذا الكمال غفل لمن قد عابه * حسدا وآية كل شئ فيه

لم يدنو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك ملاحة التشبيه

وكأنه رام يغلق جفنه * ليصيب بالسهم الذي يرميه

وقال ابن المستوفي في تاريخ اربل انشدني ابو الروح

اوصيت قلبي ان يفر عن الصبا * ظنا بأني قد دعوت سميعا

فاجابني لاتخش مني بعدما * افلت مز ... ر ... وعا

حتى اذا نادى الحبيب رايته * آوى الد ... يعا

كذبالة اخمدتها فاذا دنا * منها القبر ... ر ... يعا

قال وانشدني

وزائر زارني والليل معتكر * والطيب ... شهره

أمسكت قلبي عنه وهو مضطرب * والشو ...

فبت اصدى الى من لا يحللني * والور ...

تراه عيني وكفي لا تلامسه * حتى ... طره

قال وانشدني قال انشدني الامام ابو عمرو بن غياث الشريشي رحمه الله تعالى

صبوت وهل عار على الحب ان صبا * وقد ثغر الارب بعيز الى الصبا

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا

وليس مشيبا ماترون وانما * كميت الصبا المهاري عاد اشهبا

وتوفي أبو عمرو سنة ٦٢٠ عن تسعين سنة قال ابن المستوفي وأنشدني المذكور قال انشدني أبو عمرو أيضا لنفسه

أودع فؤادي حسرة أودع * نفسك تؤذي أ ...

أ ... للعظ أوفارمها * أنت بما ترمي ...

... يعها القلب وأنت الذي * مسكنه في ذ ...

قال و ... ي قال انشدني مطرف الغرناطي

أناصب كما تشاء وتهوى * شاء ...

... سنة سنها قديما جميل * وأنى ...

قال وأنشدني أيضا المطرف

وفي فروع الايك ورق اذا * بل الندى أعطافها تسجع

أوهزها نفح نسيم الصبا * شاقك منها غرد شرع

كأنما بطنها منبر * وهي خطيب فوقه مصقع

ان شبها في طرف لوعة * جرى لها في طرف مدمع

ماجاء من وراء الكعبة فهي دبور وماجاء من قبل ذلك فهي صبا قال فا ... كثر ... اخذه

أخذه من قول عبد الوهاب بن علي المالقي الخطيب

كأن فؤادي وطرفي معا ۞ هما طرفا غصن أخضر
إذا اشتعل النار في جانب ۞ جرى الماء في الجانب الآخر

تم طبع الجزء الأول بعون من عليه الاعتماد والمعول من
كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

(ويليه الجزء الثاني أوله ومن الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق
الإمام النحوي اللغوي أبو الحسن ...)